ترجمان

سوتيريوس سارانتاكوس

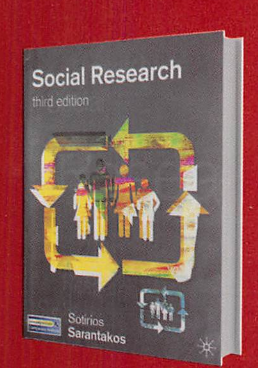
البحث الاجتماعي

ترجمة: شحدة فارع



المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

هذا الكتاب



صمّم محتوى هذا الكتاب ليبيّن المراحل المختلفة في عملية البحث الاجتماعي، ابتداءً باختيار موضوع الدراسة وانتهاءً بصوغها ومنهجتها وإخراجها في شكلها النهائي. ويقدّم إلى قارئه مناقشةً متوازنة لأساليب بحث مختلفة، ويعبّر عن الطبيعة الدينامية للبحث، كما يوضح السبيل الأمثل إلى تناول الخيارات واستخلاص الخلاصات. إلى ذلك، يساهم في تطوير الفهم النقدي عند الطلاب؛ إذ يدلّهم إلى أفضل الممارسات البحثية، ويوفّر لهم رؤية نافذة إلى المسائل النظرية.

هذا الكتاب نتاج تجربة تعليمية طويلة، تنعكس في فهم المؤلف العميق وأسلوبه البسيط والمختصر المفيد، لذا يعدّ أداةً أساسية للطلاب في مسيرتهم التعلّمية.

المؤلف

سوتيريوس سارانتاكوس أستاذ مساعد في جامعة شارلز ستورت الأسترالية. له مؤلفات عدة، منها **الزواج والعائلة** و**أزواج مثليون** و**بيانات أساسية بلا رياضيات** و**المساكنة في مرحلة انتقالية**.

المترجم

شحدة فارع حائز شهادة الدكتوراه في اللغويات من جامعة كانساس الأميركية في عام 1988. درّس في الجامعة الأردنية حتى عام 2001، ويدرّس الآن اللغويات والترجمة في جامعة الشارقة. نشر بحوثًا عدة في مجلات عالمية محكمة، تناول فيها شؤون الترجمة واللغويات المقارنة وتعليم اللغة الإنكليزية، كما ألّف سلسلة من الكتب لتعليم اللغة الإنكليزية، وترجم كتبًا عدة من العربية إلى الإنكليزية، وبالعكس.

- فلسفة وفكر
- اقتصاد وتنمية
- لسانيات
- آداب وفنون
- تاريخ
- علم اجتماع وأنتروبولوجيا
- أديان ودراسات إسلامية
- علوم سياسية وعلاقات دولية

السعر: 28 دولارًا

ISBN 978-614-445-126-7

9 786144 451267



المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

البحث الاجتماعي

هذه السلسلة

في سياق الرسالة الفكرية التي يضطلع بها «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات»، وفي إطار نشاطه العلمي والبحثي، تُعنى «سلسلة ترجمان» بتعريف قادة الرأي والنخب التربوية والسياسية والاقتصادية العربية إلى الإنتاج الفكري الجديد والمهم خارج العالم العربي، عن طريق الترجمة الأمينة الموثوقة المأذونة، للأعمال والمؤلفات الأجنبية الجديدة أو ذات القيمة المتجددة في مجالات الدراسات الإنسانية والاجتماعية عمومًا، وفي العلوم الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية والثقافية بصورة خاصة.

تستأنس «سلسلة ترجمان» وتسترشد بآراء نخبة من المفكرين والأكاديميين من مختلف البلدان العربية، لاقتراح الأعمال الجديرة بالترجمة، ومناقشة الإشكالات التي يواجهها الدارسون والباحثون والطلبة الجامعيون العرب كالافتقار إلى النتاج العلمي والثقافي للمؤلفين والمفكرين الأجانب، وشيوع الترجمات المشوَّهة أو المتدنية المستوى.

تسعى هذه السلسلة، من خلال الترجمة عن مختلف اللغات الأجنبية، إلى المساهمة في تعزيز برامج «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» الرامية إلى إذكاء روح البحث والاستقصاء والنقد، وتطوير الأدوات والمفاهيم وآليات التراكم المعرفي، والتأثير في الحيز العام، لتواصل أداء رسالتها في خدمة النهوض الفكري، والتعليم الجامعي والأكاديمي، والثقافة العربية بصورة عامة.

البحث الاجتماعي

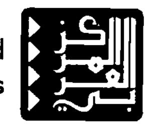
سوتيريوس سارانتاكوس

ترجمة

شحدة فارع

مراجعة

ثائر ديب



المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات

Arab Center for Research & Policy Studies

الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
سارانتاكوس، سوتيريوس، 1939-
البحث الاجتماعي/ سوتيريوس سارانتاكوس؛ ترجمة شحدة فارع؛ مراجعة ثائر ديب.
736 ص.: ايض.، جداول؛ 24 سم. - (سلسلة ترجمان)
يشتمل على ببليوغرافية (ص. 725-736).
ISBN 978-614-445-126-7
1. العلوم الاجتماعية - طرق البحث. 2. البحوث الاجتماعية. 3. البيانات - تجهيز. 4. البيانات - تحليل. 5. المسح العلمي. 6. المنهجية. أ. فارع، شحدة. ب. ديب، ثائر. ج. العنوان. د. السلسلة.
300.72

هذه ترجمة مأذون بها حصريًا من الناشر لكتاب

Social Research

by Sotirios Sarantakos

Copyright © S. Sarantakos 1993

عن دار النشر

Palgrave Macmillan, a division of Macmillan Publishers Limited.
First published in English by Palgrave Macmillan, a division of Macmillan Publishers Limited under the title Social Research, 3rd edition by Sotirios Sarantakos. This edition has been translated and published under licence from Palgrave Macmillan. The author has asserted his right to be identified as the author of this Work

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن
اتجاهات يتبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الناشر



المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

شارع الطرفة - منطقة 70
وادي البنات - ص. ب: 10277 - الظعاين، قطر
هاتف: 00974 40356888

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174
ص. ب: 11 4965 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان
هاتف: 8 991837 1 00961 فاكس: 1991839 00961
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

© حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الطبعة الأولى
بيروت، كانون الثاني/ يناير 2017

الفهرس المختصر

الفهرس المُفَصَّل

القسم الثاني
تخطيط البحث

القسم الثالث
طرائق جمع البيانات

القسم الرابع
تحليل البيانات

القسم الخامس
النشر

قائمة الأُطر والأشكال والجداول

الأُطر

الأشكال

الجداول

مدخل

هذا كتاب موجز وشامل في البحث الاجتماعي لطلاب العلوم الاجتماعية والفروع الأخرى المتصلة بها. يعرض هذا الكتاب بطريقة ناقدة لطبيعة البحث الاجتماعي المتنوعة والمتعددة الجوانب، ويشتمل على منهجيات وطرائق بحث كثيرة، ويغطي مساحة واسعة من البحث الاجتماعي، ابتداء من التحليل الوضعي وانتهاء بالبحوث البنائية والنسوية، كما يركز على التأويل وتحليل الخطاب والبحث مابعد الحديث والبحث التطبيقي (تحليل الحاجات والبحث التقويمي والبحث العملي). ويُتاح مع هذا الكتاب [في نسخته الإنكليزية الأصلية] دليل إلكتروني مفصل ومركّز (Working with Social Research) على الموقع الإلكتروني للناشر.

يشرح الكتاب سيرورة البحث ابتداء من اختيار موضوع البحث وانتهاء بكتابة التقرير، ومن الأسئلة إلى الإجابات، موضحًا كيف يتقدّم البحث من مرحلة إلى مرحلة أخرى تالية، مُبيّنًا كيفية اتخاذ القرارات وانتقاء الخيارات واستخلاص النتائج. ويتضمن جميع طرائق البحث الاجتماعي التي تدرس في المساقات المعروفة، كما يحوي فصولًا في البحث النسوي والبحث التطبيقي نادرًا ما تقدم مستقلةً في مثل هذه الكتب. لذلك سيكون هذا الكتاب مفيدًا لطلاب علم الاجتماع والعمل الاجتماعي وعلم النفس والتمريض والتربية والإدارة والصحافة والسياسة وعلوم الشرطة والعلوم الاجتماعية بشكل عام، ويمكن الإفادة منه في مرحلة البكالوريوس بمستوياتها المختلفة.

صيغ الكتاب بأسلوب واضح مباشر يفضله الطلاب. كما أدّت مساهمات الطلاب المباشرة في تطور هذا الكتاب دورًا فاعلًا. وهم، باستخدامهم له في ميادين مختلفة، تهيأت لهم الفرصة لإبداء ملاحظاتهم في شأن درجة وضوحه ومدى صعوبته، ومشاركة المؤلف آراءهم في شأن الحاجة إلى مزيد من التوضيح لبعض إجراءات البحث المعقدة والمزيد من الأمثلة في بعض الجوانب. كما طالبوا بإجراء بعض التعديلات والتحسينات ليكون الكتاب أكثر تركيزًا وأوضح عرضًا. وعلاوة على ذلك كانت ملاحظات الزملاء الذين قاموا بتدريس هذا الكتاب قيّمة جدًا، مع أنها كانت من نوع آخر.

روجع الكتاب في طبعته الثالثة مراجعة تامة اشتملت على تحسينات وإضافات تمت بوضوح ودقة وبطريقة تلائم الطلاب، وهو يتمتع بعدد من المزايا التي تجعله مميزًا من غيره، وفي ما يلي أهمها:

- كتاب موجز وجامع يقدم كمًّا هائلًا من المعلومات في مساحة صغيرة نسبيًا، وبأسلوب مقتضب يرتكز على الشعار القائل: «اكتب بالقدر الضروري وبأقل قدر ممكن». لذلك نراه يركز على المحتوى ويتجنب الحشو والكلام الفارغ.

- يعرض الكتاب البحث الكمي والبحث النوعي جنبًا إلى جنب، ما يسمح بمقارنة سهلة بين المنهجين وتحديد مزايا كل منهما وعيوبه. وهذه ميزة مفيدة جدًا خصوصًا مع ازدياد الاهتمام بالتثليث المنهجي في البحث الاجتماعي.

- يتضمن الكتاب قدْرًا وافيًا من نظرية البحث وممارسته الألمانية والنمساوية، الأمر الذي يضفي بعدًا آخر على مناقشة البحث المعياري.

- يتطرق الكتاب إلى تاريخ البحث الاجتماعي بإيجاز غير مخلٍّ، بقصد مساعدة الطلاب على وضع البحث في سياقه وفهم طبيعته وأصوله. وهو يقدم فصلًا مستقلًا عن البحث النسوي في ضوء انتشاره وتنوع إجراءاته، كما يتضمن فصلًا جديدًا في البحث الاجتماعي التطبيقي الذي يشغل حيزًا كبيرًا في ميادين البحث المختلفة، خصوصًا في العمل الاجتماعي والرعاية الاجتماعية والسياسة الاجتماعية.

- يقدم الكتاب برامج إحصائية للعلماء الاجتماعيين (SPSS) العاملين في التحليل الكمي بطريقة بسيطة مباشرة تمكن الطلاب الذين لا يمتلكون خلفية إحصائية أو رياضية من إجراء التحليل الإحصائي بصورة فاعلة. ويعرض الكتاب للطبعات الأخيرة من البرامج الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، أي الإصدارات 10 و11 و12.

- أخيرًا، يُتاح مع هذا الكتاب دليل إلكتروني يتضمن أسئلة مَقاليّة وأخرى قصيرة الإجابة، وأسئلة صح/ خطأ، وتعبئة فراغات، وأسئلة متعددة الاختيارات وغيرها من التمارين المساعدة للطلاب والمدرّس المشغول أيضًا. ويمكن دخول هذا الدليل عن طريق موقع الناشر (www.palgrave.com).

يعطي هذا الكتاب، بوصفه مدخلًا أساسيًا، الأولوية للناحية العملية والتركيز على المحتوى، ويترك القضايا النظرية المعقدة لمستويات أعلى من القراء. كما يوفر قاعدة متينة لمزيد من التطور ويعمل على إعداد الطلاب لدراسة جوانب البحث النظرية والمتخصصة والمتقدمة في مساقات أخرى، أو يُمكّنهم من البحث عنها في مراجع متخصصة.

باختصار، تحافظ الطبعة الثالثة من هذا الكتاب على مزايا الطبعات السابقة، لكنها تُغنيها من حيث المحتوى، وتوسعها من حيث المدى، وتحسّنها من حيث العرض، وتحدّثها ببرامج حاسوبية، ما يجعل الكتاب ملائمًا لعدد أكبر من المساقات. وتم ذلك من دون زيادة في حجم الكتاب.

في الختام، أصبح هذا الكتاب أشمل مادة وأوسع نطاقًا وأكثر يسرًا وسهولة لاستعمال الطلاب مما كان عليه سابقًا؛ إذ سيجد الطلاب والمدرسون الذين وجدوا هذا الكتاب ملائمًا ومفيدًا في الماضي، الآن أكثر فائدة وجذبًا وملاءمة لمزيد من المساقات.

س. سارانتاكوس

آذار/ مارس 2004

شكر وتقدير

يعبّر الباحث والناشرون عن امتنانهم للسماح لهم بإعادة نشر المادة الآتية:

- Educational and Psychological Measurement, Inc., Table 5.3

(مؤسسة القياس النفسي والتربوي، الجدول 5.3)

بذل الناشرون قصارى جهدهم للمحافظة على حقوق الطبع والنشر، وهم يقدمون اعتذارهم عن أي انتهاك غير مقصود لهذه الحقوق حيث لم يمكنهم تحديدها. وهم مستعدون للتوصل إلى اتفاق ملائم مع صاحب الحق في كل حالة.

القسم الأول

أسس البحث الاجتماعي

1. مقدمة
2. أنواع البحث الاجتماعي
3. البحث النسوي
4. مبادئ البحث الاجتماعي

الفصل الأول

مقدمة

هذا الفصل

- يبدأ بتاريخ موجز للبحث الاجتماعي.
- يحدد أنواع البحث الاجتماعي الأساسية ودوافعه.
- يتناول بإيجاز بعض القضايا السياسية الرئيسة المتعلقة بالبحث الاجتماعي.
- يلخص المعايير الأخلاقية للبحث الاجتماعي.

العناوين الرئيسة

مقدمة

1. لمحة تاريخية
2. حالة البحث المعاصر
3. السياسة وإنتاج المعرفة
4. الأخلاق في البحث الاجتماعي
5. التمييز بحسب الجنس والبحث الاجتماعي

نقاط أساسية

إلى أين؟

قراءات إضافية

مقدمة

يهدف هذا الكتاب إلى عرض طرائق البحث الاجتماعي وتقنياته بدقة ووضوح وبأسلوب عملي. وتطورت هذه الطرائق والتقنيات وأُدخلت إليها تعديلات في مراحل تطبيقها المختلفة عبر تاريخ البحث الاجتماعي، وباتت تشكل التراث المنهجي للباحثين المُحْدَثين: كل طريقة حصيلة جهد متواصل لكثير من الباحثين والعلماء الاجتماعيين، وتتضمن مساهمات قدّمها أكاديميون من أرجاء العالم المختلفة.

نبدأ هذا الفصل بمناقشة هذا الجانب التاريخي الذي لا يقتصر على تطور طرائق البحث وتقنياته منفردة فحسب، بل يشتمل على كتلة طرائق البحث في العلوم الاجتماعية. ثم نوضح أنواع البحث الاجتماعي وأهدافه ودوافعه قبل أن ننتقل إلى عرض المعالم السياسية والأخلاقية للبحث الاجتماعي.

أولًا: لمحة تاريخية

يمكن اختصار تعريف البحث الاجتماعي بأنه سيرورة بحث واستقصاء دقيقة وهادفة تسعى إلى إنتاج معرفة جديدة. وهو الأداة العقلية التي تسمح للعلماء الاجتماعيين بدخول ميادين أو موضوعات ذات أهمية خاصة أو عامة غير معروفة لهم، بحثًا عن إجابات لتساؤلاتهم. ويمكننا القول أيضًا إن البحث الاجتماعي هو سيرورة استكشاف وتوسيع الآفاق في ما هو معروف، وزيادة الثقة، والتوصل إلى أفكار ونتائج جديدة في جميع نواحي الحياة.

يُعد البحث الاجتماعي، بصفته بحثًا عن المعرفة، الهدف النهائي للعالم

الاجتماعي الذي لا يسعى إلى جمع معلومات مفيدة وصحيحة فحسب، بل يهدف أيضًا إلى تثقيف المجتمع بحال بعض «مصادر» المعرفة وصدقها. فالأكاديميون يسعون إلى تفسير الحياة والعالم، ودحض أسس الخرافات، والإجابة عن تساؤلات في شأن جوانب الحياة كلها من المصير الشخصي إلى الكوارث الطبيعية، وإرشاد الحكومات إلى كيفية وضع السياسات والممارسات الملائمة.

إن طبيعة البحث الاجتماعي لم تكن يومًا جامدة لا تتغير؛ ففي بداية تاريخ البحث الاجتماعي، كان هناك اختلاف كبير بين مصادر المعرفة الرئيسة (انظر الإطار 1.1) التي اشتملت على الحسّ المشترك أو الفهم الشائع والحدس والقناعات[1]. أما بالنسبة إلى معظم الباحثين المثقفين فاشتملت مصادر المعرفة الرئيسة على المنطق والعقل والإيمان والتأمل أو التفكير الروحي. ولم يكن يمارس البحث التجريبي السائد بين الباحثين هذه الأيام إلا فئة قليلة من الباحثين، وكان هذا البحث استثناء وبديلًا ثوريًا لممارسات الفلاسفة ورجال الدين الذين كانوا يمثلون مصدر الحكمة والمعرفة والحقيقة.

لم تكن المعرفة في البحث التجريبي نتيجة المنطق أو العقل أو الإيمان أو التأمل، بل كانت نتيجة الأدلة العملية التجريبية التي ترتكز على الحقائق التي يجمعها الباحثون. وتطلبت طبيعة البحث التجريبي أن يؤخذ في الحسبان ما يدركه الباحثون بحواسهم لا ما يستطيعون إيجاده بتفكيرهم وعقولهم.

يركز العرض الآتي لتاريخ البحث الاجتماعي على نوع التحري البديل الذي رمى إلى تحصيل المعرفة من طريق الأدلة العملية، لذلك فهي تختلف بشدة عن التقليد الفلسفي والديني وتعارضه تمامًا. وسنرى في ما يلي أن فلاسفة اليونان مارسوا البحث التجريبي قبل 2500 عام، ثم تطورت طريقة البحث هذه ببطء لكن بثبات، خصوصًا بعد منتصف القرن التاسع عشر.

---

(1) K. Dimas, *Research, Hermeneutics and Theory* [in Greek] (Leipzig: Selbstverlag, 2003); H. Schnädelbach, *Erkenntnistheorie* (Hamburg: Junius, 2002); J. Wandmacher, *Einführung in die psychologische Methodenlehre* (Heidelberg: Spectrum Akademischer Verlag, 2002), p. 5.

الإطار 1.1

مصادر الحقيقة والمعرفة[2]

تصميم بحث كمي:

- الفهم الشائع: شيء معروف للجميع.
- الحدس: أنا أعرف ذلك (مثال: حدس المرأة).
- القناعات: ترتكز على الاعتقاد الشخصي.
- الثبات: ما جرى التحقق منه عبر السنين، وأثبت الزمن صحته.
- التقليد: ممارسة شيء عبر الأجيال («هكذا كان الأمر على الدوام»).
- الخبرة الشخصية: الاختبار والتجربة الشخصيان («هذا يلائمني»).
- السلطة: كلام الخبراء («هذا صحيح. هذا ما قاله الأستاذ س»).
- الآلهة والقوى فوق الطبيعية: الوحي وقوى أخرى.
- العقل والمنطق: يستطيع العقل إدراك الحقيقة والمعرفة مباشرة.
- الطرائق العلمية: تحصيل المعرفة بإجراءات تجريبية.

1.1 السنوات الأولى

أبدى عدد من الفلاسفة اليونانيين اهتمامًا شديدًا بالطرائق التجريبية لتحصيل المعرفة. على سبيل المثال، مارس طاليس (Thales) (640-550 ق.م) طريقة ملاحظة الحوادث الطبيعية وقدّم ما يمكن تسميته مقاربة «علمية تجريبية» للعالم. ومن الفلاسفة القدماء الذين مارسوا التفكير التجريبي أناكسيماندر (Anaximander) (611-547 ق.م) وإمبيدوقلس (Empedocles) (450 ق.م) وزينوفان (Xenophanes) (600 ق.م). وكان أبقراط (Hippocrates) (450 ق.م) مهتمًّا بالبحث التجريبي أكثر من معاصريه؛ وأدت تجاربه في ميدان الصحة والمرض إلى توسيع قاعدة المعرفة العامة، كما أبعدت الرأي العام عن الخرافات كالإيمان بقوى الشر والأرواح، ودفعت الناس إلى التركيز على مبادئ البحث التجريبي.

---

(2) Schnädelbach, Ibid.

زاد الاهتمام بالبحث المنضبط الذي يستخدم الملاحظة والتجريب عبر الزمن، وفي عام (400 ق.م) استخدم فلاسفة مثل أرسطو (Aristotle) (322-284 ق.م) هذه الطريقة. وكان أرسطو يرى أن الحوادث التجريبية تجليات لمبادئ أساسية تنتظم في الكون. أما سقراط (Socrates) وأفلاطون (Plato) فترددا في التخلي عن التفكير الفلسفي التقليدي.

2.1 روّاد البحث الاجتماعي الحديث

أثّرت الأعمال الرائدة التي قدّمها الفلاسفة اليونانيون في الباحثين في أرجاء أوروبا كلها، وطُوّرت بمزيد من العمق في خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر مع بداية **الثورة العلمية**. لكن نجاح الباحثين الذين سعوا إلى توفير أبدال لقواعد الفكر الفلسفي لم يغير مسار البحث عن المعرفة؛ إذ ظلت التقاليد والممارسات القديمة العميقة الجذور والولاءات الراسخة لأيديولوجيات ذلك الوقت مسيطرة على المشهد البحثي. وكان البحث التجريبي يمارس جنبًا إلى جنب مع الطرائق التقليدية بوصفه طريقة بحث بديلة.

استمرت هذه المقاربة الثنائية لتحصيل المعرفة طوال هذه المدة وكانت الطرائق التقليدية الفلسفية هي السائدة، ولم يُمارس البحث الاجتماعي كما نعرفه اليوم إلا عدد قليل من الباحثين. وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر ظلت مصادر تحصيل المعرفة في البحث الاجتماعي متأثرة بالعقل والتقاليد والدين والمذهب العقلاني، لكن النماذج التجريبية باتت أكثر حضورًا في البحوث الاجتماعية. وكان فرنسيس بيكون (Francis Bacon) (1561-1626) وإسحاق نيوتن (Isaac Newton) (1643-1727) من أبرز الباحثين الذين اعتمدوا التجريب للكشف عن أسرار الطبيعة وجمع «الحقائق» عن الحياة الاجتماعية.

توجد أفكار نيوتن بشكل ما في كتابات منظّرين آخرين مثل فولتير (Voltaire) (1694-1778) وماركيز دو كوندورسيه (Marquis de Condorcet) (1734-1794)، بينما سعى جون لوك (John Locke) (1632-1704)، كما يظهر من خلال كتابه **مقالتان في الفهم البشري**، إلى التوصّل إلى تسجيل دقيق للعالم باستخدام مزيج من طرائق البحث، من بينها الملاحظة والقياس والعقل.

الإطار 2.1

> **إسحاق نيوتن والبحث الاجتماعي**
> أدخل إسحاق نيوتن الرياضيات في التجارب بوصفها أداة للبحث، كما أدّى فهمه لعملية البحث إلى تطوير ما يُعرف اليوم بالأنموذج الفرضيّ - الاستدلالي الذي يرى في البحث الاجتماعي تفاعلًا بين الملاحظة التجريبية والعقل أو بين الاستقراء والاستدلال، وهي فكرة لا تختلف كثيرًا عما نعتبره أمرًا مسلمًا به في العلوم الاجتماعية المعاصرة.

أدى ظهور كتاب الحساب السياسي لوليم بيتي (William Petty) (1623-1687) في بريطانيا إلى تعزيز صورة طرائق البحث البديلة، إلى الحد الذي دفع بعض الكتاب إلى اعتبار الحساب السياسي رائد البحث التجريبي الحديث. واستخدم الباحثون، في إطار هذا الأنموذج، الطرائق الكمية لوصف الظواهر الاجتماعية وتفسير أسبابها. ومن أشهر من استعمل هذه الطريقة في البحث: جون غرونت (John Graunt) (1620-1674)، ووليم بيتي، وجون هاورد (John Howard) (1726-1790)، وإدموند هالي (Edmond Halley) (1656-1742). واشتملت الأعمال التي أنجزها هؤلاء الباحثون على الدراسات السكانية وتحليل اتجاهات الأعمال ودراسات الفقر ودراسات أحوال السجون (كالتي قام بها هاورد) واستخدام المقابلات والملاحظة بالمشاركة.

3.1 القرن التاسع عشر: ظهور الوضعية

كان للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية في نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر أثر قوي في طبيعة البحث المستخدم آنذاك. يتضح ذلك من خلال ازدياد المشكلات الاجتماعية في الزراعة والمجتمعات الزراعية التي نجمت عن التحول التدريجي نحو التصنيع والتمدن، ما أدى إلى توافر بيانات «واقعية» و«محددة» يمكن قياسها وتقديمها بوصفها معلومات مباشرة للسلطات المعنية للإفادة منها في وضع سياسات ملائمة. وكان على الباحثين الاجتماعيين مضاعفة جهدهم لتقديم تفسيرات مقنعة لهذه المشكلات وإيجاد حلول لها. ومن أشهر الباحثين في هذا المجال أربعة: لو بلي (Le Play) (1806-1882) وأدولف كيتيليه (Adolph Quételet) (1796-1874) وكلود هنري سان سيمون (Claude-Henri Saint-Simon) (1760-1825) وأوغست كونت (August Comte) (1798-1857).

الإطار 3.1

وليم بيتي والبحث الاجتماعي في إيرلندا في عام 1672

أجرى وليم بيتي بحوثًا في إيرلندا ونشر نتائجها في كتابه المعروف **التشريح السياسي لإيرلندا** الذي كتبه في عام 1672 ونُشر في عام 1691. وكان بيتي قد أجرى هذه الدراسة بناء على طلب من أوليفر كرومويل (Oliver Cromwell) الذي نما لديه اهتمام خاص بدراسة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في إيرلندا بعد انتصاره العسكري على الإيرلنديين. كان كرومويل مهتمًا بالمشكلات الاجتماعية التي نجمت عن بداية التصنيع، وبتزايد نمو الرأسمالية وازدياد التمدن، حيث كان في حاجة إلى معلومات تُمكّنه من إعداد خطط سياسية فاعلة لتنظيم الهجرة من إنكلترا إلى إيرلندا وترشيد الإدارة العامة في ذلك البلد.

في فرنسا، أجرى الباحث لو بلي دراسات على أسر نمطية من العمال (من ضمن السوسيوغرافي، أو الدراسة الوصفية لفئات من السكّان) وكتب لهذا الغرض كتابات مقتصرة عن هذا الموضوع. أما في بلجيكا، فأبدى أدولف كيتيليه اهتمامًا قويًا بالبحث التجريبي (انظر الإطار 4.1). ويُعرف كلود هنري سان سيمون بأنه مؤسس الوضعية، على الرغم من أن اسمه لم يُعرف كما عُرف اسم الباحث كونت الذي اعتُبر «أبو» الوضعية. أجرى سان سيمون دراسات لإيجاد أدلة لتعزيز التزامه الإنصاف والمساواة الاجتماعية، فكان دور العلماء الاجتماعيين بالنسبة إليه كدور رجال الدين العلمانيين، مع الاعتقاد أن العلم دين جديد يستطيع تحقيق المساواة بين الناس.

أما الفيلسوف الذي استطاع أن يقلب التوازن في إجراء البحث فهو أوغست كونت. ففي كتابيه **الفلسفة الوضعية** و**المجتمع الوضعي** الصادرين في عام 1848، انتقد طرائق البحث التقليدية التي كانت سائدة في عصره، والتي كانت ترتكز على الإيمان بالغيبيات والتأمل والحقائق الروحية، وأعلن سيادة الطريقة الوضعية في البحث الاجتماعي. كانت نظريته الوضعية والمنهجية التي أتى بها هي المنهجية الوضعية، والطرائق التي اعتبرها ملائمة هي الطرائق العلمية القائمة على التجريب والملاحظة. ومن وجهة نظره، فإن المعرفة لا تُكتسب إلا من خلال التجارب الحسية، وتاليًا فإن الظواهر الوضعيّة (التي يمكن إدراكها بالحواس) هي الجديرة بالدراسة، ويعني كونت بذلك الظواهر التي ندركها بالخبرة المباشرة الناتجة من الملاحظة والطريقة العلميتين.

الإطار 4.1

أدولف كيتيليه: مؤسس البحث الاجتماعي التجريبي كان أدولف كيتيليه فلكيًا ورياضيًا، كما كان ناشطًا في مجال البحث التجريبي ومهتمًا بانتظام السلوك الاجتماعي وثباته، خصوصًا معرفة الشروط التي يستطيع فيها المرء توقع سلوك مستقبلي. من هذا المنطلق قام كيتيليه بدراسة الحياة الاجتماعية دراسة تجريبية، آملًا التأثير في مسارها ومخرجاتها. واستخدم بيانات تجريبية لوضع جداول العمر المتوقَّع كانت ذات أهمية كبيرة لعلماء الاجتماع، فضلًا عن أهميتها لشركات التأمين. وشكّل كتابه رسالة في الإنسان الذي نشر في عام 1835 أساسًا قويًا للبحث الاجتماعي الحديث. ويعتبره عدد من الباحثين المؤسس الحقيقي للبحث الاجتماعي التجريبي.

على الرغم من معارضة الفلاسفة في ذلك الوقت، والاعتراف الضئيل بأفكار كونت وأعماله بين أقرانه الأكاديميين، أثر المناخ الفكري الذي أنشأته الوضعية في التفكير المنهجي وممارسة البحث في أوروبا وكذلك في الولايات المتحدة. ففي علم النفس مثلًا، ساعدت الوضعية في تعزيز فكرة إمكان ملاحظة النفس من منظور آخر غير المنظور اللاهوتي، وفي تفسير المشكلات العقلية بالطرائق والمبادئ «العلمية». وعلى سبيل المثال، أوضح فيلهلم فوندت (Wilhelm Wundt) (1832-1920) إيمانه بالوضعية بإنشاء أول مختبر لعلم النفس في ليبزغ في عام 1879، حيث أصبحت التجارب هي منهج البحث الرئيس في البحوث النفسية، وساد التجريب (بعد التحليل النفسي) الفكر والبحث في ميدان علم النفس آنذاك.

4.1 القرن العشرون: تعدّدية البحث

1.4.1 هيمنة الوضعية

في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، لم يصبح البحث أكثر انتشارًا فحسب، بل أصبح أيضًا أكثر انتظامًا والتزامًا بالطريقة «العلمية». ففي المملكة المتحدة، أجرى سيبوم راونتري (Seebohm Rowntree) دراسة في عام 1899 شملت جميع الأسر العمالية في مدينة يورك (11500 أسرة)، قام الباحث في خلالها بدراسة المعايير الصحية لجميع أفراد تلك الأسر. كما ظهر التحيز التجريبي في أعمال تشارلز بوث (Charles Booth) وآرثر باولي (Arthur Bowley)،

حيث أجرى الأخير دراسة في الفترة بين عامي 1910 و1920، طاولت خمس مدن استخدم فيها لأول مرة إجراءات منهجية في اختيار العينات.

أدى التقليد التجريبي القديم، بما حصل عليه من مدخلات الوضعية، إلى اهتمام كبير لدى الأكاديميين والباحثين في أوروبا وغيرها.

الإطار 5.1

تشارلز بوث: البطالة والفقر في لندن

أجرى تشارلز بوث دراسات عن الفقر والأسر الفقيرة في لندن في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. ونشرت نتائج البحث في كتاب حياة أهل لندن وعملهم، حيث قدّم أدلة تجريبية رفضت الفكرة السائدة التي تردّ الفقر إلى سلوك الناس السيئ وعاداتهم السيئة (شرب المسكرات والكسل والرذيلة... إلخ)، بل أظهرت أن أسباب الفقر هي البطالة والأجور المنخفضة والأمراض المزمنة وحجم الأسرة الكبير. وكان لهذه النتائج أثر في التشجيع على القيام بإصلاحات اجتماعية في بريطانيا.

في القرن العشرين، ارتقى كثير من مراكز البحوث وغدا مؤسَّسات، كما في ألمانيا وأستراليا، حيث ازداد عدد مراكز البحث العامة والجامعية التي تستند إلى الأنموذج الوضعي. وكان الأمر أكثر وضوحًا في الولايات المتحدة الأميركية حيث أصبح البحث الاجتماعي مؤسسيًّا في سياقات كثيرة، خصوصًا في الجامعات (كولومبيا وبرنستون). ووجدت بحوث السوق والتحاليل السياسية في البحث التجريبي الأداة الملائمة التي توفر لها رؤى متبصّرة في ميادينها، وأصبحت استطلاعات غالوب (Gallup) وكروسلي (Crossley) معروفة ومنتشرة كما هي عليه الآن. كما عزز إنشاء مؤسسة راسل - سيج (Russel-Sage) في عام 1909 استخدام البحث التجريبي في دراسة المشكلات الاجتماعية (دراسات الجماعة) لتحسين أحوال المعيشة في الولايات المتحدة الأميركية.

أثر ظهور الوضعية وانتشارها على نظرية البحث وممارسته في جانبين: **الأول**، انفصال البحث الاجتماعي عن الفلسفة انفصالًا تامًا، حيث أصبح ميدانًا مستقلًا ومشروعًا. **ثانيًا**، أصبح البحث تجريبيًا وكميًا وأصبح سائدًا في العلوم الاجتماعية بشكل تام تقريبًا.

2.4.1 تحدي هيمنة الوضعية

شهد النصف الثاني من القرن العشرين هيمنةً وتعزيزًا للروح الناقدة التي تحدت مشروعية «هيمنة» الوضعية، ما أدى إلى تغييرات جذرية في مجالي النظرية والبحث. وجاءت هذه التحديات بشكل رئيس من التفاعلية الرمزية والظاهراتية والتأويل الفلسفي والماركسية ومدرسة فرانكفورت والإثنوميثودولوجيا[3] والنسوية. شجعت هذه الانتقادات الباحثين على إعادة النظر في طرائق البحث التي يتبعونها، ما أدى في النهاية إلى تعزيز الموقف غير الوضعي أو المناهض للوضعية.

ركزت الانتقادات على كيفية تعريف الواقع ومعالجته، وعلى طريقة تحصيل المعرفة، وطرائق جمع البيانات وتحليلها، وطرائق إجراء البحوث وتصميمها، والعلاقة بين الباحث والمبحوث، والنظرة الوضعية لمفهوم النوع الاجتماعي، وقبول طرائق العلوم الطبيعية بوصفها أدوات في البحث الاجتماعي.

بعد ذلك فقدت الوضعية مصدر قوتها في إطار النظرية الاجتماعية، وبدرجة أقل في إجراء البحوث. وفي هذا المجال الأخير، ثمة تناقض بين الولاء اللفظي والفعلي للبحث الوضعي؛ ففي حين ينتقد كثير من الباحثين الوضعية، يواصل معظمهم استخدام طرائقها.

مهما يكن الأمر، تبقى الحقيقة - في هذه اللحظة - أن ميدان البحث الاجتماعي يتمتع بمكانة مستقلة من الناحية الأكاديمية، بمعنى أنه مستقل عن الفلسفة ويحتم وجود اتجاهين رئيسين كما فعل في الماضي البعيد. يتمثل **الأول** بالبحث الوضعي؛ أمّا **الثاني** فأنموذج متنوّع يستخدم مجموعة متعددة من الاستراتيجيات، ابتداء بالنسبية وانتهاء بالعقلانية والمثالية. وهذان الاتجاهان قويان ويؤثران في نسبة كبيرة من أتباعهما.

---

(3) A. Cicourel, *Methode und Messung in der Soziologie* (Frankfurt am Main: Shurkamp; 1974); H. Garfinkel, *Studies in Ethnomethodology* (Englewood Cliffs, N. J.: Prentice-Hall, 1967).

ثانيًا: حالة البحث المعاصر

يُظْهِرُ هذا العرض التاريخي المقتضب وجود عدد من الاتجاهات (انظر الإطار 6.1)، كان أكثرها أهمية التنوع، وانخراط الباحثين الأيديولوجي المباشر أو غير المباشر في البحث وأهدافه، ونوع من الضبط لعملية البحث، وسوف نناقش مسألة تنوّع البحث، وطبيعته السياسية وضوابطه (كالأخلاق مثلًا).

1.2 تنوع البحث

يتسم البحث بالتنوع والتعدد. ويرتبط هذا التنوع في البحث بعدد من المعايير مثل نقاط تركيزه ومناهجه وغرضه وإطاره المفهومي أو أنموذجه الإرشادي الأساس؛ إذ ربما يركز البحث على الناس والبيئات المادية والاجتماعية، أو على البنى والمعاني الخفية. وقد يهدف البحث إلى زيادة المعرفة العلمية أو إلى تحرير الناس وتغيير عالمهم الحياتي.

غير أنَّ التمييز الجوهري الأهم والأكثر شيوعًا في البحث الاجتماعي هو بين البحوث النوعية والبحوث الكمية. فكل بحث، بصرف النظر عن طبيعته وأغراضه، إنما يُجرى في إطار استراتيجية كمية أو نوعية، لكن هنالك أنواعًا وفئات وتسميات أخرى عدة للبحوث التي تُجرى في نطاق أيٍّ من هذين السياقين. وفي ما يلي قائمة بأكثر هذه الأنواع شيوعًا واستخدامًا:

الإطار 6.1

اتجاهات البحث الاجتماعي عبر الزمن

- كان البحث وما زال متنوعًا ومتعدد الأشكال.
- تميز البحث باتجاهين كبيرين: الوضعي (الكمي) وغير الوضعي (النوعي).
- أصبح البحث الكمي سائدًا ومتفوقًا على أنواع البحث الأخرى. لكن ظهور البحث النوعي في النصف الثاني من القرن العشرين أدى إلى خفض شديد في شعبية البحث الكمي.
- هناك انقسام أيديولوجي في شأن نوعية البحث الاجتماعي وملاءمته.
- ارتبط البحث بالاهتمامات الشخصية والمشكلات الفردية والأيديولوجيات والمصالح السياسية.
- عَمِلَ البحث أداة للسياسة الاجتماعية وإعادة البناء الاجتماعي.

1.1.2 أنواع البحث

▪ **البحث الأساس**: يهتم بإنتاج معرفة جديدة وزيادة الفهم العلمي للعالم، لا بتطبيق مخرجاته. وهو يهدف بشكل خاص إلى اكتشاف المعرفة، لذلك يسمى أيضًا البحث البحت.

▪ **البحث التطبيقي**: يركز على التطبيق وحل المشكلات. وعندما يشتمل هذا النوع من البحوث على تدخل شخصي من الباحث وعلى عناصر التغيير والتنوير يطلق عليه اسم **البحث المحرِّر**. ويتضمن البحث التطبيقي أنواعًا عدة من البحوث، مثل: دراسات الأثر الاجتماعي والبحث العملي والبحث التقويمي وتحليل التكلفة والفائدة.

▪ **البحث الطولي**: يدرس قضايا اجتماعية في أكثر من مناسبة، مستخدمًا العينة نفسها أو عينة مختلفة.

▪ **البحث الوصفي**: يهدف إلى وصف الأنظمة أو العلاقات أو الحوادث الاجتماعية.

▪ **البحث التصنيفي**: يهدف إلى تصنيف وحدات البحث في مجموعات من أجل توضيح الفروق وتفسير العلاقات وتوضيح الحوادث أو العلاقات الاجتماعية.

▪ **البحث المقارن**: يهدف إلى تحديد الفروق و/ أو أوجه التشابه بين وحدات البحث[4].

▪ **البحث الاستطلاعي**: يهدف إلى وضع المعايير الأساسية لموضوع البحث، وغالبًا ما يكون ذلك قبل إجراء البحث.

▪ **البحث التفسيري**: يهدف إلى تفسير العلاقات أو الحوادث الاجتماعية.

▪ **البحث السببي**: يهدف إلى الكشف عن علاقة سببية بين متغيرات البحث.

▪ **بحث اختبار النظرية**: يهدف إلى اختبار صدق نظرية ما.

(4) C. C. Ragin, *The Comparative Method* (Berkeley: University of California Press, 1987).

▪ **بحث بناء النظرية**: يهدف إلى بناء نظريات أو تكوينها.

▪ **البحث العملي**: هو «تطبيق حقيقة مُكْتَشَفَة في حل مشكلة عملية في وضع اجتماعي بغية تحسين نوعية الفعل في هذا الوضع، بالتعاون بين الباحثين والممارسين والناس العاديين»(5).

▪ **البحث العملي بالمشاركة**: يتميز هذا النوع بمشاركة قوية من أفراد المجتمع في عملية البحث(6).

▪ **البحث التقويمي**: يستخدم لتقويم ملاءمة برامج معينة ومدى أهميتها وفاعليتها.

▪ **البحث النسوي**: يركز على حياة المرأة، وتقوم نساء بإجرائه على نساء من أجل النساء، ويعتمد على نماذج إرشادية متعددة.

يجب التأكيد على أن التنوع ليس دليلًا على ضعف إجراءات البحث أو وجود مشكلات فيها. فهناك هدف معين تسعى أنواع البحث كلّها إلى تحقيقه، وجميع هذه الأنواع قيّمة في مجالاتها الخاصة وسياقاتها.

2.2 أهداف البحث الاجتماعي

خدم البحث الاجتماعي عبر تاريخه أهدافًا متعددة؛ إذ اقتضى، عمومًا، توليد المعرفة، لكنه اقتضى، بصورة أخصّ، تحديد ضروب الانتظام في العملية الاجتماعية، متوقعًا لها أن تساعدنا في فهم المشكلات الموجودة من حيث نوعها واتساعها وأسبابها وطرائق ضبطها ومعالجتها(7). لكن هذا ليس الهدف الوحيد للبحث الاجتماعي؛ فكما أن البحث متنوع ومتعدد من حيث المبادئ المنهجية والفلسفية التي تدفع نظريته وممارسته، فهو متنوع في أهدافه أيضًا. وبشكل عام، يسعى الباحثون إلى تحقيق الأهداف المذكورة في الإطار 7.1.

---

(5) R. B. Burns, *Introduction to Social Research in Education* (Melbourne: Longman Cheshire, 1990), p. 252.

(6) W. F. Whyte, ed., *Participatory Action Research* (Newbury Park, Calif.: Sage, 1991).

(7) A. Benini, *Construction of Knowledge* (Rome: Gnome, 2000).

الإطار 7.1

أغراض البحث الاجتماعي
أ. - استطلاع الواقع الاجتماعي لأجل ذاته أو لإجراء مزيد من البحوث في المستقبل.
- تفسير الحياة الاجتماعية بتوفير معلومات موثوقة وصحيحة وموثقة جيدًا.
- تقويم حالة القضايا الاجتماعية وآثارها في المجتمع.
- وضع توقعات للمستقبل.
- تطوير نظريات و/ أو اختبارها.
ب.- فهم سلوك الإنسان وأفعاله.
ج. - توفير قاعدة لنقد الواقع الاجتماعي.
- تحرير البشر.
- اقتراح حلول ممكنة للمشكلات الاجتماعية.
- تمكين البشر.

لا تقتصر أهداف البحث الاجتماعي على تلك المذكورة في الإطار 7.1، كما أن هذه الأهداف تتكامل حيث يمكن إجراء بحث لأسباب مختلفة وأهداف متنوعة. وفي الأغلب، تعتمد هذه الأهداف على الأنموذج الإرشادي الذي يوجه المشروع؛ إذ يسعى **البحث الكمي** مثلًا إلى تحقيق الأهداف المذكورة تحت البند أ، وتشتمل على استطلاع النظريات وتفسيرها وتقويمها والتنبؤ بها وتطويرها واختبارها، بينما يسعى **البحث التفسيري** إلى فهم الناس (البند ب). ويهدف **البحث النقدي** إلى نقد الواقع الاجتماعي وتحرير الناس وتمكينهم من تغيير الواقع الاجتماعي باقتراح حلول ممكنة، وبذلك يحررهم من الأنظمة الاجتماعية الظالمة المستغلة (البند ج). وعلى الرغم من هذا الاختلاف بين أهداف هذه الأنواع من البحوث، تبقى الحدود بينها مرنة. فمثلًا، يضع بعض الباحثين النوعيين التنبّؤ والتحليل السببي من ضمن أهداف تحليله النوعي[8].

---

(8) M. B. Miles and A. M. Huberman, *Qualitative Data Analysis: An Expanded Sourcebook* (Beverley Hills, Calif.: Sage, 1994).

الإطار 8.1

غايات البحث الاجتماعي
أ. أهداف عامة: الفهم لأجل الفهم.
ب. أهداف نظرية: إثبات نظرية أو دحضها أو تعديلها أو اكتشافها.
ج. أهداف نفعية عملية: توفير حلول للمشكلات الاجتماعية.
د. أهداف سياسية: تطوير سياسة اجتماعية، وتقويم برامج وممارسات والنقد الاجتماعي والتغيير الاجتماعي وإعادة البناء والتحرير والتمكين.

بشكل عام، يمكن استخدام المعرفة والمعلومات التي نجمعها عندما نحاول تحقيق الأهداف المذكورة أعلاه لتحقيق أهداف للبحث الاجتماعي أكثر تحديدًا، وتكون عادة أهدافًا عملية. وقد يهدف بعض الباحثين مثل بيكر[9] وفلاهوس[10] وسواهما من المهتمين بالبحث الاجتماعي إلى تطبيق هدف أو أكثر من الأهداف المذكورة في الإطار 8.1. وهذه الأهداف لا يتناقض بعضها مع بعض لأن اختيار أحدها يعتمد إلى حد كبير على أيديولوجية الباحثين وتوجهاتهم وعلى فهمهم دور العلوم الاجتماعية في المجتمع.

3.2 دوافع البحث الاجتماعي

تشير الأهداف عادة إلى المخرجات الفورية للبحث، مثل تحديد حجم مشكلة من المشكلات أو معرفة أسبابها، أما الدوافع فتشير إلى أهداف أعمّ وأبعد مدى قد تكون داخلية أو ذاتية (تتعلق بالاهتمامات الشخصية للباحث)، وقد تكون خارجية (تتعلق باهتمامات الجهة التي طلبت إجراء البحث). لذلك قد تكون الدوافع مختلفة عن الأهداف. لكن هذا لا يعني بالضرورة ألّا يكون هناك انسجام بين الأهداف والدوافع؛ إذ قد يقوم الباحثون بإجراء بحوث لا للتثبّت من حقائق فحسب، بل لتحسين نوعية الحياة الاجتماعية لمجموعة من الناس أيضًا.

---

(9) B. Becker, *Grundlagen soziologischer Methodologie* (Frankfurt: Selbstverlag, 1989).

(10) N. Vlahos, *Kolωvlkη Epcvva* [Sociological Methodology; in Greek] (Athens: Phantom, 1984).

الإطار 9.1

دوافع البحث الاجتماعي
▪ تعليمية: تعليم الجمهور وتثقيفه.
▪ «سحرية»: إضفاء صدقية على وجهات نظر الباحثين أو الممولين للبحث.
▪ شخصية: تحسين المستوى الأكاديمي للباحث.
▪ مؤسسية: زيادة عدد البحوث التي تصدر عن المؤسسة التي يعمل لها الباحث.
▪ سياسية: دعم الخطط والبرامج السياسية.
▪ تكتيكية: تأخير اتخاذ قرار أو إجراء إلى حين انتهاء البحث.

من الدوافع التي لم تذكر في قائمة الأهداف لكنها في الأغلب تُذْكَر في بعض البحوث والدراسات[11] ما نجده في الإطار 9.1. وعادة تكون دوافع البحث التي تقدمها الجهة الممولة أو الداعمة للبحث غير واضحة. ففي بعض الحالات تخفي الجهة الراعية أو الباحث نفسه الدوافع الحقيقية لإجراء البحث لتضليل الجمهور وبعض الجماعات ذات الاهتمام بالموضوع، غير أن الباحث الماهر والقارئ الناقد يستطيعان الكشف عن الدوافع الحقيقية للبحث ويتصرفان في ضوء ذلك.

ثالثًا: السياسة وإنتاج المعرفة

1.3 مقدمة

ينتج البحث معرفةً، والمعرفة قوة. لذلك فإن البحث محط اهتمام الراغبين في الحصول على المعرفة وامتلاكها والسيطرة عليها والإفادة منها في تحقيق المخرجات المرغوبة. وهذا يعني أن السيطرة على المعرفة تعني السيطرة على مصدر القوة، وتبعًا لذلك فإن التحكم بالبحث وفقًا لخطة معينة يُعدّ فكرة مغرية. ومن الضروري إذًا أن ندرك الطبيعة السياسية للبحث قبل أن نبدأ بتفصيلات سيرورة البحث وبنيته[12].

(11) W. Mahr, *Politische Struktur der Sozialforschung* (Leipzig: Selbstverlag, 1995), p. 84.

(12) R. Sapford and P. Abbott, «Ethics, Politics and Research,» in: R. Sapford and V. Jupp, eds., *Data Collection and Analysis* (London: Sage, 1996).

بيّن التاريخ بوضوح أن فكرة المعرفة بوصفها قوة أمرٌ جذابٌ لجميع المشاركين في البحث و/ أو من لديهم اهتمام بالمعرفة ونوعها وطبيعتها. وبكلام أدقّ، فإنّ الاهتمامات السياسية بالبحث تكون قرينة منتِج المعرفة (الباحث، فريق البحث، مركز البحوث)، والمتحكم بالمعرفة (الأنظمة السياسية، لجان دعم البحوث، الجماعات ذات المصلحة، لجان المراجعة والتحكيم في المجلات المتخصصة ودور النشر)، ومستهلك المعرفة (المؤسسات التجارية والدوائر الحكومية والجماعات ذات المصلحة).

يختلف تأثير هذه العوامل الثلاثة التي تشكل مصادر التأثير السياسي في عمليات البحث من جوانب عدة، إذ قد يتمثل تأثيرها في:

- تعزيز نوع معين من البحوث على حساب أنواع أخرى (مثال: تفضيل البحث في مجال سوء معاملة الزوجات وتجاهل أدلة تشير إلى سوء معاملة إلى الأزواج).
- تشجيع البحوث التي تقدم دعمًا لخطط أو برامج سياسية معينة.
- منع نشر المعرفة التي قد تعارض مصالح مؤسسات معينة عن طريق السيطرة على وسائل النشر.
- دعم إنتاج المعرفة التي تعزز العائدات الاقتصادية للمشروعات التجارية ونشرها.
- السيطرة على عمليات إجراء البحوث بفرض معايير مهنية ملائمة.

2.3 المُنتِج وبناء المعرفة

للباحث نفاذٌ مباشر إلى تصميم البحث، وتحديد أهدافه ودوافعه، وجمع البيانات وتحليلها واختيار الأنموذج الإرشادي الأساس وطريقة البحث أيضًا. وتاليًا، يؤثر الباحث بقصد أو من دون قصد في طبيعة المعرفة التي يولّدها البحث في خلال المشروع. ومن ناحية فعلية يستطيع الباحث أن يتلاعب في خطوات البحث كلها لخدمة أهدافه أو لمكاسب سياسية. ونلاحظ في الإطار 10.1 قائمة

مختصرة للطرائق التي يستطيع الباحث من خلالها التأثير في مخرجات البحث لأغراض سياسية، وهي تطاول عملية البحث بأكملها ابتداءً من اختيار موضوع البحث إلى مرحلة نشر النتائج.

من أجل ضبط الباحثين الذين يمكن أن يتلاعبوا ببيانات البحث على نحوٍ ما، اتخذت الأوساط الأكاديمية بعض الإجراءات المهمة. ففي بعض الحالات وضعت بعض القوانين لضبط السلوك المهني. وفي حالات أخرى، جرى تطوير شرعات أخلاقية لتشجيع الباحثين على النزاهة في إجراء البحوث، حيث تكون خالية من الانحرافات المذكورة هنا.

الإطار 10.1

مجالات التحيز في البحث

- **موضوع البحث**: اختيار موضوعات تخرج ببيانات تلبي أهواء الباحث وتجاهل موضوعات أخرى.
- **مراجعة الدراسات السابقة**: التركيز على المصادر المؤيدة لرأي الباحث وتجاهل المصادر الأخرى.
- **غَرَض البحث**: السعي إلى إثبات معتقدات وآراء شخصية.
- **صَوْغ موضوع البحث**: اختيار مؤشرات وسواها تحرف عملية البحث باتجاه معين.
- **تصميم البحث**: اختيار إجراءات في انتقاء العينات وطرائق في جمع البيانات تحابي الخروج ببيانات معينة.
- **تلفيق البيانات**: عرض بيانات لم تُجمع فعلًا.
- **تزوير البيانات**: تغيير محتوى الإجابات.
- **تحليل البيانات**: اختيار طريقة تحليل تتحيز للرأي الشخصي.
- **تفسير النتائج**: تفسير النتائج وفقًا للمعتقدات الشخصية.
- **عرض النتائج**: عرض البيانات بطريقة لا تعكس حقيقة الدراسة.

3.3 المتحكم بالمعرفة

يتحكم بتوليد المعرفة ونشرها تحكمًا مباشرًا أو غير مباشر الأكاديميون و/ أو أعضاء المجموعات ذات المصلحة. وتُعدّ المجموعات ذات المصلحة أكثر

الجهات تأثيرًا وقوة، حيث تشكل عادة القوة المحركة لاكتساب المعرفة ونشرها. ويتحقق ذلك بتحديد ما إذا كان البحث سيُجرى أم لا وما إذا كانت النتائج ستُنشر أم لا. وفي ما يلي بعض الأمثلة:

- يمكن أن تتأثر عملية تقويم طلبات الحصول على منح لإجراء بحوث بالميول الشخصية والأيديولوجية للمقوِّم، الذي قد يشجع نوعًا معينًا من البحوث على حساب نوع آخر.

- يمكن أن تتأثر عملية تقويم المقالات والكتب المقدمة للنشر بالميول الشخصية والأيديولوجية للمقوّم أو المراجع الذي يستطيع أن يحجب نشر معلومات «غير مرغوب فيها» فيحرم الأكاديميين والمجتمع عمومًا من الاطلاع عليها.

- قد يضطر الباحثون، لمعرفتهم بمصير طلبات المنح والنشر، إلى إجراء أنواع من البحوث تحظى بدعم الجهات المعنية وبفرصة النشر.

الإطار 11.1

ممارسات أخلاقية شائعة

- المعايير الأخلاقية جزء أساس في تصميم أي بحث.
- تُحفظ ملفات البحث وبياناته في مكان آمن للرجوع إليها مستقبلًا واستخدامها أدلةً.
- في حال تعدد المؤلفين، يجب توضيح ذلك وتسجيله وإثباته.
- من غير الملائم نشر بحوث متعددة على أساس البيانات نفسها.
- يجب كشف حالات تعارض المصالح المحتملة.
- يجب إبلاغ الأفراد المستجيبين للبحث بتفصيلات البحث التي قد تؤثر فيهم.
- لا بد من الحصول على الموافقة وتوثيقها في الحالات كلها.
- يجب تبرير الحالات التي قد يُعتقد بعدم ضرورة تطبيق المعايير الأخلاقية في شأنها.
- ينبغي أن تحصل مقترحات البحث على موافقة لجان المعايير الأخلاقية ذات الصلة.
- يجب إبلاغ لجان المعايير الأخلاقية بالمشكلات التي تنجم عن البحوث.

▪ قد يقوم مستشارو المناهج في بعض المؤسسات التعليمية بتوجيه المؤسسة إلى حذف أجزاء معينة من المنهاج (الدراسات الأسرية) واستبدالها بدراسات أخرى (الدراسات النسوية)، وتاليًا فهم يولّدون حاجة إلى معلومات في ميادين معينة على حساب الحاجة إلى معلومات في ميادين أخرى.

▪ قد يقوم مستشارو الدوائر الحكومية في القضايا السياسية بتوجيه البحوث السياسية إلى أهداف تخدم اهتماماتهم الشخصية والأيديولوجية، ويتجاهلون البحث في ميادين أخرى.

للتغلب على هذه العقبات، يلجأ الأكاديميون والباحثون إلى اتخاذ إجراءات مضادة، كأن يقوموا بتأسيس منافذ خاصة لنشر بحوثهم فيها وتوفير مصادر خاصة لتمويل بحوثهم، لكن استغلال المناصب الموثوق بها يظل قائمًا حيث تطغى المصالح الشخصية أو مصالح الجماعة أحيانًا.

4.3 مستهلك البحث

المستفيد هو «الملك»، حتى في الميادين غير التجارية. وعادة ما يُوَجَّه البحث لإنتاج بيانات في المجالات التي يكثر الطلب عليها. وقد يكون هذا الطلب أكاديميًا لاستكشاف أو اختبار نظريات أو لقياس وجود اقتران بين متغيرات. وفي كثير من الحالات، خصوصًا حين يتطلب البحث وقتًا طويلًا وجهدًا ومصادر، يكون البحث معتمدًا اعتمادًا كبيرًا على الدعم المالي الذي يقدمه أصحاب المشروعات الذين يحددون نوع البحث وطبيعته. لذلك يمارس المستهلكون دورًا حاسمًا فيُمْلون في الأغلب نوع البحث المطلوب ونوع النتائج التي ستنشر. باختصار، يستطيع المستهلكون التأثير في البحث بما يلي:

▪ **التحكم بتوزيع مخصصات البحث المالية** لدعم أنواع محددة من البحوث دون سواها.

▪ **التحكم بالنفاذ إلى ميدان البحث** بمنع دخوله، خصوصًا إذا كانوا غير متأكدين من طبيعة النتائج.

- إخفاء نتائج البحث غير المرغوب فيها.

- التحكم بنشر النتائج غير المرغوب فيها، كأن يمنعوا نشرها في المنشورات الداخلية أو عدم الموافقة على نشرها عندما يمتلكون حق نشر البيانات، كما في بعض البحوث التي تطلب بعض المؤسسات أو الجهات إجراءها.

تتعلق مشكلة تسييس البحوث بسلوك الباحث المهني ومعاييره الأخلاقية واهتمامات أصحاب العمل والأيديولوجيات الشخصية لأفراد المجتمع. وكما ذكرنا سابقًا، فإنَّ الأوساط الأكاديمية تردّ على بعض هذه المشكلات بمعالجة آثارها، وبتأسيس منافذ خاصة لنشر نتائج البحوث غير المرغوب فيها، وجذب مصادر دعم محدودة لإجراء بحوث في ميادين أقل جاذبية. أما بالنسبة إلى السلوك المهني، فكانت الردود أكثر حسمًا ونجاحًا. وتحقق ذلك بفرض معايير أخلاقية حيث كان ذلك ممكنًا، وهذا ما يوضحه الإطار 11.1.

رابعًا: الأخلاق في البحث الاجتماعي

1.4 مقدمة

بُذل جهد عبر السنين الثلاثين الماضية لجعل البحث أكثر تنظيمًا ودقة؛ إذ وضعت القوانين لتنظيم كيفية الوصول إلى المعلومات وضبط سلوك الباحثين. علاوة على ذلك، وُضعت سنن وقواعد أخلاقية للمؤسسات والاتحادات المهنية ومؤسسات التعليم الجامعي لضمان إجراء البحوث وفقًا لمعايير أخلاقية ومهنية.

وضعت المنظمات المهنية الوطنية والدولية قواعد قارّة للسلوك يجب على المنتسبين إلى هذه المنظمات اتّباعها. وتبنّت مؤسسات التعليم العالي توجيهات أخلاقية ووضعت إجراءات داخلية ولجانًا (لجان أخلاقيات المهنة أو مجالس لمراجعة سلوك المؤسسة) تقوم بتقويم مشروعات البحث التي يقدمها العاملون في هذه المؤسسات، والتأكد من أن هذه المشروعات تلتزم المعايير الأخلاقية للمؤسسة. واتبعت مجموعات نسوية ممارسة مشابهة؛ على سبيل المثال، وضعت جمعية نبراسكا النسوية السوسيولوجية «معايير أخلاقية نسوية» للبحث الاجتماعي في عام 1988.

على الرغم من تنوع السنن والقواعد الأخلاقية، فهي تركز على القضايا الآتية: الضرر الجسدي والعقلي الذي قد يلحق بمن ستطبق عليهم الدراسة والبحث غير المعلن أو الخفيّ، وانتهاك الخصوصية ومخالفة حق السرية وعدم ذكر الأسماء والخداع والإجبار أو الإكراه والسرقة العلمية وتزوير النتائج أو إخفاؤها[13]. وبشكل عام، فإنّ المجالات التي تتناولها هذه الوثائق في معظم المؤسسات ولدى أغلبية الكتّاب أو المؤلفين[14]، هي:

- المعايير المهنية والسلوك الأخلاقي.
- العلاقة بين الباحث والمبحوث.
- العلاقة بين الباحثين أنفسهم.
- معاملة الحيوانات في البحث.

نجد في القوائم التالية تفصيلات هذه الموضوعات العامة المتعلقة بممارسة البحث وتهمّ علماء الاجتماع.

2.4 الممارسة المهنية والمعايير الأخلاقية

تتطلب المعايير الأخلاقية من الباحثين، في ما يتعلق بالممارسة المهنية:

- المحافظة على الموضوعية في البحث الاجتماعي.
- المحافظة على النزاهة المهنية.
- إظهار المسؤولية والكفاءة واللياقة.
- استخدام طرائق دقيقة في جمع البيانات وتحليلها.
- استخدام منهجية البحث الملائمة.

(13) انظر: L. L. Orr, *Social Experiments: Evaluating Public Programs with Experimental Methods* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1999); L. Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit* (Wien: Selbstverlag, 2000).

(14) K. D. Bailey, «Ethical Dilemmas in Social Research: A Theoretical Framework,» *American Sociologist*, no. 19 (1988); N. L. Sproull, *Handbook of Research Methods: A Guide to Practitioners and Students in the Social Sciences* (London: Scarecrow, 1988); Vlahos, *Kolωvlkη Epενvα.*

- تفسير البيانات بشكل ملائم.
- تدوين البيانات بدقة.
- عدم تلفيق البيانات الذي يعد مخالفة.
- تجنب تزوير البيانات الذي يعد مخالفة.

الإطار 12.1

الأخلاق في البحث: الاستجابة المؤسسية

- «من الافتراضات الأساسية التي تفترضها المؤسسات التي تجري بحوثًا، التزام موظفيها بأعلى معايير السلوك المهني، وشعور أعضاء فريق البحث بالمسؤولية تجاه المحافظة على سمعة مؤسستهم والمهنة التي ينتمون إليها» (Australian Vice Chancellors' Committee).

- «أهم أهداف قواعد الأخلاق التي تمثل هوية الرابطة السوسيولوجية الدولية: (1) حماية مصالح الأفراد والجماعات الذين تجرى عليهم الدراسات الاجتماعية، أو من لهم علاقة بالبحث الاجتماعي. (2) توجيه سلوك وتوقعات أعضاء الرابطة في التعامل بعضهم مع بعض ومع المجتمع بشكل عام» (International Sociological Association).

- «يلتزم علماء النفس بالعمل وفق أسلوب لا يؤدي إلى سوء سمعة فرع علم النفس ومهنته بشكل عام، كما ينبغي لهم أن يلتزموا مبادئ النزاهة وعدم التحيز والاحترام للأشخاص والأدلة، وأن يسعوا إلى تطبيق أعلى المعايير الأخلاقية في عملهم» (الجمعية السيكولوجية البريطانية British Psychological Society).

- «تحدد هذه القواعد متطلبات السلوك الأخلاقي المعقولة. وهي تغطي كثيرًا من مصادر الصراع الأخلاقي المحتمل ظهورها في سيرورة البحث والتدريس والممارسة. ويمثل معظم هذه المتطلبات التزامات قد يشوبها بعض الاستثناءات، لكنها تظل مبادئ لتوجيه السلوك» (الرابطة السيكولوجية الأميركية American Psychological Society).

يعني تلفيق البيانات استخدام بيانات للنشر لم يقم الباحث بجمعها أصلًا. وهذا يعني أن الباحث لم يقم بإجراء بحث يوصل إلى النتائج المزعومة. أما التزوير فيعني تغيير محتوى النتائج. وفي هذه الحالة يكون الباحث قد قام بجمع بيانات، لكنه عرض بيانات مختلفة عن البيانات التي جمعها فعلًا.

3.4 العلاقة بين الباحث والمبحوث

إن مخالفة المعايير المتعلقة بكيفية تعامل الباحث مع المبحوثين لهي على درجة كبيرة من الأهمية. ويشمل ذلك إيذاء المبحوثين في أثناء إجراء البحث بطريقةٍ ما. يجب على الباحث أن يلتزم هذه المعايير في جميع الحالات، ومن أهمها ما نجده في الإطار 13.1. وأصبح من المعروف والمألوف اليوم إبلاغ المبحوثين خطيًّا بجوانب البحث كلها، وترك الخيار لهم في المشاركة أو الرفض. كما يحق لهم التوقف عن المساهمة في البحث حينما يشاءون، فضلًا عن أن عليهم توقيع أنموذج موافقة قبل المشاركة.

الإطار 13.1

المعايير الأخلاقية الأساسية في البحث الاجتماعي
▪ التعريف الصحيح: عدم إعطاء المبحوثين انطباعات خاطئة عن الباحث أو راعي المشروع.
▪ تقديم معلومات واضحة عن نوع الأسئلة ودرجة حساسية السؤال أو الشدّة التي يولدها والعواقب (الحقّة) المحتملة للاستبيان والبحث بشكل عام.
▪ الاهتمام برعاية أفراد الدراسة واحترام سلامتهم الجسدية والعقلية وعدم إحراجهم أو إشعارهم بالذنب أو القلق وعدم تعريضهم للخطر[15].
▪ الموافقة الحرة والإرادية لأفراد الدراسة من دون الضغط عليهم أو خداعهم.
▪ حق المحافظة على خصوصياتهم في ما يتعلق بحياتهم الخاصة أو القضايا الحساسة، وعدم مطالبتهم بالإجابة عن أسئلة لا تروق لهم.
▪ المحافظة على السرية التامة وعدم الكشف عن أسماء المبحوثين.
▪ سرية المعلومات وعدم كشف البيانات التي يقدمها أي من المبحوثين لأناس آخرين.

1.3.4 تجنب إيذاء المبحوثين

إن من مسؤولية الباحث أن يضمن عدم اشتمال البحث على أي إجراء قد يلحق الضرر بأفراد الدراسة. وعلاوة على منع حدوث الضرر، على الباحث

(15) K. D. Bailey, *Methods of Social Research* (New York: Free Press, 1982); Bailey, «Ethical Dilemmas in Social Research»; Sproull, *Handbook of Research Methods;* Vlahos, *Κοινωνική Έρευνα.*

أن يوقف البحث الذي ثبت إضراره بأفراد الدراسة أو بمساعديهم. وقد تكون الأضرار التي تلحق بأفراد الدراسة جسدية أو عقلية أو قانونية.

▪ **الضرر الجسدي**: يتوقع من الباحث هنا أن يستبعد من البحث ما يلي:

(أ) الأدوات أو الإجراءات التي قد تؤذي المبحوثين.

(ب) الأفراد الذين قد يحتاجون إلى علاج في أثناء البحث (كالذين يعانون أمراض القلب أو الاضطرابات العقلية).

(ج) الأدوية أو العلاجات التي قد تدفع أفراد الدراسة إلى إلحاق الضرر بأنفسهم في أثناء الدراسة أو بعدها. وفي معظم الحالات لا تشتمل البحوث الاجتماعية على أدوية أو علاجات تلحق الضرر بأفراد الدراسة.

الإطار 14.1

فكر تفكيرًا ناقدًا: ما الضرر؟

يرغب الباحثون في تجنب إلحاق أي ضرر بمبحوثيهم، لكن ما هو الضرر؟ هل هو ما ينتج من استعمال أداة من أدوات البحث (إدخال الرعب إلى قلب أحد أفراد الدراسة بمواجهته بعنكبوت ضخم مثلًا)، أو بمواجهته بذلك وبنتيجة الدراسة كمعالجة الرُّهاب من العناكب؟ هل الضرر هو ما يُعد ضررًا بشكل عام أو ما يعتبره المبحوثون ضررًا؟ وهل من واجب الباحث أن يتجنب أي ضرر، أم الضرر غير الضروري فحسب؟ ليس هناك اتفاق على الإجابة عن مثل هذه الأسئلة لدى الأكاديميين. ما مدى فائدة الوصفات الأخلاقية في هذا المجال؟

▪ **الضرر العقلي**: يحدث في حالة إخضاع الأفراد، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، لإجراءات تسبب القلق أو التوتر أو عدم الشعور بالراحة أو فقدان احترام الذات أو الشعور بالحرج. وقد ينتج ذلك من طرح أسئلة شخصية تتعلق بأفراد الدراسة أو بعض الأشخاص الآخرين ذوي الأهمية بالنسبة إليهم، أو من طرح أسئلة مهينة أو معاملة الأفراد من دون احترام. وأكثر أنواع الضرر العقلي هو ما يحدث في الدراسات التجريبية، حيث يتمّ التلاعب بأفراد الدراسة على نحوٍ يعطيهم انطباعات يكتشفون خطأها في ما بعد.

▪ **الضرر القانوني**: قد تحدث مثل هذه الأضرار كما تحدث الأضرار الأخرى، وقد يكون لها تأثيرات شديدة شخصية وانفعالية واجتماعية واقتصادية. يحدث ذلك عندما ينتهك الباحث، على سبيل المثال، أي حق من حقوق أفراد الدراسة كحقهم في الخصوصية وفي عدم كشف أسمائهم وحق المحافظة على السرية (انظر أدناه).

2.3.4 الخداع

يحدث الخداع عندما يقوم الباحث بتشجيع الناس على المشاركة في الدراسة بخداعهم، كأن يخفي بعض جوانب البحث التي قد لا يرغب فيها أفراد العينة، أو يظهر لهم صورة جذابة عن البحث لكنها زائفة. ويحدث الخداع أيضًا عندما يكذب الباحث في أمور تتعلق بالبحث، أو عندما يجري الدراسة من دون معرفة المبحوثين. ويقع ذلك عندما يزور باحث أسرة لإجراء مقابلة مع أفرادها عن جرائم الشوارع، بينما هو يسعى في الحقيقة إلى معرفة النظام داخل الأسرة وكيفية سير أمورها. لا يُسمح بالخداع إلا إذا كان ضروريًا من الناحية الإجرائية، وعلى الرغم من ذلك لا بد من إخبار المبحوثين بحقيقة طبيعة الدراسة بعد إنجازها.

تنص المعايير الأخلاقية على عدم إكراه المبحوثين على المشاركة في الدراسة، لأن المشاركة يجب أن تكون حرة وطوعية وبعلم تام مسبق بطبيعة الدراسة. وهذا لا يعني أن يعرف أفراد الدراسة أنهم سيشاركون فيها فحسب، بل يجب أن تستند موافقتهم إلى حقائق صحيحة غير زائفة (موافقة واعية). ويستجيب الباحثون لمتطلب الموافقة الواعية بثلاث طرائق مختلفة:

▪ **عدم الموافقة**: هناك حالات لا يعرض الباحث فيها خيار الحصول على الموافقة الواعية، خصوصًا عندما يفترض عدم معرفة المبحوثين بأنهم يخضعون للدراسة، كما في الدراسات الميدانية وحالات الملاحظة المنظمة حيث لا يكون أفراد الدراسة على علم بأنهم يخضعون للدراسة، وتاليًا لا حاجة إلى الحصول على موافقتهم. وهناك حالة أخرى لا تلزم فيها الموافقة، وهي عندما تؤثر معرفة المبحوثين أنهم يخضعون للبحث في نتائج الدراسة. ففي مثل هذه الحالات

يسمح بإجراء الدراسات من دون موافقة أفراد الدراسة، خصوصًا إذا لم تتوافر طرائق أخرى لإجراء البحث.

▪ **موافقة واعية موقّعة:** يعتمد معظم الباحثين على الحصول على موافقة المبحوثين الخطية الموقّعة، وهذه الممارسة هي القاعدة. ويتطلب ذلك إعداد وثيقة تحتوي على معلومات كافية عن طبيعة البحث، والعلاقة بين الباحث والمبحوثين الذين يطلب منهم قراءة الاتفاق بدقة وتوقيعه وإعادته إلى الباحث.

▪ **الموافقة الشفوية:** من الشائع أيضًا أخذ الموافقة شفويًا، حيث يقوم الباحث بعرض معلومات عن الدراسة وعن الباحث والجهة الممولة ليحصل على الموافقة الشفوية من المبحوثين، من دون الحاجة إلى توقيع. وتكون أحيانًا هذه هي الطريقة الوحيدة للحصول على الموافقة - وتاليًا إجراء البحث - لأن إصرار الباحث على الحصول على موافقة خطية موقعة قد يعرقل إجراء البحث ويجعله مستحيلًا. ومثال ذلك دراسة الشذوذ الجنسي، حيث تجرى المقابلات في أماكن معينة مثل الحانات وسواها من الأماكن التي يتجمع فيها مثل هؤلاء الأشخاص. ومن غير المعقول الطلب من المبحوثين التوقيع على وثيقة للموافقة.

3.3.4 الخصوصية والغُفلية والسرّية

▪ **الخصوصية:** تنص المعايير الأخلاقية على عدم تدخل الباحث في الشؤون الخاصة لأفراد الدراسة. فمنذ البداية، لا يجوز للباحث أن يطرح أسئلة شخصية وحساسة إذا علم أن المبحوث لا يرغب في الكشف عن تلك المعلومات. يكتسب هذا الأمر أهمية خاصة عندما يكون المبحوثون من المجبرين الذين تُفرض عليهم المشاركة في الدراسة. وبغض النظر عن أي شيء آخر، فإن إجبار المبحوثين على المشاركة والإجابة عن أسئلة لا يرغبون فيها قد يدفعهم إلى الإدلاء بمعلومات خاطئة. والأخطر من ذلك أن يعتدي الباحث على خصوصية المبحوثين بالحصول على معلومات عن حياتهم الخاصة بشكل غير مباشر (كما هو الحال في إجراء الملاحظة الخفية أو الدراسات الميدانية). وفي الحالتين، ينبغي للباحث أن يتجنب انتهاك خصوصية المبحوثين، ما لم يكن ذلك ضروريًا من الناحية المنهجية ولأسباب مشروعة.

الإطار 15.1

مواصفات الموافقة الواعية (بعد الاطلاع على التفصيلات)
يتوقع من الموافقة الخطية أن:
أ. تحدد الباحث وتعرِّفه بوضوح.
ب. تحدد المؤسسة التي منحت الموافقة الأخلاقية والجهة الممولة حيث يكون ذلك ملائمًا.
ج. تصف الطريقة التي اختير فيها المبحوثون وطبيعة المشاركين وعددهم.
د. تصف طبيعة البحث وأهدافه بالتفصيل.
هـ. توضح فائدة البحث لأفراد الدراسة و/ أو المجتمع.
و. تحدد بدقة مدى انخراط المبحوثين في البحث ومدى الخطورة أو القلق المرافق للدراسة.
ز. تضمن سرية البيانات وغفليتها.
ح. تبين إمكان انسحاب المبحوث من المشروع في أي وقت شاء.
ط. تشتمل على طرائق بحث بديلة لتستخدم عند الضرورة.
ي. توضح كيفية الاتصال بالشخص الذي يمكن للمبحوثين الاتصال به في حال وجود شكوى أو نزاع.

▪ **الغُفليّة**: إذا كانت الغفلية مشروطة مسبقًا، فينبغي على الباحث ألا يظهر أسماء المبحوثين في أدوات الدراسة أو بياناتها، ولذلك لا تظهر أسماء على الاستبيانات وإرشادات المقابلات. وحيثما وجدت الموافقات الخطية الموقّعة، لا بد من فصلها عن أدوات الدراسة حتى لا يستطيع أحد الربط بين الاسم والبيانات. كما يجب الانتباه إلى البيانات السكانية التي يمكن أن تكشف عن الأسماء، خصوصًا في العينات الصغيرة.

▪ **السرية**: إذا كانت سرية البيانات مضمونة، يستطيع الباحث أن يبقي الأسماء عليها، أما إذا كانت ستنشر، فيجب على الباحث إخفاء الأسماء وإخفاء العلاقة بين البيانات والأشخاص.

4.4 علاقة الباحث بالباحث

تشمل المعايير الأخلاقية حالات يخالف فيها الباحثون معايير الملكية الفكرية. إن استعمال بيانات خاصة بباحثين آخرين من دون توثيق يُعدّ أمرًا غير أخلاقي ومخالفة. وتشتمل هذه المخالفات المهنية على ما يلي:

- **التوثيق المضلل**: إن إدراج أسماء باحثين في بحث ما من دون إذنهم أمر لاأخلاقي، كما أن عزو عملٍ ما إلى أشخاص لا علاقة لهم به أمر مخلّ بأخلاقيات المهنة، وكذلك عدم الاعتراف بما قدمه الآخرون للبحث (مساهمات الطلاب أو المتدربين أو الزملاء).

- **استغلال السلطة أو الدور**: لا يجوز للباحث استغلال سلطته أو منصبه وانتقاد أعمال الآخرين لأسباب جدلية أو شخصية أو لمصالح جماعية.

- **الانتحال (السرقة العلمية)**: لا يجوز للباحث أن يستعمل أعمال الآخرين من دون توثيق ملائم.

تشكل هذه المعايير الأخلاقية جزءًا مما يمكن اعتباره المعايير المهنية، ومن غير المحتمل أن يقوم باحث بارتكاب مثل هذه الممارسات الخاطئة أيًّا كان السبب. وبغض النظر عن أي شيء آخر، فإن العقوبات التي تُفرض على من يرتكب مثل هذه المخالفات تفوق أي فائدة يمكن تصورها.

5.4 علاقة الباحث بالحيوانات

لا بد للباحث عند إجراء البحوث على الحيوانات من أن يتأكد من عدم تألم الحيوان في أثناء إجراء الدراسة. وبشكل محدد لا بد للباحث من أن يتذكر:

- يجب المحافظة على الحيوان وإبقائه في أوضاع مقبولة وعدم حرمانه من الأكل أو الشرب أو النوم، كما ينبغي توفير قرين له.

- يجب أن تتوافر أسباب مقنعة لإجراء البحوث على الحيوانات.

- عدم إخضاع الحيوان للشدّة أو الألم، وعدم إلحاق الضرر به.

هذه بعض القضايا التي اشتملت عليها القواعد والإرشادات الأخلاقية التي وضعها بعض الجامعات ومؤسسات أخرى[16]. وفي بعض الحالات، تؤدي مخالفة هذه الأمور أو إساءة ممارستها إلى اتخاذ إجراءات عقابية صارمة.

الإطار 16.1

الوصايا العشر في الأخلاق

ينبغي ألا...

1. تُشرِك في الدراسة من يبدي مقاومةً أو امتعاضًا حيال الدراسة أو موضوع البحث، وألا تستمر في العمل معه إن كان هذا العمل قد بدأ.
2. تحاول إقناع شخص بالمشاركة في الدراسة عندما لا يكون ذلك الشخص في وضع يمكنه من الإجابة عن أسئلة الدراسة في شكل ملائم.
3. تنسى توضيح جميع جوانب البحث ذات الصلة للمبحوثين قبل موافقتهم على المشاركة.
4. تَعِد المبحوثين بالمحافظة على السرية وعدم كشف أسمائهم إذا لم يكن في وسعك تنفيذ وعدك.
5. تنسى احترام خصوصية المبحوثين.
6. تخدع المبحوثين بأي شكل من الأشكال.
7. تُخضِع المبحوثين إلى أي إجراء قد يلحق بهم ضررًا جسديًا أو توترًا عصبيًا.
8. تستخدم في الدراسة أساليب مشكوكًا في درجة أمانها.
9. تخالف معايير البحث المهنية، عن طريق تزوير البيانات أو تلفيقها أو إخفائها، على سبيل المثال.
10. تقبل إجراء بحث مموّل من جهة ما عندما يكون مخالفًا للمعايير الأخلاقية و/ أو المهنية[17].

6.4 الممارسة الأخلاقية

ليس القيام بالممارسات الأخلاقية في البحث اليومي تلك العملية الموحَّدة. وعلى الرغم من أن الباحثين يقرّون الحاجة إلى وجود المعايير الأخلاقية مبدئيًا،

(16) مثلًا: Bailey, «Ethical Dilemmas in Social Research»; Sproull, *Handbook of Research Methods;* Vlahos, *Kolωvlkη Epευvα.*

(17) Vlahos, Ibid; Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit.*

فإن درجة تنفيذ هذه المعايير وقبولها ودعمها تختلف من حالة إلى أخرى ومن باحث إلى آخر. وبغض النظر عن كل ذلك، ثمة اختلاف نسبي بين الالتزام المبدئي بهذه المعايير وتطبيقها عمليًا عند إجراء البحوث. وإذا ما نظرنا إلى النظرية والتطبيق، فإننا نستطيع ملاحظة ثلاثة أنماط من الممارسات.

- **الالتزام الكامل بالمعايير الأخلاقية**

في هذا النمط من الممارسات يقبل الباحثون المعايير الأخلاقية وينفذونها تمامًا حيثما تطلب الأمر. وليس هناك استثناء لهذه القاعدة إلا إذا تطلبت ذلك منهجية البحث. ومن الأمثلة على ذلك تلك الحالات التي يُفترض فيها بالمبحوثين ألّا يعرفوا أنهم موضع دراسة.

- **الالتزام النسبي بالمعايير الأخلاقية**

يقول الباحثون من هذه المجموعة إن الالتزام الكامل بالمعايير الأخلاقية وفي جميع الأحوال غير ممكن وغير عملي وليس مرغوبًا فيه. إن الالتزام الكامل بالمعايير الأخلاقية ومطالبة جميع أفراد الدراسة بتقديم موافقة خطية موقّعة يجعلان البحث في بعض المجالات مستحيلًا، كالبحث في مجال الشذوذ الجنسي والعنف الأسري والممارسات الجنائية والتهرب من دفع الضرائب والغش في الامتحانات. لذلك فإن تجاوز المعايير الأخلاقية مبرَّر لدى هؤلاء الباحثين، شريطة أن تكون نتائج البحث مفيدة للمجتمع وأفراد الدراسة حيث تؤدي إلى تحسين نوعية الحياة.

- **العزوف عن المعايير الأخلاقية**

يوجد بين الكتّاب من يعزفون عن الالتزام الأعمى بالمعايير الأخلاقية. ويرى هؤلاء أنه يجب النظر إلى الأخلاق في سياق أهداف البحث وبصورة نقدية كذلك؛ فالأخلاق مكوّن آخر من مكوّنات ميدان البحث ويجب النظر إليها بهذه الصفة، لا بوصفها واحدًا من العوامل التي تقرر جدوى البحث. ولا قيمة للأخلاق من أجل الأخلاق، أو لأبعادها الطقسية أو المهنية. ولا يُجرى البحث من أجل الأخلاق بل

من أجل التحسين النوعي الشامل لحياة الناس، ويجب على الأخلاق أن تجعل هذا المسعى أقرب إلى اليُسر منه إلى العُسر أو حتى الاستحالة.

الإطار 17.1

التفكير، نقديًا، في الأخلاق والمعايير الأخلاقية
▪ ما هو الأخلاقي؟ هل الأخلاق ظاهرة عالمية؟
▪ من الذي يقرر ما هو أخلاقي وما هو غير أخلاقي؟
▪ هل هناك معايير موضوعية للأخلاقية؟
▪ هل تُعنى المعايير الأخلاقية بـ«الأخلاق» أم بانطباعات عن الأخلاقية؟
▪ هل المعايير الأخلاقية المطلقة منسجمة مع المعايير النسبية التي عادة ما تنفي وجود القيم المطلقة؟ كيف يستطيع الباحث تبرير الأخلاق في بحثه إذا كان يعمل في إطار النمط النسبي؟
▪ من المستفيد من وضع المعايير الأخلاقية؟ هل هم المبحوثون، أم المجتمع، أم العلم، أم الذين يفرضون المعايير؟
ما رأيك؟ ما هي الإجابات الصحيحة عن هذه الأسئلة؟

7.4 حدود التقييد

بعيدًا من الموقف الناقد للأخلاق، يبدي بعض النقاد قلقًا يتعلق بفوائد البحث الأخلاقي ويركز على سيئات تطبيق المعايير الأخلاقية بدقة. ومن القضايا التي تُثار في شأن هذا الموضوع ما يلي:

- **السلطة:** من الذي يقرر ما هو أخلاقي أو غير أخلاقي؟

- **الحدود:** إلى أي مدى يجب الالتزام بالمعايير الأخلاقية؟ ومن يضع هذه الحدود؟

- **إمكان إجراء البحث:** هل سيكون إجراء البحث ممكنًا إذا طُبقت المعايير الأخلاقية بدقة؟ هل ستوقّع عصابات المجرمين أنموذج الموافقة على سبيل المثال، خصوصًا بعدما يعترفون بأنهم ارتكبوا جرائم؟

- **الجوهر**: هل الأخلاق مفهوم عالمي، أم مجرد انطباعات أخلاقية أوجدها الناس؟

- **الموضوعية**: هل هناك معايير أخلاقية موضوعية؟

- **الاتّساق**: هل المعايير الأخلاقية المطلقة منسجمة مع المعايير النسبية (التي تنكر وجود قيم مطلقة)، علمًا بأنَّ عددًا لا بأس به من الباحثين يعمل في إطار الأنموذج النسبي؟

- **المكاسب**: مَن المستفيد من وضع معايير أخلاقية؟ هل هم المبحوثون، أم المجتمع، أم العلم، أم الفريق الذي يضع تلك المعايير؟

- **الطبيعة**: هل تشكل طبيعة الأخلاق مشكلة بحث حقيقية، أم مشكلة سياسية، أم أنها مجرد ممارسة طقسية معهودة يجب أن يُقَام بها من أجل ذاتها؟

- **الفوائد**: هل يجدر بنا أن نلتزم بالأخلاق إذا كانت ستضحي بفرصة اكتساب معرفة مفيدة؟

- **الدور**: ما هو دور الأخلاق؟ حماية سيرورة البحث أم تضييق الخناق عليها من دون سبب حقيقي؟

- **الورطة**: ماذا يفعل الباحثون الذين يكتشفون في أثناء الدراسة أن أحد المبحوثين يوشك أن ينتحر أو يغتال شخصًا آخر؟ هل سيخبرون الشرطة أم يبقون المعلومات سرية؟

- **الموافقة على المعايير الأخلاقية**: هل تقويم لجان المعايير الأخلاقية لمشروع البحث عملية جديرة بالاهتمام، أم أنها مجرد ممارسة أكاديمية روتينية؟ في النهاية، يبقى ضبط المعايير الأخلاقية مستحيلًا.

على الرغم من منطقية بعض النقاط الآنفة، فإن شيئًا لا يمكن أن يبرّر عدم احترام المعايير الأخلاقية كائنًا ما كان السبب. وكما يشير كثير من القواعد الأخلاقية، فإنَّ أحد أهداف هذه القواعد هو تعليم الباحثين ما هو صحيح ومسموح

وما هو خطأ وغير مرغوب فيه. ولعلّ النقاط أعلاه تفيد كأساس لمزيد من النقاش في شأن الأخلاق وكتبرير لها في مجالات البحث العملية المختلفة.

خامسًا: التمييز بحسب الجنس والبحث الاجتماعي

يرتبط التمييز على أساس الجنس بأفكار وأفعال نمطية متحيزة ومؤسّسية تبرز أحد الجنسين على أنّه أدنى من الآخر وتمارس التمييز ضده. وقد يؤثر التمييز الجنسي في الباحث وتاليًا في جميع مراحل البحث، لذلك ينبغي استبعاد التأثيرات الناجمة عن التمييز الجنسي من البحث. وهذا يجعل من الضروري إلقاء نظرة على هذا المفهوم.

إن التمييز على أساس الجنس قضية معقدة، حيث قام كثيرون من الباحثين بمحاولات تعريف هذا المفهوم بوضوح ووضع تعريف إجرائي له دقيق ومفصل.

شرح فيسك وغليك[18] مفهوم التمييز بحسب الجنس شرحًا واضحًا وميّزا بين شكلين من هذا المفهوم: العدواني والحميد. ويمكن القول إن التمييز على أساس الجنس يحتمل تفسيرات مختلفة وفقًا للسياق الذي يُستخدم فيه، كما أنه يؤثر في الناس بطرائق مختلفة أيضًا.

في مناقشتنا هذه سنستخدم أنموذجًا مشابهًا يشتمل على عنصرين مختلفين من التمييز على أساس الجنس؛ يعكس أحدهما جوانب التمييز التي تحبط الضحايا (النساء) (أو تضطهدهم)، أما الآخر فيرفع مكانة النساء إلى منزلة تحظى فيها المرأة بالحماية والرعاية والمحبة والتضحية من أجلها. وفي الحالتين يستند الحكم إلى الصور النمطية والأحكام المسبقة المرتبطة بالجندر، لذلك يجب استبعاده. وتظهر هذه الممارسة واضحة في ممارسات بضعة أجيال سابقة تجاه المرأة، كما هو مبيّن في الإطار 18.1.

---

(18) P. Glick and S. T. Fiske, «The Ambivalent Sexism Inventory: Differentiating and Hostile Benevolent Sexism,» *Journal of Personality and Social Psychology*, no. 70 (1996).

الإطار 18.1

أوجه التمييز بحسب الجنس في ما يخصّ النساء

يعبَّر عن الظلم أو الاضطهاد بأشكال كثيرة منها:

- **الاستبداد**: الحكم بأن الذكور بطبيعتهم هم الأصلح لقيادة النساء والسيطرة عليهن والتحكّم بهن.
- **القوة الجسدية**: اعتبار الذكور أقوى وأكثر كفاءة والإناث ضعيفات وأقل كفاءة.
- **الحياة العائلية**: تخصيص أدوار منزلية للمرأة لأنها بطبيعتها ملائمة لهذه الأدوار.
- **الناحية الجنسية**: اعتبار النساء موضوعات جنسية لتلبية حاجات الذكور فحسب.
- **الملكية**: الاعتقاد أن الرجال يملكون زوجاتهم ويمكنهم أن يعاملوهن كممتلكات لهم.

ويُعبَّر عن رفع مكانة المرأة بما يلي:

- **الحماية**: افتراض أن النساء في حاجة إلى حماية ومعاملة لطيفة وحب من الرجال.
- **الرعاية**: الاعتقاد أن النساء في حاجة إلى رعاية الرجل وخدمته لأنهن ضعيفات لا معين لهن.
- **الارتباط العاطفي**: افتراض أن المرأة حنون ومحبة وتلبي حاجات الرجل العاطفية.
- **الإثارة الجنسية**: افتراض أن النساء موجودات لإشباع حاجات الرجال الجنسية لذلك يحبهن الرجال حبًّا جمًّا.
- **الثقة**: افتراض تفاني المرأة تجاه الرجل وثقتها به لقاء حماية الرجل لها وحبه ورعايته.

من الناحية العملية، تتضمن كل خطوة من سيرورة البحث إجراءات يمكن بناؤها و/ أو تقديمها بطريقةٍ تميّز بحسب الجنس. وفي ما يلي بعض الأمثلة:

- اختيار موضوع البحث.
- اعتماد الإطار المفهومي أو الأنموذج الإرشادي للبحث.
- تعيين مساعدي البحث وغيرهم.
- استقطاب أفراد الدراسة ودعم المجتمع.
- اختيار العينة واختيار طرائق البحث.
- مناقشة معايير البحث مع ممولي المشروع ومدى الالتزام تجاههم.
- مخاطبة المبحوثين وطرح الأسئلة.

- مناقشة الآراء والمصالح المتعارضة.
- كتابة تقرير البحث (تفسيرات متحيزة على أساس الجنس، لغة متحيزة).
- مناقشة عملية نشر النتائج.

من المهم أن يدرك الباحث ضرورة استبعاد التمييز على أساس الجنس من جميع مراحل البحث. بعبارة أخرى، يجب أن يتأكد الباحث من استبعاد أي نوع من السلوك الذي يوحي بسلوك نمطي أو متحيز بحسب الجنس ضد الرجال أو النساء.

من الجدير بالذكر أن التمييز على أساس الجنس تغير تدريجًا من حيث المحتوى والهدف. فبعد مرور سنين من التنظيم والتحرير، أصبحت معايير التمييز معروفة للباحثين ولجميع العاملين في البحوث. لم تعد الانتقادات الموجهة ضد التمييز على أساس الجنس تركز على إبراز الصور النمطية للجندر والتحيز ضده، بل باتت تركز على عدم الاكتراث للتمييز على أساس الجنس ومقاومة تنفيذ إجراءات ضرورية من شأنها أن تؤدي إلى المساواة بين الجنسين.

نقاط أساسية

- للبحث الاجتماعي تاريخ طويل، وما زال يستعمل على نطاق واسع منذ ما يزيد على ألفي عام.
- ما زال البحث متنوعًا وتعدديًا، ويختلف من حيث تركيزه وهدفه وإجراءاته وأسسه النظرية.
- سادت الوضعية والبحث الوضعي مشهد البحث عبر معظم تاريخ البحث الاجتماعي. وما زال البحث الوضعي هو النمط السائد في البحوث الاجتماعية.
- عارضت مدارس فكرية كثيرة مفهوم البحث الوضعي، وجاء الانتقاد الأكبر لهذا المفهوم من التفاعلية الرمزية والمنهجية الإثنية والظاهراتية والتأويل الفلسفي.
- جاءت الانتقادات أيضًا من الماركسية والنسوية وغيرها من المدارس الفكرية.

- هناك أنواع عدة من البحوث، من بينها نوعان سائدان في البحث الاجتماعي، هما النوعي والكمي.

- تختلف أهداف البحث باختلاف منهجية البحث. على سبيل المثال، يسعى أتباع البحث الكمي إلى استكشاف نظريات وتفسيرها وتقويمها والتنبؤ بها وتطويرها/ اختبارها، بينما يسعى أتباع الطريقة التفسيرية في البحث إلى فهم السلوك الإنساني. أما المنظّرون النقديون فهم ينتقدون الواقع الاجتماعي، ويسعون إلى تحرير الناس وتمكينهم، واقتراح الحلول لمشكلات اجتماعية.

- إن دوافع البحث تربوية و«سحرية» وشخصية ومؤسسية وسياسية وتكتيكية.

- يتوقع من الباحثين الالتزام بالمعايير الأخلاقية في جميع أنواع البحوث. ترتبط الأخلاق بالممارسة المهنية والعلاقة بين الباحث والمبحوث، والعلاقة بين الباحثين أنفسهم والعلاقة بين الباحث والحيوان.

- البحث الاجتماعي مُسيّس؛ فالمصالح السياسية هي التي توجهه بصورة مباشرة أو غير مباشرة، إن لجهة تصميمه أو عند نشر نتائجه.

- ينبغي ألا يشتمل البحث الاجتماعي على أي شكل من أشكال التمييز على أساس الجنس.

إلى أين؟

قبل أن تترك هذا الفصل، ينبغي لك أن تزور الموقع المرافق للطبعة الثالثة من هذا الكتاب على العنوان التالي: www.palgrave.com/sociology/sarantakos، وذلك لتراجع المفاهيم الأساسية التي عُرضت في هذا الفصل وتختبر نفسك في القضايا الرئيسة التي نوقشت. وستجد في الموقع أسئلة متعددة الإجابات، وصواب/ خطأ، وملء فراغات، وأسئلة ذات إجابات قصيرة وتمارين عملية. كما يذكّرك الموقع بأهداف الفصل والنقاط الرئيسة فيه إضافةً إلى إجابات هذه الأسئلة.

قراءات إضافية

Books

Homan, R. *The Ethics of Social Research*. London: Longman, 1991.

Kimmel, A. J. *Ethical Issues in Behavioural Research: A Survey*. Cambridge: Blackwell, 1996.

MacIntyre. A. *A Short History of Ethics*. London: Macmillan, 1996.

Platt, J. *A History of Sociological Research Methods in America. 1920-1960*. Cambridge: Cambridge University Press, 1996.

Rosnow, R. L. and Rosenthal. R. *People Studying People: Artifacts and Ethics in Behavioural Research*. New York: Freeman, 1997.

Seiber, J. E. *Planning Ethically Responsible Research: A Guide for Students and Internal Review Boards*. Beverley Hills: Sage, 1992.

Periodical

Goode, E. «The Ethics of Deception in Social Research: A Case Study.» *Qualitative Sociology*: vol. 19, 1996.

Conferences

Clark, J. «Ethical and Political Issues in Qualitative Research from a Philosophical Point of View.» Paper Presented at: *The Annual Meeting of the American Educational Research Association*, San Francisco, 1995.

Crotty, Michael. «The Ethics of Ethics Committees.» Paper Presented at: *The Second Colloquium on Qualitative Research in Adult Education*, University of Melbourne, September-October, 1995.

Mohr, Marian. «Ethics and Standards for Teacher Research: Drafts and Decisions.» Paper Presented at: *American Educational Research Association Conference*, New York, 1996.

الفصل الثاني

أنواع البحث الاجتماعي

هذا الفصل

- يتناول أنواع البحث الاجتماعي.
- يتفحّص طبيعة البحث الكمي.
- يشرح مواصفات البحث النوعي الأساسية.
- يوضح الأسس المعرفية لكلا النوعين من البحوث.
- يقارن بين مناهج البحث الكمية والنوعية.

العناوين الرئيسة

مقدمة

1. أسس التمييز المنهجي
2. المنهج الكمي
3. المنهج النوعي
4. مقارنة بين البحث الكمي والبحث النوعي
5. الطرائق الكمية والنوعية
6. البحث النقدي

نقاط أساسية

إلى أين؟

قراءات إضافية

مقدمة

البحث الاجتماعي عملية معقدة ومتنوعة ومتعددة الجوانب، كما لاحظنا في الفصل السابق. وتختلف طريقة إجراء البحث وأهدافه والافتراضات الأساسية التي يرتكز عليها اختلافًا جذريًا من حالة إلى أخرى. ويظهر التنوع والاختلاف في التصاميم المتقنة التي توفّر في النهاية المعايير والمبادئ لممارسة البحث. ويُعد البحث الكمي والبحث النوعي من أكثر أنواع البحوث شيوعًا، فهما الطريقتان اللتان يتبعهما معظم الباحثين في العلوم الاجتماعية.

سنناقش في هذا الفصل هاتين الطريقتين بالتفصيل. وفي البداية سنناقش منظومة المبادئ التي توجه البحث الاجتماعي وتولّد التنوع في تصاميم البحوث وممارساتها، ثم سنوضح بمزيد من التفصيل بنية كل نوع من هذين النوعين وكيفية إجرائه وجوانب قوته وضعفه ومدى فائدته ودرجة المرونة فيه.

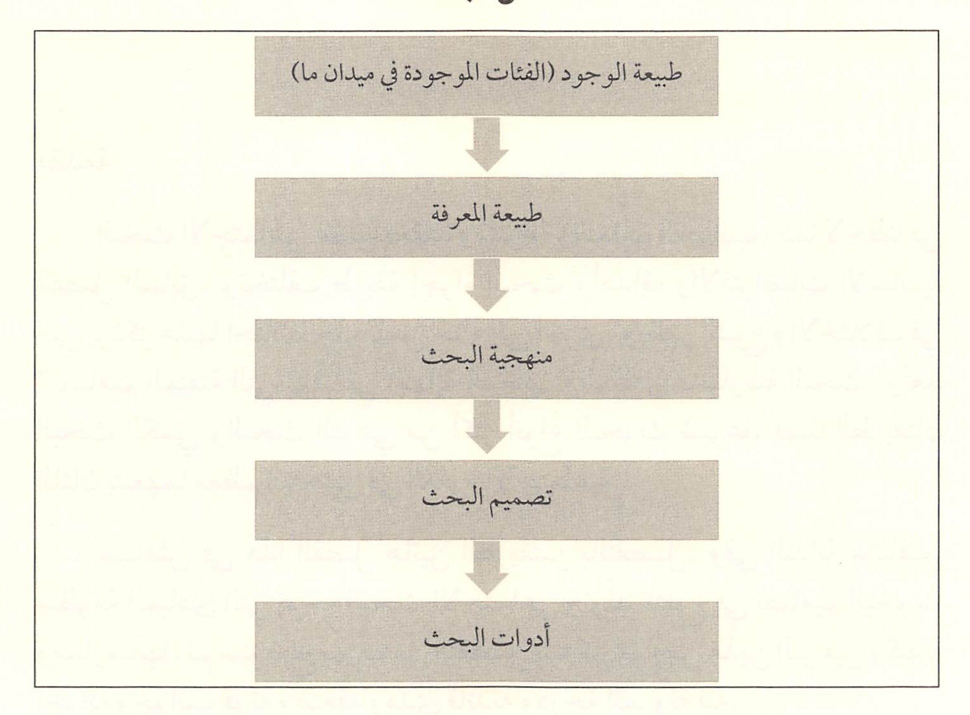
أولًا: أسس التمييز المنهجي

يعكس التنوع في البحث تنوعًا في المعايير التي توجهه. وبشكل أدق، فإن التنوع الأنطولوجي (الكياني) والإبيستمولوجي (المعرفي) الذي ترتكز عليه منهجية البحث هو الذي يوجه البحث. بمعنى آخر، تتطلب منهجيات البحث تصاميم بحثية مختلفة لأنها، في بنيتها النظرية، تتبع فروضًا أنطولوجية وإبيستمولوجية مختلفة. وكما نلاحظ في الشكل 1.2، تؤثر الأنطولوجيا والإبيستمولوجيا في المنهجية التي توجّه اختيار تصاميم البحث وأدواته.

تقع دراسة كيفية تأثير الأنطولوجيات والإبيستمولوجيات في سيرورة البحث الاجتماعي وبنيته ضمن الميدان المعرفي المسمى **فلسفة العلوم**[1].

(1) N. Konegen and K. Sondergeld, *Wissenschaftstheorie für Sozialwissenschaftler* (Opladen: =

الشكل 1.2
أسس البحث



هذا يعني أن الأنطولوجيات تُعْلمُ المنهجيات بطبيعة الواقع، أي إنها تحدد «ما» يفترض بالبحث الاجتماعي أن يدرسه. أما الإبيستمولوجيات فتُعْلم المنهجيات بطبيعة المعرفة، أو بما يُعَدُّ حقيقةً، وبالمصادر التي تُلتَمَس فيها المعرفة. وفي ضوء هذه الإرشادات التي تقدمها الأنطولوجيا والإبيستمولوجيا، تعمل المنهجيات على تهيئة تصاميم البحث التي سيستخدمها الباحثون، وتبين لهم مجالات تركيز بحوثهم، وكيفية تعرّف المعرفة واستخلاصها (انظر الجدول 1.2).

تتمثل فروض البحث الاجتماعي الأنطولوجية والإبيستمولوجية والمنهجية

Leske und Budrich, 1985); P. Machamer, «A Brief Historical Introduction to the Philosophy of Science,»= in: P. Machamer and M. Silberstein, eds., *The Blackwell Guide to the Philosophy of Science* (Oxford: Blackwell, 2002); L. H. Nelson, *Who Knows: From Quine to Feminist Empiricism* (Philadelphia: Temple University Press, 1990); H. Poser, *Wissenschaftstheorie* (Stuttgart: Reclam, 2001).

على شكل أُطر مفهومية (أو نماذج إرشادية) توجه مسيرة البحث اليومية وتؤثر فيها. على سبيل المثال، يوجه الإطار المفهومي الوضعي الذي يشتمل على **أنطولوجيا واقعية/ موضوعية** وعلى **إيبستمولوجيا تجريبية**، استراتيجية المنهجية الكميّة، ويفرض لذلك تصاميم ثابتة وطرائق كمية (انظر الجدول 2.2). كذلك فإن إطاري التفاعلية الرمزية والظاهراتية اللذين يشتملان على **أنطولوجيا بنائية** وعلى **إيبستمولوجيا تفسيرية**، يوجّهان استراتيجيات المنهجية النوعية ويفرضان تصاميم مرنة وطرائق نوعية. وسنقوم بتوضيح هذه المفاهيم في ما بعد.

الجدول 1.2

الأسس النظرية للبحث الاجتماعي

الأساس	الموضوع
الأنطولوجيا	طبيعة الواقع تسأل: ما هي طبيعة الواقع؟ هل هي طبيعة موضوعية، أم مبنيّة، أم ذاتية؟ بعبارة أدقّ: علامَ يركز البحث؟
الإبيستمولوجيا	طبيعة المعرفة تسأل: كيف نعرف ما نعرفه؟ ما هي الطريقة التي نعرف بها الواقع؟ بعبارة أدقّ: ما نوع المعرفة التي يهدف البحث إلى تحصيلها؟
المنهجيّة	طبيعة تصميم البحث وطرائقه تسأل: كيف نتحصّل على معرفة بالعالم؟ بعبارة أدقّ: كيف يتم بناء البحث وإجراؤه؟
البحث	تنفيذ تصاميم البحث

هكذا، تحتل المنهجية موقعًا رئيسًا في سيرورة البحث. وكما ذكرنا آنفًا، فإن **منهجية البحث** هي استراتيجية تحول المبادئ الأنطولوجية والإبيستمولوجية

إلى إرشادات توضح كيفية إجراء البحث[2]. من جهة أخرى، تشكل منهجية البحث أداة لجمع البيانات وتحليلها. وفي النهاية، تُنَظِّم المبادئ الأنطولوجية والإبيستمولوجية والمنهجية ذات الطبيعة الواحدة في أطر أو نماذج نظرية تشكل مع منهجية البحث الميدان أو النطاق الذي سيُجرى فيه البحث.

باختصار، يمكننا القول إن الإطار أو الأنموذج هو مجموعة من المقترحات أو الفرضيات التي توضح الكيفية التي ندرك بها العالم، وهو يشتمل على رؤية للعالم، وطريقة لتحليل التعقيد في العالم الواقعي، وهو يرشد الباحث وعالم الاجتماع بشكل عام إلى «ما هو مهم، وما هو مشروع، وما هو معقول»[3].

الجدول 2.2

الأُطر المفهومية أو النماذج الإرشادية: البناء النظري للبحث

الأساس	الوضعية	التفاعلية الرمزية، الظاهراتية، النسوية... إلخ
الأنطولوجيا	الواقعية/ الموضوعية	البنائية
الإبيستمولوجيا	التجريبية	التفسيريّة
المنهجية	كمية	نوعية
البحث	تصميم ثابت	تصميم ثابت/ مرن

إن موقفًا فلسفيًا هو الذي يملي المنهجية ويحدد الحقل الذي يكمن فيه منطق البحث وبنيته، وهو الذي يوجه سيرورة البحث أيضًا[4]. ومن الأمثلة على مثل هذه النماذج الإرشادية: الوضعية والتفاعلية الرمزية والمنهجية الإثنية والظاهراتية.

(2) انظر: J. A. Cook and M. M. Fonow, «Knowledge and Women's Interests: Issues of Epistemology and Methodology in Feminist Sociological Research,» in: J. M. Nielsen, ed., *Feminist Research Methods: Exemplary Readings in the Social Sciences* (London: Westview, 1990), p. 72; S. Harding, ed., *Feminism and Methodology* (Bloomington: Indiana University Press, 1987), p. 2; B. Krüger, *Theoretische Methodologie* (Leipzig: Selbestverlag, 1983); P. Lather, «Critical Frames in Educational Research: Feminist and Post-Structural Perspectives,» *Theory into Practice*, vol. 31, no. 2 (1992), p. 87.

(3) T. Kuhn, *The Structure of Scientific Revolutions* (Chicago: University of Chicago Press, 1970); E. G. Guba, *The Paradigm Dialog* (Newbury Park, Calif.: Sage, 1990); M. Patton, *Qualitative Evaluation and Research Methods* (Newbury Park, Calif.: Sage, 1990), p. 37.

(4) W. Farber, *kunstlehre der Erklärung* (Graz: Selbstverlag, 2001).

بشكل عام، تُعدّ المنهجيات أقرب إلى سيرورة البحث من النماذج الإرشادية، ولذلك يشير الباحثون إلى مناهج البحث التي يستخدمونها أكثر مما يشيرون إلى النماذج الإرشادية عندما يصفون عملهم. وفي الأغلب ما يجري الباحثون دراسات «كمية» أكثر من الدراسات «النوعية». فالإشارة إلى الطبيعة الأنطولوجية والإبيستمولوجية لمشروع بحثي هي الاستثناء وليس القاعدة.

من الجدير قبل الاستمرار في هذا الموضوع، أن نشير إلى وجود أنواع أخرى من البحوث لا تندرج تحت المنهجيات الكمية والنوعية، وتُعد البنيوية ومابعد الحداثية مثالين على كيف أن البحث يبدأ من الأنموذجين المذكورين أعلاه. كما تُعد **الفوضوية المنهجية** مثالًا آخر[5]. فأتباع هذا الأنموذج الإرشادي يرون أن ما من حقيقة في المزاعم التي تُطلَق حول طبيعة الواقع، لذلك ليست هناك قواعد منهجية صحيحة تضبط طرائق البحث وكيفية إجرائه، فكل شيء في نظر أتباع الفوضوية البحثية جائز. لكن معظم الباحثين يقوم ببحوثه وفقًا للطريقة الكمية أو النوعية أو كلتيهما معًا. وتوفر مناهج البحث هذه معايير صحيحة ومنظمة لتصميم البحث، سنوضحها في ما يلي.

ثانيًا: المنهج الكمي

1.2 الخلفية النظرية للبحث الكمي

إن الأسس النظرية للمنهجية الكمية هي الأسس نفسها التي تقوم عليها الوضعية التي يوجهها علمٌ للكينونة واقعي (انظر الإطار 1.2)، وموضوعي (انظر الإطار 2.2)، وعلمٌ للمعرفة تجريبي (انظر الإطار 3.2). وهذا يؤدي إلى منهجية كمية كونه منهجية تجريبية، وكون طرائقه طرائق تجريبية. وفي ما يلي المعايير الأساس لهذه المنهجية:

(5) انظر: B. K. Feyerabend: *Wider den Methodenzwang* (Frankfurt: Suhrkamp, 1976); *Enkenntnis für freie Menschen* (Frankfurt: Suhrkamp, 1981); *Irrwege der Vernunft* (Frankfurt: Suhrkamp, 1989).

▪ **إدراك الواقع**: من مميزات المنهجية الكمية أنها تنظر إلى الواقع بوصفه شيئًا موضوعيًا وبسيطًا وثابتًا. ويتكون الواقع من انطباعات حسية تدركها الحواس وحدها. كما أن هناك واقعًا واحدًا في الطبيعة وحقيقة واحدة أيضًا. والواقع مستقل عن الوعي الإنساني ويرتكز على نظام تحكمه قوانين طبيعية صارمة وثابتة، وتساعد معرفة هذه القوانين في التحكم بمخرجات الفعل البشري والتنبؤ بها. يعرِّف جميع أفراد المجتمع الواقع بالطريقة نفسها لأن الأشياء تولّد المعاني نفسها والناس يرونها ويسمّونها بالطريقة نفسها.

▪ **إدراك الإنسان**: البشر أفراد عقلانيون تحكمهم قوانين اجتماعية، ويُدرس سلوكهم بالملاحظة وتحكمه أسباب خارجية تؤدي إلى نتائج ثابتة (الأسباب نفسها تؤدي إلى النتائج نفسها). ويشكِّل البشر وفقًا لعالمهم الاجتماعي على نحو ما تحكم العالم المادي قوانين ثابتة؛ فهم يخضعون لأنماط حياتية ثابتة يمكن ملاحظتها تجريبيًا (أطروحة التفكير المقنَّن). ليست هناك إرادة حرة، لكن العالم، على الرغم من ذلك ليس حتميًا، والأسباب تؤدي إلى نتائج تحت أوضاع معينة، ويمكن التحكم بالتنبؤات عند توافق هذه الأوضاع.

الإطار 1.2

ما الواقعية؟

الواقعية هي المذهب الذي...

▪ يرى أنَّ للكليات وجودًا موضوعيًا أو مطلقًا.

▪ يرى أنَّ للمادة التي هي موضوع الإدراك وجودًا واقعيًا، ولا يمكن ردّها إلى عقل كوني أو روح كونية، ولا تتوقف على فاعل مُدْرِك.

▪ يرى أنَّ للعالم واقعًا يتجاوز قدرة العقل التحليلية، وأنَّ الأطروحات تُقوّم من حيث حقيقتها في الواقع ومطابقتها له.

▪ يرى أنَّ الواقع يوجد على نحوٍ مستقل عن وعينا وتجربتنا.

▪ يرى أنَّ العالم يوجد على نحوٍ مستقل عن البشر وإدراكهم، لكنه يمكن أن يُجْعَل موضوعًا للإدراك البشري[6].

(6) A. Hügli and P. Lübcke, *Philosophielexikon* (Hamburg: Rohwolt, 1997), p. 185.

▪ **طبيعة العلم الاجتماعي**: هنا، يكون العلم الذي هو أداة تحصيل المعرفة:

- مرتكزًا على قواعد وإجراءات صارمة، وهو يختلف جذريًا عن التأمل والبصيرة والفهم الشائع أو الحسّ السليم.

الإطار 2.2

ما صفات الموضوعية؟
▪ الحقيقة والواقع موجودان بشكل موضوعي ويمكن اكتشافهما وقياسهما على نحوٍ وافٍ.
▪ الواقع خارجي وله هويته الخاصة التي لا علاقة لها بإدراكنا.
▪ الواقع مُفْرَد وصلب وموحَّد: يولِّد المعاني نفسها لدى الفاعلين كلّهم.
▪ «يكتشف» الباحث الواقع ويبرزه إلى مستوى الإدراك والضوء الاجتماعي.
▪ مراعاة الموضوعية التامة والحياد القيمي أمر مرغوب فيه.

- استدلاليًا، ينتقل من العام/ المجرد إلى المحدد/ الملموس.

- مُقَنَّنًا أو ناموسيًا، يرتكز على قوانين سببية كونية تؤثر في مجرى الحوادث والعلاقات الاجتماعية.

الإطار 3.2

ما التجريبية؟
يعود تاريخ التجريبية إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر، وهي ترتبط مباشرةً بأعمال فرنسيس بيكون (1561-1626) وجون لوك (1632-1704) وديفيد هيوم (1711-1776). يعتقد أتباعها أن المعرفة تأتي من الخبرة الحسية، وأن البصيرة لا تنتج إلا من الخبرات البحتة. تركز التجريبية على التجربة والخبرة وتعطي الأولوية للحقائق. لذلك ترتكز المعرفة على الملاحظة والتجريب. ويرى هيوم أن الآراء تمثل انعكاسات انطباعاتنا عن الواقع، وترى التجريبية، في شكلها الجذري (التجريبية المنطقية)، أن الشيء الموجود هو ما يمكن إثباته حسيًا أو تجريبيًا فحسب، وأي شيء لا يمكن إثباته حسيًا فهو غير موجود، والحقائق التي لا ترتكز على التجربة الحسية لا معنى لها.

- معتمدًا على المعرفة التي نحصل عليها نتيجة خبرات الحواس، وتعد

مصادر المعرفة الأخرى غير موثوق بها. ذلك أنَّ الملاحظة والخبرة أساس المعرفة، وتكون مهمة الباحث اكتشاف القوانين العلمية التي تفسر سلوك الإنسان باستخدام الطرائق الكمية التي تشبه الطرائق المستخدمة في العلوم الطبيعية.

▪ **غرض البحث الاجتماعي:** ينظر الباحث الكمي إلى البحث الاجتماعي بطريقةٍ أداتية، بوصفه أداة لدراسة الحوادث الاجتماعية ومعرفتها ومعرفة العلاقات في ما بينها لنتمكن من اكتشاف القوانين السببية العامة وتفسيرها وتوثيقها. إن المعرفة بالحوادث والقوانين الاجتماعية تمكّن المجتمع من التحكم بالحوادث والتنبؤ بوقوعها ونتائجها.

الإطار 4.2

المعايير الأساسية للبحث الكمي	
1. استخدام الطرائق التجريبية.	8. الصدق والثبات.
2. الموضوعية.	9. التكرار.
3. الحيادية.	10. التمثيل والتعميم.
4. الوضوح في التصميم والإجراء.	11. الاعتماد الصارم على الطرائق المنهجية ونتائجها.
5. المسافة بين الباحث وموضوعات الدراسة.	12. إجراءات دقيقة منظمة ومنضبطة ومرتبطة بالواقع.
6. القياس والتكميم.	13. تصميم دقيق للبحث قبل الشروع فيه.
7. الدقة والإتقان.	14. اعتبارات أخلاقية.

2.2 الوضعيّة

في الأغلب تُعْتَبَر الوضعية مطابقةً للمنهجية الكمية لأنها تنطوي على الفروض الأنطولوجية والإبيستمولوجية التي تبيّن كيف يُفْتَرَض بهذه المنهجية أن تجري البحث. وفي الأغلب أيضًا يُعتَبَر البحث الكمي مطابقًا للبحث الوضعي للأسباب ذاتها. وشرحنا سابقًا طبيعة هذا الأنموذج الإرشادي ولم تعد هناك حاجة إلى مزيد من التفصيل. وهو أنموذج تنعكس عناصره في الفروض الأنطولوجية

والإبيستمولوجية، وكذلك في الخلفية النظرية للمنهجية الكمية. وفي الإطار 5.2، ثمة خلاصة موجزة بالخصائص الأساسية للوضعية.

الإطار 5.2

المبادئ العشرة الأساسية للوضعية
1. النزعة الموضوعية: تتمسّك الوضعية بفكرة الواقع الموضوعي والحقائق المطلقة.
2. التجريبية: تزعم الوضعية أن الخبرة الحسية هي مصدر المعرفة.
3. الكمية: التركيز على قيمة الدقة والإتقان والقياس.
4. الموضوعية: استبعاد الذاتية من سيرورة البحث الاجتماعي.
5. الحيادية: الفصل بين الحقائق والقيم.
6. مناهضة العقلانية: ترفض الوضعية الفكرة التي مفادها أنّ العقل مصدر المعرفة.
7. كونية العلم: تؤكد الوضعية أن مناهج البحث في العلوم الطبيعية تنطبق أيضًا على العلوم الاجتماعية.
8. الاستدلال/ الاستقراء: تستخدم الوضعية تصميمًا يرتكز على الاستدلال لينتج تعميمات استقرائية.
9. الحتمية: العالم حتمي يخضع لقوانين سببية صارمة، وإذا ما اكتُشفت هذه القوانين يمكننا التنبؤ بالحياة الاجتماعية والتحكم بها.
10. التصميم: تستخدم الوضعية تصميمًا صارمًا معدًّا سلفًا قبل الشروع في البحث.

3.2 نقد المنهج الكمي

تعكس المآخذ على المنهج الكمي مآخذ على الأنموذج الإرشادي الوضعي الأساس. من هنا، فإن نقد المنهج الكمي نقدٌ للوضعيّة. وجاء نقد هذا المنهج من داخل هذه المدرسة الفكرية ومن خارجها[7]، وأثار تساؤلات عن جوانب أساسية من الوضعية بشكل عام والمنهج الكمي بشكل خاص. ويمكن تلخيص أهم الانتقادات بما يلي:

(7) E. G. Guba and Y. S. Lincoln, «Competing Paradigms in Social Research,» in: N. K. Denzin and Y. S. Lincoln, eds., *Handbook of Qualitative Research* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1994), pp. 106-107.

▪ **الواقع**: يُعرِّف المنهج الكمي الواقع بأنه موضوعي، وهذا خطأ؛ لأن الواقع ليس موضوعيًا بل فعلًا اجتماعيًا مفسَّرًا.

▪ **المعاني**: يعطي هذا المنهج أهمية فائقة للقياس الكمي على الرغم من أنه يؤدي أحيانًا إلى «معانٍ» أقرب إلى المعتقدات منها إلى تلك الكامنة في الواقع.

▪ **الفرضيات**: تؤدي الفرضيات التي تصاغ قبل بداية البحث إلى تحيّز في مجريات البحث، كما أنها تحدّ من خيارات البحث وتُفْرَض على آراء المبحوثين أو مقاصدهم التي ما كانوا ليفصحوا عنها في غياب هذه الفرضيات.

▪ **الخبرة**: يحدّ المنهج الكمي من الخبرة (أ) بتوجيه البحث إلى ما يمكن إدراكه بالحواس، و(ب) باستخدام أدوات قياسية فحسب تعتمد على بيانات يمكن قياسها.

▪ **المظهر والجوهر**: لا يستطيع المنهج التجريبي التمييز بين مظهر الحوادث الاجتماعية وجوهرها، فهو يتجاهل جوهر الحياة ويدرس «المظاهر» فحسب، ويفترض أن الظاهر هو الواقع.

▪ **الوضع الراهن**: يستخدم منظورًا نظريًا ونوعًا من البحث يدعمان الوضع الراهن وبنى السلطة القائمة.

▪ **طرائق البحث**: تتمتع طرائق البحث بموقع مركزي إلى حد أنّها تحدد معايير البحث. وبدلًا من تعديل المنهج أو طريقة البحث لتنسجم مع الواقع، يقوم الباحث بتعديل الواقع أو تكييفه لينسجم مع المنهج. وبذلك يقتصر البحث على ما يمكن مقاربته بطرائق البحث المتوافرة. وما لا تمكن مقاربته بطرائق البحث الكمية يُحكَم عليه بأنه غير مهم، وغير جدير بالدراسة، فلا يُدْرَس.

▪ **القياس**: ينظر المنهج الكمي إلى الواقع بوصفه مجموعة من الخواص أو الصفات المقيسة أو القابلة للقياس؛ لأن هدفه الرئيس هو تكميم الحوادث الاجتماعية وقياسها، وهذا ما يسمى أحيانًا «هوس التكميم» أو quantaphrenia. وهو ما يؤدي إلى إدراك متحيز للعالم.

▪ الباحث: المنهج الكمي يُحيّد الباحثين وتأثيرهم في موضوع البحث إلى حدٍّ يُختزل فيه الباحث إلى شيء مجرد[8]، فيصبح غريبًا عن العالم الذي يدرسه. يتم ذلك بإخفاء شخصية الباحث وإيجاد حالة من الانفصال تُحيِّد خبراته وآراءه الشخصية، وكذلك من خلال استخدام الطرائق والأساليب المقننة والدقيقة، حيث يصبح الباحث مجرد فني خبير يسعى إلى تحقيق أهداف تكنوقراطية (ناتجة من خبرة). علاوة على ذلك، يصبح المبحوثون مجرد «وحدات» أو «أشياء» ويعامَلون على هذا النحو. وفي النهاية يُمنح الباحث سلطة على المبحوث.

▪ المادية: يتبنى المنهج الكمي أنموذج العلوم الطبيعية ثم يطبقه في العلوم الاجتماعية، وبذلك يتعامل مع الأفراد وكأنهم عناصر طبيعية، فيلتمس الانتظام في الحوادث الاجتماعية كما في الظواهر الطبيعية. وهذه ممارسة غير مقبولة.

▪ الموضوعية: الاعتماد على الموضوعية لا مبرر له. والموضوعية ليست ممكنة ولا ضرورية ولا مفيدة، لأن انطباعات الباحث وتفسيراته تتخلل سيرورة البحث من جوانب عدة. وثمة فوائد عدة للذاتية في البحث الاجتماعي، أما الموضوعية فتؤدي إلى تجريد تكنوقراطي وبيروقراطي من الإنسانية[9].

▪ إجراء البحث: يستخدم المنهج الكمي تصميمًا دقيقًا يحدد ما هو ملائم للدراسة وكيفية دراسته، كما يحدد ما هو مطلوب وما له معنى أو فائدة حتى قبل الشروع في الدراسة. وهذا يحدّ من خيارات سيرورة البحث ويكبت روح المبادرة والدافعية عند الباحث، ويحد من فاعلية البحث وينتج بيانات مصطنعة لا تعكس الواقع ككلّ.

▪ السياق: يعتمد المنهج الكمي فصل الشيء المدروس عن سياقه، حيث تصبح صفات المبحوثين متغيرات، وتصبح كثافة المشاعر والمواقف مجرد أرقام

---

(8) E. C. Collins, «Qualitative Research as Art: Toward a Holistic Process,» *Theory into Practice*, vol. 31, no. 2 (1992), p. 183.

(9) P. A. Brieschke, «Reparative Praxis: Rethinking the Catastrophe that is Social Science,» *Theory into Practice*, vol. 31, no. 2 (1992), p. 174.

وبيانات حاسوبية. ومثل هذه الإجراءات تغير بنية الحياة الاجتماعية وسيرورتها وتحول العالم إلى مختبر اصطناعي.

▪ **الجندر**: يتميز المنهج الكمي بطابع جندريّ لأنه يسعى إلى تصنيف الواقع أو العالم إلى ثنائيات أساسية، إحداها ثنائية الذكر في مقابل الأنثى. ومما يعزز هذا التصنيف إبراز دور الرجال بوصفهم خبراء، وذوات «عارفة»، بينما يُنظر إلى النساء بوصفهن موضوعات «تُعْرَف»، أي موضوعات أدنى. وهذه النظرة تتجاهل النساء وتحط من مكانتهن، وتاليًا لا يتناول البحث بهذه الطريقة الواقع بكفاءة وبشكل كامل.

الإطار 6.2

هل الاهتمام بالبحث الكمي يتراجع؟ إليكم كيف تنظر مؤسسات مرموقة إلى البحث (التشديد لي): ▪ «**يعني البحث جمع البيانات بالطريقة التجريبية في مسعى علمي** في الأغلب ما يكون على شكل تجربة أو مسح أو تقويم» (Australian Psychological Society, *Code of Ethics*). ▪ «يسعى علماء الاجتماع إلى تطوير متن من المعرفة العلمية التي ترتكز على البحث» (International Sociological Association, *Code of Ethics*, Preamble). ▪ «يُتوقع من السوسيولوجيين، بوصفهم علماء، أن يتعاونوا محليًا وعالميًا على أساس الصواب العلمي وحده، من دون تمييز» (International Sociological Association, *Code of Ethics*). ▪ «على علماء الاجتماع أن يسعوا بجدية للمحافظة على الموضوعية والنزاهة في عملية إجراء البحوث الاجتماعية وممارستها» (American Sociological Association, *Code of Ethics*, IA). ما الذي توحيه إليك هذه الإشارات بخصوص مكانة البحث الكمي؟

هذه الانتقادات وجيهة وتنال من عناصر أساسية في هذا الأنموذج الإرشادي كما يُرى من الطرف الآخر، طرف البحث النوعي. على الرغم من ذلك، ثمة من يدافع عن صحّة الوضعية وأهميتها باعتبارها أنموذجًا إرشاديًا بحثيًا[10]. يدعي هؤلاء أن الأسس الوضعية التي يرتكز عليها البحث الكمي ما زالت قوية على

(10) F. Schrag, «In Defense of Positivistic Research Paradigms,» *Educational Researcher,* vol. 21, no. 5 (1992).

الرغم من أنها تضعف بمرور الزمن، خصوصًا بعد تطوير نظريات جديدة وتبني نظريات أخرى قديمة في العلوم الاجتماعية من ميداني الفلسفة وعلم النفس. وما زال معظم العلماء الاجتماعيين يستخدم المنهج الكمي (الوضعي)، وكما يقول شراغ[11]: «من الصعب تجنب الأنموذج الإرشادي الوضعي على الرغم من الهجمات المتكررة عليه».

ثالثًا: المنهج النوعي

بخلاف المنهج الكمي، فإن المنهج النوعي متعدد ومتنوع، ويتخلله كثير من التناقضات الداخلية في بعض الأحيان[12]. ويعزى ذلك إلى كونه يشتمل على عناصر من مدارس فكرية مختلفة تندمج معًا لتشكل هذا القالب البحثي. وهذا يبرر الاعتقاد السائد بين بعض الكتّاب بأنه ليس هناك منهج نوعي واحد، بل مجموعة من المناهج تبحث في كل ما هو غير كمي؛ كما يبرر القناعة بأنّه ليس هناك قاسم مشترك بين الاتجاهات النوعية المتعددة في البحث الاجتماعي[13].

مع ذلك، فإن المبادئ الأساسية لهذا المنهج مستمدة من **النزعة النسبية والأنطولوجيا البنائية والإبيستمولوجيا التفسيرية**. وسنشرح في ما يلي أهم جوانب المنهج النوعي.

1.3 الأسس النظرية للمنهج النوعي

1.1.3 البنائية

تركز البنائية على الاعتقاد الثابت بعدم وجود واقع موضوعي أو حقيقة موضوعية. في المقابل، فإنّ الواقع مبنيّ بناءً. وعلى الرغم من وجود الواقع

---

(11) Ibid., p. 6.

(12) E. Jacob, «Traditions of Qualitative Research: A Review,» *Review of Educational Research*, vol. 51 (1987); Jacob, «Classifying Qualitative Research,» *Educational Researcher*, vol. 17 (1988).

(13) H. Maindok, *Professionelle Interviewführung in der Sozialforschung* (Pfaffenweiler: Centaurus Verlagsgesellschaft, 1996), p. 94.

المادي، إلا أنه غير متاح للمساعي البشرية. وتتناول البنائية الوقائع والعلاقات[14]؛ فالأشجار والأنهار والغابات والجبال قد توجد خارج وعي الإنسان، لكنها ليس لها معنى إلا بعد تناول الإنسان لها. فمعاني هذه الأشياء غير ثابتة، وقيد الاكتشاف، كما يقترح أتباع المذهب الموضوعي، وهي تبرز نتيجة الوقائع مع العالم. فالمعاني لا توجد قبل أن يتفاعل معها العقل الإنساني. فليس هناك معنى من دون عقل[15].

الإطار 7.2

الافتراضات الأساسية للبنائية
▪ ليس هناك واقع موضوعي؛ فالعالم المادي موجود لكنه ليس متاحًا أمام السعي البشري.
▪ ليست هناك حقائق مطلقة.
▪ لا تأتي المعرفة من طريق الحواس وحدها.
▪ يركز البحث على بناء المعاني.
▪ المعاني ليست ثابتة بل تنتج من تفاعل الناس مع العالم.
▪ المعاني لا توجد قبل تفاعل العقل معها.
▪ يُبنى العالم بوساطة الناس الذين يعيشون فيه.

إن بناء الواقع يعني تفسير العالم من حولنا، واكتساب انطباعات ترتكز على خبرات شخصية وتفسيرات محددة ثقافيًا ومتوضّعة تاريخيًا. وهذا يعني أن ما يدركه الناس على أنه واقع ليس هو «الواقع»، بل هو ما بنته الخبرات والتفسيرات[16]. وبهذا المعنى، تكون البنى الجديدة افتراضية لأنها لا تجسّد

(14) K. J. Gergen: *Realities and Relationships: Soundings in Social Construction* (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1994); Gergen, *An Invitation to Social Construction* (London: Sage, 1999).

(15) H. M. Cooper, *Synthesizing Research: A Guide for Literature Reviews* (London: Sage, 1998), pp. 8-9.

(16) S. Lamnek, *Qualitative Sozialforschung* (Weinheim: Psychologie Verlags Union, 1995), Band 1: *Methodologie*, and Band 2: *Methoden und Techniken*; M. Lueger, *Grundlagen qualitativer Feldforschung* (WUV-Universitätsverlag Wien, 2000), pp. 21-38; N. Luhmann, *Die Gesellschaft der Gesellschaft* (Frankfurt am Main: Shurkamp, 1997).

ظواهر اجتماعية فعلية، بل تمثل خيارات بين تعبيرات عن الظواهر[17]، كما أنها كامنة ورمزية. أخيرًا يمكننا القول إنه لا توجد بنية واحدة في العالم الاجتماعي، بل بنى متعددة متداخلة.

هذا يعني أن بناء الواقع عملية ناشطة لتكوين عالم. والواقع الذي يعيشه الناس في حياتهم اليومية هو واقع مبني - واقعهم - قائم على التفسير. وليس هناك شك في وجود الواقع الموضوعي، فهو موجود لكنه ليس في متناول اليد. لذلك فإن انطباعات الباحثين عن الواقع عندما يستمعون إلى المبحوثين وهم يتحدثون عن حياتهم، هي بناءات واقع المبحوثين المبنيّ بناءً؛ وهي بذلك انطباعات عن واقع أُعيد بناؤه.

الإطار 8.2

أوجه الواقع الكثيرة
▪ تستطيع الطبيعة أن تظهر لنا «وجهًا» آخر وقوانين أو مقولات أخرى وأنظمة أخرى، إذا ما قمنا بدراستها وبحثها بمزيد من التفصيل.
▪ إن قوانين الطبيعة وصدق ملاحظاتنا ستتفكك (وتُرفَض وتُنقَض) عندما يكون تركيزنا على درجة أعلى من الكفاءة.
▪ قد ينشأ النظام من حالة الفوضى إذا ما ذهب تركيزنا أبعد من التفصيلات.
▪ إن التفكير في التفصيلات يعقّد فهم الإنسان للظواهر الطبيعية.
▪ تنهار القوانين الطبيعية حينما يتقدم البحث إلى مستوى أعلى من التفصيلات.
▪ كل قانون قد نقبله على مستوى معين سيهتز في النهاية عندما تزداد معرفتنا بالتفصيلات[18].

على سبيل المثال، يُعد حادث السير الذي وقع عند ناصيةٍ ما واقعًا موضوعيًا، لكنه غير متاح للباحثين. وتُعد انطباعات شهود العيان بناءً لما يعتقدون أنه قد حدث. أما المعلومات التي جمعها مراسلو الأخبار من مقابلاتهم هؤلاء الشهود

(17) Lueger, Ibid., p. 24.

(18) N. Rescher, *Rationalität, Wissenschaft und Praxis* (Würzburg: Königshousen & Neumann, 2002), pp. 43-51.

فهي إعادة بناء الواقع، وهي بالتأكيد ليست الواقع «الموضوعي». وهذا يدفعنا إلى إبداء ملاحظتين: **الأولى** أنه ليس هناك واقع واحد بل ثمة ثلاثة مستويات للواقع. **والثانية** أن الواقع لا يوجد في حالة تجمد بل يتّسم بطبيعة سياقية أو بسيرورة، وبالمعاودة والانعكاس. وفي ضوء معرفتنا بأن التفسيرات تختلف من شخص إلى آخر، فإن الوقائع المبنيّة غير موحدة أيضًا. فهناك أشكال كثيرة للوقائع المبنيّة، ولذلك لا تعد هذه الأشكال المصدر الوحيد للمعرفة عن الواقع، بل هي منوّعات للواقع فحسب.

إذا تعمقنا قليلًا في هذه العملية نستطيع القول إن التفسير والبناء أو إعادة البناء يمكّناننا من تحديد المعاني المخصصة للأشياء، ما يؤدي إلى ابتناء الميدان أو الحقل. فالمعاني تستخدم في السياقات المختلفة بناء على تعليمات ثقافية لا من خلال المسميات التي تُرْبط بالأشياء، وفقًا لأتباع المذهب الموضوعي. إن تحديد المعاني يقلل درجة التعقيد وذلك بإحلالها محلّ التعقيد السابق تعقيدًا جديدًا من الأسهل استكشافه وفهمه.

الإطار 9.2

الجوانب المعروفة للبنائية

- دخل شخصان إلى حديقة أزهار، فرأى أحدهما الأزهار ورأى الآخر الأشواك.
- نظر شخصان خارج النافذة، فرأى أحدهما النجوم ورأى الآخر الوحل.
- «كل ما نراه ويبدو لنا مجرد حلم داخل حلم» (Edgar Allen Poe).
- «إذا ما عرّف البشر الأوضاع على أنّها واقعية، فإنها تكون واقعية من حيث عواقبها» (نظرية توماس - Thomas's Theorem).

تشتمل عملية بناء الواقع على فكرة رئيسة هي «التواصل» الذي لا يقتصر على مجرد تبادل المعلومات. والتواصل هو عملية انتقائية لتوليد المعنى في السياقات الاجتماعية، وتتضمن هذه العملية ثلاثة عناصر: (أ) اختيار معلومة، (ب) اختيار الشكل الذي سننقلها به إلى الآخرين، (جـ) اختيار فهم هذه المعلومة. يُتوقع من الرسالة المنقولة أن تجعل المحتوى مفهومًا بوضوح وأن تعالج الموضوع بشكل كامل. وتشتمل عملية توليد المعاني وعملية تسهيل الابتناء والتواصل على أمر

مهم هو وضع الأشياء في سياقاتها: فالأشياء لا يكون لها معنى ولا يمكن فهمها إلا في سياقاتها[19].

2.1.3 التوليد الفردي والجمعي للمعاني

يختلف الناس في مدى توليدهم المعاني في أثناء تفاعلهم مع الأشياء. فمن ناحية، تقوم الذوات بإضفاء هذه المعاني في كل مرة تتعامل فيها مع موضوع، وهذه فكرة تعرضت للنقد من أتباع البنائية ومن غيرهم أيضًا. أما الفكرة الأكثر قبولًا فتقول إن إضفاء المعاني يتم بمساعدة آليات ثقافية كالتنشئة الاجتماعية مع الآخرين، حيث يتعلم الناس معاني في الأشياء. في مثل هذه الحالات، يرتكز بناء المعاني على تفسيرات وخبرات شخصية محدَّدة ثقافيًا ومتوضّعة تاريخيًا.

الإطار 10.2

التوليد الجمعي للمعاني
على الرغم من أن الطريقة الجمعية لتوليد المعاني من خلال التنشئة الاجتماعية ومن خلال وسائل الإعلام تعد طريقة جيدة، حيث تعرضت للنقد من عدد من الكتاب. وأهم انتقاد وُجِّهَ إلى هذه الطريقة هو أنها تضع عقول البشر في بنى معدة سلفًا ومعانٍ موروثة، وبذلك فهي تحد من خياراتهم وفرصهم في الحياة. بعبارة أخرى، فإن الثقافات والرموز التي صُنعت وانتقلت من جيل إلى آخر أو فرضت على هذا الجيل الآخر من معاصريه تعمل على تغريب الناس عن العالم الذي أوجدوه، وفي النهاية تحبسهم في تلك البنى السابقة. ووسائل الإعلام تزيد من تعقيد هذه المسألة بإيجادها صورًا للعالم تُقدَّم إلى الناس من دون موافقتهم أو حتى معرفتهم، وتاليًا تسيطر هذه الصور أو الانطباعات على حياة الناس. ويعتقد أن التوليد الجمعي للمعاني يُخضع الناس للاهتمامات والمصالح المسيطرة.

يتضح ذلك جليًا في البنائية الاجتماعية التي تعترف بمساهمة الأفراد القوية في عملية بناء المعنى، لكنها تركز أيضًا على الدور المهم الذي تقوم به الثقافة والمجتمع في بناء المعاني من خلال التنشئة الاجتماعية. ببساطة يمكننا القول إن الأفراد لا يحددون أسماء جديدة ولا يعطون معاني جديدة للأشياء، لأن المعاني تتولد كلها وهي متوافرة في الثقافة التي تبني هذه المعاني وتنقلها، حيث تُشَارك وتُبنى اجتماعيًا، كما يُحافظ عليها ويعاد بناؤها من خلال التفاعل.

---

(19) Lueger, *Grundlagen qualitativer Feldforschung.*

إن عملية التنشئة الاجتماعية مسؤولة عن نقل هذه المعاني ونشرها، وعن تعليم الناس أين يُضفون هذه المعاني على الأشياء وفي أيّ أحوال وبأيّ كيفية. وتوجِدُ مثل هذه المهارات وهذه الممارسات قدرةً على مواجهة العالم بذكاء وبشكل موحد، كما توجد المعاني وفقًا لمعايير ومبادئ تمّ تعلّمها، وتضفي هذه المعاني على الأشياء وتجعل بذلك للعالم معنى. بهذه الكيفية يدرك الناس الأشياء كالأشجار والسيارات والنجوم والغابات. وعلى الرغم من ذلك، فإن بناء المعنى أكثر تعقيدًا مما يبدو وله نتائج كما نرى في الإطار 10.2.

3.1.3 التفسيريّة

تزخر عمليتا البناء وإعادة البناء بالمدخلات الشخصية. فالحياة في عالم اجتماعي تحتم على الموضوعية والعقلانية أن تتحولا إلى مفهومين نسبيين. والعملية الرئيسة التي تسهل البناء وإعادة البناء هي التفسير. هذا يتطلب تقويمًا تأمليًا للانطباعات التي أعيد بناؤها عن العالم، كما يحتاج إلى تكامل العمليات الفعلية في سياق عام، ما يشكّل لاحقًا وحدة جديدة.

تبحث التفسيرية التي تُجرى البحوث النوعية في إطارها عن «تفسيرات للحياة الاجتماعية مشتقة من الثقافة ومتوضّعة في التاريخ»[20]. وهي تعود في أصولها إلى أفكار ماكس فيبر (Max Weber) (1864-1920) الذي كان يُعنى بفهم الحياة الاجتماعية، وفيلهلم ديلثي (Wilhelm Dilthey) (1833-1911)، واثنين من الفلاسفة الكانطيين الجدد هما فيلهلم فندلباند (Wilhelm Windelband) (1848-1915) وهاينرتش ريكرت (Heinrich Rickert) (1863-1936). يتضمن الفهم موقفًا تفسيريًا في مقابل موقف الشرح الذي يركز على السببية. وفي هذا الإطار، يعني مصطلح «التفسير» التشديد على توليد المعاني وتعلم وجهات النظر الخاصة بالفاعلين، أو المعاني المحلية، بمعنى آخر[21].

(20) M. Crotty, *Foundations of Social Research: Meaning and Perspective in the Research Process* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1998), p. 67.

(21) L. Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit* (Wien: Selbstverlag, 2000).

الإطار 11.2

هل التفسيرية لا تحتمل الخطأ؟

- عندما يحاول التفسيريون تعريف طبيعة الحياة الاجتماعية ذات المعنى، فإنهم في الأغلب ما يستخدمون طريقة تشبه تلك التي يستخدمها الوضعيون.
- الالتزام بالعناصر الأساسية للبحث التفسيري (القصد والسبب والدوافع) أمر يصعب ضبطه لأن المراقبة التأملية لا تكون دائمًا متوافرة.
- ليس من الممكن معرفة ما إذا كان في وسع الباحث أن يحصل على رواية صحيحة للمعاني التي يقصدها المبحوثون؛ فروايات الباحث والمبحوثين قد تتباين وقد تتنافس.
- لا تستطيع التفسيرية الاعتراف بدور البنى المؤسسية، خصوصًا في ما يتعلق بانقسام المصالح وعلاقات السلطة.
- لا تستطيع التفسيرية معالجة العوامل التي تؤدي إلى معاني وتفسيرات وأفعال وقواعد ومعتقدات وما شابه ذلك.
- التفسيرية محافظة، بمعنى أنها لا تأخذ في الاعتبار بنى النزاعات ومصادر التغيير الممكنة.

يرتبط الفهم بوجهات نظر البشر وآرائهم وإدراكهم كما يمارسونها ويعبّرون عنها في حياتهم اليومية. وهنا يكون الباحث النوعي مهتمًا بالمعنى الذاتي، أي الطريقة التي يفهم بها الناس عالمهم ويضفون المعاني على الأشياء. فقد يكون الباحث مهتمًا بما يعنيه الطلاق للأطفال، أو بما يعنيه عمل المرأة في عمل معروف تقليديًا للرجال. ومن الطرائق التي تُستخدم في مثل هذه الحالات المقابلات المكثفة أو السردية وتحليل المحتوى. ويلاحظ وجود تشديد واضح على المعنى الذاتي في البحوث التي ترتكز على التفاعلية الرمزية والظاهراتية.

كثيرًا ما يتجاوز الباحث النوعي تعريف المعنى الذاتي ليستكشف عمليات بناء مواقف اجتماعية وبنى يومية توجه وجهات النظر والآراء الشخصية وتشرحها، وتركز على أسلوب إنتاج البنى الاجتماعية. ينصب اهتمام الباحث هنا على العوامل والأحوال والفروض الثقافية والنظام الاجتماعي بشكل عام، إذ تولد كلها بعض المواقف والبنى الاجتماعية. ومن ذلك، مثلًا، الطريقة التي وُجدت بها البنى

التي اضطهدت النساء وكيفية فرضها وديمومتها. ويظهر التركيز على هذا النوع من البحوث في نماذج إرشادية مثل البنائية (constructionism) والمنهجية الإثنية.

بعض الشكوك

عَمِلَ افتراض أنَّ الذوات تبني المعاني كلما وقعت على موضوعات، ومعه عدم الاعتراف بمساهمة الآليات الاجتماعية والثقافية في هذه العملية، على دفع النقاد إلى التشكيك في صدقية البنائية. علاوة على ذلك، فإن اختبار دقة بناءات البشر وصحتها وما تمثّله أمر غير ممكن[22]. أخيرًا، فإن المبالغة في التركيز على الانطباعات الذاتية أمر خطر ويعطي نتائج عكسية، كما في المبالغة في التشديد على الموضوعية، ولا يُنظر إلى التفسيرية على أنها مقاربة للواقع لا تحتمل الخطأ. ووجّه بليكي[23] انتقادات رئيسة إلى هذه الإبيستمولوجيا يمكن الاطلاع عليها في الإطار 2.11.

2.3 العناصر الأساسية للبحث النوعي

تبيّن الإشارة الموجزة إلى الملامح الرئيسة للخلفية النظرية للبحث النوعي طبيعة تركيز البحث وفقًا لهذه المنهجية وكذلك طريقة بناء المعرفة. وتوضح النقاط الآتية الفروق الأساس بين البحث الكمي والبحث النوعي.

- إدراك الواقع: ينظر الباحثون النوعيون إلى الواقع على أنه ذاتي، مبنيّ بناءً، ومتعدد الجوانب، ومتنوع. ويُدرَك الواقع عند هؤلاء عقليًا (لا من خلال الحواس) وهو يكمن في عقول الناس الذين يبنونه. لذلك فكل فرد يبني واقعه الخاص به الذي يكون ذاتيًا، وهذا يعني أن الواقع يتعدد بتعدد الأفراد. وبما أن الأفراد يدركون العالم بطرائق مختلفة، فإن لكل واحد منهم واقعه الخاص به.

---

(22) A. Schütz, *Gesammelte Aufsätze, Band1: Das Problem der Sozialen Wirklichkeit* (Den Haag: Nijhoff, 1971), p. 5.

(23) N. Blaikie: *Approaches to Social Inquiry* (Cambridge: Polity, 1993), pp. 110-112; Blaikie, *Designing Social Research* (Cambridge: Polity, 2000).

■ **إدراك البشر**: يحتل العنصر البشري في البحث النوعي موقعًا مركزيًا. فالناس هم الذين يوجدون أنظمة معاني الحوادث التي بها يبنون الواقع. وهم مشاركون فاعلون في تشكيل عالمهم لا مجرّد مراقبين بعيدين من المشاركة. ويعتقد معظم الباحثين في هذا الموضوع بعدم وجود قوانين عامة ذات طبيعة مقيدة ومحددة. وعلى الرغم من ذلك، ثمّة أنساق للسلوك وضروب من الانتظام تظهر نتيجة للتقاليد الاجتماعية التي رسّخها التفاعل الاجتماعي. ومن واجبات الباحثين البحث عن أنظمة المعاني التي يستخدمها الفاعلون لتكوين معنى لعالمهم الذي يعيشون فيه.

■ **طبيعة العلم**: في هذا السياق، يُخصص للعلم، باعتباره وسيلة لتحصيل المعرفة، دور ثانوي، ويؤكد الباحثون النوعيون أن:

- الأساس لشرح حياة الناس وفهمها ليس «العلم» كما هو في البحث الكمي، بل الحسّ المشترك أو الفهم الشائع، وبهذه الطريقة فحسب يصبح من الممكن التقاط المعاني التي يستخدمها الناس لجعل حياتهم ذات معنى.

- المقاربة المستخدمة هي مقاربة استقرائية تنتقل من الخاص إلى العام ومن الملموس إلى المجرد.

- العلم ليس مُقَنّنًا بل رمزيًا، أي إنه يمثل الواقع رمزيًا بشكل وصفي.

- لا تنتج المعرفة من الخبرات الحسية فحسب، والأهم منها هو فهم المعاني والتفسيرات.

- العلم ليس خلوًا من القيمة؛ والحيادية غير ضرورية وغير ممكنة.

■ **هدف البحث الاجتماعي**: يهدف البحث الاجتماعي النوعي إلى مساعدة الباحثين في تفسير وفهم: (1) الأسباب التي دفعت الفاعلين إلى القيام بأفعالهم الاجتماعية. (2) الطريقة التي يبنون بها حياتهم والمعاني التي يطلقونها على جوانب حياتهم المختلفة. (3) السياق الاجتماعي للعمل الاجتماعي. والمهم هنا ليس الأفعال الاجتماعية الملحوظة بل المعنى الذاتي لهذه الأفعال. وفي ما يلي أهم ميزات المنهجين السائدين في العلوم الاجتماعية.

الجدول (3.2)

مقارنة بين المنهج الكمي والمنهج النوعي

المعيار	المنهج الكمي	المنهج النوعي
الواقع	موضوعي، خارجي، موجود. يُدْرَك بالحواس. يدركه الجميع بالطريقة نفسها. تحكمه قوانين كونية. يرتكز على التكامل.	ذاتي، في عقول الناس. لا يدرك بالحواس وحدها. متنوع، يدركه الناس بطرائق مختلفة. يُشكَّل ويُبنى؛ غير موجود. يفسره الناس بطرائق مختلفة.
البشر	أفراد عقلانيون. يخضعون لقوانين خارجية. ليست لهم إرادة حرة.	يشكلون عالمهم الخاص بهم. يضفون معنى على عالمهم. لا تقيدهم قوانين خارجية. يوجدون أنظمة للمعاني.
العلم	يرتكز على قواعد وإجراءات دقيقة وصارمة. استدلالي يعتمد على الانطباعات الحسية. موضوعي وحيادي.	يرتكز على الحسّ المشترك والعقل. استقرائي يعتمد على التفسيرات. ذاتي وغير حيادي.
البحث الاجتماعي	يستخدم الطرائق الكمية. يهدف إلى شرح الحياة الاجتماعية. يهدف إلى التنبؤ بمجريات الحوادث. يهدف إلى اكتشاف ضروب الانتظام الاجتماعية.	يستخدم الطرائق النوعية. يهدف إلى تأويل الحياة الاجتماعية. يهدف إلى فهم الحياة الاجتماعية. يهدف إلى اكتشاف معاني البشر.

3.3 النماذج الإرشادية النوعية

لاحظنا سابقًا أن المنهج النوعي متعدد، ويتضح ذلك لا في طرائق إجراء البحوث فحسب، بل في تنوع النماذج الإرشادية المرتبطة باستراتيجية البحث هذه أيضًا. وبما أن النماذج تتضمن مبادئ أنطولوجية وإبيستمولوجية، وبما أننا

ناقشنا هذه المبادئ آنفًا، سنركز في ما يلي بإيجاز شديد على أنموذجين إرشاديين معروفين في المنهج النوعي: التفاعلية الرمزية والظاهراتية.

1.3.3 التفاعلية الرمزية

قام بتطوير التفاعلية الرمزية جورج هربرت ميد (George Herbert Mead) الذي ينتمي إلى مدرسة شيكاغو، ونشر بلومر أعماله بعد وفاته[24]. ومن الأفكار الرئيسة لهذه النظرية:

- تتشكل الحياة الاجتماعية وتستمر وتتغير المعاني الأساسية التي ترتبط بها عبر تفاعل الناس في ما بينهم واستجابتهم بعضهم لبعض على أساس المعاني التي يضفونها على عالمهم، فتصبح الحياة الاجتماعية والأشياء ذات دلالة عندما يضفون معاني عليها.
- يُعَبَّر عن الحياة الاجتماعية برموز، واللغة هي أهم نظام رمزي.
- يهدف البحث الاجتماعي إلى دراسة بنية الأنظمة الرمزية ووظائفها ومعانيها.
- أفضل طريقة للبحث الاجتماعي هي الطريقة الطبيعية التي تتضمن إجراءين: الاستكشاف والتفتيش[25]. يهدف الاستكشاف إلى دراسة ميادين جديدة والبحث عن تفصيلات وتقديم فهم واضح لسؤال البحث، وأي طريقة قد تكون مفيدة هنا. أما التفتيش فهو طريقة تحليلية تتضمن عملية اختبار مكثفة ومركزة. وأطلق بلومر[26] على هذه الطريقة اسم **الاستبطان المتعاطف**.

---

(24) H. Blumer, *Symbolic Interactionism: Perspectives and Method* (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1969); «Der methodologische Standort des Symbolischen Interaktionismus,» in: Arbeitsgruppe Bielefelder Soziologen, eds., *Alltagswissen, Interaktion und gesellschaftliche Wirklichkeit* (Reinbek bei Hamburg: Rowohlt, 1973); *Critiques of Research in the Social Sciences* (New Brunswick, N.J.: Transaction, 1979); Methodologische Prinzipien empirischer Wissenschaft,» in: K. Gerdes, ed., *Explorative Sozialforschung* (Stuttgart: Enke, 1979).

(25) Blumer, *Symbolic Interactionism*; Vlahos, *Kolωvlkη Epενva*; R. A. Wallace and A. Wolf, *Contemporary Sociological Theory* (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1986).

(26) Blumer, Ibid.

- تعتمد البيانات والتفسيرات على السياق والعملية، وينبغي أن نتأكد من صحة البيانات والتفسيرات ونصححها كلما دعت الضرورة.
- تتشكل المعاني في التفاعل الاجتماعي ومن خلاله، ويكون تعلّمها من خلال التفاعل وليس بأي طريقة أخرى.
- تُستخدم المعاني وتُشكّل وتُدار من خلال التفاعل.

الإطار 12.2

عناصر التفاعلية الرمزية
▪ يتصرف البشر إزاء الأشياء وفقًا لما تعنيه لهم.
▪ تنبثق معاني هذه الأشياء من تفاعل البشر بعضهم مع بعض.
▪ يتعامل البشر مع هذه المعاني ويعدلونها من خلال عملية تفسيرية يستعملها كل فرد في التعامل مع الأشياء التي يواجهها.
▪ يختار الفاعل المعاني ويتحقق منها ويؤجلها ويعيد تصنيفها ويحوّلها وفقًا للموقف الذي يوجد فيه وباتجاه الفعل الذي يقوم به.
▪ تُستعمل المعاني وتراجَع بصفتها أدوات لتوجيه الفعل وتكوينه[27].

إن أهمية هذا الأنموذج الإرشادي للمنهجية النوعية واضحة تمامًا[28]، ومعظم مبادئ هذا المنهج مشتق من التفاعلية الرمزية.

2.3.3 الظاهراتية

تتمتع هذه الفلسفة بتاريخ طويل[29]. وتظهر مساهماتها في المنهجية النوعية في عدد من أوجه نظريتها وممارستها البحثيتين التي يشترك عدد كبير منها مع بعض عناصر التفاعلية الرمزية. ويمكننا أن نوجز مساهمات الظاهراتية في البحث النوعي كما يأتي:

(27) Ibid.; pp. 2, 5.

(28) N. K. Denzin, «Symbolischer Interaktionismus,» in: U. Flick, E. von Kardorff and I. Steinke, eds., *Qualitative Forschung: Ein Handbuch* (Reinbek bei Hamburg: Rowohlt, 2000).

(29) E. Husserl, *Gesammelte Werke* (The Hague: Martinus Nijhoff, 1950).

▪ هناك عالم موضوعي.

▪ لا ينقسم الواقع إلى موضوعات وذوات.

▪ نحن نختبر العالم الموضوعي ويصبح واقعًا حقيقيًا من خلال الوعي لا من خلال الحواس.

▪ حالة الوعي تعني الوصول إلى الواقع ومعرفته، وهذا ما يسمى **القصدية**.

▪ تصل المعايير الاجتماعية إلى البشر من دون أن يكونوا واعين بها، وهي توجههم إلى رؤية العالم وتفسيره، وهم يتبعون هذه المعايير من دون استفسار، وهذا ما يسمى **الموقف الطبيعي**.

▪ يمكن تحييد هذا الموقف الطبيعي من خلال **عملية الوضع بين أقواس**: أي من خلال فصل المفاهيم المسبقة، وتجاهل التعليمات الثقافية والأنساق الرمزية والمعاني، واستعمال الحدس والبنى والمعاني الكونية، والرجوع إلى الأشياء نفسها.

▪ أطلق هوسرل (Husserl) اسم «الإرجاء» على ظاهرة تعليق القواعد والأحكام السابقة.

لا توفر الظاهراتية للمنهجية النوعية عناصر مهمة ذات طبيعة بنائية فحسب، بل توضح كيفية تحقيق التحرير والانعتاق من البنى الظالمة.

4.3 ميزات البحث النوعي

كنا قد أشرنا إلى الميزات الرئيسة للبحث النوعي في خلال عرضنا الأسس النظرية لهذا القالب البحثي، وعندما عرضنا أسسه الأنطولوجية والإبيستمولوجية. وتمثل هذه الخصائص مواطن القوة المركزية لهذا القالب البحثي ولفوائده مقارنة مع أشكال الاستقصاء الأخرى. ويمكن أن نعرض في ما يلي، بإيجاز وفي نقاط محددة، هذه الميزات كما أوردها معظم الكتّاب في شأن هذا الموضوع[30].

---

(30) أمثال: B. F. Crabtree and W. L. Miller, *Doing Qualitative Research* (Newbury Park, = Calif.: Sage, 1992); U. Flick, E. Kardorff and I. Steinke, «Was ist qualitative Forschung? Einleitung

إن البحث النوعي:

▪ **طبيعي**: هو عملية بحث تجري في وضع طبيعي (متركّزة على ميدان البحث).

▪ **دينامي**: يركز على العمليات الجارية في الأوضاع وخصائصها البنيوية، ويحاول أن يدرك الواقع وهو في حالةٍ من التفاعل من خلال التواصل المكثف في الميدان.

▪ **متمركز على الذات**: يصف عالم الحياة من الداخل إلى الخارج، أي من وجهة نظر الذوات.

▪ **يقدم معلومات مفصلة**: يقدم أوصافًا دقيقة، ويسمح بدخول البناءات الاجتماعية الذاتية للناس، ويقدم المعلومات التي يجري جمعها بشكل مفصل وكامل، لا على شكل أرقام أو صيغ (لا يتضمن تحليلًا إحصائيًا).

▪ **معياري**: يستخدم طريقة بحث تزخر بالقيم.

▪ **بنائي**: يفترض أن العالم الاجتماعي من صنع البشر وليس اكتشافًا.

▪ **يتأثر بالسياق**: يركز هذا المنهج على السياق بهدف الحصول على تصوّر له ولمنطقه وترتيبه وقواعده الظاهرة والباطنة.

▪ **انعكاسي**: يدرس الوعي الذاتي للباحث.

▪ **منفتح**: يركز على مبدأ الانفتاح، ويدخل الميدان من دون أي أفكار مسبقة أو أنماط أو نماذج مكونة سابقًا. وليس له تصميم دقيق وصارم، ولا يضع فرضيات، وليست هناك قيود على موضوعه أو نطاقه أو إجرائه.

▪ **مرن**: يكون التقويم وطريقة البحث وعملياته قابلة للتغيير.

---

und Überblick,» in U. Flick, E. von Kardoff and I. Steinke, eds., Qualitative Forschung: Ein Handbuch = (Reinbek bei Hamburg: Rowohlt, 2000), p. 24; S. Lamnek, *Qualitative Sozialforschung*; Patton, *Qualitative Evaluation and Research Methods*; J. K. Smith, «Alternative Research Paradigms and the Problem of Criteria,» in: E. Guba, ed., *The Paradigm Dialog* (Newbury Park, Calif.: Sage, 1990); Smith, «Interpretive Inquiry: A Practical and Moral Activity,» *Theory into Practice*, vol. 31, no. 2 (1992).

▪ **تقمّصي**: يسعى إلى فهم الناس لا إلى قياسهم.

▪ **تواصلي**: يركز على التواصل الذي يعد عملية انتقائية لتوليد المعنى في السياق الاجتماعي. ويعمل البحث النوعي ضمن عملية التواصل التي يعد جزءًا منها.

▪ **ذاتي**: يقدر ذاتية الباحث والتزامه الشخصي، وهو ضد الموضوعية.

▪ **تفسيري**: يهتم بالتقويم التأملي للانطباعات التي أعيد بناؤها عن العالم.

▪ **كلي**: يركز على دراسة موضوع البحث كاملًا.

▪ **استقرائي**: ينتقل من البيانات الخاصة إلى المقولات والنظريات العامة.

▪ **محدود النطاق**: يدرس عددًا قليلًا من البشر.

يظهر التحليل الموجز لميزات البحث النوعي أنها على النقيض من ميزات البحث الكمي؛ فالبحث النوعي هو ما ليس عليه البحث الكمي، ولا يقصد منه أن يكون كذلك، وهذا ينطبق على البحث الكمي أيضًا.

5.3 نقد البحث النوعي

كما ذكرنا آنفًا، تمثل ميزات البحث النوعي جوانب قوته وفوائده التي يمتاز بها من نماذج البحث الأخرى. وعلى الرغم من ذلك، هناك جوانب ضعف في البحث النوعي تتمثل بالانتقادات الآتية[31]:

▪ **الفاعلية**: لا يستطيع البحث النوعي دراسة العلاقات بين متغيرات بدرجة من الدقة تكفي لبناء اتجاهات اجتماعية أو لتوجيه السياسات الاجتماعية.

▪ **التمثيل**: يرتكز البحث النوعي على عينات صغيرة، ولا يخرج بنتائج تمثيلية.

---

(31) Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit*; Benini, *Construction of Knowledge*.

▪ **القابلية للتعميم**: بما أن الدراسات النوعية غير تمثيلية، فإن نتائجها غير قابلة للتعميم.

▪ **الموضوعية**: لا يضمن منهج البحث النوعي الموضوعية، ولذلك تكون النتائج غير مؤكدة.

▪ **الصدق والثبات**: إجراءات البحث وبناه لا تضمن صدق طرائق البحث وثباتها.

▪ **التفسيرات**: ليست هناك طريقة تضمن سلامة فهم الباحث للمعاني والتفسيرات الحقيقية لأفراد الدراسة.

▪ **القابلية للمقارنة**: لا تنتج الدراسات النوعية بيانات تسمح بمقارنتها ببيانات أخرى.

▪ **إعادة التطبيق**: إن طبيعة هذا المنهج الذاتية والفردية لا تسمح بإعادة تطبيقها.

▪ **الأخلاق**: إن طبيعة البحث التي تتطلب التواصل مع المبحوثين عن قرب قد تؤدي إلى مشكلات أخلاقية.

▪ **جودة البيانات**: إن طبيعة طريقة جمع البيانات تؤدي إلى إنتاج كمية هائلة من المعلومات غير المفيدة.

▪ **غياب الإجراءات البحثية الصارمة**: عدم وجود إجراءات بحثية صارمة، والدرجة العالية من الذاتية والنسبية، تعطي الانطباع بأن كل شيء مقبول وجائز في هذا البحث.

▪ **الوقت**: يتطلب البحث النوعي وقتًا طويلًا.

▪ **التكلفة**: يعد البحث النوعي نسبيًا مكلفًا جدًا.

الإطار 13.2

طبيعة البحث الكمي والبحث النوعي

البحث الكمي.	البحث النوعي
يفصل الباحثين عن الواقع.	يضع الباحثين بالقرب من الواقع.
يدرس الواقع من الخارج.	يدرس الواقع من الداخل.
يستخدم طرائق مغلقة لجمع البيانات.	يستخدم طرائق مفتوحة لجمع البيانات.
يستخدم تصميم بحث ثابتًا.	يستخدم تصميم بحث مرنًا.
يلتقط صورة ساكنة للعالم.	يلتقط العالم في حالة من التفاعل.
يستخدم طرائق علمية/ إحصائية.	يستخدم طرائق طبيعية.
يحلل البيانات بعد جمعها فحسب.	يحلل البيانات في أثناء الجمع وبعده.
يختار طرائق البحث قبل الدراسة.	يختار طرائق البحث قبل/ في أثناء الدراسة.
ينتج بيانات كمية مفيدة.	ينتج بيانات نوعية مفيدة.[32]

يمكن الرد على هذه الانتقادات بما يلي:

(1) هذه النقاط خاصة بطبيعة هذا النوع من البحث ويجب اعتبارها في سياقها نقاط قوة لا نقاط ضعف.

(2) كثير من الأوجه التي تضمنتها الانتقادات (التمثيل، الصدق، الثبات) هي مفاهيم مختلفة وليست أدنى مستوى من مثيلاتها في مناهج بحث أخرى. على سبيل المثال، يسعى البحث النوعي إلى مراعاة الصدق والثبات لكن بطريقة تختلف (وليست أدنى) عن المفاهيم نفسها في البحث الكمي (انظر الفصل الرابع).

رابعًا: مقارنة بين البحث الكمي والبحث النوعي

1.4 الفروق الرئيسة بين المنهجين

توضح المناقشة السابقة أن منهجي البحث الكمي والبحث النوعي يرتكزان على افتراضات مختلفة في شأن العالم ويستخدمان مقاربات مختلفة في دراسة

(32) U. Flick et al., *Handbuch Qualitative Sozialforschung* (Munich: Psychologie Verlags Union, 1991); Lamnek, *Qualitative Sozialforschung*; Miles and Huberman, *Qualitative Data Analysis.*

الواقع الاجتماعي. فهما منهجان مختلفان يدرسان جوانب مختلفة من الواقع ويقدم كل منهما انطباعات مشروعة عن موضوع الدراسة (انظر الإطار 13.2). ويوضح الجدول 4.2 الفروق بين المنهجين بالتفصيل.

الجدول 4.2

الفروق المُدركة بين منهجي البحث الكمي والبحث النوعي

وجه الخلاف	المنهج الكمي	المنهج النوعي
طبيعة الواقع	انطباعات حسيّة موضوعية، بسيطة، مفردة، ملموسة.	بناء اجتماعي، ذاتي، إشكالي، كلي.
الأسباب والنتائج	تفكير مُقَنَّن، روابط بين السبب والنتيجة.	غير حتمي، تشكيل مشترك، لا روابط بين السبب والنتيجة.
دور القيم	بحث حيادي، خلو من أحكام القيمة.	معياري، مرتبط بالقيم.
العلوم الطبيعية والاجتماعية	استدلالي، أنموذج للعلوم الطبيعية، مقنًّن، يرتكز على قواعد صارمة.	استقرائي، يرفض أنموذج العلوم الطبيعية، رمزي، لا توجد قواعد صارمة، بل تفسيرات.
طرائق البحث	كمية، حسابية، استخدام كثيف للإحصاء.	نوعية، تركيز أقل على الإحصاء، تحليل شفوي ونوعي.
دور الباحث	سلبي، بعيد من الموضوع: ازدواجية.	فاعل، متكافئ، الطرفان متفاعلان ولا ينفصلان.
التعميم	تعميمات استقرائية، بيانات مُقَنَّنَة.	تعميمات مفهومية أو تحليلية، يرتبط بزمان وسياق محددين.

2.4 انسجام أم تنافر منهجي؟

فُسِّرَت هذه الفروق بطرائق مختلفة ولم تؤثر في القيمة المدركة للمنهجين فحسب، بل في مدى أهميتهما وقابليتهما للتطبيق أيضًا. والقضية المهمة هنا تكمن في ما إذا كان هذان المنهجان متنافرين، أم منسجمين يمكن استخدامهما

معًا للإجابة عن أسئلة البحث الواحد نفسه. وفي ما يلي إجابات عن هذه التساؤلات[33].

1. **التنوع وعدم الانسجام**: من المواقف الواضحة في شأن العلاقة بين المنهج الكمي والمنهج النوعي هو أنهما ليسا مختلفين فحسب بل أيضًا غير منسجمين. تُعَدُّ مناهج البحث انعكاسات لإدراك الواقع واكتساب المعرفة، لذلك فالمنهجان الكمي والنوعي مختلفان اختلاف المبادئ الأنطولوجية والإبيستمولوجية التي توجه كليهما. وثمة من يُجادل بأنه ينبغي عدم محاولة التبديل بينهما أو بين إجراءاتهما، فإما أن نقبل وجود المقتضيات الأنطولوجية والإبيستمولوجية وقيمتها ونحترمها، التي تولد الحاجة إلى منهجيات، ونقرّ بهما وبخصوصياتهما، أو نرفضهما، ونهمل تاليًا المنهجيات. عُرِضَ التنافر بين هذين المنهجين الأساسيين في سياقات متعددة، ولا سيما في الانتقادات المتبادلة بين أتباع المنهجين، حيث يحاول كل فريق إحباط منهج الآخر واعتباره غير فاعل وأدنى مستوى.

2. **التنوع مع الانسجام**: هناك موقف آخر في شأن العلاقة بين المنهج الكمي والمنهج النوعي يتمثل بعدم وجود صعوبات، من حيث المبدأ، في استخدام الأنموذجين في المشروع نفسه. ويدرك الباحثون الذين يؤمنون بهذه الفكرة وجود خلافات بين المنهجين، لكنهم يدركون أيضًا إمكان الانسجام والتوافق بينهما، الأمر الذي يقبلونه ويثمنونه، كما هو الحال في تثليث الأنموذج الإرشادي أو استخدام أكثر من طريقتي بحث في الدراسة نفسها. والسؤال الذي يطرح هنا لا يتعلق بإمكان استخدام المنهجين معًا لتحقيق الهدف نفسه في السياق نفسه، بل يتعلق بكيفية تحقيق التكامل بين المنهجين وإلى أي مدى يمكن ذلك. من الناحية العملية، يمكن أن يتحقق هذا التكامل بأشكال مختلفة[34]، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

---

(33) M. Hammersley, «The Relationship between Qualitative and Quantitative Research: Paradigm Loyalty versus Methodological Eclecticism?,» in: J. T. E. Richardson, ed., *Handbook of Research Methods for Psychology and the Social Sciences* (Leicester: BPS Books, 1996); D. L. Morgan, «Practical Strategies for Combining Qualitative and Quantitative Methods,» *Qualitative Health Research*, no. 8 (1998).

(34) Hammersley, «The Relationship between Qualitative and Quantitative Research.»

أ. **التثليث المتعاقب للأنموذج الإرشادي**: وهذا يعني إمكان استخدام المنهج النوعي والمنهج الكمي معًا وعلى التوالي في الدراسة نفسها؛ على سبيل المثال، يُستخدم المنهج النوعي أولًا ثم يتبعه استخدام المنهج الكمي أو بالعكس. وهذا هو الأكثر شيوعًا بين استخدامات المنهجين معًا، ومن أقدمها، حتى عندما كان الباحثون يدركون أهمية المنهج كما يدركونه الآن. وهذا هو الحال، مثلًا، عندما يُجري الباحث دراسة نوعية أولية لتحديد معايير معينة (تعريفات، فرضيات، مؤشرات... إلخ) تلزم لإجراء الدراسة الكمية. وبالمثل، قد يُجري الباحثون دراسة كمية لتحديد السياق السكاني و/ أو الاجتماعي الذي ستجرى فيه الدراسة النوعية بعمق. ويتمثل ذلك في الدراسة التي أجراها مؤلف هذا الكتاب (1987)، والتي اشتملت على خطوتين لدراسة التقدم في السن. ومُسِحت فيها عينة كبيرة من المتقدمين في السن لتحصيل معلومات ديموغرافية وكمية عن حياة أفراد العينة. بعد ذلك أخضِع بعض أفراد العينة لدراسة نوعية معمقة للتأكد من خبراتهم الشخصية ومعانيها وتفسيراتها.

ب. **التثليث المتزامن للأنموذج الإرشادي**: في هذه الحالة، يُستخدم أنموذجا البحث معًا لدراسة الظاهرة نفسها. في بعض الحالات يُركَّز على طريقة بدرجة أكبر من الأخرى، وتعطى أحيانًا كل طريقة بحث درجة متكافئة من الأهمية. وهذا الأنموذج ممكن من الناحيتين النظرية والفنية كما في الأنموذج السابق. ومن الأمثلة على هذا الخيار عندما يدرس باحث آثار البطالة باستخدام (1) استبيانات معيارية توزع على العاطلين عن العمل، (2) النظرية المؤسَّسة، والتركيز هنا لا يكون على الطرائق المستخدمة في مشروع البحث بل على السياق المنهجي الذي يوجّه تنفيذ هذه الطرائق. فمن الواضح أن هاتين المقاربتين تعالجان جانبين مختلفين من مشكلة البطالة. في أي حال، فإن هذين الجانبين على الدرجة نفسها من الأهمية، وتكون النتائج مكملة بعضها لبعض حيث تؤدي إلى صورة أكمل وأكثر دينامية لآثار البطالة.

ج. **التحول من منهج إلى آخر خطوة خطوة**: هنا تُحوَّل البيانات تدريجًا من النوعية إلى الكمية ثم تصنف وتعطى أرقامًا موحدة لتُكمّم وتُحلّل نوعيًا. ومثال

ذلك الدراسة التي تستخدم الملاحظة غير المبنيّة التي تولد بيانات موجزة عن الموضوعات نفسها من كل فرد من أفراد الدراسة، وفيها يقرر الباحث بعد إكمال الدراسة تكميم الإجابات وتحليل البيانات باستخدام المنهج الكمي. وتحويل البيانات من الشكل النوعي إلى الشكل الكمي يغير منهج الدراسة من النوعي إلى الكمي. وكما ذكرنا سابقًا فإن استخدام التكميم وحده لا يغير منهج البحث. وكي يكون التحول فاعلًا لا بد من تغيير السياق المنهجي كاملًا.

3. **الخيار الأفضل**: كما لاحظنا سابقًا، فإن الجدل في شأن المنهجية يتجاوز التنوع والانسجام؛ إذ يثار جدل ساخن في شأن فاعلية كل طريقة، ما يؤدي في النهاية إلى الثناء على منهجية وإدانة الأخرى. وينتقد كثير من الباحثين المناصرين للحركة النسوية المنهجية الكمية ويرفضونها. كما أن مؤيدي المنهج النوعي يعتبرونها غير كافية. أما أتباع المنهج الكمي فهم يعتبرون المنهجين خيارين ممكنين للبحث. ويبدو أن هذا الجدل الذي سيطر على البحث الاجتماعي طوال السنوات الخمس والعشرين الماضية يتضاءل وتقل حدته، خصوصًا بعد ظهور الباحثين الذين يعتقدون أن طريقتي البحث مشروعتان وعلى الدرجة نفسها من الكفاءة.

لا توحي الفروق بين المنهجين بفروق في الجودة بل هي اختلافات في طبيعة المنهج وغرضه. لذلك فإن الانتقادات والنزاعات في شأن قيمة كل منهج، كالتي ذكرت سابقًا، لا ترتكز على أسس منطقية. وهذا الجدل يشبه الادعاء أن السفن ليست وسائل نقل فاعلة لأنها لا تطير وأن الطائرات ليست كذلك أيضًا لأنها لا تستطيع أن تمخر عباب البحر. والحقيقة هي أن لكل منهج ميزاته التي تجعله ملائمًا لدراسة جوانب معينة من الواقع لا يستطيع المنهج الآخر دراستها بالكفاءة نفسها. لذلك فإن كل منهج مفيد وفاعل في سياقه[35].

---

(35) U. Kelle and C. Erzberger, «Integration qualitativer und quantitativer Methoden: Methodologische Modelle und ihre Bedeutung für die Forschungspraxis,» *Kölner Zeitschrift für Soziologie und Sozialpsychologie*, vol. 51 (1999); «Qualitative und Quantitative Methoden: kein Gegensatz,» in: U. Flick, E. von Kardorff and I. Steinke, eds., *Qualitative Forschung: Ein Handbuch* (Reinbek bei Hamburg: Rowohlt, 2000).

يظهر التقدير لمميزات كل منهج في كتابات كثير من الكتّاب الذين يؤيدون التكامل بين المنهجين في سيرورة البحث[36]. كما يظهر الاعتراف بالتكامل بين المنهجين في الاستخدام المتكرر للتثليث المنهجي، الأمر الشائع تمامًا في البحث الاجتماعي. وفي هذا الإطار، يستخدم الباحثون الكميون، كما رأينا سابقًا، المنهج النوعي جنبًا إلى جنب مع المنهج الكمي بشكل متزامن أو متعاقب، ووجد الباحثون في هذه الممارسة جدوى كبيرة[37].

أخيرًا، يؤكد بناء البحث النوعي، حيث يتضمن عناصر من المنهج الكمي (كما في التجريبية النسوية)، أن التنوع هو أحد جوانب القوة لا الضعف. والمنهجان الكمي والنوعي أداتا بحث مشروعتان ومفيدتان ومن الأدوات المفيدة في عمل العلماء الاجتماعيين ولكل منهما هدفه الخاص به. كل طريقة تكمل الأخرى، والطريقتان معًا ترسمان صورة متعددة الأبعاد للعالم[38].

خامسًا: الطرائق الكمية والنوعية

تسعى **الطرائق الكمية** في البحث إلى توثيق خصائص الموضوع من حيث الكمية والمدى أو القوة وضمان الموضوعية والدقة والصدق والثبات وغيرها. تهدف هذه المناهج إلى قياس المتغيرات وإنتاج أرقام تمكننا من إصدار أحكام في شأن حالة المتغيرات المدروسة، وهذا بدوره يسمح بمزيد من المعالجة والمقارنات كما يسمح بتكرار الدراسة أيضًا.

من أكثر هذه الطرائق شيوعًا المسوح والوثائق والملاحظة والتجريب. وفي كثير من الحالات يستخدم الباحثون الكميون في دراساتهم طرائق نوعية معدلة، حيث تلبي معايير البحث الكمي.

---

(36) A. Bryman, «The Debate about Quantitative and Qualitative Research: A Question of Method or Epistemology?,» *British Journal of Sociology*, vol. 35 (1984); *Quantity and Quality in Social Research* (London: Unwin Hyman, 1988); M. Küchler, T. P. Wilson and D. H. Zimmerman, eds., *Integration von qualitativen und quantitativen Forschungsansätzen* (Manheim: ZUMA-Arbeitsbericht 81/19, 1981).

(37) Kelle and Erzberger, «Integration qualitativer unci quantitativer Methoden»; «Qualitative und quantitative Methoden.»

(38) J. Sprague and M. K. Zimmerman, «Quality and Quantity: Reconstructing Feminist Methodology,» *American Sociologist*, vol. 20 (1989), p. 82.

أما الطرائق النوعية بشكل عام فهي فريدة وتتميز بمعايير معينة، على الرغم من التنوع في الأنموذج الإرشادي النوعي والدعوة الواضحة إلى استخدام طرائق متنوعة(39). ومن أهم معايير الطرائق النوعية: عدم احتوائها بنية صارمة، ووجود تصاميم غير مخطط لها جيدًا تهدف إلى دراسة الواقع كما هو فعليًا، واستخدام اللغة التعبيرية، وجمع التوصيفات الكثيفة، وعرض البيانات في عبارات وصور، والاتصال بأفراد الدراسة من قرب، والحساسية للسياق.

بشكل عام، يستخدم البحث النوعي تصاميم وطرائق «معيارية» وإجراءات إسقاطية(40). مع ذلك، فإن الطرائق التي يستخدمها الباحثون النوعيون هي، في معظم الحالات، الطرائق نفسها التي يستخدمها الباحثون الكميون، لكنها تُعَدَّل لتلبي متطلبات معاييرهم المنهجية. على سبيل المثال، بينما يستخدم المنهجان المقابلات، يستخدم الباحثون الكميون أسلوب المقابلة المنظمة، في حين يستخدم الباحثون النوعيون المقابلات المكثفة. وبينما يستخدم الباحثون الكميون الملاحظة المبنيّة، يستخدم الباحثون النوعيون الملاحظة بالمشاركة.

التثليث المنهجي: كما لاحظنا سابقًا، يستخدم الباحثون في المنهجين كلتا الطريقتين، وفقًا لمتطلبات البحث، لدراسة حاجات البحث سواء أكانت عامة أم محددة (وذلك لتسهيل الدراسة وإثرائها ورفع مستواها). ولكل مجموعة من الطرائق سمات تُحتَرم داخل أنموذجها الإرشادي نفسه وخارجه أيضًا.

سادسًا: البحث النقدي

دار نقاش طويل حول مكانة البحث النقدي لتحديد ما إذا كانت هناك منهجية نقدية يمكنها أن تجعل من هذا البحث شكلًا مستقلًا من الاستقصاء. وكما سنرى لاحقًا، فإن هذه المسألة لم تحسم بعد، لكن معظم الباحثين في هذا الموضوع يعارضون هذه الفكرة.

---

(39) B. F. Crabtree and W. L. Miller, *Doing Qualitative Research* (Newbury Park, Calif.: Sage, 1992); Flick et al., *Handbuch Qualitative Sozialforschung*; Flick, Kardorff and Steinke, Was Ist qualitative Forschung»; Lamnek, *Qualitative Sozialforschung*.

(40) A. Spitznagel, «Projective Verfahren,» in: Flick et al., eds., *Handbuch Qualitative Sozialforschung* (Munich: Psychologie Verlags Union, 1991).

يرى الباحث النقدي العالم منقسمًا وفي حالة مستمرة من التوتر، ويسيطر عليه الأقوياء الذين يضطهدون الناس ويستغلون الدولة ومؤسساتها لتحقيق مقاصدهم. على سبيل المثال، يرى الماركسيون الدولة امتدادًا للرأسمالية، حيث تعمل الدولة ووسائل الإعلام والعلوم ومؤسسات البحوث وغيرها على اضطهاد البشر وغسل أدمغتهم ليتقبلوا الظلم والاضطهاد ويعتبروه أمرًا مسلّمًا به، أو ليتقبلوا أن فكرة التغيير مستحيلة أو مكلفة. وبذلك يعملون لمصلحة الأقوياء.

يقوم العلم الاجتماعي النقدي بـ «تفسير النظام الاجتماعي على نحوٍ يصبح فيها المحفز لتغيير النظام الاجتماعي»[41]؛ فهو يفسر الواقع الاجتماعي وينتقده ويمكّن الناس من إطاحته[42]. وقد تكون طرائق البحث المستخدمة في هذا السياق كمية أو نوعية أو كلتيهما معًا. وفي أيّ حال، يسترشد الباحثون بالنماذج الإرشادية النقدية التي ترشدهم إلى اختيار الطرائق التي يستخدمونها وإلى الإفادة من نتائجهم لتحرير البشر والتأثير في السياسات الاجتماعية.

باختصار، ينظر العلم النقدي إلى البحث الاجتماعي باعتباره وسيلة لإزالة الأفكار والمعتقدات الخاطئة في شأن المجتمع والواقع الاجتماعي، ويعتبر البشر مبدعين ورحماء، كما ينتقد أنظمة السلطة وبنى عدم المساواة التي تحكم البشر وتضطهدهم. ولا ندري هل سيكون هذا العلم نافعًا أم أنه سيصبح أداة أخرى للتحكم بالبشر ووضعهم تحت سيطرة أصحاب القوة والسلطة[43].

مع ذلك، ينظر معظم الكتاب إلى هذا الموضوع كما يلي:

(1) البحث النقدي متنوع جدًا في بنائه النظري، وهذا يجعل وضع جميع النماذج تحت مظلة معرفية واحدة ومنهجية واحدة أمرًا شاقًا.

(41) B. Fay, *Critical Social Science: Liberation and its Limits* (Ithaca, N.Y.: Cornell University Press, 1987), p. 27.

(42) Ibid., p. 23.

(43) T. May, *Social Research: Issues, Methods and Process* (Buckingham, UK: Open University Press, 2001).

(2) يندرج معظم إجراءات البحث النقدي في إطار معايير المنهج الكمي والمنهج النوعي، لذلك ليست هناك حاجة إلى إيجاد منهج منفصل لمثل هؤلاء الباحثين.

(3) يكمن العنصر النقدي في هذا القالب البحثي، في معظم الحالات، في كيفية التعامل مع نتائج البحث لا في طريقة اكتساب المعرفة.

(4) أخيرًا، لا يقتصر التحليل النقدي للنتائج والتدخل الشخصي للتأكد من تنفيذ النتائج على الباحثين النقديين وحدهم، فبإمكان الباحثين الكميين والنوعيين وغيرهم أن يكونوا «نقديين» أيضًا.

نقاط أساسية

▪ من الضروري التمييز بين المنظورات والنماذج الإرشادية والمنهجيات والطرائق.

▪ المنهجية: قالب يحدد المبادئ النظرية والأطر التي توضح كيفية إجراء البحث.

▪ الطريقة: أداة يستخدمها الباحثون لجمع البيانات.

▪ من أهم المناهج في العلوم الاجتماعية المنهج الكمي والمنهج النوعي.

▪ تختلف المنهجيات اختلافًا جذريًا بعضها عن بعض، إلا أنها ليست متنافرة لأنها تستعمل الطرائق نفسها أو طرائق متشابهة في ما بينها.

▪ يتخذ المنهج الكمي موقفًا موضوعيًا محايدًا وعلميًا صارمًا، ويستخدم منظورًا يشبه ما تستخدمه العلوم الطبيعية.

▪ وُجهت انتقادات إلى المنهج الكمي بخصوص كيفية إدراكه الواقع والبشر والبحث والطرائق التي يستخدمها والسياسة التي يؤيدها والعلاقة بين الباحث والمبحوث.

▪ يتبنى المنهج النوعي إدراكًا ذاتيًا للواقع ويستخدم طريقة بحث طبيعية. وأهم مبادئه: الانفتاح والطبيعة السياقية للبحث وموضوعه والعلاقة الانعكاسية بين الموضوع والتحليل والتفسير والمرونة.

▪ وُجهت انتقادات إلى المنهج النوعي لكونه لا يستطيع تلبية متطلبات الموثوقية والتمثيل والقابلية للتعميم والموضوعية والفصل بين الباحث وموضوع البحث والأخلاق وقيمة البيانات المجموعة.

▪ المنهج الكمي والمنهج النوعي متكافئان وصالحان كلٌّ في سياقه ويكمل أحدهما الآخر وليسا متنافرين.

إلى أين؟

قبل أن تترك هذا الفصل، لا بد لك من أن تزور الموقع المرافق للطبعة الثالثة من كتاب **البحث الاجتماعي**: http://www.palgrave.com/sociology/sarantakos لتراجع المفاهيم الأساسية في هذا الفصل وتختبر نفسك في القضايا الرئيسة التي ناقشناها.

قراءات إضافية

Books

Clough, P. and C. Nutbown. *A Student's Guide to Methodology*. London: Sage, 2002.

Greene, J. C. and V. J. Caracelli, (eds.). *Advances in Mixed-Method Evaluation: The Challenges and Benefits of Integrating Diverse Paradigms*. San Francisco: Jossey Bass, 1997.

Harreé, R. *The Philosophies of Science*. Oxford: Oxford University Press, 1972.

Hughes, J. A. *The Philosophy of Social Research*. Harlow: Longman, 1990.

Ramazanoglou, G. *Feminist Methodology: Challenges and Choices*. London: Sage, 2002.

Rescher, N. *Rationalität, Wissenschaft und Praxis*. Würzburg: Königshausen & Neuman, 2002.

Seale, C. *The Quality of Qualitative Research*. London: Sage, 1999.

Smith. M. J. *Social Science in Question*. London: Sage. 1998.

Tashakkori, A. and C. Teddlie. *Mixed Methodology: Combining Qualitative and Quantitative Approaches*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1998.

Periodical

Morgan, D. L. «Practical Strategies for Combining Qualitative and Quantitative Methods.» *Qualitative Health Research*: vol. 8, 1998.

الفصل الثالث

البحث النسوي

هذا الفصل

- يبحث في طبيعة البحث النسوي وأهدافه.
- يناقش بإيجاز الأسس النظرية الأساسية لهذا النوع من البحوث.
- يوضح المواقع البحثية الرئيسة فيه.
- يناقش الموقع الإبيستمولوجي والأنطولوجي لهذا البحث.

العناوين الرئيسة

مقدمة

1. طبيعة البحث النسوي
2. مبادئ البحث النسوي
3. مواقع البحث النسوي
4. طرائق البحث النسوي
5. النقد النسوي للبحث التقليدي
6. هل هناك إبيستمولوجيا نسوية؟
7. هل هناك منهجية نسوية؟

نقاط أساسية

إلى أين؟

قراءات إضافية

مقدمة

برز البحث النسوي ليصبح قالب بحث مشروعًا ومهمًّا ومعروفًا، كما أن جودته وصدق نتائجه لا يطالهما الجدل والخلاف. وأنتج هذا البحث، عبر السنين، مخرجات مهمة قدمت إرشادات لسياسات ذات أهمية كبيرة في المجتمعات الحديثة[1]. أمّا مجاله فواسع ومتنوّع، وكذلك مبادئه المنهجية.

يعد البحث النسوي نوعًا من الاستقصاء يستحقّ ذكره في هذا الكتاب، لا بسبب طبيعة الطرائق التي يستخدمها أو المخرجات التي ينتجها فحسب، بل أيضًا بسبب كيفية استخدامه الطرائق التقليدية، والميادين التي يركز عليها، وكيفية استغلاله نتائجه. وبذلك يكون البحث النسوي من أنواع الاستقصاء التي تسعى إلى التحرير. ويعني ذلك أنه لا يوثق بعض جوانب الواقع فحسب، بل يتخذ موقفًا شخصيًا وسياسيًا وفاعلًا تجاه العالم.

سنتطرق في هذا الفصل إلى الأسس النظرية لهذا القالب البحثي ومجاله وطبيعته وتنوعه والسمات التي تميزه من غيره من أنواع البحوث ومكانته الإبيستمولوجية والمنهجية. وسنبدأ بعرض موجز لأسس البحث النسوي.

أولًا: طبيعة البحث النسوي

إن الأسس التي يرتكز عليها البحث النسوي هي ذاتها التي ترتكز عليها النظرية النقدية، لذلك فهو قالب بحثي نقدي وتحريري، يتعامل مع الواقع والعلم والبحث ضمن هذا السياق. باختصار، يدرس البحث النسوي الأوضاع الاجتماعية

(1) H. Roberts, Doing Feminist Research (London: Routledge and Kegan Paul, 1981).

للمرأة في مجتمع بطريركي يسوده الرجال ويمارس التمييز على أساس الجنس[2]، ويوضح للناس الممارسات التمييزية الجنسية التي يعتبرها هؤلاء أمورًا مسلّمًا بها. كما يوضح البحث النسوي ما تبديه الحكومات والممارسات الاجتماعية (بما فيها المنشورات) من عمى جندري يُقصي النساء ويتجاهلهن ويُخمد أصواتهن، ما يؤدي إلى إيجاد نظام اجتماعي غير متكافئ يمارس التمييز ضد النساء ويستعبدهن لقرون طويلة.

لذلك فمحور البحث الذي يربط بين جميع فروع البحث النسوي هو الالتزام القوي لتغيير مكانة المرأة في المجتمعات الحديثة، ودراسة أوضاع النساء واستخدام باحثات من النساء؛ فالبحث النسوي هو بحث عن المرأة تقوم به المرأة لأجل المرأة. باختصار، يوضح لنا الإطار 1.3 النزعة التحريرية للبحث النسوي.

لا بد لنا من التأكيد أيضًا أن البحث النسوي يرتكز على افتراض أن العالم بناء اجتماعي، يبدي كرها نسبيًا للمنهجية الوضعية التجريبية ويرفض طبيعة البحث الحيادية[3]. ويستخدم البحث النسوي منهجية نوعية و/ أو كمية على الرغم من أن الباحثين يقومون بتكييف المنهج الكمي ليفي بمتطلبات الأنموذج الإرشادي النسوي.

علاوة على النزعة التحريرية للبحث النسوي، فهو قالب توجهه منهجيات سليمة ويتوصل إلى نتائج بحثية ذات درجة عالية من الجودة. يُعزى ذلك إلى استخدام عدد من النماذج الإرشادية النظرية، وعدد من الإجراءات والطرائق المعدلة حيث تتفق ومبادئ البحث النسوي. وسنذكر في ما يلي وبإيجاز المعايير الرئيسة للبحث النسوي.

---

(2) L. Stanley and S. Wise, *Feminist Consciousness and Feminist Research* (London: Routledge and Kegan Paul, 1983), p. 12.

(3) B. D. Haig, «Feminist Research Methodology,» in: J. P. Keeves, ed., *Educational Research, Methodology, and Measurement: An International Handbook* (Oxford: Elsevier, 1997); P. D. Punch, *Developing Effective Research Proposals* (London: Sage, 2000).

الإطار 1.3

البحث النسوي: طلَب الانعتاق والتغيير

البحث النسوي...

- **يفترض أن:**
- القوي يسيطر على الحياة الاجتماعية وعلى الأيديولوجيا.
- القوي (الرجل) هو الذي يسيطر على البحث على حساب المرأة.
- الرجال والنساء يختلفون في إدراكهم الحياة بسبب اختلاف مكانتهم الاجتماعية.
- **ويستخدم:**
- طرائق وإجراءات مفعمة بالقيم تقرّب الباحث من الموضوع.
- مبادئ ذاتية في البحث، تشجع على التحيز لقضية المرأة والالتزام الشخصي بها.
- موقفًا سياسيًا تجاه موضوعات البحث وإجراءاته.
- **ويهدف إلى:**
- كشف البنى والأوضاع التي تساهم في الوضع الراهن.
- تنوير المجتمع بالعوامل التي تولّد هذه الظاهرة واقتراح وسائل لحلّ هذه المشكلة.
- تمكين المرأة وتشجيعها على التحدث عن الحياة الاجتماعية من منظورها.
- المساهمة، في النهاية، في التغيير الاجتماعي وإعادة بناء المجتمع.

ثانيًا: مبادئ البحث النسوي

من الأمور المسلّم بها في الأغلب أن البحث النسوي يتبنى موقفًا مغايرًا لمنهج البحث الكمي، لذلك فهو يتجنب جميع معايير هذا المنهج ومبادئه. ويُعتقد في العادة أن النسويين لا يهتمون بالقياس والصدق والموضوعية والثبات، والتمثيل والتعميم. وعلى الرغم من أن بعض النسويين لا يهتم بهذه الأمور بالفعل، فإن هذا الافتراض غير صحيح في معظم الحالات.

يقبل الباحثون النسويون الذين يتبعون الأنموذج التفسيري/ البنائي هذه المبادئ ويؤكدون أهمية الصدق والموضوعية والثبات وغيرها من المعايير البحثية. وسنرى لاحقًا عندما نناقش هذه المبادئ أن باحثي كلا المنهجين الكمي والنوعي يلتزمون معظم مبادئ البحث بطريقتهم الخاصة؛ فهم قد لا يحددون الأوضاع التي يطبقون فيها هذه المبادئ، لكنهم يقيمونها عاليًا في سياقاتها الخاصة.

البحث النسوي

- بحث سياقي شامل يقوم على الخبرات، منخرط ومهم اجتماعيًا وكامل لكنه ليس بالضرورة قابلًا لإعادة التطبيق، وهو منفتح على البيئة ويشتمل على الانفعالات والحوادث كما تُعَاش[4].

- يتضمن نقدًا مستمرًا للبحوث غير النسوية، وتوجهه النظرية النسوية، وقد يكون عابرًا الفروع المعرفية، ويهدف إلى التغيير الاجتماعي، ويسعى جاهدًا إلى تمثيل التنوع البشري، وينظر إلى الباحث بصفته شخصًا، وكثيرًا ما يحاول إقامة علاقات خاصة بين الباحث والمبحوث، وفي الأغلب ما يقيم علاقة خاصة مع القارئ[5].

- يضع الجندر في مركز البحث الاجتماعي، حيث يمثل إبراز دور النساء وتمثيل وجهات نظرهن جانبًا أساسيًا من المنظور النقدي النسوي[6].

- يركز على خبرات المرأة التي تعتبر مؤشرًا مهمًا على الواقع[7] ويوفر درجة أعلى من الصدق. وبشكل عام، يشتمل البحث النسوي في المقام الأول على تطور تاريخ المرأة عبر إعادة صوغ هذا التاريخ ليأخذ أدوار المرأة في الاعتبار ويعيد بناءه من منظور مشاغل النساء بدلًا من منظور الرجال، أو بكتابة تاريخ ميادين خبرات المرأة[8].

- يكشف التشوّه الذي اعترى خبرات المرأة.

- يعتبر الجندر نواة تصورات المرأة وحياتها، والمسؤول عن تشكيل وعيها ومهاراتها ومؤسساتها وتوزيع السلطة والامتيازات.

- يركز على البناء الاجتماعي للمعرفة.

---

(4) J. M. Nielsen, ed., *Feminist Research Methods: Exemplary Readings in the Social Sciences* (London: Westview, 1990), p. 6; S. Reinharz, «Experiential Analysis: A Contribution to Feminist Research,» in: G. Bowles and R. Diilli-Klein, eds., *Theories of Women's Studies* (Boston: Routledge and Kegan Paul, 1983).

(5) S. Reinharz, *Feminist Methods in Social Research* (New York: Oxford University Press, 1992).

(6) L. Harvey, *Critical Social Research* (London: Unwin Hyman, 1990), p. 154.

(7) S. Harding, ed., *Feminism and Methodology* (Bloomington: Indiana University Press, 1987).

(8) Harvey, *Critical Social Research*, p. 154.

▪ يزخر بالقيم من الناحية السياسية كما أنه نقدي، لذلك فهو ليس منهجيًا لكنه جدلي على نحو واضح. وهذا يعني أنه عملية خلّاقة وإبداعية تتعامل مع الأنظمة الاجتماعية الظالمة(9).

▪ لا يقتصر على كونه عن النساء، بل هو للنساء بشكل رئيس، ويتخذ موقفًا تحريريًا.

▪ توجهه مناهض للوضعية.

▪ يستخدم منهجيات ونماذج إرشادية عدة.

▪ يشتمل على طرائق تُستعمل في مشروعات البحوث التي يجريها الباحثون وأنصار الحركة النسوية في الميدان النسوي، وفي البحوث المنشورة في الدوريات المتخصصة في البحوث النسوية أو في كتب من هذا النوع أيضًا، وفي البحوث التي مُنِحَت جوائز من مؤسسات تمنح جوائز للباحثين في مجال البحث النسوي(10).

هذه المبادئ ليست واضحة تمامًا ولا مقبولة لدى جميع الباحثين النسويين، ومن هذه المبادئ مبدأ الموضوعية الذي يعتبر جزءًا من هوية البحث التجريبي. وعلى الرغم من أن البحث النسوي يرفض الموضوعية، فإن هناك عددًا من الكتّاب الذين يرون أن هناك إمكانًا لتوافر الموضوعية وإن يكن على غير الطريقة الوضعية.

هناك من يزعم، على سبيل المثال، أنه على الرغم من عدم قبول مبادئ الوضعية كضبط المتغيرات في التجربة والموضوعية والحيادية، فإن ثمة أشكالًا أخرى من الموضوعية مقبولة لدى الباحثين النسويين، مثل الموضوعية الدينامية(11) التي تتضمن ارتباطًا انفعاليًا بين الباحث وموضوع البحث، والانفتاح، حيث تُكشف جميع الحقائق للمبحوثين ويُلقى الضوء على جميع طوارئ التمثيل(12)، ومثل

---

(9) Ibid., pp. 102-103.

(10) Reinharz, *Feminist Methods in Social Research*, p. 6.

(11) E. F. Keller, *Reflections on Gender and Science* (New Haven, Conn.: Yale University Press, 1985).

(12) S. Harding, *Whose Science? Whose Knowledge?: Thinking from Women's Lives* (Ithaca: Cornell University Press, 1991).

المناقشة الديمقراطية، حيث تعرض جميع المعايير على الملأ، ما يشجع التعاون بين جميع الباحثين وكذلك النقد من وجهات النظر المختلفة التي ترتكز على المساواة والتكافؤ في المرجعية الفكرية. كما تعد الممارسات المضادة للتمييز على أساس الجنس من الأمثلة المقبولة للموضوعية.

يمكن أن تدرس مبادئ البحث بطرائق عدة في سياقاتها الخاصة، كما أنها تهدف إلى تحقيق الأهداف نفسها كما في البحث الكمي.

الإطار 2.3

التجريبية النسوية

- تستخدم أنطولوجيا واقعية، وشكلًا معدلًا من الإبيستمولوجيا الموضوعية، وتهتم باختبار الفرضيات والتفسير والتنبؤ والربط بين السبب والنتيجة ومؤشرات الدقة التقليدية بما في ذلك الصدق الداخلي والخارجي[13].
- تقبل المبادئ الموضوعية في تكوين المعرفة.
- تستخدم البحث الاجتماعي التقليدي، المعدل لتجنب الانحياز والتمييز على أساس الجنس، ولتلبية المعايير النسوية.
- تستعمل طرائق كمية ونوعية.
- تقبل التجريبية قبولًا نقديًا.
- ترفض فكرة أن شخص/ هوية لا أثر له في نوعية النتائج[14].
- ترفض فكرة كفاية القواعد والمعايير التجريبية وصدقها.
- ترفض فكرة الفصل بين العلم والسياسة.
- تستخدم طرائق بحث تقليدية.
- تستخدم رطانة مابعد وضعيّة، مثل الصدق والثبات والصدقية والاستراتيجيات البحثية متعددة الطرائق[15].
- تستخدم مبادئ وقواعد العلوم الموجودة بصرامة[16].
- تنتقد ممارسة العلم أكثر من انتقادها أسسه.

---

(13) N. K. Denzin and Y. S Lincoln, «Introduction: Entering the field of qualitative research,» in N. K. Denzin and Y. S. Lincoln, eds., *Handbook of Qualitative Research* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1994), p. 101.

(14) S. Harding, *The Science Question in Feminism* (Ithaca, N.Y.: Cornell University Press, 1986), p. 162.

(15) Denzin and Lincoln, «Introduction.»

(16) Harding, *Whose Science? Whose Knowledge*?, p. 111.

ثالثًا: مواقع البحث النسوي

يظهر تنوع البحث ضمن الأنموذج الإرشادي النسوي ومدى خصائصه المذكورة سابقًا في قوالب البحث التي يتبعها بانتظام ويستخدمها ويدافع عنها الباحثون النسويون المعاصرون، ومعظمها يرتكز على أسس نوعية[17]. سنصف في ما يلي ثلاثة أمثلة تغطي ميدان البحث الاجتماعي بأكمله، من التجريبية الواقعية - الموضوعية إلى مابعد الحداثة الذاتية.

1.3 التجريبية النسوية

هذه الطبعة من الأنموذج الإرشادي النسوي تقبل ضمن قالبها البحثي المبادئ والممارسات التجريبية التي تشبه ما هو متبع في قوالب البحث الأخرى التي ترتكز على إبيستمولوجيا موضوعية، على الرغم من بعض التعديلات. وسنرى في الإطار 2.3 أهم عناصر التجريبية النسوية.

إن العناصر الأساسية في هذا النمط من البحث النسوي مشروعة وصحيحة ومقبولة جيدًا لدى الباحثين في غير هذا المجال، لكن هناك بعض الانتقادات. يدعي بعض الباحثين أن كثيرًا من مبادئ هذا النوع من البحوث النسوية يتعارض مع المعايير الأساسية للبحث النسوي التي لا يمكن تبريرها من دون تغيير طريقة التفكير النسوية المعروفة. وهناك من يعتقد، حتى بين أنصار البحث النسوي، أنه على الرغم من ضرورة هذا الابتكار البحثي ومشروعيته، فإنه لا يستطيع الاستمرار والثبات من دون نتائج تترتب عن الفلسفة النسوية بشكل عام.

2.3 زاوية النظر النسوية

من النظريات القريبة من التقليد النسوي ما يسمى نظريات المعرفة من زاوية نظر نسوية[18]. يرتكز هذا القالب البحثي على افتراض نظري بأن المرأة، بحكم خبرتها الاجتماعية والشخصية كأنثى، تتمتع بموقع أفضل من موقع الرجال

---

(17) انظر: V. Olesen, «Feminisms and Models of Qualitative Research,» in: Denzin and Lincoln, eds., *Handbook of Qualitative Research* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1994).

(18) S. Harding, «The Instability of the Analytical Categories of Feminist Theory»; A. Benini, *Construction of Knowledge* (Rome: Gnome, 2000).

لمواجهة عالم المرأة وفهمه. يتعلق هذا بسياقات عالم العمل، وتقسيم العمل، والعلاقة بين الأم وطفلها وغير ذلك.

على الرغم من توافر سياقات مختلفة ضمن هذا القالب للبحث النسوي (الطبقة الاجتماعية، الإثنية، العرق، الثقافة، التعليم وغيرها من العناصر التي تولد زوايا نظر مختلفة وتؤدي تاليًا إلى أنواع مختلفة من النسويات) ومن زوايا النظر المختلفة، هناك بعض المعايير المشتركة التي توجه البحث والنظرية في هذا السياق. ويشتمل الإطار 3.3 على أهم خصائص النماذج الإرشادية المشار إليها في الأدبيات[19].

يُعد هذا القالب البحثي والنظري وثيق الصلة بالأنموذج الإرشادي النسوي التقليدي، في الأقل من حيث موقع هذا الأنموذج بالنسبة إلى المنهج الوضعي والموضوعي وأنموذج مابعد الحداثة، وهو يرفض كليهما. وهذه هي النسوية والبحث النسوي الذي تقبله معظم النسويات، وهذا هو الانطباع لدى الباحثين غير النسويين عما يقدم باعتباره نسويةً في جميع السياقات.

الإطار 3.3

خلاصة موجزة: البحث من زاوية النظر النسوية

البحث من زاوية النظر النسوية:

- يرفض طرائق البحث التقليدية.
- يركز على المنهجيات/ الطرائق النسوية وما شابهها.
- يرتكز على الخبرة النسوية ويبني عليها.
- يضع خبرات المرأة اليومية في جوهر اهتمامات البحث.
- يستخدم طرائق نوعية نسوية.
- يتجاوز طرائق البحث التقليدية.
- يفترض تأثيرًا متبادلًا بين الباحث وعملية البحث.
- يوفر للنساء فرصة فريدة لإجراء البحوث[20].

(19) D. D. E. Smith, «Sociology from Women's Experience: A Reaffirmation,» *Sociological Theory*, vol. 10 (1992), p. 96.

(20) Harding, «The Instability of the Analytical Categories of Feminist Theory»; Smith, Ibid., p. 96.

3.3 مابعد الحداثة النسوية

تُعد حركة مابعد الحداثة النسوية تطورًا جديدًا في إطار البحث والنظرية النسوية، وكانت لهذه النظرية أصداء متعددة متناقضة داخل الميدان النسوي وخارجه[21]. يلتزم النسويون مابعد الحداثويين مبادئ فلسفية عامة لها أثر قوي في الكيفية التي ستُجرى بها البحوث؛ فهم على سبيل المثال ينظرون إلى الحقيقة بوصفها «وهمًا مدمّرًا» ويعتبرون العالم قصصًا أو نصوصًا لا نهاية لها، وكثير منها يديم تكامل القوة والظلم[22].

وصف كلٌّ من فاربر وهيغ ونيكولسون[23] مابعد الحداثة النسوية بأنها إبيستمولوجيا مناهضة للأسس وسياقية وغير ثنائية أو تعددية في التزاماتها. وهي، في الأساس، ترفض افتراضات الحداثة وأن يكون للمعرفة قاعدة أساسية، كما ترفض المزاعم التي تعطي للمعارف مدى كونيًا، واستخدام المقولات الفكرية الثنائية[24]. ويلاحظ بريشك[25] أن النسوية مابعد الحداثية: متعددة الأبعاد وتبادلية، تنتقل من شخص إلى آخر ذهابًا وإيابًا، وتركز على البنى الاجتماعية التي تمكن الذات والآخرين من التواصل رمزيًا وبين الأفراد. كما أنها تقدّر معنى الارتباط وتركز عليه وهو الذي يقر بوجود البناء المشترك للذات والآخر من خلال طرائق مختلفة للمعرفة. ومن الناحية الفلسفية، تنظر النظرية النسوية مابعد الحداثية إلى العقلانية ذاتها على أنها بناء اجتماعي رمزي.

لا ينتقد مابعد الحداثويين النسويين البحث التقليدي فحسب، بل الممارسات النسوية أيضًا، خصوصًا نظريات الجندر والبطريركية التي يعتبرونها جوهرانية[26].

---

(21) انظر على سبيل المثال: P. Lather, *Getting Smart: Feminist Research and Pedagogy with/in the Postmodern* (New York: Routledge, 1991).

(22) Benini, *Construction of Knowledge*, p. 164.

(23) W. Farber, *kunstlehre der Erklärung* (Graz: Selbstverlag, 2001); Haig, «Feminist Research Methodology,» p. 182; L. Nicholson, ed., *Feminism/Postmodernism* (New York: Routledge, 1990).

(24) Haig, Ibid.

(25) P. A. Brieschke, «Reparative Praxis: Rethinking the Catastrophe that is Social Science,» *Theory into Practice*, vol. 31, no. 2 (1992), p. 174.

(26) J. Butler, *Gender Trouble: Feminism and the Subversion of Identity* (New York and London: Routledge, 1990).

ويشيرون بالتحديد إلى الاعتقاد والممارسة النسويين اللذين يعتبران مفاهيم مثل مفهومي «المرأة» و«البطريركية» مفاهيم عالمية. وكانت النساء المثليات (السحاقيات) والنساء من غير اللون الأبيض أول من أثار هذه القضية بقوة، لكن الطبقة الاجتماعية والعرق حظيا أيضًا باهتمام مماثل في هذا الجدل.

كما ذكرنا آنفًا، وعلى الرغم من المقاربة المبتكرة التي تميز هذا النوع من البحوث، إلا أنه لم يلقَ القبول الذي لقيته أنواع البحث النسوي الأخرى؛ إذ أثار عدد كبير من الافتراضات التي طرحها في شأن البنى الاجتماعية والنساء والعلم والحقيقة والمعرفة، شكوكًا في ملاءمته الحركة النسوية والبحث النسوي والبحث الاجتماعي بشكل عام. كما أثيرت تساؤلات في شأن نظرته النسبية إلى الحياة الاجتماعية، وتجاهله مشكلات اجتماعية مهمة بالتركيز الزائد على النصوص[27].

تتبنى مابعد الحداثة النسوية المبادئ الرئيسة لمابعد الحداثة التي سنناقشها لاحقًا.

الإطار 4.3

خلاصة موجزة: عناصر مابعد الحداثة النسوية

تتسم مابعد الحداثة النسوية بأنها:

- مناهضة للأسس وسياقية وغير ثنائية أو تعددية في التزاماتها.
- تعتبر العالم قصصًا ونصوصًا لا نهاية لها، يديم أكثرها تكامل السلطة والاضطهاد.
- تنظر إلى الحقيقة بوصفها «وهمًا مدمّرًا».
- ترفض الافتراضات الإبيستمولوجية التي تطرحها الحداثة.
- ترفض أن تكون للمعرفة أسس تقوم عليها، كما ترفض المزاعم التي تعطي للمعارف مدى كونيًا.
- ترفض استخدام المقولات الفكرية الثنائية.
- تتخذ موقفًا نقديًا تجاه البحث النوعي التقليدي، وتجاه «سلطة» البحث بصورة عامة.
- تتخذ كذلك موقفًا نقديًا تجاه بعض الممارسات النسوية التي تعتبرها جوهرانية.
- تعارض الفكرة النسوية القائلة إن مفاهيم مثل النساء والبطريركية هي مفاهيم كونية.

---

(27) Farber, *kunstlehre der Erklärung*.

4.3 منطلقات مشتركة

على الرغم من التنوع في المنهجية والنظرية النسوية، هناك كثير من المبادئ والمعايير المشتركة بين الباحثين النسويين يظهر في بحوثهم من حيث النظرية والممارسة، ومن هذه المبادئ:

- أنّ النساء مهمشات.
- أنّ سيطرة الذكور تتعزّز على الرغم من السياسات والتطمينات والوعود السياسية.
- أنّ الذكور والإناث يُنْظَر إليهم على أنهم مختلفون من الناحيتين الجسدية والانفعالية، مع اعتبار الرجال متفوقين على النساء.
- أنّ المساواة بين الجنسين لا تزال بعيدة.
- أنّ العلاقة بين الباحث والمبحوث تحتاج إلى إعادة نظر جذرية[28].

الإطار 5.3

أثر البحث النسوي

ظهور البحث النسوي:

- ساعد في إعادة بناء ميدان البحث التقليدي.
- أبرز جوانب مهملة في الواقع الاجتماعي.
- أضاف منظورًا جديدًا إلى إدراك العالم.
- لفت إلى مشكلات في إجراء البحث الاجتماعي.
- تحدى الأخلاقيات الجندرية، وإخضاع المرأة والتمييز ضدها.
- أوجد أدلة أدت إلى وضع الجندر في سياق جديد.
- رفع وعي المرأة وزاد في تمكينها.
- حرر البحث الاجتماعي من سيطرة الذكور.
- وفّر أساسًا مشروعًا للتغيير الاجتماعي في ميدان الجندر.
- طرح قضايا ساعدت في إعادة تعريف فكرة الإنسانية.

---

(28) Farber, *kunstlehre der Erklärung;* L. Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit* (Wien: Selbstverlag, 2000).

كي نعيد بناء ثقافة البحث ونعزز فاعلية البحث النسوي، اقترح فاربر وفيفر[29] ضرورة ارتكاز البحث على علاقات تعاونية غير استغلالية، وإلغاء اغتراب الباحث عن المبحوث والبدء بإجراء بحوث تحويلية. يرافق هذه المتطلبات إعطاء الجندر دورًا مركزيًا في عملية البحث واعتباره المبدأ الناظم الأساس في البحث وتحليل البيانات وتطبيق النتائج. كما أكد كثير من الباحثين النسويين ضرورة إشراك المبحوثين في سيرورة البحث.

وفق هذه الخطوط الهادية، يظهر أن أنواع البحث التي عُدَّت منسجمة مع البحث النسوي هي: البحث العملي والبحث التشاركي أو التعاوني وتقويم الحاجات أو البحث المقطعي والبحث التقويمي والبحث المزيل للتعمية الذي توضِّح فيه العلاقات وقضايا البحث وأهدافه لجميع المشاركين في البحث، وأخيرًا هناك بحوث تحرير المضطهدين والمظلومين وتمكينهم[30].

رابعًا: طرائق البحث النسوي

1.4 المشكلة

استخدم البحث النسوي في بدايته الطرائق الوضعية والتقنيات التقليدية بصورة أساسية، وعُدّلت أحيانًا بحذف التحيز الذكوري المتأصل في طرائقها ومقارباتها. وعلى الرغم من ذلك، تغيرت هذه المقاربات تدريجًا بالابتعاد عن الطرائق التقليدية في البحث، في الوقت الذي كانت تعمل على تطوير طرائق نسوية مميزة تستجيب لعقلية المرأة الحدسية وإلى الالتزامات السياسية النسوية[31].

إذا ألقينا نظرة شاملة على الفروع النسوية، فسنجد وجهات نظر كثيرة في ما يتعلق بالمقاربات النسوية للطرائق[32]. تشير إحدى وجهات النظر هذه إلى عدم

---

(29) Farber, Ibid.; Pfeifer, Ibid.

(30) Reinharz, *Feminist Methods in Social Research*, pp. 180-194.

(31) Stanley and Wise, *Feminist Consciousness and Feminist Research*.

(32) M. Althoff, M. Bereswill and B. Riegraf, *Feministische Methodologien und Methoden. Tradition, Konzepte und Erörterungen* (Opladen: Leske & Burdich, 2001)..

وجود طريقة بحث وُضعت خصيصًا ليستخدمها الباحثون النسويون[33]، لكن طرائق البحث تأتي من البحوث الكمية والنوعية التي عُدّلت لتنسجم والمبادئ النسوية[34]. لذلك ليس من الغريب أن نسمع عن دراسة مسحية نسوية، أو دراسة تجريبية نسوية، أو دراسة ميدانية نسوية وغيرها من طرائق البحث المهمة. ومن أكثر هذه الطرائق استخدامًا هي طرائق البحث النوعي التقليدية[35]، مثل المقابلات المعمقة والملاحظة بالمشاركة وتحليل الوثائق، لكن هناك أيضًا دراسات إثنوغرافية وإثنولوجية، وتفكيك (تاريخي وبنيوي) وتحليل دلاليّ أو سيميولوجي.

2.4 تطبيقات مبتكرة

على الرغم من الملاحظات السابقة، طرح الباحثون النسويون تطبيقات مبتكرة للاستراتيجيات البحثية، إضافةً إلى طرائق نسوية جديدة[36]. وأشار رينهارتس[37] إلى الأصالة في طرائق البحث النسوي وإجراءاته، كما يظهر في الأمثلة الآتية:

- **طريقة زيادة الوعي**: طريقة للمناقشة تشترك فيها مجموعة من دون قائد لها أو موضوع محدد سلفًا، ويتولى أحد أفراد المجموعة إدارة النقاش فيها.

- **يوميات جماعية**: يحتفظ أفراد مجموعة بيوميات من دون ذكر أسمائهم، حيث يكون التركيز على المجموعة. وقد تكون هناك مقابلة جماعية أو نشاط يتعلق بالذاكرة، حيث يكتب أفراد المجموعة قصصًا ويقرأونها للآخرين ثم يتبع ذلك نقاش وتحليل.

---

(33) Reinharz, *Feminist Methods in Social Research*; J. Mason, «Social Work Research: Is there a Feminist Method?,» *Affilia: Journal of Women and Social Work*, vol. 12 (1997).

(34) A. Oakley, «Gender, Methodology and People's Ways of Knowing: Some Problems with Feminism and the Paradigm Debate in Social science,» *Sociology*, vol. 32 (1998).

(35) J. Pilcher and A. Coffery, eds., *Gender and Qualitative Research* (Aldershot, UK: Avebury, 1996).

(36) J. A. Cook and M. M. Fonow, «Knowledge and Women's Interests: Issues of Epistemology and Methodology in Feminist Sociological Research,» in: J. M. Nielsen, ed., *Feminist Research Methods: Exemplary Readings in the Social Sciences* (London: Westview, 1990).

(37) Reinharz, *Feminist Methods in Social Research*.

▪ **أداء الأدوار التمثيلية:** يعبِّر في هذا الأسلوب عن الآراء ووجهات النظر والمشاعر على شكل مسرحية، ثم يطرح الباحث موضوع المناقشة ليشارك أفراد المجموعة فيه بتحديد القضايا الرئيسة والاتجاهات العامة. وهنا يرتجل أفراد المجموعة في طرح مشاعرهم بلغتهم الخاصة، حيث من المتوقع أن يولد ذلك مزيدًا من النقاش.

الإطار 6.3

مناهج البحث النسوي
يركز البحث النسوي على:
▪ طرائق زيادة الوعي.
▪ استعمال الحدس أو الكتابة معًا.
▪ اليوميات الجماعية.
▪ الاندماج بدلًا من الانعزال.
▪ أداء الأدوار المسرحية.
▪ دراسة الخبرات الشخصية غير المخطط لها.
▪ التتبّع الجينالوجي والشبكي.
▪ تكوين المفاهيم المنظمة.
▪ المحادثة والحوار.
▪ التصوير وتقنية الصورة الناطقة.
▪ البحث المحايد غير السلطوي.
▪ التحدث بحرية أمام جهاز التسجيل أو الإجابة عن استبيان طويل من النوع المقالي(38).

▪ **التتبّع الجينالوجي والشبكي:** وهذا يستدعي البحث في تاريخ المرأة وتقصي علاقاتها وصداقاتها وأصلها.

▪ **البحث المحايد غير السلطوي:** تُجمع البيانات وتقدم للمبحوث كي يضفي عليها معنى، ويتم التركيز على المبحوث وعلى الذاتية.

▪ **المحادثة والحوار:** محادثة بين عدد من الأشخاص يناقشون مسألة ما أو بعض الشخصيات التاريخية، من دون تقسيم الأدوار إلى سائل ومسؤول.

(38) Reinharz, *Feminist Methods in Social Research.*

▪ استخدام الحدس أو الكتابة معًا: مزيج من الأحلام والقراءة والأفكار[39] يظهر فيه الكاتب في عملية حدس غير متسلسلة زمنيًا ولا تحدد موضوعًا معينًا، وهذا يتطلب درجة من السلبية[40].

▪ **الاندماج بدلًا من الانعزال:** يتوقع من الباحث أن يندمج مع المبحوثين وأن يُظهِر هذا الاندماج للقارئ وأن يشجّع القارئ على الانسجام مع الكاتب.

▪ **دراسة الخبرات الشخصية غير المخطط لها:** الخبرة الشخصية هي أساس الدراسة، كالمرض أو إجراء عملية (وحدها أو إضافةً إلى معلومات أخرى).

▪ **تكوين المفاهيم:** وهذا يعني تسجيل وتحليل وتركيب معلومات عن قضايا أو أفكار معينة كي نبيّن كيف يعرّف النسويون المفاهيم ويفهمونها.

▪ **التصوير أو أسلوب الصورة الناطقة:** يشتمل هذا الأسلوب على جمع صور التقطت في فترات معينة لاستخدامها بين أدوات المقابلة، حيث يختار المبحوث صورًا لتستعمل في المقابلة وتحفظ في ألبوم ضمن فئات معينة. وتستعمل الصور إلى جانب الاستبيانات، ويمكن تحليلها وتفسيرها وفقًا لما تحويه من معلومات، مثل كيفية الجلوس والوضع العام والإشارات الجسدية وغيرها.

▪ **التحدث الحر إلى جهاز تسجيل أو الإجابة عن استبيانات مقالية طويلة:** تشتمل هذا التقنية على مجموعة من الأسئلة ترسل إلى المبحوث، حيث يُطلب منه تسجيل الإجابات باستخدام جهاز تسجيل.

يجب أن نضع في الحسبان أنه عندما يستخدم الباحثون النسويون طرائق بحث طورتها لأغراضها الخاصة مجموعات أخرى من الباحثين، فإنهم يعدلونها لتنسجم مع الموقف النقدي والتحريري للنسوية، وتُوَجَّه نحو تفكيك المفاهيم المسلّم بها وإعادة بنائها مفاهيم جديدة. «بذلك هم يكشفون حقيقة المفاهيم الأساسية للبحث ويستخدمونها أساسًا للكشف عما يجري حقًا»[41].

---

(39) Reinharz, Ibid., p. 232.

(40) Reinharz, Ibid., p. 231.

(41) Harvey, *Critical Social Research*, pp. 101,102, 152.

3.4 الطريقة الجدلية

هناك طريقة أخرى تُستعمل في البحث النسوي هي الطريقة الجدلية التي ترقى جذورها إلى فلاسفة اليونان القدامى. يكمن جوهر هذه الطريقة في عملية التنقل المستمر بين المفاهيم والبيانات، كما بين المجتمع والظواهر الملموسة، وقضايا الماضي والحاضر، والمظهر والجوهر. وبعد اختيار المفاهيم الأولى في هذه الطريقة، يبدأ الباحث بالبحث عن صلات وانعكاسات تربط المظاهر السطحية بالأوضاع الفعلية، مكوّنًا آراء في شأن قضية البحث، ومكوّنًا تاليًا مفاهيم جديدة، ورابطًا إيّاها بالمنهج والمقاربة، ومعيدًا تفحّصها، مصححًا عناصر فيها، ومتعمّقًا أبعد من سطحها، ومعيدًا التركيز على المفهوم في السياق التاريخي. وتستمر هذه العملية إلى أن يتوصل التحليل إلى أنموذج مترابط ومتماسك.

ترتكز العملية في الطريقة الجدلية على حركة تفكيك مستمرة تتبعها إعادة بناء تؤدي بدورها إلى تفكيك ثم إعادة بناء، وهكذا. وقدّم هارفي وصفًا شاملًا لهذه الطريقة كما يلي:

يمكن فهم عملية التفكيك وإعادة البناء الجدلية بوصفها عملية تركيز على الكلّية البنيوية أو اللحظة التاريخية وتأمّل نقدي في طبيعتها الجوهرية. تُؤخذ الكلية بدايةً على أنها كلٌّ قائم. وتقدّم البنية ذاتَها على أنها طبيعية، ونتيجة تقدّم تاريخي، وهذا يعني أنها مكوَّنة أيديولوجيًا. لذلك يجب على التحليل النقدي للبنية المحدّدَة تاريخيًا أن يمضي أبعد من المظاهر السطحية ويكشف الطبيعة الأساسية للعلاقات التي تنطوي عليها البنية. ويبدأ هذا النقد بالتركيز على الوحدة الأساسية للعلاقات البنيوية ويفككها. ويجب أن يمضي هذا التفكيك للوحدة الأساسية إلى الحدّ الذي تظهر عنده طبيعتها الجوهرية؛ عندها يُعاد تكوين البنية بعملية بناء أساسية. وهذه العملية تكشف شفافية الأيديولوجيا. ويُقام الكلّ على أساس الواقع المادي المحدَّد تاريخيًا[42].

يوضح هذا العرض الموجز للبحث النسوي أنه يستخدم مقاربة شاملة

(42) Harvey, Ibid., pp. 31-32.

ومجموعة من الطرائق يشارك معظمها مع الوضعيين والتفسيريين، على الرغم من الاختلاف في استخدامها.

خامسًا: النقد النسوي للبحث التقليدي

يختلف البحث النسوي عمومًا عن البحث الاجتماعي ولا ينسجم معه[43]، وهو ينتقده كما ينتقد العلم بوجه عام[44] وطريقة تعاملهما مع الجندر[45]. ويُعتقد بأن البحث الكمي يقدم صورة مشوّهة عن العالم[46] وتسيطر عليه الأيديولوجيا الذكورية، ويعاني مشكلات في الموثوقية والصدق والتمثيل (مثل حالات عدم الاستجابة، والأطر غير الكاملة لاختيار العينة، وأثر استخدام عمال مأجورين في البحث). كما أن البحث النسوي ينتقد الموضوعية والانفصال والهرمية[47] والممارسة التقليدية في استعمال أدوات ذات اتجاه واحد، ويجري تطبيقها ببرود من دون تحيز، واختزال الباحثين إلى مجرد مراقبين موضوعيين منفصلين، وتقليل قيمة أفراد الدراسة واستغلالهم والتحكم بهم. ولا يركز الباحثون النسويون على المثل المعيارية للمبادئ الإحصائية، بل يكون تركيزهم على أهداف يحددونها هم.

علاوة على ذلك، ينتقد الباحثون النسويون ممارسات المقابلة التي يرى كثيرون أنّه يصعب الدفاع عنها[48]. فالمقابلة التي تستخدم طرائق أحادية الاتجاه وترتكز على علاقة هرمية بين الباحث والمبحوث تناقض إعادة التقويم النسوي

(43) C. Miller and C. Treitel, *Feminist Research Methods: An Annotated Bibliography* (New York: Greenwood, 1991), p. 7.

(44) E. Fee, «Critiques of Modern Science,» in: R. Bleier, ed., *Feminist Approaches to Science* (New York: Pergamon, 1986); Nielsen, ed., *Feminist Research Methods*, p. 7.

(45) CSWS (Committee on the Status of Women in Society), *The Treatment of Gender in Research* (Washington, D C: American Sociological Association, 1986).

(46) M. Westkott, «Feminist Criticism of Social Sciences,» in: Nielsen, ed., *Feminist Research Methods: Exemplary Readings in the Social Sciences* (London: Westview Press, 1990).

(47) A. Oakley, «Interviewing Women: A Contradiction in Terms,» in: Roberts, ed., *Doing Feminist Research* (London: Routledge, 1981).

(48) Ibid., p. 41.

للعلاقات البينية بين النساء[49]. ويرى النسويون أن المقابلات المعمقة تشكل بديلًا أفضل لأسباب أخرى كثيرة، منها أنّها تشجع الذاتية والحوار المكثف بين من هم في المكانة نفسها، وهي سمات أصيلة للتحليل النسوي للخبرة الجندرية. ويشير أوكلي[50] إلى أن معارضة البحث الكمي ترتبط بالهوية الذكورية المنسوبة إليه، بينما ينظر إلى البحث النوعي على أنه يعكس سمات أنثوية وهوية أنثوية.

فضلًا عن ذلك، ينتقد البحث النسوي أيضًا نزعة التمييز ضد المرأة التي تظهر في البحث الاجتماعي والعلوم الاجتماعية بشكل عام. لا ترتكز العلوم الاجتماعية على كتابات مؤسسيها فحسب، بل تسودها أيضًا صور نمطية ومواقف ذكورية نجمت عن تنشئة علماء الاجتماع الاجتماعية وتدريبهم المهني، خصوصًا أنّ أغلبيتهم من الرجال. وأشار عدد كبير من الباحثين[51] إلى وجود ممارسات تميز ضد المرأة على أساس الجنس وتؤثر في الحياة الاجتماعية، ومن هذه الممارسات ما يلي:

- **هيمنة الذكور**: يُدرَك الواقع ويُقدَّم من منظور ذكوري. في هذا السياق يُنظر إلى المرأة كعنصر سلبي غير فاعل، ما يؤدي إلى تطور ظاهرتين: **غياب المرأة** بسبب السيطرة الكاملة للرجال، و**كراهية النساء**.

- **التعميم/ التخصيص**: يظهر ذلك عندما تُستخدم نتائج دراسة ما لتفسير سلوك جماعات غير محددة أو العكس.

- **عدم الاهتمام بالجندر**: يحدث ذلك عندما يُهمَل الجندر تمامًا باعتباره أحد العوامل المؤثرة في ظاهرة ما. فمثلًا عند دراسة آثار الانكماش الاقتصادي في النساء، لا يُنظر إلى الجندر باعتباره عاملًا مؤثرًا، أو عندما يُدرس أثر الوالدين في

(49) Harvey, *Critical Social Research*, p. 117.

(50) A. Oakley, *Experiments in Knowing: Gender and Method in the social Sciences* (Cambridge: Polity, 2000).

(51) M. Eichler et al., *A Selected Annotated Bibliography* on *Sexism in Research* (Ottawa: Social Sciences and Humanities Research Council of Canada, 1985); M. Eichler, *Non-Sexist Research Methods: A Practical Guide* (Boston: Allen & Unwin, 1988); Reinharz, «Experiential Analysis.»

تنشئة بناتهم اجتماعيًا فإنه لا يجري التمييز بين دور الآباء ودور الأمهات في هذه العملية.

▪ **ازدواجية المعايير**: استعمال معايير مختلفة لقياس بعض القضايا الخاصة بالرجال والنساء.

▪ **المواءمة الجنسية**: تنجم هذه المشكلة عن تطبيق المعايير المزدوجة وتتعلق بالمواقف والتوقعات التي تحدد أنماطًا سلوكية وسمات وأدوارًا وخصائص معينة لكل جنس من الجنسين.

▪ **العائلية**: غياب الحساسية الجندرية وتشير في العادة إلى الممارسة الشائعة التي تحيل إلى العائلة مع أنّ القضية المعنية تخص الرجال أو النساء أو أفراد من العائلة؛ أو حين يُفْتَرَض، في إحالةٍ إلى العائلة، أنَّ جميع أفرادها يتأثرون، من دون تمييز، بقضية أو مشكلة معينة.

▪ **الفصل الجنسي**: يمثل هذا مثالًا آخر لازدواجية المعايير ويشير إلى الممارسات التي تنظر إلى الجنسين بشكل مختلف باعتبار أحدهما مختلفًا عن الآخر، من دون اعتبار العلاقة التي تربط بينهما واعتماد الواحد على الآخر.

لكلّ هذه الأسباب، يرفض معظم الباحثين النسويين طرائق البحث التقليدي وأدواته ويستخدم منهجيات أخرى كالتي أشرنا إليها سابقًا. من هؤلاء الباحثين من يستخدم طرائق البحث التقليدية لكن بشكل مختلف وفي سياق مختلف أيضًا، حيث يركز على جوانب قوتها ويتجنب جوانب ضعفها. وبشكل عام، فإن طرائق البحث النوعية التي عُدّلت لتنسجم مع معايير البحث النسوي وتوقعاته، هي التي يستخدمها معظم النسويين. ولا يكمن الفرق بين البحث النسوي وغيره في نوع الطرائق المستخدمة في كلٍّ منها فحسب، بل في طريقة اختيار الباحثين للطرائق التقليدية، وكيفية تعديلها واستخدامها لتحقيق أهداف بحوثهم.

اتضحت هذه النقطة عبر السنين حتى في إطار النظرية النسوية والبحث النسوي؛ إذ أدرك عدد من النسويين مدى قوة البحث الكمي وآثاره، ولو بشكل

غير مباشر، في قضية المرأة[52]. كيف كان من الممكن، من دون استخدام هذه البحوث الكمية، إثبات وجود التمييز ضد المرأة بشكل واضح ومن دون أدنى شك، في حياتهن الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية والمهنية والأسرية، خصوصًا في المجالات التي تتطلب قياسات وتحديد كميات (الدخل، النمو الاقتصادي، مدة التوظيف، جوانب المشاركة في الأعمال المنزلية وغيرها)؟

الإطار 7.3

محامي الشيطان: دعونا نفكر تفكيرًا ناقدًا!

إذا كان الأنموذج الإرشادي النسوي غير منسجم مع البحث الكمي:

- لماذا يستخدم مبادئ وتصاميم وطرائق كمية في إنتاج أدلة واقعية (تتعلق بساعات العمل، مستوى الدخل...) بهدف إثبات وجود التمييز ضد المرأة في الأسرة والمجتمع ومكان العمل؟
- لماذا تستخدم التجريبية النسوية البحث الكمي؟
- كيف كان سيمكننا إنتاج أدلة تتعلق بالقضايا الجندرية في سياقات عامة ومتنوعة، وفي حالات القضايا المعقدة والمتشعبة؟
- كيف كان سيمكننا مناقشة قضايا المرأة والدفاع عنها لو لم يتم قياسها بطريقة تمكّن من مقارنتها بقضايا الرجال؟
- هل كان من الممكن أن تحقق النسوية ما حققته، من دون الأدلة الواقعية التي وفرها البحث الكمي؟

حسنٌ، ما المشكلة الحقيقية التي نواجهها هنا؟

هناك تساؤلات أثيرت حول كيفية مقاربة الباحثين النوعيين الواقع والنظرية

---

(52) انظر أيضًا: A. Oakley, «Gender, Methodology and People's Ways of Knowing: Some Problems with Feminism and the Paradigm Debate in Social science,» *Sociology*, vol. 32 (1998); M. Maynard, «Methods, Practice and Epistemology: The debate about Feminism and Research,» in: M. Maynard and J. Purvis, eds., *Researching Women's Lives from a Feminist Perspective* (London: Taylor and Francis, 1994), and Maynard, «Feminists, Knowledge and the Knowledge of Feminisms: Epistemology, Theory, Methodology and Method,» in: T. May and M. Williams, eds., *Knowing the Social World* (Buckingham: Open University Press, 1998).

البنائية. ويبدو أن مشاهير النسويين يشككون في مقاربة هذين القالبين البحثيين، خصوصًا في ما يتعلق بالبحث الاستدلالي والبحث الاستقرائي. وكما يقول ستانلي ووايز[53]، فإن الباحثين لا يستطيعون التزام الحياد التام الذي تشير إليه الطريقة الاستقرائية (Inductivism). ولا يمكن أيضًا أن تبقى النظرية بعيدة من تأثير الخبرات الشخصية للمنظرين كما تشير الطريقة الاستدلالية (Deductionism).

سادسًا: هل هناك إبيستمولوجيا نسوية؟

حاول عدد من الباحثين في السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، إثبات وجود إبيستمولوجيا نسوية[54]. والمحور الرئيس الذي ترتكز عليه أفكارهم هو أن مكانة المرأة الخاصة بها تمكّنها من رؤية العالم من منظور نسوي؛ فإذا كانت الإبيستمولوجيا تعني علم إدراك المعرفة، فمن الواضح أن لدى النساء ما يبرر إقامة إبيستمولوجيا خاصة بهن. وظهرت هذه الفكرة في عناوين منشورات كثيرة[55]، كما أن الباحثين والمؤلفين يستخدمون هذا المفهوم بحرية وكأنه صحيح ومشروع.

مع أن هذا الرأي لا يزال قويًا، يبقى هناك عدد كبير من الباحثين في الميدان النسوي ممن لا يعتقدون بمنطقية هذا المفهوم وقابليته للحياة. وفي النهاية، فإنّ الإبيستمولوجيات التي استخدمها النسويون للنفاذ إلى المعرفة كانت موجودة قبل ظهور الحركة النسوية بوقت طويل، كما كان علماء اجتماعيون آخرون يستخدمون هذه المنهجيات بكثرة، والإطار 8.3 يعرض بعض الأفكار في هذا الموضوع.

---

(53) Stanley and Wise, *Feminist Consciousness and Feminist Research*, p. 22.

(54) J. Corman, «Foundational versus Nonfoundational Theories of Empirical Justification,» in: G. Pappas and M. Swain, eds., *Essays on Knowledge and Justification* (London: Cornell University Press, 1978); K. Lehrer, *Knowledge* (Oxford: Clarendon, 1974); J. Pollock, «A Plethora of Epistemological Theories,» in: G. Pappas, ed., *Justification and Knowledge* (London: Reidel, 1979); Pollock, *Contemporary Theories of Knowledge* (London: Rowman and Littlefield, 1986).

(55) J. Duran, *Towards a Feminist Epistemology* (Lanham, Md.: Rowan & Littlefield, 1995).

سابعًا: هل هناك منهجية نسوية؟

إن السؤال ما إذا كانت النسوية قد بلورت قواعد منهجية متميزة تبرر تأسيس منهجية متميزة إلى جانب النماذج الإرشادية النوعية أو الكمية أو النقدية، ليس بالسؤال الجديد في أي حال من الأحوال. فالمطالبة باستحداث ركن مستقل لها في صفوف النماذج الإرشادية والمنهجيات الأخرى قد طرحت منذ زمن بعيد وما زالت تطرح في هذه الأيام. وتنوعت الردود على هذه المطالبات بين من يُحبّذون، ومن يعارضون الإقرار بها.

1.7 الحجج المؤيدة لوجود منهج نسوي

يقدم أنصار المنهجية النسوية الحجج التالية لدعم موقفهم:

- طورت النسوية مقاربة مميزة صحيحة تختلف عن غيرها. وهذه المقاربة ترفض الأنموذج الإرشادي الذكوري والمنهجية الخاصة به، وتستحق مكانة خاصة مستقلة بين مناهج البحث الاجتماعية.
- تركز المنهجية النسوية على المرأة ومكانتها في المجتمع، وتقارن ذلك بالتركيز على الذكر الذي يسود في منهجيات أخرى.
- تفسر العالم بطريقة فريدة (على أساس البطريركية) توجه بنية البحث وعمليته واختيار نوع الطرائق المستخدمة وطريقة تحليل النتائج وتفسيرها.
- تعتقد أن المرأة الباحثة هي الأقدر على التعامل مع قضايا المرأة، لأن المرأة فحسب هي القادرة على فهم طبيعة المرأة وموقعها الفريد. وهذا ما يسمى بإبيستمولوجيا زاوية النظر النسوية[56].
- المنهجية النسوية هي خلاصة الطرائق النسوية وتستحق أن يُعترف بها هكذا[57].

---

(56) Stanley and Wise, *Feminist Consciousness and Feminist Research.*

(57) Reinharz, *Feminist Methods in Social Research*, p. 240.

الإطار 8.3

بعض الحجج التي تدحض وجود إبيستمولوجيا نسوية

- ساندرا هاردنغ: «هل يمكن أن توجد زاوية نظر نسوية ما دامت الخبرة الاجتماعية للنساء (أو للنسويات) مقسمة بحسب الطبقة الاجتماعية والجنس والثقافة؟ هل يجب أن تكون هناك غايات نسوية بيضاء وسوداء، عمالية ومهنية، أميركية ونيجيرية»؟[58].
- لورين كود: «ليس ثمة مبرر لإبيستمولوجيا نسوية: ففكرة الوضع الاقتصادي أصبحت قديمة، والموقع أو زاوية النظر أصبح مشكوكًا فيها، واتباع تقليد موحد وجامد لم يعد ممكنًا. لذا من الأفضل أن نسعى إلى تغيير فكرة المنظومة الحاكمة، وأن نرفض بنية الموقع الإبيستمولوجي الذي لا يتغير»[59].
- سوزان هاك: «بخلاف بعض أنصار الإبيستمولوجيا النسوية، لا أعتقد أن المرأة قادرة على إضافة رؤى ثورية إلى النظرية المعرفية غير الرؤى المتاحة للرجال أو التي يمكن إتاحتها لهم بسهولة»[60].
- ل. هـ. نلسون: «في ضوء معرفتنا بفوائد التعددية في الفرع المعرفي الواسع، يبدو أن هناك سببًا ضعيفًا للعمل على تطوير أو تمني وجود نظرية نسوية في العلم... ووجد النسويون مصادر قيّمة في الفرع المعرفي الواسع المسمّى بفلسفة العلوم»[61].

- البحث النسوي بحث أصيل لأنه يرى الواقع من منظور نسوي، ويرفض فكرة اعتبار الذكورة فكرة كونية شاملة، ويدرك الموقع المركزي للرجال في البحث الاجتماعي ويتخلص من المنظور الذكوري ليرى الواقع بصورة أفضل. كما أن البحث النسوي يحدد موقع الباحث بوصفه كائنًا جندريًا في شبكة من العلاقات الاجتماعية[62].

- تُعدّ عملية زيادة الوعي في البحث النسوي عملية مركزية لا كأداة بحث

(58) Harding, The Science *Question in Feminism*, p. 26.

(59) L. Code, What Can She Know? *Feminist Theory and the Construction of Knowledge* (Ithaca: Cornell University Press, 1991).

(60) S. Haack, *Evidence and Inquiry: Towards Reconstruction in Epistemology* (Cambridge: Blackwell, 1995), p. 8.

(61) L. H. Nelson, «Feminist philosophy of science,» in: P. Machamer and M. Silberstein, eds., *The Blackwell Guide to the Philosophy of Science* (Oxford: Blackwell, 2002), p. 326.

(62) Cook and Fonow, «Knowledge and Women's Interests.»

فحسب، بل كتوجّه عام. فالمرأة هي الأفضل لإجراء بحوث نسوية لكونها جزءًا من هذه المجموعة المضطهدة. وبصفتها باحثة، فإنها تملك «رؤية مضاعفة»، ما يجعلها أكثر كفاءة من الذكور في تحديد خبرات المرأة وفهمها وتفسيرها. وبهذا تصبح عملية البحث عملية «وجدانية»، يغدو من خلالها الموضوع المبحوث ذاتًا باحثة ويتعلّم كيف يدرك التناقضات ويناهض الظلم والاضطهاد[63].

▪ يرفض الباحثون النسويون الفصل المصطنع بين الباحث والمبحوث، كما يرفضون الفكرة الضمنية بأن هذا الفصل يولد نتائج أكثر صدقًا. وهم يشرحون كيف تشجع سيرورة البحث إخضاع المرأة وتعززه، كما يرفضون معيار الموضوعية الناجمة عن ذاك الفصل وكذلك الاعتقاد بإمكان تحقيق الموضوعية بعمليات إحصائية وكمية. وبدلًا من ذلك يؤيد هؤلاء الباحثون العلاقة التبادلية بين الباحث والمبحوث، وهي شكل من البحث الذي يشتمل على المشاركة و«التحيز الواعي»، أي إن الباحث يفهم ارتباطه بخبرات موضوع البحث من خلال تماهيه الجزئي معه[64].

▪ يشير الباحثون النسويون إلى بعض الجوانب التي تخالَف فيها المعايير الأخلاقية. إن مخالفات كهذه تخلق أو تعزز أشكالًا من الظلم والتمييز ضد النساء، كاستخدام اللغة العنصرية التي تكرس إخضاع المرأة، واستخدام ممارسات غير عادلة تتعلق بنشر أعمال النسويين، والتدخل في حياة المبحوثين، وكتمان المعلومات عن النساء أفراد الدراسة[65].

▪ يهدف البحث النسوي إلى تمكين المرأة من تغيير أحوال الاضطهاد والاستغلال وتقديم رؤية مستقبلية والتعامل مع تعقيدات سياسة البحث.

على الرغم من صدق هذه المعايير، ليس ثمة اتفاق على كفايتها لتأسيس وجود منهجية نسوية وتبريرها. يشير الباحثون الذين أثاروا القضايا السابقة إلى عدم وجود اتفاق بين النسويين حول المنهجية الصحيحة، وأنه لا توجد منهجية نسوية

---

(63) Ibid.

(64) Ibid.

(65) Ibid.

«صائبة»، ويخلصون إلى القول إن المنهجية النسوية، في ميدان علم الاجتماع في الأقل، هي في طور التكوين ولم تصل إلى شكلها النهائي المحدد(66)، ويبدو أن الوضع على هذا الصعيد باقٍ على حاله.

الإطار 9.3

فكر تفكيرًا ناقدًا: هل حان وقت المنظور الذكري؟ ▪ يُقال عمومًا إنَّ البحث النسوي هو للمرأة عن المرأة ومن جانب المرأة. فهل هذا يدعو الرجال إلى طرح مقترحات مشابهة؟ ▪ يرفض النسويون «الأنموذج الإرشادي الذكوري» لأنه ذكوري. فهل يرفض الذكور «الأنموذج الإرشادي الأنثوي» لأنه أنثوي؟ ▪ إذا كان «المنظور الأنثوي» لا يعتبر الذكور مؤهلين لدراسة النساء، فهل يجب منع النساء من دراسة الرجال لعدم امتلاكهن «المنظور الذكوري»؟ ▪ ما الخطأ في أن يدرس الرجال قضايا المرأة وبالعكس؟ ألا تؤدي تعددية الأفكار إلى إثراء المعلومات؟ تأمَّل. لا بد من وجود سبب وجيه وراء الموقف النسوي!

2.7 حججٌ معارضة لوجود منهج نسوي

يرى بعض نقاد المنهجية النسوية أنّ ما من مبررات لتأسيس مثل هذه المنهجية. وفي ما يلي بعض آرائهم:

- لا يمتلك النسويون منظورًا خاصًا، فهم يستخدمون المبادئ النظرية والمنهجية السائدة في نماذج إرشادية أخرى مثل الماركسية والطبيعية والنظرية النقدية والتحليل النفسي. ولا يمكن الادعاء بوجود منهجية مستقلة إلا بوجود مبادئ واضحة لها.

- هناك ببساطة «تعدد في زوايا النظر والقيم والآراء بين النسويين»(67).

---

(66) Ibid., p. 71.

(67) A. Assiter, *Enlightened Women: Modernist Feminism in a Postmodern Age* (London: Routledge, 1996), p. 8.

فالنسويون متنوعون كثيرًا (ثمّة النسوية الماركسية والنسوية الليبرالية والتجريبية والنسوية التحليلية النفسية والنسوية مابعد البنيوية والنسوية مابعد الحداثية ... إلخ) وجميعها لا تقدم بديلًا متماسكًا مقنعًا للبحث غير النسوي(68).

▪ إن كثيرًا من المعايير والمبادئ التي يرتكز عليها البحث النسوي وكثيرًا من الطرائق التي تتضمنها تلك المبادئ موجود في ميادين البحوث غير النسوية ولا يقدم حجة مقنعة لوجود منهجية نسوية(69).

▪ قَصْر الاهتمام على الجندر لا مبرر له، حتى أن الباحثين النسويين مابعد البنيويين(70) يطالبون بإعادة النظر في مثل هذا الطرح والممارسة ويدعون إلى التأكيد على تعدد ضروب الاختلاف.

▪ إن اعتراض البحث النسوي على الممارسات المنهجية الوضعية، خصوصًا ما يتعلق منها بقيمة الطريقة في مقابل الخبرة، وكذلك موضوعيته، وتحرريته التي يعتبرها غاية البحث ومعيارًا لصدقه، والعلاقة بين الباحث والمبحوث التي يستخدمها كثير من المنظرين لتبرير وجود منهجية نسوية، جميعها محل شكّ(71). وبصرف النظر عن ذلك، فإن أحد فروع البحث النسوي الرئيسة يرتكز على التجريبية النسوية التي لا تختلف كثيرًا عن الأنموذج الإرشادي الوضعي.

▪ إن كون الوضعيّة غير ملائمة لا يبرر إحلال منهجية نسوية محلها، وقد يكون المنهج النوعي هو الجواب لأن مبادئه تشبه المبادئ التي يقترحها النقّاد النسويون.

---

(68) M. Hammersley, «On Feminist Methodology,» *Sociology, Journal of the British Sociological Association*, vol. 26, no. 2 (1992), p. 202.

(69) Ibid., p. 202.

(70) L. Alcoff, «Cultural Feminism vs Post-structuralism: The Identity Crisis in Feminism,» *Signs*, vol. 13, no. 3 (1988), p. 407.

(71) Hammersley, «On Feminist Methodology.»

للرد على هذه الانتقادات انظر: L. Geldsthorpe, «Response to Martyn Hammersley's Paper on Feminist Methodology,» *Sociology, Journal of the British Sociological Association*, vol. 26, no. 2 (1992); C. Ramazanoglu, «On Feminist Methodology: Male Reason versus Female Empowerment,» *Sociology, Journal of the British Sociological Association*, vol. 26, no. 2 (1992).

الإطار 10.3

فكر تفكيرًا ناقدًا: لماذا المنهج؟

- ما الفائدة الحقيقية من امتلاك منهجية خاصة بك؟
- هل يحتاج الباحثون النسويون إلى منهجية نسوية فعلًا؟
- هل ستلبي المنهجية النسوية المبادئ النظرية لجميع الباحثين النسويين؟
- هل ستحسّن المنهجية النسوية البحث النسوي؟
- ألن تكون المنهجية النسوية عائقًا أمام قرارات الباحثين؟
- لماذا يتبع الباحثون النسويون الممارسات الذكورية؟ (الرجال يتبعونها، فلماذا لا تتبعها النساء؟)
- ما المهم في البحث الداعي إلى التحرر والانعتاق؟ المنهجية أم طريقة تطبيق المنهجيات والطرائق والهدف الذي تسعى إلى تحقيقه؟
- ألا تمنح حرية الاختيار بين المناهج الموجودة المزيد من خيارات البحث بدلًا من الاقتصار على منهجية واحدة؟
- ألم يقبل كثير من الباحثين النسويين المنهج النوعي بوصفه الأنسب لتوجيه البحث النسوي؟
- هل ستكون المنهجية النسوية موحّدة أم مفرّقة للباحثين النسويين؟

هل تستحق المطالبة بمنهجية نسوية العناء؟

- معظم الانتقادات النسوية للبحث التقليدي يتحدث عن منهجية نوعية وليس عن منهجية نسوية. وصرّح الباحثون النوعيون بهذه الانتقادات قبل أن يتطرق إليها الباحثون النسويون بمدة طويلة، وفي النهاية، يتبنى معظم الباحثين النسويين الأنموذج النوعي في البحث.

- يطالب كثير من الباحثين بمنهجية خاصة للنساء وعن النساء ومن النساء، وهذا مطلب غير صحيح وغير منطقي، إذ إن الموضوع لا يحدد المنهجية. وهل هذا يبرر وجود منهجية إثنية أو عنصرية أو منهجية للتمييز ضد كبار السن، وهكذا؟ وإلى أيّها يكون انتماء النساء من إثنية ما؟

- احتل الجندر موقعًا مركزيًا في الحوار حول المنهجية وقضايا أخرى. والذي يُساء فهمه هنا هو أن الجندر لا يعني المرأة، لأن الرجال جزء منه أيضًا.

- يدّعي النسويون أن «الأنموذج الإرشادي الذكوري» خاطئ لأنه ذكوري. أليس «الأنموذج الإرشادي الأنثوي» خاطئ أيضًا لأنه أنثوي؟

▪ إذا كان المنظور الأنثوي يعتبر الذكور غير مؤهلين لدراسة مشكلات المرأة بفاعلية، ولا يستطيعون تاليًا إصدار أحكام في هذا الشأن، ألا يعني ذلك أيضًا أن المرأة غير مؤهلة لدراسة مشكلات الذكور وإصدار أحكام في هذا الشأن؟

▪ ما الحاجة إلى المنهجية؟ إنها اختراع ذكوري وجزء من الأنموذج الإرشادي الذكوري الاضطهادي الذي ترفضه المرأة. لماذا يريد الباحثون النسويون أن يصبحوا جزءًا من مؤسسة يرفضونها؟

لم تُحْسَم بعد تمامًا قضية وجود منهج نسوي أم عدم وجوده[72]، فالحوار في هذا الشأن لا يزال مستمرًّا. ويمكننا القول إنّ التطورات الحديثة في النظرية النسوية وممارستها لا تستطيع تبرير وجود منهجية نسوية مستقلة، وهذا لا يعني إنكار قيمة البحث النسوي واتساعه وأهميته. وحتى كبار النسويين يرفضون هذه الفكرة[73]. ثمة إشارة لدى هاردنغ[74] إلى الخلافات في الرأي بين النسويين، خصوصًا مابعد الحداثيين، فيقول: «لن يكون هناك علم نسوي أو علم اجتماع أو علم إنسان أو إبيستمولوجيا نسوية بل كثير من القصص فحسب تتناقلها نساء مختلفات حول معرفة النساء المختلفة». أما عند بلايكي[75] فنقرأ: «إن تطوير نظريات متماسكة في عالم غير مستقر وغير متماسك يشكل عائقًا أمام الفهم والممارسة».

نقاط أساسية

▪ البحث النسوي نوع راسخ من البحث، يهدف إلى دراسة المرأة ومكانتها في المجتمع.

▪ البحث النسوي بحث تحريري يدعو إلى الانعتاق ويركز على التنوير والتغيير الاجتماعي.

---

(72) انظر على سبيل المثال: Geldsthorpe, «Response to Martyn Hammersley's Paper on Feminist Methodology»; C. Ramazanoglu, «On Feminist Methodology»; Hammersley, «On Feminist Methodology.»

(73) Harding, «The Instability of the Analytical Categories of Feminist Theory.»

(74) S. Harding, «Conclusion: Epistemological Questions,» in: Harding, ed., *Feminism and Methodology* (Milton Keynes: Open University Press, 1987), p. 188.

(75) N. Blaikie, *Approaches to Social Inquiry* (Cambridge: Polity, 1993), p. 125.

▪ يستخدم البحث النسوي طرائق عدة معدلة لتلائم متطلبات الأنموذج الإرشادي النسوي.

▪ هناك ثلاثة مواقع للبحث النسوي: زاوية النظر النسوية، مابعد الحداثية النسوية، التجريبية النسوية.

▪ زاوية النظر النسوية أقرب إلى القضية النسوية المعهودة من الموقعين الآخرين.

▪ تغطي المواقع الثلاثة القضايا المنهجية داخل الأنموذج الإرشادي النسوي.

▪ يستعير البحث النسوي طرائق وتصاميم من منهجيات أخرى، خصوصًا من المنهج النوعي. وهناك عدد قليل من طرائق البحث التي يمكن وصفها بأنها نسوية بحتة.

▪ لا يتميز البحث النسوي بالطريقة التي يستخدمها بل بتطبيقاته وأهدافه.

▪ إن طبيعة البحث النسوي وتنوع نماذجه تناقض فكرة إبيستمولوجيا نسوية.

▪ يعمل البحث النسوي في إطار الأنموذج الإرشادي البنائي التفسيري.

إلى أين؟

قبل أن تترك هذا الفصل، لا بد لك من أن تزور الموقع المرافق للطبعة الثالثة من كتاب **البحث الاجتماعي**: http://www.palgrave.com/sociology/sarantakos، لتراجع المفاهيم الأساسية في هذا الفصل وتختبر نفسك في القضايا الرئيسة التي ناقشناها.

قراءات إضافية

Books

Alcoff, L. *Real Knowing: New Versions of Coherence Epistemology*. Ithaca: Cornell University Press, 1996.

_______ and E. Potter. *Feminist Epistemologies*. London: Routledge, 1993.

Code, L. *What Can She Know? Feminist Theory and the Construction of Knowledge.* Ithaca: Cornell University Press, 1991.

Harding, S. *Is Science Multicultural? Postcolonialisms, Feminisms, and Epistemologies.* Bloomington: Indiana University Press, 1998.

Harding, S. *Whose Science? Whose Knowledge? Thinking from Women's Lives.* Ithaca: Cornell University Press, 1991.

Nelson, L. H. *Who Knows: From Quine to a Feminist Empiricism.* Philadelphia: Temple University Press, 1990.

Oakley A. *Experiments in Knowing: Gender and Method in the Social Sciences.* Cambridge: Polity, 2000.

Stanley, L. and S. Wise. *Breaking Out Again: Feminist Ontology and Epistemology.* London: Routledge, 1993.

الفصل الرابع

مبادئ البحث الاجتماعي

هذا الفصل

- يركز على القواعد الأساسية للبحث.
- يقدم أنواع القياس الرئيسة بالتفصيل.
- يعرّف طبيعة الصدق والثبات في البحث.
- يوضح دور التمثيل والتعميم.
- يناقش أهمية هذه المبادئ بالنسبة إلى النوعي.

العناوين الرئيسة

مقدمة

1. القياس
2. التكرار
3. المقاييس والمؤشرات
4. الصدق
5. الثبات
6. الموضوعية في البحث الاجتماعي
7. التمثيل
8. القابلية للتعميم

نقاط أساسية

إلى أين؟

قراءات إضافية

مقدمة

يُتوقع من البحث الاجتماعي الالتزام بمبادئ ومعايير معينة على الرغم من التنوع والتعدد في طبيعته وبنيته وعمليته. وقد تتغيّر طبيعة هذه المبادئ والمعايير، لكن وجودها وأهميتها أمر مسلّم به. ويعتبر معظم الباحثين أن ذلك يعكس طبيعة البحث الاجتماعي التي تتطلب أن يرتكز هذا البحث على معايير موثوقة ومعقولة.

لا يتردد الباحثون الكميّون في التعبير عن ولائهم لمبادئ يظهر أهمها في الإطار 1.4.

سوف نستكشف في هذا الفصل هذه المبادئ البحثية ونناقشها، ونبيّن كيف يستخدمها الباحثون ويسوّغونها. ومعظم هذه المبادئ سوف يُناقش في الفصول الأخرى مباشرةً و/ أو بصورة غير مباشرة وبمزيد من التكثيف. وتجدر بنا ملاحظة أن هذه المبادئ غالبًا ما يُشار إليها بأسماء أخرى؛ على سبيل المثال، يستخدم الباحثون النوعيون مفاهيم أخرى حين يتناولون مبادئ قالبهم البحثي.

الإطار 1.4

مبادئ البحث الكمي

▪ دقة القياس	▪ الموضوعية
▪ التكرار	▪ الأخلاقيات
▪ الصدق	▪ التمثيل
▪ الموثوقية	▪ قابلية التعميم

أولًا: القياس

1.1 مقدمة

تبدأ سيرورة البحث عادة بالإعداد النظري لموضوع البحث أو بصوغه (وهي خطوة معقدة ومتنوعة) وهذا ما يضع الأسس لباقي أجزاء البحث، ولذلك فهو خطوة مهمة تستحق اهتمامًا خاصًا. وقبل الخوض في هذه المناقشة، لا بد لنا من أن نأخذ في الاعتبار عنصرًا آخر أساسًا وعامًا في عملية البحث وواحدًا من مبادئ البحث الاجتماعي، ألا وهو القياس. يُعد القياس عنصرًا أساسيًا في البحث الاجتماعي، كما أنه ضروري للإجراءات التي سنشرحها في الفصل الآتي، حيث نتناول خطوة الإعداد للبحث.

في الجزء الأول من هذا الفصل، سنقدم مفهوم القياس وطبيعته وأنواعه وعددًا من القضايا المتعلقة به. وسننظر إلى القياس بصفته عنصرًا من عناصر البحث الاجتماعي، وسنوضح طبيعته وأنواعه وأهم خصائصه.

الإطار 2.4

يساعد القياس في تحقيق:

- الكفاية في الوصف والتقويم؛ إذ يتناول المفهوم تناولًا كاملًا.
- الاتساق في الوصف والتقويم عبر الزمن وبين الباحثين.
- المقارنة بين المفاهيم المعقدة وتحديد الفروق الدقيقة بينها.
- الانسجام في تقويم المفاهيم عبر الزمن وبين الباحثين.
- الدقة والإتقان في الإجراءات، من خلال الأخذ في الاعتبار جميع جوانب المفاهيم.
- إعادة تطبيق البحث الاجتماعي في السياق نفسه أو في سياق مختلف من الباحث نفسه أو من آخرين.

2.1 طبيعة القياس

يتضمن البحث الاجتماعي، بغض النظر عن نوعه وطبيعته، درجة معينة من

القياس تُصنّف بموجبها المفاهيم و/ أو تُحدَّد قيمها. والقياس عملية متنوعة في طبيعتها ومستوى عملها. وهو إجراء مفيد جدًا لأنه يضمن جودة عالية في البحث الاجتماعي. وبشكل عام يُجْرَى القياس ليساعد في تحقيق الكفاية والاتساق وإجراء المقارنات والانسجام والدقة والإتقان في وصف المفاهيم وتقويمها.

بشكل عام، قد يكون القياس كميًا أو نوعيًا. يركز القياس الكمي على القيم والصفات الرقمية، أما القياس النوعي فيُعنى بالتصنيفات والأسماء والصفات. يصف البحث النوعي الخصائص باستخدام مفاهيم أو رموز عامة، وقد يُدخل مفاهيم ورموزًا جديدة؛ وهذا إجراء عام يتضمن وصف الفئات وتصنيفها. على سبيل المثال، يُعد تصنيف مكان الإقامة إلى «حضري» و«ريفي» قياسًا نوعيًا. ويعتقد بعض الباحثين أن القياس النوعي لا يرقى إلى مستوى القياس لأنه لا يوضح المعايير الرئيسة للقياس مثل الدقّة والثبات أو الموثوقية والصدق؛ فهو عملية تصنيف وتسمية ووصف. وعلى الرغم من ذلك فإن وجهة النظر هذه ليست مقبولة تمامًا.

3.1 المتغيرات

1.3.1 تعريفات

المتغيرات بناءات تجريبية تتخذ أكثر من قيمة أو شدّة واحدة؛ مثل الجنس (ذكر أو أنثى)، والحالة الاجتماعية (عازب، متزوج، مطلق، أرمل، مهجور)، والعمر والتعليم. وعكس المتغيرات هي الثوابت التي تتخذ قيمة أو شدّة واحدة. في بداية الدراسة يحدد الباحث أي المفاهيم التي ستكون ثوابت وأيّها ستكون متغيرات.

يتبع بناء المتغيرات إجراءً منتظمًا يلتزم قواعد القياس. ويؤدي عدم التزام هذه المقتضيات إلى خلل وعدم دقة في القياس، وإلى نتائج زائفة تاليًا. لذلك يجب أن تلبي المتغيرات شرطين بالغي الأهمية: **أن تتعلق بمفهوم واحد، وأن تكون قابلة للقياس.**

هناك أنواع كثيرة من المتغيرات. وهذه الأنواع تتغير وفقًا لعدد من المعايير مثل: طبيعة المتغيرات (متغيرات جغرافية أو سكانية... إلخ)، ومكانتها في البحث (متغيرات مستقلة أو تابعة)، إضافةً إلى عوامل أخرى.

وأهم أنواع المتغيرات ما يلي:

- **المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة**

المتغير المستقل هو المتغير الذي يُحْدِثُ تغييرات في متغير آخر أو يفسّر متغيّرًا آخر، أما المتغير التابع فهو المتغير الذي يتأثر بمتغير آخر أو يُفَسَّر به. فعلى سبيل المثال، يمكن أن يكون المتغير المستقل في دراسة عن «حال الأسرة والتحصيل الدراسي» هو حال الأسرة، بينما يكون المتغير التابع هو التحصيل المدرسي. لا يرتبط هذا التفريق بين المتغيرين بطبيعة المفاهيم بل بطبيعة تصميم البحث؛ إذ يكون المتغير نفسه (التحصيل الدراسي) هو المتغير المستقل في دراسةٍ ما (عندما نحاول الإجابة عن السؤال: هل يؤثر التحصيل الدراسي في استهلاك الكحول؟)، وقد يكون هو المتغير التابع في دراسة أخرى (عندما نحاول الإجابة عن السؤال: هل يؤثر الجندر في التحصيل الدراسي؟).

- **المتغيرات الخارجية**

هي متغيرات «خارج» سؤال البحث، أو حجاجه أو فرضيته؛ وتختلف عن المتغيرات المستقلة والتابعة. فعلى سبيل المثال، في دراسة تتحرى صدق نظرية أن العِرْق (متغير مستقل) يرتبط بالتحصيل الدراسي (متغير تابع) (كأن يكون تحصيل البيض أعلى من تحصيل السود)، فإن السبب الحقيقي في التغيرات في التحصيل الدراسي قد لا يكون العرق (المتغير المستقل) بل مستوى الدخل والتحيز كمتغيرين غير متوقعين ولم يوضعا في الحسبان أصلًا وليسا جزءًا من معادلة البحث التي وضعها المنظّرون الأصليون. في مثل هذه الحالة يكون الدخل والتحيّز متغيرين خارجيين. لذلك فإن البحث عن وجود متغيرات خارجية محتملة أمر ضروري ومنطقي على الدوام في البحث الاجتماعي قبل تأكيد العلاقة بين المتغير المستقل والمتغير التابع.

- **المتغيرات المنفصلة والمتغيرات المتصلة**

يختلف هذان النوعان من المتغيرات أحدهما عن الآخر من حيث استمرارية المقياس؛ فالمتغير المنفصل غير متصل بل يستخدم وحدات كاملة فحسب، في حين أنَّ الآخر متّصل ويمكن تجزئته إلى ما لا نهاية. يستخدم القياس في المتغيرات المنفصلة (التي تُدعى أيضًا ذات الحدَّين) وحدات كاملة، من دون قيم ممكنة بين الوحدات المتجاورة. فعلى سبيل المثال، الحالة الاجتماعية متغير منفصل، فقد تكون «عازب» أو «متزوج» أو «مطلق» أو «أرمل» أو «يعيش بالمساكنة». والجندر أيضًا متغير منفصل، فقد يكون «ذكر» أو «أنثى». وفي كلا المثالين لا توجد قيمة بين كل قيمتين. في المقابل، فإن الوزن متغير متصل لأنه قد يستعمل زيادات صغيرة على الوحدات مثل 73.2، 78.1، 85.6 كلغ. إن المتغيرات المنفصلة تُعد ولا تقاس، أما المتغيرات المتصلة فتقاس ولا تُعد. ومن المتغيرات المنفصلة متغير الإثنية، العرق، الجنس، الحالة الاجتماعية، أسباب الموت أو نوع الدم. ومن الأمثلة على المتغيرات المتصلة: الطول، المسافة، الزمن، العمر، درجة الحرارة، أو درجات نسبة الذكاء.

- **المتغيرات السكانية**

تتعامل هذه المتغيرات مع البيانات السكانية مثل العمر ومكان الإقامة والدِّين والحالة الاجتماعية وحجم الأسرة والعرق والتعليم والتفضيل الجنسي. ويجدر بنا أن نتذكر بأن المتغير السكاني قد يكون مستقلًا أو تابعًا وقد يكون متصلًا أو منفصلًا وفقًا لطبيعة تصميم البحث.

هناك تمييزات كثيرة بين أنواع المتغيرات، معظمها شائع لدى استخدام الإحصاءات المتقدمة. فهناك، على سبيل المثال، متغيرات «كمية» وأخرى «نوعية». تستخدم المتغيرات النوعية المقياس الاسمي مثل الأصل العرقي، الأصل الإثني، الانتماء الديني، الجنس. بينما تستخدم المتغيرات الكمية المقاييس المترية والترتيبية. ويفرِّق أحيانًا بين المتغيرات الاسمية (المفهومية) والمتغيرات الإجرائية.

4.1 مستويات القياس

يمكن إجراء القياس على أربعة مستويات تختلف، من بين أشياء أخرى، وفقًا لدرجة موافقتها خصائص نظام الأعداد الحقيقية. وهذه المستويات الموافِقة الأربعة ومقاييسها الموافِقة هي: القياس الاسمي، القياس الترتيبي، القياس الفتري، والقياس النسبي. يمتاز القياس الاسمي بأقل درجة من الموافقة مع نظام الأعداد الحقيقية، بينما يمتاز القياس النسبي بأعلى مستوى من الموافقة.

الإطار 3.4

القياس الاسمي:

- يتضمن فئات اسمية وهو قياس نوعي غير حسابي؛ فهو يسمي البيانات ويصنفها في فئات.
- ليس له نقطة صفر.
- لا يمكن ترتيبه في مقياس متصل من الأدنى إلى الأعلى.
- يولّد بيانات اسمية أو فئوية.
- لا يفترض وجود وحدات متكافئة للقياس.
- يفترض مبدأ التكافؤ: جميع الوحدات في مجموعة محددة تُعَدّ متكافئة.

1.4.1 القياس الاسمي

يُعد القياس الاسمي أبسط أنواع القياس وأدناها درجة وأكثرها بدائية. يشمل القياس في هذا المستوى تصنيف الحوادث إلى فئات يجب أن تكون واضحة ووحيدة الاتجاه وشاملة ولا يمكن استبدال فئة بأخرى، وتكون المقاييس الناتجة هي مقاييس «تسمية». ويدل هذا القياس على وجود فرق بين الفئات التي تم تصنيفها.

تكمن هذه الفروق في طبيعة الفئات وليس في حجمها؛ فمثلًا نقول إن حجم المنزل رقم 10 ليس أكبر من حجم المنزل رقم 5 بمرتين. كذلك فإن الأرقام المحددة للفئات ليس لها معنى حسابي، وتستخدم فحسب للتعريف ولا يمكن جمعها أو طرحها أو ضربها أو قسمتها أو التعامل معها بأي شكل حسابي. إن

تصنيف المبحوثين إلى فئات مثل: ذكر - أنثى، أبيض - أسود، شاب - عجوز، عازب، متزوج، يعيش بالمساكنة، منفصل، مطلّق، متزوج مرة أخرى، أرمل، كاثوليكي، بروتستانتي، أنغليكاني أو أرثوذكسي يعتمد على القياس الاسمي. ومن الأمثلة الأخرى على القياس الاسمي تصنيف أفراد الدراسة وفقًا لمكان الولادة والدين والانتماء السياسي ونوع السيارة ومكان الإقامة والجنسية ونوع الحذاء ولون البشرة ونوع الموسيقى المفضلة وأنواع المشروبات.

من الجدير بالذكر هنا أنه لا يمكن أن يستخدم من المقاييس الإحصائية في هذا السياق سوى تلك التي صُمِّمَت للقياس الاسمي.

2.4.1 القياس الترتيبي

لا يقتصر القياس الترتيبي على تصنيف العناصر إلى فئات فحسب، بل يتضمن أيضًا ترتيب البيانات والمتغيرات في مقياس وفقًا لحجمها، أي من الأقل إلى الأكبر (علاقة متعدية). وهنا توفر الأرقام معلومات أكثر لأنها لا توضح الفرق بين الفئات فحسب، بل ترتبها أيضًا؛ وعلى كل حال، لا تتيح الأرقام هنا إجراء عمليات حسابية كالجمع والطرح.

الإطار 4.4

القياس الترتيبي:

- يشير إلى رتب وفقًا لترتيب واضح يرتكز على الحجم الأصغر والأكبر، ما يدل على أن لبعض العناصر قيمة أعلى من قيم غيرها.
- ينسب للأرقام معاني حسابية فعلية وخصائص تعريفية.
- قياس كمي بشكل أساسي.
- يبيّن الترتيب النسبي للقيم.

في ما يتعلق بالنقطة الأخيرة المتعلقة بالترتيب النسبي للقيم، فإن هذا القياس يسمح بترتيب الفئات (بشكل يوضح ما هي الفئة الأولى والثانية والثالثة وهكذا) لكنه لا يبين مقدار الفرق بين المجموعات (لا يحدد مسافة معينة بين الفئات).

لذلك فقد يكون الفرق بين الفئة الأولى والثانية مختلفًا عنه بين الفئة السادسة والفئة السابعة. فالمسافات بين الفئات غير متساوية.

من الأمثلة على هذه الأشكال من المُتَّصِل المُسْتخدَم في القياس الترتيبي ما يلي: المكانة (متدنية، متوسطة، عليا)؛ الحجم (الأصغر، صغير، كبير، الأكبر)؛ النوعية (سيئ، جيد، جيد جدًا، ممتاز)؛ الطبقة (دنيا، متوسطة، عليا)؛ التحصيل (ضعيف، متوسط، عالٍ)؛ الدخل (متدنٍّ، متوسط، عالٍ)، وهذا التصنيف ينطبق على المهن أيضًا.

3.4.1 القياس الفتري أو الفئوي القائم على وحدات متساوية

لا تتوافر في هذا القياس مواصفات القياس الترتيبي فحسب، بل يقدم أيضًا معلومات عن المسافة بين القيم، ويتضمن فترات متساوية يرتّب فيها الموضوعات. تُمكن هذه الطريقة الباحث من تقويم الفروق بين المبحوثين والحصول على مزيد من المعلومات المفصلة حول موضوع البحث.

الإطار 5.4

القياس الفتري أو الفئوي القائم على وحدات متساوية
▪ يتضمن وحدات متساوية.
▪ قياس كمي في جوهره.
▪ يسهل التفريق والتصنيف.
▪ يرتب الموضوعات.
▪ يحدد المسافة الرقمية بين الفئات.

يمكّن القياس الفتري الباحث من: تحديد ما إذا كانت قيمتان متشابهتين أو مختلفتين (كما هو الحال في القياس الاسمي)؛ تحديد ما إذا كانت قيمة ما أكبر أو أصغر من الأخرى (كما في القياس الترتيبي)؛ تأكيد درجة الفرق بين القيمتين. وعلى الرغم من ذلك، لا توجد فيه نقطة الصفر الحقيقية، وإذا ما استخدم الصفر فهو يُحدَّد عشوائيًا لتسهيل العمل فحسب ولا يعني الصفر غياب المتغير.

على سبيل المثال، إذا كان معدل الذكاء لطالبين هو 105 و125، فهذا يعني وفقًا للقياس الاسمي أن معدل ذكاء كل منهما مختلف عن الآخر. وفي القياس الترتيبي نقول إن معدل ذكاء الطالب الأول أقل من معدل ذكاء الطالب الثاني. وفي القياس الفتري نقول إن معدل ذكاء الثاني أعلى بعشرين نقطة من الأول، ولا نقول مثلًا إنه يفوق الأول بخُمس (1/ 5).

4.4.1 القياس النسبي أو القياس القائم على المعدّل النسبي

يتضمن هذا القياس عند هذا المستوى جميع خصائص الأنواع السابقة، إضافة إلى احتوائه على خيار الصفر المطلق الحقيقي (0) كأدنى قيمة في هذا القياس، وهذا يعني غياب المتغير المعنيّ. وببساطة فإن القياس النسبي هو قياس فتري مضاف إليه الصفر الحقيقي، وتاليًا فإن جميع خصائص القياس الفتري تنطبق على القياس النسبي. وهذا القياس يمكّن الباحث من وصف النسب والتناسب، أي ربط قيمة بأخرى. فعلى سبيل المثال، إذا كانت سرعة استجابة طالبين لمثير ما هي 10 ثوانٍ و20 ثانية. فإن الباحث يستطيع أن يستنتج بأن سرعة الأول ضعف سرعة الثاني.

يُستخدم هذا القياس في العلوم الاجتماعية عند قياس متغيرات سكانية، لكنه يُعَدّ غير ملائم لقياس الاتجاهات والآراء، لأن خيار الصفر في مقياس الاتجاهات والآراء يعني عدم وجود اتجاه أو رأي. وهذا أمر مضلل لأن عدم وجود رأي هو رأي بحد ذاته.

من ناحية حسابية، تدل الأرقام التي نتوصل إليها بوساطة القياس النسبي على العد والترتيب، ويمكن جمعها وطرحها وضربها أو تقسيمها. ومن الأمثلة على هذه الأنواع من القياس ما تَقدّم ذكره في القياس الفتري مع إضافة نقطة الصفر إلى المُتّصل. ومن الممكن أيضًا إيراد أمثلة من المجالات الآتية: عدد أفراد الأسرة، الوزن، الطول، المسافة، عدد الكتب التي يمتلكها أفراد الدراسة، وقت ردة الفعل، وعدد المنتجات في الساعة.

الجدول 1.4

مستويات القياس: خلاصة

المعيار	الاسمي	الترتيبي	الفتري	النسبي
خصائص القياس	التسمية	تسمية وترتيب	تسمية، ترتيب وفترات متساوية	تسمية، ترتيب، فترات متساوية، نقطة الصفر
طبيعة القياس	تصنيفي	ترتيبي	وضع درجات أو قيم	وضع درجات أو قيم
العمليات الحسابية	لا يوجد	لا يوجد	الجمع والطرح	العمليات الحسابية الأربع
الاختبارات الإحصائية الملائمة	اختبار لامدا، اختبار X^2	معامل ارتباط سبيرمان اختبار M-W-U اختبار العلامة	معامل ارتباط بيرسون، اختبار t، اختبار تحليل التباين	معامل ارتباط بيرسون، اختبار t، تحليل التباين
طبيعة المفهوم الضمني	منفصل	منفصل أو متصل	متصل	متصل
أمثلة	الحالة الاجتماعية، العرق، الإثنية، مكان الإقامة	الدخل، المكانة، التحصيل، الطبقة الاجتماعية، الحجم	درجة الحرارة، التوقيت حسب الروزنامة، درجات معدل الذكاء، مقياس الاتجاهات	الطول، الوزن، المسافة، عدد الأطفال، العمر

5.4.1 قياس المتغيرات

لا تقاس المتغيرات على مستوى واحد فحسب، بل تعتمد طريقة قياس المتغير على كيفية إدراكه وعلى نوع المؤشرات التي استُخدمت في أثناء عملية القياس. يمكن قياس المتغير نفسه بطرائق متعددة؛ فمثلًا يمكن قياس متغير

العمر وفقًا للقياس الاسمي إذا كان تعريفه في فئات منفصلة كبيرة، مثل الطفولة والمراهقة وسن الرشد ومنتصف العمر والشيخوخة، أو في فئات مثل صغير أو كبير. كما يمكن قياسه أيضًا بالقياس الترتيبي عندما يُرتب أفراد الدراسة وفقًا للعمر تنازليًا من الأكبر إلى الأصغر.

الإطار 6.4

الصفر الحقيقي والصفر العشوائي
أدى استعمال الصفر الحقيقي كصفة مميزة للقياسات النسبية إلى شيء من الارتباك بسبب صعوبة التمييز بين الصفر الحقيقي والصفر العشوائي. فالصفر لا يكون دائمًا «حقيقيًا»، لأن الصفر الحقيقي له معنى، أمّا الصفر العشوائي فلا معنى له. على سبيل المثال، عندما نقيس الحرارة، فإن درجة الصفر لا تعني عدم وجود حرارة مطلقًا! وفي قياس الاتجاهات فإن درجة الصفر لا تعني عدم وجود اتجاه مطلقًا (لأن عدم إبداء الرأي في مسألةٍ ما هو رأي). فهذه الأصفار ليست حقيقية، بل عشوائية. أما عند قياس الدخل أو عدد السيارات أو عدد الأطفال، فإن الصفر في مثل هذه الحالات يعني عدم وجود هذه المعايير: أي أنه يعني عدم وجود أطفال ولا دخل ولا سيارات. فهذه إذًا أصفار حقيقية، والقياس الذي يستعمل مثل هذه الأصفار هو الذي يُستخدم في القياس النسبي وحده.

يمكن استخدام القياس الفتري لقياس العمر، نظرًا إلى كون الوحدات متساوية، ونستطيع تحديد عدد وحدات الفارق بين مستويات العمر. فالقياس الفتري لا يوضح لنا من هو صاحب السن الأكبر (كما في القياس الترتيبي) فحسب، بل يبين لنا الفرق بين العمرين أيضًا، وأخيرًا يمكن قياس العمر باستخدام القياس النسبي لوجود الصفر المطلق (غير العشوائي) فيه. فالشخص لا يمكن أن يكون أقل من صفر في العمر، وإن عمر الشخص الذي يبلغ عشرين عامًا يكون ضعف عمر الشخص ذي السنوات العشر.

على الرغم من درجة الحرية التي يتمتع بها الباحثون عند قياس المتغيرات، فإن هناك قاعدة عامة لقياس المتغيرات على أعلى مستوى ممكن. وبشكل عام، تقاس المتغيرات المنفصلة على المستوى الاسمي أو المستوى الترتيبي، بينما تقاس المتغيرات المتصلة على المستوى الفتري أو النسبي.

6.4.1 خلاصة

إن جميع مستويات القياس فاعلة ومفيدة في سياقاتها الخاصة وللأغراض التي طُوِّرت من أجلها. لكن القياسات الاسمية أقلها دقة، يليها القياسات الترتيبية، ثم القياسات الفترية، ثم القياسات النسبية التي تتمتع بأعلى درجة من الدقة والإتقان. هناك فوائد كثيرة لاستخدام القياس الفتري والقياس النسبي، لكن لا يمكن قياس جميع المتغيرات وفقًا لهذين النوعين من القياس[1].

يُعد القياس عملية مهمة ومعقدة نسبيًا، وترتبط بمشكلات وأخطاء عدة؛ فهي مقيدة بطبيعة عالمنا الاجتماعي والمتغيرات المعنيّة ومفاهيم الباحثين وتحيزهم الشخصي. وتعتمد قيمة القياس على دقة الأدوات المستخدمة في القياس والأنموذج الإجرائي المتبع.

ثانيًا: التكرار

ينطبق هذا المفهوم على البحث الكمي؛ إذ يُشترط إجراء الدراسة حيث يمكن تكرارها من باحثين آخرين للتأكد من صدقها وإجراء المزيد من المقارنات. ومن المفترض أن يضمن مبدأ الصدق غياب التأثيرات والانطباعات الشخصية للباحث وأن يحقق درجة كاملة من الموضوعية في إجراء البحث، حيث تعكس نتائج البحث آراء المبحوثين كاملة. وهذا يضمن الحصول على المخرجات نفسها كلما تكررت الدراسة. أما بالنسبة إلى هدف إتاحة المزيد من المقارنات، فينبغي للباحثين الذين يقومون بتكرار دراسة ما، في السياق ذاته أو في سياق مختلف، أن يستخدموا أدوات البحث التي استُخدمت في الدراسة الأصلية من دون صعوبة، حيث يستطيعون تكرار الدراسة بشكل تام. وهذا يتيح للباحثين إجراء مقارنات صادقة واستخلاص المزيد من التعميمات المشروعة.

يُعَدّ التكرار أحد متطلبات البحث الكمي، لكنه يُعامَل بطريقة مختلفة في

---

(1) M. Wang and B. Mahoney, «Scales and Measurement Revisited,» *Health Values*, vol. 15 (1) (1991).

البحث النوعي. وبشكل عام، لا يعتبر الباحثون النوعيون هذه الفكرة ضرورية لأنها في نظرهم مستحيلة وغير ملائمة. ومن العوامل التي تساعد في استبعاد فكرة تكرار الدراسة في البحث النوعي: طبيعة البحث النوعي؛ كعدم الاهتمام بتمثيل العينة واستعمال طرائق عشوائية لاختيار العينة والاهتمام الشديد بآراء تتعلّق بموضوعات الدراسة بدلًا من آراء المجتمع كاملًا. وهناك من يعتقد أن البحث النوعي والتكرار نقيضان لا يلتقيان.

ثالثًا: المقاييس والمؤشرات

1.3 مقدمة

إن المقاييس تقنيات يستخدمها العلماء الاجتماعيون في سياقات متعددة، خصوصًا في مجال قياس الاتجاهات. ويتضمن المقياس عددًا من البنود (أقوال أو أسئلة) ومجموعة من فئات الاستجابة المكمَّمة. ويُختار كل بند في المقياس حيث يستجيب له الأفراد ذوو الآراء المختلفة بطرائق مختلفة. وتُستخدم المقاييس لأنها تمتاز بما يلي[2]:

- **تغطية عالية**: تغطي المقاييس بصورة كاملة جميع الجوانب المهمة للمفهوم.
- **درجة عالية من الدقة والإتقان**: توفر المقاييس درجة عالية من الإتقان والثبات.
- **قابلية عالية للمقارنة**: إن استخدام المقاييس يتيح فرصة إجراء مقارنات دقيقة ومتصلة بين مجموعات من البيانات.
- **البساطة**: تُسهّل المقاييس عملية جمع البيانات وتحليلها.

تتكون المقاييس من سلسلة معقدة من الخطوات التي تُختبر إحصائيًا.

(2) انظر: A. Benini, *Construction of Knowledge* (Rome: Gnome, 2000).

وتحتاج عمليتا البناء والاختبار الإحصائي إلى وقت وجهد كبيرين، لذلك ليس من السهل الإفادة منهما خصوصًا إذا كان الباحث تنقصه الخبرة في ميدان البحث. ولن نتطرق إلى هذين المفهومين هنا لأنهما خارج نطاق هذا الكتاب. وحتى الباحث الخبير يفضل استخدام مقاييس متوافرة ومختبرة جيدًا بدلًا من تطوير مقاييس جديدة. ويجدر بنا في هذا السياق الإشارة إلى عدد من الإرشادات الأساسية في بناء المقياس كما أوردها الباحثان الخبيران إدوارد وليكرت[3]، وتظهر هذه الإرشادات في الإطار 7.4.

الإطار 7.4

إرشادات لبناء المقياس
▪ يجب أن يصاغ المقياس بلغة سهلة واضحة ومباشرة.
▪ يجب أن تكون البنود مختصرة (لا تتجاوز عشرين كلمة)، وأن يشتمل كل بند على قضية واحدة وحسب.
▪ يجب تجنب استعمال الجمل المعقدة.
▪ يجب تجنب استعمال البنود التي تشير إلى حوادث سابقة ووقائع.
▪ يجب استبعاد البنود الغامضة غير ذات الصلة.
▪ يجب تجنب استعمال البنود التي يقبلها جميع المبحوثين أو يرفضونها.
▪ عدم استعمال كلمات أو عبارات مثل: جميع، دائمًا، لا أحد، مطلقًا، فقط، بالضبط، معظم.
▪ عدم استخدام الرطانة الاختصاصية وعدم استخدام الجمل التي تحتوي على أداتين للنفي.
▪ يجب أن تكون الفئات المستجيبة منفصلة بعضها عن بعض حيث توجد إجابة واحدة فقط للسؤال، وأن تكون شاملة وذات اتجاه واحد (تقيس مفهومًا واحدًا وحسب).

2.3 أمثلة على المقاييس

تقدم مقاييس ليكرت البنود في مُتَّصِلٍ يغطي جميع الإجابات المحتملة، ما

(3) A. A. Edwards, *Techniques of Attitude Scale Constructions* (New York: Appleton-Century-Crofts, 1957); R. A. Likert, «A Technique of Measurement of Attitudes,» *Archives of Psychology*, vol. 140 (1932).

يسمح للمبحوثين باختيار الإجابة التي تلائم آراءهم. وفي ما يلي مثال على نوع الأسئلة المستخدمة في مقاييس ليكرت.

السؤال 57: الزواج المثلي أمرٌ حسن كالزواج غير المثلي (ضع دائرة حول رقم الإجابة التي تختارها).

1. أوافق بشدة
2. أوافق
3. غير متأكد
4. لا أوافق
5. لا أوافق بشدة

هناك أيضًا مقياس بوغاردس (Bogardus) للمسافة الاجتماعية الذي يقيس مدى تقبّل شخص أن يقترب منه شخص آخر (غريب، مثلًا). ويوضح الإطار 8.4 محتوى هذا المقياس.

الإطار 8.4

مقياس بوغاردس للمسافة الاجتماعية

هل تعتبر الشخص الباحث عن مأوى

[ ] قريبًا بالمصاهرة
[ ] صديقًا شخصيًا
[ ] جارًا
[ ] زميلًا في العمل
[ ] أحد المعارف
[ ] زائرًا لبلادك
[ ] شخصًا يجب أن يُطرد من البلد

تمكن الباحثون عبر السنين من بناء عدد من المقاييس لقياس المواضع التي تقع ضمن اهتمامهم، وهي متاحة لاستخدام الباحثين في مقابل تكلفة بسيطة.

وهناك كتب من مجلدات عدة تحتوي على مقاييس مختلفة ومعلومات عن الباحثين الذين قاموا بتطويرها ومجالات تطبيقاتها وغير ذلك من المعلومات المفيدة.

3.3 المؤشرات

يُعد المؤشر مقياسًا يتضمن مجموعة من البنود تُجمع قيمها بغية الحصول على علامة رقمية. وتُستخدم المؤشرات لوصف المفاهيم العالمية وقياسها بدقة وذلك بالأخذ في الحسبان عددًا من جوانب المفهوم المحددة والممثلة. ويمثل المؤشر خلاصة رقمية ومقياسًا مركبًا حيث يقيس كل بند فيه جانبًا محددًا من المفهوم ويزودنا بمعلومات عن هذا الجانب أو الجزء.

مثال ذلك مؤشر نوعية **الحياة** في مدينة فيينا. قد يشتمل هذا المؤشر على العناصر الآتية: فرص التوظيف، فرص الترفيه، الطقس، مستوى التلوث، الخدمات الطبية، الفرص التعليمية، خدمات رعاية الأطفال، السلامة، معدل الجريمة، والمشكلات العرقية. تحوَّل هذه القضايا إلى أسئلة/ أقوال، ثم يقدم المؤشر للتقويم. توضع علامة لكلّ سؤال وتُجمع الدرجات لتكون مقياسًا واحدًا.

قد تخصص درجة/ علامة معينة لبنود المؤشر جميعها بالتساوي، وقد تكون الدرجات مختلفة من بند إلى آخر، خصوصًا عندما يكون بعض بنود المؤشر أكثر أهمية من غيره. ففي المثال السابق، قد تعطى الأسئلة عن معدل التوظيف ومعدل الجريمة قيمة أكبر من قيم الأسئلة عن الطقس ورعاية الأطفال.

تُعد المؤشرات مقاييس مفيدة يمكن استخدامها في مختلف نواحي الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتعليم والعبادة. ويبنى المؤشر باستخدام مبادئ نظرية ومعادلات رياضية. وفي كلتا الحالتين تبقى المؤشرات قياسات مركبة، وتاليًا فهي لا تختلف كثيرًا عن المقاييس[4].

---

(4) L. Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit* (Wien: Selbstverlag, 2000).

رابعًا: الصدق

1.4 الصدق في البحث الكمي

الصدق هو إحدى خصائص أداة البحث التي تقيس مدى ملاءمته ودقته وصوابيته. ويوضح الصدق للباحث ما إذا كانت الأداة تقيس ما يفترض بها أن تقيسه، وما إذا كان القياس دقيقًا وصائبًا. فالصدق إذًا مقياس لنوعية عملية القياس، ويعكس القيمة الأساسية للدراسة التي تكون مقبولة ومحترمة ومتوقعة لدى الباحثين والمستفيدين من البحث. وبشكل عام، يتوقع من المقياس أن يكون مهمًا ودقيقًا وصائبًا.

- **الملاءمة**: يكون للأداة صدق مطلق عندما تقيس ما هي مصممة لقياسه ليس غير، لا أكثر ولا أقل. فإذا أراد باحث أن يعرف المسافة بين مدينتين مثلًا، فإن الكيلومتر والميل أداتان ملائمتان. ويُعَدّ الكيلوغرام أداة قياس ملائمة لقياس وزن الشخص، لكنه غير ملائم لقياس ذكائه.

- **الصوابيّة**: يتضمن الصدق درجة من الصوابية التي تعني القدرة على تحديد القيمة الحقيقية للبند المستهدف. فمثلًا، إذا وقفتَ على الميزان (الذي يقيس بالكيلو وحسب من دون إظهار أجزائه) وحصلت على قراءة 70 كلغ (الذي يمثل وزنك الحقيقي)، يكون الميزان عندئذٍ صائبًا. لكن إذا كانت قراءة الميزان 68 كلغ فإنه غير صائب (وتاليًا غير صادق).

- **الدقّة**: يتطلب الصدق أيضًا أن يكون المقياس دقيقًا. والدقة تتضمن الصواب لكنها تتطلب علاوة على ذلك استخدام أصغر مقياس ممكن في عملية القياس. فمثلًا إذا أراد اختصاصي التغذية أن يقيس معدل زيادة الوزن أو نقصانه عند شخص يخضع لمعالجة طبية معينة واستعمل الميزان الذي يقيس بالكيلو وحسب (68، 69، 70)، فإن المقاييس في هذه الحالة تكون غير دقيقة بما يكفي، حيث يُفترض بالمقياس في مثل هذه الحالة أن يوضح أجزاء الكيلو أيضًا.

2.4 اختبار الصدق

يستخدم البحث الكمي طريقتين للتأكد من صدق أداة البحث: الاختبار التجريبي والاختبار النظري. وتُستعمَل في هذا السياق اختبارات الصدق الداخلي والخارجي، حيث يختبر صدق الأداة في اختبار الصدق الداخلي وفقًا للأدلة التجريبية. وعند استخدام اختبار الصدق الخارجي فإن صدق الأداة يُختبر بوساطة بناءات مفهومية أو نظرية. وفي الحالتين، يثبت صدق الأداة إذا كانت نتائج الاختبار مقبولة.

الإطار 9.4

ما الصدق؟
الصدق:
▪ مقياس للدقّة والصواب والملاءمة.
▪ يعكس جودة المؤشرات والأدوات.
▪ يعني القدرة على توليد نتائج منسجمة مع القيم النظرية والمفاهيم.
▪ يجيب عن السؤال: هل تقيس الأدوات/ المؤشرات ما يفترض بها أن تقيسه؟

1.2.4 إثبات الصدق التجريبي

يختبر إثبات الصدق التجريبي الصدق المعياري أو البراغماتي. على سبيل المثال، إذا خلصت أداة للقياس إلى أن الطلاب المشاركين في نشاط اتحاد الطلاب قد حققوا نتائج دراسية أفضل، وإذا أيدت البيانات المتوافرة هذه النتيجة، يكون للأداة المعنية صدق عملي. كما يمكن افتراض الصدق إذا كانت الأدلة التجريبية المتوافرة تدعم النتائج أصلًا. ويسمى الصدق في هذه الحالة **الصدق المتزامن**.

إذا كانت النتائج الجديدة تؤيد تنبؤات المقياس المعني، فإننا نستطيع القول إن هذا المقياس صادق. فمثلًا، إذا أظهرت دراسة بأن إدخال مادة الإحصاء المتقدم إلى متطلبات الحصول على درجة البكالوريوس في العلوم الاجتماعية

سيؤدي إلى انسحاب الطلاب القدامى من البرنامج، وفي الوقت نفسه إذا كانت النتائج الجديدة تؤيد هذا التنبؤ، يمكننا القول إن المقياس يتسم **بالصدق المتوقَّع**.

2.2.4 إثبات الصدق النظري

يُستخدم إثبات الصدق النظري أو المفهومي عندما يكون التحقق التجريبي صعبًا أو مستحيلًا. ويتسم المقياس بالصدق النظري إذا تطابقت نتائجه مع مبادئ الفرع العلمي النظرية، أي إذا كانت لا تناقض قواعد الفرع المقرَّرة. وهناك أنواع عدة من الصدق النظري.

3.2.4 الصدق الظاهر

تتسم الأداة بالصدق الظاهر إذا كانت تقيس، «ظاهريًا»، ما هي مصممة لقياسه. فمثلًا يكون الاستبيان الذي يهدف إلى دراسة التمييز على أساس الجنس صادقًا إذا كانت جميع أسئلته عن تمييز يعانيه البشر لأنهم ذكور أو إناث. وترتكز معايير الحكم في هذه الحالة على معايير ومبادئ نظرية عامة، وعلى ما يعتبره الباحثون الآخرون أداة صادقة.

يُذكر أنه في غياب المعايير والمبادئ العامة، وغياب الاتفاق حول ما هو صحيح توقعه فإن هذه الأداة تفتقر إلى الصدق الظاهر. فمثلًا، لن تتسم الأداة التي تهدف إلى دراسة التديُّن عند الناس بالصدق إذا كانت أسئلتها تتعلق بعادات التدخين عند المبحوثين، لأنه من المعروف نظريًا عدم وجود علاقة بين التدخين والتديُّن.

4.2.4 صدق المحتوى

يتسم المقياس بصدق المحتوى إذا كان شاملًا لجميع نواحي موضوع البحث. فإذا استخدم باحث في دراسة التديُّن استبيان لا يشتمل إلا على أسئلة عن الحضور إلى الكنيسة، فإن هذه الأداة لا تتسم بصدق المحتوى، لأنها تركز على الممارسة الدينية فحسب، وتهمل جوانب أخرى من المفهوم كالمعتقدات والالتزامات الدينية.

5.2.4 صدق البناء

يكون المقياس صادقًا من حيث البناء إذا كان بناؤه النظري صادقًا. وبعبارة أخرى يتسم المقياس بصدق البناء إذا كان يقيس البناءات التي صُمم لقياسها. ويركز إثبات الصدق هنا على صدق البناء النظري. فمثلًا، يمكننا القول إن أداة ما تتسم بصدق البناء إذا قامت باختبار اتجاهات مجموعتين من الطلاب معروفتين بالاختلاف في الاتجاهات نحو مسألة ما وأظهر القياس أن المجموعتين مختلفتان، أي إن القياس أكد الفرق المعروف بينهما.

6.2.4 الصدق الداخلي

يشير الصدق الداخلي إلى مدى تأثير تصميم البحث في مخرجاته. ويتأكد الصدق الداخلي من أن نتائج البحث لم تتأثر بالأدوات أو الإجراءات، وأنها ناتجة من المتغير المستقل. وفي ما يلي مجموعة من العوامل التي يمكن أن تهدد الصدق الداخلي في البحوث التجريبية ودراسات الاتجاهات والدراسات الطولية، على سبيل المثال[5]:

- التغيرات البنيوية غير المتوقعة التي قد تحدث في أثناء سير الدراسة وتُخضع المبحوثين لأوضاع مختلفة.
- التغيرات التطورية العادية التي ينبغي توقع حدوثها في الدراسات الطولية، حيث يتم جمع البيانات على مدار خمس سنوات مثلًا.
- الطرائق المختلفة التي يمكن أن تُستخدم في أثناء الدراسة قد تؤدي إلى إخضاع المبحوثين لأدوات بحث مختلفة.
- الطرائق المختلفة لاختيار العينة التي يمكن أن تُستخدم في خلال مدة الدراسة، قد تؤدّي إلى مشكلات في اختيار أفراد العينة.
- احتمال استخدام أشخاص مختلفين في أثناء إجراء الدراسة من ذوي الكفاءات والخبرات والمعرفة والاتجاهات المختلفة.
- تغيير أو تعديل تقنيات التسجيل قد يؤدي إلى تسجيلات غير متسقة.

---

(5) انظر: W. Farber, *kunstlehre der Erklärung* (Graz: Selbstverlag, 2001).

في مثل هذه الحالات، يتعرض المبحوثون لعوامل قد تؤثر في المعلومات التي تُجمع في أثناء الدراسة.

7.2.4 الصدق الخارجي

يشير الصدق الخارجي إلى مدى قابلية نتائج الدراسة للتعميم، وهذا يلائم الدراسات الاستطلاعية. وفي ما يلي عدد من العوامل التي تبيّن كيف يهدد إجراء البحث الصدق الخارجي[6]:

- **الاختبار:** يمكن لاختيار المبحوثين أن يجعلهم أكثر ألفة بموضوع الدراسة ويصبحون تاليًا أكثر معرفة من متوسط مجتمع الدراسة.
- **اختيار العينات:** قد يؤدي الاختيار غير الملائم أو المتحيز إلى عيّنات تفتقر إلى التمثيل.
- **تعدد أدوات الدراسة:** قد يسبب تعريض المبحوثين إلى عدد من أدوات البحث إلى تأثير تفاعلي ومشكلات أخرى.
- **المقاييس:** قد يؤدي استخدام المقاييس غير الملائمة إلى استجابات غير حقيقية.

بغض النظر عن نوع الصدق، يظل دور الصدق مهمًا في البحث، ويبذل الباحثون جهدًا كبيرًا لاستخدام اختبارات ملائمة في دراساتهم.

3.4 الصدق في البحث النوعي

لا يُعد الصدق ممارسة منهجية في البحث الكمي فحسب، بل في البحث النوعي أيضًا[7]. يهدف الباحثون النوعيون إلى تحقيق الصدق الذي يعتبرونه من

---

(6) انظر: Ibid.

(7) D. E. Lancy, *Qualitative Research in Education: An Introduction to the Major Traditions* (New York: Longman, 1993); J. A. Maxwell, «Understanding and Validity in Qualitative Research,» *Harvard Educational Review*, vol. 62, no. 3 (1992); M. B. Miles and A. M. Huberman, *Qualitative Data Analysis: An Expanded Sourcebook* (Beverley Hills, Calif.: Sage, 1994); I. Steinke, Gütekriterien qualitativer Forschung, in U. Flick, E. von Kardoff and I. Steinke, eds., *Qualitative Forschung: Ein Handbuch* (Reinbek bei Hamburg: Rowohlt, 2000).

جوانب القوة في بحوثهم، ذلك أنّه ينقي البيانات من التأثيرات والتلوث بعوامل أخرى، ومن التحكم بالمتغيرات أو التلاعب بها[8]. وهذا ما يتيسّر لعدد من الطرائق، خصوصًا حدوث ذلك باتجاههم نحو العالم التجريبي ودراستهم له[9]، من خلال بناء طرائق ملائمة لجمع البيانات وتحليلها[10] أو من خلال مقاييس محددة مثل الصدق التواصلي أو التراكمي أو البيئي أو الجدلي[11].

يُعد الصدق جزءًا أصيلًا من البحث النوعي[12] على الرغم من استعماله في كثير من الأحيان بمسمى آخر مثل «الصدقية» و«الثقة» و«الأصالة». ويستعمل باحثون آخرون عبارات: الموضوعية والثبات والصدقية والتعميم والقابلية للتحقق والإثبات والنوعية واعتمادية المعايير والدعم، والكفاية المرجعية والحقيقة والأمانة. علاوة على ذلك هناك من يستخدم التعبير نفسه بشيء من التعديل، مثل الصدق بين الذاتي والصدق التكميلي والصدق غير المنطقي/ أو حتى الثقة، والصدق الساخر[13]، البراغماتي الجديد[14] والصدق الجذموري[15] والصدق الحسي والصدق الموضَّع[16]. في بعض السياقات يستبدل الباحثون

---

(8) M. D. LeCompte and J. P. Goetz, «Problems of Reliability and Validity in Ethnographic Research,» *Review of Educational Research*, vol. 52 (1982).

(9) H. Blumer, *Critiques of Research in the Social Sciences* (New Brunswick, N.J.: Transaction, 1979), p. 49.

(10) U. Volmerg, «Validität im interpretativen Paradigma: Dargestellt an der Konstruktion qualitativer Erlebensverfahren,» in: P. Zedler and H. Moser, eds., *Aspekte qualitativer Sozialforschung. Studien zu Aktionsforschung empirischer Hermeneutik und reflexiver Sozialtechnologie* (Opladen: Leske und Budrich, 1983), p. 124.

(11) L. Köckeis-Stangl, «Methoden der Sozialisationsforschung,» in: D. Ulrich and K. Hurrelmann, eds., *Handbuch der Sozialisationsforschung* (Opladen: Beltz, 1980).

(12) Lancy, *Qualitative Research in Education*; Steinke, Gütekriterien Qualitativer Forschung; H. F. Volcott, «On Seeking - and Rejecting - Validity in Qualitative Research,» in: W. Eisner and A. Peshkin, eds., *Qualitative Inquiry in Education: The Continuing Debate* (New York: Teachers College Press, 1990).

(13) P. Lather, «Fertile Obsession: Validity after Post-Structuralism,» *Sociological Quarterly*, vol.35 (1993), p. 677.

(14) J. F. Lyotard, *The Postmodern Condition: A Report on Knowledge* (Manchester: Manchester University Press, 1984).

(15) J. Derrida, *Die Schrift und die Differenz* (Frankfurt: Suhrkamp, 1976).

(16) Lather, «Fertile Obsession.»

النوعيون بالسؤال: «هل تدرس أداة البحث ما يفترض بها أن تدرسه؟» السؤال: «هل يرى الباحثون ما يعتقدون أنهم يرونه؟».

لضمان الصدق في أعمالهم، يلجأ الباحثون النوعيون إلى عدد من المقاييس تختلف من حالة إلى أخرى، ومن باحث إلى آخر. وفي ما يلي بعض أنواع إثبات الصدق كما أشار إليها عدد من الباحثين[17]:

- **إثبات الصدق التراكمي**: يمكن إثبات صدق الدراسة إذا كانت نتائجها تحظى بتأييد نتائج دراسات أخرى. ويستطيع الباحث هنا مقارنة نتائج الدراسات المختلفة ليخلص إلى قرار في شأن صدق هذه الدراسات.

- **إثبات الصدق التواصلي**: يتطلب هذا النوع من إثبات الصدق إشراك أفراد الدراسة في التأكد من دقة البيانات وتقويم سيرورة البحث وتغيير الأهداف وغيرها (Delphi format)، وهناك طرائق أخرى كاستخدام خبراء من المدققين الخارجيين واستخدام أكثر من طريقتين للتأكد من صدق النتائج بأكثر من منظور[18] ولتأكيد الأصالة.

- **إثبات الصدق الحجاجي**: يتحقق هذا الشكل من الصدق من طريق عرض النتائج بطريقة تسمح بمتابعة النتائج واختبارها.

- **إثبات الصدق البيئي**: يُثْبَت أنَّ الدراسة صادقة بإجرائها في البيئة الطبيعية لموضوعات البحث، باستخدام الطرائق الملائمة وأخذ حياة المبحوثين وأوضاعهم في الاعتبار.

---

(17) C. J. Drew, M. L. Hardman and A. W. Hart, *Designing and Conducting Research Inquiry in Education and Social Science* (London: Allyn and Bacon, 1996); S. Lamnek, *Qualitative Sozialforschung*, Band 1: Methodologie; Band 2: Methoden und Techniken (Weinheim: Psychologie Verlags Union, 1993); Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit*; E. Terhardt, «Intuition-Interpretation-Argumentation: Zum Problem der Geltungs-begründung von Interpretationen,» *Zeitschrift der Pädagogik*, vol. 27, no. 5 (1981), p. 789.

(18) E. v. Kardorff, «Qualitative Evaluationsforschung,» in: U. Flick, E. von Kardorff and I. Steinke, eds., *Qualitative Forschung: Ein Handbuch* (Reinbek bei Hamburg: Rowohlt, 2000), pp. 245-246.

4.4 «تكتيكات» أخرى

يقترح مايلز وهوبرمان[19] عددًا من «التكتيكات» لتأكيد النتائج. ومع أن هذه الأساليب لا تعد أشكالًا مباشرة للصدق، فهي تخدم الهدف نفسه. فبعضها يشبه الأساليب التي ذكرت آنفًا (الصدق التراكمي والصدق التواصلي)، أما بعضها الآخر فيشبه أشكال إثبات الصدق التي يستخدمها الباحثون الكميون. واقترح باحثون آخرون أساليب لحماية الصدق في البحث النوعي[20]. والمهم هنا هو أن الصدق ليس معيارًا للبحث الكمي بل هو أساس عام ترتكز عليه معظم أنواع البحوث. ويعتقد عدد كبير من العاملين في هذا المجال أن الباحثين ليسوا في حاجة إلى إبداء الصدق بل عليهم تحقيق التفوق المنهجي، أي إجراء البحث بطريقة مهنية منتظمة ودقيقة.

تتمتع أنواع إثبات الصدق هذه بدرجة الفاعلية نفسها التي تتسم بها أنواع إثبات الصدق في البحوث الكمية، ويعتبرها بعض الباحثين أكثر فاعلية. ويبرر لامنك[21] هذه المسألة بقوله إن الدراسات والبحوث النوعية تمتاز بأنّ:

- البيانات فيها أقرب إلى ميدان البحث مما هو عليه الحال في البحث الكمي.
- جمع البيانات لا تتحكم به أوساط البحث وموجِّهاته.
- البيانات فيها أقرب إلى الواقع من بيانات البحث الكمي.
- آراء المبحوثين ووجهات نظرهم تؤخذ في الاعتبار.
- طرائق البحث أكثر انفتاحًا ومرونة منها في البحث الكمي.
- ثمّة لها أساس تواصلي لا يتوافر في البحث الكمي.
- يمكن توسيع بياناتها وزيادتها بشكل متتابع.

---

(19) Miles and Huberman, *Qualitative Data Analysis.*

(20) Y. S. Lincoln and E. G. Guba, *Naturalistic Inquiry* (Beverley Hills, Calif.: Sage, 1985); Drew, Hardman and Hart, *Designing and Conducting Research Inquiry in Education and Social Science,* pp. 169-171.

(21) Lamnek, *Qualitative Sozialforschung,* pp. 154-159.

الإطار 10.4

الصدق في البحث الإثنوغرافي

«(1) ينبغي للباحث أن يمتنع عن الكلام في الميدان وعليه أن يستمع بقدر ما يستطيع. وعليه أن (2) يدوّن ملاحظات بأعلى درجة ممكنة من الدقة، وأن (3) يبدأ الكتابة في مرحلة مبكرة بطريقة (4) تسمح لقراء هذه الملاحظات والتقارير أن يفهموها بأنفسهم. ويعني هذا توفير بيانات كافية للقراء لتمكينهم من الاستنتاج بأنفسهم ومتابعة استنتاجات الباحث نفسه. ويجب أن يكون التقرير (5) كاملًا و(6) خاليًا من التحيز بأعلى درجة ممكنة و(7) يجب أن يسعى الباحث إلى الحصول على ملاحظات حول نتائجه من الميدان أو من زملائه. (8) يجب أن يتسم التقرير بالتوازن بين موضوعات الدراسة و(9) أن يكون دقيقًا من حيث الكتابة»[22].

إن ملاحظتنا للتطورات في مجال الصدق في البحث الاجتماعي تؤكد الاهتمام المتزايد بضمان الجودة في البحوث النوعية[23]. ولقد تم إدخال ضروب مهمة من التجديد لضمان الصدق، وعرضنا سابقًا أهم هذه الأمور. وإضافة إلى أهمية فكرة توافر وصف واضح لإجراءات جمع البيانات وتفسيرها، ثمة أمور أخرى على درجة عالية من الأهمية مثل: عرض المواد المهمة، إنتاج التقارير المكتوبة، الملاحظات الميدانية، التشديد على تكرار الدراسة[24].

خامسًا: الثبات

يشير الثبات إلى قدرة القياس على إعطاء نتائج متّسقة. فالثبات يكافئ الاتساق. لذلك تكون طريقة ما ثابتة إذا أعطت النتائج نفسها في حال تكرارها، من دون التأثر بالباحث أو أوضاع البحث أو المبحوثين.

(22) H. F. Wolcott, *Writing up Qualitative Research* (Newbury Park, Calif.: Sage, 1990), pp. 127-128.

(23) انظر على سبيل المثال: Y. S. Lincoln, «Emerging Criteria for Quality in Qualitative and Interpretive Research,» *Qualitative Inquiry*, vol. 1 (1995); C. Seale, *The Quality of Qualitative Research* (London: Sage, 1999); I. Steinke, *Kriterien qualitativer Forschung: Ansätze zur Bewertung qualitativ-empirischer Sozialforschung* (München: Juventa, 1999).

(24) E. Matt, «Darstellung qualitativer Forschung,» in: U. Flick, E. von Kardorff and I. Steinke, eds., *Qualitative Forschung: Ein Handbuch* (Reinbek bei Hamburg: Rowohlt, 2000), p. 585.

يتميّز الثبات أيضًا بالدقة والموضوعية (انظر الإطار 11.4). وكما هو الحال في الصدق، هناك جانبان مهمان في هذا السياق: الثبات **الداخلي** والثبات **الخارجي**. يعني الأول ثبات النتائج في الموقع ومعقولية البيانات في ذلك الموقع. أما الثاني فيعني ثبات البيانات وقابليتها للتطبيق في مواقع مختلفة.

يهدف الثبات إلى ضمان كون أدوات البحث قوية وغير حساسة لتغير الباحث أو المبحوث أو أحوال البحث. وعلاوة على كون الأداة تسمح بالتكرار، فإن هذا يدل على أن الثبات معنيّ بالموضوعية والصواب والدقة والاتساق والاستقرار. وتُستخدم هذه المعايير كما هو الحال في معيار الصدق.

الإطار 11.4

ما الثبات؟ إن الثبات: ▪ مقياس الموضوعية والاستقرار والاتساق والدقّة. ▪ يقيس جودة المؤشرات والأدوات. ▪ يشير إلى القدرة على إنتاج النتائج نفسها في كل مرة يعاد فيها المقياس. ▪ يجيب عن الأسئلة: هل تولّد الأداة أو المؤشر نتائج متّسقة؟ هل تخلو الأداة من التحيز من الباحث أو الموضوع أو أحوال البحث؟

1.5 الثبات في البحث الكمي

هناك ثلاثة أنواع من الثبات يعتمدها الباحثون الاجتماعيون:

▪ **ثبات الاستقرار**: يرتبط بالثبات عبر الزمن، ويعني ذلك مدى إعطاء المقياس النتائج نفسها إذا تم تطبيقه في فترات زمنية مختلفة.

▪ **الثبات التمثيلي**: يرتبط هذا النوع بالثبات عبر مجموعات من الموضوعات، والسؤال هو: هل سيبقى المقياس موثوقًا به إذا طُبق على مجموعات جديدة؟

▪ **ثبات التكافؤ**: ويعني الثبات عبر المؤشرات وبالنسبة إلى مؤشرات متعددة في الإجراءات العملية. والسؤال هو: هل يُنتج المقياس نتائج متّسقة وفقًا لمؤشرات مختلفة؟

هناك أيضًا طرائق أخرى للتحقق من ثبات الأداة، أهمها ما يلي:

▪ **طريقة الاختبار - إعادة الاختبار**: يُطبق الاختبار على مجموعة من الموضوعات ثم يعاد تطبيقه على المجموعة نفسها. يكون الاختبار ثابتًا إذا أعطى النتائج نفسها.

▪ **طريقة التجزئة النصفية**: تُقسم الاستجابات للمقياس إلى مجموعتين (مثلًا الأسئلة الفردية والزوجية)، ويحسب الارتباط بين علامات المجموعتين. ويدل نوع الارتباط ودرجته على درجة ثبات المقياس.

▪ **الثبات عبر البنود والثبات عبر المقاييس**: يدل هذان النوعان من الثبات على درجة ثبات الأداة.

▪ **ثبات الأشكال المتكافئة**: يتم التحقق من الثبات بتطبيق أداتين متشابهتين في جلسة واحدة. ويُقدَّر الثبات بحساب معامل الارتباط بين علامات المجموعتين.

تُستعمل هذه الاختبارات بانتظام، وهي تتضمن كمًّا هائلًا من التحليل والتفسير. ويتم اختبار أدوات البحث قبل تطبيقها وتُعرض النتائج عادة على المجتمع الأكاديمي في كل مرة يشار فيها إلى هذه الأدوات، وعندما تنشر نتائجها. وجعل استخدام الحاسوب إجراء هذه الحسابات والإحصاءات أسهل وأكثر دقة وأكثر متعة مما سبق. ويلجأ الباحثون الكميون إلى استخدام التحليل الإحصائي الحاسوبي باستمرار.

إن إمعان النظر في مفهوم الثبات كفيلٌ بأن يبيّن أنه مرتبط بالصدق. وفي الواقع فإن الثبات من دون صدق يكاد يكون عديم الفائدة حتى لو اتسمت الأداة بأعلى درجة من الثبات. على سبيل المثال، فإن الميزان الذي يشير إلى أن وزن الطالب 65 كلغ بالضبط في كل مرة يزن الطالب فيها نفسه يكون عديم الفائدة

إذا كان وزن الطالب 99 كلغ. لذلك، فمن المفيد أن نقيس نتائج الثبات ونفسّرها مصحوبة بدرجات الصدق.

2.5 الثبات في البحث النوعي

يكاد البحث النوعي لا يعير أي انتباه إلى الثبات مقارنة بالبحث الكمي. ويقدم الباحثون أسبابًا كثيرة للاعتراض على هذه الممارسات (انظر الإطار 12.4). فهم يعتبرون الثبات معيارًا مهمًا في البحث لكنهم يستخدمون لإظهار تمسكهم به طرائق تختلف جذريًا عن الطرائق المستخدمة في البحث الكمي.

يستخدم الباحثون النوعيون مقاييس ثبات يعتبرونها أكثر فاعلية مثل زيادة تنوع منظورات البحث أو تحديد عدد من الأخطاء الممكنة التي يعملون على تجنبها[25]. وبشكل عام، يسعى الباحثون النوعيون جاهدين إلى تطبيق إجراءات شديدة ودقيقة في البحث لكنهم يستخدمون طرائق مختلفة لتحقيق ذلك. وفي معظم الحالات، فإنهم يتجنبون استخدام مفهوم «الثبات» ويستبدلونه بمفاهيم مثل: **الصدقية**، **القابلية للتطبيق**، **القابلية للتدقيق**. كما أنهم يستخدمون عبارة **القابلية للتأكيد** بدلًا من الموضوعية[26]. وهناك مصطلحات أخرى يستخدمونها بدلًا من الموضوعية مثل: **التماسك** الذي يعني مدى تلبية طرائق البحث لأهدافه، **والانفتاح** الذي يعني مدى السماح باستخدام طرائق ملائمة أخرى، والاستطراد الذي يشير إلى المدى الذي يُسمح فيه للباحث مناقشة البيانات وتفسيرها معًا وتقويم آثار هذه النتائج[27]. ومن المصطلحات الشائعة أيضًا في هذا المجال: **الثقة والجدارة والصدقية والقابلية للتعميم والقابلية للتحقق**[28].

---

(25) G. J. McCall, «Qualitätskontrolle der Daten bei teilnehmender Beobachtung,» in: K. Gerdes, ed., *Explorative Sozialforschung* (Stuttgart: Enke, 1979).

(26) E. G. Guba and Y. S. Lincoln, *Fourth Generation Evaluation* (Newbury Park, Calif.: Sage, 1989).

(27) J. Bogumil and S. Immerfall, *Wahrnehmungsweisen empirischer Sozialforschung: Zum Selbstverständnis des sozialwissenschaftlichen Forschungsprozesses* (Frankfurt am Main: Campus Verlag, 1985), p. 71.

(28) U. Flick, *An Introduction to Qualitative Research* (London: Sage, 1998), pp. 231-232.

الإطار 12.4

البحث النوعي والثبات الكمي
في محاولة تحقيق الصدق، يُعتقد أنَّ الباحثين الكميين:
■ يضبطون البيئة.
■ يستخدمون مستويات عالية من القياس والتعيير.
■ يحددون العلاقة بين الباحث والمبحوث.
■ يختلقون مواقف اصطناعية تختلف عن التي يهدفون إلى دراستها.
■ يعزلون الباحث عن بيئة البحث ما يؤدي إلى نتائج غير مرغوب فيها.

باختصار، تُقوّم جودة البحث النوعي بعبارات أكثر عمومية من تلك المستخدمة في تقويم جودة البحث الكمي. ويتم ذلك بعبارات محددة لموضوعات البحث وتفسيرات الباحث، واتباع إجراءات تضمن قيام عدد من الباحثين بتقديم نتائج متشابهة (بوساطة التدريب الملائم)، وزيادة توثيق النتائج[29].

يأخذ الباحث النوعي جانبَي الثبات، الداخلي والخارجي، في الاعتبار، لكن طريقة تطبيق كل نوع في الممارسة تختلف من حالة إلى أخرى. وهناك وجهة نظر شائعة تقترح السبل الآتية[30]:

- التفاعل الطويل والملاحظة المستمرة.
- تقويم الزملاء والاستجواب.
- تحليل الحالات السلبية.
- التأكد من «ملاءمة» معايير التفسير والتقويم.
- تدقيق الأعضاء (إثبات الصدق التواصلي).
- التدقيق الخارجي.

(29) Ibid., p. 224.

(30) Ibid., pp. 231-232.

بالطريقة نفسها يقترح درو ورفاقه[31] اتباع الخطوات الآتية لتحقيق الثبات الداخلي:

أ. استخدم عبارات وصفية واضحة.

ب. استخدم باحثين عدة حيثما أمكن ذلك.

ج. أوجد سجلًا مفصلًا للبيانات (حيث يمكّن باحثين آخرين من استخدامه للتحقق من الصدق الداخلي).

د. استخدم آلات التسجيل حيثما أمكن (بعد الموافقة).

هـ. استخدم الباحثين المشاركين أو المخبرين للتأكد من صواب التصورات وانسجامها.

أما بالنسبة إلى الثبات الخارجي، فيقترح الباحثون أنفسهم الخطوات الخمس الآتية:

أ. حدد مكانة الباحث بوضوح ليعرف القراء ما الذي دفع إلى جمع البيانات.

ب. حدد هوية المخبرين (أو ما هو دورهم في السياق الطبيعي) وكيف ولماذا اختيروا (مع المحافظة على السرية).

ج. حدد معالم السياق أو حدوده وخصائصه بعناية حتى يتمكن القارئ من إصدار أحكام حول أوضاع أو مواقف مشابهة.

د. حدد المفاهيم التحليلية التي توجّه الدراسة (صِفْ الأطر المفهومية المستخدمة في التصميم والتحليل الاستنباطي).

هـ. صِفْ إجراءات جمع البيانات وتحليلها بدقة وتفصيل.

بغض النظر عن أهمية مقاربات الثبات هذه، يدعي عدد من الباحثين أن البحث النوعي لا يتمتع بدرجة عالية من الثبات كما في البحث الكمي. لكن

---

(31) Drew, Hardman and Hart, *Designing and Conducting Research Inquiry in Education and Social Science*, p. 169.

آخرين لا يتفقون مع هذا الرأي ويدعون بأن طريقتي التحقق هاتين صحيحتان في سياقهما؛ إنهما مختلفتان لكن لكل واحدة هدفها الخاص.

3.5 الصدق والثبات

الصدق والثبات مقياسان لجودة أدوات البحث. وعلى الرغم من اختلاف واحدهما عن الآخر في الطبيعة والهدف، إلا أن بعض الطلاب يجدون صعوبة في التمييز بينهما. والمثال التالي يساعدنا في فهم الفرق بين الاثنين: إذا قام أحد الطلاب الذكور بوزن نفسه عشرين مرة، وفي كل مرة يحصل على قراءة 65 كلغ (وهذا هو وزنه الصحيح) نقول حينئذٍ إن الميزان ثابت وصادق، وإذا حصل الطالب على عشرين قراءة مختلفة لوزنه (40، 45، 63...)، يكون المقياس غير ثابت وغير صادق.

الإطار 13.4

معايير الصدق والثبات

الصدق	الثبات
▪ مقياس لجودة القياس.	▪ مقياس لجودة القياس.
▪ يقيس جودة المؤشرات وأدوات البحث.	▪ يقيس جودة المؤشرات وأدوات البحث.
▪ يقيس الملاءمة والصواب والدقة.	▪ يقيس الموضوعية والاستقرار والاتساق والدقة.
▪ يقيس القدرة على توليد نتائج منسجمة مع القيم النظرية والمفهومية.	▪ يقيس الاتساق، أي القدرة على توليد النتائج نفسها، كلّما أُعيد أو كُرِّر،
يسأل: هل تقيس الأداة ما صُمِّمَت لقياسه؟	يسأل: هل تؤدي الأداة إلى النتائج نفسها في كل مرة تُسْتَخْدَم؟

هناك ارتباط وثيق إذًا بين صدق المقياس وثباته، ومع ذلك لا يتنبأ الواحد منهما بالآخر. فالأداة التي تتصف بالثبات لا تتسم بالصدق بالضرورة ويمكن أن تكون أكثر الأدوات ثباتًا غير صادقة. وكما ذكرنا سابقًا، لا يستطيع الثبات وحده تقويم جودة الأداة تمامًا. وتبقى درجة الصدق هي الأهم.

سادسًا: الموضوعية في البحث الاجتماعي

1.6 الحوار

تُعد الموضوعية أحد مبادئ البحث التي تتطلب إخراج أو استبعاد قيم الباحث وآرائه الشخصية من سيرورة البحث، بهدف تقليل الميل والتحيّز الشخصي إلى الحد الأدنى وضمان عرض الواقع كما هو وليس كما يفسره الباحث أو يتخيله أو يريده.

مع أن هذا المبدأ موجود منذ زمن طويل، لا تزال مسألة ضرورة أن يلتزم البحث الاجتماعي الموضوعية غير محسومة في الأوساط الأكاديمية؛ إذ انقسمت الآراء الأكاديمية حيال هذه القضية إلى اتجاهين فكريين متناقضين: يسمى الاتجاه الأول الاتجاه **حيادي القيمة**، ويسمى الآخر **الاتجاه المعياري**. يمثل الاتجاه الأول موقف الباحثين الكميين، أما الثاني فهو موقف الباحثين النوعيين وسواهم.

الإطار 14.4

ما الموضوعية؟
الموضوعية هي المبدأ التجريبي الذي ينص على استبعاد الميل والتحيز الشخصي للباحث من سيرورة البحث وتصميمه. وترتكز الموضوعية على الاعتقاد بضرورة الفصل بين الوقائع والقيم، وضرورة تركيز البحث على ما هو واقع وقائم لا على ما يجب أن يكون؛ فالموضوعية تعكس حيادية القيم.

1.1.6 حيادية القيم

تعكس فكرة حيادية القيم ضرورة قيام الباحثين بخفض آثار تحيزهم وميلهم إلى الحد الأدنى. لذلك ينظر إلى الباحثين الاجتماعيين كفنيين أو مستشارين وليس كمصلحين، وبعبارة أدقّ ينظر إليهم بصفتهم مراقبين ومحللين محايدين لا فلاسفة أو منظرين أخلاقيين. لذلك ينبغي إخراج آراء الباحث وأحكامه القيمية الشخصية

خارج البحث. وبشكل عام، تتسم الموضوعية بعدد من المبادئ والاعتقادات، وفي ما يلي أهم ثلاثة منها:

- العلوم الاجتماعية خلو من أحكام القيمة، لأنها تهدف إلى دراسة الواقع وليس ما ينبغي أن يكون. وينبغي أن يهدف البحث إلى تحقيق أعلى درجة ممكنة من الموضوعية.
- يجب ألا يتأثر العلماء الاجتماعيون بقيمهم، وعليهم أن يستبعدوا أحكامهم القيمية وانطباعاتهم الشخصية وتحيزاتهم وقناعاتهم الشخصية.
- يجب أن يُترك إصدار الأحكام القيمية واتخاذ القرارات إلى صُناع السياسة لا إلى الباحثين الاجتماعيين.

2.1.6 الاتجاه المعياري

ينتقد هذا الاتجاه قيمة الموضوعية وفائدتها ويدعي أن حيادية القيم لا مبرر لها. بعبارة أخرى، يدعي هذا الاتجاه[32] أن:

- الموضوعية لا يمكن تحقيقها وغير ضرورية وغير مرغوب فيها.
- العلم الاجتماعي معياري، يهدف إلى دراسة ما ينبغي أن يكون وليس ما هو كائن وحسب.
- اتجاهات الناس ترتكز على القيم وتتكون من قيم توجه الفكر والفعل ولا يمكن تحييدها أو عزلها أو تجاهلها.
- المعيارية وإبداء التحيز الذي لا بد منه أو الاعتقادات الشخصية أقل خطرًا من ادّعاء الحياد.

---

(32) N. Abercrombie, S. Hill and B. Turner, *The Penguin Dictionary of Sociology* (Harmondsworth, UK: Penguin, 1988); B. Fay, *Social Theory and Political Praxis* (London: Allen & Unwin, 1980); C. W. Mills, *The Sociological Imagination* (London: Oxford University Press, 1959); Y. Wadsworth, *Do It Yourself Social Research* (Melbourne: Victorian Council of Social Service, 1984).

2.6 الموضوعية في البحث الكمي

يقبل البحث الكمي مبدأ الموضوعية ويدعمه ويعتبره من أهم مبادئ البحث الاجتماعي. وهذا أمر واضح، خصوصًا في ضوء حقيقة تبني البحث الكمي إبيستمولوجيا موضوعية. يعتبر الباحثون الكميون الموضوعية فضيلة ينبغي لكل باحث اجتماعي أن يسعى إلى تحقيقها. ومع أنهم يدركون صعوبة تحقيق درجة عالية من الموضوعية، فهم يعتبرون السعي إلى تحقيقها أمرًا مسلّمًا به.

الإطار 15.4

منطق الموضوعية
▪ يهدف البحث إلى كشف الحقائق الموضوعية.
▪ لا يمكن التحقق من الحقائق الموضوعية إلا بمقارنتها بالواقع الموضوعي.
▪ يقوم الباحثون أنفسهم بعملية التحقق.
▪ يجب أن يجري التحقق بموضوعية وأن يركز على الواقع الموضوعي.
▪ تعوق آراء الباحث وقيمه الشخصية عملية التحقق من الموضوعية ولا تحسن من موضوعية الحقائق.
▪ يعوق الميل والتحيز الشخصي للباحث عملية اكتشاف الحقائق الموضوعية ولذلك يجب استبعادهما من البحث.

يعتمد منطق الموضوعية هنا على الاعتقاد أن دور البحث هو إدراك الواقع وتقديمه كما هو لا كما يفسره الباحث أو يتصوره أو يريده. فإذا أراد باحث معرفة سبب حصول الطالبات على درجات أعلى في مادة العلوم، عليه أن يطرح أراءه الشخصية جانبًا ويحاول تحديد الأسباب الحقيقية لهذه الظاهرة. وإذا أهمل باحث الموضوعية واختار تصميم بحث متحيز لمعتقداته وأفكاره الشخصية، فإن طرائق اختيار العينة وطرائق جمع البيانات وتحليلها والنتائج والخلاصة ستتأثر بهذا التحيز، وستكون النتائج خاطئة ولن تعكس الواقع. لذلك فلو قام خمسة باحثين بالإجابة عن سؤال معين، فإننا سنحصل على خمس إجابات مختلفة بسبب تحيز كل منهم لآرائه واعتقاداته الشخصية. وتهدف الموضوعية إلى الحد

من تأثير التحيز الشخصي في سيرورة البحث وإظهار الواقع كما هو من دون أي تأثير.

3.6 الموضوعية في البحث النوعي

يرفض أتباع البحث النوعي فكرة الموضوعية رفضًا باتًا، ذلك أن البحث النوعي يخضع لمبادئ الإبيستمولوجيا التفسيرية ومعاييرها. وهذا لا يجعل الآراء الشخصية والتفسير الشخصي للباحث مقبولة فحسب بل مطلوبة، وتُعتبر ميزة أيضًا.

يتمثّل المنطق الذي يقف وراء هذا الرأي في عدم وجود واقع موضوعي ابتداءً. لذلك فإنه من غير الممكن تصوير الواقع الموضوعي بالطريقة التي تقترحها الموضوعية. يدرك الباحثون جانبًا واحدًا من الواقع - واقعهم - وهذا ما يستطيعون وصفه وتقديمه. إضافةً إلى ذلك، فإن الحيادية لا يمكن تحقيقها، وهي غير ضرورية وغير مرغوب فيها. ولا يستطيع المرء اعتبار التقويم الداخلي والمشاعر والمعتقدات والمعايير غير مهمة أو غير مؤثرة. لا بد إذًا من أن يتخذ العلماء الاجتماعيون موقفًا في شأن القضايا الاجتماعية، وعليهم أن يصدروا أحكامًا قيمية إذا كانوا يريدون حل المشكلات الاجتماعية. والبحث النوعي يشجع التحيّز البين ذاتي والقرب بين عناصر البحث وتدخل الباحث في جميع سيرورة البحث[33].

علاوة على ذلك، يدعم التمسّك بالموضوعية الواقع القائم. لذلك فإن الإيمان والثقة بما هو موضوعي يعني الإيمان بما تعلم الناس أن يعتبروه موضوعيًا وعدم القدرة على تحدّيه. فالموضوعية تجعل المعتقدات والممارسات التي يسلّم الناس بوجودها أمورًا مشروعة. فالمرأة مثلًا تعلمت أن تعتبر عالم الرجال موضوعيًا واعتادت على قبول ذلك[34]. ويحرر استبعاد الموضوعية الفكر من

(33) B. Becker, *Grundlagen soziologischer Methodologie* (Frankfurt: Selbstverlag, 1989); L. Stergios, *Theory Construction and Social Research* [In Greek] (Athens: Selbstverlag, 1991).

(34) انظر: E. F. Keller, *Reflections on Gender and Science* (New Haven, Conn.: Yale University =

قيود «غير ملائمة» وخرافات «غير واعية». ويستطيع الإنسان فهم الواقع بفاعلية أكبر من خلال تحرير الفكر من الأفكار التي تعد عادة موضوعية.

لا يعني هذا الموقف أن الباحثين النوعيين يتخلون عن المتطلب الأكاديمي الخاص بالمسؤولية والصدق والشفافية في أعمالهم. وكثيرًا ما يقال إن الموضوعية «طارئة» في البحث النوعي، أي إنها تنشأ من ذاتية الأطراف المشاركة. ويستخدم البحث النوعي مفهومًا للموضوعية بين ذاتيّ ما دامت تهدف إلى الابتعاد من الذاتية من خلال التعميم.

يتحدث بعض الباحثين عن الشفافية كبديل للموضوعية: الإفصاح علنًا عن سيرورة البحث ومسيرتها وعناصرها وترك الآخرين يقدّرون جودتها. وهناك باحثون آخرون[35] يعتبرون الموضوعية مكافئة لمفهوم التضامن، أي درجة الاتفاق بين الزملاء والباحثين. وببساطة يمكن تحقيق الموضوعية إذا اتفق الباحثون في شأن عملية البحث وقبلوا النتائج وأثنوا على الباحثين بسبب إنجازاتهم.

يعني هذا أن شكلًا من أشكال الموضوعية مقبول ويمارس ولو كان ذلك تحت مسميات مختلفة وضمن معايير الإطار البحثي الشامل. ويؤكد غوبا ولنكولن[36]، على سبيل المثال، ضرورة احتواء كل دراسة نوعية دقيقة على ما يسميانه قيمة الحقيقة وقابلية التطبيق والاتساق والحياد. والحياد كلمة تستخدم مترادفًا للموضوعية ويتوقع منها توافر القابلية للتحقق. ويعتبر بعض الباحثين النوعيين أن وجود درجة وشكلٍ معين من الحياد هو عامل أساسي في البحث النوعي، على الرغم من أن طبيعة تلك الموضوعية ومدى تحقيقها يختلفان عما هو الحال في البحث الكمي.

Press, 1985); S. Reinharz, *Feminist Methods in Social Research* (New York: Oxford University Press, = 1992).

(35) R. Rorty, «Solidarity or Objectivity?,» in: J. Rajchman and C. West, eds., *Post-Analytic Philosophy* (New York: Columbia University Press, 1985), p. 10; J. K. Smith, «Interpretive Inquiry: A Practical and Moral Activity,» *Theory into Practice*, vol. 31, no. 2 (1992), p. 101.

(36) Guba and Lincoln, *Fourth Generation Evaluation*.

الإطار 16.4

أين تُمارَس الموضوعية وكيف؟

معايير البحث	كيفية ممارسة الموضوعية
الواقع	بإدراك الواقع من منظور موضوعي، باعتباره واقعًا موضوعيًا يجب إعادة إنتاجه كما هو من دون أي تشويه.
الباحث	باحترام الحيادية، أي الخلوّ من القيم والتحيز والميل الشخصي، ودراسة ما هو كائن لا ما ينبغي أن يكون.
موضوع البحث	بإدراك موضوع البحث بطريقة موضوعية، ويجب أن يكون اختيار المؤشرات والتعاريف خاليًا من التحيز والخبرات والآراء الشخصية.
المنهجية	باختيار المنهجية الملائمة في عملية خالية من التفضيلات والأيديولوجيات والتحيزات الشخصية.
بناء التصميم	ببناء التصميم باستخدام المعايير المهنية وتجنب وجهات النظر الشخصية والالتزام بالمعايير الأخلاقية في خلال الدراسة.
اختيار العينة	باختيار أفراد العينة وفقًا لممارسات البحث ومعاييره، واستبعاد التحيز والميل الشخصي.
جمع البيانات	باختيار طرائق ملائمة وجمع البيانات وفقًا للمعايير المهنية، والتركيز على ما هو كائن لا على ما ينبغي أن يكون.
الإدارة	بتوجيه الترتيبات نحو تسهيل إكمال الدراسة وفقًا لمعايير مهنية ومقبولة وعادلة لا على أساس الانطباعات والميل الشخصي.
تحليل البيانات	بوصف واضح لطرائق ملائمة وإجراء التحليل بطريقة مهنية وتجنب التحيز والميل الشخصي.
التفسير	بتضمين تبريرات واضحة ومفصلة للنتائج والإفصاح عن الأفكار والتفسيرات الشخصية للبيانات والواقع على نحوٍ واضح يجعلها متاحةً للتحقق.
التقرير	ببناء التقرير بطريقة توضح البيانات والتفسيرات والآراء الشخصية للكاتب.

في الختام، نقول إن هناك أشكالًا من الموضوعية تمارَس بشكل مقبول في البحث النسوي الذي هو بحث نوعي صراحةً، مثل: الموضوعية الدينامية[37]، والانفتاح الذي يتيح كشف جميع الحقائق للمبحوث، مع التركيز على جميع احتمالات عملية التمثيل[38]، والمناقشات الديمقراطية التي تتيح جميع المعايير علنًا ما يشجع التعاون بين الباحثين والنقد من وجهات النظر جميعها، ويرتكز ذلك على التكافؤ في المرجعية الفكرية[39] وعلى الممارسات المضادة للتمييز على أساس الجنس.

سابعًا: التمثيل

يُعد التمثيل من الأهداف الرئيسة للباحث الذي يسعى إلى جمع بيانات تمثل مجتمع الدراسة كله. وكما سنرى لاحقًا، فإن من أهم جوانب اختيار العينة التأكد من أن العينة تمثل مجتمع الدراسة. وطور الباحثون طرائق عدة لضمان التزام البحث الاجتماعي بهذا المتطلب. علاوة على ذلك، تُعد إجراءات اختيار العينة صحيحة إذا كانت ممثلة للمجتمع المستهدف.

ترتبط صفة التمثيل بطبيعة مبادئ المنهجية التي يقوم عليها البحث، لذلك فإن مكانة هذه الخاصية في مشروع البحث تعتمد على طبيعة المنهجية.

1.7 البحث الكمي

تُعد الصفة التمثيلية للعينة إحدى خصائص البحث الكمي وأحد أهدافه الرئيسة. وطور الباحثون إجراءات عدة لضمان تمثيل العينة والدراسة بشكل عام. ويتعلق معظم هذه الإجراءات بطبيعة اختيار العينة وحجمها ومكوناتها. وهناك أساليب إحصائية خاصة تساعد في هذه العملية، حيث تُحسب الأخطاء المعيارية

---

(37) Keller, *Reflections on Gender and Science.*

(38) S. Harding, *Whose Science? Whose Knowledge? Thinking from Women's Lives* (Ithaca: Cornell University Press, 1991).

(39) H. E. Longino, *Science as Social Knowledge* (Princeton: Princeton University Press, 1990).

وتُستخدم تقنيات معينة لاختيار العينة بشكل يجعل حجمها كافيًا للقول إنها تمثّل مجتمع الدراسة.

الإطار 17.4

ما التمثيل؟

التمثيل هو المبدأ البحثي الذي يعكس قدرة البحث الاجتماعي على توليد نتائج متسقة مع (ممثلة لـ) ما يظهر في المجتمع المستهدف، وهو إحدى خصائص اختيار العينة. تهدف الصفة التمثيلية إلى ضمان تمثيل المجموعات كلها ذات الصلة في مجتمع الدراسة تمثيلًا كافيًا في عينة الدراسة. وتحدد درجة التمثيل مدى قابلية نتائج الدراسة للتعميم.

يكمن المنطق في استخدام هذا المبدأ من مبادئ البحث، كما ذكرنا آنفًا، في كونه مرتبطًا بجودة النتائج. فالدراسات الممثلة تمثل جميع أفراد مجتمع الدراسة، أما الدراسات غير الممثلة فلا تمثل مجتمع الدراسة ولا تسمح بالتعميم.

كما ذكرنا سابقًا، يتأثر تمثيل العينة بالأطر النظرية التي يوفر بعضها أحوالًا أفضل لبناء دراسة ممثلة. كما أن الصفة التمثيلية للعينة تتأثر بالأخطاء في تصميم الدراسة و/أو تنفيذ البحث. بعض هذه الأخطاء عرضي (ناجم عن أخطاء لا يُتحكم بها)، وبعضها الآخر أخطاء منتظمة ناتجة من التصاميم الخاطئة التي تؤدي إلى تمثيل غير متكافئ لبعض أجزاء مجتمع العينة.

2.7 البحث النوعي

تُعد الصفة التمثيلية للعينة في البحث النوعي بلا أهمية لأسباب عدة. **أولًا**، لأنها لا تتسق مع مبادئ البحث النوعي. **ثانيًا**، لأن حجم العينة وطبيعة إجراءات اختيار العينة في البحث النوعي لا يتضمنان أي دليل على تمثيلها. مع ذلك، فإن هذا لا يعني أن البحث النوعي لا يهتم بتمثيل العينة؛ إذ يراها باحثون صفة لا غنى عنها في البحث النوعي، ويتخذون إجراءات ملائمة لضمانها في بحوثهم[40].

---

(40) Miles and Huberman, *Qualitative Data Analysis.*

تشمل هذه الإجراءات، على سبيل المثال، تجنب «اختيار عينة من أفراد غير ممثلين لمجتمعهم وذلك بالمبالغة في الاعتماد على النخبة أو على المتوافر من المبحوثين»، وتجنب «التعميم من حوادث أو أنواع نشاط غير ممثلة» أو «استخلاص نتائج من عمليات غير ممثلة». يقترح مايلز وهوبرمان[41] ضرورة توسيع الحالات الضعيفة غير الممثلة باستخدام أحد الأساليب التالية:

- زيادة عدد الحالات.
- البحث المتعمد عن حالات متناقضة.
- تصنيف الحالات بانتظام واستبعاد أنواع العينات الضعيفة.
- اختيار أفراد العينة عشوائيًا من المجتمع العام للدراسة سواء أكانوا بشرًا أم ظواهر.

إن الاقتراح الأخير يقرّب البحث النوعي كثيرًا من البحث الكمي، إلا أنه يبقى اقتراحًا غير متفق عليه. ومع أنه يقرب البحث النوعي من ادّعاء التمثيل ادعاءً مشروعًا، فإنّه يبتعد كثيرًا من المبادئ الأساسية لهذا الأنموذج الإرشادي البحثي.

ثامنًا: القابلية للتعميم

يعني هذا المفهوم، حرفيًا، القدرة على تعميم شيء ما. وفي مجال البحث الاجتماعي، يعني تعميم النتائج خارج نطاق عينة الدراسة. فهو الجانب الآخر للصفة التمثيلية: كلما زادت درجة التمثيل تزداد القابلية للتعميم وبالعكس. لذلك فإن ما ذكرناه عن التمثيل يصلح هنا أيضًا. ومن الواضح أن الباحثين يسعون إلى تحقيق التعميم في دراساتهم بغض النظر عن طبيعة هذه الصفة، ولذلك يقومون بتصميم إجراءات اختيار العينة لهذا الغرض.

(41) Ibid., p. 265.

الإطار 18.4

ما القابلية للتعميم؟
يعني هذا المصطلح في البحث الاجتماعي قدرة الدراسة على تعميم نتائجها خارج حدود عينة الدراسة. وبعبارة أخرى، يعكس التعميم مدى قدرة الدراسة على تعميم نتائجها من العينة إلى مجتمع الدراسة كاملًا. وكلما ارتفعت درجة القابلية للتعميم زادت قيمة الدراسة.

هناك أشكال مختلفة من التعميم. وأهم نوعين هما: التعميم **الاستقرائي أو العلمي**، والتعميم **الطبيعي**. ويعني الأول تعميم صدق النتائج المستمدّة من دراسة عينة ممثلة على جميع أفراد مجتمع الدراسة. أما النوع الثاني فهو أكثر تنوعًا ويتضمن تباينات كثيرة. ومن الأمثلة على ذلك: التعميم التحليلي، والتعميم الأنموذجي، والتعميم من حالة إلى حالة[42]. وهذه أنواع من التعميم تتعلق بالنظرية، ويمكن أن ترتكز أيضًا على كون الحالات النمطية المدروسة تمثل نوعًا كاملًا، وتاليًا فإن النتائج المستخلصة من هذه الحالات النمطية يمكن اعتبارها قابلة للتطبيق ضمن النوع.

يستخدم البحث الكمي عادة التعميم الاستقرائي أو العلمي عبر الإفادة من نظرية الاحتمالات في بناء العينات والأساليب والطرائق والتقنيات الإحصائية لتقدير مستوى القابلية للتعميم. أما الباحثون النوعيون فهم يستخدمون التعميم الطبيعي، ولتحقيق ذلك فهم ينتقون حالات نمطية عيناتٍ لهم. وهناك اختلاف كبير في طريقة تبرير القابلية للتعميم في إطار البحث النوعي؛ فمثلًا يستخدم بعض الباحثين **البحث المتعدد المواقع** (العينة المتعددة) لضمان القابلية للتعميم. ومن الواضح أن اختيار أفراد من خلفيات متنوعة يضمن كون العينة ممثلة وتاليًا لديها قابلية النتائج للتعميم.

من الباحثين من يفسر القابلية للتعميم بالاعتماد على معايير مثل القوة

---

(42) W. A. Firestone, «Alternative Arguments for Generalizing from Data as Applied to Qualitative Research,» *Educational Researcher*, vol. 22, no. 4 (1993).

المفهومية والملاءمة والقابلية للمقارنة[43]. تعني الملاءمة درجة التوافق بين الحالة المدروسة والحالة التي يرغب الباحثون في تعميم نتائج دراستهم عليها[44]. إن التركيز على هذه النقطة هو طريقة «لادعاء» القابلية للتعميم. أما القابلية للمقارنة فتعني تقويم ملاءمة النتائج من خلال التحقق من أوجه التشابه والاختلاف بين الموقع المدروس والمواقع التي ستعمَّم عليها نتائج الدراسة. والسؤال هنا: هل الموقع المدروس نمطي بالنسبة إلى المواقع الأخرى؟ ويعني البحث متعدد المواقع دراسة القضية نفسها في أكثر من موقع، ما يؤدي إلى اعتبار العينة ممثلة نسبيًا لهذه المواقع.

نقاط أساسية

- مبادئ البحث هي الدقّة في القياس، الصواب، الصدق، الثبات، الموضوعية، التكرار، التمثيل، القابلية للتعميم.
- جميع أنواع البحث تتضمن درجة من القياس وشكلًا من أشكاله.
- هناك أربعة مستويات للقياس: الاسمي والترتيبي والفتري والنسبي.
- تقاس المتغيرات على أعلى مستوى ممكن.
- يعني الصدق القدرة على توليد نتائج صائبة وقياس ما يفترض قياسه. وهو إحدى خصائص البحث النوعي والبحث الكمي.
- يستخدم البحث الكمي أنواعًا عدة من إثبات الصدق: التجريبي والنظري والظاهر وصدق المحتوى وصدق البناء.
- يتخذ إثبات الصدق في البحث النوعي أشكالًا عدة: تراكمي وتواصلي وحجاجي وبيئي.

(43) J. W. Schofield, «Increasing the Generalizability of Qualitative Research,» in: M. Hammersley, ed., *Social Research: Philosophy, Politics and Practice* (London: Sage, 1993).

(44) Ibid., p. 211.

■ يعني الثبات القدرة على توليد نتائج متّسقة، وهو إحدى خصائص البحث النوعي والبحث الكمي.

■ الموضوعية تستبعد القيم الشخصية من البحث، وهذا أمر مهم في البحث الكمي.

■ تُعد الصفة التمثيلية من أهم ميزات البحث الاجتماعي التي يلتزم بها الباحثون في البحث الكمي والبحث النوعي.

إلى أين؟

قبل أن تترك هذا الفصل، لا بد لك من أن تزور الموقع المرافق للطبعة الثالثة من كتاب **البحث الاجتماعي**: http://www.palgrave.com/sociology/sarantakos لتراجع المفاهيم الأساسية في هذا الفصل وتختبر نفسك في القضايا الرئيسة التي ناقشناها.

قراءات إضافية

Books

Beere, C. A. *Gender Roles: A Handbook of Tests and Measures*. New York: Greenwood, 1990.

Bolton, B. F. *Handbook of Measurement and Evaluation in Rehabilitation*. Gaithersburg, Md.: Aspen, 2001.

Bowling, A. *Measuring Health: A Review of Quality of Life Measurement Scales*. Buckingham: Open University Press, 1997.

Caria, M. *Measurement Analysis*. London: Imperial College Press, 2000.

Chen, S. Y. *Measurement and Analysis in Psychological Research: the Failing and Saving of Theory*. Aldershot: Arebury, 1997.

Edwards, A. A. *Techniques of Attitude Scale Constructions*. New York: Appleton-Century-Crofts, 1957.

Ginevan, M. and D. E. Splitstone. *Statistical Tools for Environmental Quality Measurement*. Boca Raton, Fla.: Chapman & Hall, 2004.

Kirk, J. and R. L. Miller. *Reliability and Validity in Qualitative Research*. Newbury Park, Calif.: Sage, 1986.

Krebs, D. and P. Schmidt. *New Directions in Attitude Measurement.* Berlin and New York: W. de Gruyter, 1993.

Laster, P. E. and L. K. Bishop. *Handbook of Tests and Measurement in Education and the Social Sciences.* Lanham, Md.: Scarecrow, 2000.

McDowell, I. and C. Newell. *Measuring Health: A Guide to Rating Scales and Questionnaires.* New York: Oxford University Press. 1996.

Michell, J. *Measurement in Psychology: Critical History of Methodological Concept.* New York: Cambridge University Press, 1999.

Plake, B. S. and J. S. Impara (eds.). *The Fourteenth Mental Measurements Yearbook.* Lincoln: Buros Institute, 2001.

Robinson, J. P., P. Shaver and L. S. Wrightsman. *Measures of Political Attitudes.* San Diego: Academic Press. 1999.

Spector. P. E. *Summated Rating Scale Construction: An Introduction.* Newbury Park: Sage, 1992.

Thorndike, R. M. *Measurement and Evaluation in Psychology and Education.* Upper Saddle River, N. J.: Merrill, 1997.

Zeller, R. A. and E. G. Carmines. *Measurement in the Social Sciences.* Cambridge: Cambridge University Press. 1980.

القسم الثاني

تخطيط البحث

5. تصميم البحث
6. الشروع في البحث الاجتماعي
7. اختيار العيّنة

الفصل الخامس

تصميم البحث

هذا الفصل

- يراجع سيرورة البحث الاجتماعي.
- يقدم أمثلة على بنيته وموقعه في البحث الاجتماعي.
- يراجع أهميته بالنسبة إلى البحث الاجتماعي للبحث النوعي والبحث الكمي.
- يوضح كيفية تطبيق هذه الأنواع من البحوث بتقديم أمثلة على بناء التصميم.
- يوضح كيفية بناء مشروع البحث الخاص بك.

العناوين الرئيسة

مقدمة

1. سيرورة البحث
2. تصميم البحث وتنفيذه
3. تصميم البحث في البحث الكمي
4. تصميم البحث في البحث النوعي
5. تصميم البحث في البحث النقدي
6. أمثلة على تصميم البحث
7. تصميم المشروع

نقاط أساسية

إلى أين

قراءات إضافية

مقدمة

تبدأ هنا سيرورة البحث الفعلية، بالاهتمام والالتزام بالإجابة عن عدد من الأسئلة. والأسئلة التي تطرح نفسها أولًا هي: «من أين أبدأ؟» و«ماذا أفعل بعد ذلك؟» أو «ما هي الخطوة الأولى في إجراء بحث؟» و«ما هي الخطوة التي تليها مباشرة؟» سيساعدنا هذا الفصل في الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها كثير مما يتعلّق بكيفية الشروع بالبحث والتخطيط له، والقرارات التي يجب أن تتخذ لتحقيق أهداف البحث.

سنرى في ما يلي أن الخطوة الأولى في سيرورة البحث هي وضع خطة تتضمن ملخصًا للعناصر الرئيسة فيه: ماذا سأدرس، كيف، متى، أين سيجرى البحث؟ كيف سيُنفَّذ؟ وكيف تُحَلَّل البيانات وتُنْشَر؟ وسنرى في ما يلي أيضًا كيف نطبق هذه الخطة في مواقف فعلية، بما في ذلك مشروع بحث الطالب.

أولًا: سيرورة البحث

تعتمد طريقة إجراء البحث على المنهجية التي يقوم عليها هذا البحث. فالباحثون الكميون والنوعيون يجرون بحوثهم ودراساتهم بطرائق مختلفة. مع ذلك، فإن القوالب العامة التي يستخدمونها تشترك في بنيتها العامة؛ أي إن جميع الباحثين - فضلًا عن الاختلافات بينهم - يتبعون الخط الأساسي نفسه في البحث. وسنوضح في ما يلي المعايير الأساسية الخمسة لعملية البحث:

1. يجرى البحث في خطوات توجه الباحث من بداية دراسته إلى نهايتها.

2. وهذه الخطوات هي: (1) اختيار موضوع البحث ومنهجيته، (2) البناء المنهجي للموضوع، (3) اختيار العينة، (4) جمع البيانات، (5) تحليل البيانات وتفسيرها، (6) كتابة تقرير البحث.

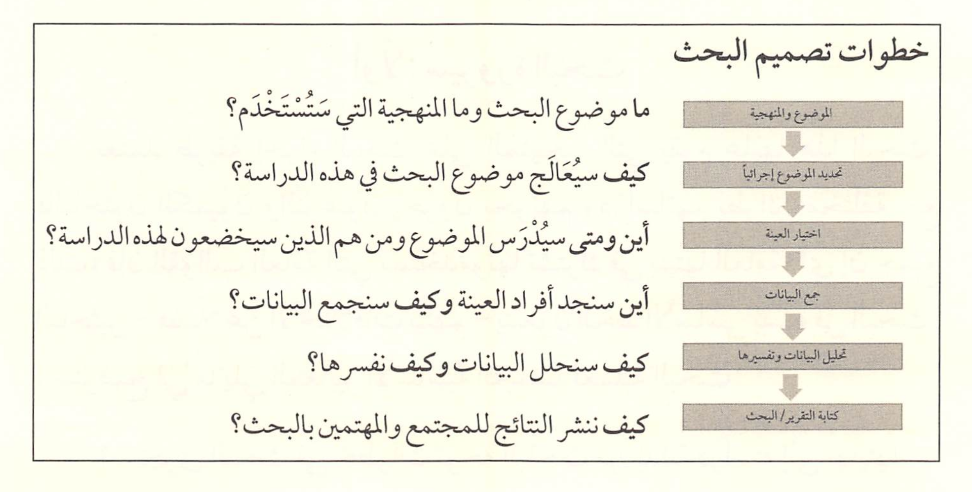
3. ينتقل الباحثون الكميون من خطوة إلى خطوة تدريجًا، ولا ينتقلون من خطوة إلى أخرى إلا بعد التأكد من إكمال الأولى. أما الباحثون النوعيون فهم أكثر مرونة في هذا الجانب.

4. يُبنى تصميم قالب البحث قبل البدء فيه، وفي بعض الأحيان تكون درجة من المرونة مقبولة في هذا الإطار.

5. هناك درجة من النظام في عملية الانتقال من خطوة إلى أخرى تختلف باختلاف الأنموذج الإرشادي الأساسي.

يبيّن الإطار 1.5 خطوات البحث الست والأسئلة التي تجيب عنها كل خطوة. وتُقدَّم التصاميم عادة مكتوبة لتكون وثيقة متاحة لجميع أعضاء فريق البحث، أو يُفَكَّر فيها بوضوح ويحتفظ بها الباحث في ذهنه. وهذا ما يتم خصوصًا في الدراسات البسيطة التي يجريها باحث واحد ذو خبرة في الميدان.

الإطار 1.5



ثانيًا: تصميم البحث وتنفيذه

1.2 تصميم البحث

يقتضي البحث مرحلتين أساسيتين: مرحلة التخطيط ومرحلة التنفيذ. يقوم الباحث في الخطوة الأولى ببناء تصميم البحث ورسم خطته، وفي المرحلة الثانية تُجمع البيانات وتحلَّل. تتم المرحلة الأولى في مكتب الباحث، أما الثانية فتنفَّذ في الميدان.

يوضح التصميم كيف ينوي الباحث إجراء البحث بالتفصيل، ويعني هذا كيف سيجيب الباحث عن الأسئلة التي ذكرت في الإطار 1.5. لذلك ينبغي للباحث أن ينفذ خطوات البحث خطوة خطوة ويصف النشاط الواجب القيام به في كل خطوة.

هناك أشكال عدة لتصميم البحث، بعضها يركز على جمع البيانات فحسب[1]، وبعضها يمتد ليشمل تحليل البيانات[2]. لكن معظم الباحثين ينظر إلى تصميم البحث في سياق أوسع، حيث يشمل التصميم جميع جوانب البحث ابتداء من اختيار الموضوع إلى نشر النتائج[3]. وهكذا سننظر إلى التصميم في هذا الفصل.

2.2 الغرض من تصميم البحث

يختلف غرض التصميم باختلاف طبيعة البحث وغرض الدراسة ونوع مجتمع الدراسة وبنية البحث وعدد الباحثين والمساعدين والتوجّه الأيديولوجي للباحث وغيرها من العوامل. لكن معظم الذين كتبوا في هذا الموضوع[4] يتفق على أن الغرض من التصميم يعكس الأهداف المذكورة في الإطار 2.5.

---

(1) A. Diekmann, *Empirische Sozialforschung* (Reinbek bei Hamburg: Rohwolt, 1995), p. 274.

(2) C. C. Ragin, *Constructing Social Research* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1994), p. 191.

(3) U. Flick, «Design und Prozess qualitativer Forschung,» in: U. Flick, E. von Kardorff and I. Steinke, eds., *Qualitative Forschung: Ein Handbuch* (Reinbek bei Hamburg: Rowohlt, 2000).

(4) H. Berger, H. F. Wolf and E. Ullmann, eds., *Handbuch der Sozialistischen Forschung: Methodologie, Methoden, Technicken* (Berlin: Akademie Verlag, 1989); U. Flick, «Konstruktivismus,» in: U. Flick, E. von Kardorff and I. Steinke, eds., *Qualitative Forschung: Ein Handbuch* (Reinbek bei Hamburg: Rowohlt, 2000); L. Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit* (Wien: Selbstverlag, 2000).

الإطار 2.5

الغرض من تصميم البحث

إن تصميم البحث:

- يوفر دليلًا يوجّه سيرورة البحث ويساعد في تنظيم الوقت والمصادر وتقليل النفقات.
- يساعد في تقديم مقاربة منهجية لعملية البحث، ما يضمن معالجة جوانب الدراسة جميعها وتنفيذها بالتسلسل الصحيح.
- يوفر الانفتاح والمسؤولية تجاه أغراض البحث وتجاه رعاته.
- يساعد في ضبط أو استبعاد التأثيرات المختلفة وتقليلها على جمع البيانات وجودتها.
- يوفر النظام والوضوح في سيرورة البحث.
- يجعل خطوات تصميم البحث واضحة، ما يمكّن الباحث من التنبؤ بالأخطاء والتحيز والمؤثرات الأخرى، والعمل على تجنبها ومنع حدوثها.
- يشجع التنظيم والتعاون بشكل فاعل في سيرورة البحث، خصوصًا عندما يشترك في البحث أكثر من باحث.
- يجعل تكرار الدراسة أسهل وأكثر فاعلية.
- يوفر تقويمًا دقيقًا لصدق الدراسة وثباتها.
- يساعد في تقدير تكلفة الدراسة وعدد الباحثين بدقة.

على الرغم من فوائد تصميم البحث، يرى عدد من النقّاد في هذه التصاميم مجرد قيود تحد من الحرية والمرونة وإبداع الباحث، وتستبعد من البحث قضايا وطرائق أخرى لم يكن في الإمكان التنبؤ بها وقت بناء التصميم.

مع ذلك يبقى تصميم البحث جزءًا أساسيًا من سيرورة البحث. ويستخدم الباحثون الكمّيون التصاميم بقدر ما يستخدمها الباحثون النوعيون، كما سنرى.

ثالثًا: تصميم البحث في البحث الكمي

1.3 المعايير الأساسية في تصميم البحث الكمي

يستخدم الباحثون في هذا النوع من البحوث تصميمًا جيد البناء ويتضمن بالتفصيل جميع خطوات البحث. بهذا المعنى، يُنظر إلى البحث كعملية تتقدم في

خطى متتالية ومترابطة ابتداء من الخطوة الأولى إلى الأخيرة، حيث يعتمد نجاح خطوة ما على الإكمال الناجح للخطوة التي سبقتها. ويوضح لنا الإطار 3.5 خصائص تصميم البحث الكمي.

الإطار 3.5

خصائص تصميم البحث الكمي

تصميم البحث الكمي:

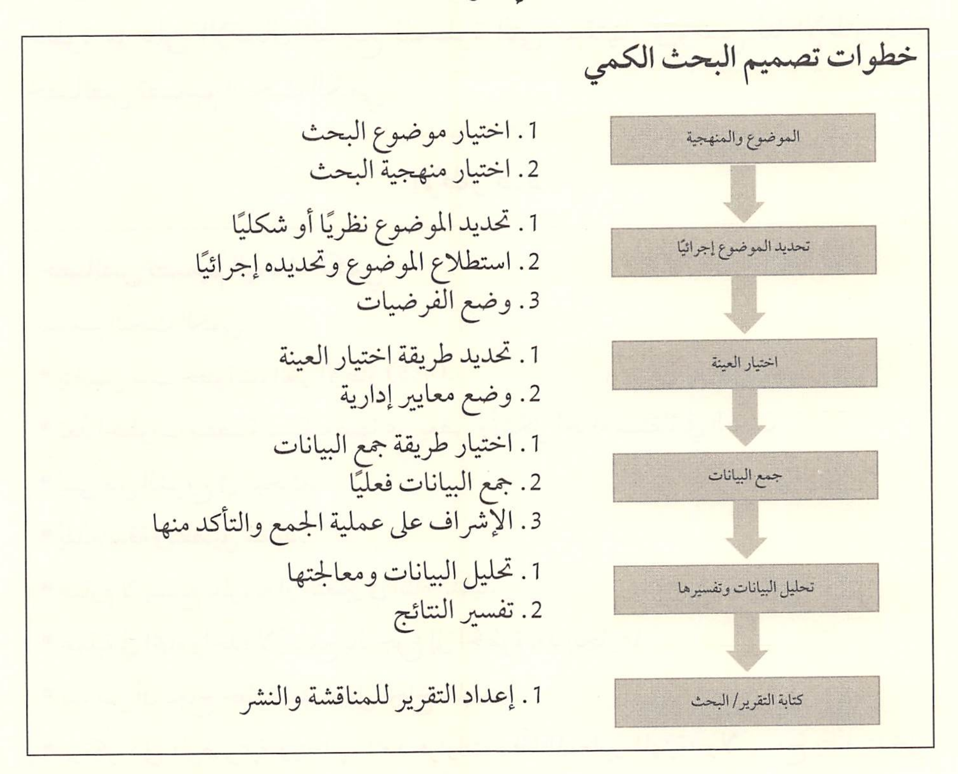
- يتضمن ست خطوات، انظر الإطار (4.5).
- تُعَدّ الخطوات منفصلة نسبيًا بعضها عن بعض وتُشكل أجزاء مستقلة في البحث.
- يُبنى قبل الشروع في البحث.
- يُقَدَّم بدقة وبتفصيل شديد.
- صارم لا يسمح بالمرونة أو التغيير في أثناء التنفيذ.
- عملية في اتجاه واحد؛ لا يُسمح بالرجوع إلى الخطوة بعد إنجازها.
- يفترض أن نجاح خطوة يعتمد على نجاح سابقاتها.
- يرتكز على الموضوعية ويتطلب اتخاذ قرارات وفقًا للمعايير المهنية، ولا يسمح بتاتًا بتدخل القرارات أو التفضيلات الشخصية للباحث.

باختصار، يستخدم الباحثون الكميون تصميم البحث الذي عُرض في الإطار 1.5، وإن يكن مع بعض التعديلات كما سنرى.

2.3 بنية تصميم البحث الكمي

كما ذكرنا آنفًا، تختلف بنية خطوات تصميم البحث الكمي وفقًا لطبيعة الدراسة وهدفها، ودرجة تعقيد الموضوع ومجتمع الدراسة، وعدد الباحثين ومساعديهم. والقاعدة العامة هي أن كثرة التعليمات تحد من المرونة التي يرغب كل باحث في أن يتمتع بها، في حين يترك نقص التعليمات عددًا من الأسئلة من دون إجابة ويوفر درجة كبيرة من الحرية لمساعدي البحث، ما قد يؤدي إلى خلل في البحث.

الإطار 4.5


خطوات تصميم البحث الكمي

1. اختيار موضوع البحث
2. اختيار منهجية البحث

1. تحديد الموضوع نظريًا أو شكليًا
2. استطلاع الموضوع وتحديده إجرائيًا
3. وضع الفرضيات

1. تحديد طريقة اختيار العينة
2. وضع معايير إدارية

1. اختيار طريقة جمع البيانات
2. جمع البيانات فعليًا
3. الإشراف على عملية الجمع والتأكد منها

1. تحليل البيانات ومعالجتها
2. تفسير النتائج

1. إعداد التقرير للمناقشة والنشر

يفضل الباحث الكمي الخيار الذي يفرض قيودًا أكثر لأنه لا يسمح بالمرونة والحرية في سيرورة البحث. ويوضح الإطار 4.5 الخطوات والمهمات المحددة المرتبطة بكل خطوة من هذا القالب البحثي. ومن الجدير بنا أن نؤكد النظر إلى تصميم البحث كعملية دينامية ذات خطوات مترابطة تؤثر الواحدة في الأخرى وتفهم تمامًا من خلال السياق.

3.3 خطوات تصميم البحث الكمي

سوف نناقش في الفصول التالية محتوى تصميم البحث الذي رسمنا أعلاه خطوطه العامة، ذلك أنّه يشكّل جوهر الاستقصاء الاجتماعي. أمّا في هذا القسم فسوف نعرض باختصار إلى معنى الخطوات المختلفة ومحتواها، ونستخدم أمثلة توضح تطبيقها في سياق بحثي فعلي.

الخطوة 1 الموضوع والمنهجية

يبدأ البحث باختيار موضوع البحث ومنهجيته (أكمية أكانت أم نوعية). وفي هذه الخطوة يوضح الباحث ما يريد دراسته والمنهج الذي سيتبعه.

أ. **اختيار موضوع البحث**: يتم اختيار موضوع البحث نظريًا أو شكليًا، وأي موضوع يعنو للبحث الاجتماعي يصلح أن يكون موضوعًا للبحث. مثال:

الموضوع: طلاق الأبوين ومواقف الأبناء من الزواج

يكمن السؤال هنا في تحديد أثر طلاق الأبوين في مواقف الأطفال الذين خضعوا لمثل هذه الأوضاع من الزواج.

ب. **اختيار منهجية البحث**: ينبغي للباحث أن يحدد المنهجية التي ستوجه الدراسة، ويكون الخيار بين المنهجية الكمية أو النوعية. مثال:

المنهجية: منهج كمي (يرتكز على أنموذج إرشادي وضعي)

يختار الباحث المنهج الكمي إما لأنه أكثر ملاءمة من غيره للدراسة التي سيجريها، أو لأن الباحث تبنى المنهج الكمي أصلًا ولا يريد أن يحيد عنه.

الخطوة 2 بناء الموضوع منهجيًا

تهدف هذه الخطوة إلى جَعْل موضوع البحث واضحًا ومحددًا ليصبح في النهاية الموضوع الفعلي للتحليل. وفي هذا السياق يُحَدَّد موضوع البحث بدقة، ويُستطلع ويُحدد إجرائيًا وتوضع فرضياته.

أ. **تحديد موضوع البحث شكليًا**: يوضح الباحث موضوع البحث ويعرّفه بدقة ووضوح كما سيتم تحليله لاحقًا. فمثلًا:

تحديدات:
طلاق الأبوين: الفسخ القانوني لرابطة الزواج
المواقف من الزواج: الموقف الشخصي من الزواج
الأبناء: أبناء الزوجين المطلقين في سن 20-25 سنة.

لاحظ كيف تم تحديد المفاهيم واختزالها. فالطلاق هنا هو ذلك الذي يقع بين اثنين متزوجين (وليس بين المتعايشين بالمساكنة)، وتركّز الدراسة على الأبناء بين 20 و25 سنة، لا الأطفال من الفئات العمرية المختلفة.

ب. **استطلاع الموضوع**: يتضمن دراسة مفصلة للمعلومات المتوافرة حول الموضوع، ويحدّد الباحث هنا كيفية جمع المعلومات. فمثلًا:

الاستطلاع: جمع المعلومات الأساسية من خلال مراجعة الدراسات السابقة

ج. **التحديد الإجرائي للبحث** هو عملية تحويل موضوع البحث إلى شكل يمكن قياسه، وذلك بتحويل المفاهيم المجردة إلى مؤشرات قابلة للقياس. يستخدم معظم الباحثين الكميين تعريفات إجرائية من نوعٍ ما. وفي مثالنا سنفعل ما يلي:

التحديد الإجرائي:

1. يُقوَّم الطلاق بين الوالدين وفقًا لما إذا كان والدا المبحوث قد طلّقا أم لا.

2. ستُقاس المواقف من الزواج بمقياسين: يتعلق **الأول** بما إذا كان لدى الأبناء مواقف إيجابية أو سلبية من هذا النمط في الحياة، أما **الثاني** فيتعلق بما إذا كان الأبناء يميلون إلى الزواج أم لا.

د. صوغ الفرضيات

يحدّد الباحث هنا ما إذا كانت الفرضية مطلوبة أم لا، فإذا ما كانت مطلوبة، فما عساها تكون (الفرضية هي افتراض في شأن النتيجة المحتملة للدراسة ويوفّر نوعًا من الدليل الذي يهدي البحث). وفي مثالنا، فإنّ الفرضيتين التاليتين تبدوان ملائمتين:

فرضيات:

1. تقترن خبرة طلاق الوالدين بمواقف سلبية من الزواج.

2. تقترن خبرة طلاق الوالدين برفض الزواج بوصفه خيارًا شخصيًا.

الخطوة 3 اختيار العينة

يحدد الباحث في هذه الخطوة من التصميم أين ومتى ستُجرى الدراسة، ومن سيشارك فيها، أي من هم موضوعات الدراسة. وفي مثالنا السابق، يمكن أن نقوم باختيار عينة كما يلي:

اختيار العينة: يُختار أفراد العينة بطريقة الاحتمالات. وتشتمل العينة على 300 طفل ذكر و300 أنثى لآباء وأمهات مطلّقين، حيث أُخذت الأسماء من سجلات محكمة الحيّ 15، وتغطي حالات الاثني عشر شهرًا السابقة للدراسة.

الخطوة 4 جمع البيانات

يحدد الباحث في هذه الخطوة كيفية مقاربة موضوعات الدراسة، وكيفية جمع المعلومات المطلوبة منهم وإرجاعها إلى الباحث. ويتضح في هذه الخطوة كيفية التعامل مع أفراد فريق البحث والأوضاع التي تُجمع فيها العينة، حيث يُستبعد التحيز والمؤثرات الأخرى. ويمكن وصف هذه الخطوة في مثالنا بإيجاز كما يلي:

جمع البيانات: تُجمع البيانات بمقابلة أفراد الدراسة، ويُجري المقابلات طلاب متدربون باستخدام المصادر المتوافرة للمؤسسة. وستطبق مقاييس معيارية لجمع البيانات.

الخطوة 5 معالجة البيانات

يوضح التصميم كيفية تحليل البيانات ومعالجتها، بما في ذلك طرائق التحليل والمعالجة، وأساليب معالجة المصادر المطلوبة. وفي مثالنا السابق، يمكن أن يقوم الباحث بما يلي:

معالجة البيانات: تُصنف البيانات في مجموعات وتخضع لتحليل إحصائي بوساطة الحاسوب لكشف اتجاهات مواقف الأبناء من الزواج كخيار شخصي. وستوفر المؤسسة التعليمية المصادر اللازمة.

الخطوة 6 كتابة التقرير

يقرر الباحث في هذه الخطوة كيفية نشر النتائج وتقديمها إلى من يهمه الأمر. ولا يقتصر ذلك على طبيعة التقرير فحسب، بل يشمل وسائل النشر أيضًا. وفي مثالنا، سيُطبَّق ذلك كما يلي:

التقرير: يرسَل تقرير داخلي شخصي إلى المؤسسة التي دعمت المشروع وإلى راعي البحث أيضًا، ثم تُعد سلسلة من المقالات للنشر في مجلات متخصصة.

ملاحظة عامة

لا حاجة إلى القول إنَّ الإشارات الموجزة إلى محتوى خطوات تصميم البحث التي عرضناها في المثال السابق ما هي إلا اختصار للتصميم الحقيقي. ويكون الوصف أكثر تفصيلًا في حالة البحث الحقيقي وأكثر تنوعًا. وسنشرح جميع هذه الخطوات بالتفصيل في ما بعد.

رابعًا: تصميم البحث في البحث النوعي

1.4 مقدمة

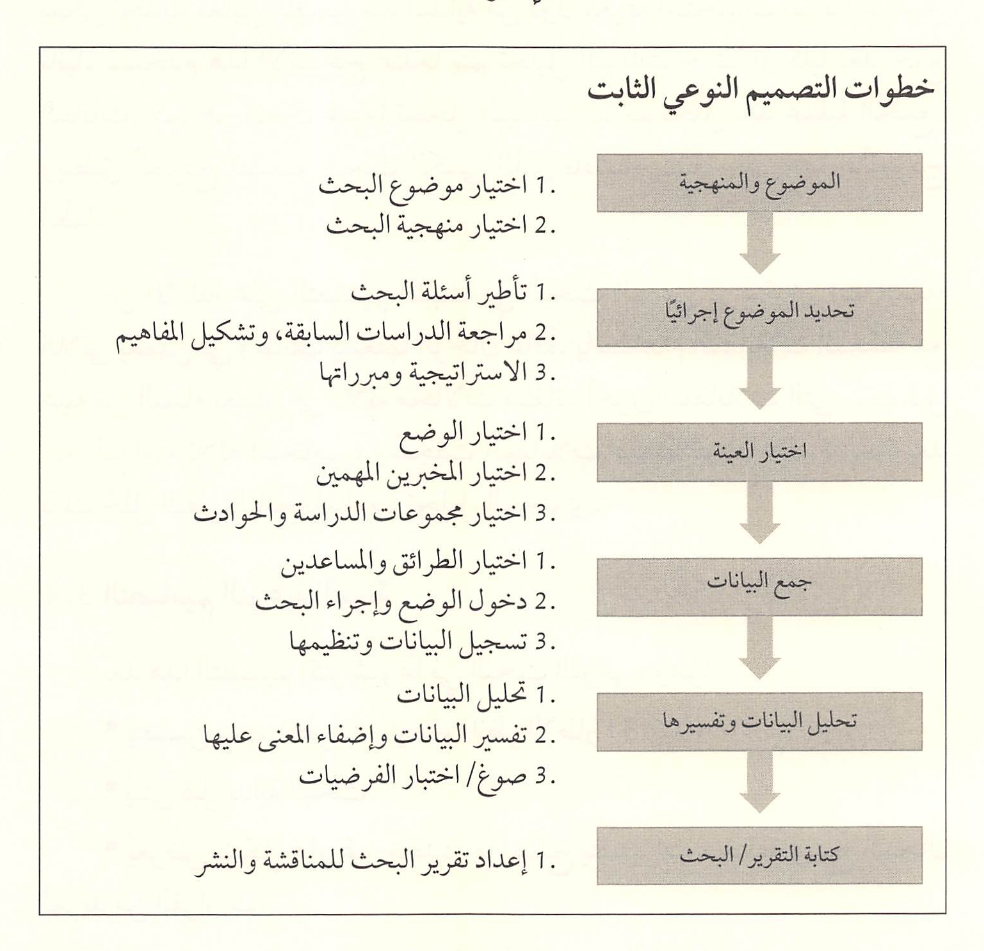
يستخدم الباحثون النوعيون تصاميم بحث بالقدر الذي يستخدمه الباحثون الكميون. وفي النهاية، فإن «غياب التصميم تصميم بذاته». والباحث يحدّد بنفسه سبيلًا على نحوٍ ما وفي شكلٍ ما، ويلتزم به[5]. فما من باحث إلا ويعرف ما الذي يريد دراسته، وما هي الأوضاع التي سيتحرّاها، وكيف ومتى، ومن هم الفاعلون الذين سيقاربهم، وما هي السيرورات التي سينظر فيها، وما أنواع الحوادث التي تتطلب تسجيلًا، وما الأدوات المستخدمة[6].

(5) B. L. Berg, *Qualitative Research Methods for Social Sciences* (Boston and London: Allyn and Bacon, 1995), p. 14; G. D. Bouma, *The Research Process*, 4th ed. (New York: Oxford University Press, 2000), p. 2; M. B. Miles and A. M. Huberman, *Qualitative Data Analysis: An Expanded Sourcebook* (Beverley Hills, Calif.: Sage, 1994), pp. 16, 17.

(6) A. Benini, *Construction of Knowledge* (Rome: Gnome, 2000).

مع ذلك، فإن مدى وصف التصاميم النوعية لمحتوى الخطوات، ودرجة دقة تعليماتها وصرامتها وتصميم سير عملية البحث، تتباين بدرجة ملحوظة، ما يؤدي إلى وجود نوعين من التصاميم النوعية: التصميم **الثابت** والتصميم **المرن**.

الإطار 5.5



2.4 التصاميم النوعية الثابتة

يستخدم الأنموذج الثابت لتصميم البحث النوعي مقاربةً مبنيّة نسبيًا، على نحوٍ شبيه بالأنموذج الكمي، ويتبع الخطوات نفسها، كما يتبع أيضًا طريقة أحادية الاتجاه، ابتداء من اختيار الموضوع إلى النتائج (انظر الإطار (5.5)).

وهناك نقطتان مهمتان يجب أن تبقيا في الذهن عند النظر في أمر قالب البحث أو أنموذجه:

أولًا، يُستخدم هذا الأنموذج عندما يكون لدى الباحث فكرة واضحة عن طبيعة موضوع البحث وعندما يكون مهتمًا بطريقة استجابة الناس له. لذلك يمكن تحديد معايير منهجية منذ البداية من دون معرفة استجابات أفراد الدراسة. **ثانيًا**، يُستخدم هذا الأنموذج عندما يتم تحليل البيانات جزئيًا أو كليًا بعد جمع البيانات، كما هو الحال عندما تسجَّل البيانات آليًا ثم تحلَّل بعد عملية الجمع. وينطبق أنموذج تصميم البحث الكمي الذي ناقشناه سابقًا على هذا الأنموذج أيضًا.

من الأمثلة على التصميم الثابت في البحث النوعي دراسة خبرات النساء اللاتي يعملن في وظائف يشغلها الرجال عادةً، باستخدام المقابلات المعمّقة مع عيّنة من النساء يعملن في ثلاثة مجالات منتقاة. أجرى المقابلات التي بُنيت قبل بدء الدراسة ثلاثة أشخاص، وسُجلت المقابلات صوتيًا ثم أُفْرِغَت كتابة، وبعد ذلك حُلل النص الناتج بأسلوب تحليل المحتوى.

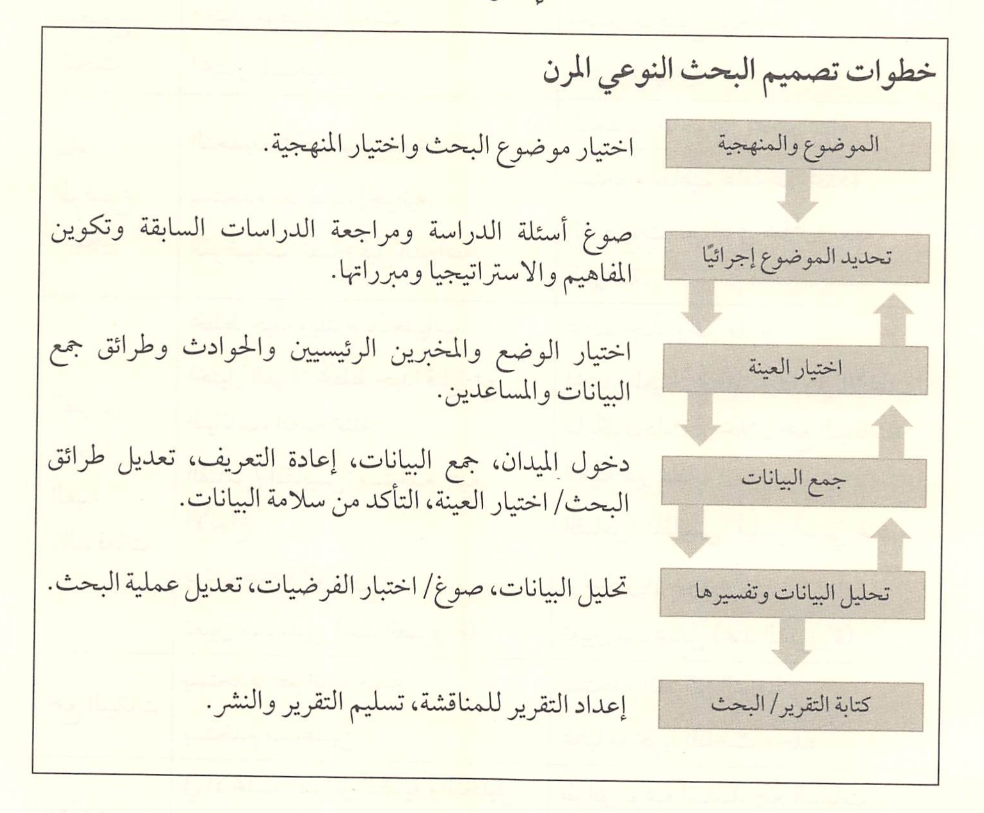
3.4 التصاميم النوعية المرنة

يُعد هذا التصميم أكثر شيوعًا في البحث النوعي، وهو:

- يتضمن ست خطوات رئيسة، (انظر الإطار (6.5)).
- يُبنى قبل بداية البحث.
- يُعرض بشكل عام غير محدد، ما يسمح بتفسيرات مختلفة ويتيح المجال لمزيد من القرارات.
- يسمح بحرية غير محدودة في التنقل بين الخطوات في عمليتي جمع البيانات وتحليلها في الاتجاهين، مستخدمًا معلومات جديدة لصقل المفاهيم واختيار العينة والتحليل. لا يستخدم البحث النوعي عملية بحث أحادية الاتجاه.
- لا يرتكز على الموضوعية، بل يتبع بدقة المعايير المهنية ويُفسح مجالًا لتفضيلات الباحث الشخصية.

يوضح الإطار 6.5 خطوات التصميم الثابت في البحث النوعي والمهمات الرئيسة التي يجب أن تنفَّذ في كل خطوة.

الإطار 6.5



4.4 التصاميم الكمية والتصاميم النوعية (المرنة)

الفروق بين التصاميم النوعية الثابتة والتصاميم الكمية هي فروق ضئيلة، تكمن في محتوى كل خطوة، وبشكل خاص في طبيعة تركيز البحث والطرائق المستخدمة فيه، لا في بنية التصميم. أما الفروق بين التصاميم المرنة والتصاميم الكمية فهي أكثر وضوحًا وأهمية. وعلى الرغم من استخدام المفاهيم والعناصر نفسها أحيانًا، يختلف المحتوى والغرض وطبيعة البحث اختلافًا ملحوظًا. ويوضح الجدول 1.5 أهم الفروق بين هذين الأنموذجين.

الجدول 1.5

تصاميم البحوث: مقارنة

الإجراء	النماذج الكمية	الأنموذج النوعي (المرن)
موضوع البحث	اختيار موضوع البحث. اختيار المنهجية.	اختيار موضوع البحث. اختيار المنهجية.
بناء الموضوع منهجيًا	التحديد: محكم صائب ومحدد. يستخدم تعريفات إجرائية. الفرضيات: تصاغ قبل الدراسة.	التحديد: عام وغير محكم البناء. يستخدم مفاهيم عامة غير محدَدة. الفرضيات: تصاغ في خلال/ بعد الدراسة.
الطرائق واختيار العينة والتوقعات	مخطط جيدًا ويلتزم بالتعليمات. اختيار العينة: مُخَطَّط جيدًا قبل جمع البيانات، العينة ممثلة. القياس/ المقاييس: يستخدم جميع الأنواع. يرتب طباعة الوثائق. تعيين مساعدين (عند الضرورة).	مخطط جيدًا وغير ملزم. اختيار العينة: مُخَطَّط جيدًا وفي الأغلب ما يكون ذلك في خلال جمع البيانات، العينة غير ممثلة. القياس/ المقاييس: قياس اسميّ غالبًا. يرتب لزيارات ميدانية. تعيين مساعدين (عند الضرورة).
جمع البيانات	يستخدم الطرائق الكمية. يستخدم مساعدين.	يستخدم الطرائق النوعية. غالبًا ما يجريه الباحث وحده.
معالجة البيانات	في الأغلب الطرائق الكمية والتحليل الإحصائي. تعميمات استقرائية.	طرائق نوعية أساسًا، جمع البيانات وتحليلها في الأغلب ما يكون متزامنًا مع تعميمات تحليلية.
كتابة تقرير البحث	نتائج متكاملة جدًا.	في الغالب النتائج غير متكاملة.

خلاصة القول، تعد التصاميم جزءًا أساسيًا من أي دراسة منهجية، لأنها توجه مسيرة البحث. والباحثون هم الذين يضعون تصاميم بحوثهم، وتتضمن هذه التصاميم تعليمات أو مذكرات حول الكيفية التي تقرر فيها إجراء البحث. وفي البحوث النوعية، تُبنى التصاميم بحذر وعناية حيث تكون أكثر مرونة منها في

البحوث الكمية، وهي تحقق الغرض ذاته وبالكفاءة نفسها في السياقات الخاصة بها. إن محتوى تصاميم البحوث ودرجة تعقيدها قد يختلفان، لكن أحدًا لا ينكر وجودهما في سيرورة البحث وممارسته اليومية.

خامسًا: تصميم البحث في البحث النقدي

يستخدم معظم الباحثين العاملين ضمن أنموذج إرشادي نقدي تصميم بحث كميًا أو نوعيًا، وينطبق هذا على كلٍّ من خطوات التصميم ومحتوى هذه الخطوات. وقد يغير الباحثون محتوى الخطوات لكن التغييرات التي يجرونها ليست مؤثرة إلى الحد الذي يغير طبيعة تصميم البحث المنهجية.

ما يجعل البحث النقدي مختلفًا ليس بناؤه التقني بالضرورة، بل مجال تركيزه ودرجة انخراطه وقدرته على التحرير، وهدفه وتسييس عمليته ونتائجه. يختار الباحثون النقديون موضوعات محلية ومعاصرة ذات أهمية سياسية تكون في الأغلب مهملة عن قصد أو من دون قصد. ويعمل هؤلاء الباحثون على تحرير المجتمع بشكل عام والناس المتأثرين بالمشكلة بالتحديد، وهكذا فإنهم يسعون إلى تغيير بناء النظام الاجتماعي وإعادة بنائه.

يتضمن أنموذج البحث هنا عناصر تفعيل وانخراط وأيديولوجيا والتزام بالتغيير تؤثر في سيرورة البحث وتركيزه. وهذه خصائص مهمة تخدم أهدافًا عدة، خصوصًا ما يتعلق بالأقليات والمجموعات المضطهدة. ويعني هذا أن أي تصميم بحث يمكن أن يصبح جزءًا من البحث النقدي عندما يركز على الانخراط والنقد والتغيير والتحرير.

سادسًا: أمثلة على تصميم البحث

سنقدم في ما يلي أمثلة عدة تساعد في فهم عملية بناء البحث فهمًا جيدًا. وسنوضح كيف بُني تصميم بحث كمي لدراسة القيم الأسرية لدى الطلاب، ثم سنرى كيف يُصَمَّم إطار عام لبحث نوعي، وذلك قبل أن نوضح كيف يُخطط

لمشروع البحث الذي يُطلب عادة من طلاب الجامعة في المرحلة الأولى وطلاب الدراسات العليا أيضًا. وسنبدأ بعرض تصميم لبحث كمي.

1.6 تصميم بحث كمي: مثال

قبل سنوات، قرر مؤلف هذا الكتاب إجراء دراسة عن القيم الأسرية وذلك بسبب عزوف عدد كبير من الناس عن الزواج وكثرة حالات الطلاق. ولكون هذه الظاهرة واضحة في معظم أنحاء العالم الغربي، قرر الباحث أن تشمل دراسته أقطارًا عدة. لذلك وضع الباحث خطة لتوجيه سيرورة البحث تعتمد على المعايير التي ذكرناها آنفًا في هذا الفصل. وفي ما يلي وصف مختصر لخطوات تصميم هذا البحث.

- **اختيار الموضوع والمنهجية**: كان الموضوع هو «القيم الأسرية» وكانت المنهجية المختارة منهجية كمية لأنه كان على الباحث أن يقيس القيم الأسرية بدقة تمكّنه من المقارنة بين مجموعات المبحوثين في كل بلد وفي ما بين البلدان. وكان من المفروض أن يتبع البحث خطوات إجرائية تتطلب قياسات كمية دقيقة ومحكمة. وحاول الباحث أن يجعل العينات ممثلة لمجتمعاتها ليسهل تعميم النتائج في ما بعد، ولذلك كان اختيار المنهج الكمي هو الأفضل.

- **الصَّوغ المنهجي للموضوع**: بعد اختيار الموضوع وتحديد المنهجية، كان لا بد من حصر نطاق الموضوع وتحديده بالتركيز على دراسة فئة الشباب أولًا، الذين دون سن 25، وأناس من خلفيات متشابهة نسبيًا ثانيًا. وبعد مراجعة مكثفة وموسعة للأدبيات التي سبق أن عُنيت بهذا الموضوع، حدد الباحث الاتجاهات والمقاييس الرئيسة في هذا السياق، وكان مقياس النزعة العائلية (Familism) أحد هذه المقاييس. وبشكل عام حُدِّدَ البحث عمليًا وحُددت أبعاده حيث كانت الأربعة الأولى منها: الأسرة، الزواج بين رجل وامرأة، الزواج المثلي، النسوية. واختيرت المؤشرات وحُولت في النهاية إلى أسئلة. وكانت فرضيات الدراسة بين الطلاب في سن ما دون 25 سنة كما يلي:

الفرضية الأولى: الاتجاهات نحو القيم الأسرية إيجابية جدًا.

الفرضية الثانية: الاتجاهات نحو الزواج بين رجل وامرأة إيجابية.

الفرضية الثالثة: الاتجاهات نحو الزواج المثلي سلبية.

الفرضية الرابعة: الاتجاهات نحو النسوية إيجابية.

- **اختيار العينة**: تم اختيار الطلاب من بين طلاب الجامعات ومؤسسات التعليم العالي، لضمان انسجام الخلفية لجميع أفراد العينة. واشتملت العينة على طلاب من النمسا واليونان واليابان وأستراليا والولايات المتحدة. شارك في الدراسة باحثون اختيروا من كل دولة، ثم وُضعت الاستبيانات وتُرجمت إلى لغة كل دولة. وقام أعضاء فريق البحث بالحصول على الموافقات الأخلاقية من لجان الأخلاقيات في كل بلد جُمعت منه البيانات.

- **جمع البيانات**: وُزعت الاستبيانات على الطلاب الذين أبدوا موافقتهم خطيًا بالتوقيع على أنموذج خاص للعمل ضمن المعايير الأخلاقية. وكان اختيار أفراد العينة وفقًا لأسس الاختيار الاحتمالية. وجمع أعضاء فريق البحث الاستبيانات في كل بلد ثم أرسلوها إلى الباحث الرئيس لتحليلها.

- **تحليل البيانات**: جُمع أكثر من 5000 استبيان وأُخضِعت للتحليل الكمي في ما يتعلق بالاتجاهات في كل بعد من أبعاد الموضوع وفي الدول المختلفة المشاركة. أجريت حسابات معامل الارتباط بين جوانب الدراسة ومتغيرات عدة أخرى من أجل التوصل إلى نتائج مفصلة. باختصار، قُبلت الفرضيتان الأولى والثانية بينما رفضت الثالثة والرابعة.

- **كتابة التقرير**: قُدمت ورقة بحث حول هذه الدراسة في مؤتمر، ونُشرت مقالة واحدة فقط حتى الآن. وهناك عدد آخر من المقالات سينشر لاحقًا.

2.6 التصاميم النوعية الثابتة: مثال

في أثناء دراسة الأزواج المثليين، قرر الباحث التعمق في العلاقات الاجتماعية بين أبناء المثليين[7]. وسنحت له الفرصة عندما انتقلت أربع أسر مثلية

(7) S. Sarantakos, *Same-Sex Couples* (Sydney: Harvard Press, 2000).

من المدينة لتقيم في بلدة ريفية في المنطقة ذاتها، وكان لديهم أطفال في المرحلة الابتدائية، وبذلك أصبح البحث أسهل؛ أولًا لأن الأهل رحبوا بالمشروع المقترح وأبدوا رغبتهم في المساعدة أينما وحينما تطلب منهم، ثانيًا لأن الأطفال التحقوا بالمدرسة نفسها، وثالثًا لأن الأهل والأطفال كانوا لا يمانعون في التحدث عن أسلوب حياتهم. وهكذا علم المعلمون والطلاب بحال أولئك الأطفال. وتقدم البحث وفقًا لهذه المعايير كما يلي:

- **اختيار الموضوع والمنهجية**: كان الموضوع هو «العلاقات الاجتماعية بين أطفال الأسر المثلية»، وقد اختيرت المنهجية النوعية لأن الدراسة كانت تهدف إلى استطلاع الموضوع بشكل عام لجمع أي معلومات متوافرة. وكان هدف الدراسة تسهيل التوصيف بدلًا من الحصول على بيانات كمية.

- **صَوْغ الموضوع منهجيًا**: أصبح موضوع البحث أكثر تحديدًا بفضل الاستطلاع والمناقشة مع الزملاء والأهل والمزيد من التفكير. وتحول تركيز الدراسة إلى العلاقات مع الأطفال في المدرسة خصوصًا في أثناء وقت اللعب. وتحول اهتمام البحث إلى دراسة كيفية تكيف أبناء الأزواج المثليين في المدارس في خلال فترات استراحتهم، وتفاعل الأطفال معهم وردة فعلهم.

- **اختيار العينة**: تقرر أن تشمل الدراسة أبناء الأزواج المثليين وكيفية تفاعلهم مع الأطفال الآخرين في المدرسة، وأن تُجرى يوميًا على مدار أسبوعين متتاليين في ملعب المدرسة، في الفترة الصباحية قبل بدء التدريس وفي خلال استراحة الغداء.

- **جمع البيانات**: تقرر أن يكون جمع البيانات بطريقة الملاحظة غير المبنيّة ومن دون مشاركة. وكان الملعب أمام بناء المدرسة ما جعل ملاحظة الأطفال سهلة من بعد. وفي ضوء عدد الأطفال ودرجة تعقيد التفاعلات بينهم، قرر الباحثون تسجيل التفاعلات بالفيديو بأقصى درجة ممكنة من الحذر، على أن يقوم الباحث بتحليل البيانات ومعالجتها بعد جمعها.

- **تحليل البيانات**: تقرر استخدام التحليل النوعي (الوصفي بصورة أساسية)

عند تحليل البيانات. وكان على الباحثين أيضًا أن يعرضوا الفيديو على باحثين آخرين وعلى أولياء الأمور أيضًا، من أجل مساعدتهم في الحصول على تفسير أوضح وأدق لسلوك الأطفال.

- **كتابة التقرير**: ألقت نتائج سلوك أبناء الأزواج المثليين مزيدًا من الضوء على هذا الموضوع، وأثارت من التساؤلات ما يزيد على التي أجابت عنها. وكُتبت تقارير البحث وفقًا للأنموذج النوعي (انظر الفصل 17).

3.6 التصاميم النوعية المرنة: مثال

توفر التصاميم النوعية المرنة سياقًا لتنفيذ إجراء البحث بطريقة تقتضيها مخرجاته. وهي تتضمن عملية دينامية تتشكل في أثناء تقدمها. وتتطلب معايير هذا التصميم معرفة بالمبادئ الأساسية، وهذا ما يجعل المثال الذي سنستخدمه هنا مثالًا يستخدمه كثير من الباحثين في إطار التصميم المرن، وهو النظرية المؤسَّسة. وسنقدم في ما يلي مبررات هذه المقاربة وكيفية إجراء تصميم مرن وما هي خطواته.

1.3.6 مدخل إلى النظرية المؤسَّسَة

تُعدّ النظرية المؤسسة طريقة بحث وتقنية أو نوع من تصاميم البحوث ومخرجاته، وهي ليست مجرد أداة لتحليل البيانات لأنها تشمل جميع جوانب البحث ابتداء من اختيار سؤال البحث وانتهاء بالإجابة عنه. وهي مؤسَّسة لارتباطها بالبيانات التجريبية العملية ولأنها تتطور وتبزغ انطلاقًا من هذه البيانات. ويعود الفضل في تطويرها إلى غليزر وشتراوس[8].

منذ تأسيسها، طرأت عليها تعديلات كثيرة وانبثقت منها نماذج مختلفة. ويختلف أنصار هذه النظرية في نظرتهم إلى بعض المفاهيم والمقولات، كما أن التزام النظرية مبادئ المنهج التفسيري قد أثار تساؤلات كثيرة[9].

---

(8) B. G. Glaser and A. L. Strauss, *The Discovery of Grounded Theory: Strategies for Qualitative Research* (Chicago: Aldine, 1967).

(9) K. Charmaz, «Grounded Theory: Objectivist and Constructivist Methods,» in: N. K. Denzin and Y. S. Lincoln, eds., *Handbook of Qualitative Research*, 2nd ed. (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 2000).

الإطار 7.5

أسس النظرية المؤسَّسة

- تُشَكّك بفكرة الشروع في البحث بتعليمات ملزمة مسبقة.
- تهدف إلى تطوير النظرية من خلال البحث ولا تخضع البحث لنظرية.
- ملائمة جدًا في المجالات التي لا توجد فيها نظريات، أو عندما نبحث في ميدان تسوده نظريات متناقضة.
- تتبع أنموذجًا إرشاديًا نوعيًا ويطبقها الباحثون النوعيون بصورة تكاد تكون حصرية، لكن يمكن استخدامها أيضًا في البحث الكمي.
- يمكن تطبيقها في أي ميدان أو سياق لكونها ملائمة وفاعلة في آنٍ.
- تصميم البحث ليس أحادي الاتجاه بل دائري يسمح بالتنقل بحرية بين جمع البيانات والتحليل.
- تستخدم إجراءً هادفًا في اختيار العينات (اختيار العينات النظري) تهديه المعلومات التي جُمعت في أثناء الدراسة، ويكتمل عندما نصل إلى الإشباع النظري.
- تستخدم طرائق عدة كالملاحظة والمقابلة والتحليل الوثائقي.
- يبدأ التحليل من الترميز المفتوح وينتقل إلى الترميز المحوري ثم إلى الترميز الانتقائي، ما يؤدي إلى توليد مفاهيم ومقولات وتنميطات ونظرية.
- من ميزات هذا التصميم البحثي البارزة أنه لا يوجّهه الباحث أو ممارسات ومعايير مهنية عامة، بل توجّهه النظرية التي تبزغ في أثناء البحث[10].

2.3.6 خصائص النظرية المؤسَّسة

تندرج النظرية المؤسَّسة في إطار الأنموذج الإرشادي التفسيري، لذلك فهي تشتمل على جميع خصائص هذا الأنموذج التي ذكرت سابقًا. تركز هذه النظرية كثيرًا على الباحث بصفته أحد عناصر سيرورة البحث، الأمر الذي يؤكد أهمية تفسير الواقع على نحوٍ يشدّد على موضوع التحليل بقدر ما يشدّد على الباحث.

(10) Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit*, p. 193.

وينظر إلى الباحثين في هذا الإطار على أنهم فنانون يقاربون الواقع بطريقة محايدة بعيدة ويشكلون هذا الواقع انطلاقًا من هذا المنظور.

ولئن كانت هذه النظرية قوية الصلة بالبيانات، فذلك يعني أنها قريبة من السلوك والفعل اليوميين. وتُعد المعرفة اليومية مصدرًا جيدًا وعنصرًا رئيسًا في بنية هذه النظرية ومقاربتها. إن الخبرة الأساس المباشرة ضرورية جدًا لتطوير النظرية المؤسَّسة التي تمتاز بالانفتاح والمرونة والتركيز على المفاهيم والمقولات الأساسية ومقارنتها واختبارها.

إن تطوير المفاهيم هو عملية دائمة التغيّر وليس بنية. ويساعد في ذلك سلسلة من العمليات التي تبقى مستمرة إلى أن يتحقق الإشباع. فهناك: (1) استقراء (تطوير فرضيات موقتة/ تجريبية)، و(2) الاستنتاج (اشتقاق تطبيقات الفرضيات)، و(3) التثبت (اختبار صدق هذه الفرضيات).

نظرًا إلى كون هذه النظرية تنتمي إلى المنهج النوعي، فهي تتضمن جميع معايير الأنموذج الإرشادي النوعي، مثل النزعة التفسيرية والانفتاح والمرونة والتواصل والنزعة الطبيعية. وما يميز هذه النظرية عن النماذج النوعية كالأنموذج الثابت هو تركيزها على الأمور التالية:

- توجّه سيرورةَ البحث كاملة المعلوماتُ التي تُجمع في أثناء الدراسة (النظرية البازغة) لا الممارسات التقليدية.
- يتم تحديد طبيعة العينة وأفراد الدراسة وحجم العينة وفقًا للمعلومات التي تُجمع في أثناء الدراسة.
- لا يقتصر اختيار العينة على البشر فحسب، بل يشمل الحوادث والسياقات.
- لا يتم التحليل بعد جمع البيانات بل في أثناء جمعها؛ فهناك تبادل مستمر بين جمع البيانات وتحليلها، ويستمر هذا التبادل إلى أن يكتمل التحليل تمامًا.

على الرغم من وجود اختلافات في جوانب أخرى من البحث، إلا أن المذكور أعلاه هو الأهم.

الإطار 8.5

تصميم البحث في النظرية المؤسَّسة	
خطوات البحث	المهمات
الخطوة 1: اختيار موضوع البحث	اختيار موضوع البحث والمنهجية الملائمة.
الخطوة 2: بناء موضوع البحث	تحديد حدود الموضوع والمنهجية، والبحث عن المادة، وطرح أسئلة... إلخ
الخطوة 3: اختيار العينات نظريًا	اختيار السياق والحدث وأفراد الدراسة أولًا. ستتغير السياقات والحوادث وأفراد الدراسة في أثناء تقدم البحث.
الخطوة 4: جمع البيانات وتحليلها	جمع البيانات وترميزها المفتوح، اختبار البيانات ومقارنتها، تكوين المفاهيم، ما يفضي إلى تحديد المفاهيم. إضافة بيانات جديدة، صقل المفاهيم.
	ترميز محوري، دمج البيانات/ إعادة دمجها وتكاملها وبناء المقولات.
	الربط بين المقولات، وضع المقولات في سياقاتها، الانتباه إلى الأسباب والنتائج، إضافة بيانات جديدة، مقارنة المقولات، صوغ الأطروحات.
	الترميز الانتقائي، تحديد المقولة الرئيسة وربطها بالمقولات الأخرى، التحقق من العلاقات بين المقولات، تدقيق المقولات وتطويرها.
	اختبار الأطروحات/ الفرضيات، الإشباع النظري، الانتقال إلى النظرية.
الخطوة 5: كتابة تقرير البحث	إعداد التقرير.

3.3.6 سيرورة البحث

بشكل عام، لا تختلف الخطوات الرئيسة للبحث النوعي الذي يرتكز على النظرية المؤسَّسة عن خطوات الأنموذج النوعي المرن، لكن محتواها وهدفها

يختلفان. كما شاهدنا في الأمثلة السابقة، يمكن تعرُّف هذه الخطوات من الإطار 8.5[11].

سنتناول إجراءات تحليل البيانات بمزيد من التفصيل في الفصل 15. ومن ناحية تقنية، يسير التحليل باتجاه منظم ابتداء من الترميز المفتوح إلى الترميز المحوري إلى الترميز الانتقائي وأخيرًا إلى تكوين مصفوفة موقتة. ويمكن وصف العناصر الأساسية لعملية البحث في النظرية المؤسَّسة كما يلي:

أ. **بناء المقولات**: يطور الباحث مقولات من المعلومات من طريق الترميز المفتوح وتجزئة البيانات، ثم يبحث عن خصائص/مقولات فرعية ضمن المقولات الأكبر في محاولة منه لتحديد أبعاد هذه الخصائص.

ب. **الربط بين المقولات**: يبحث الباحث باستخدام الترميز المحوري عن مقولة رئيسة أو ظاهرة رئيسة ثم يحاول تحديد الأوضاع والأسباب التي تؤثر في الظاهرة، وبعد ذلك يستطلع الباحث الاستراتيجيات المحددة المستخدمة في التعامل مع هذه التأثيرات، ويحلل سياق العوامل المسببة ويدرس آثارها.

ج. **تشكيل قصة تقيم تكاملًا بين المقولات**: يساعد الترميز الانتقائي في تحديد خط مركزي يعمل على دمج المقولات التي حُدّدت في عملية الترميز المحوري، ما يؤدي إلى ظهور فرضيات موقتة.

د. **تطوير الأطروحات واختبارها**: تؤدي هذه العملية إلى تأسيس نظام منطقي يشتمل على العوامل والأحوال التاريخية والاجتماعية والاقتصادية التي تؤثر في الظاهرة الرئيسة التي يمكن عرضها بشكل مرئي في مصفوفة موقتة. ويؤدي ذلك في النهاية إلى صوغ نظرية أولية تخضع لاحقًا للاختبار التجريبي.

4.3.6 لماذا نستخدم هذا الأنموذج البحثي؟

تظهر أهمية هذه النظرية وقبولها بين الباحثين الاجتماعيين من خلال مدى

---

(11) A. L. Strauss and J. M. Corbin, *Basics of Qualitative: Techniques and Procedures for Developing Grounded Theory* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1998).

تطبيقها في البحث الاجتماعي. يقول برايمان وبيرجس[12] إن هذه النظرية «واسعة الانتشار في البحث النوعي». ويرى فيفر[13] أن الباحثين يجدون فوائد عدة أو تضافرًا للقوى في استخدام النظرية المؤسَّسة، ما يجعلها أداة بحث مفيدة لها ما يميزها من الأساليب النوعية الأخرى. ويلاحظ بأن النظرية المؤسَّسة:

- محايدة من الناحية النظرية (يمكن للباحثين من خلفيات معرفية متنوعة استخدامها).
- أنموذج يلائم البحث النوعي والبحث الكمي[14].
- تمتلك آليات تساعد الباحثين في تجنب الشعور بأنهم مثقلون بالبيانات.
- تولد بيانات غنية من الخبرات الشخصية للناس.
- لديها القدرة على تطوير نظريات.
- أنموذج بحث قوي ذو إجراءات صادقة.

في أي حال، ليست النظرية المؤسَّسة بالنظرية الوحيدة التي تمتاز بصرامة إجراءاتها والإفادة من الخبرات الشخصية لأفراد الدراسة والقدرة على تطوير نظري، بل إنَّ هناك عددًا من نقاط الضعف في هذا القالب البحثي الذي يقتضي انتباهًا مهمًا. وأبدى لامنك[15] الملاحظات الآتية في هذا الشأن:

- إن فكرة دخول ميدان البحث من دون مفاهيم مسبقة مشكوك فيها من ناحية علم الاجتماع.
- إن فكرة التدخل الشخصي في البحث تثير مسألة الانطباعية والرأي الشخصي ومستوى صدق النتائج.
- المدى الذي يتوقع فيه إضافة معلومات جديدة غير واضح.

---

(12) A. Bryman and R. Burgess, *Analyzing Qualitative Data* (London: Routledge, 1994), p. 6.

(13) Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit.*

(14) Glaser and Strauss, *The Discovery of Grounded Theory*, p. 17.

(15) S. Lamnek, *Qualitative Sozialforschung* (Munich: Psychologie Verlags Union, 1988), *Band 1*: *Methodologie*, and *Band 2*: *Methoden und Techniken*.

▪ لا تقدم معلومات كافية حول كيفية التحقق من الفرضيات.

▪ عملية جمع البيانات غير واضحة، وليست هناك معلومات توضح ما يجب تضمينه في الدراسة من حيث فائدته وملاءمته، وأهميته نظريًا.

▪ ينبغي تعريف صدق البيانات بطريقة ما، عندما نعتقد أن البيانات توفر نوعًا من التحقق التجريبي من العلاقات الموجودة في النظرية.

▪ عملية بناء النظرية (خصوصًا النظرية الرسمية) غير دقيقة.

▪ تتنافى فكرة «تأسيس النظرية على البيانات» مع المبادئ التجريبية وعناصر الموضوعية في البحث، الأمر الذي لا ينسجم مع أنموذجها الإرشادي النوعي.

سابعًا: تصميم المشروع

نقدم هذا المثال لمن يُتوقع منهم تصميم مشروع وتنفيذه بوصفه جزءًا من دراستهم. ويستطيع أولئك الذين لا ينطبق عليهم هذا المثال الإفادة من كيفية تصميم بحث يؤدي إلى دراسة حقيقية. وإذا كنت ممن يُطلب منهم تصميم مشروع بحث، فإن هذا المثال سيساعدك في وضع هيكل التصميم، وما عليك إلا استكمال الأنموذج بإضافة مزيد من تفصيلات في أثناء سير البحث.

ستحتوي البنية التي ستقيمها على جميع المعايير اللازمة لإثارة تفكيرك، وتحديد الوقت ومعايير المصادر، وتحديد موضوع البحث وتعريفه أو تعديله، وتحديد طرائق اختيار العينة، وجمع البيانات وتحليلها في أثناء دراستك لها.

على سبيل المثال، قد تختار الموضوع والمنهجية وكيفية اختيار العينة والطرائق الأخرى؛ فإذا كنت واثقًا من أن هذه هي الطرائق التي تريد استخدامها، عليك أن تعيرها مزيدًا من الانتباه والاهتمام في أثناء تنفيذ الدراسة. وقد يدفعك اختيارك إلى طرح أسئلة مهمة قبل إكمال التصميم. وفي ما يلي مثال لهذا التصميم.

1.7 قرارات ما قبل التصميم

تذكر، مهما كان موضوع البحث ومنهجيته، أنك في حاجة إلى تصميم. وهذا

الأخير قد يكون ثابتًا وصارمًا ودقيقًا أو مرنًا وديناميًا ومنفتحًا. لكنه تصميم. وقبل البدء بتصميم بحثك، ينبغي أن تضع القضايا الأساسية الآتية في الحسبان وتنتبه إليها جيدًا:

- **الأولوية:** تعطى الأولوية لتعليمات المؤسسة المسؤولة عن البحث وإرشاداتها التي تحدد كيفية تنفيذ البحث ونشر نتائجه.

- **المشرف/ المشرفون:** ابقَ على اتصال وثيق بالمشرفين عليك، فهم يدركون طبيعة البحث أكثر منك ويستطيعون تقديم اقتراحات مفيدة.

- **عمق البحث واتساعه:** كن متواضعًا وواقعيًا في طموحاتك البحثية، ولا تحمّل نفسك إلا وسعها.

- **الحاسوب:** استخدم الأجهزة الإلكترونية بحكمة. وتذكر أن الحاسوب يعطيك ما تعطيه. يستغرق تدوين البيانات في البحث الكمي وقتًا أطول مما يلزم للتحليل؛ فأنت الحكم.

- **الوقت:** استغل وقتك جيدًا بالتخطيط المنتظم لمشروع بحثك. يمكنك أن تستخدم تقويمًا يحدد الوقت اللازم لكل خطوة ومرحلة.

- **المصادر:** يجب أن تستغل المصادر بحكمة مهما كانت طبيعتها وحجمها. تأكد من تقويم المصادر وفقًا لمعايير البحث وطبيعة الموضوع والوقت المتوافر. وتذكر أن المصادر الكافية والملائمة لا تضمن دائمًا النجاح في المشروع.

- **الحدود:** هل أنت متأكد من أنه سيُسمح لك بدخول ميدان البحث؟ إذا كان هذا يشكل عقبة عليك أن تتدبر الأمر قبل البدء بالتصميم، وذلك بالتأكد:

  - من إمكان الحصول على إذن لإجراء الدراسة.
  - ما إذا كان الإذن قد طُلِبَ أم لا.
  - ما إذا كان ذلك سيحدّ من نشر نتائج بحثك (هل ستكون البيانات التي تجمعها لك؟).

2.7 التصميم

1.2.7 الموضوع والمنهجية

اختر موضوع بحثك آخذًا في الاعتبار عوامل أخرى غير اهتمامك الشخصي. وينطبق هذا أيضًا على المنهجية، حيث يحسن بك أن تهتم بالنقاط التي أوردناها في الفصل الثاني. فكلا المنهجين أداة فاعلة للبحث، لكنها تخدم أغراضًا مختلفة. تأكد من اختيار المنهج الذي يلائم مشروع بحثك.

إن اختيار الموضوع على الدرجة نفسها من الأهمية. وكما الحال في المنهجية، فإن موضوع البحث يوجهك إلى حقل معين وفي سبيل معين سيكون مهمًا لك في سيرورة البحث. تأكد من أن موضوع البحث لا يقع ضمن اهتماماتك فحسب بل ضمن إمكاناتك أيضًا. وفي ما يلي بعض الإرشادات لاختيار موضوع البحث.

اختيار موضوع البحث

- يجب أن يكون الموضوع ضمن حدود خبرتك، لأن معرفتك بالبيئة النظرية والمنهجية للبحث ستخفف عليك الصعوبات المستقبلية والمفاجآت.

- يجب أن يكون قابلًا للتحليل بطريقة صارمة وتجريبية وأن يسمح بتطبيق أنواع البحث التي ذكرناها سابقًا (الفصل الأول).

- يجب أن تكون قادرًا على تنفيذ البحث وفقًا للجدول الزمني الذي تضعه المؤسسة. وتذكر أن تقوّم موضوع البحث في سياق دراستك (رسالة الماجستير أو الدكتوراه) لا في سياق العالم الخارجي. وسنتحدث عن أوجه أخرى للموضوع في ما بعد.

- يجب أن تضع في الحسبان حدود الموارد وإمكان الوصول إلى ميدان البحث قبل اختيار موضوعه. وكما لاحظنا من قبل، فإنّ الموضوعات التي يصعب الوصول إليها يمكن أن تؤدي إلى مشكلات خطِرة وتؤخّر البحث. تأكّد من إمكان الوصول وملاءمة الموارد والمصادر قبل اختيار موضوع البحث.

▪ يجب أن يكون الموضوع قابلًا للبحث؛ أولًا بشكل عام، وثانيًا بوساطة المنهجية التي اخترتَها. فأنت لا تستطيع دراسة قضايا لا تخضع للتحليل التجريبي (كالحياة بعد الموت!)، ولا بد من أن تتذكر أن المنهجيات توضع لدراسة جوانب محددة من الواقع.

2.2.7 صوغ الموضوع منهجيًا

لا تُمكّنك هذه الخطوة من تحديد موضوع بحثك بشكل أفضل وصقله وتوضيحه فحسب، بل تمكنك أيضًا من تصويب بعض القرارات التي اتخذتَها سابقًا. فإذا كان موضوع بحثك عامًا أو كبيرًا على مشروعك، تكون لديك الفرصة لتجعله أكثر تحديدًا من حيث المحتوى والتركيز. وفي ما يلي بعض الأمور المهمة التي تحتاج إليها لوضع أسس سليمة لمشروع بحثك.

كيف أفعل ذلك؟

▪ **استكشف موضوع البحث:** هل قرأت عنه بما يكفي لتتحدث بثقة عن المعايير النظرية والمفهومية المتعلقة به؟ هنا لا بد من مراجعة الدراسات السابقة كحد أدنى. وقد تستفيد أيضًا من التحدث مع الخبراء (أكاديميين ممن يعرفون أكثر عن موضوعك) ومع أناس ذوي علاقة بالموضوع.

▪ **حدِّد موضوع البحث على نحوٍ دقيق:** ينبغي لك أن تحدّد موضوع بحثك بدقة ووضوح حيث لا يكون لديك شك في طبيعته وأبعاده، خصوصًا إذا ما كنت تعمل وفقًا للمنهج الكمي. وهذا لا يفيدك في تجنب إساءة الفهم والأخطاء المنهجية فحسب، بل يساعدك أيضًا في إجراء المقارنات بدرجة أعلى من الدقة والسهولة.

▪ **حدِّد الموضوع إجرائيًا:** إذا قررت استخدام المنهج الكمي فلا بد لك من تحديد الموضوع إجرائيًا (اقرأ الفصل التالي لتعرف المزيد عن ذلك). تساعدك هذه الخطوة في قياس مفاهيم عامة مثل الاغتراب والتديُّن والسلطة. وستحتاج إلى إيجاد مؤشرات وعناصر أخرى تسهل عملية القياس وتجعلها أكثر دقة وإتقانًا.

▪ **هل هناك فرضيات؟** قد تكون الفرضيات اختيارية في بعض الدراسات

وإجبارية في دراسات أخرى. والفرضية تخمين منطقي ومثقَّف عن مخرجات الدراسة. تكون الفرضيات ضرورية إذا استخدمت الإحصاء الاستنتاجي.

3.2.7 اختيار العينة

بعد تحديد المعايير الأساسية للبحث، عليك أن تتخذ قرارًا آخر في شأن أفراد الدراسة وعوامل أخرى ذات صلة. وتُذكّرك الأسئلة الآتية بالمهمات الملائمة.

اختيار العينة: أسئلة تبحث عن إجابات

- ما هي الطريقة التي ستستخدمها في اختيار العينة الملائمة؟
- متى ستتم دراسة أفراد العينة وأين؟
- ما حجم العينة؟
- هل تحتاج إلى إطار معين لاختيار العينة؟ إذا كان الأمر كذلك، فهل لديك مثل هذا الإطار؟
- ما مدى تمثيل العينة؟
- هل يتوافر لديك الوقت والمال والأشخاص لإجراء الدراسة؟ وإذا توافرت هذه الأمور، كيف يمكن استخدامها بشكل عقلاني رشيد؟
- كيف ستتعامل مع الحالات التي تختار عدم الإجابة في هذه الدراسة؟
- هل هناك أي قضايا أخلاقية وموضوعية يجب أن تأخذها في الاعتبار في هذه المرحلة؟ وكيف ستتدبر أمرها؟

4.2.7 جمع البيانات

يجب عليك في هذه المرحلة أن توضح، من دون لبْس أو غموض، كيف ستجمع البيانات المطلوبة. ويجدر بك أن تنتبه إلى الأمور الآتية:

جمع البيانات: أسئلة تبحث عن إجابات

- ما هي الطريقة/ الطرائق التي ستجمع بها البيانات؟
- هل ستحتاج إلى مساعدين في هذه المرحلة؟

- هل يجب طباعة الوثائق وتوزيعها على المبحوثين؟
- ما المواصفات التي يجب توافرها في المساعدين؟
- هل يحتاج المساعدون إلى تدريب (مهارات المقابلة مثلًا)؟
- ما إجراءات التعامل مع الحالات التي تختار عدم الإجابة؟
- هل تحتاج إلى تدقيق البيانات من حيث العدل والدقة والموثوقية أو الثبات وغيرها؟

5.2.7 تحليل البيانات

كما فعلتَ في الخطوات السابقة، عليك أن تتخذ بعض القرارات المهمة وتجيب عن أسئلة كثيرة ذات صلة تتعلق عادة بقضايا فنية وإدارية. وثمة أسئلة تتعلق بجوهر التحليل الذي يعتمد على نوع المنهجية المختارة. وسنناقش هذه القضايا بالتفصيل في الفصلين 15 و16، ولذلك لسنا في حاجة إلى مزيد من التفصيل هنا. ثمة أسئلة عن بعض جوانب البحث تحتاج إلى اهتمام في مرحلة التخطيط كي تمكنك من اتخاذ القرارات الملائمة. وإليك بعض هذه الأسئلة.

تحليل البيانات: أسئلة تبحث عن إجابات

- هل سيكون التحليل كميًا أم نوعيًا؟
- إذا كان التحليل كميًا، هل سنحتاج إلى حاسوب؟
- وإذا كنت ستحتاج إلى الحاسوب، فهل هو مزود بالبرامج الملائمة؟
- هل ستحتاج إلى مساعدة في إدخال البيانات ومعالجتها؟
- هل الدعم المالي موجود لهذه الخدمات؟
- هل ستحتاج إلى مساعدة في تدوين النتائج أو أي مهمة أخرى إذا كان البحث نوعيًا؟

6.2.7 كتابة التقرير

تعتمد طبيعة التقرير ومحتواه على ما تتطلبه المؤسسة التي تعمل لحسابها، خصوصًا في ما يتعلق بطريقة عرض التقرير وحجمه وعدد النسخ المطلوبة

وسواها. كما يعتمد التقرير أيضًا على طبيعة الدراسة والمنهجية المتبعة وطبيعة البيانات. وسنوضح في الفصل 17 جميع المتطلبات اللازمة لتقديم التقرير وفقًا للمعايير المهنية.

أخيرًا، يجدر بنا القول إن المعلومات التي وردت في هذا الفصل مفيدة في إعداد تصميم بحث على المستوى المهني والمحترف. وهي على الدرجة نفسها من الأهمية والفائدة لتصميم بحث خاص، كإعداد رسالة ماجستير أو دكتوراه.

نقاط أساسية

- غالبًا ما تُعرض سيرورة البحث على شكل أنموذج، بينما يوضح تصميم البحث المسار الذي يوجه سيرورة البحث من البداية حتى النهاية.
- يُفترض في البحث أن يتقدم وفقًا لمجموعة من الخطوات التي تنفذ بطرائق محددة.
- يوجه استخدام أنموذج البحث عملية تخطيطه وتنفيذه ويجلب منافع كثيرة لمشروع البحث.
- يستخدم الباحثون الكميون تصاميم بحث ثابتة، فيما يستخدم الباحثون النوعيون تصاميم بحث ثابتة ومرنة.
- تتمثل خطوات أنموذج البحث بما يلي: الإعداد، تصميم البحث، جمع البيانات، معالجة البيانات والعرض.
- يتضمن الإعداد للبحث اختيار المنهجية، اختيار موضوع البحث وتحديده، الاستطلاع، التحديد الإجرائي، وصوغ الفرضيات.
- تتضمن عملية جمع البيانات اتخاذ قرارات وأفعال تتعلق بجمع المعلومات المطلوبة للإجابة عن أسئلة الدراسة.
- تتضمن معالجة البيانات تصنيف النتائج وعرضها وتحليلها وتفسيرها.
- يعني تقرير البحث عملية نشر النتائج.
- تُصنَّف البحوث المجراة وفقًا للنظرية المؤسَّسة في إطار البحث النوعي.
- تعتبر النظرية المؤسَّسة وحدات البحث مستقلة، وتنظر إلى التفسير العلمي

للواقع وكأنه عمل فنان، وتلاحظ الاستمرارية بين التفكير اليومي والتفكير العلمي وتفترض الانفتاح في عملية التكوين العلمية الاجتماعية للمفاهيم.

إلى أين؟

قبل أن تترك هذا الفصل، لا بد لك من أن تزور الموقع المرافق للطبعة الثالثة من كتاب **البحث الاجتماعي**: http://www.palgrave.com/sociology/sarantakos لتراجع المفاهيم الأساسية في هذا الفصل وتختبر نفسك في القضايا الرئيسة التي ناقشناها.

قراءات إضافية

Books

Bechhofer, F. and L. Paterson. *Principles of Research Design in the Social Sciences*. New York: Routledge, 2000.

Bordens, K. S. and B. B. Abbott. *Research Design and Methods: A Process Approach*. 4th ed. Mountain View, Calif.: Mayfield, 1999.

Budestan, K. E. and R. R. Newton. *Surviving Your Dissertation: A Comprehensive Guide to Content and Process*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 2001.

Creswell, J. W. *Research Design: Qualitative, Quantitative, and Mixed Method*. Thousand Oaks. Calif.: Sage, 2003.

De Vaus. D. *Research Design in Social Research*. London: Sage, 2001.

Denscombe, M. *The Good Research Guide for Small-Scale Social Research Projects*. Buckingham: Open University Press, 1998.

Hakim, C. *Research Design: Successful Designs for Social and Economic Research*. 2nd ed. London: Routledge, 2000.

Hart, C. *Doing a literature Review*. London: Sage, 2001.

Mitchell, M. and J. Jolley. *Research Design Explained. Belmont*, Calif.: Thomson/ Wadsworth, 2004.

Punch, P. D. *Developing Effective Research Proposals*. London: Sage, 2000.

الفصل السادس

الشروع في البحث الاجتماعي

هذا الفصل

- يصف كيف تبدأ سيرورة البحث.
- يحدد المهمات المطلوبة في هذه المرحلة من البحث.
- يقدم فكرة تحديد المفاهيم إجرائيًا وتثليث البيانات.
- يوضح هذه العملية في البحث الكمي والبحث النوعي.
- يوضح طبيعة الفرضيات ودورها في البحث الاجتماعي.

العناوين الرئيسة

مقدمة

1. اختيار سؤال البحث
2. اختيار منهجية البحث
3. البناء المنهجي لموضوع البحث
4. تحديد الموضوع
5. الاستطلاع
6. التحديد الإجرائي
7. التحديد الإجرائي المتعدد: التثليث
8. صوغ الفرضيات

نقاط أساسية

إلى أين؟

قراءات إضافية

مقدمة

عرفنا في الفصل السابق كيف تتقدم سيرورة البحث في خطوات تبدأ بتحديد موضوع البحث، إلى أن تصل إلى جمع البيانات والتحليل والمعالجة. وبهذا المعنى يكون للخطوات هدف محدد ومهمات معينة يمكن التعامل معها وتنفيذها.

سوف نناقش في هذا الفصل الخطوة الأولى في تصميم البحث بالتركيز على المهمات المحددة المسندة إليه. وستعطى أهمية خاصة للطرائق المتعددة التي يُعد بها موضوع البحث بطريقة تمكّن الباحث من دراسته بالتفصيل وبنجاح. ترتبط بهذه الخطوة مسألة المنهجية التي يجب أن تحدد في هذه المرحلة.

سنبدأ بمناقشة الخطوة الأولى في سيرورة البحث، اختيار موضوع البحث.

أولًا: اختيار سؤال البحث

إنّ واحدةً من القضايا الأولى التي يجب أن يوضحها الباحث ويحددها هي تركيز البحث. ويعني هذا تحديد سؤال الدراسة والمنهجية التي سيُدرس من خلالها الموضوع. ببساطة، ينبغي للباحث أن يجيب عن السؤالين: ما الذي سيُدرس في هذا المشروع؟ وكيف؟ ومع أن السؤال الثاني يُعد مسألة معقدة جدًا، إلا أنه من المهم أن يعرف الباحث في الأقل ما إذا كانت الدراسة ستتبع المنهج الكمي أم النوعي.

تشير النظرية والممارسة[1] إلى وجود ثلاث قضايا رئيسة ترتبط باختيار موضوع البحث وتستحق الاهتمام من الباحث.

---

(1) انظر: L. Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit* (Wien: Selbstverlag, 2000); X. Puris, *The Complexity of Research Measure* [in Greek] (Paris: Ajax, 1995).

- ما الذي يمكن دراسته في مشروع البحث؟

- من الذي يختار موضوع البحث؟

- ما العوامل التي تؤثر في عملية اختيار موضوع البحث؟

سنناقش هذه النقاط بإيجاز في ما يلي.

1.1 طبيعة سؤال البحث: «ما الذي يمكن دراسته؟»

يستطيع الباحث الاجتماعي من الناحية العملية دراسة أي مسألة اجتماعية. فقد يكون موضوع البحث أشخاصًا ومجموعات، وأفكارًا، وأيديولوجيات، واتجاهات، وآراءً، وبنى، وعمليات، وطرائق، وممارسات، وأسباب الحوادث الاجتماعية وآثارها. ويمكن اختيار وحدات الدراسة من أي مستوى؛ مستوى من الفرد إلى الفرد، من الفرد إلى المجموعة، أو من المجموعة إلى المجموعة. ويمكن أن ينفَّذ البحث على مستوى واحد أو أكثر.

أما القيود التي تحد من الحرية في هذا المجال فتتعلق بقضايا الصلة والأهمية والقابلية للبحث وإمكان إجراء البحث والأخلاقيات. وتعني **الصلة والأهمية** مدى أهمية موضوع البحث لهدفه، أما **القابلية للبحث** فتعني مدى قابلية موضوع البحث للدراسة من الناحية المنهجية. فالموضوعات التي لا نستطيع إخضاعها للبحث والدراسة لا تصلح ولا نستطيع دراستها تجريبيًا مثل: هل هناك إله؟ وهل هناك حياة بعد الموت؟ في حين يمكن أن يدرس البحث مفاهيم الناس حول مفهوم الإله أو الحياة بعد الموت، لكن دراسة مثل هذه الموضوعات دراسة تجريبية أمر مستحيل. و**إمكان تنفيذ البحث** يعني كون البحث ممكنًا أم لا، ومدى إمكان أن يصل الباحث إلى موضوع الدراسة، وما إذا كانت لديه الوسائل والمصادر اللازمة لاستكمال الدراسة. أما **الأخلاقيات** فتسأل: هل كانت الدراسة مبررة أخلاقيًا وتتبع المعايير والمبادئ الأخلاقية في تصميمها وتنفيذها وتطبيق نتائجها؟

إن أي موضوع ملائم وقابل للبحث ومتفق مع المعايير الأخلاقية يمكن

دراسته. وفي أي حال يجب أن نلاحظ أن العاملين الثاني والثالث فحسب من هذه العوامل الأربعة يرتبطان مباشرة بالسؤال: «ما الذي يمكن دراسته؟» ومن الواضح أن الموضوعات غير الملائمة أو التي لا ترتكز على المعايير الأخلاقية يمكن دراستها. هناك مستويان من القواعد يتعلقان بما يجب على الباحث أن يدرس: يتعلق الأول بما يستطيع الباحث دراسته، ويتعلق الآخر بما يجب على الباحث دراسته. وكلتا القاعدتين ضروريتان.

2.1 من الذي يختار سؤال البحث؟

الباحث: من البداهي عادة أن يكون حق اختيار الموضوع للباحثين الذين يدرسون قضايا تقع في إطار خبراتهم الشخصية ومصالحهم التي قد تكون خارجية كالدخل أو السمعة أو الترقية وزيادة المعرفة أو تحسين الأوضاع الاجتماعية (الدافعية الخارجية)، أو داخلية (ذاتية) كقضية البحث بحد ذاتها (الدافعية الداخلية).

الأحوال الاجتماعية: تحدد الأحوال الاجتماعية اختيار موضوع البحث في عدد من الحالات، وهنا يكون للبحث وظيفة اجتماعية ويجب أن ينفَّذ بغض النظر عن الاهتمامات والرغبات الشخصية للباحث. ومن المبررات لذلك أن الباحث جزء من المجتمع وعليه مسؤولية عامة وواجب الخدمة، وأن البحث يلبي حاجة إلى المجتمع. لذلك يجب أن تحكم الأحوال الاجتماعية وحاجات المجتمع اختيار سؤال البحث، ومن واجب الباحث أن يعالج قضايا ذات أهمية اجتماعية. ومن ناحية عملية، يُتوقع من الباحث أن يختار موضوع بحث يتطلب اهتمامًا كبيرًا حتى لو كان البحث خارج نطاق اهتمامات الباحث. ومثل ذلك يحدث عندما يتم التعاقد مع الباحث لإجراء بحث معين يموَّل من جهة معينة.

مموّل البحث: كثيرًا ما يطلب الممولون إجراء بحوث معقدة ومكلفة، ولذلك فهم لا يقدمون الدعم المالي والمصادر اللازمة فحسب، بل يختارون موضوع البحث أيضًا. وهناك عدد كبير من الباحثين يعمل لحساب مؤسسة معينة أو شخص معين، وهؤلاء الأخيرون هم الذين يختارون موضوع الدراسة. وفي

مثل هذه البحوث المُتعاقَد عليها تكون حرية الخيار محدودة. وفي بعض الحالات يُستخدم الباحث لدراسة موضوع محدد لا يمكن تغييره.

3.1 الاختيار في سياق اجتماعي: عوامل مهمة

هناك عوامل عدة تؤثر في عملية اختيار سؤال البحث. وقد تتأثر هذه العوامل بجوانب نظرية أو عملية أو بالآراء والاهتمامات الشخصية[2]. يشتمل الإطار 1.6 على بعض العوامل التي تؤثر في اختيار موضوع البحث.

في كثير من الحالات تتأثر عملية اختيار موضوع البحث بعوامل عدة، لكن عاملًا ما قد يكون هو الأكثر تأثيرًا.

4.1 أسئلة أساسية

يقوم الباحث، بعد اختيار موضوع البحث، باستطلاع بعض القضايا المنهجية التي تتعلق بقابلية الموضوع للبحث وعوامل أخرى. ويعتمد مدى هذا الاستطلاع على عوامل تتعلق بطبيعة الموضوع، غير أن هناك أسئلة يُعتقد أنها ذات أهمية خاصة في هذا السياق[3]. ومن هذه الأسئلة ما يلي:

- ما هي وحدة البحث؟ ينبغي للباحث قبل الانتقال إلى الخطوة التالية أن يحدد بالضبط وحدة البحث في الدراسة. تُعَرَّف «وحدة البحث» بأشكال مختلفة، لذلك يجب على الباحث أن يحدد من البداية وحدة البحث التي سيتعامل معها في سياق معين وبخصائص معينة. ومن الجدير ذكره هنا أن وحدة البحث هذه هي التي سيشير إليها الباحث عند عرض النتائج والتعميمات.

- ما هو مستوى البحث؟ يمكن أن يُجرى البحث على مستويات عدة منها:
  - بحث من المستوى الأول، حيث العلاقة بين الأفراد.
  - بحث من المستوى الثاني، حيث العلاقة بين الأفراد والجماعات.
  - بحث من المستوى الثالث، حيث العلاقة بين الجماعات.

---

(2) Ibid.

(3) انظر على سبيل المثال: Ibid.

الإطار 1.6

العوامل المؤثرة في اختيار موضوع البحث
▪ **القيود المالية**: الموضوعات التي تحظى بدعم مالي تحظى أيضًا بفرص للبحث تفوق ما تحظى به الموضوعات التي لا تُدعم ماليًا.
▪ **الوقت**: لا يحبذ الباحثون دراسة الموضوعات التي تحتاج إلى وقتٍ طويلٍ، ويفضلون عليها تلك التي تحتاج إلى وقتٍ أقل وتكون على الدرجة نفسها من الأهمية.
▪ **توافر المساعدين والخبراء**: عدم توافر مساعدي البحث قد يدفع الباحثين إلى اختيار موضوعات يمكنهم القيام بها بأنفسهم من دون مساعدة.
▪ **الأنموذج الإرشادي للبحث**: يفضل الباحثون دراسة موضوعات ضمن نماذج إرشادية أو أطر نظرية معروفة وشائعة (مثل البحث النسوي)، على الموضوعات التي تتطلب نماذج نظرية أخرى.
▪ **الخبرة**: يدرس الباحثون عادة موضوعات تقع ضمن اهتماماتهم وخبراتهم المهنية.
▪ **الأيديولوجيا**: يفضل الباحث دراسة موضوعات تنسجم وانتمائه الأيديولوجي. فأنصار الحركة النسوية يفضلون البحث في موضوعات تتعلق بالمرأة، كما أن الماركسيين يدرسون وضع العمال في المجتمعات الرأسمالية.
▪ **إمكان الوصول إلى موضوع البحث**: تلقى الموضوعات التي يكون الوصول إليها صعبًا قبولًا للبحث أقل من الموضوعات التي يسهل الوصول إليها.
▪ **الحاجة إلى بيانات**: إن الحاجة إلى معلومات عن بعض الموضوعات تدفع الباحثين إلى دراستها؛ لا رغبة منهم فحسب بل لأنها تحظى بدعم مادي أكثر، وتاليًا يمكن الحصول على مساعدي بحث ومصادر أخرى.

يمكن إجراء البحث أو الدراسة على أكثر من مستوى واحد. ومن واجب الباحث أن يحدد هذه المستويات بدقة في الخطوة الأولى من تصميم البحث.

▪ هل ستراعى الموضوعية؟ يجب أن يحدد الباحث موقفه من الموضوعية من البداية. وعليه أيضًا أن يحدد المقاييس التي قد يستخدمها للتحقق من الموضوعية. وإذا اعتبر الباحث الموضوعية غير مهمة أو غير ملائمة فعليه أن يوضح ذلك أيضًا.

الإطار 2.6

الاعتبارات الأخلاقية في اختيار موضوع البحث
▪ هل يمكن دراسة الموضوع من دون الإخلال بالمعايير الأخلاقية؟
▪ هل يمكن ضمان السرية وعدم كشف الأسماء؟
▪ هل يمكن التأكد من عدم إلحاق أي ضرر بأفراد العيّنة وأسرهم؟
▪ هل تؤذي هذه الدراسة الباحث؟
▪ هل يمكن ضمان التزام جميع أفراد فريق البحث بالمعايير الأخلاقية؟
▪ هل تتضمن دراسة هذا الموضوع أي معاملة غير عادلة أو غير قانونية أو غير أخلاقية؟
▪ هل يثير البحث اهتمامات خارجية (من السلطات مثلًا) قد تُلحق الضرر بالمشاركين؟
▪ هل يمكن الحصول على الموافقة الأخلاقية من السلطات المختصة لإجراء هذه الدراسة[4]؟

علاوة على ذلك، ينبغي للباحث أن يحدد دوره في سيرورة البحث: «مراقب عن بعد»، «مراقب متعاطف»، «راصد أمين»، «وسيط لغوي»، «مشارك متفاعل»، أو «مُيسِّر محاور». يتطلب كل دور من هذه الأدوار درجة معينة من الموضوعية. لذلك لا بد للباحث من تحديد درجة التزامه بالموضوعية بوضوح عند هذه الخطوة من البحث.

▪ هل يمكن ضمان الالتزام بالمعايير الأخلاقية؟ يجب الانتباه إلى القضايا الأخلاقية في مراحل التصميم كلها، وينبغي اتخاذ الإجراءات التي تضمن عدم إلحاق الضرر بأفراد العينة بأي شكل من الأشكال بسبب البحث أو نشر نتائجه. وفي هذه المرحلة هناك أسئلة عدة ملائمة لا بد من الإجابة عنها كما تظهر في الإطار 2.6.

---

(4) A. Benini, Construction of Knowledge, pp. 27-28.

يستطيع الباحث أن ينتقل إلى الخطوة التالية بعد أن يجيب عن جميع الأسئلة بشكل معقول.

ثانيًا: اختيار منهجية البحث

1.2 مقدمة

تعتمد مسيرة البحث على عوامل كثيرة، لكن المنهجية التي سيرتكز عليها البحث هي الأهم. ولذلك لا بد للباحث في هذه المرحلة من أن يحدد ويوضح نوع المنهجية التي سيستخدمها في بحثه. وقد يكفي في بعض الحالات أن يصرّح الباحث بأنه يستخدم الأنموذج الكمي أو النوعي في دراسته، وفي حالات أخرى لا بد من مزيد من المعلومات والتفصيلات.

هذا هو الحال، مثلًا، عندما يحتاج الباحث إلى الأنموذج الإرشادي للبحث الذي سيوجّه نظريته وأيديولوجيته. فعلى سبيل المثال، تُطلب هذه المعلومات الإضافية عندما يتبنى البحث مقاربة ماركسية أو نسوية أو رمزية تفاعلية. يساعد توضيح الأسس النظرية والأيديولوجية التي يرتكز عليها البحث في فهم أفضل للبحث، ويوفر أساسًا واضحًا لتطوير تصميم البحث، ويمكّن من تفسير النتائج وتقويمها بشكل صحيح ونزيه.

هناك عوامل عدة تحدد ما إذا كانت منهجية البحث كمية أم نوعية، وما إذا كان إطاره نقديًا، وصفيًا أم تمكينيًا، وما إذا كان تحديد الإطار عامًا أم نوعيًا ومفصلًا. يتعلق بعض هذه العوامل بالظاهرة المدروسة، وبعضها الآخر بالمنظور النظري الذي يوجه تفكير الباحث وأداءه. ونحن نعلم أصلًا أن أي قرار يكون مشروعًا إذا كان مبررًا من حيث المعايير المنهجية، وبهذا المعنى لا يمكننا أن نصف منهجية ما بأنها صحيحة أو خاطئة.

عادة تُختار المنهجية بعد تحديد ما سيُدرس، وفي كثير من الأحيان تحدَّد المنهجية قبل ذلك. ومن المألوف أن يعمل الباحث وفقًا لأنموذج إرشادي معين

كالأنموذج الماركسي أو النسوي أو البنيوي لأنه ينتمي إلى هذه الأطر الفكرية، وبذلك يكون اتباع منهجية معينة من ثوابت البحث وليس من متغيراته.

2.2 معايير الاختيار

رأينا أن البحث الاجتماعي يمكن أن يُنفَّذ في سياق كمي أو نوعي، وكلا النوعين مقبول ومشروع. ولذلك، عندما نتحدث عن اختيار المنهجية يكون الحديث عن **الملاءمة** أكثر منه عن **الجودة**.

مع أن الأيديولوجيا تقوم بدورٍ مهمٍ، فإن اختيار المنهجية الملائمة يتأثر بالمبادئ النظرية. وتطرق إلى هذه القضية العلماء الاجتماعيون والمنهجيون ممن اتخذوا موقفًا تجاهها ووضعوا مجموعة من المعايير لمساعدتهم في الاختيار.

يقول برغر ورفاقه[5] إن اختيار المنهجية يتأثر بعوامل كتلك المذكورة في الإطار 3.6.

بشكل عام تكون الأحوال التي تستخدم فيها المنهجية الكمية واضحة؛ إذ إن طبيعتها وتجانسها لا يدعان مجالًا للشك في تحديد مجالات استخدامها. وباختصار فهي تُستخدم عندما يكون المشروع مهتمًا بـ:

- ظاهرة ملحوظة
- التكميم والقياس
- الموضوعية
- العينات الكبيرة
- الصدق والثبات
- الوصف والعلاقات والسببية

---

(5) H. Berger, H. F. Wolf and E. Ullmann, eds., *Handbuch der Sozialistischen Forschung: Methodologie, Methoden, Technicken* (Berlin: Akademie Verlag, 1989), p. 152.

▪ الإحصاء كأداة لتحليل البيانات

▪ التمثيل والقابلية للتعميم

▪ التكرار والدقة والصواب

الإطار 3.6

العوامل المؤثرة في اختيار المنهجية
تشمل هذه العوامل:
▪ الإطار النظري أو الأنموذجي الإرشادي الذي ترتكز عليه الدراسة.
▪ ملاءمة الطريقة للأهداف النظرية.
▪ ملاءمة الطريقة وكفايتها لمشروع البحث.
▪ الهدف العام من مشروع البحث.
▪ طبيعة المخرجات المتوقعة.
▪ تحقيق القواعد المنهجية التي تحدد بنية المنهجية واحتمالاتها وحدودها.
▪ اختبار الأحوال والمتطلبات المسبقة التي يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند إجراء اختبارات رياضية إحصائية.

تُستخدم المنهجية النوعية عندما يسعى الباحثون إلى معرفة كيف يفهم الناس بيئتهم، والعوامل والأحوال التي تشكل حياتهم[6]. بتحديد أكثر يقول فليك ورفاقه[7] إن اختيار المنهجية النوعية يتأثر بالعوامل الآتية المذكورة في الإطار 4.6.

(6) R. C. Bogdan and S. K. Bilken, *Qualitative Research for Education: An Introduction to Theory and Methods* (Boston, Mass.: Allyn and Bacon, 1992); C. J. Drew, M. L. Hardman and A. W. Hart, *Designing and Conducting Research Inquiry in Education and Social Science* (London: Allyn and Bacon, 1996), p. 162.

(7) U. Flick et al., eds., *Handbuch Qualitative Sozialforschung* (Munich:Psychologie Verlags Union, 1991).

الإطار 4.6

العوامل التي تدعو إلى استخدام المنهجية النوعية

يختار الباحث المنهجية النوعية عندما:

- يكون معيار المعرفة في مجال موضوع البحث غير كافٍ ولا يوفر مبررات كافية لإجراء دراسة كمية. وفي هذه الحالة يتخذ البحث النوعي شكل الدراسة الاستطلاعية.
- تكون هناك حاجة إلى دراسة الواقع من الداخل، أي محاولة فهمه من وجهة نظر المدروس.
- يكون موضوع الدراسة معقدًا جدًا حيث تكون الدراسة الكمية قليلة الفائدة[8].
- تكون هناك حاجة إلى تصوير الواقع كما هو، أي في حالة تفاعل.
- يحتاج الباحث إلى عرض البيانات التي جمعها لا على شكل أرقام ومعادلات، بل لغويًا، بشكل مفصل وكامل.
- يرغب الباحث في دراسة الواقع من دون أفكار أو مفاهيم أو تصاميم مسبقة.
- ينظر الباحث إلى نفسه وإلى المبحوث باعتبارهما عنصرين في سياق واحد، وإلى تصميم البحث على أنه وحدة كاملة.
- يرغب الدارس في تحديد معنى العمل الاجتماعي وثوابته وفهمها.

في الختام، وبغض النظر عن سبب اختيار الباحث هذه المنهجية أو تلك، يُتَوَقَّع منه أن يتخذ قرارًا مبررًا في شأن اختيار المنهجية التي ستوجه بحثه.

ثالثًا: البناء المنهجي لموضوع البحث

بعد اختياره منهجية البحث والموضوع الذي سيقوم بدراسته، يركّز الباحث على سؤال البحث ويعمل على صقله وتعديله حيث يكون قابلًا للبحث من الناحية المنهجية. وقد يكون «صقل» الموضوع و«تعديله» أمرًا سهلًا أحيانًا، أو غير ضروري، كما هو الحال في البحث النوعي المرن، حيث تُصاغ الأسئلة بشكل

(8) G. Kleining, «Das qualitative Experiment,» in: U. Flick et al., eds., *Handbuch Qualitative Sozialforschung* (Munich: Psychologie Verglas Union, 1991).

عام في أثناء سيرورة البحث. وفي حالات أخرى، كما في البحث الكمي، يكون ذلك عملية معقدة جدًا تتطلب طرائق معقدة وإجراءات دقيقة.

في هذه المرحلة من البحث الكمي يتم جمع معلومات إضافية لتحديد مادة البحث وموضوعه، وصقل سؤال البحث، وجعله جاهزًا للدراسة، وتطوير إطار لمشروع البحث، وربط سؤال البحث بمنهجيته وإجراءاته.

بالتحديد، لا بد من الأخذ في الاعتبار الأمور الآتية عند تحديد موضوع البحث:

- تعريف الموضوع والمتغيرات المتعلقة به
- الاستطلاع
- التحديد الإجرائي للموضوع
- صوغ الفرضيات

بحسب الحالة المعرفية، يأخذ الباحث الكمي جميع هذه المهمات الأربع في الاعتبار لكن بدرجات متفاوتة. أما في البحث النوعي، فللباحثين موقف آخر في هذا الشأن؛ إذ يعتقد بعضهم عدم ضرورة معالجة هذه الموضوعات في بداية البحث ويفضلون معالجتها في أثناء سيرورة البحث، في حين يعتقد آخرون ضرورة أن يكون التصميم مرنًا كي لا يقيدهم منذ البداية. ويعتقد معظم الباحثين الكميين أن التحديد الإجرائي للبحث لا يتفق وطبيعة المنهجية النوعية.

رابعًا: تحديد الموضوع

أول خطوة يجب الانتباه إليها في هذه المرحلة تتمثل في تحديد الموضوع والمتغيرات المتعلقة به. وتعتمد طبيعة التحديد على عدد من العوامل، أهمها نوع المنهجية. يقوم الباحثون الكميون عادة بتحديد الموضوع بدقة وبصورة نوعية، بينما يفضل الباحثون النوعيون تحديده بعبارات عامة. وفي أي حال، فإن كل طرف سيحدّد الموضوع بطريقة واضحة تجعله مختلفًا عن أي موضوع آخر ما يجعل الدراسة ممكنة.

إذا كان البحث مثلًا عن الأسرة والجنوح، يتوقع من الباحثين الكميين أن يوضحوا ما يقصدونه بكلمة «أسرة» و«جنوح» ويعرّفوهما بدقة. وليس من الضرورة هنا أن يقوم الباحث بتطوير تعريف جديد لأن هناك تعاريف كثيرة مقبولة لكلا المفهومين. لكن وبسبب وجود أنواع مختلفة من الأسر والجنوح، ينبغي للباحث تحديد القضايا التي سيدرسها.

قد يدرس الباحث، على سبيل المثال: (أ) أسرة ليس فيها إلا أحد الوالدين، أسرة من دون روابط قانونية، الأسرة المثلية، الأسرة التي يعاد تكوينها، الأسرة الممتدة، الأسر الإثنية، الأسر الحضرية، والأسر الريفية، (ب) الأسرة المؤلفة من الزوج والزوجة، الأسرة المؤلفة من متساكنين من دون زواج أو كلا النوعين، (ج) أسر يكون فيها الزوجان من فئات عمرية مختلفة أو من فئات عمرية محددة، (د) أسر فيها أطفال أو من دون أطفال، (هـ) أسر بأطفال من سن معينة... وهكذا.

عندما يقوم الباحث بتحديد الموضوع، فإنه يحدد جوانبه وأبعاده بشكل ملحوظ. فقد يلجأ الباحث مثلًا إلى تقليص مفهوم «الأسرة» إلى «الأسرة التي يكون فيها أحد الشريكين فوق الخامسة والعشرين عامًا من العمر»، أو «الأسرة التي يكون أعمار أطفالها أقل من خمس سنوات» أو «الأسرة بأطفال في سن المراهقة». وكثيرًا ما يبدأ الباحث تحديد موضوعه بالعبارة «ولأغراض هذه الدراسة تُعرَّف كلمة أسرة بأنها.....»، ثم يصف نوع الوحدة التي سيتعامل معها في دراسته. وبالطريقة نفسها يقوم الباحث بتحديد مفهوم «الجنوح». ويتوقع من هذه التعريفات أن تكون دقيقة ومحددة حيث تمكّن الباحث وأفراد العينة من التمييز بين القضايا ذات العلاقة والأمور الأخرى التي تم استثناؤها من البحث.

كما ذكرنا آنفًا بالنسبة إلى البحث الكمي، فإن تحديد الموضوع يجعله ملموسًا ومحددًا وأكثر قابلية للفهم، وبذلك تصبح الدراسة «جاهزة» لتنفيذ المنهجية الفاعلة. وبعد تحديد الموضوع فإن العنوان السابق «الأسرة والجنوح»، قد يصبح «أطفال أسر الطبقة العاملة ومعدل الجنوح» (جرائم الاعتداء على الملكية)، بعد أن تم في هذه المرحلة من تصميم البحث تعريف مفهومَي «الأسرة» و«الجنوح» وتحديدهما.

تُعد عملية تحديد الموضوع مهمة في البحث الكمي. أما في البحث النوعي فلا تكون التعاريف على هذه الدرجة من التحديد لأنه يتوقع أن تُجمع بيانات في أثناء الدراسة قد تؤدي إلى صقل المفاهيم وتحديدها بمزيد من الوضوح والملموسية. وكلما زاد حجم البيانات المجموعة وزاد عدد المبحوثين، ازداد وضوح التعريف. ومن الجدير بالذكر أن الباحثين النوعيين يهتمون بدراسة تفسيرات الناس للأشياء والحوادث، وهذا يؤثر في تعريفاتهم.

خامسًا: الاستطلاع

1.5 مقدمة

ثمة عمل استطلاعي في كل دراسة بغض النظر عن إطارها المنهجي وهدفها. وفي بعض الحالات يكون هذا العمل أساسيًا يساعد في صوغ الفرضيات و/ أو تحديد المفاهيم إجرائيًا. وفي حالات أخرى تشكل الدراسة الاستطلاعية جزءًا رئيسًا من البحث، كما هو الحال في بعض أشكال البحث النوعي. وتُجرى الدراسات الاستطلاعية عادة عندما لا تتوافر معلومات كافية عن موضوع الدراسة، حيث يكون صوغ الفرضيات والتعريفات الإجرائية صعبًا أو مستحيلًا. علاوة على ذلك، تجرى الدراسات الاستطلاعية لأسباب محددة[9] كما نشاهد في الإطار 5.6.

2.5 أنواع الدراسات الاستطلاعية

تتخذ الدراسات الاستطلاعية أشكالًا عدة وفقًا لطبيعة الدراسة الرئيسة، وهدف البحث، أفراد الدراسة، الوضع الراهن للمعرفة في ميدان البحث، هدف الدراسة الاستطلاعية. وبصفتها تمهيدًا لدراسة كمية، تتخذ الدراسة الاستطلاعية أحد الأشكال الآتية[10]:

---

(9) انظر: B. Becker, *Grundlagen soziologischer Methodologie* (Frankfurt: Selbstverlag, 1989); Puris, *The Complexity of Research Measure*.

(10) N. Vlahos, *Kolvωvlkη Epενvα* [Sociological Methodology; in Greek] (Athens: Phantom, 1984).

- مراجعة الدراسات السابقة
- مقابلات مع خبراء في الميدان
- تحليل دراسات حالة

الإطار 5.6

لماذا الاستطلاع؟

- **الجدوى**: يُظْهِرُ الاستطلاع ما إذا كان الموضوع قابلًا للدراسة وجديرًا بها وذا جدوى.
- **التعرف**: تعرّف الدراسة الاستطلاعية الباحث بالسياق الاجتماعي للبحث، وتوضح له العلاقات والقيم والمعايير والعوامل ذات الصلة وطرائق البحث.
- **أفكار جديدة**: قد تساعد الدراسة الاستطلاعية في توليد أفكار جديدة وآراء ووجهات نظر حول موضوع البحث، وتُعد هذه الأمور مهمة في سيرورة البحث.
- **صوغ الفرضيات**: توضح الدراسة الاستطلاعية ما إذا كانت المتغيرات مرتبطة بعضها ببعض، وإذا كان الأمر كذلك يوضح الاستطلاع شكل هذا الارتباط واتجاهه ودرجته.
- **التحديد الإجرائي للمفاهيم**: يساعدنا الاستطلاع في تحديد المفاهيم إجرائيًا وذلك بتوضيح بنيتها وتحديد المؤشرات.

يستخدم معظم مشروعات البحث أكثر من شكل من أشكال الدراسات الاستطلاعية، خصوصًا مراجعة الدراسات السابقة. وعندما نستخدم أكثر من طريقة للدراسة الاستطلاعية نكون قد بدأنا الخطوة الأولى في عملية الاستطلاع. وتساعدنا مراجعة الدراسات السابقة في تقرير ما إذا كنا في حاجة إلى مزيد من الاستطلاع، وفي تحديد نوع الدراسة الاستطلاعية المطلوبة.

- مراجعة الدراسات السابقة

يتضمن هذا النوع من الاستطلاع تحليلًا ثانويًا للمعلومات المتاحة والمنشورة

بشكلٍ ما. وقد يكون دراسة في موضوع البحث وحده، بهدف جمع البيانات عن بنية الموضوع وعملية البحث والعلاقات، وبهذا تزداد معرفة الباحث بموضوع البحث وتتعزز صدقية المشروع.

فضلًا عن ذلك، قد تساعدنا هذه المراجعة في ربط الدراسة السابقة بالدراسة الحالية. وقد تكون الدراسة السابقة ذات منحى تحليلي تاريخي أو مقارن لموضوع الدراسة، وهذا يضع الدراسة الحالية في سياق تاريخي. أخيرًا، قد تشتمل الدراسة السابقة على مراجعة لنظرية أو طرائق وأساليب بحثية ملائمة للدراسة الحالية، حيث يستطيع الباحث الاطلاع على طرائق الباحثين الآخرين في معالجة الموضوع وتقويم مدى ملاءمتها وفاعليتها.

تقليديًا، تراجَع الدراسات السابقة في المكتبة، ويسمى هذا النوع أحيانًا البحث المكتبي. وقد أدى ابتكار الإنترنت إلى توسيع دائرة البحث بإضافة المكتبة الافتراضية، وبذلك لم تتسع حدود المكتبة فحسب بل أصبح البحث أسهل وأسرع.

- **مقابلة الخبراء:** يتضمن هذا النوع من الاستطلاع مقابلات مع خبراء لديهم معرفة جوهرية وتمرّس في ميدان البحث. وقد تكون خبراتهم غير منشورة لكنها ملائمة لموضوع البحث، ولا يمكن الحصول عليها إلا بهذه الطريقة.

- **دراسة الحالة:** عندما تكون المعلومات التي جمعها الباحث من خلال مراجعة الدراسات السابقة ومقابلة الخبراء غير كافية، يلجأ الباحث إلى جمع معلومات مباشرة من خلال دراسة بعض الحالات، حيث يختار حالات معينة ملائمة لموضوع بحثه ويدرسها من أجل جمع بيانات للدراسة الرئيسة.

من الجدير بالملاحظة أن دراسات الحالة، باعتبارها مفهومًا، يمكن أن تكون تصميم بحث كما يمكن أن تكون طريقة لجمع البيانات. أما اعتبارها تصميمًا للبحث فيلائم الدراسات النوعية، في حين تُستخدم الطريقة لجمع البيانات في الدراسات الكمية الاستطلاعية. وسنناقش هذين النوعين من دراسة الحالة لاحقًا.

سادسًا: التحديد الإجرائي

1.6 التحديد الإجرائي في البحث الكمي

كثيرًا ما تكون ضروب التحديد والتعريف، حتى الجيد منها، غير واضحة بما يكفي لإجراء مزيد من البحث. وقد يكون استخدام التعريفات في البحث مربكًا ومضللًا ويؤدي إلى تحيز واضطراب. حاول، مثلًا، أن تبحث بدرجة من الموضوعية والتأكد والدقة، مفاهيم مثل الحب والوطنية والأخلاق والاضطهاد والطموح والفخر والدافعية والتقدير والاحترام والفرح والقلق والمزاج والقدرة على التعلم، من دون أن تحاول إيضاح هذه المفاهيم مزيدًا من الإيضاح. إضافةً إلى ذلك، حتى مفاهيم مثل الطبقة الاجتماعية يصعب استخدامها مباشرة في البحث لأنها تشمل عناصر متعددة[11]، لذلك يمكن أن يفهمها ويفسرها أفراد العينة بطرائق مختلفة. لقد وُجد تحيز كبير في إجابات الناس عندما سئلوا عن الطبقة الاجتماعية التي ينتمون إليها؛ إذ وجد أن معظمهم يقولون إنهم من الطبقة الوسطى.

الإطار 6.6

ما هو التحديد الإجرائي؟

التحديد الإجرائي هو عملية تحويل المفاهيم إلى مراجعها العملية المحسوسة، أو عملية تكميم المفاهيم لقياس قيمها، مثل الحدوث والقوة والتكرار. ويُستخدم ذلك عندما تكون المفاهيم غامضة أو غير واضحة أو مجردة. لذلك فإن التحديد الإجرائي يتضمن عملية ترجمة للمفاهيم المجردة إلى مراجعها العملية المحسوسة، وهكذا تصبح عملية القياس سهلة ودقيقة.

إن المفاهيم معقدة ومتنوعة؛ يشتمل بعضها على بعد واحد فقط، بينما هناك مفاهيم أخرى متعددة الأبعاد. بعضها يمكن ملاحظته مباشرة (الجنس، الوزن، الطول، العمر، المسافة) لأن مدلولاتها الفعلية واضحة يسهل التحقق منها، في حين أن مفاهيم أخرى لا نستطيع ملاحظتها عمليًا لأن مدلولاتها غير واضحة

(11) L. Ellis, «Operationally Defining Social Stratification in Human and Nonhuman Animals,» in: L. Ellis, ed., *Social Stratification and Socioeconomic Inequality: A Comparative Biosocial Analysis* (New York: Präger, 1993).

وليس من السهل تحديدها، مثل الذكاء والإثنية والطبقة الاجتماعية والاغتراب والمعايير والتماسك والقيم.

الإطار 7.6

العناصر الرئيسة في التحديد الإجرائي

- تحديد الأبعاد التي تعكس طبيعة المفهوم ودرجة تعقيده، والأبعاد هنا تعني جوانب المفهوم.
- اختيار المؤشرات التي تعكس وجود/ غياب أبعاد المفهوم وقوتها.
- تحديد المراجع العملية، أي طيف القيم التي يمكن أن تحيل إليها المؤشرات، وتحديد الدرجات التي تمثل مقدار وجود أو غياب المفهوم أو المتغير.
- تكميم المتغير، وهو تحديد طيف القيم التي يمكن أن يتصف بها المتغير وتحديد الدرجات كما في الخطوة السابقة، لكن هنا للمتغير الرئيس.

عندما تكون المفاهيم معقدة وصعبة الوصف (وفي الأغلب ما يُشَار إليها في هذه الحالة بأنها بناءات)، يلجأ الباحث إلى استخدام مفاهيم معروفة يمكن ملاحظتها مباشرة والوصول إليها بسهولة؛ لتسمح له بالوصول إلى المفاهيم غير المعروفة. تُسمى المفاهيم الملاحظة والمعروفة التي تُستخدم لفهم المفاهيم غير الملاحظة ووصفها بـ «المؤشرات». فهي خصائص يمكن ملاحظتها أو مكافِئات عملية للمفاهيم التي تمثلها، وهي لا تجعل القياس ممكنًا فحسب بل صادقًا أيضًا[12]. وتسمى عملية تحديد المؤشرات بالتحديد الإجرائي (انظر الإطار 6.6). ويعتمد هذا المفهوم على مفهوم الإجرائية الذي تطور في القرن التاسع عشر، والذي يساوي المفهوم بمكافئاته العملية المحسوسة (يُطابَق الذكاء مثلًا بعلامات معامل الذكاء).

1.1.6 الإجراءات الرئيسة

المفاهيم الأساسية التي تميز التحديد الإجرائي هي القياس والأبعاد والمؤشرات والمقاييس واختيار العينات والتصميم[13]. وبعبارات بسيطة،

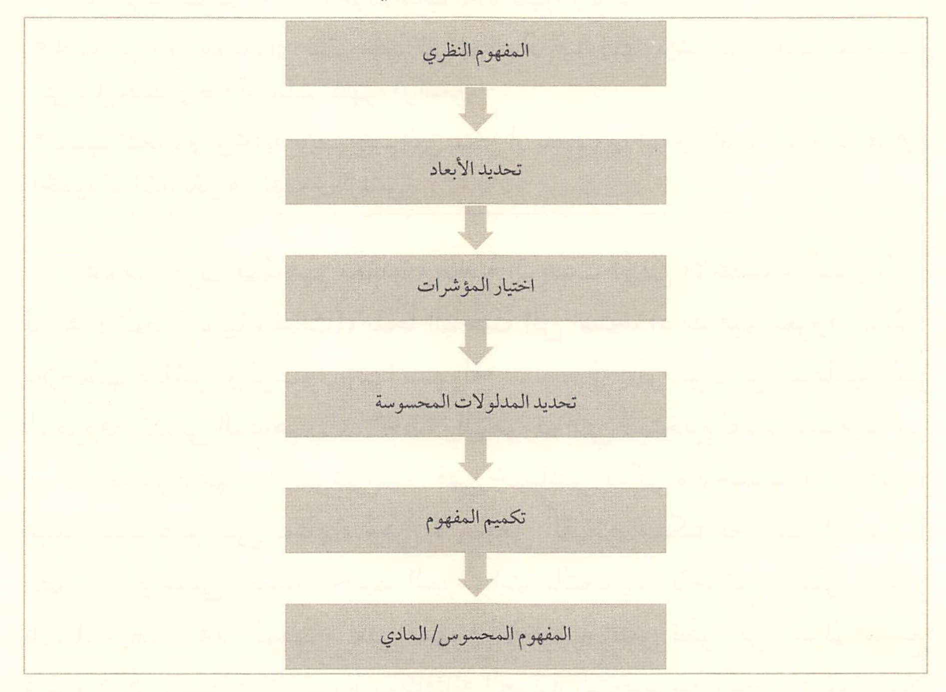
(12) W. Laatz, *Empirische Methoden* (Frankfurt am Main: Harri Deutsch, 1993).

(13) Ibid.

يشتمل التحديد الإجرائي على أربعة عناصر رئيسة: تحديد أبعاد المفهوم، اختيار المؤشرات، تحديد المراجع المحسوسة، وتكميم المتغيرات (انظر الإطار (7.6)). إن عملية التحديد الإجرائي سهلة ومباشرة ويمكن عرضها بشكل تخطيطي كما في الشكل 1.6.

الشكل 1.6

التحديد الإجرائي



2.1.6 أمثلة على التحديد الإجرائي

إذا أخذنا مفهوم «الطبقة الاجتماعية» مثالًا، فإنَّ الخطوة الأولى في التحديد الإجرائي هي تحديد أبعاد المفهوم (مثل الحالة الاقتصادية والمهنية والتعليمية)، ثم نختار مؤشرات أبعاد المفهوم (مثل الدخل والمهنة والتعليم) وتُحدد المراجع المحسوسة (مثل الدخل السنوي ونوع العمل وسنوات الدراسة)، ثم تأتي عملية تكميم المفهوم (تحديد ما يشكل الطبقة العليا والوسطى والطبقة العاملة بناء على نتائج تقدير قيمة المؤشرات).

الإطار 8.6

التحديد الإجرائي لمفهوم الطبقة الاجتماعية			
المفهوم	الأبعاد	المؤشرات	المراجع العملية المحسوسة
	1. الحالة الاجتماعية	1. الدخل	1. مقدار الدخل
الطبقة الاجتماعية	2. الحالة المهنية	2. المهنة	2. نوع العمل
	3. الحالة التعليمية	3. التعليم	3. عدد سنوات الدراسة

بهذا المعنى، فإن الباحث الذي يدرس توزيع الناس في نظام الطبقات الاجتماعية للمجتمع لن يسأل أفراد العينة مباشرة عن الطبقة الاجتماعية التي يعتقدون أنهم ينتسبون إليها، بل يسألهم عن دخولهم ونوع العمل الذي يعملون فيه وعدد سنوات دراستهم. وتعمل المؤشرات والمراجع كجسر بين المفاهيم النظرية والعملية. وهذا لا يسهل إجابة المبحوثين فحسب، بل يسهل الإجابات الدقيقة والصحيحة أيضًا.

دعونا نطبق ذلك في مثال آخر. يرغب باحث في قياس درجة التديُّن لدى السياسيين في المملكة المتحدة ويريد أن يقيس هذه الظاهرة بأكبر درجة ممكنة من الدقة. لذلك يحتاج إلى تحديد إجرائي مفصَّل. وعندما نطبق التصميم السابق، فإننا سنتبع الخطوات الآتية كما تظهر في الشكل 2.6.

3.1.6 الأسئلة الأساسية في التحديد الإجرائي

إن الأسئلة الأساسية التي يجب أن تعالج في عملية التحديد الإجرائي هي التالية:

- ما المفهوم الذي سيُدرس؟
- ما الأبعاد التي سيتم بحثها؟
- ما المؤشرات الملائمة التي تصف كل بعد وصفًا تامًا؟

- هل تقيس عملية التحديد الإجرائي ما يُفترض أن تقيسه؟
- هل أدوات القياس موثوقة وثابتة؟

علاوة على أن هذه الأسئلة تحاول تحقيق الوضوح والدقة، فهي تشجع الباحث على التأكد من صدق التحديد الإجرائي وثباته.

الشكل 2.6

سيرورة التحديد الإجرائي

المفهوم النظري
التدين

↓

تحديد الأبعاد
1. البعد (أ): الإيمان
2. البعد (ب): الممارسة

↓

اختبار المؤشرات
1. المؤشر (أ): الإيمان بالله
2. المؤشر (ب): الحضور إلى الكنيسة

↓

تحديد المدلولات المحسوسة
أ. الإيمان بالله: قوي جدًا (1)، قوي (2)، ضعيف (3)، ضعيف جدًا (4)
ب. الحضور إلى الكنيسة: كثير (1)، أحيانًا (2)، بعض الأوقات (3)، لا أحضر أبدًا (4)

↓

تكميم المفهوم
درجة التدين: متدين جدًا (1)، متدين (2)، غير متدين كثيرًا (3)، غير متدين (4)

↓

المفهوم العملي
التدين (الدرجة)

4.1.6 قواعد التحديد الإجرائي

ترتبط قواعد التحديد الإجرائي الأساسية باختيار المراجع وتكميمها، وهي:

- **قاعدة الصلة العملية الملموسة أو التجريبية**: يجب أن تعكس المؤشرات المفهوم الذي يُفترض أن تقيسه. ويجب أن تكون المؤشرات مرادفة للمفهوم.
- **قاعدة الاتساق**: يجب أن تكون المؤشرات متسقة تمامًا مع المفهوم، ومعه وحده فحسب. وينبغي أن تكون شاملة وحصرية.
- **قاعدة الكفاية العملية**: يجب أن تكون المؤشرات قادرة على قياس جميع جوانب المفهوم بشكل كافٍ، حيث يقيس كل مؤشر بعدًا واحدًا فقط.
- **قاعدة التكميم**: يجب استخدام إجراءات تكميم موحدة.

يكون الانتقال من المفهوم إلى المؤشرات سهلًا ومباشرًا في معظم الحالات، كما هو الحال مع مفاهيم العمر والجندر والدين والإثنية والتعليم والاختلاط الاجتماعي. وتكون المؤشرات في حالة التعليم هي درجات التحصيل في مجالات الدراسة الرئيسة، كاللغة الإنكليزية والحساب والدراسات الاجتماعية في المرحلة الابتدائية. أما في حالة المخالطة الاجتماعية فقد تتضمن المؤشرات عدد الأصدقاء وعدد مرات زيارتهم صديقهم والعضوية في الأندية وما شابه ذلك.

5.1.6 اختيار المؤشرات

إن أهم جزء في عملية التحديد الإجرائي هو اختيار المؤشرات، إذ من الصعب أحيانًا تعريف المفاهيم بوضوح وترجمتها إلى بناءات مفهومية مرادفة للمفهوم الأساسي وتغطي جميع جوانبه.

تُختار الأبعاد والمؤشرات بطرائق مختلفة؛ أحيانًا بالمبادئ النظرية وأحيانًا أخرى بالتأمل. وفي كلا الحالين يُفترض وجود علاقة بين المفاهيم ومكافآتها العملية المحسوسة. وتُعد الخبرة مصدرًا آخر للمؤشرات وكذلك تحليل الأبعاد الحقيقية. وعلى أي حال، فإن استعمال الدراسات الاستطلاعية من أفضل الطرائق لاختيار المؤشرات، خصوصًا تحليل دراسة الحالة الذي يرتكز على خبرة مباشرة مع المبحوثين. فعلى سبيل المثال، إذا أراد باحث ما أن يدرس الطبقات الاجتماعية في مجتمع ريفي صغير ويختار المؤشرات الملائمة، فإن أفضل طريقة لاختيار المؤشرات هي إجراء دراسة استطلاعية نوعية؛ لأنها ستركز على ما يعتقد

الناس أنه يشكل «الطبقة الاجتماعية» وما يعتقدونه سببًا لتصنيف الناس في طبقات اجتماعية عليا أو دنيا.

2.6 التحديد الإجرائي في البحث النوعي

لا يستخدم الباحثون النوعيون التحديد الإجرائي، لكن عندما تكون لديهم حاجة إلى إيجاد مثل هذه المفاهيم فإنهم يقومون بجعل المفاهيم أكثر حساسية أو دقة، لأنهم يعتبرون مفهوم التحديد الإجرائي أداة بحث غير ملائمة. ويذكر عدد من الباحثين بعض جوانب الضعف في هذا الإجراء. ويوجه معظم ناقدي الإجرائية(14) الانتقادات الآتية:

▪ **عدم الكفاية**: في الأغلب ما يرتكز التحديد الإجرائي على الفهم الشائع أو الحسّ المشترك، لذلك فهو لا يربط المفاهيم بالواقع وحده بل بمفاهيم أخرى من دون مساس بالواقع. ويُعتبَر التحديد الإجرائي طريقة غير ملائمة للتعامل مع الواقع.

▪ **النقص أو عدم الشمولية**: لا يغطي التحديد الإجرائي، ولا يستطيع أن يغطي، جميع جوانب المفهوم المطروح باستعمال المعرفة المتاحة وحدها. فإذا توافرت معلومات كافية حول مفهوم ما فلا حاجة حينئذ إلى البحث، لذلك فإن التحديد الإجرائي لا يغطي إلا بعض جوانبَ المفهوم.

▪ **الذاتية**: في الأغلب ما يعتمد التحديد الإجرائي على الفهم الشخصي للباحث. لذلك يمكن أن يقوم عدد من الباحثين بالتحديد الإجرائي لمفهوم واحد بطرائق عدة. ومثل هذه الأشكال الإجرائية قد تكون قليلة الفائدة.

▪ **المفهوم والدرجات**: كثيرًا ما تُعد المفاهيم مكافئة لدرجات الاختبارات التي تُحرَز في خلال التحديد الإجرائي (درجات اختبار الذكاء، والذكاء)، وهذا افتراض ليس صحيحًا دائمًا.

---

(14) انظر على سبيل المثال: S. Lamnek, *Qualitative Sozialforschung. Band 1: Methodologie; Band 2: Methoden und Techniken* (Weinheim: Psychologie Verlags Union, 1993).

الإطار 9.6

التحديد الإجرائي: مثال

لنفترض أننا سندرس البنية الاجتماعية في بلدة صغيرة. تهدف الدراسة إلى تحديد ما إذا كان هذا المجتمع مقسمًا طبقات. وإذا كان الأمر كذلك، كيف تختلف كل طبقة عن الأخرى وفقًا للمنهجية الكمية؟ وكيف نتناول «الطبقة» في هذه البلدة؟ للإجابة عن هذا السؤال نتبع الخطوات الآتية:

1. **تحديد الأبعاد**: تكشف مراجعة الدراسات السابقة حول الطبقات الاجتماعية في المنطقة أنَّ الطبقة تقتضي وجود ثلاثة أبعاد رئيسة في الأقل: الاقتصادي والمهني والتعليمي. تحدد هذه الأبعاد الثلاثة مجتمعة مكانة الفرد في النظام الطبقي.

2. اختيار المؤشرات: نبحث بعد ذلك عن المؤشرات؛ وهي معايير تعكس وجود هذه الأبعاد ومدى كل واحد منها. ومن الأمثلة التي يستخدمها معظم الباحثين في هذا السياق: الدخل للبعد الاقتصادي، وعدد سنوات الدراسة للبعد التعليمي، ونوع المهنة للبعد المهني. وتاليًا يركز القياس على هذه المؤشرات.

3. تحديد المراجع المحسوسة: تتمثل الخطوة التالية في تحديد المعايير التي تمكننا من تكميم المؤشرات وتاليًا تسمح لنا بالقياس والمقارنة. وهذه المعايير هي المراجع. ويعني هذا أن المؤشرات ستترجم إلى مكافئاتها الملاحظة وهي «المراجع». والمرجع الواضح للدخل هو المال، ومرجع عدد سني الدراسة هو مدلول التعليم. أما بالنسبة إلى المهنة فالمرجع هو الدرجة التي تحدد لمجموعات المهن المختلفة (وهذه الدرجات موجودة مسبقًا).

بعد ذلك يقسم الدخل تسع مجموعات لكل منها مبلغ معين، وتغطي هذه الفئات معًا مدى الدخل الذي يحصل عليه أفراد الدراسة، وبالأسلوب نفسه تُقسم المهن تسع مجموعات وفقًا للمكانة التي تعطى للمهن. أخيرًا يُقسم البعد التعليمي مجموعات وفقًا لعدد سنوات الدراسة لكل فرد من أفراد الدراسة، ثم يُقسم كل مؤشر قيمًا ابتداء من متدنٍّ جدًا إلى متوسط، إلى عالٍ جدًا، وتحدد قيم رقمية لكل مجموعة تراوح ما بين صفر إلى تسعة، ويطبَّق نظام التكميم نفسه على جميع المؤشرات. وسنرى لاحقًا أن كل مؤشر سيترجم إلى أسئلة عدة، حيث يقدم كل سؤال المعلومات اللازمة للتكميم الذي يتمثل في درجات عامة أو متوسطة. فإذا حصل أحد الأفراد على درجات 6، 4، 3 لمؤشرات الطبقة، فإن متوسط علاماته هو 4.3.

4. تكميم المتغير: يُستخدم الإجراء السابق ذاته في تكميم «الطبقة» التي يمكن أن تُقسم تسع مجموعات: طبقة دنيا دنيا، طبقة دنيا متوسطة، طبقة دنيا عليا؛ طبقة متوسطة دنيا، طبقة متوسطة وسطى، طبقة متوسطة عليا؛ طبقة عليا دنيا، طبقة عليا متوسطة، طبقة عليا عليا. وتعطى كل مجموعة القيم الرقمية ابتداء من (1 = منخفض) إلى (9 = عالٍ). تشير الدرجات (1-3) إلى الطبقة الدنيا، والدرجات (4-6) إلى الطبقة الوسطى، والدرجات (7-9) إلى الطبقة العليا. وفي مثالنا السابق يمثل المتوسط (4.3) موقع الطبقة المتوسطة الدنيا.

- **التوقيت**: يتم التحديد الإجرائي قبل البدء في البحث. فبدلًا من تفسير المفاهيم التي ستدرَّس وإثرائها، يعمل التحديد الإجرائي على تقليص خيارات البحث ويضيّق نطاقه. كما أن المفاهيم لا تُستطلع من جانب أفراد الدراسة بل من خلال الباحث قبل استكمال الدراسة. أخيرًا يتم التحديد الإجرائي في مرحلة مبكرة جدًا من سيرورة البحث.
- **الصدق**: تثير هذه الانتقادات مجتمعة تساؤلات حول صدق الدراسة وثباتها.

يؤيد كثير من الباحثين النوعيين هذه النظرة؛ فبعضهم يرى أن أفضل شكل من أشكال التحديد الإجرائي هو غيابه التام. وعلى أي حال هناك خلاف في الرأي بين الباحثين النوعيين حيال هذه المسألة.

من الجدير بالذكر أن هذه الانتقادات تنبع من داخل الأنموذج الإرشادي النوعي ولذلك فهي سلبية. أما بالنسبة إلى الباحثين الكميين، يعد التحديد الإجرائي أداة بحث قوية يؤيدها الأنموذج الإرشادي الكمي بشكل عام. كما يستخدم معظم الباحثين هذه الطريقة دائمًا بطرائق مختلفة وبدرجة معينة بقصد أو من دون قصد. مع ذلك يجب ألا نقلل من قيمة أهميتها المنهجية. ويجدر بنا أن نتذكر أن التحديد الإجرائي لا يكون قيمًا إلّا إذا استعمل بشكل سليم، حيث يسعى إلى تحقيق بنى مثالية وتقديم تعاريف إجرائية تقارب المفاهيم الواردة في الدراسة. ويجب أن تفسر نتائج التحديد الإجرائي في سياق المؤشرات المستعملة.

سابعًا: التحديد الإجرائي المتعدد: التثليث

1.7 مقدمة التثليث وأنواعه

يعني التثليث هنا استخدام أدوات بحث متعددة في تصميم بحث واحد. وكان التثليث يشير سابقًا إلى **التحديد الإجرائي المتعدد** أو ما كان يسمى **الصدق التقاربي**. ويسمى التثليث المنهجي لأنه يعتمد على ثلاثة مسارات للعمل. يسمح هذا الإجراء للباحث بدراسة نقطة في البحث من أكثر من وجهة نظر واحدة، ما

يؤدي إلى إثراء المعرفة حول الموضوع و/أو اختبار الصدق. ويمكن تطبيق التثليث في جميع جوانب عملية البحث؛ إذ قد يُستخدم في طرائق جمع البيانات وكيفية استخدام البيانات واختيار الباحث والموقف النقدي والإطار النظري[15].
وفي ما يلي أهم أنواع التثليث:

▪ **تثليث الطريقة**: يعني ذلك استخدام طرائق عدة في الدراسة نفسها، حيث يُستخدم تصميم متعدد الطرائق لبحث جوانب مختلفة من الظاهرة نفسها[16]. وقد يستخدم التثليث طرائق من منهجيات مختلفة (التثليث بين الطرائق البحثية)، أو من منهجية واحدة[17].

▪ **التثليث الزمني**: تعني هذه الطريقة إجراء البحث في أوقات مختلفة، كإجراء دراسة مسحية على الطلاب في خلال الأسبوع الأول والأسبوع الأخير من الفصل الأول. وهذا ما يسمى بالتثليث المتعاقب في مقابل التثليث المتزامن، حيث تطبق طرائق عدة لدراسة الموضوع نفسه في وقت واحد. ومن الأمثلة على التثليث الزمني الدراسات الطولية، مثل دراسات الجزء ودراسات الاتجاه. أما التثليث المختلط فهو ممكن عندما يثلّث الباحث طرائق و/أو عينات بصورة متزامنة أو متتابعة (كاستعمال طرائق متعددة في أثناء الاستطلاع، وعينات عدة في الجزء الرئيس من دراسة الاتجاه).

▪ **تثليث الأنموذج الإرشادي**: تُستخدم في هذا النوع نماذج إرشادية مختلفة (مثل الوضعية والتفسيرية) لدراسة ظاهرة معينة. فقد يستخدم المنهج النوعي مثلًا بطريقة تولد بيانات قابلة للتكميم، حيث يتم تكميمها بعد جمعها ثم تحليلها وتفسيرها من منظور كمي.

▪ **تثليث الباحث**: يُستفاد في هذا النوع من خبرات أكثر من باحث واحد في

---

(15) N. Blaikie, «Triangulation in Social Research: Origins, Use and Problems,» Paper Presented at: «The Conference of the Sociological Association of Austria and New Zealand,» Canberra, 1988.

(16) H. J. Crawford and I. B. Christensen, *Developing Research Skills: A Laboratory Manual* (Boston: Allyn and Bacon, 1995).

(17) انظر: N. K. Denzin, *The Research Act: A Theoretical Introduction to Sociological Methods*, 3th ed. (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1989).

الدراسة نفسها[18]. وهذه طريقة مفيدة في البحث النوعي حيث تُقبل فيه المرونة والانفتاح. أما في البحث الكمي فيمكن استخدام هذا النوع من التثليث في مرحلة بناء تصميم البحث، خصوصًا في أثناء تفسير النتائج.

- تثليث العينة: تُستخدم في هذا النوع عيّنتان أو أكثر في البحث نفسه. ويُستعمل هذا النوع في التجارب التي تُدرس فيها المجموعات الضابطة والمجموعات التجريبية بشكل منفصل يسمح باختبار العلاقات السببية، وكثيرًا ما يُزاد عدد المجموعات الضابطة لتحسين القوة التفسيرية للأداة.

من الجدير بالذكر أن أنواع التثليث هذه تتكامل، حيث يمكن استخدام أكثر من نوع في الوقت نفسه إذا تطلب الأمر ذلك.

2.7 غَرَض التثليث

يُستخدم التثليث لأسباب عدة، ويُعتقد أن استخدام ثلاث طرائق[19] يسمح للباحث بأن:

- يغطي جميع جوانب الموضوع تغطية شاملة.
- يزيد كمية بيانات البحث وتاليًا تزداد المعرفة.
- يثري طبيعة بيانات البحث.
- يسهل إجراء الدراسة، حيث يشكل إجراء ما نقطة ارتكاز للإجراء الذي يليه.
- يُجري مقارنات (في الدراسات الطولية مثلًا).
- يحقق درجة أكبر من الصدق والثبات والمنفعة.
- يتغلب على جوانب الضعف في الدراسات ذات الطريقة الواحدة.

---

(18) U. Flick, «Triangulation in der qualitativen Forschung,» in: U. Flick, E. von Kardorff and I. Steinke, eds., *Qualitative Forschung: Ein Handbuch* (Reinbek bei Hamburg: Rowohlt, 2000).

(19) انظر: Flick, Ibid.; R. G. Burgess, *In the Field: An Introduction to Field Research* (London: Allen & Unwin, 1984).

من منظور نسوي، «يعبّر التثليث عن الالتزام بالشمولية والرغبة في الانفتاح والمجازفة»، وزيادة احتمال تحقيق الصدقية العلمية والمنفعة من البحث[20]. إن الجمع بين البحثين الكمي والنوعي في الموضوع نفسه يوفر نظرة مثلى لبنية البحث وعمليته، وبذلك يمكن تجنب نقاط الضعف عند اعتماد كل طريقة على حدة.

3.7 ما قيمة التثليث؟

على الرغم من أن استخدام التثليث قد يؤدي إلى نتائج أكثر صدقًا وثباتًا من نتائج الدراسات التي تستخدم طريقة واحدة، يشكك عدد من الباحثين في مدى فائدة هذه الممارسة البحثية. وناقش بعضهم مشكلات إجراء التثليث وأحواله[21]، وأشار إلى أن توسيع نطاق البحث لا يؤدي بالضرورة إلى نتائج أفضل.

الإطار 10.6

نقد التثليث

- تُعدم فائدة التثليث والإجراءات الأحادية على السواء إذا كانت ترتكز على أحوال خاطئة وأسس بحثية خاطئة.
- يمكن استخدام التثليث لإضفاء شرعية على الآراء والمصالح الشخصية.
- يصعب إعادة تطبيق التثليث وتكراره.
- ليس التثليث في حدّ ذاته أكثر قيمة من الطرائق الأحادية التي قد تكون أكثر مواءمة وفائدة في الإجابة عن بعض الأسئلة.
- لا يلائم التثليث دراسة جميع الظواهر الاجتماعية[22].

(20) S. Reinharz, *Feminist Methods in Social Research* (New York: Oxford University Press, 1992), p. 197.

(21) Lamnek, *Qualitative Sozialforschung*; D. Silverman, *Qualitative Methodology and Sociology* (Aldershot, UK: Gower, 1985), pp. 105-106.

(22) Lamnek, *Qualitative Sozialforschung*, pp. 245-257.

على الرغم من المشكلات التي نجمت عن التبرير النظري للتثليث والتحيز الوضعي الذي يتضمنه، يدعي بعض الباحثين عدم وجود أدلة تشير إلى أن الدراسات التي تستخدم التثليث تولد بالضرورة نتائج أكثر صدقًا. وحتى لو دعمت نتائج الطرائق المتنوعة بعضها بعضًا فقد تكون غير صادقة. وبعبارة بسيطة: ليس بالضرورة أن تكون نتائج الدراسة متعددة الطرائق أفضل من الدراسة الأحادية الطريقة. وأخيرًا يتساءل النقاد: ماذا يحدث لو أنتجت الطرائق المختلفة المستخدمة في الدراسة نفسها نتائج مختلفة؟ أيٌّ هذه الطرائق يتسم بالصدق؟ وعلاوة على ذلك، إذا استُخدمت طرائق من منهجيات مختلفة، إلى أي مدى يمكن مقارنة نتائجها بعضها ببعض؟

ثامنًا: صَوْغُ الفرضيات

1.8 مقدمة

الفرضية هي افتراض عن حالة الحوادث أو عن العلاقات بين المتغيرات، وهي تفسير أولي لمشكلة الدراسة ومخرج محتمل من مخرجات البحث، أو هي تخمين ذكي عن المخرجات. ويقول باحثون إن أي افتراض مبرر منطقيًا يمكن أن يكون فرضية، وبعضهم يشترط أن يكون الافتراض مبررًا علميًا ويُصاغ وفقًا لأدلة تجريبية أو نظرية. وتكون الفرضيات عادة إجابات عن أسئلة البحث ويمكن توليدها بطرائق عدة. ويمكن تطوير الفرضيات من خلال النظريات المتاحة، ومن خلال نتائج البحث في دراسات أخرى، ومن خلال الأدلة والمعتقدات الشائعة والحدس.

يُعَدُّ صَوْغُ الفرضية جزءًا أساسًا من البحث الكمي يستخدمه الباحثون، على الرغم من أنه أكثر شيوعًا في بعض الميادين (مثل علم النفس). وتهدف الفرضية إلى تقديم إطار واضح وإرشاد في عملية جمع البيانات وتحليلها وتفسيرها. وبالتحديد يُتوقع من الفرضيات أن:

- توجّه البحث الاجتماعي بتقديم تعليمات تخصّ بنيته وتنفيذه.

- تقدم إجابة موقتة عن سؤال البحث.
- تسهل التحليل الإحصائي للمتغيرات في سياق اختبار الفرضية.

في كثير من الحالات تشكل الفرضيات أداة اختيار للعلاقات بين المتغيرات. وبهذا المعنى، تتضمن الفرضية حلًا ممكنًا لمشكلة البحث، وسيُختبر صدقها بالبيانات التي تُجمع في الدراسة. وفي لحظة صوغ الفرضيات فإننا لا نصفها بأنها صحيحة أو خاطئة، بل نقول إنها ملائمة أو غير ملائمة لموضوع البحث. فإذا أردنا أن ندرس آثار التعليم في التدين مثلًا، فمن الملائم أن نفترض: «هناك ارتباط بين المستوى العالي للتعليم ونقص التدين»، ويمكن أن نفترض أيضًا: «يتلاءم التعليم عكسيًا مع التديُّن»، و«يرتبط التعليم ارتباطًا إيجابيًا بالتديُّن» و«ليست هناك علاقة بين التعليم والتديُّن». وكل موقف يُتخذ ضمن الفرضية يكون صحيحًا ما دام ملائمًا لغرض الاختبار.

يستعمل الباحثون الكميون والنوعيون الفرضيات في بحوثهم، لكن بأشكال مختلفة، في مراحل مختلفة من البحث ولأغراض مختلفة أيضًا. فبينما ينظر الباحث الكمي إلى الفرضيات كخطوة نحو البحث، يعتبرها الباحث النوعي منبثقة من البحث. وسنناقش في ما يأتي كيفية تعامل الباحثين الكميين مع الفرضيات، وسنناقش لاحقًا طبيعة الفرضيات وصوغها في البحث النوعي.

2.8 أنواع الفرضيات

هناك أنواع وأشكال مختلفة للفرضيات تبعًا لبنيتها وأهدافها وطبيعتها. وفي ما يلي وصف لبعض أنواع الفرضيات:

- **فرضيات العمل**: فرضية العمل هي افتراض أولي عن موضوع البحث ويُلجأ إليه عندما لا تكون المعلومات المتوافرة كافية لإقامة فرضية، لذلك فهي خطوة نحو صوغ فرضية البحث النهائية.

- **الفرضيات الإحصائية**: بيان أو مجموعة بيانات تطورت وفقًا لمبادئ إحصائية تتعلق بالتوزيع الاحتمالي لمعايير معينة في مجتمع الدراسة. وتستعمل هذه الفرضية كجزء من عملية التحقق، ويمكن اختبارها إحصائيًا ويُعَبَّر عنها في

سياق فرضية صفرية وفرضية بديلة. والاختبار الإحصائي هو الذي يقرر قبول الفرضية الإحصائية أو رفضها.

- **الفرضية الصفرية**: هي إحدى فرضيتين (الفرضية الأخرى هي الفرضية البديلة) يقوم الباحث بصوغها لتُستعمل في سياق اختبار الفرضية.
- **الفرضية البديلة**: هذه هي الفرضية الأخرى في مجموعة الفرضية الصفرية، وتصاغ بشكل معاكس للفرضية الصفرية. إن قبول الفرضية الصفرية في الاختبارات الإحصائية يعني رفض الفرضية البديلة، ورفض الفرضية الصفرية يعني قبول الفرضية البديلة.

3.8 معايير بناء الفرضية

يمكن أن تصاغ الفرضية بأي شكل ما عدا السؤال. لكن صوغ الفرضية يجب أن يتفق ومجموعة من المعايير المذكورة أدناه. يعتقد بعض الباحثين ضرورة تحقيق جميع هذه المعايير، بينما يعتقد آخرون ضرورة تحقيق بعض هذه المعايير. وبشكل عام يُتوقع من الفرضية[23] أن:

- تصف المتغيرات أو تؤسس علاقة بينها.
- تكون قابلة للقياس عمليًا (يمكن إثبات صحتها أو خطئها).
- تركز على قضية واحدة فقط.
- تصف المتغيرات أو العلاقات في ما بينها.
- تكون واضحة ومحددة ومحكمة.

يمكن صوغ الفرضية بعبارات وصفية أو **علاقية**؛ ففي الصوغ الوصفي تصف الفرضية حوادث، أما في الصوغ العلاقي فتؤسس علاقات بين المتغيرات. ويمكن أن تكون الفرضية **باتجاه معين** أو **دونما اتجاه**، وفقًا لما إذا كانت تقدم اقتراحًا ملموسًا في شأن سؤال البحث أم لا. ويعتمد شكل صوغ الفرضيات على طبيعة الدراسة وعلى كيفية التعامل مع هذه الفرضيات.

---

(23) Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit.*

الإطار 11.6

أنواع الفرضيات	
نوع الفرضية	أمثلة
وصفية	«كثير من الآباء والأمهات المنفصلين يعاني الفقر»
علاقية	«يؤثر جنس الوالدين المنفصلين في نوعية حياتهم»
دون اتجاه معين	«الزواج يرتبط بالسعادة»
ذات اتجاه محدد	«المتزوجون أكثر سعادة من غير المتزوجين»

4.8 مشكلات الفرضيات

على الرغم من الاستعمال الواسع للفرضيات في البحث الاجتماعي، فقد تعرضت للنقد لأسباب كثيرة. وعلاوة على الانتقاد الموجه إليها بأنها لا تقدم أيّ مساهمة إيجابية في سيرورة البحث، يدعي بعضهم أنها تسبب تحيزًا في تصميم البحث (كما في جمع البيانات وتحليلها وتفسيرها) وتحدد إطاره وطريقته، وتحدد تاليًا مخرجات البحث سلفًا.

يقال تحديدًا إنه عندما تسبق الفرضية البحث، فإنها تعكس «معرفة» سابقة عما يفترض فيها أن تدرسه، ما يؤثر في إدراك الباحث للبحث وتصرفه في سيرورة البحث. وفي الواقع فإن الفرضية تحدد مسار البحث والجوانب التي ستُبحث وتاليًا تضيّق نطاق البحث. ويناقض هذا مبادئ البحث النوعي التي تنص على استبعاد المعرفة السابقة للباحث، وتحبّذ الانفتاح في ما يخصّ بعض المعاني والأفهام لسؤال البحث[24].

على الرغم من هذه الانتقادات، يستخدم عدد كبير من الباحثين الفرضيات في دراساته بشكل مباشر أو غير مباشر. وفي هذا السياق يمكننا القول:

---

(24) W. Meinefeld, «Hypothesen und Vorwissen in der qualitativen Sozialforschung,» in: U. Flick, E. von Kardorff and I. Steinke, eds., *Qualitative Forchung: Ein Handbuch* (Reinbek bei Hamburg: Rowohlt, 2000), p. 266.

- يُستخدم اختبار الفرضيات عندما نختبر جوانب للعلاقات محددة جدًا.
- تركز الفرضيات على جوانب موجودة في موضوع البحث وهي التي يركز عليها التحليل.
- ترتكز الفرضيات في الأغلب على المعلومات التي تُجمع في بحوثٍ سابقة أو من الدراسات الاستطلاعية.
- المعلومات السابقة ليست معوّقة للدراسة بالضرورة.
- إن فكرة استبعاد المعلومات السابقة وفكرة الانفتاح أفكار مصطنعة إن لم تكن مستحيلة.

تتضمن النقطة الأخيرة شيئًا من التحدي: فكيف يستطيع الباحث المتمرس تجاهل معلوماته السابقة، خصوصًا في ما يتعلق بأساليب جمع البيانات والبحث بشكل عام؟ على الرغم من ذلك، فإن هدف العلم هو البناء على المعرفة المتاحة. دعونا نوضح هذه النقطة قليلًا: هل يتجاهل الباحثون النوعيون معرفتهم بالمنهجية وخبراتهم الأكاديمية وقدراتهم على التفسير التي اكتسبوها من خلال الدراسات السابقة والخبرات الطويلة في الميدان؟ إن المعرفة السابقة والخبرة الطويلة ذات قيمة عالية ولا بد من تقديرها والاعتراف بها عند كتابة تقرير البحث. وليس من الغريب ألا يقبل كثير من الباحثين النوعيين فكرة استبعاد المعرفة السابقة وتجاهلها. علاوة على ذلك، لا يمتنع جميع الباحثين النوعيين من استخدام اختبار الفرضيات[25].

نقاط أساسية

- تتطلب عملية الشروع بالبحث اختيار المنهجية واختيار الموضوع وتعريفه، وقرارًا بإجراء دراسة استطلاعية وتحديدًا إجرائيًا للبحث وصوغًا للفرضيات.

---

(25) W. Meinefeld, «Ex-ante-Hypothesen in der qualitativen Sozialforschung: Zwischen «fehl am Platz» und «unverzichtbar,» *Zeitschrift für Soziologie,* vol. 26 (1997); C. Hopf, «Hypothesenprüfung und qualitative Sozialforschung,» in: R. Strobl and A. Böttger, eds., *Wahre Geschichten? Zur Theorie und Praxis qualitativer Interviews* (Baden-Baden: Nomos, 1996).

- جميع الباحثين يتخذون خطوة الشروع في البحث، على الرغم من أن الباحثين النوعيين أقل التزامًا بالإجراءات الدقيقة المفصلة من الباحثين الكميين.
- الباحث في العادة هو من يختار موضوع البحث، غير أن اختيار الموضوع قد يتأثر بالأوضاع الاجتماعية وبمن يمول البحث.
- يتأثر اختيار المنهجية بالأنموذج الإرشادي النظري وطبيعة موضوع البحث.
- تهدف الدراسات الاستطلاعية إلى التأكد من إمكان إجراء الدراسة، وتعريف الباحث بموضوع البحث والمبحوثين، وتجميع أفكار جديدة للبحث، وتسهيل عملية التحديد الإجرائي وصوغ الفرضيات.
- يعني التحديد الإجرائي عملية تكميم المتغيرات من أجل قياس قوتها وتكرارها، وهو يقتضي اختيار المؤشرات وتكميمها وتكميم المتغيرات.
- تتضمن قواعد التحديد الإجرائي قاعدة الصلة العملية، وقاعدة الاتساق، وقاعدة الكفاية العملية، وقاعدة التكميم.
- تثليث البيانات هو إجراء تُجْمَع فيه البيانات بأكثر من سبيل.
- الفرضية هي افتراض حول المخرجات المحتملة للدراسة، ويشترط أن تكون الفرضيات محددة ودقيقة وقابلة للاختبار والتأكد من صحتها، وتصف قضية واحدة وحسب ولا تشتمل على عبارات متناقضة.
- لا يستخدم الباحثون النوعيون التحديد الإجرائي، ولا يقومون بصوغ فرضيات قبل الشروع في البحث.

إلى أين؟

قبل أن تترك هذا الفصل، لا بد لك من أن تزور الموقع المرافق للطبعة الثالثة من كتاب **البحث الاجتماعي**: http://www.palgrave.com/sociology/sarantakos، لتراجع المفاهيم الأساسية في هذا الفصل وتختبر نفسك في القضايا الرئيسة التي ناقشناها.

قراءات إضافية

Books

Cooper. H. M. *Synthesizing Research: A Guide for Literature Reviews*. London: Sage. 1998.

Fink, A. *Conducting Research Literature Reviews: From Paper to the Internet*. London: Sage. 1998.

Gash. S. *Effective Literature Searching for Research*. Aldershot, UK: Gower. 2000.

Hart. C. *Doing a Literature Review: Releasing the Social Science Imagination*. Thousand Oaks. Calif.: Sage. 1998.

الفصل السابع

اختيار العيّنة

هذا الفصل

- يعرض لطبيعة العينات وأنواعها.
- يوضح مبررات اختيار العينة ومبادئه.
- يشرح طرائق اختيار العينات في البحث الكمي والبحث النوعي.
- يوضح معنى حجم العينة وكيفية حسابها.

العناوين الرئيسة

مقدمة

1. أسباب اختيار العينة
2. مبادئ اختيار العينة
3. طرائق اختيار العينات
4. طرائق اختيار العينات في البحث النوعي
5. اختيار العينة باستخدام الإنترنت
6. حجم العينة

نقاط أساسية

إلى أين؟

قراءات إضافية

مقدمة

من القضايا المهمة التي ينبغي للباحثين أخذها في الاعتبار عند تصميم أي مشروع هو نوع الأفراد الذين سيشتركون في الدراسة وعددهم. وفي هذا السياق ينبغي للباحثين أن يجيبوا عن عدد من الأسئلة المهمة مثل:

- هل سيُدرس مجتمع الدراسة كاملًا أم تُختار عينة منه؟
- إذا كان من المفضل اختيار عينة فما هو الإجراء الأصلح لاختيارها؟
- ما حجم العينة؟
- هل من الضروري وجود إطار لاختيار العينة؟
- إذا كان الأمر كذلك، هل هذا الإطار موجود؟
- ما مدى تمثيل العينة؟
- كيف نمنع حدوث المشكلات والأخطاء والتشوهات المحتملة؟
- ما الترتيبات الإدارية المطلوبة لانتقاء العينة؟
- هل ما يلزم من مال ووقت وأفراد عاملين متوافر، وفي حال توافرها كيف سيتم استخدامها على نحوٍ رشيد؟
- كيف سيتعامل الباحث مع حالات عدم الإجابة؟
- هل هناك قضايا أخلاقية وموضوعية يجب أن تؤخذ في الحسبان في هذه المرحلة، وكيف نلبي هذه المتطلبات؟

الإجابات عن هذه الأسئلة متعددة والخيارات متنوعة. ويتمثل أحدها بإجراء مسح شامل لمجتمع الدراسة حيث تُدرس جميع وحدات المجتمع المستهدف. وفي مثل هذه الحالة يكون المجتمع المستهدف هو المجتمع الذي سيُجرى عليه المسح. وهناك خيار آخر أكثر شيوعًا يتمثّل بدراسة مجتمع الدراسة من طريق اختيار عينة منه ودراستها.

الإطار 1.7

مفاهيم أساسية في اختيار العينة
المجتمع المستهدف: هو المجتمع الذي نجمع المعلومات من أجله.
مجتمع المسح: ذلك الجزء من المجتمع الذي سندرسه.
العينة: ذلك الجزء الذي يُدْرَس من مجتمع المسح.
اختيار العينة: الإجراء الذي يُتّبع لاختيار العينات للدراسة.
وحدات الاختيار: الأشخاص أو المجموعات أو الأنظمة التي تُختار للبحث.
المسح الشامل أو المُشْبَع: المسح الذي يشمل جميع وحدات المجتمع المستهدف.

أولًا: أسباب اختيار العينة

ذكرنا سابقًا أن اختيار العينة يمكّن الباحث من دراسة عدد قليل نسبيًا من أفراد المجتمع المستهدف للحصول على بيانات ممثلة للمجتمع كله. ومع أن هذا سبب جيد لاختيار عينة الدراسة، ثمة أسباب أخرى تبرر هذا الاختيار. وأهم هذه المبررات ما هو مذكور في الإطار 2.7[1].

على الرغم من هذه الفوائد، فإن هناك عددًا من المشكلات المرتبطة بانتقاء العينات لا بد من ذكرها. وأهم مشكلتين: 1- إن عملية اختيار العينة تتطلب درجة أعلى من الإدارة المكثفة والمعقدة والتخطيط والبرمجة مما هو عليه الحال في المسح الشامل.؛ 2- إن اختيار العينة يعني خفض حجم المجتمع المستهدف وتاليًا سيكون عدد المبحوثين المتوقع إجابتهم أقل، الأمر الذي يثير تساؤلات حول مدى تمثيل العينة وتعميم نتائج الدراسة إلى الحد الذي لا يمكن تجاهله.

إن الاستجابة لهذه القضايا المنطقية المتعلقة باختيار العينة أمر بسيط ومقنع. قد تتطلب عملية اختيار العينة إدارة وبرمجة، لكن التعامل مع عينة من 5000 شخص أقل تكلفة من التعامل مع مجتمع كامل (خمسة ملايين مثلًا). أخيرًا يتم

---

(1) B. Becker, *Grundlagen soziologischer Methodologie* (Frankfurt: Selbstverlag, 1989); A. Benini, *Construction of Knowledge* (Rome: Gnome, 2000).

اختيار العينات بطريقة لا تستهين بدرجة تمثيل العينة وتعميم النتائج، وبهذا المعنى فإن دراسة عينة يمكن أن تكون نقطة قوة لا مشكلة.

الإطار 2.7

لماذا العينات؟

- **الضرورة:** في كثير من الحالات تكون تغطية جميع أفراد المجتمع غير ممكنة.
- **الفاعلية:** قد لا تكون التغطية الشاملة لمجتمع الدراسة أكثر فاعلية من دراسة عينة منه. وعلى العكس من ذلك، هناك من يؤيد القول إنَّ دراسة عينة يكون أفضل؛ لأنها تتعامل مع مجتمع المسح في وقت أقصر وتؤدي إلى نتائج مشابهة وصادقة.
- **توفير الوقت:** تتطلب الدراسات التي ترتكز على دراسة عينة وقتًا أقل وتؤدي إلى نتائج أسرع.
- **توفير الجهد:** لا يتطلب انتقاء عينة الجهد الذي تستغرقه دراسة المجتمع كاملًا؛ لأن العينة جزء صغير من المجتمع.
- **التكلفة العامة:** انتقاء العينة أقل تكلفة بشكل عام من حيث متطلبات العمل، لأن الدراسة ستجرى على عدد قليل من أفراد المجتمع وتتطلب مطبوعات أقل وتكلفة عامة أقل (سفر وإقامة...) وعددًا أقل من الخبراء أيضًا.
- **معلومات أكثر تفصيلًا:** يُعتقد أن العينة ستوفر معلومات أكثر تفصيلًا، فضلًا عن توفيرها درجة أعلى من الدقة، لأن البحث مقصور على عدد أقل نسبيًا.

ثانيًا: مبادئ اختيار العينة

يُتوقع من العينة أن تكون ممثّلة، ولذلك ينبغي لإجراءات عملية الانتقاء أن تتبع معايير ومبادئ منهجية معينة. يعتبر الباحثون الكميون المبادئ المذكورة في الإطار 3.7 من المبادئ المهمة جدًا[2].

(2) انظر: L. Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit* (Wien: Selbstverlag, 2000); C. Selltiz, L. J. Wrightsman, J. and S. W. Cook, *Research Methods in Social Relations* (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1976).

الإطار 3.7

مبادئ اختيار العينة
▪ يجب اختيار وحدات العينة بطريقة منتظمة وموضوعية.
▪ يجب أن تكون وحدات العينة واضحة وسهلة التعريف والتحديد.
▪ يجب أن تكون وحدات العينة مستقلة بعضها عن بعض، وموحّدة وبالحجم نفسه، ويجب أن تظهر مرة واحدة في المجتمع.
▪ لا يمكن استبدال وحدة بأخرى، ويجب استخدام الوحدات نفسها في الدراسة كلها.
▪ لا يجوز استبعاد الوحدات بعد اختيارها.
▪ ينبغي أن ترتكز عملية الاختيار على معايير سليمة، ويجب أن تتجنب الأخطاء والتحيز وأي خلل آخر.
▪ يجب أن يلتزم الباحثون بمبادئ البحث (نوقشت في الفصل الرابع).

هناك معايير ومبادئ إضافية أو بديلة يجب أخذها في الاعتبار لدى أنواع محددة من العينات، خصوصًا عند اختيار العينات في البحث النوعي. وأثار الباحثون خارج الإطار الكمي بعض التساؤلات عن عملية اختيار العينة، خصوصًا في ما يتعلق بالموضوعية والصوغ الصارم لمبادئها، لكن ذلك لا ينتقص من قيمة صدق هذه العناصر.

ثالثًا: طرائق اختيار العينات

تختلف إجراءات اختيار العينات اختلافًا ملحوظًا؛ إذ ربما تُبنى العينة بالاختيار الذاتي (كأن يقرر بعض المبحوثين المشاركة في الدراسة استجابة للنداءات الإعلامية التي تطلب متطوعين) أو من خلال الباحث كما هو شائع. وهناك إجراءات لاختيار العينة ترتكز على معايير الاحتمال (العينات العشوائية أو الاحتمالية)، وأخرى ترتكز على معايير غير احتمالية (العينات غير الاحتمالية). وسنناقش في المبحث (رابعًا) التالي طرائق اختيار العينات الاحتمالية وغير الاحتمالية. ويوضح الإطار 4.7 المعايير الرئيسة لهذه العينات.

الإطار 4.7

معايير العينات الاحتمالية وغير الاحتمالية	
العينة الاحتمالية	**العينة غير الاحتمالية**
تستخدم نظرية الاحتمالات	لا تستخدم نظرية الاحتمالات
كبيرة نسبيًا	صغيرة، غالبًا ما تغطي بعض الحالات النمطية
يُحدد حجم العينة إحصائيًا	لا يحدد حجم العينة إحصائيًا
الحجم ثابت	الحجم مرن، لكنه يمكن أن يكون ثابتًا أيضًا
تُختار العينة قبل البحث	تُختار قبل البحث وفي أثنائه
تضبط تحيّز الباحث	لا تضبط تحيّز الباحث
تتضمن إجراءات معقدة	تتضمن إجراءات بسيطة
لها معايير ثابتة	لها معايير مرنة
تتطلب تكلفة عالية	تتطلب تكلفة قليلة
يستهلك التخطيط وقتًا طويلًا	لا يستهلك التخطيط وقتًا طويلًا
تُصَمَّم لتكون تمثيلية	تمثيل العينة محدود
التخطيط عملية مجهدة	التخطيط سهل نسبيًا
تُعَامِل المبحوثين على أنهم وحدات	تُعَامِل المبحوثين على أنهم أشخاص
تُسهل عملية التعميم الاستقرائي	تُسهل عملية التعميم التحليلي
تُستخدم في البحث الكمي	تُستخدم في البحث النوعي

1.3 الاختيار الاحتمالي (العشوائي)

إن الاختيار الاحتمالي إجراء يتم فيه اختيار المبحوثين وفقًا لمبدأ الاحتمال الذي تتمتع وحدات المجتمع المستهدف وفقًا له باحتمالات متساوية قابلة للحساب، واحتمال أخذها في العينة ليس صفرًا. وهناك أنواع مختلفة من هذه الطريقة لكن أهمها وأكثرها شيوعًا هي العينة العشوائية البسيطة والعينة العشوائية المنتظمة، وسنناقش هذين النوعين والطرائق التي تستخدم فيها في ما يلي:

3.1.1 اختيار العينة العشوائية البسيطة

تتميز هذه العينة بكون وحداتها مستقلة ومتساوية الاحتمال في عملية الاختيار، ولا تعتمد فرصة الاختيار لوحدة ما على اختيار وحدات أخرى. وهذا ما يميز العينة العشوائية البسيطة عن العينة العشوائية المنتظمة، كما سنوضح في ما بعد. وأهم أنواع العينة العشوائية البسيطة: طريقة القُرعَة، وطريقة الأرقام العشوائية، والطريقة الحاسوبية.

3.1.1.1 طريقة القُرعَة

يقتضي اختيار أفراد العينة بطريقة القُرعَة الإجراء التالي:

الخطوة 1 حدد إطارًا لاختيار العينة، أي قائمة بوحدات المجتمع المستهدف. وقد يكون مثل هذا الإطار الدور الانتخابي أو سجلات الطلاب أو سجلات الدرجات وما شابه ذلك. يجب إدخال أسماء أفراد العينة وعناوينهم مرتبة ترتيبًا ألفبائيًا ومرقمة وفقًا لذلك.

الخطوة 2 حدد حجم العينة، وهو عدد الوحدات المطلوبة للدراسة.

الخطوة 3 ضع عددًا من الكرات أو الأوراق في وعاء حيث تكون مرقمة وفقًا للأسماء الواردة في الإطار؛ فإذا كانت القائمة تشتمل على 500 اسم، يجب أن يكون لكل اسم رقم ابتداءً من 1 وانتهاء بـ 500.

الخطوة 4 اخلط الكرات أو الأرقام جيدًا ثم أخرج كرة من الوعاء. يُدوّن رقم هذه الكرة ثم يسجَّل اسم الشخص الذي يحمل الرقم نفسه في القائمة، ويكون هو الفرد الأول في العينة. يمكنك بعد ذلك وضع الكرة خارج الوعاء أو إعادتها إليه. استمر في هذه العملية إلى أن تختار العدد الكافي من الأفراد (وإذا وقع الاختيار على رقم تم اختياره سابقًا فتجاهله). وبذلك تتكوّن العينة ممن وقع عليهم الاختيار.

مثال أ: يريد باحث أن يدرس اتجاهات طلاب السنة الأولى في الجامعة حيال النسوية وعددهم 6000. كيف يتمّ اختيار العينة وفقًا لطريقة اختيار العينة البسيطة العشوائية وطريقة القرعة؟ في ما يلي الخطوات اللازمة:

1. توفير قائمة بأسماء طلاب السنة الأولى وعناوينهم من دائرة التسجيل في الجامعة مرتبة ألفبائيًا ومرقمة (هذا هو إطار عملية الاختيار).
2. تقرر أن يكون حجم العينة 500.
3. توفير وعاء و6000 كرة مرقمة من 1-6000.
4. تُخلط الكرات ثم نسحب كرة واحدة منها. فإذا كان رقم الكرة هو 679 فإننا نذهب إلى قائمة الأسماء ونختار الاسم الذي يحمل هذا الرقم، فنسجله مع عنوانه ورقم هاتفه (إذا كان مطلوبًا). تستمر عملية السحب وتسجيل الأسماء إلى أن يصل العدد إلى 500، وهو حجم العينة المطلوب.
5. تشكل هذه الأسماء الخمسمئة عينة الدراسة التي ستُبحث في هذه الدراسة المسحية.

2.1.1.3 طريقة الأرقام العشوائية

تشبه هذه الطريقة طريقة القرعة، إلا أن الكرات والوعاء يُستبدلان بجداول أرقام عشوائية موجودة في منشورات منفصلة أو في ملاحق الكتب الإحصائية. ويقتضي اختيار العينة بطريقة الأرقام العشوائية الخطوات الآتية:

الخطوة 1 تحديد إطار لاختيار العينة.

الخطوة 2 اختيار جداول ملائمة للأرقام العشوائية.

الخطوة 3 اختيار أرقام من الجدول عشوائيًا وتسجيلها. وتشكل الأسماء الموجودة في الإطار التي تحمل هذه الأرقام عينة الدراسة.

3.1.1.3 الطريقة الحاسوبية

نطلب من الحاسوب، في هذه الطريقة، تزويدنا بمجموعة من الأرقام تساوي عدد وحدات العينة التي تبلغ 500 وحدة على سبيل المثال، مراوحةً بين 1 و6000. وعندما تتوافر لدينا هذه الأرقام نتبع الأنموذج الذي طبقناه في الطرائق السابقة. يُستخدم هذا الأسلوب عندما يكون إطار اختيار العينة غير موجود في برامج الحاسوب. لكن إذا كان الإطار متوافرًا إلكترونيًا نطلب من الحاسوب إن

يختار 500 اسم من القائمة بأمر بسيط. ومن المعروف أن الحاسوب يحتاج إلى برنامج صغير لأداء هذه المهمة.

مثال ب: إذا أخذنا المثال الذي ذكرناه في طريقة القرعة، فإننا نختار العينة باستخدام طريقة الأرقام العشوائية وفق الخطوات الآتية:

1. توفير قائمة بأسماء طلاب السنة الأولى وعناوينهم مرقمة ومرتبة.

2. يتحدّد حجم العينة بـ 500.

3. يُستعمل عدد كافٍ من قوائم الأرقام العشوائية التي تتضمن جميع الأرقام الموجودة في إطار العينة. فإذا كان في القائمة 6000 طالب مثلًا، يجب أن تشتمل على 6000 رقم. وهذه القوائم متوافرة أصلًا بأشكال وأحجام ومجموعات متعددة.

4. يوضع القلم أو الإصبع عشوائيًا على قائمة الأرقام العشوائية، ويلاحظ المراقب الرقم الذي يغطيه القلم أو الإصبع.

5. يحدد اسم الطالب الذي يحمل ذلك الرقم ليكون هو أول أفراد العينة. تستمر العملية إلى أن نجمع العدد المطلوب للعينة من الطلاب.

مثال ج: عند اختيار الحاسوب عينة موضوع «الطلاب والحركة النسوية»، نتبع الإجراءات الآتية:

1. توفير الإطار الملائم لاختيار العينة.

2. تحديد حجم العينة وليكن 500.

3. إصدار أمر للحاسوب باختيار 500 رقم عشوائيًا من بين 1-6000.

4. تحديد المبحوثين كما في المثال السابق.

5. هؤلاء المبحوثين هم العينة.

على الرغم من أن طرائق اختيار العينة الثلاث فاعلة ومألوفة، أصبحت طرائق الاختيار بالحاسوب أكثر انتشارًا مما كانت عليه سابقًا، بسبب انتشار الحوسبة وإمكان الوصول إلى السجلات العامة وأدلة الهاتف الإلكترونية. علاوة على ذلك، أصبحت الحواسيب جزءًا أساسيًا من سيرورة البحث. وحيثما تتوافر السجلات الملائمة لا يستطيع الحاسوب اختيار الأرقام فحسب، بل الأسماء والعناوين وغيرها من المعلومات الشخصية اللازمة للاتصال، وباستطاعته أيضًا أن يتصل بأفراد الدراسة إذا طُلب منه ذلك. في المقابل، أصبحت عملية سحب أرقام من قبعة وغيرها من الأساليب المشابهة جزءًا من الماضي.

2.1.3 اختيار العينة العشوائية المنتظمة

إن طريقة اختيار العينة العشوائية المنتظمة إجراء لا يتم فيه اختيار وحدات العينة عشوائيًا فحسب، كما في العينة البسيطة العشوائية، بل يتكامل هذا الاختيار العشوائي مع اختيار وحدة أخرى من العينة. وهذا ما يميز هذه الطريقة في اختيار العينة من طريقة اختيار العينة البسيطة العشوائية، وهذا ما دعا إلى تسميتها بالعينة المنتظمة. يتم الاختيار الفعلي للوحدات بوساطة برنامج حاسوبي يهدف إلى: **أولًا**، المحافظة على العشوائية في الاختيار. **وثانيًا**، توزيع وحدات العينة بالتساوي على طول قائمة المبحوثين (إطار اختيار العينة). ويعتمد النظام على **طريقة اختيار العينة الجزئية**.

تُختار الوحدات في هذه الطريقة من إطار اختيار العينة باستعمال طريقة العينة الجزئية التي يرمز إليها بالحرف (k) الذي يساوي N/n، حيث تعني N عدد وحدات المجتمع المستهدف، وترمز n إلى عدد وحدات العينة. فإذا كان مجتمع الدراسة 4800، وحجم العينة 600، تكون العينة الجزئية 8 (k = 4800/ 600 = 8). ولاختيار عينة بهذه الطريقة نتبع الخطوات الآتية:

الخطوة 1 حدد إطارًا لاختيار العينة.

الخطوة 2 حدد حجم العينة.

الخطوة 3 احسب الجزء المطلوب من العينة (k) كما ورد أعلاه (k=N/n).

الخطوة 4 اختر رقمًا عشوائيًا ما بين 1 وk. ولأن k = 8 في المثال السابق، سيكون الرقم العشوائي بين 1 – 8، ولنفترض أنه 6.

الخطوة 5 سجل الرقم العشوائي (6) وكل رقم ثامن بعد الرقم 6 إلى أن تصل إلى 6000. مثال: 6.14 (6+8=14)، 22 (14+8=22)، 30 (22+8=30)، وهكذا.

الخطوة 6. حدد الأسماء، في إطار الاختيار، التي تحمل الأرقام المختارة. فالأسماء التي تم تحديدها ستكون هي أفراد العينة.

كانت هذه الطريقة ولا تزال شائعة وموثوقة، لكن كما في بعض الحالات أدى استعمال الحاسوب إلى استبعادها نوعًا ما. ومن الناحية العملية، ما زال الباحثون الذين يتبعون أساليب يدوية في اختيار العينة يستخدمونها.

مثال د: تريد مؤسسة الاتصالات إجراء دراسة مسحية للزبائن الذين اشتركوا في برنامج نصف السعر قبل ستة شهور البالغ عددهم 11.000، بهدف تقويم درجة رضاهم عن البرنامج. علينا أن نُجري هذا المسح، لكن في البداية لا بد لنا من اختيار عينة بطريقة اختيار العينة المنتظمة العشوائية. حجم العينة المطلوب هو 500. تتوافر لدينا قائمة بأسماء الزبائن. فكيف نختار أفراد العينة؟

1. توفير إطار الاختيار من مؤسسة الاتصالات.
2. احسب الجزء k وهو 22 = 11000 /500.
3. اختر رقمًا عشوائيًا ما بين 1-22، وليكن 18.
4. احسب الأرقام لجميع أفراد العينة بإضافة 22 إلى 18 تدريجيًا إلى أن تصل إلى العدد المطلوب. ستكون الأرقام 18، 40 (18+22=40)، 62 (40+22=62)، 84 (62+22=84) وهكذا.
5. حدد الأسماء في إطار الاختيار التي تحمل هذه الأرقام، وسيكون أصحاب هذه الأسماء هم أفراد العينة.

3.1.3 اختيار العينة العشوائية الطبقية

إن اختيار العينة بهذه الطريقة إجراء احتمالي في اختيار العينات، حيث يقسم المجتمع المستهدف إلى عدد من الطبقات ثم تُختار عينة من كل طبقة. وتتكون العينة النهائية من مجموع العينات الفرعية. ومن ميزات هذه الطريقة أنها تسمح لجميع مجموعات المجتمع أن تكون ممثلة في العينة النهائية. يرتكز تقسيم المجتمع إلى طبقات على معيار أو أكثر من المعايير المهمة، مثل الجنس أو العمر أو الخلفية الإثنية أو العرق أو الحالة الاقتصادية.

قد يكون حجم العينة متلائمًا أو غير متلائم مع وحدات المجتمع المستهدف. وهذا يعني أن العينات المستمدَّة من كل طبقة قد تكون متلائمة أو غير متلائمة مع حجم العينات. وكما ذكرنا سابقًا تُستخدم العينة الطبقية عندما نكون في حاجة إلى تمثيل مجموعات المجتمع المستهدف كلها، وعندما يكون لدى الباحث اهتمام خاص بطبقات معينة. وبهذا المعنى تكون الطريقة اقتصادية جدًا وتوفر درجة عالية من التمثيل. ويمكن اختيار عينة طبقية وفقًا للخطوات الآتية:

الخطوة 1 تقسيم المجتمع المستهدف إلى عدد من الطبقات، وفقًا لعدد المجموعات البارزة في هذا المجتمع.

الخطوة 2 تحديد إطار الاختيار لكل مجموعة، وإذا لم يكن ذلك متوافرًا، يجب تطوير أطر ملائمة.

الخطوة 3 استخدام إحدى الطرائق المذكورة سابقًا لاختيار عينة من كل طبقة. وقد تكون العينة متلائمة أو غير متلائمة مع عدد وحدات المجتمع.

الخطوة 4 دمج العينات الفردية في عينة واحدة هي عينة الدراسة النهائية.

مثال هـ: طُلِبَت منا دراسة اتجاهات مجتمعنا حيال سياسة المساعدات الخارجية. اختَرنا طريقة العينة الطبقية كي تمثّل أطياف المجتمع الإثنية كافة. وللحصول على أسماء المبحوثين، اتبعنا الخطوات الآتية:

1. تحديد إطارات الاختيار أو إعدادها لكل مجموعة إثنية في المجتمع.
2. تحديد هل ستكون العينة متلائمة أم غير متلائمة.
3. تحديد عدد أفراد العينة من كل مجموعة إثنية؛ إذ تقرر أن ندرس 60 في المئة من المجموعة الآسيوية و20 في المئة من الأفارقة و15 في المئة من اليونانيين و5 في المئة من الألمان.
4. استخدام إحدى الطرائق السابقة (طريقة القرعة، الأرقام العشوائية، الجزئية) لاختيار العينات الفرعية (عينة من كل مجموعة إثنية).
5. دمج العينات الفرعية في عينة واحدة.

3.1.4 اختيار العينة متعددة المراحل

في هذه الطريقة يبدأ اختيار وحدات العينة باختيار عينة كبيرة، ثم نستمر باختيار عينات جديدة متتابعة من العينات التي اختيرت سابقًا، وبذلك نصل إلى خيار أكثر مواءمة وفاعلية. وبكلام أدقّ، يتم اختيار عينة كبيرة بطريقة عشوائية ثم نختار عينة أخرى من هذه العينة مع استبعاد الوحدات الزائدة أو بعيدة الصلة. فمثلًا، إذا كان يُفترض بالدراسة أن تركز على النساء الاختصاصيات، فسوف يتم استثناء النساء غير الاختصاصيات والرجال الموجودين في العينة السابقة. وإذا تطلب الأمر يمكن اختيار عينة أخرى من العينة الثانية لأسباب مشابهة. ونستمر بهذه العملية حتى نكتفي. هذا مع العلم أن كل عينة جديدة تجعل العينة أكثر تحديدًا وتركيزًا

ومواءمة لموضوع البحث، فتكون بذلك أكثر تمثيلًا. ويتميز هذا النوع من طرائق اختيار العينات بأن جمع البيانات فيه لا يكون إلا من العينة الأخيرة.

مثال و: نريد أن ندرس اتجاهات الممرضات حيال المقترح الذي ينص على إلغاء التبليغ الإجباري عن الإصابات الناجمة عن العنف الأسري المشبوه. وعلينا أن نتبع طريقة العينة متعددة المراحل، ولتحقيق ذلك نتبع الخطوات الآتية:

1. توفير قائمة بأسماء الممرضات في جميع المستشفيات.
2. اختيار 2000 ممرضة من تلك القائمة.
3. اختيار 600 ممرضة باعتماد وحدة المستشفى معيارًا، حيث تمثّل جميع المستشفيات الرئيسة في البلاد.
4. فرْز هذه العينة في النهاية، أولًا على أساس الجندر كمعيار، ثم على أساس التخصص والعمر ومدة الخدمة، إلى أن نصل إلى عينة مكونة من 150 فردًا، مع استخدام طريقة غير احتمالية في اختيار العينة.
5. هؤلاء المبحوثين هم العينة النهائية.

تتضمن طريقة اختيار العينة متعددة المراحل الخطوات الآتية[3]:

الخطوة 1 تحديد إطار العينة للمجتمع المستهدف.

الخطوة 2 اختيار عينة احتمالية كبيرة، تسمى وحداتها بوحدات الاختيار الأولية، ثم تُختار عينة أخرى من هذه العينة الأولية.

الخطوة 3 بعد تحديد معايير اختيار المبحوثين (من حيث الجنس والإثنية والحالة الاجتماعية...) نقوم باختيار عينة أخرى من هذه العينة. وفي معظم الحالات تكون العينة الثانية كافية لتلبية متطلبات الدراسة، وإلا يكرَّر هذا الإجراء حتى نصل إلى الحجم المطلوب للعينة.

الخطوة 4 تشكل المجموعة النهائية عينة الدراسة.

لا يتطلب استخدام عمليتي الفرز والسحب وقتًا طويلًا فحسب، بل تكلفة كبيرة أيضًا. لذلك لا تستخدم العينة متعددة المراحل إلا عندما تكون ضرورية

---

(3) انظر: Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit.*

جدًا. ومن الأمثلة الواضحة على هذا النوع من الطرائق استخدامها في مجتمع غير متجانس حيث لا تتوافر معلومات كافية لتكوين عينة ممثلة من دون عملية الفرز.

5.1.3 اختيار العينة العنقودية

يختار الباحث في هذه طريقة وحدات الدراسة تدريجًا، مبتدئًا بعناقيد، ثم ينتقل إلى مجموعات أصغر من ضمنها، وذلك قبل الوصول إلى وحدات العينة النهائية. تُستخدم هذه الطريقة في اختيار العينات بشكل رئيس عندما يكون إطار العينة غير ملائم أو غير متوافر. كما يُستخدم هذا النوع عندما تكون الطرائق الأخرى باهظة التكاليف، وعندما تكون العناقيد عاملًا مهمًا في البحث. وتتضمن هذه العناقيد المدارس والصفوف وفرق كرة القدم والمستشفيات والشركات الصغيرة ومجموعات متكاملة أخرى ذات هوية مشتركة. والآن إليك المثال الآتي:

مثال ز: سندرس اتجاهات معلمي المدارس التقنية حيال تقرير الحكومة الأخير في شأن المساعدات لهذه المؤسسات التربوية. وستجرى الدراسة بطريقة مسحية، وستكون العينة عنقودية كي نتيح للمدارس التي تأثرت بأن تشارك في العينة. سنتبع الخطوات الآتية في جمع العينة:

1. توفير قائمة بجميع المدارس التقنية (إطار اختيار العينة)، ويمكن أن نحصل على هذه القائمة من السلطات المختصة إذا كانت متوافرة (ويمكن الحصول عليها).
2. تحديد عدد المدارس المطلوب باستخدام معايير ملائمة.
3. اختيار المدارس من إطار العينة بإحدى طرائق اختيار العينات التي ذُكرت سابقًا (القرعة والعينة الجزئية...).
4. تحديد عدد المعلمين المطلوبين للدراسة، ثم يقسم العدد على عدد المدارس للتأكد من اختيار معلمين من كل مدرسة (بشكل متلائم أو غير متلائم).
5. اختيار أفراد العينة من كل مدرسة وفقًا لإحدى طرائق اختيار العينة السابقة الذكر.
6. تشكّل أعداد المعلمين الذين تم اختيارهم من كل مدرسة العينة النهائية للدراسة.

من الجدير بالذكر أن طريقة العينة العنقودية طريقة مستقلة لكنها تشبه العينة الطبقية وحتى العينة متعددة المراحل. يستخدم بعض الباحثين هذه الطريقة لاختيار أفراد من مناطق واسعة، وفي الحالتين، يبقى لهذه الطريقة هويتها الخاصة في التعامل مع العناقيد، وهي تطبَّق بانتظام عندما تتطلب الأوضاع ذلك.

6.1.3 اختيار العينة متعددة الأطوار

تُعد هذه الطريقة مشابهة تمامًا للعينة متعددة المراحل، لكنها تختلف عنها من حيث أن كل عينة تدرس على نحوٍ وافٍ قبل اختيار العينة التالية. وهذه إحدى ميزات هذه الطريقة لأن المعلومات التي تُجمع في كل مرحلة تساعد الباحث في تركيز الاختيار بفاعلية أكثر وبفائدة أكبر في المراحل اللاحقة.

مثال ح: هناك مرشد اجتماعي مهتم بتقسيم العمل بين الثنائيات المثليين، وعليه أن يتبع طريقة العينة متعددة الأطوار. تُتَّبع الخطوات الآتية لجمع العينة:

1. توفير إطار لاختيار العينة واختيار 500 فرد عشوائيًا.
2. يُقابل هؤلاء الأفراد ويُسألون في شأن طبيعة العلاقة بينهم وأعمارهم ومعلومات ديموغرافية كافية أخرى.
3. يُختار من بين هؤلاء عشوائيًا 150 من الذكور الشواذ و150 من السحاقيات، حيث يكون لكل واحد منهم شريك دائم وطفل واحد في الأقل يعيش معهما.
4. ستكون هذه العينة الطبقية آخر عينة لدراسة تقسيم العمل بين الأزواج المثليين.

لعلك لاحظت أن الباحثين يستخدمون العينات المتتالية بشكل فاعل وبنّاء لتسهيل عملية البحث الذي لا يكون ممكنًا بغير هذه الطريقة، ولتحقيق ما لا تستطيع دراسات العينة المنفردة فعله.

7.1.3 اختيار العينة المساحية

العينة المساحية نوع من طرائق جمع البيانات تطبَّق فيها طريقة العينة ذات المراحل المتعددة في منطقة جغرافية. وبالتحديد تُختار العينات كما يلي:

الخطوة 1 تأطير المنطقة.

الخطوة 2 تقسيمها إلى أجزاء كبيرة.

الخطوة 3 اختيار عدد من الأجزاء التمثيلية اختيارًا عشوائيًا.

الخطوة 4 تقسيم الأجزاء المختارة إلى وحدات صغيرة بما يكفي لدراستها مباشرة.

الخطوة 5 اختيار عينة ممثلة للوحدات من كل جزء.

ستكون هذه هي عينة الدراسة والمثال الآتي يوضح هذه الطريقة:

تُستخدم هذه الطريقة لاختيار العينات عندما تتوافر للباحث أسباب تجعله يعتقد أن أي طريقة أخرى لن تسمح له بتمثيل جميع المناطق الجغرافية في الدراسة.

مثال ط: صحافي يهتم بآراء الناس من سكان الأرياف حول قانون القتل الرحيم. يفترض أن تكون العينة جغرافية، وفي هذه الطريقة تُجرى عملية الاختيار كما يلي:

1. توفير إطار لاختيار العينة من البلدات الريفية، واختيار عينة من خمس بلدات.
2. تقسم البلدات المختارة إلى ضواحٍ، ثم تُختار أربع ضواحٍ من كل بلدة عشوائيًا فيصبح لدينا عشرون ضاحية للدراسة.
3. تسجَّل أسماء الشوارع في كل ضاحية، ثم تُختار خمسة شوارع من كل ضاحية فتصبح العينة 100 شارع للدراسة.
4. تسجَّل أسماء العائلات في كل شارع ثم تُختار عشر أسر من كل شارع للدراسة فتصبح العينة مكونة من 1000 أسرة أو وحدة سكنية.
5. تتكون العينة من أرباب جميع الأسر التي تم اختيارها في النهاية.

8.1.3 اختيار العينة المكانية

تُستخدم هذه العينة عندما تبحث الدراسة في مجموعة من الناس يتجمعون موقتًا في مكان معين، حيث يجب أن تُجمع البيانات قبل أن يتفرق هؤلاء الناس. ومن الأمثلة على هذه الطريقة دراسة وجهات نظر مجموعة من الناس يتظاهرون في ساحة المدينة ضد السياسات الضريبية. وبسبب طبيعة مجتمع الدراسة، لا يكون هناك إطار لاختيار العينة ولا وقت كافٍ لاستخدام طريقة أخرى. وعلاوة على ذلك، يجب أن يكون جمع البيانات ممثلًا نسبيًا لمجتمع الدراسة، وعشوائيًا وبطريقة منظمة قبل أن يتفرق أفراد المجتمع. والمثال التالي يوضح كيفية اختيار هذا النوع من العينات.

مثال ي: احتل الطلاب في اعتصام لهم في الجامعة المحلية مبنى الإدارة ورفضوا الانصراف، فقرر قسم الاجتماع فورًا دراسة بعض الجوانب المتعلقة بهذه المظاهرة بما في ذلك أسباب المشاركة، ومنهم الطلاب المشاركون. ويتم اختيار العينة كما يلي:

1. يقف عشرة مقابلين أمام الغرفة التي تجمّع فيها الطلاب.
2. يُطلب من كل مقابل أن يُجري مقابلة مع أول شخص يقابله ويطرح أسئلة الدراسة عليه.
3. ثم يتقدم المقابلون خمس خطوات إلى الأمام ويخاطبون أول شخص يواجهونه.
4. يتقدم المقابلون إلى الأمام بالطريقة السابقة نفسها حتى يصلوا إلى نهاية الغرفة.
5. تتكون عينة الدراسة من الطلاب الذين تمت مقابلتهم.

من الواضح أنه يمكن تغيير بعض التفصيلات في الإجراء لتلبية أوضاع الموقف الفعلية. مثلًا، إذا كان الجمهور كبيرًا، على المقابل أن يمشي مسافة أبعد، عشر خطوات. وقد يكون ضروريًا السعي خلف أناس معينين؛ فمثلًا قد يكون الأول ذكرًا والثاني أنثى وهكذا، أو قد نُدخل في العينة أنواعًا مختلفة من الأفراد (شاب، كبير في السن، مواطن، غير مواطن... وهكذا).

2.3 الاختيار غير الاحتمالي

كما يشير اسم هذه الطريقة، فإن إجراءات العينة غير الاحتمالية لا تستخدم قواعد نظرية الاحتمالات ولا تضمن تمثيل العينة، وهي تُستخدم غالبًا في البحث الاستطلاعي والتحليل النوعي. ويمكن تحويل بعض هذه الأساليب، بعد قليل من التعديلات، إلى طرائق احتمالية. ومن أمثلة الطرائق غير الاحتمالية: العينة العرضية، والعينة الهادفة، وعينة الحصص، وطريقة كرة الثلج. وسنوضح هذه الأنواع في ما يلي.

1.2.3 اختيار العينة العرضية (عينة الصدفة)

لا تقتضي هذه الطريقة أي إجراءات منتظمة لاختيار المبحوثين، بل تتكون وحدات العينة من أولئك الأفراد الذين قابلوا الباحث بالصدفة. مثلًا، قد يقف الباحث على زاوية من الشارع أمام مدرسة أو كنيسة أو على بوابة الخروج الرئيسة لأحد الأسواق الكبيرة ليطلب من عدد من المارة المشاركة في الدراسة. وبذلك يتمّ اختيارهم بالصدفة، حيث صادف وجودهم هناك في ذلك الوقت، ولهذا

سميت العينة عينة الصدفة (هناك أسماء أخرى لهذه الطريقة مثل العينة المريحة، العينة العشوائية، عينة التجميع وعينة التصيُّد). وفي ما يلي مثال على هذه الطريقة.

مثال ك: ترغب غرفة التجارة المحلية في بلدة ريفية في دراسة الأسباب التي تدفع الناس إلى التسوق في أكبر أربع بقالات في البلدة. تُختار العينة بطريقة العينة العرضية، وتُجرى الدراسة كما يلي:

1. يقف شخصان أمام بوابة كل بقالة ليقابل كل منهم 100 شخص من المارة الذين يملأون عرباتهم بالبضائع، ويسألونهم الأسئلة الملائمة.
2. تُعاد النماذج المعبأة إلى الباحث في اليوم نفسه للتقويم.

في هذا السياق، لا يولي الباحث التمثيل أو الموضوعية أو الصدق أو أي عمليات بحث مماثلة اهتمامه، إنما يسعى إلى الحصول على معلومات تكشف عن جوانب معينة من نمط الحياة موضوع البحث، ويعطي في حالات معينة معلومات عن حالات أنموذجية.

2.2.3 اختيار العينة الهادفة

يختار الباحث في هذه الطريقة عن قصد أفرادًا، يعتقد أنهم ملائمون للبحث. ويتم اختيار المبحوثين وفقًا لرأي الباحث، لذلك تسمى هذه الطريقة أحيانًا الطريقة الشخصية. وليست هناك إجراءات محددة للاختيار الفعلي لأفراد العينة. في ما يلي مثال يوضح ذلك:

مثال ل: يرغب باحث في دراسة مشكلات المهاجرين في مجتمع معين. وكي يستطلع هذا الموضوع قرر أن يقابل شخصيات مهمة مثل الرهبان وسكرتيرات الأندية وشخصيات بارزة من المجموعات الإثنية. يعتقد الباحث أن هؤلاء الناس يستطيعون تقديم معلومات مفيدة وكافية لتقديم صورة عن مشكلات المهاجرين.

في مثل هذه الحالات، يكون المعيار المهم في الاختيار هو معرفة المبحوثين وخبرتهم، وهذا تاليًا يحدد مدى ملاءمتهم الدراسة.

3.2.3 اختيار عينة الحصص

عينة الحصص إجراء يحدد فيه الباحث حصصًا للمبحوثين الذين سيُختارون من مجموعات محددة في المجتمع بعد تعريف أسس الاختيار (الجندر، الحالة الاجتماعية، الإثنية، التعليم...) ويحدد حجمها (60 من آباء أطفال صغار السن،

35 شرطية، و66 معلمًا... وهكذا)، ويُترك خيار اختيار المبحوثين عادة للشخص المقابل.

بشكل أكثر تحديدًا، يدرس الباحث جميع الأبعاد المهمة للمجتمع ويتأكد من أن كل بُعد سيكون ممثلًا في العينة. وعادة ما يسمى هذا الاختيار البُعدي للعينة، ويكون مفيدًا أكثر عندما تكون العينة صغيرة. ففي مثل هذه الحالات، يضمن هذا الإجراء أن حالة واحدة في الأقل من كل بُعد من أبعاد المجتمع ستكون ضمن العينة.

تُعد عينة الحصص شائعة الاستعمال في العلوم الاجتماعية؛ ذلك أنها أقل تكلفة من الطرائق الأخرى، ولا تحتاج إلى أطر لاختيار العينة، وهي فاعلة نسبيًا، كما يمكن إكمالها في فترة قصيرة من الزمن. غير أنها محدودة من حيث تمثيلها وضبط اختيار العينة ومتطلبات العمل الميداني التي لا تحظى باهتمام في مثل هذه الدراسات. ومن الجدير بالذكر هنا أن اختيار المبحوثين يمكن تحديده بدقة أكبر باستخدام قواعد الاحتمالات، وبذلك تتطلب إطارات وطرائق محددة للاختيار مع الاحتفاظ بعامل الحصص. وهذا قد يحول هذا الإجراء إلى اختيار احتمالي وهو أمر ممكن.

مثال م: ترغب الهيئة الصحية في معرفة الحالة الصحية لعمال صناعة الفحم في مختلف أنحاء البلاد. وبدلًا من وضع أطر لاختيار العينة في كل صناعة ثم اختيار المبحوثين، قرر الباحث أن يستخدم طريقة عينة الحصص، التي تنفذ كما يلي:

1. يُرسل الأشخاص المقابِلون إلى كل مؤسسة كبرى لصناعة الفحم.
2. يُطلب من المقابلين أن يدرسوا في كلّ وحدة: عشرة عمال دون سن العشرين وعشرة عمال في الفئة العمرية 21-30، وعشرة عمال في الفئة العمرية 31-40، وعشرة من سن 41-50، وعشرة ما بين 51-60، وعشرة فوق سن الستين.
3. يُطلب من المقابلين أن يأخذوا في الاعتبار طول فترة الخدمة لمن يختارون من أفراد. ويجب أن تشتمل كل حصة من الحصص المحددة أعلاه على النسبة نفسها من العاملين في مصانعهم لأكثر من سنتين ولأقل من ذلك.
4. الأفراد الذين شاركوا في الدراسة هم العينة.

4.2.3 اختيار عينة كرة الثلج

يختار الباحث في هذه الطريقة عددًا قليلًا من الأفراد باستخدام عينة الصدفة (العرضية) أو أي طريقة أخرى، ويطلب منهم أن يوصوا بأسماء أشخاص آخرين

ممن تنطبق عليهم معايير البحث ويرغبون في المشاركة في المشروع. وتستمر العملية هكذا إلى أن نصل إلى العدد المطلوب؛ عندما لا نستطيع الحصول على معلومات جديدة وذات قيمة من الأفراد الجدد، أو عندما لا يبقى لدينا أفراد جدد.

مثال ن: أراد مؤلف هذا الكتاب[4] أن يدرس أسلوب حياة الأزواج المثليين وأراد أن يبحث قيام هذه العلاقات وبنيتها وسيرورتها واستقرارها ونوعية الحياة فيها.
في ضوء عدم توافر سجلات للأزواج المثليين توفر إطارًا لجمع العينة، لجأ الباحث إلى استخدام عينة كرة الثلج. وكان تصميم هذه الطريقة كما يلي:
1. تحديد عدد من الأزواج المثليين بطريقة الصدفة في أستراليا ونيوزيلندا والنمسا وألمانيا، حيث تم تحديد أماكن إقامتهم ومقابلتهم.
2. الطلب من هؤلاء الأشخاص تسمية أشخاص آخرين مثلهم.
3. وبعد مقابلة الأزواج الجدد، طلب الباحث منهم ما طلبه من سابقيهم وتاليًا حصل على أفراد جدد.
4. استمرت هذه العملية إلى أن حصل الباحث على العينة التي يريدها كاملة.

تُستخدم هذه الطريقة عندما لا يوجد إطار لجمع العينة يمكّن الباحث من استخدام عينة احتمالية، أو عندما يكون المجتمع المستهدف غير معروف، أو عندما يكون من الصعب طرح هذا الموضوع بطريقة أخرى مع الأفراد. وفي كثير من الحالات تكون طريقة الكرة الثلجية هي الوحيدة لتأمين عينة الدراسة.

5.2.3 اختيار العينة النظرية

لا تُعد هذه الطريقة طريقة لجمع العينات بالمعنى الذي ذكرناه سابقًا. وكما ذكر مؤسّساها[5]، فإنّ هذه الطريقة «عملية تجمع البيانات لتوليد نظرية»، ويكون التركيز هنا على جمع البيانات بدلًا من اختيار المبحوثين.

بعبارات بسيطة، لا يختار الباحث وحدات العينة قبل الشروع في الدراسة، فهذه الوحدات تحددها المعرفة التي تتولد في أثناء الدراسة[6]. يختار الباحث أول مبحوث، ويجمع معلومات ومعرفة ملائمة حول الموضوع ثم يقرر في ضوء ذلك الشخص الذي سيقابله. يحدد الاتجاه النظري الذي يتطور في أثناء الدراسة

---

(4) S. Sarantakos, Same-Sex Couples (Sydney: Harvard Press, 2000).

(5) B. G. Glaser and A. L. Strauss, *The Discovery of Grounded Theory: Strategies for Qualitative Research* (Chicago: Aldine, 1967), p. 45.

(6) R. G. Burgess, *In the Field: An Introduction to Field Research* (London: Allen & Unwin, 1984); A. L. Strauss, *Grundlagen qualitativer Sozialforschung: Datenanalyse und Theoriebildung in der empirischen Sozialforschung* (Munich: Wilhelm Fink Verlag, 1991).

الشخص الذي سيُقابَل في ما بعد، وهذا قرار لا يمكن أن يُتخذ في بداية الدراسة. تتداخل العينة النظرية مع جمع البيانات وهي تمكن الباحث من إجراء مقارنات من حيث الزمان والمكان ليكتشف التباينات في المفاهيم ويتمكن من تصنيف الفئات وحجمها من حيث خصائصها وأبعادها[7].

في العينة النظرية، لا تستمر الدراسة حتى يتم الاتصال بجميع المبحوثين، بل حتى تشير عملية الدراسة إلى الوصول إلى درجة الاكتفاء، أي عندما لا تضيف البيانات الجديدة أي معلومات جديدة. وعندما «تكتمل الفئات جيدًا من حيث الخصائص والأبعاد»، وعندما «تتحدد العلاقات بين هذه الفئات ونتحقق منها»[8].

لعلك لاحظت أن هذه الطريقة تشبه طريقة كرة الثلج، إلا أن المؤشرات إلى أفراد جدد لا يقدمها مباشرة الفرد الذي تمت مقابلته سلفًا، بل توفرها المعلومات الجديدة ومتطلبات تطوير النظرية. وسنفهم هذه العملية بشكل أفضل عندما نصل لاحقًا إلى تحليل البيانات في النظرية المؤسَّسة.

مثال ص: لنفترض أن باحثين يرغبون في جمع بعض الأفكار المتينة حول استراتيجيات التكيف التي يستخدمها عدد من الناس ممن فقدوا وظائفهم نتيجة لإغلاق مصنع في ضواحي المدينة، وأن الباحثين يرغبون أيضًا في معرفة كيفية إدراك هؤلاء الأفراد لأدوارهم الجديدة وحياتهم في أسرهم وفي المجتمع. فكيف نختار عينة من هؤلاء العاطلين من العمل؟ إليكم في ما يلي وصفًا أوليًا تمامًا للإجراءات المهمة في مثل هذه الدراسة:

1. مقابلة أحد الأشخاص الذين فقدوا أعمالهم بسبب إغلاق المصنع ومناقشة الأمر معه بحسب ما هو مخطّط.

2. تحليل البيانات التي جُمِعَت، والبحث، في أثناء العمل على القضية الرئيسة، عن دلائل تشير إلى جوانب جديدة من المسألة وإلى معلومات إضافية، وتحديد من يستطيع تقديم هذه المعلومات.

3. مقابلة هذا الشخص والاستمرار في مقابلته واستطلاع الجوانب الجديدة من القضية والبحث عن معلومات جديدة قد تساعد في تطوير نظرية وفي تحديد أماكن توافر هذه المعلومات (أيُّ الأفراد الذين يستطيعون توفير هذه البيانات).

4. تستمر عملية الحصول على معلومات وأفراد جدد إلى أن يصل الباحث إلى درجة الاكتفاء (أي إلى أن يعجز عن الحصول على معلومات جديدة).

---

(7) A. L. Strauss and J. M. Corbin, *Basics of Qualitative Research: Techniques and Procedures for Developing Grounded Theory* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1998), p. 201.

(8) Ibid., p. 212.

الإطار 5.7

طبيعة اختيار العينة النظرية

إن اختيار العينة النظرية:

- يقتضي عملية مستمرة، فلا يتم اختيار العينة وتحديدها في البداية وقبل الشروع بالبحث، لكنها تُختار في عملية مستمرة في خلال الدراسة.
- يتضمن «أماكن وأشخاص وحوادث» ويأخذ في الاعتبار أن الناس يفكرون ويتصرفون بطرائق مختلفة، وفقًا لعوامل عدة تساعد الباحث في اختبار المفاهيم والفئات والنظرية التي تبرز والتحقق منها ومقارنتها.
- توجّهه النظرية التي تظهر، ويكون اختيار العينة النظري منظمًا ذاتيًا، بمعنى أنه يوجه عملية جمع البيانات وتحليلها نحو تطوير نظرية تعمل بدورها على توجيه طبيعة اختيار العينة ومحتواها.
- يهدف إلى تطوير نظرية وإثباتها، ويؤكد ضرورة اختبار النظرية الجديدة حتى يثبت صدقها وجودتها العالية.
- ينتهي الاختيار عندما يصل الباحث إلى درجة الاكتفاء من حيث المعلومات؛ فالذي ينهي اختيار العينة ليس تحديد المبحوثين، بل إكمال البحث[9].

رابعًا: طرائق اختيار العينات في البحث النوعي

كثيرًا ما يقال إنَّ البحث النوعي لا يستخدم إجراءات اختيار العينة، وهذا ادعاء غير صحيح. ومن الأفضل أن نقول إنّه يستخدم طرائق لاختيار العينات تنسجم وفلسفة هذا النوع من البحوث، كما أنه أقل انتظامًا وأقل دقة وأقل اهتمامًا بالناحية الكمية مما هو عليه الحال في البحث الكمي.

في العادة، يستعمل البحث النوعي إجراءات غير احتمالية لاختيار العينات، كالعينة العرضية والعينة الهادفة[10]، وكذلك طريقة كرة الثلج والعينة النظرية. يُظهر البحث النوعي شيئًا من التحيز لطبيعة الإطار الأساسي للبحث النوعي الذي ينظر إليه كطريقة بحثية لا تختلف كثيرًا عن عملية الاستقصاء، حيث يفهم الشخص

---

(9) Benini, *Construction of Knowledge.*

(10) A. J. Kuzel, «Sampling in Qualitative Inquiry,» in: B. F. Crabtree and W. L. Miller, eds., *Doing Qualitative Research* (Newbury Park, Calif.: Sage, 1992).

ظاهرة اجتماعية ما بشكل تدريجي عبر مقارنتها وتكرارها وتبويبها وتصنيف وحدات الدراسة التي يجريها الباحث[11]. ويأتي اختيار العينة هنا بعد أن تصبح العوامل والأوضاع واضحة ذات اتجاه. إن تحديد طرائق اختيار العينة قبل البدء بالدراسة أمر غير ملائم وغير مفيد.

مع ذلك، ليس هناك اتفاق بين الباحثين النوعيين في شأن قواعد اختيار معينة صارمة للعينات في البحث النوعي. وتتضمن إجراءات اختيار العينات في البحث النوعي الطرائق المذكورة سابقًا (العرضية والهادفة وكرة الثلج وغيرها)، أو مزيج من إجراءات اختيار العينات في البحث الكمي. وفي جميع الحالات، تظل إجراءات اختيار العينات مرتبطة بالنظرية؛ فهي إما أن ترتكز على النظرية[12]، إذ تتم قبل جمع البيانات، أو في أثناء جمعها تدريجيًا. وتسمى الطريقة الأخيرة **الطريقة النظرية** في اختيار أفراد العينة، وهي مرتبطة بالنظرية المؤسَّسة.

بغض النظر عن نمط اختيار العينة، لا بد من أخذ عدد من معايير الاختبار بالاعتبار قبل الشروع بالدراسة. ومع أن اختيار العينة في البحث النوعي من وظائف عملية البحث نفسها التي تُحدد في أثناء تقدّم البحث وتعتمد على مخرجات الدراسة، ينبغي للباحثين منذ البداية أن يتخذوا قرارات في شأن عدد من القضايا، مثل أفراد العينة الذين سيُدرسون، والسياق الذي سيُجرى فيه البحث والحوادث والعمليات التي يجب أن تؤخذ في الحسبان في عملية البحث، إضافةً إلى الوقت الذي سيُجرى فيه البحث. وعلى أي حال، ترتبط عملية اختيار العينات في البحث النوعي بعدد من القضايا والخيارات التي سنذكر بعضها في ما يلي:

- **نوع الأفراد**: نوع الأفراد الذين سيشتركون في الدراسة، خصوصًا من ستبدأ الدراسة بهم.
- **الوقت**: قد تُجرى الدراسة في أيام العمل أو عطلة نهاية الأسبوع أو في خلال العطل المدرسية، في الصيف أو في الشتاء، بعد الظهر وفي المساء أو في أي وقت آخر.

---

(11) M. B. Miles and A. M. Huberman, *Qualitative Data Analysis: An Expanded Sourcebook* (Beverley Hills, Calif.: Sage, 1994).

(12) Ibid., p. 27.

▪ السياق: الأماكن التي سيُجرى فيها البحث (المنزل، النادي، مكان العمل أو بيت صديق).

باختصار، تتميز طريقة اختيار العينات في البحث النوعي بعدد من الخصائص كما يظهر في الإطار 7.6[13].

الإطار 6.7

معايير اختيار العينات النوعية
إن اختيار العينة النوعية:
▪ لا يستهدف عددًا كبيرًا من الأفراد بل حالات أنموذجية.
▪ لا يستهدف عينات ثابتة بل عينات مرنة من حيث الحجم والنوع والأفراد.
▪ غير موجه نحو الاختيار الإحصائي أو العشوائي للعينة، بل نحو الاختيار الهادف للعينة.
▪ لا يستهدف الاختيار الميكانيكي بل الاختيار النظري.
▪ موجَّه نحو سياقات شاملة أقل مما في البحث الكمي.
▪ لا يستهدف اختيار عينة قبل بدء الدراسة بل في أثناء الدراسة (في الأغلب).
▪ لا يستهدف حجمًا محددًا للعينة بل يستهدف عينة يُعدَّل عدد أفرادها في أثناء الدراسة.
▪ لا يستهدف التمثيل في العينة بل الملاءمة.

كما ذكرنا سابقًا، اتسع نطاق البحث النوعي بشكل ملحوظ في خلال السنوات العشر الماضية، ما فتح آفاقًا أرحب أمام الباحثين. ومن المفيد أن نلاحظ أن هناك اتجاهًا يتطور بشكل واضح في دوائر معينة من البحث النوعي، حيث أصبح اختيار العينات يشتمل على طرائق وإجراءات عدة، بما فيها أدوات مثل التحديد من دون الاعتماد على بيانات مسبقة، الجمع الكامل، العينة النظرية، اختيار العينة المتطرفة، اختيار العينة الأنموذجية، اختيار العينة المتباين، العينة المكثفة أو الشديدة، العينة الحاسمة، العينة الحساسة، العينة المريحة، الاختيار

(13) H. Berger, H. F. Wolf and E. Ullmann, eds., *Handbuch der Sozialistischen Forschung: Methodologie, Methoden, Technicken* (Berlin: Akademie Verlag, 1989); S. Lamnek, *Qualitative Sozialforschung* (Munich: Psychologie Verlags Union, 1988), Band 1: *Methodologie*, Band 2: *Methodenund Techniken*; Miles and Huberman, *Qualitative Data Analysis*.

الأولي والاختيار الثانوي[14]. ومن الواضح أن اختيار العينة يتمتع بالأهمية نفسها في أنموذجي البحث الكمي والنوعي، ولا يكمن الخلاف إلا في البنية والهدف.

خامسًا: اختيار العينة باستخدام الإنترنت

أثر توافر الإنترنت وسهولة الوصول إليه في كيفية إجراء البحوث الاجتماعية من جوانب عدة. ويظهر ذلك جليًا في عملية اختيار العينة التي بدأت بتعديل أساليبها باتجاه طرائق جديدة لمقاربة أفراد المجتمع؛ إذ أصبح اختيار العينة بالإنترنت جزءًا من أدوات البحث الضرورية للباحثين، وازداد عدد الحالات التي يُستخدم فيها الإنترنت في جميع العينات بشكل ملحوظ.

بعبارة أبسط، يُعد اختيار العينة بالإنترنت إجراءً يقوم به الإنترنت جزئيًا أو كليًا. ويقتضي ذلك إجراءات تمكّن الباحث من إعطاء الاستبيانات للمبحوثين مباشرة بتحويلها إليهم من طريق الإنترنت أو إخبارهم بتوافر الاستبيان على الإنترنت وطلب المشاركة منهم من طريق البريد الإلكتروني أو صفحات المواقع.

1 - **البريد الإلكتروني**: يستطيع الباحثون الذين لديهم إمكان الوصول إلى قوائم البريد الإلكتروني التصرف بإحدى طريقتين؛ قد يرسلون رسالة إلى العنوان يطلبون من المرسل إليه التطوع للمشاركة في الدراسة المسحية، ويُجرى ذلك كجزء من البريد الإلكتروني المتطفّل، فيما تتمثل الطريقة الثانية بإرسال الاستبيان باعتباره مرفقًا يرسل إلى جميع العناوين في القائمة الإلكترونية تدعوهم للمشاركة في الدراسة. وفي كثير من الحالات ترتبط المشاركة بعدد من المكافآت.

2 - **صفحات الإنترنت (URL)**: يُستخدم الإجراء نفسه عندما نحاول الحصول على المبحوثين في صفحة الإنترنت، حيث يُطلب من القراء تعبئة الاستبيان، فإذا أبدوا موافقتهم وُجِّهوا إلى الاستبيان. وسيصادف مستخدمو الإنترنت رسالة الباحث أو إعلان وكالة الإعلانات أو كليهما، فيستجيبون لتلك الرسالة وفقًا لاهتماماتهم.

---

(14) U. Flick, *An Introduction to Qualitative Research* (London: Sage, 1998).

هذا يدل على أن اختيار العينة عن طريق الإنترنت لا يختلف كثيرًا عن الإعلان عن دراسة في وسائل الإعلام أو الاتصال بالناس هاتفيًا. وكما هو الحال في الطريقة الأخيرة، سيواجه اختيار العينة عن طريق الإنترنت مشكلة تمثيل العينة، ذلك أن عدد مستخدمي الإنترنت محدود ويكون أقل بكثير بين كبار السن. وسعى الباحثون إلى التغلب على جانب الضعف هذا بتوسيع نطاق اختيار المبحوثين، من طريق تثليث العينة على سبيل المثال، لكن المشكلة ظلت موجودة. إن الاستخدام الكثيف للبريد غير المرغوب أو المتطفّل يثير غضب مستخدمي الإنترنت بسبب التدخل في شؤونهم، ما يجعل الاستجابة لمثل هذه الدعوات غير المرغوب فيها أمرًا لا يسر. وكما ذكرنا سابقًا، فإن تقديم جوائز إلى المشاركين قد يكون هو الحل.

سادسًا: حجم العينة

يعطي الباحثون الاجتماعيون من جميع المدارس الفكرية أهمية خاصة لحجم العينة الملائم[15]، لكن تركيز التقديرات ذات الصلة يختلف اختلافًا ملحوظًا؛ فبعضها يركز على كمية البحث وبعضها يهتم بالنوعية وبعضها يهتم بالجانبين. ومن القواعد المفيدة في هذا السياق: يجب أن تكون العينة «كبيرة بالقدر المطلوب وصغيرة قدر الإمكان». ويمكن الوصول إلى هذا العدد الحاسم في بعض الحالات من خلال التقديرات المنطقية، وبوساطة الحسابات الإحصائية في حالات أخرى، كما سنرى في ما يلي:

1.6 التقديرات غير الإحصائية

يرتبط حجم العينة مباشرة بعاملين رئيسين: التوجه النظري الذي يوجه البحث، وطبيعة المجتمع المستهدف. وهذان هما المحددان الرئيسان لحجم العينة، من ناحية منطقية في الأقل. ويلقى هذان العاملان اهتمامًا كبيرًا في البحوث الكمية عند الحديث عن حجم العينة. أما في البحث النوعي فإن الإطار النظري

---

(15) H. C. Krämer and S. Thieman, *How Many Subjects? Statistical Power Analysis in Research* (London: Sage, 1987).

أو الأنموذج الإرشادي هو الذي يوجه العملية؛ لكن طبيعة البيانات التي تُجْمَع تحدد حجم العينة أيضًا، وهذا أمر لا يمكن التنبؤ به. وستتوقف هذه العملية عندما يصل الباحث إلى درجة الاكتفاء الذي ينبع من البيانات وليس من التفكير المنطقي أو حسابات أخرى. وعلى كل حال، هناك باحثون نوعيون ممن يتبعون الأنموذج الإرشادي الكمي ويقدّرون حجم العينة في دراساتهم مسبقًا. وتاليًا فالمسألة ليست بتلك السهولة!

مهما يكن الأمر، فإن الباحثين الكميين وبعض الباحثين النوعيين يتّخذون قرارًا في شأن حجم العينة في بحوثهم قبل بدء الدراسة. ترتبط العوامل المؤثرة في هذه المسألة بنوع المجتمع، ونوع المنهجية المستخدمة، ومدى توافر الوقت والمصادر، وهدف البحث، ونوع الأدوات المستخدمة، ودرجة الدقة المطلوبة، وقدرة فريق البحث. ومن الجدير بالملاحظة أن العينات الكبيرة لا تضمن دائمًا درجة أعلى من الدقة والإتقان والصدق والنجاح بشكل عام؛ إذ تعتمد جودة النتائج على عوامل عدة، ليس حجم العينة إلا واحدًا منها.

الإطار 7.7

بعض محددات حجم العينة

يعتمد حجم العينة على:

- **المنهجية التي توجّه البحث**: يتطلب البحث الكمي عينات أكبر من عينات البحث النوعي.
- **طبيعة موضوع الدراسة**: يتطلب بعض موضوعات البحث عينات كبيرة وبعضها الآخر يتطلب عينات صغيرة.
- **الوقت والمصادر المتاحة**.
- **تجانس المجتمع المستهدف**: كلما زاد تجانس المجتمع المستهدف صغر حجم العينة والعكس صحيح.
- **الدقة**: كلما زادت درجة الدقة المطلوبة كبر حجم العينة.
- **طبيعة البيانات المطلوبة**: إذا كانت البيانات المطلوبة كمية فسنحتاج إلى عينة كبيرة، أما إذا كانت البيانات المطلوبة نوعية فتكفي عندئذٍ عينة صغيرة.
- **هدف الدراسة**: إذا كان هدف الدراسة التوصل إلى تعميمات استقرائية فسنحتاج إلى عينة كبيرة.
- **كثافة الدراسة**: كلما زادت كثافة طريقة جمع البيانات وعمقها، صغر حجم العينة.
- **طبيعة الدراسة**: تتطلب المسوح عينات كبيرة، أما دراسات الحالة فلا تتطلب ذلك.
- **معدل الاستجابة**: كلما انخفض معدل الاستجابة المتوقع ازداد حجم العينة.

2.6 الحسابات الإحصائية

يلجأ كثير من الباحثين الكميين إلى طرائق إحصائية لتحديد الحجم الصحيح للعينة. ويرتكز هذا على افتراض أنه إذا توافرت لدينا بيانات معينة، فسنستطيع أن نحسب حجم العينة إحصائيًا وبذلك نقلل من الخطأ في اختيار العينة إلى الحد الأدنى أو إلى مستوى مقبول أو متوقع. يستخدم الإحصائيون والباحثون الاجتماعيون طرائق عدة لحساب حجم العينة. بعض هذه الطرائق غاية في الصعوبة والتعقيد، لذلك فلن نتطرق إليه في هذا الكتاب.

بشكل عام، يشير منطق كثير من الطرائق الإحصائية إلى علاقة بين الخطأ في اختيار العينة والخطأ المعياري: إذا انخفض الخطأ المعياري انخفض أيضًا الخطأ في اختيار العينة. ويعتمد الخطأ المعياري على حجم العينة: كلما زاد حجم العينة انخفض الخطأ المعياري. لذلك يمكن أن نحصل على خطأ معياري مقبول بتغيير حجم العينة. وهذه الطريقة تتحكم بحجم العينة بزيادة حجمها أو تقليله إلى أن نحصل على خطأ معياري مقبول، وعندئذٍ يكون حجم العينة هو الأمثل.

يتلاءم الخطأ المعياري عكسًا مع الجذر التربيعي للعينة. فإذا أردنا مثلًا أن نحدد حجم العينة التي ستخفض الأخطاء فيها، نبدأ باختيار حجم عشوائي للعينة. ثم نحسب الخطأ المعياري ونزيد حجم العينة إلى أن نصل إلى الخطأ المعياري المقبول. وهذا الإجراء يفيد في حالة العينة الصغيرة، حيث تؤدي الزيادة في حجم العينة إلى زيادة في الدقة (انخفاض نسبة الخطأ في اختيار العينة)، لكن الأمر ليس كذلك عندما تكون العينة كبيرة. وفوق نقطة معينة تكون الزيادة في الحجم المطلوب لتحقيق انخفاض ملحوظ في الخطأ كبيرة جدًا وتاليًا تكون مكلفة، وهذا ما يجعل هذه الزيادة غير جديرة بالاهتمام.

بشكل عام، يعتمد اختيار الطريقة على كون التقدير موجه إلى المتوسط أو التلاؤم. ففي الحالة الأولى، يهتم الباحثون بتأكيد الاتجاهات والمتوسطات في ميدان الدراسة. فمثلًا، ما هو حجم عينة دراستي إذا أردت أن أبحث في متوسط المبلغ المالي الذي تنفقه الطالبات على شرب الكحول في السنة؟ وفي الحالة الثانية، يسعى الباحثون إلى تقدير نسبة الأفراد الذين يتصرفون بطريقة ما. فمثلًا،

ما هي نسبة الطالبات اللواتي يؤيدن تكافؤ الفرص في هذا البلد؟ هناك أساليب إحصائية لتقدير حجم العينة في الحالتين.

3.6 تقدير حجم العينة بالجداول

هناك طريقة أسهل لتقدير حجم العينة الصحيح من دون استخدام معادلات وحسابات، ويتم ذلك من طريق الجداول. فالباحث الذي يريد أن يقدر حجم العينة، ليس عليه إلا أن ينظر إلى الجدول، أخذًا في الاعتبار العوامل الضرورية مثل E, Z, q, p، ويحسب الرقم الذي يشير إلى حجم العينة المطلوبة. ويرمز الحرف p إلى تقدير المجتمع والحرف q هو الفرق بين p و100. ويرمز الحرف Z إلى مستوى الثقة الذي تم اختياره. والحرف E هو أقصى درجة انحراف عن النسب التي يقبلها الباحث.

مثل هذه الجداول كثيرة ومتنوعة ويتم تطويرها كما شاهدنا سابقًا، أي باستخدام المعادلة الملائمة، وستكون هذه المرة مجموع قيم E, Z, q, p. وكلما زاد عدد العوامل وكانت القيم مفصلة ودقيقة كانت الجداول أكثر دقة وتفصيلًا، وازدادت معها صعوبة تحديد حجم العينة. وفي الجداول التي تتضمن عوامل وقيمًا عدة، ينبغي للمرء أن يقرر العوامل والقيم الصحيحة ويبحث عن العمود والصف الصحيح ويقرر العدد المطلوب. وفي حالة وجود عوامل أقل تصبح الجداول أكثر سهولة لكنها تقدم معلومات محدودة. وقد تقدم هذه الجداول، على سبيل المثال، بعض النصائح في شأن q/p معًا، ومستوى الثقة (95 في المئة أو 99 في المئة)، وخيار واحد لدرجة الدقة.

نشر بارتن[16] جدولين أحدهما لمستوى الثقة 0.05 والآخر لمستوى الثقة 0.01. يوفر هذان الجدولان تقديرات لحجم العينة للنسب المئوية للمجتمع (q وp) لمستويين من الثقة ولحدود الخطأ تراوح بين 10 - 0.25. وتوفر الجداول معلومات مفيدة، كما توفر الوقت والجهد في عملية تحديد حجم العينة. وقدّم

---

(16) M. Parten, *Survey Polls and Samples* (New York: Harper and Row, 1950), pp. 314-315.

كريسي ومورغان[17] جدولًا أسهل من الجدولين السابقين لتقدير حجم العينة (انظر الجدول 1.6)، والمعلومة الوحيدة المطلوبة لتقدير حجم العينة هي حجم المجتمع. لذلك يقدم هذا الجدول أرقامًا لمجتمعات يراوح عددها بين 10 و1.000.000 نسمة، موضحًا الأرقام المقابلة لكل مجتمع التي تمثل حجم العينة المطلوبة. ويحسب هذا الجدول حجم العينة باستخدام معادلة أخرى تأخذ في الاعتبار كا^2 (chi square) لدرجة حرية واحدة، وحجم المجتمع وتلائم المجتمع المحدد بدرجة 0.50، ودرجة الدقة المحددة بدرجة 0.05، باستخدام معادلة طوّرها قسم البحوث في الجمعية الوطنية للتربية في الولايات المتحدة الأميركية ونشرها في عام 1960.

إن تحديد حجم العينة وفقًا لهذا الجدول مجرد قراءة أرقام وحسب! على سبيل المثال، لتحديد حجم العينة المطلوب لا بد لك من معرفة حجم المجتمع المستهدف أولًا؛ فالمجتمع الذي يتكون من 260 نسمة يكون حجم العينة المطلوبة له هو 155، والمجتمع المكون من 1600 تكون عينته 310، والمجتمع المكون من 20.000 تكون عينته 377.

تحذير: توفر الإجراءات الإحصائية المذكورة أعلاه وسيلة مريحة لتقدير حجم العينة عند إجراء أي دراسة وعندما نريد أن تكون العينة ذات تمثيل. ومع أن هذه الإجراءات سليمة إحصائيًا، إلا أنها تعتمد على تقديرات ترتكز على افتراضات وأوضاع. وكما أوضحنا سابقًا، يعتمد حجم العينة على قيم p، q، Z، E وكا^2... وهكذا وهذه قيم كثيرًا ما يصعب تقديرها. فكيف لنا أن نتأكد من أن قيمة p هي 10، 25 أو 48، خصوصًا إذا كانت معرفتنا بالمجتمع محدودة؟ كذلك فإن تخمين قيمة الانحراف المعياري للمجتمع الذي نريد أن نحسب له المتوسط غير المعروف يُعد مجازفة تقديرية. لذلك يجب أن تفسر الأرقام التي نحصل عليها في هذا السياق ضمن إطارها وحدودها.

---

(17) R. V. Krejcie and D. W. Morgan, «Determining Sample Size for Research Activities,» *Educational and Psychological Measurement,* vol. 30 (1970).

الجدول 1.7

جدول تحديد حجم العينة لمجتمع معين

م*	ع**	م	ع	م	ع	م	ع	م	ع
10	10	100	80	280	162	800	260	2800	338
15	14	110	86	290	165	850	265	3000	346
20	19	120	92	300	169	900	269	3500	346
25	24	130	97	320	175	950	274	4000	351
30	28	140	103	340	181	1000	278	4500	354
35	32	150	108	360	186	1100	285	5000	357
40	36	160	113	380	191	1200	291	6000	361
45	40	170	118	400	196	1300	297	7000	364
50	44	180	123	420	201	1400	302	8000	367
55	48	190	127	440	205	1500	306	9000	368
60	52	200	132	460	210	1600	310	1000	370
65	56	210	136	480	214	1700	313	15000	375
70	59	220	140	500	217	1800	317	20000	377
75	63	230	144	550	226	1900	320	30000	379
80	66	240	148	600	234	2000	322	40000	380
85	70	250	152	650	242	2200	327	50000	381
90	73	260	155	700	248	2400	331	75000	382
95	76	270	159	750	254	2600	335	1000000	384

* م = حجم المجتمع　　　** ع = حجم العينة

نقاط أساسية

- اختيار العينة هو عملية اختيار للمبحوثين ووحدات الدراسة بشكل عام.
- اختيار العينة هو ممارسة مألوفة وإدارة بحث لا غنى عنها في العلوم الاجتماعية.
- اختيار العينة يوفر فوائد كثيرة كبديل لإجراء مسح شامل.
- تُختار وحدات العينات في البحوث الكمية قبل الشروع بالدراسة، وبشكل منتظم وموضوعي، وهي سهلة التحديد واضحة المعالم ومستقل بعضها عن بعض ولا تحل واحدة مكان أخرى وتكون خالية من الأخطاء والتحيز والخلل.
- أهم نوعين من العينات: العينة الاحتمالية والعينة غير الاحتمالية.
- لجميع الوحدات في العينة الاحتمالية درجة الاحتمال نفسها من حيث تضمينها في العينة.
- لا تلتزم العينة غير الاحتمالية بقواعد الاحتمالات.
- يستخدم الباحثون النوعيون العينات غير الاحتمالية، مثل العينة النظرية والعرضية والهادفة وعينة الحصص وعينة كرة الثلج.
- تكفي عادةً عينة واحدة لإجراء دراسة لكن هناك دراسات تتطلب عينات عدة.
- يحدَّد حجم العينة باستخدام طرائق إحصائية وغير إحصائية.

إلى أين؟

قبل أن تترك هذا الفصل، لا بد لك من أن تزور الموقع المرافق للطبعة الثالثة من كتاب **البحث الاجتماعي**: http://www.palgrave.com/sociology/sarantakos لتراجع المفاهيم الأساسية في هذا الفصل وتختبر نفسك في القضايا الرئيسة التي ناقشناها.

قراءات إضافية

Books

Fink, A. *How to Sample in Surveys*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1995.

Henry, G.T. *Practical Sampling*. Newbury Park: Sage, 1990.

Lavrakas, P. *Telephone Survey Methods: Sampling Selection and Supervision*. Beverley Hills: Sage, 1993.

Maisel, R. and C. Hodges Persell. *How Sampling Works*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1996.

Periodical

Sudman, S. and E. Blair. «Sampling in the Twenty-first Century.» *Journal of the Academy of Marketing Science:* vol. 27, no. 2, 1999.

القسم الثالث

طرائق جمع البيانات

8. الدراسات متعددة العينات
9. البحث الميداني
10. الملاحظة
11. المسوح: الاستبيانات
12. المسوح: المقابلات
13. دراسة الوثائق
14. البحث التطبيقي

الفصل الثامن

الدراسات متعددة العينات

هذا الفصل

- يركز على دراسات تستخدم أكثر من عينة.
- يتطرق إلى طبيعة التجارب وأنواعها.
- يلخص معايير الدراسات الطولية وهدفها.
- يوضح طبيعة الدراسات المقطعية ودراسات الجزء وأنواعها.
- يناقش مجموعات التركيز.

العناوين الرئيسة

مقدمة

1. التجارب
2. دراسات الجزء
3. مجموعات التركيز

نقاط أساسية

إلى أين؟

قراءات إضافية

مقدمة

كما لاحظنا في مناقشة طرائق اختيار العينات، يختلف عدد العينات في الدراسة من حالة إلى أخرى. وبشكل عام، تستخدم معظم الدراسات عينة واحدة، في حين يستخدم بعضها عينتين أو أكثر. ويختلف الهدف من استخدام أكثر من عينة من حالة إلى أخرى، لكن بشكل عام تهدف هذه الممارسة إلى التحقق من حصول تغيرات بمرور الزمن، وتسهيل المقارنات وتحديد الأسباب، وتثليث البيانات واختبار الفرضيات. وضمن هذه المعايير، هناك خمسة أنواع في الأقل من الدراسات الجديرة بالذكر في هذا السياق:

- التجارب التي تدرس عينتين أو أكثر بشكل متزامن في معظم الحالات.
- دراسات الجزء التي تحلل العينة نفسها في فترات زمنية مختلفة.
- الدراسات المقطعية التي تدرس عينات عدة متزامنة.
- دراسة الاتجاهات التي تدرس عينات مختلفة في أوقات مختلفة.
- مجموعات التركيز التي تبحث في مجموعات عدة طبيعية أو مركبة.

سنشرح في هذا الفصل الأنواع الخمسة للدراسات متعددة العينات ونبيّن أهميتها بالنسبة إلى البحث الاجتماعي. في معظم الحالات، فإن ما يميز هذه الطرائق لجمع البيانات هو كيفية استخدامها العينات، لكن الفرق يتجاوز الطرائق ليصل إلى تصميم البحث الذي يعد عنصرًا مهمًا. وكما سنرى، في ما يتعلق بالتجارب خصوصًا، فإن ميزات هذه الطريقة تشتمل أيضًا على منطق البحث وكيفية جمع المعلومات والتأكد من الأسباب.

أولًا: التجارب

1.1 مقدمة

التجارب جزء من حياتنا اليومية. فمنذ بداية الخليقة، قام الناس بتجارب كثيرة لمعرفة أفضل الطرائق للتعامل مع مشكلات الحياة اليومية، ولتحسين نوعية حياتهم بشكل عام. قام الطهاة بتجارب عدة لتحسين نوعية الطعام، وحاول الأزواج والزوجات تحسين سبل التواصل والتعامل في ما بينهم لتحسين نوعية زواجهم وحياتهم، وحاول الأطفال أساليب جديدة لكسب عطف والديهم، وحاول المعلمون تجريب طرائق وأساليب جديدة في التدريس لتعليم الأطفال ذوي الحاجات الخاصة على الصعيد الذهني، كما حاول رجال الأعمال تجريب وسائل عدة لتوسيع نطاق أسواقهم وتعاملاتهم التجارية.

تبنّى علماء الطبيعة هذه الممارسات اليومية وطوروها حتى أصبحت الطريقة المعيارية لاكتشاف المعرفة. من ثم انتقلت هذه الطريقة إلى علم النفس، وكان أول من أدخلها هذا الميدان عالم النفس الألماني فيلهلم فونت (Wilhelm Wundt) (1832-1920) وأدخلها أيضًا الفيلسوف وعالم النفس الأميركي وليم جيمس (William James) (1842-1910)، حتى أصبحت التجارب الإجراء الرئيس لاكتشاف المعرفة. وكانت القفزة من علم النفس إلى علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى صغيرة وبسيطة؛ فمع أن التجريب أكثر شيوعًا في علم النفس من العلوم الاجتماعية، أصبح يُستعمل حاليًا في ميادين مختلفة.

تُستخدم التجارب على نحوٍ يكاد يكون حصريًا في البحوث الكمية. أما في البحوث النوعية فهي عمليًا ليست معروفة، ولم يُكتب إلا القليل عن طبيعتها وفائدتها وبنيتها، فضلًا عن خصائصها النظرية والمنهجية[1]. وسنوضح في هذا المبحث كيفية استخدام التجارب كأداة لجمع البيانات، وسنركز على طبيعتها وبنيتها وأنواعها وعملياتها كما يستخدمها الباحثون الكميون في العلوم

(1) G. Kleining, «Das qualitative Experiment,» in: U. Flick et al., eds., *Handbuch Qualitative Sozialforschung* (Munich: Psychologie Verlags Union, 1991).

الاجتماعية. وسنتطرق بإيجاز إلى التجارب في البحوث النوعية في نهاية هذا المبحث.

الإطار 1.8

خصائص العلاقة السببية في حدودها الدنيا
يكون الارتباط سببيًا إذا كان يقتضي إحصائيًا:
▪ **الارتباط**: ارتباط قوي بين المتغيرات.
▪ **الاتساق**: يجب أن تكون العلاقة بين السبب والنتيجة متّسقة.
▪ **الترتيب الزمني**: السبب يسبق النتيجة وليس العكس.
▪ **التجاور**: يجب أن يكون السبب والنتيجة متصلين بعضهما ببعض من حيث المكان والزمان.
▪ **استبعاد ما هو زائف وغير أصيل**: ينبغي ألا تكون العلاقة بين السبب والنتيجة زائفة، بمعنى أن تكون النتيجة بسبب عوامل خارجية ومتغيرات أخرى.
▪ **المبرر**: يجب أن يتوافر مبرر يفسر العلاقة السببية ويبرّرها.

2.1 مزايا التجارب وعيوبها

مثل غيرها من الطرائق، هناك مزايا وعيوب عدة للتجارب أهمها ما يلي:

1.2.1 المزايا

▪ **التكرار**: تصمم التجارب بطريقة تسمح بإعادتها، مع افتراض بأن الإعادة لن تؤدي إلى نتائج مختلفة.

▪ **التوقع**: يسمح بناء التجربة وعمليتها وتصميمها الصارم والمفصل بعدد من التوقعات المعقولة إلى درجة أعلى مما عليه في طرائق أخرى.

▪ **العلاقة السببية**: تتضمن التجارب جميع المعايير المنهجية اللازمة لتأسيس علاقة سببية.

▪ **الدقّة**: يؤدي التخطيط الصارم والتأكد من حالة المتغيرات وصدق الطرائق وثباتها، إلى درجة عالية من الإتقان في جمع خطوات البحث.

▪ **السهولة**: إن حجم العينات والإعداد الدقيق للتجربة وتصميم البحث المفصل يجعل من التجارب أسهل طريقة للبحث.

2.2.1 العيوب

- **الضبط**: قد لا تتيح التجارب في بعض الأحوال درجة من الضبط تكفي لاستبعاد التأثيرات غير المرغوب فيها خارج العوامل المستقلة.
- **التمثيل**: تكون العينات صغيرة عادة ولا تكفي لتوليد نتائج ممثِّلة.
- **العملية**: عملية البحث عملية تقنية ومصطنعة لا تسمح بالتعميم.
- **الأخلاق**: هناك حالات تقتضي أوضاع البحث فيها أن تعطى الأخلاق أهمية ثانوية.

تُستخدم التجارب لأن لها ميزات أفضل من ميزات طرائق جمع البيانات الأخرى، ويعتبر كثير من الباحثين أن الميزات تفوق العيوب. وكما ذكرنا سابقًا، تُستخدم التجارب كثيرًا في ميدان علم النفس وميادين أخرى.

3.1 طبيعة التجارب

تُستعمل التجارب لتأكيد وجود علاقة سببية ونوعها ودرجتها بين متغيرين. وتُعد العلاقة سببية إذا كانت تنسجم والمعايير في الإطار 1.8[(2)].

بشكل عام، تتضمن التجارب درجة من التحكم بالأحوال المحيطة وتقويمًا لآثارها في بعض الأهداف. يتم التحكم بالبيئة بأشكال منتظمة جدًا، ويرتكز على ضبط جميع العوامل واستبعادها وحجبها، ما عدا تلك التي يشتمل عليها المثير أو تتعلق به (وهذا ما يُعرف بعزل المتغيرات). ويهدف ذلك إلى استبعاد كل أثر محتمل ما عدا أثر المثير، وذلك للحصول على قياس دقيق لآثار هذا المثير.

تهدف التجارب إلى اختبار فرضيات وتطوير نظريات. وتتكون التجربة في أبسط أشكالها من اختيار أفراد الدراسة، وإيجاد الضوابط والأوضاع التي يتطلبها الاختبار، والاختبار القَبلي للمتغير التابع، وإعادة اختباره بعد إدخال المثير، ومن ثم تقويم النتائج (انظر الإطار (2.8)).

---

(2) انظر: B. Bergmann, *Sozialtheorie und Soziologie* (Stuttgart: Selbstverlag, 1991); K. Dimas, *Research, Hermeneutics and Theory* [in Greek] (Leipzig: Selbstverlag, 2003), p. 91.

الإطار 2.8

كيف نجري التجارب؟
يقوم الباحث بما يلي:
▪ تحديد ضوابط التجربة وأحوالها (عزل المتغيرات).
▪ قياس المتغير التابع.
▪ تقديم المتغير المستقل (المثير، السبب).
▪ اختبار المتغير التابع.
▪ تفحّص المتغير التابع للتأكد من ظهور التغيرات عليه (التأثيرات).

من الضروري في الدراسة التجريبية استخدام إجراء منتظم للتأكد من أن العلاقة بين المتغير المستقل والمتغير التابع تبقى بعيدة عن التأثيرات الخارجية. ويقتضي هذا الإجراء استخدام قاعدة تعظيم - ضبط - تقليل[3] تقتضي أن يقوم الباحث بـ:

- ▪ تعظيم آثار المتغير المستقل في المتغير التابع.
- ▪ ضبط المؤثرات المشوِّهة.
- ▪ تقليل آثار المتغيرات غير المنتظمة (الصدفة).

تلتزم التجارب بالمبادئ الدقيقة للمنهجية الكمية بصرامة قد لا نجدها في سياقات أخرى، خصوصًا عندما تشير إلى:

- ▪ طريقة قياس المتغيرات (يجب أن تكون ثابتة وسليمة منهجيًا).
- ▪ الأوضاع التي تقاس فيها المتغيرات (يجب أن تبقى ثابتة، خصوصًا من طريق العزل).
- ▪ تكرار الدراسة.
- ▪ إمكان مقارنة النتائج.
- ▪ توقع أن يكون التكرار تحت أحوالٍ منضبطة أساسًا لاختبار العلاقة السببية.

(3) K. H. Stapf, «Laboruntersuchungen,» in: E. Roth, ed., *Sozialwissenschaftliche Methoden* (Wien: R. Olenbourg Verlag, 1995), pp. 240-241.

هذه انعكاسات واضحة لبنية المنهجية الكمية الدقيقة التي تشكّل أساسًا لعملية البحث هذه.

4.1 خطوات البحث التجريبي

تُجرى التجارب بطريقة لا تختلف، من حيث المبدأ، عن تلك المستخدمة في ميادين البحث الأخرى. فخطوات البحث التي ذُكرت في الفصل الأول تنطبق على البحث التجريبي أيضًا. لكن هناك فروقًا بين الأنموذج العام والطريقة التجريبية من حيث محتوى بعض الخطوات، إنما في ما يتعلق بالتفصيلات فحسب. ويمكن وصف عملية البحث التجريبي كما ورد في الإطار 3.8.

سنوضح في المباحث اللاحقة بشيء من التفصيل بعض جوانب التصاميم التجريبية، وسندرس بعض العناصر المهمة في التجريب بشيء من التفضيل ونقارنها مع عناصر الطرائق الأخرى.

5.1 العينة التجريبية

1.5.1 خصائص العينة

يُختار أفراد الدراسة في التصميم التجريبي بوساطة طريقة اختيار العينة الاحتمالي التي ناقشناها سابقًا. وفي ما يلي خصائص العينة التجريبية:

- تتضمن مجموعتين دراسيتين: المجموعة **التجريبية** والمجموعة **الضابطة**. الأولى هي التي ستخضع للمتغير المستقل أي المثير، أما الثانية فهي المجموعة التي لن تخضع للمتغير المستقل.
- يجب التأكد من عدم وجود فروق منتظمة بين المجموعتين.
- يجب أن تكون عناصر المجموعتين متشابهة بالنسبة إلى موضوع البحث.
- يجب أن يخلو اختيار عناصر المجموعتين من التحيز.

تهدف هذه المعايير إلى التأكد من أن إجراءات اختيار العينة تؤدي إلى اختيار عينة ممثّلة خالية من التحيز والميل الشخصي.

الإطار 3.8

سيرورة البحث التجريبي
الخطوة 1. اختيار الموضوع والمنهجية: ما الذي سيُدرس؟ ما المنهجية التي ستُتبع؟
الخطوة 2. تحديد الموضوع منهجيًا: ما التعريف المفصل للموضوع؟ ما المتغيرات؟ كيف ستُحدد إجرائيًا؟ ما الفرضية؟
الخطوة 3. اختيار العينة وطرائقها: كم مجموعة ستُبنى وتُختبر؟ كيف سنختار المبحوثين؟
الخطوة 4. جمع البيانات: ما هي الطرائق التي تُستخدم لجمع البيانات؟ كيف ستُنفَّذ هذه الطرائق؟ كيف نتجنب أثر المؤثرات والمبادئ الخارجية وغيرها (عزل المتغيرات)؟ هل هناك حاجة إلى مختبر أو مساعدين؟ هل سنحتاج إلى أجهزة حاسوب ومعدات أخرى؟ وكيف سنحصل عليها؟ كيف ستُجمع البيانات؟ كيف ستُضبط المؤثرات الخارجية؟ هل روعيَت القضايا الأخرى؟
الخطوة 5. التحليل والتفسير: كيف ستحلَّل البيانات وتفسَّر؟

2.5.1 طرائق اختيار العينة

هناك ثلاث طرائق لاختيار العينات في البحث التجريبي: الطريقة العشوائية، تكافؤ الأفراد، وتكافؤ المجموعات. يعتمد اختيار الطريقة الملائمة على عوامل عدة بما فيها الاعتبارات النظرية/ المنهجية، وأحوال التجربة والبيانات المطلوبة، وطبيعة البحث وطبيعة الأفراد وأنواعهم.

- **الطريقة العشوائية:** يُختار اثنان عشوائيًا من إطار العينة ويوضع أحدهما في المجموعة التجريبية والآخر في المجموعة الضابطة. وتستمر هذه العملية هكذا إلى أن نحصل على العدد المطلوب للعينة.
- **تكافؤ الأفراد:** يُختار من إطار العينة أزواج متكافئة بما يكفي ثم يوضع أحدهما في المجموعة التجريبية، والآخر في المجموعة الضابطة، وتستمر العملية هكذا إلى أن نصل إلى العدد المطلوب للعينة.
- **تكافؤ المجموعات:** تُختار مجموعتان متكافئتان (بخصائص الأفراد نفسها، مثل معدل العمر والتعليم والمكانة والتحصيل والأداء) وتُستخدم إحدى هاتين المجموعتين كمجموعة تجريبية والأخرى ضابطة.

تُستخدم هذه الطرائق الثلاث على نطاق واسع ولكلٍّ منها ميزاتها وعيوبها. فمثلًا تتأثر طريقة تكافؤ الأفراد بصعوبة مضاهاة الأفراد؛ فعندما يكون التشابه هو مبدأ الاختيار يصبح من الصعب تحديد التشابه أو الاختلاف بين الأفراد. كما أن طريقة المجموعات المتكافئة تتأثر بالمشكلة نفسها. وعلاوة على ذلك يؤدي استعمال المتوسطات (حيثما استُعملت) إلى فروق فردية لا تؤخذ بالاعتبار. أما الطريقة العشوائية فهي أكثر موضوعية وأبعد عن التحيز والتشويه من الطريقتين الأخريين. وهذه الطريقة مفيدة بشكل خاص عندما يكون تكافؤ الأفراد غير ممكن، لكنها تُحِلُّ الحكم الشخصي محلّ الاختيار «الموضوعي»، ولا نستطيع أحيانًا الادعاء بأن هذه الطريقة تضمن إيجاد مجموعات متشابهة، خصوصًا عندما تكون العينات صغيرة نسبيًا.

6.1 ترتيب أحوال التجربة

كي يستطيع الباحث إقرار العلاقة السببية بين المتغيرين المستقل والتابع، يجب عليه أن يتأكد من أن العامل التابع لم يتأثر بأي عامل غير المتغير المستقل. لذلك يجب ضبط جميع العوامل التي يمكن أن تؤثر في مسار التجربة. وحيثما كان ضبط هذه العوامل غير ممكن، ينبغي للباحث أن يكون في وضع يمكّنه من قياس أثرها، وعليه أن يأخذ ذلك الأثر بالاعتبار عند تفسير النتائج.

تشير عملية «الترتيب» إلى تركيبة المجموعة وعملية الاختيار وبنية الموقف الذي ستُجرى فيه التجربة ووقت الاختبار وطبيعة المثير (العامل المستقل) ومعناه للمبحوثين والوقت بين الاختبار القبلي والاختبار البعدي، والإشراف الدقيق والتعليمات التي تُعطى في أثناء التجربة، وغيرها من العوامل والأوضاع المشابهة التي قد تؤثر في أفراد الدراسة.

7.1 عملية التجريب

تبدأ التجارب بالاتصال الأول مع أفراد العينة، وتستمر بالتحكم بالمتغيرات وقياسها. ويتضمن جمع البيانات للتجربة الخطوات الرئيسة الثلاث الآتية:

الخطوة 1 الاختبار القبلي: تُسمى هذه الخطوة الاختبار القبلي لأنها تتم قبل إخضاع أفراد العينة للتجربة، وتتضمن قياس المتغير التابع في المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية. ويشكل هذا القياس أساسًا لتقويم التغييرات الفعلية للمتغير التابع في أثناء التجربة.

الخطوة 2 الاختبار: يُعرَّض أفراد الدراسة في هذه المرحلة للمتغير المستقل. وقد يتطلب ذلك الاشتراك في مناقشة أو قراءة كتاب أو تناول دواء معين، أو استهلاك كمية من الكحول، أو مشاهدة فيلم أو حضور محاضرة أو زيارة أحد الأندية. تتغير طبيعة المثير ومدته وفقًا لطبيعة التجربة والمتغير المستقل. وقد يستغرق ذلك بضع دقائق، وفي حالات أخرى قد يتطلب وقتًا أطول.

الخطوة 3 الاختبار البَعدي: بعد تنفيذ التجربة يعاد اختبار الأفراد مرة أخرى. ويسمّى هذا الإجراء الاختبار البعدي لأنه يُجرى بعد المعالجة التجريبية. وفي أثناء هذا الاختبار يقاس المتغير التابع مرة أخرى للتأكيد على حالته الراهنة. بعد ذلك تقارَن نتائج الاختبار القَبلي بنتائج الاختبار البَعدي ويسجَّل أي تغيير قد يحدث في النتائج.

مثال أ: تريد صحفية أن تختبر فرضية أن لوسائل الإعلام أثرًا قويًا في اتجاهات الطلاب ومواقفهم من المهاجرين، باستخدام التجارب كطريقة. ما الذي ستفعله؟ في ما يلي الخطوات الضرورية:

1. تُختار المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية باستخدام إحدى الطرائق المذكورة سابقًا.
2. تحديد أوضاع التجربة.
3. إجراء اختبار قَبلي للمجموعتين لقياس اتجاهات الطلاب نحو المهاجرين، باستخدام مقاييس الاتجاه وحساب درجات الاتجاه لكل مبحوث.
4. يعرض فيلم عن المهاجرين للمجموعة التجريبية يعبر عن حياتهم وطموحاتهم. ولا يعرض هذا الفيلم للمجموعة الضابطة.
5. إجراء اختبار بعدي للمجموعتين لإعادة قياس اتجاهاتهم نحو المهاجرين، باستخدام مقاييس الاتجاهات وحساب درجات الاتجاه لكل فرد من أفراد الدراسة.
6. مقارنة نتائج الاختبار القبلي بنتائج الاختبار البعدي للتأكد من وجود فروق ذات دلالة.

8.1 تحليل البيانات التجريبية وتفسيرها

تركز عمليتا التحليل والتفسير على البيانات التي جُمعت من طريق الاختبار القبلي والاختبار البعدي. تحلَّل البيانات وتقارَن ويحسَب الفرق بين نتائج الاختبارين، باستخدام الطرائق الإحصائية غالبًا، ثم يحاول الباحث إيجاد علاقة سببية بين المتغيرات المعنية. فعلى سبيل المثال إذا لم يثبت وجود فرق بين نتائج الاختبار القبلي والاختبار البعدي للمجموعة الضابطة، في حين وُجد فرق ذو دلالة بين نتائج الاختبارين للمجموعة التجريبية، مع التأكّد من ضبط العوامل الأخرى، يمكننا الاستنتاج حينئذٍ أن المتغير المستقل هو سبب التغير الذي حدث.

9.1 أنواع التجارب في البحث الكمي

بغض النظر عن التصميم المستخدم، تظهر التجارب بأشكال مختلفة. فهناك أشكال يستخدمها علماء النفس كثيرًا، وأخرى شائعة بين علماء الاجتماع وغيرهم من علماء المجتمع. وفي ما يلي أهم أنواع التجارب المستعملة في العلوم الاجتماعية:

- **التجارب المخبرية**: تُجرى في المختبر، حيث يتم ضبط أثر العوامل الخارجية وعزلها.
- **التجارب الميدانية**: تُجرى في سياقات طبيعية كالشارع والمطعم وأماكن تجمع المهاجرين والقرى والكنائس والصفوف المدرسية.
- **تجارب العرض**: قد تُجرى في المختبر أو الميدان، لكن باستخدام مجموعة واحدة (المجموعة التجريبية) فحسب. ومع أن هذه التجارب تساعد في «عرض» أو توضيح الاتجاهات في بعض جوانب السلوك الإنساني، فإنها لا تُعد تجارب حقيقية لأنها لا تشتمل على مجموعة ضابطة. لذلك لا يمكن مقارنة النتائج، كما أنها لا تختار أفراد العينة عشوائيًا. أخيرًا، ليس هناك وقت محدد للمعالجة التجريبية، فقد تستمر ما دام المبحوثون موجودين في عملية التجريب[4].

---

(4) L. Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit* (Wien: Selbstverlag, 2000).

10.1 التصاميم التجريبية

يستخدم علماء النفس وعلماء الاجتماع أنواعًا عدة من التصاميم. ويكمن الفرق بينها في عدد المجموعات التجريبية والضابطة التي تُستخدَم في كل تجربة، في الامتحان القَبلي (سواء أكان ذلك في المجموعة التجريبية أم في المجموعتين)، وفي طريقة التعامل مع المتغير المستقل. ويهدف الباحثون الذين يستخدمون تصاميم مختلفة إلى عزل أو ضبط آثار أي عوامل أخرى قد تؤثر في العملية و/ أو نتائج الدراسة. وأهم أنواع التصاميم ما يلي:

- **طريقة المجموعة الواحدة (التصميم القبلي والبعدي)**: يستخدم هذا التصميم مجموعة واحدة وهي المجموعة التجريبية التي يُطبَّق عليها الاختبار القبلي، ثم تخضع للمثير وبعد ذلك يطبَّق عليها الاختبار البعدي. يدل الفرق بين نتائج الاختبار القبلي والاختبار البعدي على الآثار المحتملة للمتغير المستقل في المتغير التابع.

- **التصميم التجريبي الكلاسيكي (طريقة المجموعتين)**: يستخدم هذا التصميم المجموعة التجريبية والضابطة ويطبق الاختيار القبلي والبعدي على كل مجموعة من المجموعتين، لكن المجموعة التجريبية وحدها هي التي تخضع للمتغير المستقل. وهذا هو أشهر أنواع التصاميم.

- **التصميم ذو الاختبار البعدي فحسب**: هذا التصميم يشبه التصميم التجريبي الكلاسيكي تمامًا إلا أنه لا يتضمن اختبارًا قبليًا لأي من المجموعتين.

- **تصميم سليمان (Solomon) ذو المجموعتين الضابطتين**: يَستخدم هذا التصميم مجموعة تجريبية واحدة ومجموعتين ضابطتين. ومن حيث المبدأ، تعامَل مجموعة ضابطة واحدة والمجموعة التجريبية كما في التصميم الكلاسيكي. أما المجموعة الضابطة الثابتة فلا تخضع للاختبار القبلي لكنها تخضع للمتغير المستقل وتخضع للاختبار البعدي.

- **تصميم المجموعات العشوائي**: يشتمل هذا التصميم على مجموعتين تجريبيتين وأخرى ضابطة. ويشبه التصميم الكلاسيكي إلا أنه يشتمل على مجموعتين تجريبيتين.

▪ **تصميم سليمان ذو المجموعات الأربع**: يَستخدم هذا التصميم مجموعتين تجريبيتين ومجموعتين ضابطتين. تعامَل مجموعة ضابطة وأخرى تجريبية كما في التصميم الكلاسيكي. أما المجموعتان الأخريان فلا تخضعان للاختبار القبلي، لكنهما تتعرضان للمتغير المستقل وتخضعان للاختبار البعدي.

هناك تصاميم تجريبية أخرى كثيرة (التصميم العاملي) تُستخدم بكثرة في ميدان علم النفس. لكن هذه التصاميم المعقدة لا تجد قبولًا في العلوم المجتمعية وعلم الاجتماع. ويفضل العلماء الاجتماعيون استخدام التجارب الميدانية أو شبه الميدانية بدلًا من التجارب المخبرية أو التجارب متعددة المجموعات أو متعددة التصاميم.

11.1 التجارب الميدانية

تشبه التجارب الميدانية (وتعرف أيضًا باسم التجارب الطبيعية) التجارب الموصوفة سابقًا، لكنها تختلف عن الأنواع الأخرى من حيث إنها تُجرى في سياقات طبيعية، أي في الميدان. والميدان هنا يعني السياق الذي يعيش فيه أفراد الدراسة، حيث توجد بيوتهم ومدارسهم وشوارعهم وأسواقهم وكنائسهم... وهكذا. وهذه بيئة طبيعية لم يتم إعدادها بشكل يتلاءم وأهداف التجربة ولا يتحكم الباحث بها.

هناك نوعان من التجارب الميدانية: التجارب الميدانية الحقيقية، والتجارب شبه الحقيقية. ويتطلب النوع الأول التزامًا كاملًا بمبادئ التجريب، لكن التجارب شبه الحقيقية لا تلتزم بتلك المبادئ. ويعتمد اختيار أي من هذين النوعين على طبيعة الدراسة، خصوصًا على درجة تلاؤمها مع المعايير التجريبية. فمثلًا، حيثما كانت التجارب الميدانية الحقيقية ممكنة فإنها تُستخدم، وإلا تستخدم شبه الحقيقية بدلًا منها. وهكذا عندما لا تكون هناك حاجة إلى معلومات إحصائية مفصلة، وتكون المعلومات العامة عن الموضوع كافية، حينئذٍ يمكن استخدام التجربة الميدانية شبه الحقيقية.

في ما يلي مثال لاستخدام التجربة الميدانية شبه الحقيقية: طُلب من أحد

المحاسبين في إحدى الأسواق أن يضيف مبلغ عشرين دولارًا عندما يرجع للزبون باقي حسابه. فإذا قبل الزبون الزيادة من دون تعليق يقوم المحاسب بإعادة عد المبلغ وإرجاع المبلغ الصحيح إلى الزبون. يقوم الباحث برصد طريقة ردة فعل الزبون للزيادة في المبلغ الذي يستحقه، كما يرصد عدد الناس الذين يقبلون ذلك أو يتساءلون عنه وأنواعهم.

مع أن هذه الطريقة معروفة ونتائجها مقبولة، إلا أن طبيعة هذه التجارب أثارت عددًا من التساؤلات. يقول بعض النقاد إنه ليست هناك معايير كافية لتبرير وجود مثل هذه التجارب أو لاعتبارها دراسات مسحية. والعامل الحاسم هنا هو: هل كانت الأحوال التجريبية منظمة ومضبوطة بدرجة كافية؟ فإذا كان الأمر كذلك فإنها تعتبر تجارب.

من الصعب إجراء التجارب الميدانية الحقيقية لأسباب كثيرة. أولها: من الصعب اختيار مجموعات متشابهة أو أفراد متشابهين في بيئات طبيعية. وقد يكون ذلك مستحيلًا أحيانًا. لذلك فمن الصعب أيضًا تحديد سبب أي تغير في سلوك الأفراد لأن أساس السلوك لا يمكن تحديده، ما يدفع الباحثين إلى حصر التجارب الميدانية في مناطق يكون فيها الأفراد متشابهين. وهذا يقلل مدى تطبيق مثل هذه التجارب بشكل كبير.

علاوة على ذلك، يدّعي بعضهم أن اختيار بيئات طبيعية متشابهة أو قابلة للمقارنة أمر صعب. وتُعد المشكلة هنا بدرجة خطورة الحالة السابقة نفسها. كما أننا لا نستطيع أن نفترض أن البيئات المتشابهة تؤثر في وحدات الدراسة بالدرجة والطريقة عينهما. أخيرًا، يدعي بعضهم أن التجارب الميدانية معقدة جدًا وتستغرق وقتًا طويلًا.

12.1 التجارب الاجتماعية

يندرج معظم التجارب الاجتماعية تحت مظلة التجارب الميدانية الحقيقية، وهي تُستعمل كثيرًا في البحوث التربوية والطبية والنفسية، وفي ميدان السياسة الاجتماعية وتقويم البرامج. تتميز التجارب الاجتماعية بأنها تختار أفراد الدراسة

باستخدام الطرائق العشوائية المنتظمة، ولا تبذل أدنى جهد لضبط أحوال التجربة والمؤثرات الخارجية[5]. ويُعد هذا الضبط مستحيلاً في التجارب الاجتماعية.

بشكل عام، تُستخدم التجارب الاجتماعية في السياق الاجتماعي، وهي تقارن بين المجموعات الاجتماعية للتأكد من أثر عوامل معينة في المجتمع. فمثلًا، يمكن اختيار الأسر ذات الدخل المحدود عشوائيًا ثم تقسَّم إلى مجموعات ضابطة وأخرى تجريبية. يقدَّم للمجموعات التجريبية نوع من الحوافز ولا يقدَّم شيء للمجموعات الضابطة. وتهدف التجربة إلى معرفة ما إذا كانت الحوافز ستؤدي إلى تغيير في المجموعات التجريبية ذات الدخل المحدود.

هناك مثال آخر يتعلق بتقويم برنامج. فمثلًا قبل أن ننفذ برنامجًا، نختار عينة كبيرة بشكل عشوائي ثم نخضعها لاختبار قبلي لتقويم استجابتها لمعايير رئيسة معينة. وبعد ستة شهور من تنفيذ البرنامج، يعاد اختبار الأفراد أنفسهم (الاختبار البعدي) لتحديد التغير في استجابة الأفراد للمعايير التي اختُبرت في الاختبار القبلي. ويتيح وجود أو عدم وجود تغيرات تقديم نوع من التقويم للبرنامج المعني.

13.1 صدق التجارب

تُعد التجارب من أكثر أدوات البحث الاجتماعي صدقًا لأنها تحقق المعايير المنهجية وتضبط المؤثرات الخارجية. ومع هذا هناك عدد من العوامل الصعبة التي يُعتقد أنها تثير بعض التساؤلات حول صدق التجارب[6]، وهذه العوامل:

- **النضج**: إن التغير الذي يحدث للمتغير التابع قد لا يُعزى إلى أثر المتغير المستقل بل إلى نضج الأفراد.

---

(5) L. L. Orr, *Social Experiments: Evaluating Public Programs with Experimental Methods* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1999), p. 10.

(6) H. Berger, H. F. Wolf and E. Ullmann, eds., *Handbuch der Sozialistischen Forschung: Methodologie, Methoden, Technicken* (Berlin: Akademie Verlag, 1989); W. Farber, *kunstlehre der Erklärung* (Graz: Selbstverlag, 2001); J. M. Suls and R. L. Rosnow, «Concerns about Artifacts in Psychological Experiments,» in: J. G. Morawski, ed., *The Rise of Experimentation in American Psychology* (New York: Yale University Press, 1988).

- **التأقلم مع الدراسة**: قد يؤدي الاختبار القبلي إلى إثارة الأفراد وتهيئتهم لتطوير اهتمام بالتجربة وللاستجابة بشكل غير أنموذجي في عملية التجريب.

- **أثر التاريخ**: قد تقع حوادث تاريخية ما بين الاختبار القبلي والاختبار البعدي ما قد يؤثر في الاستجابة للاختبار البعدي.

- **التغيرات في العينة**: قد تحدث تغيرات في العينة بسبب الوفاة والانتقال من مكان إلى آخر أو عدم توافر الأفراد و/ أو الباحثين المشرفين على التجربة بشكل عام.

- **أدوات القياس**: هناك احتمال بأن تكون التغيرات في المتغير التابع بسبب التغيرات في طبيعة الاختبارات القبلية والبعدية، بدلًا من كونها ناجمة عن المتغير المستقل (ضعف القياس).

- **التفاعل**: قد تُعزى التغيرات في المتغير التابع إلى تأثير مجموعة من العوامل التي قد تتضمن أو لا تتضمن المتغير المستقل.

- **اختيار العينة**: قد تعزى التغيرات في المتغير التابع إلى مشكلات في طرائق اختيار العينات.

- **تأثير هاوثورن**: قد تعزى التغيرات إلى معرفة أفراد الدراسة بأنهم يخضعون لتجربة أو دراسة (الأثر الانعكاسي).

- **النمذجة**: قد يتغير العامل التابع لأن الباحث يتوقع من المبحوثين أن يتصرفوا بطريقة معينة فيفعلون ذلك إرضاء له.

- **البيئة**: قد تعزى التغيرات في المتغير التابع إلى البيئة أو أحوال إجراء التجربة والقياس.

ينبغي ألا تُعد هذه النقاط نقدًا للتجريب. ذلك أنَّ معرفة الباحث بمناطق الخطر هذه التي قد تؤثر في صدق التجربة تُمكن الباحث من بناء تجربة على أسس سليمة وتاليًا تجنُّب الآثار الخارجية.

14.1 التجارب في البحث النوعي

1.14.1 طبيعة التجارب النوعية

لا تزال التجارب النوعية في بداياتها، على الرغم من استعمال التجارب شبه المنظمة في العلوم الاجتماعية أحيانًا وفي إطار الأنموذج النوعي. ولم يحاول أحد من المنظرين أو المنهجيين أو الممارسين إثبات إمكان استخدام التجارب النوعية، أو توضيح متى وكيف وتحت أي أوضاع يمكن إجراؤها. والباحثون الذين يستخدمونها إنما يفعلون ذلك وفقًا لفهم ما يعتبرونه تجارب نوعية[7]. وبشكل عام، لا يُنظر إلى التجارب النوعية بوصفها إجراءات مشروعة أو منطقية يجب أن تعامل بجد، وذلك لأسباب كثيرة.

أولًا: هناك من يدّعي[8] أن التجارب لم تعد مألوفة ومفضلة كما كانت. ومما ساهم في ذلك الانتقادات التي وُجهت إلى مبادئ فلسفة العلم والبحث النوعي، وهناك انتقادات وُجّهت إلى الناحية «الفنية» في هذه التجارب أيضًا. ولا يبدو أن الباحثين النوعيين قدموا الكثير في سبيل تطوير منهجية ملائمة للتجارب النوعية.

علاوة على ذلك، أصبحت الطرائق التجريبية عبر السنين مرادفة لعملية التكميم والقياس والإحصاء والضبط والتدخل والموضوعية والتعيير وصفات أخرى مشابهة، ولم يعد أحد يفكر في إمكان إجراء تجربة خارج نطاق هذه المعايير. وبعبارة أخرى، أصبحت التجارب النوعية تشكل تناقضًا في التسمية.

مع ذلك، فإن الحاجة إلى تجارب نوعية والمساهمة التي قد تقدمها للبحث الاجتماعي أقرّها بعض الباحثين الذين إما أن يكون قد قام بتجارب قريبة مما قد نسميه تجارب غير نوعية، أو ساهم في مناقشة هذا الموضوع[9]، ووصف كيفية فهم التجارب النوعية وممارستها.

---

(7) Benini, *Construction of Knowledge* (Rome: Gnome, 2000).

(8) G. Kleining, «Das qualitative Experiment,» *Kölner Zeitschrift für Soziologie und Sozialpsychologie*, vol. 38, no. 4 (1986); S. Lamnek, *Qualitative Sozialforschung, Band 1: Methodologie; Band 2: Methoden und Techniken* (Weinheim: Psychologie Verlags Union, 1995).

(9) Kleining, Ibid.; Lamnek; Ibid.

2.14.1 قواعد التجريب

يُتوقع من التجربة النوعية، بحكم تسميتها، الالتزام بقواعد المنهجية النوعية التي لا تنسجم مع نوع التجارب التي وُصفت في القسم السابق. كما يجب اختيار موضوع الدراسة بطريقة تنسجم مع الأنموذج النوعي. بعبارة أخرى، يجب أن تكون وحدات الدراسة في متناول أدوات المنهجية النوعية. وتتضمن الوحدات الملائمة للتجارب النوعية العلاقات والسلوك الفردي أو الجماعي وكل ما يتعلق بهذه العلاقات. وكما ذكر كليننغ وآخرون[10] فإن هناك قواعد ثابتة لإجراء البحوث النوعية التي يمكن تطبيقها في مجال التجارب النوعية. وفي ما يلي أهم أربع قواعد في هذا المجال:

- الباحث لا ينوي اختبار فرضيات، لكنه يسعى إلى تطوير فرضيات جديدة.
- موضوع الدراسة غير محدد تمامًا، ويبقى مفتوحًا ومرنًا يسمح بالتعديل والتغيير في المستقبل، حيث تصبح التعاريف أكثر دقة بعد انتهاء الدراسة.
- القواعد هنا هي: المرونة أو الانفتاح والتنوع البنيوي، ويتعلق هذا، مثلًا، باختيار المنهجية وطرائق اختيار العينات.
- يركز التحليل والتقويم على تحديد أوجه التشابه بدلًا من أوجه الخلاف. ومبادئ الحوار هنا مساواتية وليست نقدية/ سلطوية. وينظر كلينيغ إلى عملية التحليل بأنها عملية دائرية يدور الباحث فيها حول موضوع الدراسة من خلال التجربة، باحثًا عن إجابات. يضاف إلى ذلك العملية الجدلية للاكتشاف: تؤدي الإجابة إلى سؤال يحتاج إلى إجابة جديدة تؤدي إلى سؤال جديد يتطلب إجابة جديدة... وهكذا. تستمر هذه العملية إلى أن يتم تفسير موضوع البحث.

مع أن التشعبات المفهومية للتجارب النوعية ليس صعبًا إثباتها والدفاع عنها، من الناحية النظرية في الأقل، تصبح هذه العملية مهمة شاقة في الواقع. إن التجارب هي في الواقع تجارب بسبب طبيعتها، واستبعاد كثير من مبادئها (السببية

(10) G. Kleining, «Umriss Zu einer Methodologie qualitativer Sozialforschung,» *Kölner Zeitschrift für Soziologie und Sozialpsychologie*, vol. 34, no. 2 (1982); Lamnek, *Qualitative Sozialforschung*; Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion Und Wirklichkeit*.

والموضوعية والتحليل الإحصائي...) يحرمها من هويتها المنهجية. علاوة على ذلك، تكون معايير البحث النوعي سطحية أحيانًا وتؤدي إلى ارتباك، خصوصًا للمبتدئين في البحث الاجتماعي. فالتركيز مثلًا على أوجه التشابه بدلًا من أوجه الخلاف لا يحمل دلالة كبيرة لسببين: **أولًا**، كيف يمكن تجاهل الفروق في دراسة عندما تجعل التغييرات في بنى المجموعات والمقارنات الأسئلة حول هذه الفروق حتمية تقريبًا ومثيرة جدًا؟ **ثانيًا**، لماذا تكون دراسة الفروق في الدراسات متعددة المجموعات قليلة الفائدة أو عديمة الأهمية؟ ومع مرور الزمن وزيادة اهتمام الباحثين النوعيين في التجارب، فإن كثيرًا من ميزات هذا النوع من البحوث التي ذُكرت بشكل عابر، سيحظى بالأهمية الملائمة.

ثانيًا: دراسات الجزء

1.2 مقدمة

تمتاز دراسات الجزء بأنها، **أولًا**، تدرس العينة نفسها في أكثر من مناسبة. **ثانيًا**، تدرس الموضوع نفسه. **ثالثًا**، تستخدم الطرائق نفسها. على سبيل المثال، قام المؤلِّف بدراسة 330 زوجًا من المتساكنين من دون زواج قانوني في عام 1980، ثم قام بمقابلتهم مرتين في عامي 1985 و1992[11]. يختلف طول الفترة الزمنية بين مراحل الدراسة المختلفة من حالة إلى أخرى. يستعمل بعض الدراسات مرحلتين، بينما تستعمل دراسات أخرى أكثر من ذلك.

يعتمد طول الفترة بين مرحلة وأخرى على عوامل مثل طبيعة موضوع الدراسة وهدف البحث. أما القضايا التي تتغير بسرعة فتحتاج إلى فترات أقصر من تلك التي تتغير في فترات زمنية طويلة. وأخيرًا، تكون الفترات البينية القصيرة أكثر فائدة عندما تبحث الدراسة في الحوادث والتغيرات الاجتماعية وفقًا لتسلسلها الزمني، وهذا أمر لا يتسنى للدراسات ذات الفترات الطويلة بين مراحلها. وإذا أردنا أن نقوم بدراسة طولية طويلة الأمد، لا بد لنا من أخذ عدد من العوامل بالاعتبار لأنها قد تؤثر في جودة الدراسة، ويظهر بعض هذه العوامل في الإطار 4.8.

(11) S. Sarantakos, *Cohabitation in Transition* (Sydney: Keon, 1992).

طوّر الباحثون استراتيجيات لضبط هذه وسواها من العوامل التي تؤثر في صدق الدراسات الطولية، لكن من غير الممكن عزل هذه العوامل تمامًا. فمثلًا قد يسبب فقدان أفراد الدراسة مشكلات صعبة إذا كان من يغادر الدراسة ذا أهمية خاصة لها، وبذلك قد يصبح أفراد العينة غير ممثلين لمجتمع الدراسة. وكلما زادت معرفة الأفراد بموضوع الدراسة تقل درجة تمثيلهم لمجتمع الدراسة.

الإطار 4.8

ما هي مجالات الخطأ في دراسات الجزء؟

- **فقدان أفراد الدراسة**: بسبب الوفاة أو الانتقال للسكن في منطقة أخرى أو العجز عن المشاركة في الدراسة (كلما طالت الدراسة زادت فرصة فقدان أفرادها).
- **التأقلم مع الدراسة**: يطور أفراد الدراسة اهتمامًا بها وتاليًا يعرفون أكثر عن موضوعها مع مرور الزمن، لذلك يصبحون غير ممثلين لمجتمع الدراسة.
- **تحيز الأدوات**: قد تُستعمل أدوات البحث بأشكال مختلفة في خلال مراحل الدراسة، حيث تتغير البيانات ويتغيّر توقيتها وأحوالها.
- **تحيز المبحوثين**: يصبح المبحوثون معتادين أداة البحث وأسئلتها، لذلك تصبح إجاباتهم أفضل على سؤال الدراسة في المراحل اللاحقة.
- **أحوال الدراسة**: يتغير جمع البيانات، حتى لو نُفذ بالطريقة نفسها في جميع المراحل، وفقًا لتغير الأحوال الشخصية والأسرية لأفراد الدراسة. وبمعنى آخر، من الصعب أن تبقى أحوال الدراسة هي نفسها لكل فرد في جميع مراحل الدراسة.
- **التكاليف**: كلما طالت الدراسة زادت تكاليفها.

2.2 أنواع دراسات الجزء

تُستخدم الدراسات الطولية بأشكال أخرى. وفي معظم الحالات لا تختلف هذه الأشكال اختلافًا يستحق الاهتمام أو لا تكون «دراسات»، بل أدوات بحث تُستعمل في دراسات أخرى. وفي ما يلي بعض الأمثلة:

- **دراسات العصبة**: دراسات جزء تركز على دراسة العصبة نفسها في مناسبات عدة؛ إذ قد يدرس باحث مواليد عام 1990 في إحدى الضواحي، حيث يجري دراسة مسحية كل عامين لرصد التغيرات في عدد من القضايا وتحديد الفروق عبر الزمن. وينطبق على هذه الدراسة ما ذكرنا آنفًا عن دراسات الجزء.

- **الدراسات متعددة المراحل**: يختار الباحث في البداية عددًا من المبحوثين (الوحدات الأساسية)، ثم يختار من بينهم عينة أصغر تلبي معايير الدراسة. فقد تتضمن العينة الأساسية الطلاب الإثنيين في جامعة كبيرة، أما العينة الصغيرة فلا تحتوي إلا على من له علاقة بمواطن من الدولة المضيفة. وقد تستمر عملية اختيار أفراد العينة وخفض عددها بالتركيز على معايير معينة ما دام البحث يتطلب ذلك. فمثلًا إذا كان حجم العينة الثانية كبيرًا يسمح بمزيد من المعالجة، فإن الباحث يستطيع أن يختار من هذه العينة عينة ثالثة باختيار عينة أصغر توازن بين الذكور والإناث الذين سيشكلون عينة الدراسة النهائية. ومن أهم فوائد هذه الطريقة في اختيار العينات أنها تسمح بتشكيل عينة تتعلق مباشرة بموضوع الدراسة، حيث يزداد تركيز العينة وتزداد أهميتها للدراسة في كل عملية اختيار جديدة، وبذلك يتوقع أن تكون النتائج أكثر أهمية وتمثيلًا.

- **الدراسات متعددة الأطوار**: إن اختيار العينة الأساسية والعينات الفرعية في هذه الدراسات، يشبه طريقة الدراسات متعددة المراحل. أولًا، يتم اختيار الوحدات الأساسية، ثم نختار عينة من بين أفرادها وهكذا. لكن في الدراسات متعددة الأطوار تتم دراسة كل عينة دراسة جيدة قبل اختيار عينة جديدة منها، وتاليًا فإن جميع عينات هذه الطريقة تخضع للدراسة على عكس الدراسات متعددة المراحل حيث تُدرس العينة الأخيرة وحسب. وهذا ما يميز الدراسات متعددة الأوجه من غيرها من الطرائق؛ لأن المعلومات التي تجمع في كل طور من أطوار الدراسة تساعد الباحث في اختيار عينة أكثر أهمية وتمثيلًا.

3.2 الدراسات المقطعية

تستخدم هذه الدراسات عينات من قطاعات مختلفة وتقارن بينها وفقًا لمعايير

معينة مرتبطة بموضوع الدراسة؛ كإجراء دراسة على عمال في ثلاثة قطاعات مختلفة من الصناعات الثقيلة لتحديد الفروق بين أوضاع العمل وأجرة العامل، أو دراسة معايير القبول في الكليات الطبية لثلاث جامعات، أو دراسة معايير الأداء لرجال الشرطة في منطقة حضرية وأخرى ريفية. وتهدف الدراسات المقطعية إلى تحديد الفروق بين قطاعات الدراسة، وقد تولد هذه الدراسات بيانات تسمح بإثبات علاقات سببية.

4.2 دراسات الاتجاه

تشبه هذه الدراسات نظيرتها دراسات الجزء من حيث إنها تنفذ في أوقات مختلفة، لكنها تختلف عنها لأنها لا تستخدم العينة نفسها وإنما عينات مختلفة. وهذان النوعان متشابهان من حيث البنية والمنهجية. وما ذكرناه عن دراسات الجزء ينطبق أيضًا على دراسات الاتجاه.

مثلًا، قد يهتم باحث بتحديد المعايير التي يعتبرها الشباب مهمة في اختيار أزواجهم في المستقبل، وما إذا كانت هذه المعايير تتغير مع مرور الزمن. ولمعالجة هذه القضايا، قد يختار الباحث عينة كبيرة من الذكور والإناث الشباب ويجمع منهم البيانات. وبعد عشر سنوات، قد يعيد الباحث الدراسة نفسها وينفذها على عينة جديدة من الذكور والإناث، ثم يقارن نتائج البيانات في الحالتين.

هناك مزايا عدة لاستخدام عينات مختلفة في دراسات الاتجاه. أولًا، تتجنب هذه الدراسات مشكلة فقدان أفراد الدراسة والتأقلم مع أوضاع الدراسة وغيرها من الصعوبات التي ترتبط بدراسات الجزء. كما أن اختيار أفراد العينة أسهل وأقل تكلفة، وعلى الرغم من ذلك، هناك بعض العيوب لهذه الطريقة خصوصًا في ما يتعلق بالتشابه بين مجتمعات الدراسة، والتشابه بين العينات، والاستمرارية في تطبيق الطرائق، وتحديد العلاقة السببية. ومن الجدير بالملاحظة أنه عندما نحتاج إلى المقارنة بين المجموعات عبر الزمن ستكون دراسات الاتجاه هي الخيار الصحيح. ففي المثال السابق، لو استخدمنا واحدةً من دراسات الجزء لكان ذلك غير ملائم تمامًا، لأن استخدام العينة نفسها في المرحلتين المختلفتين لن يجيب

عن كيفية اختيار الشباب أزواجهم، ففي الوقت الذي سيعاد فيه تطبيق الدراسة لن يكون الشباب شبابًا كما كانوا في المرحلة الأولى.

5.2 ما المشكلة في دراسات الجزء؟

ترتبط طبيعة هذه الدراسات بمشكلات عدة ينبغي للباحث أن يأخذها في الحسبان. وتنبع هذه المشكلات من كثافة الدراسة التي تفترض بقاء الأفراد فيها لفترة طويلة وموافقتهم على المشاركة في الدراسة أكثر من مرة. ويبين لنا الإطار 5.8 بعض المشكلات التي تسترعي الانتباه[12].

مع ذلك، تظل هذه الطرائق مفيدة وكثيرة الاستعمال في الصناعة والدراسات الأسرية والصناعات الخدمية والدراسات النفسية والاجتماعية. كما أن معرفة عيوب هذه الطرائق ومحاولة عزل تأثيرها في البحث ترفعان من قيمتها وفائدتها في البحوث الاجتماعية.

الإطار 5.8

مشكلات دراسات الجزء

يعاني الباحثون الذين يستخدمون دراسات الجزء الصعوبات التالية:

- إقناع أفراد العينة بالمشاركة في الدراسة.
- المحافظة على بنية التجربة ومعاييرها في كل مرحلة.
- تجنب انسحاب أفراد الدراسة أو تقليل ذلك إلى الحد الأدنى.
- الوفيات والهجرة وتغيير أماكن السكن.
- التأقلم مع أحوال الدراسة، حيث يصبح أفراد الدراسة مهتمين بالدراسة تدريجًا فيتعلمون المزيد عنها، ما قد يؤدي إلى تشويه في النتائج.

---

(12) انظر على سبيل المثال: K. D. Bailey, *Methods of Social Research* (New York: Free Press, 1982); L. Stergios, *Theory Construction and Social Research* [In Greek] (Athens: Selbstverlag, 1991).

ثالثًا: مجموعات التركيز

1.3 مقدمة

يمكن وصف البحث بطريقة مجموعة التركيز على أفضل وجه بالقول إنّه عبارة عن مناقشة غير منظمة مع مجموعة من الناس جُمعوا لهذا الغرض، يقودها الباحث الذي يخاطب الأفراد كمجموعة. وتسمى هذه الطريقة أحيانًا «مقابلة مجموعة التركيز» بسبب استخدام المقابلة فيها[13]. ولأنها تتعامل مع المجموعة كلها وليس مع الأفراد، فإنها تسمى طريقة النقاش الجماعي[14]. ويمكن اعتبار مجموعات التركيز دراسات متعددة العينات لأنها تتضمن عادة أكثر من مجموعة، وتشكل كل مجموعة عينة منفصلة.

تقتضي هذه الطريقة في تطبيقها الشائع ما يلي: **أولًا**: اختيار مجموعة من الناس من ذوي الاهتمام المشترك أو الخبرة المشتركة أو الموقع المشترك في المجتمع، **ثانيًا**: تشكيل المجموعة بجمع أفرادها في مكان معين، **ثالثًا**: تقديم الباحث لموضوع النقاش، حيث يقوم الباحث بدور القائد والحكم، **رابعًا**: توجيه المناقشة لمعالجة موضوع البحث، **خامسًا**: تشجيع المناقشة بين أفراد المجموعة بدلًا من حصرها بينهم وبين الباحث، **سادسًا**: ملاحظة المناقشة وتسجيلها. ويُعد التركيز على النقاش بين أفراد المجموعة حيث يقوم الباحث بدور الموجه والمراقب (وليس دور المقابل) جوهر هذه الطريقة، وهو ما يميزها من المقابلة الجماعية.

كان كورت لوين هو الذي طور هذه الطريقة في الولايات المتحدة الأميركية في سياق التجارب على المجموعات الصغيرة، ثم اتسع نطاقها في ما بعد ليشمل البحث في السوق واستطلاعات الرأي. تُستخدم هذه الطريقة حاليًا في أربعة مجالات مستقلة: مجال الدراسات الأولية (البحث القبليّ) التي تؤدي إلى بحث

---

(13) B. L. Berg, *Qualitative Research Methods for Social Sciences* (Boston and London: Allyn and Bacon, 1995).

(14) H. Krüger, «Gruppendiskussion. Überlegungen zur Rekonstruktion sozialer Wirklichkeit aus der Sicht der Betroffenen,» *Soziale Welt*, vol. 34 (1983).

كمي؛ وبوصفها طريقة بحث رئيسة ومستقلّة؛ وبوصفها طريقة مكملة (بحث بعديّ)؛ وكجزء من دراسة متعددة الطرائق[15].

تظهر طريقة مجموعات التركيز في شكلين: الشكل غير المنظم أو شبه المنظم والشكل المنظم اللذان يستخدمهما البحث النوعي والبحث الكمي على التوالي[16]. وتشير التقارير إلى الزيادة المستمرة في استخدام هذه الطريقة[17].

2.3 أغراض مجموعات التركيز

تختلف هذه الطريقة وفقًا لعوامل عدة، خصوصًا أنموذجها الإرشادي. وتظهر في البحوث الكمية في أشكال عدة. فإذا استُخدمت كطريقة قبلية يمكن أن تساعد في إعداد الدراسة الأساسية، بتوفير معلومات كافية عن موضوع البحث وعن تحديد الدراسة إجرائيًا بتعريف المؤشرات، وعن منع حدوث بعض الأخطاء المحتملة. وإذا كانت هي الدراسة الأساسية، فإنها توفر معلومات عن عمليات المجموعة والمشاعر التلقائية وأسباب الاتجاهات والسلوك وتفسيراتها، شأنها شأن أي طريقة أخرى. أما إذا استخدمت بوصفها طريقة بحث بعدية، فهي تفسر الاتجاهات والتباينات والأسباب والعلل والمواقف والآراء[18].

وفي شكل آخر لها، تُستخدم مجموعات التركيز لإحداث تغييرات في المجموعة وأفرادها نتيجة لتوجيه المناقشة وكثافتها. كما أنها تستطيع أن توفر معلومات قيمة عن عمليات المجموعة وتغيرات الاتجاه، ومواقف أفراد المجموعة أو آراء المجموعة ذاتها أو آراء الجمهور، وفاعلية طرائق معينة وغير

(15) E. F. McQuarrie, *The Market Research Toolbox: A Concise Guide for Beginners* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1996); D. L. Morgan, *Focus Groups as Qualitative Research* (Newbury Park, Calif.: Sage, 1997).

(16) D. W. Stewart and P. N. Shamdasani, *Focus Groups: Theory and Practice* (Newbury Park, Calif.: Sage, 1990).

(17) D. L. Morgan, «Focus Groups,» in: J. Hagan and K. S. Cook, eds., *Annual Review of Sociology*, vol. 22 (Palo Alto, Calif.: Annual Reviews, 1996).

(18) M. Dreher and E. Dreher, «Gruppendiscussionverfahren,» in: U. Flick et al., eds., *Handbuch Qualitative Sozialforschung* (Munich: Psychologie Verlags Union, 1991); J. Mariner, *Anwendung von Gruppendiscussion in Soziologie* (Munich: Blasaditch, 1986).

ذلك. كما أنها تمكّن من اختبار استراتيجيات المجموعة في حل المشكلات[19]. أخيرًا، تستطيع دراسة مجموعات التركيز توليد تنوع واختلاف داخل المجموعات أو في ما بينها، وبذلك تكشف عن الطبيعة الإشكالية للمناقشات اليومية[20].

بشكل عام، لا تهدف هذه الطريقة إلى تحليل المجموعة بل إلى توفير إطار يسهل المناقشة الجماعية والتفكير في حلول عدة وتحديد آلية تكوين الآراء. وفي سياق المجموعة، يتوقع بوساطة الإثارة المتبادلة أن تعمل البيئة الجماعية على تشجيع النقاش وزيادة الدافعية لمعالجة قضايا حرجة، وتمكين موجه المجموعة من توجيه النقاش نحو نقاط مركزية وقضايا رئيسة، والسماح بعرض وجهات نظر مهمة بشكل حقيقي وانفعالي وموجز كعبارات تلقائية (وبعبارة أخرى، توفير فرصة لعرض الآراء الشخصية بشكل منظم). وبهذه الطريقة، يمكن جمع معلومات مهمة في وقت قصير نسبيًا.

في إطار البحث النوعي، توفر المناقشة الجماعية فرصة لتكوين المعاني في أثناء تفاعل المشاركين بعضهم مع بعض ضمن المجموعة الواحدة، والاطلاع على عمق تلك المعاني وطرائق التفاوض عليها بين أفراد المجموعة. ويتوقع حدوث ذلك عندما: **أولًا**، يقوم أفراد المجموعة بتناول القضايا التي يطرحها الباحث أو أحد الأعضاء ووصفها وتفسيرها، **وثانيًا**: عندما يقارنون بين وجهات نظر مختلفة، **وثالثًا**: عندما يقيمون وجهات النظر ومخرجات المناقشة والآراء الملائمة، **ورابعًا**: عندما يتخذون قرارات ويخرجون باستنتاجات أو يعرضون وجهات نظر بديلة في محاولتهم التوصل إلى إجماع ممكن.

3.3 عملية المناقشة

وُصفت عملية إجراء مناقشة جماعية بطرائق عدة. يُعد التنوع طبيعة الأنموذج الإرشادي الأساس على الرغم من أن طبيعة الموضوع تقوم بدورٍ في هذا السياق.

(19) U. Flick, *An Introduction to Qualitative Research* (London: Sage, 1998).

(20) P. Lunt and S. Livingstone, «Rethinking the Focus Group in Media and Communications Research,» *Journal of Communication*, vol. 46 (1996), p. 96.

وأشار بعض الباحثين مثل موتشيلي[21] إلى وجود ثلاث خطوات رئيسة لإجراء مناقشة جماعية: الإحماء، المواجهة، ثم الاسترخاء، بينما يذكر آخرون ست خطوات أو أكثر. ويحدد لامنك[22] الخطوات كما يلي: أن تكون غريبًا، التعريف، التكييف، الألفة، التوافق، الخروج من المناقشة.

بشكل عام، تظهر المناقشة الجماعية كطريقة لجمع البيانات بطريقة موازية لتلك المستعملة في نماذج البحث الاجتماعي الأخرى. ومع ذلك هناك بعض النقاط التي تميز هذا الأنموذج[23]. وفي ما يلي بعضها:

- اختيار المجموعة: تختلف عملية اختيار المجموعات اختلافًا ملحوظًا. ففي بعض الحالات تُختار مجموعات طبيعية، وفي حالات أخرى تشكل المجموعات باختيار الأفراد الملائمين. وهناك مبادئ نظرية توجه عملية اختيار المشاركين. على الرغم من استخدام الاختيار المنظم فإن الباحث كثيرًا ما يختار المشاركين بناء على خبراتهم وصفاتهم الاجتماعية، وتكون المجموعة أحيانًا متجانسة أو متنوعة وفقًا لهدف الدراسة.

يكون حجم المجموعة كبيرًا عادة ليوفر أساسًا لمناقشة معقولة وليسمح بالاتصال الشخصي بين المشاركين، لكن يجب ألا يكون حجم المجموعة كبيرًا جدًا حيث يجعل عملية الاتصال بين المشاركين صعبة. من الناحية العملية، يراوح حجم المجموعة بين خمسة وعشرة أفراد، لكن كثيرًا ما يكون حجم المجموعة مختلفًا عن هذا المعدل اختلافًا ملحوظًا. كذلك فإن عدد المجموعات في الدراسة يختلف وفقًا لأنموذج البحث وطبيعة الموضوع وهدف الدراسة، وما إذا كانت المجموعات ستُدرس بشكل متزامن باستخدام أكثر من مساعد بحث، أو تُدرس واحدة بعد الأخرى. في الواقع فإن عدد المجموعات في الدراسة قد يراوح بين عشرة وخمسين.

---

(21) R. Mucchielli, *Das Gruppeninterview: Theoretische Einführung* (Salzburg: Müller, 1973).

(22) Lamnek, *Qualitative Sozialforschung.*

(23) انظر: Berger, Wolf and Ullmann, eds., *Handbuch der Sozialistischen Forschung*, pp. 339-344; Dreher and Dreher, «Gruppendiscussionverfahren,» pp. 186-188; U. Flick et al., eds., *Handbuch Qualitative Sozialforschung.* (Munich: Psychologie Verlags Union, 1991).

- **إدخال مناقشة موجهة نحو هدف**: تبدأ المناقشة عادة بنقاط عامة لتعريف المشاركين في المجموعة بعضهم إلى بعض، ثم يُطرح سؤال مثير للنقاش يتعلق بموضوع البحث. ويتدخّل قائد المجموعة عندما يستدعي النقاش ذلك، حيث يوجه النقاش نحو موضوع البحث ويحافظ على متعة النقاش وتوازنه، ويؤمن مشاركة جميع أفراد المجموعة في الحوار. وتعتمد كيفية تقدم النقاش بين أفراد المجموعة على طبيعة الأنموذج الإرشادي الأساس. فمثلًا، يتوقع الباحثون الكميون الالتزام بالموضوعية والمحافظة على مسافة معينة مع أفراد المجموعة، واتباع إجراءات موحدة ودقيقة. أما الباحثون النوعيون فلا يعيرون هذه القضايا إلا القليل من الاهتمام أحيانًا.

لا بد من أن تكون البيئة التي يجري فيها النقاش محفزة على إجراء حوار مثير ومريح بعيدًا من الإزعاج. ويجب إعداد الغرف بطريقة لا تتأثر فيها بالضجيج أو أي مصدر إزعاج آخر، وبشكل يسهّل الاتصال البصري بين المشاركين.

- **توجيه المناقشة**: يقوم قائد المجموعة بتوجيه النقاش وفقًا لمتطلبات الموقف. فمثلًا يمكن تسريع المناقشة التي تبدأ ببطء بطرح أسئلة إضافية أو أفكار منشطة للنقاش. ويمكن أيضًا تشجيع الأفراد الذين يميلون إلى عدم الكلام على المشاركة في الحوار، كما يمكن ضبط الأفراد الذين يميلون إلى السيطرة على الحوار. ومن العوامل التي توجد بيئة متزنة تحفز النقاش الجماعي ما يلي: الدافعية، التشجيع، الإثارة، الضبط. وتعتمد طبيعة الآليات المستخدمة لتحقيق مناقشة عادلة متوازنة على طبيعة الأنموذج النظري للدراسة.

4.3 القائد

يحتل القائد دورًا مركزيًا في المناقشة الجماعية، ويتمثل دوره في تسهيل الحوار بدلًا من ممارسة دور الضابط. يعتمد مدى تحقيق هذه الطريقة لهدفها على سياق البحث إلى حد كبير، وضمن هذه المعايير تؤدي نوعية القائد دورًا مهمًا. ويُتوقع من القائد أن يتصف بالسمات المذكورة في الإطار 6.8.

يعتمد دور القائد على عوامل مثل: موضوع البحث وطبيعة المجموعة والأنموذج النظري الأساس.

الإطار 6.8

صفات المُيَسِّر

يفترض بالميسّر أن يتمتع بـ:

- معرفة نظرية ومنهجية كافية حول موضوع البحث وقدره عقلية عامة.
- خبرة في العمل مع مجموعات وقدرة على توجيه الحوار بفاعلية.
- قدرة على إيجاد بيئة تشجع على المشاركة وقدرة على ضبط المشاركين والمحافظة على سير الحوار في الاتجاه الصحيح.
- صفات قيادية.
- قدرة على تطوير مناخ ودي بين أفراد المجموعة.

5.3 التسجيل

هناك طرائق عدة لتدوين البيانات التي تنتج من المناقشة الجماعية. ويُعد التسجيل الإلكتروني أكثرها شيوعًا. ولهذه الطريقة مزايا واضحة، لكنها قد تؤثر في استعداد بعض الأفراد للتكلم، كما أنها تتطلب وقتًا أطول لمشاهدتها والاستماع إلى أشرطة التسجيل أو تفريغها بشكل مكتوب. وقد يكون التسجيل اليدوي بديلًا من الإلكتروني، إلا أنه مقيد بالصعوبة الذاتية للتعامل مع المناقشات المكثفة متعددة الجوانب. ويمكن التغلب على هذه الصعوبة باستخدام قائدين للمجموعة يتناوبان على تسجيل الملاحظات أو يقوم أحدهما بتسجيل البيانات بينما يعمل الآخر على إدارة الحوار.

تعتمد طبيعة التسجيل ومحتواه على طبيعة الدراسة والمصادر المتاحة وطبيعة المعلومات المتوقعة. فقد تكون البيانات في سياق معين بيانات كمية ومقننة، وقد تكون نوعية تصف السلوك والسياق معًا، في سياقات أخرى.

6.3 محددات مجموعات التركيز

تعتمد قيمة مجموعات التركيز كطريقة لدراسة المناقشة الجماعية على «المجموعة» و«القائد»، وتاليًا فإن النجاح يعتمد على هذين العاملين. لذلك من

المفهوم أن صعوبات هذه الطريقة المذكورة في أدبيات الدراسة ترتبط حصرًا بهذين العاملين[24]، وتتمثل هذه المشكلات بما يلي:

عيوب مجموعات التركيز

- إن كون الفرد في مجموعة قد يدفعه إلى إخفاء رأيه الحقيقي، خصوصًا إذا كانت لآرائه آثار في حياته الخاصة أو مهنته.
- قد يكون تسجيل البيانات صعبًا ويثير بعض الشكوك.
- إن سيطرة أحد الأفراد على المناقشة قد يؤثر في اتجاه الحوار ومخرجاته.
- قد لا يشارك بعض الأفراد في الحوار.
- قد تكون هناك محاولات لمجاملة القائد لأسباب كثيرة (للتخلص من الموضوع أو لإرضاء القائد الذي يحتل مركزًا مهمًا في حياة أفراد المجموعة من الناحية الشخصية أو السياسية أو المهنية).
- قد تكون هناك صعوبات في المحافظة على سير الحوار بالشكل الصحيح.
- قد يكون لدى أفراد المجموعة أسباب لتشكيل جبهة ضد القائد وخداعه.
- قد لا تكون النتائج ممثلة.

على الرغم من أن هذه النقاط مهمة ومشروعة في سياقها، يجب أن يُنظر إليها كأمور تذكّر بالميادين التي «تفشل» فيها مجموعات التركيز، لكنها لا تقلل من جودة هذه الطريقة. يستطيع الباحث الجيد ترتيب السياق وعملية الحوار حيث يمنع وقوع أي مشكلة أو خلل.

7.3 مجموعات التركيز والبحث النسوي

يتقبل معظم الباحثين النسويين أنواع البحوث التي تستخدم الأنموذج النوعي، والتي تسمح بتحليلها تحليلًا نسويًا. وبهذا المعنى، تكون مجموعات

---

(24) Berger, Wolf and Ullmann, Ibid., pp. 339-344; Dreher and Dreher, Ibid., pp. 186-188; Flick et al., Ibid.; W. Mahr, *Politische Struktur der Sozialforschung* (Leipzig: Selbstverlag, 1995); X. Puris, *The Complexity of Research Measure* [in Greek] (Paris: Ajax, 1995).

التركيز أداة للبحث ملائمة جدًا. ويمكن أن تكون هذه الطريقة مفيدة للمجموعات النسوية كلها، مع بعض الاستثناءات. ويستطيع الباحثون النسويون التجريبيون استخدام هذه الطريقة بفاعلية، لكن عددًا كبيرًا من ميزاتها ينسجم مع المنهجية النوعية. وتشمل هذه الميزات، **أولًا**: إمكان دراسة المرأة في بيئتها الطبيعية، **وثانيًا**: العلاقة الوثيقة بين الباحث والبحث، **وثالثًا**: دور الباحث كميسر لا كضابط، وهذا يعني عدم وجود بنية هيكلية، **ورابعًا**: إمكان طرح المشاركين آراءهم ومناقشتها بين بعضهم بعضًا ليسمعها الآخرون، **وخامسًا**: إمكان مناقشة العمليات والمعاني الجماعية في سياقها.

نقاط أساسية

- تستخدم الدراسات أحيانًا أكثر من عينة واحدة، في مرحلة البحث نفسها أو في مراحل مختلفة.
- التجارب ودراسات الجزء ومجموعات التركيز أمثلة على الدراسات متعددة العينات.
- تقيس التجارب الآثار التي يتركها مثير ما في فرد معين في بيئة منظمة أو منضبطة.
- يتم اختيار العينة في التجارب عشوائيًا أو بحسب تكافؤ الأفراد أو تكافؤ المجموعات.
- تتبع التجارب مجموعة من الخطوات. وفي الوضع المثالي تتضمن التجارب اختبارًا قبليًا واختبارًا بعديًا، وهناك تصاميم تجريبية متعددة.
- هناك تجارب مخبرية واجتماعية وميدانية.
- يعتمد صدق التجارب على عدد من العوامل مثل النضج، والتأقلم وأدوات البحث وأثر التاريخ والتغيرات في العينات والتفاعل وطرائق اختيار العينات والبيئة والنمذجة وتأثير هاوثورن.
- تستخدم الدراسات الطولية أكثر من عينة في الدراسة نفسها.
- تُعد دراسات الجزء ودراسات الاتجاهات من الأمثلة الشائعة على الدراسات الطولية.

▪ تسهل مجموعات التركيز جمع البيانات بالمناقشة الجماعية.

إلى أين؟

قبل أن تترك هذا الفصل، لا بد لك من أن تزور الموقع المرافق للطبعة الثالثة من كتاب **البحث الاجتماعي**: http://www.palgrave.com/sociology/sarantakos لتراجع المفاهيم الأساسية في هذا الفصل وتختبر نفسك في القضايا الرئيسة التي ناقشناها.

قراءات إضافية

Books

Boniface, D. R. *Experiment Design and Statistical Methods for Behavioural and Social Research*. London: Chapman and Hall, 1995.

Boruch, R. *Randomized Experiments for Planning and Evaluation: A Practical Guide*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1997.

Bullock, R. *Research in Practice: Experiments in Development and Information Design*. Sydney: Ashgate, 1998.

Cobb, G. W. *Introduction to Design and Analysis in Experiments*. Emeryville, Calif.: Key College, 2002.

Collins, C. A. *Statistical Experiment Design and Integration: An Introduction with Agricultural Examples*. New York: Wiley, 1999.

Galavotti, M. C. *Observation and Experiment in the Natural and Social Sciences*. Boston: Kluwer Academic, 2003.

Gooding, D. *Experiments and the Making of Meaning: Human Agency in Scientific Observation and Experiment*. Boston: Kluwer Academic, 1990.

Krüger, R. A. *Moderating Focus Groups*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1998.

Krüger, R. A. and M. A. Casey. *Focus Groups: A practical Guide for Applied Research*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1998.

Menard, S. *Longitudinal Research*. Newbury Park, Calif.: Sage, 1991.

Morgan, D. L. *Planning Focus Groups*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1998.

Orr, L.L. *Social Experiments: Evaluating Public Programs with Experimental Methods*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1999.

Patzer, G. L. *Experiment-research Methodology in Marketing: Types and Application*. Westport, Conn.: Quorum, 1996.

Robson, C. *Experiment, Design and Statistics in Psychology*. Harmondsworth, Middlesex: Penguin, 1994.

Spinello, R. A. *Case Studies in Information Technology Ethics*. Upper Saddle River, N. J.: Prentice-Hall, 2003.

Travers, M. *Qualitative Research through Case Studies*. London: Sage, 2001.

Yin, R. K. *Case Study Research: Design and Methods*. 3rd ed. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 2003.

Periodical

Wilkinson, S. «Focus Groups: A Feminist Method.» *Psychology of Women Quarterly*, vol. 23, 1999.

الفصل التاسع

البحث الميداني

هذا الفصل

- يُعنى بإجراء البحوث في الميدان.
- يشرح ميزات البحوث الميدانية الرئيسة.
- يناقش طبيعة البحث الإثنوغرافي وتصميمه.
- يقدم مناقشة موجزة لدراسات الحالة.

العناوين الرئيسة

مقدمة

1. البحث الميداني
2. البحث الإثنوغرافي
3. دراسات الحالة

نقاط أساسية

إلى أين؟

قراءات إضافية

مقدمة

تشترك الطرائق التي ذُكرت في هذا الفصل في كونها دراسات ميدانية، وبذلك فهي تهتم بالسياق الطبيعي والمعلومات المباشرة، إضافةً إلى كونها مقاربة منهجية نوعية. وهذا هو السبب الذي لم يجعلها مألوفة ومنتشرة لدى الباحثين الاجتماعيين إلا بعد أن رسخت قواعد المنهجية النوعية في العلوم الاجتماعية، على الرغم من أنها استُخدمت لمدة من الزمن من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية وعلماء الأجناس البشرية.

الطرائق التي سنعرضها في هذا الفصل هي البحث الميداني والبحث الإثنوغرافي ودراسات الحالة. وتسمى هذه الطرائق الطرائق «الطبيعية» في البحث أحيانًا، والطرائق «قليلة التقييد» أحيانًا أخرى. ويختلف الباحثون في آرائهم عن طبيعة هذه الطرائق وعن الفرق بين البحث الميداني والبحث الإثنوغرافي. وفي أي حال، سنركز في عرضنا لهذه الطرائق على طبيعتها وأهدافها، وسنبدأ بالبحث الميداني.

أولًا: البحث الميداني

1.1 مقدمة

البحث الميداني دراسة منظمة لحوادث وأنواع نشاط عادية كما تحدث في الأوضاع الحياتية الفعلية. وهو استقصاء طبيعي يحدث في «الميدان»، أي في سياق طبيعي غير مصطنع بهدف إجراء الدراسة[1]. وهو أيضًا دراسة شبه طولية

(1) Y. S. Lincoln and E. G. Guba, *Naturalistic Inquiry* (Beverley Hills, Calif.: Sage, 1985).

لأنه يستغرق وقتًا طويلًا لإنجازه، كما أنه بحث مرن لأن تصميمه يسمح بإجراء تغييرات في أثناء إجراء البحث(2).

يهدف البحث الميداني إلى استطلاع أوضاع حياتية فعلية وأنماط سلوكية وأسباب التفاعل الاجتماعي، وبصورة أخصّ إلى مشاهدة الحياة بعين أولئك الذين يعيشون في الميدان ومنظورهم. ويستخدم الباحثون الميدانيون طرائق مختلفة ومتنوعة، وأكثرها شيوعًا التفاعلات والملاحظات المنظمة والمقابلات شبه المنظمة أو المنظمة.

في بعض السياقات، يشكل البحث الميداني دراسة استطلاعية للدراسات النوعية. والأهم من ذلك استخدام البحث الميداني باعتباره دراسة رئيسة، حيث يمكن أن تكون دراسة وصفية أو دراسة لاختبار فرضيات أو نظريات. والبحث الميداني ليس مجرد مجموعة طرائق لجمع البيانات فحسب، بل هو أيضًا أنموذج يستخدم عددًا من أساليب جمع البيانات وتحليلها.

2.1 أنواع البحث الميداني

هناك أنواع عدة من البحث الميداني. وفي الحقيقة، فإن كل دراسة تجرى في أوضاع طبيعية تُعد بحثًا ميدانيًا، شريطة أن تكون قد أجريت بطريقة معينة. وعلى أي حال، هناك دراسات ميدانية تُجرى بشكل محدد وتستحق أن تُعد أنواعًا مستقلة من البحوث. وسنناقش في هذا الفصل نوعين في الأقل من أنواع البحوث الميدانية: **الخصوصية والكلّية**، حيث يشكل هذان النوعان طرفي نقيض في البحوث الميدانية.

- **البحث الميداني الخصوصي**: يركز هذا النوع من البحوث على القضايا والأوضاع الاجتماعية بهدف فهم بنيتها وعملياتها ومخرجاتها كما تحدث في سلوك أفراد الدراسة، لكن من دون الإشارة إلى سياقات عامة كالثقافة مثلًا. ويعتبر

(2) R. G. Burgess, *Field Research: A Sourcebook and Field Manual* (London: Allen & Unwin, 1982).

الباحث سلوك الأفراد استجابتهم لبيئاتهم المباشرة وليس تعبيرًا ثقافيًا. ومثال على هذا النوع من البحث الميداني الخصوصي عندما يلتحق الباحث بمدرسة ابتدائية كمعلم مساعد ليدرس كيف يتعامل المعلمون والمعلمات مع قضايا الجندر اليومية في صفوفهم. والسؤال هنا عما إذا كانت المعلمات أكثر أو أقل تحيزًا جندريًا من المعلمين الذكور.

الإطار 1.9

أهم معايير البحث الميداني

إن البحث الميداني:

- دراسة منظمة للحوادث وضروب النشاط التي تحدث في سياقات طبيعية.
- دراسة طولية لأنها تستغرق وقتًا طويلًا.
- يستخدم تصميم بحث مرنًا يسمح بإجراء تغييرات حينما يتطلب الأمر ذلك.
- يهدف إلى دراسة أوضاع حياتية حقيقية والعوامل التي تؤثر فيها.
- يحاول فهم الحياة من منظور الناس.
- يستخدم عددًا من طرائق جمع البيانات وتحليلها.
- قد يشكل خطوة في البحث الكمي لكنه بحث مستقل في معظم الأحيان.
- يستخدم المنهج النوعي في البحث.
- خصوصيّ، عندما يدرس بعض جوانب الحياة الاجتماعية.
- كلّي، عندما يدرس ثقافات كاملة.

- **البحث الميداني الكلّي**: يركز هذا البحث على الثقافات باعتبارها كيانات كاملة ويدرس بنية الثقافة وخصائصها ويقارن ثقافة بأخرى. وقد يركز على ثقافات بدائية ما زالت قائمة وموجودة في المجتمعات الحديثة بشكل أو بآخر. وقد يدرس هذا البحث أيضًا الثقافات المعاصرة والثقافات الفرعية ويقارن بعضها ببعض. يهتم البحث الميداني الكلّي بالثقافات ككيانات وقد لا ينظر إلى أجزاء الثقافة بالضرورة. ومثال ذلك دراسة الأقلية التركية في فيينا (النمسا) حيث تعكس

ثقافتها العناصر الأساسية للثقافة التركية في سياق أوروبي، ومعاييرها الأساسية في ما يتعلق بالمؤسسات والدين والأسرة والانتماء، ودور الرجل والمرأة، وطريقة التعامل مع الضغوط الخارجية التي تفرضها الثقافة المضيفة. فالتركيز هنا ليس على الأفراد بل على ثقافة الأتراك التي تُعدّ، في بعض جوانبها، أكثر محافظة وتقليدًا مما هي عليه في تركيا.

- **النماذج المختلطة:** عبر السنوات الثلاثين الماضية حدثت محاولات ناجحة لدمج هذين الأنموذجين للبحث معًا، وذلك بتوسيع إطار البحث الميداني الخصوصي حيث يشتمل على بعض عناصر المنهج الكلّي من حيث النظرية والتصميم. وعلى الرغم من أن التركيز في معظم الحالات يبقى نفسه (جوانب من الحياة الاجتماعية) إلا أن التفسيرات تتم في سياق ثقافي. وأصبحت هذه المعاملة السياقية لجوانب الحياة الاجتماعية هي السائدة في كثير من النماذج الإرشادية البحثية، إلى الحد الذي أصبحت فيه ميزة من ميزات البحث النوعي بشكل عام (مع العلم أن الوضع ليس كذلك دائمًا). وفي ما يتعلق بالبحث الميداني، استخدم الباحثون في القضايا النسوية مفهوم السياق استخدامًا ناجحًا لتبيان أنّ كثيرًا من قضايا الجندر يرتكز على توصيفات ومعايير ثقافية، وتُعتبر هذه القضايا «صحيحة» و«عادية» على هذا الأساس.

من أجل التبسيط في هذا الفصل، سنعرض لموضوع البحث الميداني الخصوصي تحت اسمه الشائع «البحث الميداني»، وسنعرض للبحث الميداني الكلّي تحت اسم «البحث الإثنوغرافي».

3.1 تصميم البحث الميداني

يختلف تصميم الدراسات الميدانية باختلاف الأنموذج النظري أو الإرشادي الذي يرتكز عليه البحث. ففي الأنموذج الكمي يكون التصميم جامدًا وصارمًا بينما يكون منفتحًا ومرنًا في الأنموذج النوعي. تنطبق خصائص التصميم التي نوقشت سابقًا أيضًا على هذا الأنموذج، وباختصار فإن خطوات البحث الميداني الأساسية تتلخص في ما يلي:

الخطوة 1 الموضوع والمنهجية

في هذه المرحلة، يحدد الباحث موضوع دراسته والمنهجية التي سيتبعها في بحثه.

الخطوة 2 تحديد موضوع البحث منهجيًا

عندما يستخدم الباحث الطريقة الكمية يجب أن يكون الموضوع معرّفًا بوضوح، ومختزلًا، ومحددًا إجرائيًا إلى حد معين، أما في البحث النوعي فلا ضرورة لهذا التحديد والدقة، حيث يكون الموضوع عامًا ومرنًا.

الخطوة 3 اختيار العينة

تُحدد العينة في البحث الكمي قبل الشروع في الدراسة، أما في البحث النوعي فتبقى العينة مفتوحة جزئيًا لتُستكمل في أثناء الدراسة.

الخطوة 4 جمع البيانات

تُجمع البيانات في البحث الكمي كما هو محدد في تصميم البحث، أما في البحث النوعي فتكون العملية أقل ضبطًا وأكثر مرونة. وفي ما يلي وصف مختصر لما يجري عادة في هذه المرحلة من مراحل البحث.

- **الدخول إلى ميدان البحث**: يتخذ الباحث الخطوة الأولى بدخول ميدان البحث. وهذا ما يسمى في البحث النوعي «بالاندماج مع المجتمع». ومن المهمات الضرورية التي يجب أن تنجز في هذه المرحلة: الدخول إلى ميدان البحث وتحقيق القبول من أفراد الدراسة وتحديد بيئة البحث وتعريفها، وبناء علاقات واتصالات مع أفراد الدراسة. لا يُعد دخول الميدان عادة خطوة صعبة، لكن ثمة حالات يكون فيها الاندماج مع أفراد الدراسة صعبًا أو مستحيلًا. ومن المهمات الضرورية أيضًا في هذه المرحلة: تحديد الشخصيات المهمة في أفراد الدراسة، ومناقشة طريقة الدخول إلى مجتمع الدراسة، واختيار طرائق التواصل والاندماج مع المجموعة.

▪ **جمع البيانات:** تبدأ عملية جمع البيانات باستطلاع لتحديد بعض القضايا المتعلقة بموضوع البحث ووصفها. وقد تتضمن هذه العملية أيضًا شيئًا من التحليل وتقويم النتائج. وتُجمع البيانات ويُجرى التحليل وفقًا للأنموذج النوعي، لكن العملية قد تشتمل على بعض الإجراءات والحسابات وفقًا للأنموذج الكمي.

يقتضي جمع البيانات ملاحظة السياق والناس وسلوكهم. وقد يشتمل بصورة أدقّ على ملاحظة جوانب متعددة مثل الأمور المحيطة بأفراد الدراسة وبنية الأسرة ومحتويات البيوت والألوان ودرجة الحرارة وحالة الطقس. وتشتمل الملاحظة أيضًا على ملاحظة طبيعة المبحوثين وأنماطهم، وأعمارهم والعِرق الذي ينتمون إليه، والجندر والحالة الاجتماعية، والعلاقات والاتجاهات نحو موضوع البحث. وعلاوة على ذلك، يتعلق جمع البيانات بمحتوى الكلام وسياقه وبالتواصل، بما في ذلك التواصل اللفظي ولغة الجسد والتعابير الانفعالية. وقد يتضمن جمع البيانات أيضًا مقابلات وتفاعلات مباشرة وجهًا لوجه، ما يؤدي إلى جمع بيانات متنوعة. وبشكل عامٍ، يؤدي جمع البيانات إلى توفير معلومات ثرية، أو وصف مفصل، ويُرَتَّب كلُّ ذلك على نحوٍ يسهل التعامل معه.

▪ **تدوين الملاحظات:** تحول الملاحظات والاتصالات والتفاعلات إلى ملاحظات مكتوبة منظمة لاستخدامها في المستقبل. وتتعلق هذه الملاحظات بجميع خبرات الباحث اليومية وعمليات الرصد والملاحظة التي قام بها والمحادثات التي أجراها، إضافة إلى أفكاره وانطباعاته. وتخزن المعلومات مكتوبة على ورق أو بطريقة إلكترونية. وقد ترتب هذه المعلومات ترتيبًا زمنيًا منذ بدايتها إلى نهايتها (متسلسلة زمنيًا)، أو وفقًا لمحتواها (ملفات محتوى). تشتمل الملفات المرتبة زمنيًا على البيانات التي جُمعت منذ بداية الملاحظات والمقابلات مع أفراد الدراسة وتستمر تدريجًا إلى نهاية الدراسة. أما ملفات المحتوى فمرتبة وفقًا للمفاهيم الأساسية فيها؛ ففي كل مرة تُجمع فيها بيانات، يتم فرزها وفقًا للمفاهيم وتُحفظ في الملف الملائم.

بهذه الطريقة، تتزايد المعلومات حول المفاهيم الأساسية مع مرور الزمن، حيث تُخزن البيانات ويعاد تخزينها باستمرار طوال مراحل الدراسة، فيزداد

حجم الملفات تدريجًا ويصبح من الصعب التعامل معها. وفي النهاية قد تصبح الملفات كبيرة جدًا وتزداد المعلومات تعقيدًا وتنوعًا ما يقتضي إعادة ترتيب البيانات ومعالجتها. وعلى الأغلب ما يؤدي هذا إلى تطوير مفاهيم جديدة منقحة تجعل تخزين المعلومات في الملفات أسهل وأكثر تفصيلًا ومعنى. لذلك فإن إعداد الملفات يتطلب درجة كبيرة من المعالجة والتحليل والتفسير كلما جُمعت بيانات جديدة. وعندما تخزن المعلومات وفق ترتيبها الزمني، يبدأ التحليل بقراءة المفاهيم والمعاني وتصنيفها وتحديدها قبل دمجها في فئات معلوماتية منطقية.

▪ **مغادرة الميدان:** بعد الانتهاء من عملية جمع البيانات، ينتهي العمل الميداني ويغادر الباحث الميدان من دون قطع العلاقات بينه وبين أفراد الدراسة. وينبغي للباحث في هذه المرحلة أن يهيئ الأفراد تدريجًا لانتهاء الدراسة وأن يعدهم بالاستمرار بالتواصل معهم وإبلاغهم بنتائج الدراسة.

تبدأ عملية المغادرة بانفصال تدريجي قد يستغرق فترة من الزمن يعتمد طولها على طبيعة الدراسة، خصوصًا على مدى اندماج الباحث في حياة المبحوثين. ويكون الخروج من الميدان سهلًا إذا لم تكن هناك علاقات شخصية قد تطورت بين الباحث والمبحوثين، حيث يترك الباحث الميدان حالما ينتهي من جمع البيانات. وفي حالات أخرى، لا بد من التخطيط المسبق لعملية الانفصال هذه حتى يشعر الباحث والمبحوثين بالراحة والطمأنينة في هذا الحدث.

ثمة حالات يترك فيها الباحث ميدان العمل بهدوء من دون إعلان أو احتفال. وقد تكون هذه هي الطريقة الأفضل عندما لا تكون هناك علاقات شخصية تطورت بين الباحث والمبحوثين. وفي معظم الحالات يمضي الباحث وقتًا طويلًا مع المبحوثين وتتطور بينهم علاقات ودية حيث يكون المبحوثون مشاركين بفاعلية في البحث؛ ففي مثل هذه الحالات تكون عملية الخروج من الميدان أكثر رسمية وتتطلب جهدًا وتخطيطًا مسبقًا.

يعقد الباحثون عادة اجتماعًا مع أفراد الدراسة الذين تعاملوا معهم في أثناء إجراء البحث، يعلنون فيه انتهاء الدراسة ويشكرون المشاركين على تعاونهم. وفي مثل هذه الحالات، تترك هذه النهاية أثرًا عميقًا في نفوس كثير من المشاركين،

فعلى الباحث أن يكون مستعدًا للتعامل مع مثل هذه الحالات. ومن غير المألوف أن يترك الباحث الميدان من دون إبلاغ المشاركين بذلك.

الخطوة 5 تحليل البيانات

قد تبدأ عملية تحليل البيانات في أثناء عملية جمع المعلومات وفقًا للأنموذج الإرشادي الذي ترتكز عليه الدراسة. وهذا هو الحال في البحث النوعي المرن، حيث يبدأ التحليل مع محاولة الباحثين فهم الملاحظات والعلاقات والسياقات، أو مع توزيع الملاحظات في ملفات المفاهيم، ومع تقرير الخطوة المقبلة في البحث وتحديد الخيارات الضرورية لتوضيح الحوادث والعمليات. وفي حالات أخرى، يركز التحليل على تحويل كميات كبيرة من الملاحظات إلى بيانات وخلاصات واضحة. وهنا يبدأ التحليل بقراءة الملاحظات ومعالجتها وترتيبها في ملفات بطريقة عملية بناءة.

الإطار 2.9

البحث الميداني: خطوات جمع البيانات

إن الباحث:

- يدخل الميدان ويندمج مع أفراد الدراسة.
- يجمع البيانات وفقًا لما يتطلبه الأنموذج النظري أو الإرشادي للبحث.
- يدوّن ملاحظات: يسجل الخبرات بطريقة منتظمة ويحلّلها.
- يبتعد عن سياق البحث: ينأى بنفسه تدريجًا عن سياق البحث.
- يغادر الميدان تدريجًا، شاكرًا تعاون الأفراد معه.

تتضمن هذه العملية أيضًا صوغ أنماط أو إنشاء فئات؛ ويعني هذا تصنيف الخبرات والحوادث وأي أمور أخرى في مجموعات متشابهة للكشف عن معانيها. وفي أثناء قيام الباحث بالملاحظة والتحدث إلى الآخرين وترتيب البيانات في الملفات، تظهر الأنماط أو الفئات التي تعكس انطباعًا واقعيًا عن الحياة في سياق البحث. يتم تطوير الأنماط وفقًا للموضوعات الرئيسة في سياق البحث، حيث

تغطي جوانب مثل طبيعة السياق والعلاقات، وأنواع الناس والتفاعلات في ما بينهم، وغيرها. ويساعد تطوير الأنماط في فهم المعنى في السياق، كما يساعد في تركيز الملاحظة/ التفاعل في جوانب حياتية مهمة، وتحديد المفاهيم والتحليل. ويتبع تحليل البيانات هنا أساليب المنهج النوعي الذي سنوضحه بالتفصيل لاحقًا. وتؤدي هذه العملية إلى تطوير أنماط ذات معنى وفرضيات تؤدي في النهاية إلى نظريات.

الخطوة 6 كتابة البحث

على الرغم من التزام الباحثين بالمعايير العامة لكتابة البحث وفقًا للمنهج النوعي، يبقى لديهم حرية أكبر في كتابة تقرير البحث الميداني مقارنة مع ما يُسمح به لباحثين نوعيين آخرين، فضلًا عن الباحثين وفقًا للمنهج الكمي. وكما سنرى لاحقًا، يتم إعداد تقارير البحوث وفقًا لثلاثة نماذج: الأنموذج الذي يرتكز على المبحوث، والأنموذج الذي يرتكز على الكاتب، والأنموذج المختلط.

يطبق معظم الباحثين الميدانيين هذا الأنموذج من البحث. ويكفي أن نقول هنا إن قالب البحث المتبع، كما هو الحال في أشكال أخرى من البحوث، هو القالب الذي ذكرناه سابقًا. كما أن منهجية البحث هي التي تحدد المحتوى المحدد لخطوات البحث، كما ذكرنا في الفصل الثاني.

ثانيًا: البحث الإثنوغرافي

1.2 مقدمة

يعني مصطلح الإثنوغرافيا علم «الإثنوس»، أي الأمة، أو الشعب أو الثقافة. ويختلف تعريف هذا الميدان واسمه اختلافًا واضحًا بين العلماء الاجتماعيين في أنحاء العالم المختلفة. ومن هؤلاء العلماء من يلتزم بالتعريف أعلاه ومنهم من يفضل استخدام الأنثروبولوجيا الاجتماعية أو الأنثروبولوجيا الثقافية أو الإثنولوجيا. ومنهم من يعتبر هذه المفاهيم مترادفة ومنهم من ينظر إليها على أنها ميادين منفصلة. وبغض النظر عن هذه التعاريف، ما زال مصطلح الإثنوغرافيا

يعرَّف على أنّه علم التوصيف الثقافي، أي وصف نظام أو مجموعة ثقافية أو اجتماعية وتفسيرها، أو دراسة الثقافات بهدف فهمها من وجهة نظر أبنائها أو محليها، ودخول سياق ما لدراسته ميدانيًا باستخدام الإثنوغرافيا كبحث ميداني: إثنوغرافيا الشارع، إثنوغرافيا الكنيسة، إثنوغرافيا لعبة الكريكيت، و«الممارسة التي تضع الباحثين في وسط الميدان الذي يدرسونه»[3].

بشكل عام، كان يُنظر إلى الإثنوغرافيا والإثنولوجيا باعتبارهما ميدانين يقعان ضمن اهتمام علماء الأنثروبولوجيا الذين كانوا يهتمون بدراسة العلاقات بين البشر وجوانب حياتهم المادية والاجتماعية والسياسية والشخصية والثقافية والتاريخية، ولذلك استثني هذان الميدانان من نطاق العلوم الاجتماعية. وكان يعتقد أن الدراسات الإثنوغرافية مقصورة على علماء الأنثروبولوجيا وحسب، لأنهم كانوا يبحثون أساسًا في الثقافات البدائية. لكن بعد التطور الذي طرأ على العلوم الاجتماعية أخيرًا، خصوصًا بعد ظهور الحركة النسوية والدراسات النسوية، أصبح البحث الإثنوغرافي - خصوصًا البحث الإثنوغرافي النقدي - مألوفًا[4].

يُستخدم علم الإثنوغرافيا عندما يهتم الباحثون بطبيعة الثقافات وبنيتها وسيرورتها، خصوصًا عندما يستطلعون المحددات الثقافية للسلوك الإنساني ويقوّمون أهمية السياق الثقافي للسلوك والمنتوجات الإنسانية، وعندما تكون هناك حاجة إلى معرفة ثقافة ما معرفة أولية قبل إجراء دراسة مفصلة ومحددة لبحث هذه الثقافة. وسنعرض في هذا القسم بعض جوانب البحث الإثنوغرافي.

---

(3) B. L. Berg, *Qualitative Research Methods for Social Sciences* (Boston and London: Allyn and Bacon, 1995), p. 86.

(4) انظر على سبيل المثال: G. Anderson, «Critical Ethnography in Education: Current Status, and the New Directions,» *Review of Educational Research*, vol. 59, no. 3 (1989); M. Hammersley: *Reading Ethnographic Research: A Critical Guide* (London: Longman, 1991); Hammersley, *What is Wrong with Ethnography?* (London: Routledge, 1992); M. Hammersley and P. Atkinson, *Ethnography: Principles in Practice* (New York: Vintage, 1983); S. Taylor, ed., *Ethnographic Research: A Reader* (London: Open University Press, 2001); C. A. D. Warren and J. K. Hackney, *Gender Issues in Ethnography*, 2nd ed. (London: Sage, 2000).

2.2 معايير البحث الإثنوغرافي

لا تختلف المعايير العامة للبحث الإثنوغرافي عن معايير البحث الميداني، لكنّ ثمة فروقًا بينهما في المحتوى والهدف بسبب طبيعة البحث الإثنوغرافي وسياقه وهدفه. وكما ذُكر سابقًا، فإن البحث الميداني يعتبر خصوصيًا في مقاربته، في حين يتصف البحث الإثنوغرافي بالكلية، وهو شكل من أشكال البحث الميداني. ويلخص الإطار 3.9 معايير البحث الإثنوغرافي.

الإطار 3.9

خصائص البحث الإثنوغرافي إن البحث الإثنوغرافي: ▪ شكل من أشكال البحث الميداني الذي يدرس الثقافات. ▪ يستخدم المقاربة الكلية، فهو يدرس الثقافات ويفسر الحياة في سياق ثقافي. ▪ يجري في سياقات طبيعية، ويقتضي الاندماج التام بميدان الدراسة. ▪ يفهم الثقافة من داخلها، ويعتبرها مستقلة عن الباحث وخارجة عنه، بعبارة أخرى يعتبرها ظاهرة طبيعية[5]. ▪ يكوّن الثقافة بالدراسات المعمقة ومن خلال معاني المشاركين. ▪ يسعى إلى تحليل عوالم الحياة. ▪ يرفض النظرية الوضعية. ▪ يؤكد الذاتية، ويستعمل بكثرة عبارات مثل «الترجمة» الذاتية و«الاندماج الذاتي»[6].

في ميدان البحوث النسوية، تغدو الإثنوغرافيا أداة منهجية قوية تهدف إلى:

(5) M. Hammersley and P. Atkinson, *Ethnography, Principles in Practice*, 2nd ed, (London: Routledge, 1995), p. 10.

(6) Hammersley and Atkinson, Ibid.; A. Honer, «Lebensweltanalyse in der Ethnographie,» in: U. Flick, E. von Kardorff and I. Steinke, eds., *Qualitaive Forschung: Ein Handbuch* (Reinbek bei Hamburg: Rowohlt, 2000); L. Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit* (Wien: Selbstverlag, 2000).

أولًا توثيق حياة النساء ونشاطهن. **ثانيًا**، فهم خبرات النساء من وجهه نظرهن. **ثالثًا**، فهم سلوك النساء كتعبير عن السياقات الاجتماعية[7].

3.2 المنهجية في البحث الإثنوغرافي

يستعمل البحث الإثنوغرافي طرائق عدة، يستخدم معظمها باحثون آخرون في سياق نماذج إرشادية ومنهجيات مختلفة. ومن ناحية فنية، لا يختلف البحث الإثنوغرافي كثيرًا عن البحث الميداني، لكن المنهجية وأساليب استخدام الطرائق تختلف.

تنقسم الطرائق التي يستخدمها البحث الإثنوغرافي إلى نوعين: وصفية أو نقدية. تُستخدم الطريقة النقدية في العلوم الاجتماعية بكثرة، فهي تحلل تحليلًا ناقدًا الترابط بين الممارسات الاجتماعية والمبادئ الثقافية الكبرى بعيدة المدى. ويعتمد هدف هذا البحث على الأنموذج الإرشادي الذي يرتكز عليه المشروع؛ فإذا كانت المنهجية وفقًا للأنموذج الوضعي يكون هدف البحث الإثنوغرافي هو وصف الحوادث الاجتماعية وتصنيفها وتفسيرها، أما إذا كانت المنهجية وفقًا للأنموذج التفسيري فيكون هدف البحث الإثنوغرافي هو فهم ديناميات نظام ثقافي اجتماعي وكيفية تفسير الناس لعالمهم. وفي الدراسات النقدية، يهدف البحث الإثنوغرافي إلى تحرير الناس وتمكينهم.

بشكل عام، يقع التصميم العام للبحث الإثنوغرافي ضمن معايير البحث الميداني. وفي هذا السياق، يستعمل الباحثون الإثنوغرافيون أنواعًا مختلفة من البحث الميداني مثل: الملاحظة بالمشاركة الشخصية والمقابلات وتحليل الوثائق والتصوير والتسجيل. ويقتضي هذا رفض التفكير والبحث الوضعيين. وعلى كل حال، يقول أتكنسون وهامرسلي:

[إن رفض الطرائق الوضعية] لا يعني رفض الباحثين الإثنوغرافيين للطرائق الكمية جملةً، وفي الواقع، فإن أشكال جمع البيانات المنظمة وتحليل البيانات

(7) S. Reinharz, *Feminist Methods in Social Research* (New York: Oxford University Press, 1992), p. 51.

الكمي غالبًا ما تُستَعْمَل إلى هذا الحدّ أو ذاك في العمل الإثنوغرافي. والمرفوض هو اعتبار هذه الطرائق هي الطرائق الوحيدة المشروعة أو الأهم[8].

4.2 خطة البحث

كما لاحظنا، لا يختلف تصميم البحث الإثنوغرافي عن التصميم المستخدم في البحث الميداني، إنما الذي يختلف هو طبيعة الخطوات ومحتواها كي تخدم أغراض البحث الخاصة. ونجد لدى برغ[9] مثالًا لمثل هذه الخطة التي تتمثل بالخطوات الآتية:

أ. **الدخول في السياق الميداني للبحث**: ويتم ذلك عبر الاتصال بالشخصيات المهمة وبعض أفراد العينة وغيرهم ممن يمكنهم المساعدة في هذا المجال. ويمكن أن يكون دخول الميدان بشكل علني أو سري: فقد يدخل الباحثون الميدان علنًا وبشكل رسمي أو بشكل سري حيث لا تعرف هوياتهم.

ب. **التخفّي**: القواعد الموجهة هنا هي: لا تكشف هويتك ولا خطة البحث ولا أهدافه؛ تفاعل ولاحظ/ سجل، لكن لا تؤثر؛ حافظ على سلامتك وسلامة ملاحظاتك وموضوعات بحثك.

ج. **المراقبة والاستماع والتعلم**: يقوم الباحث هنا بملاحظة السياق المادي والاستماع إلى ما يحدث فيه، وإلى المشاركين وعلاقاتهم وتفضيلاتهم، ويحدد الباحث المجموعات الفرعية ويدوّن الملاحظات ويسجل الحوارات، ويتعامل مع الملاحظات وترميزها وفق نظام معين.

د. **الخروج من الميدان**: تقتضي هذه الخطوة الخروج من الميدان وقطع العلاقات والانفصال العاطفي.

هذه خطة موجزة توضح كيفية التخطيط للعمل وإدارته، لكنّ هناك عددًا

---

(8) Atkinson and Hammersley, «Ethnography and Participant Observation,» in N. K. Denzin and Y. S, Lincoln eds., *Handbook of Qualitative Research* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1994), p. 251.

(9) Berg, *Qualitative Research Methods for Social Sciences.*

من النقاط في هذه الخطة لا تنطبق على جميع أنواع البحث الإثنوغرافي، كما هو الحال في الخطوتين (ب) و(ج). فبالنسبة إلى الخطوة (ب) لا يبقى جميع الباحثين الإثنوغرافيين متخفّين في عملية البحث الميداني. وهناك دراسات كثيرة ينخرط فيها الباحثون في شبكة الثقافة ويعيشون بين أفراد مجتمع الدراسة وكأنهم منهم لفترة طويلة، لكنهم يقدمون أنفسهم كغرباء وباحثين، وبذلك فهم لا يكشفون هوياتهم فحسب، بل طبيعة دراستهم وأهدافها أيضًا. أما بالنسبة إلى الخطوة (ج)، فإن جمع البيانات يقتضي أكثر من مجرد الملاحظة والاستماع؛ فهناك المقابلات والتفاعلات التي تتمتع بدرجة فاعلية الملاحظة نفسها في البحث الإثنوغرافي.

أخيرًا وليس آخرًا، تشير هذه القائمة إلى جزء واحد وحسب من خطة البحث، ولا تتضمن الاعتبارات النظرية والمفهومية والمنهجية.

5.2 المزايا والعيوب

يُعدّ البحث الإثنوغرافي نوعًا من أنواع البحث الميداني، لذلك فإن المناقشة التي وردت في القسم السابق تنطبق هنا أيضًا. لكن بعض القضايا في هذا الحوار تشير إلى البحث الإثنوغرافي في الدرجة الأولى. وفي ما يلي موجز لهذه المزايا والعيوب.

المزايا:

- نظرة كلّية.
- استخدام السياق الثقافي الاجتماعي كمصدر للتفسير.
- درجة عالية من المرونة.
- قدرة على تحديد التناقضات والاختلافات.
- نوعية جيدة من العلاقات بين الباحث والمشاركين.
- القرب من المشاركين.
- درجة عالية من الصدق الخارجي.
- حساسية عالية للفروق الدقيقة في المعنى والأهمية.

- القدرة على إجراء دراسة طولية: دراسة قضايا عبر الزمن.

العيوب:

- عدم القدرة على توفير أدلة لإثبات العلاقة السببية.
- عدم القدرة على ضمان الصدق والثبات.
- عدم القابلية للتكرار.
- عدم القدرة على ضمان الموضوعية.
- عدم توافر حرية الوصول إلى الميدان أو إلى المعلومات الشخصية أو الذاتية التي تشكل أساس الدراسة.
- صعوبة الاندماج، ما يسبب مشكلات تؤثر في الدراسة.
- أثر المقابِل الذي يسبب خللًا واضحًا.
- التأثير في السياق الطبيعي بوجود الباحث فيه.

الإطار 4.9

كيف يضمن الباحثون الإثنوغرافيون الصدق في عملهم؟

- بالامتناع عن الكلام وإحلال الاستماع محلّه.
- بتدوين ملاحظات دقيقة وكاملة.
- بالكتابة مبكرًا وبطريقة تجذب القراء إلى الميدان.
- بعدم إجبار القراء على قبول وجهة نظر الكتّاب، فهم يتركونهم يستنتجون ما يشاءون.
- بإنتاج ملاحظات كاملة وواضحة.
- بطلب التغذية الراجعة من الميدان أو الزملاء.
- بتقديم العروض لأفراد الدراسة بشكل متوازن[١٥].

إن القضية التي يمكن أن تثار هنا تتعلق بالصدق الذي لا يرقى إلى مستوى معايير البحث الكمي. وكما ذكرنا سابقًا في هذا الكتاب، يدّعي الباحثون النوعيون

---

(10) H. F. Wolcott, *Writing Up Qualitative Research* (Newbury Park, Calif.: Sage, 1990), pp. 127-128.

أن نتائج بحوثهم تتصف بالصدق وفقًا لمعايير مختلفة. أما بالنسبة إلى البحث الإثنوغرافي، فإن الصدق يكون وفقًا للمعايير المذكورة في الإطار 4.9.

استعمل الباحثون النوعيون البحث الإثنوغرافي بكثافة، وما زال هذا النوع من الدراسات يزداد ويتسع. ويرتبط كثير من عيوبه بطبيعته النوعية، وإذا ما قُوّم وفقًا لهذه المعايير سيكون أثر العيوب الواردة آنفًا قليلًا في مكانة البحث.

ثالثًا: دراسات الحالة

1.3 مقدمة

دراسة الحالة هي «دراسة تجريبية تبحث في ظاهرة معاصرة في سياقها الحياتي الفعلي عندما تكون الحدود بين الظاهرة والسياق غير واضحة، وتستعمل فيها مصادر متعددة للأدلة»[11]. يتضمن البحث بطريقة دراسة الحالة حالات فردية ودراسات على مدى مدة زمنية طويلة[12]، وهي ليست طريقة لجمع البيانات، لكنها قالب بحثي يستخدم طرائق عدة لجمع البيانات ويحللها في سياقات مختلفة[13]. وهذا الأنموذج البحثي غير موحد؛ فهناك دراسات حالة تجرى وفقًا للأنموذج الإرشادي النوعي وأخرى تجرى وفقًا للأنموذج الكمي. وبحسب ستيك[14]، هناك ثلاثة أنواع من دراسة الحالة: الجوهرية والأداتية والجمعية.

تُجرى **الدراسة الجوهرية** في العادة لأجل ذاتها؛ أي إنها تجرى لمعرفة هذه الحالة وحدها. لذلك لا يتوقع أن تكون النتائج قابلة للتعميم على حالات مماثلة. أما **الدراسة الأداتية** فتُستخدم للبحث في قضية اجتماعية أو لتحسين نظرية،

(11) R. K. Yin, *Case Study Research: Design and Methods* (Newbury Park, Calif.: Sage, 1991), p. 23.

(12) H. Kromrey, *Empirische Sozialforschung* (Opladen: Fernuniversität Gesamthochschulen, 1986), p. 320.

(13) D. B. Bromley, *The Case-Study Method in Psychology and Related Disciplines* (New York: Wiley, 1986).

(14) R. E. Stake, *The Art of Case Study Research* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1995), p. 237.

وفي هذه الدراسة تكون النتائج قابلة للتعميم على نطاق أوسع من نطاق الحالة المدروسة. أخيرًا، تتضمن **الدراسة الجمعية** عددًا من الدراسات الفردية التي تُبحث معًا بهدف التعمق في قضية معينة أو ظاهرة أو وضع. وتشتمل هذه الدراسة عادة على دراسات عدة من النوع الأداتي.

على الرغم من التنوع في دراسة الحالة، هناك معايير عامة تشترك فيها جميع الأنواع. ويشتمل الإطار 5.9 على أهم هذه المعايير وأكثرها انتشارًا في دراسة الحالة.

الإطار 5.9

المعايير الأساسية لبحوث دراسة الحالة

- تُجرى في سياق طبيعي.
- تلائم الحالات التي تتطلب تحليلًا معمّقًا.
- تدرس وحدات كاملة وليس جوانب معينة من الوحدة.
- تقتضي حالة واحدة أو بضع حالات فحسب.
- تدرس حالات نمطية.
- تنظر إلى المشاركين بصفتهم خبراء لا مصدرًا للبيانات.
- تستخدم طرائق متنوعة وكثيرة.
- تستخدم مصادر متعددة للمعلومات.

تُستخدم دراسة الحالة في البحوث النوعية والكمية بدرجات متفاوتة ولأسباب مختلفة. وبشكل عام، تُستخدم دراسة الحالة كبحث قَبلي أو كدراسة رئيسة أو كدراسة بَعدية. ففي البحث الكمي تُستخدم دراسة الحالة كدراسة قبلية تسبق البحث الرئيس، أي بمنزلة دراسة استطلاعية. أما في البحث النوعي فهي الدراسة الرئيسة، أي البحث الرئيس المستقل الذي يسعى إلى تطوير فرضيات بل حتى نظريات. تبحث دراسة الحالة في الحياة الاجتماعية وفقًا لمعايير الانفتاح والتواصل والنزعة الطبيعية والتفسيرية كما هو الحال في الأنموذج الإرشادي التفسيري الذي شرحناه سابقًا.

2.3 تصميم البحث

يشير التصميم من بين أشياء كثيرة، إلى التسلسل المنطقي الذي يجب أن تجرى فيه الدراسة، وعناصر الدراسة وطرائق جمع بياناتها وتحليلها، وجميع الإجراءات الإدارية اللازمة لتنفيذ الدراسة من دون أي مشكلة أو تأخير. وفي بحوث دراسة الحالة، يكون التصميم موجودًا في بروتوكول دراسة الحالة الذي سنشرحه في ما بعد، والذي لا يختلف كثيرًا عن أنموذج البحث الذي عرضناه سابقًا في هذا الكتاب. وبمزيد من التحديد، لا بد من الانتباه إلى الأمور الآتية في تصميم البحث[15].

الخطوة 1 اختيار الموضوع والمنهجية

تتمثل أول خطوة في دراسة الحالة باختيار موضوع البحث والحالات التي ستُدرس. ولا بد لنا هنا من إيضاح الموضوع الذي تركز عليه الدراسة (الجوانب التي ستدرس في الحالة). ومن الممكن دراسة أي جانب شريطة إمكان دراسته كاملًا في إطار الحالة، ابتداء من السلوك والعلاقات، إلى الأشخاص والجماعات والسيرورات والمنظمات والثقافات بكاملها[16]. يُختار موضوع البحث وفقًا لمعايير الأنموذج الإرشادي الواسع.

الخطوة 2 البناء المنهجي للموضوع

في حالة استخدام المنهجية الكمية، يُصْقَل الموضوع ويترجم إلى متغيرات ومؤشرات ويُعبَّر عنه على هيئة فرضيات. أما عند استخدام المنهج النوعي، فإن هذه الخطوة لا ترقى إلى ما يحدث في المنهج الكمي وتبقى مفتوحة، كما تظل التعاريف كما وضعت في بداية البحث إلا في حالة استخدام تصميم صارم، حيث يستعمل التصميم عددًا من العناصر المستخدمة في الأنموذج النوعي. وبشكل عام، لا بد من الانتباه إلى الأمور التالية في الأقل في حال كان الأنموذج الإرشادي نوعيًا: هل موضوع البحث محسوس إلى حدٍّ يمكّن من دراسته منهجيًا؟ هل يمكن دراسته بوساطة دراسة الحالة، وهل ستؤدي الدراسة إلى نتائج قيمة؟ وهل موضوع البحث ينسجم مع الأنموذج الإرشادي النوعي؟

---

(15) B. Becker, *Grundlagen soziologischer Methodologie* (Frankfurt: Selbstverlag, 1989); Yin, *Case Study Research*.

(16) Yin, Ibid.

الخطوة 3 اختيار العينة

بعد تحديد موضوع البحث وتحديد منهجية التعامل معه، يقوم الباحث بتحديد الحالة/ الحالات التي سيشتمل عليها البحث. قد يختار الباحث دراسة حالة واحدة فقط، أو أكثر من حالة (دراسة متعددة للحالات). وقد تكون الطريقة كلية أو جزئية.

عندما ندرس أكثر من حالة في إطار البحث النوعي، قد يبدأ البحث بدراسة حالة واحدة فقط يختارها الباحث على أساس مواءمتها البحث، وتكون هذه الحالة في الغالب نمطية، أي ممثلة للحالات التي ستخضع للبحث. ثم يختار الباحث الحالات الأخرى وفقًا لطريقة كرة الثلج أو أي طرائق أخرى كالاختيار النظري للعينة. وفي هذه الحالة، تعتمد زيادة عدد الحالات على مبادئ النظرية التي بدأت تتشكل، وقد تكون الحالات متشابهة أو مختلفة.

في حالات أخرى من البحث النوعي، تُختار العينة وفقًا لمبدأ النمطية (اختيار الحالة الممثلة) والنظرية، لكنها قد تُخْتَار أيضًا بحسب الطلب (في حالة كون البحث مدعومًا من جهة معينة) والسهولة والاهتمامات الشخصية والمواءمة لموضوع البحث وإمكان توفير العينات. وتتميز بحوث دراسة الحالة في النمط النوعي بأن قاعدة تمثيل أفراد العينة وتعميم النتائج يُحْكَم عليها ضمن ميدانها. ويُعدّ التوازن والتنوع وإمكان التعلم من الأمور التي توجه هذه العملية. واختيار الحالة النمطية لا يكون دائمًا هو العامل الذي يوجه عملية الاختيار. ومن العوامل التي يجب أن تؤخذ في الاعتبار في عملية اختيار العينة: الأشخاص والحوادث والأماكن ونصائح أفراد المجتمع. على الرغم من الاهتمام بالحالات النمطية، يتم الاختيار بطريقة تضمن «التنوع وليس بالضرورة التمثيل، من دون المطالبة القوية بالنمطية التي توازن من جديد مع اعتبارات إمكان الوصول وإمكان الاستقبال... وتبقى فرصة التعلّم هي المعيار الرئيس هنا»[17]. والحد الأدنى للمعايير التي يجب أن تؤخذ في الحسبان في هذه الحالة هي: هل الحالة/ الحالات ملائمة ويمكن

---

(17) T. A. Schwandt, «Constructivist, Interpretivist Approaches to Human Inquiry,» in: N. K. Denzin and Y. S. Lincoln, eds., *Handbook of Qualitative Research* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1994), p. 244.

الوصول إليها أم لا؟ وهل هي قابلة للبحث وكافية من الناحية المنهجية؟ وهل الدراسة مسموح بها أخلاقيًا؟

الخطوة 4 جمع البيانات

يجب أولًا اختيار إجراءات جمع البيانات وطرائقها. كيف تُستخلص المعلومات من الحالة/ الحالات المختارة؟ وهل هي ملائمة ومشروعة (منسجمة مع الأنموذج الإرشادي الأساس الذي ترتكز عليه الدراسة)؟ لا بد من الإجابة عن هذه الأسئلة بوضوح وبدرجة مقبولة في هذه الخطوة من خطوات جمع البيانات. وبعد ذلك يتبع الباحث الخطوات الآتية:

أ. **الحصول على إذن لإجراء الدراسة**: تتضمن هذه الخطوة الحصول على إذن لدراسة الحالة (حيثما يتطلب الأمر) ومقابلة الأشخاص الملائمين والبدء بالاتصال معهم.

ب. **جمع البيانات**: تسير عملية جمع البيانات وفقًا لطبيعة الدراسة والإطار الأساس الذي ترتكز عليه الدراسة. وفي معظم الحالات التي تستخدم النمط النوعي، يحاول الباحث تحديد اتجاهات لاستخلاص بعض المعاني وفهم الموقف موضوع الدراسة. ومن الأدوات المستعملة في هذه العملية والتي توفر الوصول إلى البيانات: ترميز البيانات مسبقًا، واستطلاع الموقع بدقة، وتحديد البيانات وتسجيلها وتفسيرها وإعادة تفسيرها، والتأمل والمراجعة وغيرها.

ج. **تسجيل البيانات**: تتضمن هذه الخطوة تدوين الملاحظات وحفظها في ملفات وإعادة ترتيبها في الملفات ومراجعتها وتنظيمها وإعادة تنظيمها، أو تدوين البيانات وتسجيلها وفقًا لترتيبها الزمني وإعدادها للتحليل بعد اكتمال الدراسة. يطبق التحليل أحيانًا في هذه الخطوة لكن ذلك غير شائع.

د. **التحليل الجزئي للبيانات**: إن إجراء درجة معينة من التحليل للبيانات المسجلة جزء من عملية البحث المستخدمة في جميع بحوث دراسة الحالة. ومن العمليات التي تتضمن تحليلًا أوليًا ما يلي: تحديد أجزاء التفاعل والملاحظة الجديرة بالتسجيل والحفظ في ملفات خاصة، وكيفية تصنيفها وفي أي ملف

ستُحفظ. وفي حالات كثيرة تمضي هذه العملية بضع خطوات إلى الأمام لتحديد المعايير لمرحلة التحليل النهائية. وقد يكون التحليل الأولي في أثناء جمع البيانات بدرجة منخفضة جدًا أو عالية جدًا، وفقًا للأنموذج الإرشادي الذي يوجه الدراسة. وفي كثير من الحالات، يكتمل التحليل في أثناء جمع البيانات.

هـ. **إنهاء الدراسة:** تتضمن هذه الخطوة الإبقاء على علاقات إيجابية بين الباحث وأفراد الدراسة، أكثر من اهتمامها بنوعية البيانات التي تُجْمَع. كما أن إنهاء الدراسة بشكل رسمي يوفر للباحث فرصة للتعبير عن شكره وتقديره لأفراد الدراسة لتعاونهم معه فيها.

الخطوتان 5 و 6 التحليل والتفسير والعرض

يعتمد مدى التحليل في هذه المرحلة على الأنموذج الإرشادي الذي يرتكز عليه البحث وعلى مدى تحليل البيانات في مرحلة جمعها. وبشكل عام، تُستخلص بعض النتائج وتوضح أهميتها للنظرية والبحث. وعلى الرغم من أن دراسة حالة واحدة أو بضع حالات لا تمثل جيدًا مجتمع الدراسة ولا تصلح لإجراء تعميمات واسعة، إلا أنها تبقى مهمة لتحديد التعميمات الواسعة. ويتم إعداد التقارير كما هو مطلوب في مثل هذه الدراسات (انظر الفصل 17).

يجدر بنا أن نركز على فائدة القالب البحثي العام الذي عرضناه في الفصل الرابع. ومهما كان النمط النظري، يخضع البحث للخطوات الست للقالب التي قد يختلف محتواها، لكنها توجه مسيرة البحث.

3.3 تحليل البيانات

في بحوث دراسة الحالة، قد يتضمن التحليل عددًا من الطرائق التي تحاول أن تتناول الأطروحات الأولية للدراسة. وهناك تقنيات متعددة تُستعمل في تحليل دراسة الحالة، وفي ما يأتي أهمها وأكثرها شيوعًا[18].

---

(18) D. C. Pelz, *Use of Innovation in Innovating Processes by Local Governments* (Ann Arbor: CRUSK, Institute for Social Research, University of Michigan, 1981); Yin, *Case Study Research.*

▪ **مطابقة النماذج:** يعمل هذا الأسلوب على مطابقة الأنموذج المثبت عمليًا مع أنموذج متوقع أو متنبأ به منذ بداية الدراسة، ويقول الباحثون إنه إذا تطابق الأنموذج الملاحظ مع الأنموذج المتنبأ به يكون للنتائج درجة عالية من الصدق.

▪ **تقنية بناء التفسير:** في هذا الأسلوب يعتمد التفسير على سلسلة من التكرار تتم بالطريقة الآتية: تصاغ فرضية أولية حول موضوع الدراسة ثم تقارن نتائج الدراسة بهذه الفرضية، فإذا وُجد فرق بين الفرضية والنتائج تُراجع الفرضية في ضوء النتائج. وبعد ذلك تقارَن الفرضية المعدلة بالنتائج والأدلة الجديدة، فإذا وُجدت فروق تعاد مراجعة الفرضية، ثم تقارَن الفرضية الجديدة المعدلة للمرة الثانية بالنتائج للمرة الثالثة والرابعة والخامسة بعد تعديلها كل مرة في ضوء النتائج. وتكرر هذه العملية ما دعت الضرورة إلى ذلك.

▪ **التحليل الدوري المنتظم:** في هذه التقنية تقارَن الاتجاهات عبر فترة زمنية بافتراض نظري واحد محدد قبل بداية الدراسة، كما تُقَارن أيضًا بافتراض آخر منافس. وتحدد هذه المقارنة أي الافتراضين هو صحيح؛ فعلى سبيل المثال، قد يُرَى أنّ إقرار قانون علاقة الأمر الواقع بين الراشدين المتساكنين معًا من دون زواج قانوني قد أدى إلى ازدياد نسبة المرتبطين بمثل هذه العلاقة (التحليل في الفترة الأولى)؛ وينص الافتراض الثاني على أن إقرار هذا القانون لم يؤثر قط في الناس المرتبطين بهذه العلاقة (التحليل في الفترة الثانية - الاتجاه المنافس). تستخدم بحوث دراسة الحالة التحليل الدوري المنتظم لتكتشف ما إذا كانت البيانات تؤيد أنموذجًا أم آخر؛ أيَّ إذا كان القانون قد أدى إلى زيادة عدد المتساكنين أم لا. وستُظهر المقارنة بين البيانات العملية وكل من الافتراضين أيّ التحليلين الدوريين يطابق البيانات التجريبية.

▪ **إعادة الملاحظة:** يوجّه هذا الأسلوب التحليل نحو إعادة الملاحظات بمستويات مختلفة، أي عبر الزمن وعبر المواقع وعبر الوحدات غير المباشرة. ومثال ذلك ملاحظة أفراد الدراسة في الربيع والخريف، وملاحظة الوحدات الملحقة بالحالات أ وب وج، وملاحظة الوحدات في مواقع مختلفة. وتؤخذ هذه الملاحظات بالاعتبار في سياق تحليل البيانات.

▪ **دراسة الحالة المسحية**: يُوجَّه المسح في هذا الأسلوب نحو البيانات المتوافرة ويعمل على مستوى ثانوي. ويتبع هذا التحليل الثانوي إجراء صارمًا، كتطوير دليل للرموز يُستعمل لترميز مادة البحث، ودراسة البيانات في ضوء الرموز والفئات التي يتضمنها الدليل. ثم تحلل البيانات الناتجة من هذه العملية وفقًا لما يفضّله الباحث أو وفقًا لمتطلبات الدراسة والافتراض النظري الذي ترتكز عليه.

4.3 دراسات الحالة في البحث النسوي

تُعد دراسات الحالة طريقة لجمع البيانات أو قالبًا بحثيًا، وهي ملائمة للبحث النسوي وأصبحت شائعة الاستعمال في هذا الميدان. ويُعزى ذلك إلى طبيعتها كأداة تركز على وحدات معينة، بغض النظر عن كونها ممثلة أم لا، ولاهتمامها بالعمق والتفصيل. بتحديد أكثر، يؤيد كثير من الباحثين[19] كون دراسة الحالة أداة للبحث النسوي لأنها:

▪ تُستعمل لتوثيق التاريخ وتوليد نظريات.

▪ تمتاز بقدرتها على التعامل مع الأمور المحددة والاستثناءات والحالات المكتملة بدلًا من التعميم.

▪ تبرز صوت المجموعات النسوية التي لا تقع ضمن الفكرة المعيارية أو المعتادة عن النساء، وأخيرًا وليس آخرًا،

▪ «ضرورية لوضع النساء على خريطة الحياة الاجتماعية»[20].

على وجه الخصوص، إنَّ حساسية هذه الطريقة تجاه الحالات التي تقع خارج النماذج الاجتماعية الممثلة وتلك التي لا تسمح بالتعميم، تجعل أداة البحث هذه ملائمة جدًا للبحث النسوي الذي يسعى إلى إبراز صوت النساء.

---

(19) Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit*; Reinharz, *Feminist Methods in Social Research*.

(20) Reinharz, Ibid., p. 174.

الإطار 6.9

بحوث دراسة الحالة: تقنيات تحليل البيانات

- مطابقة النماذج: يقارن بين النماذج التجريبية والافتراضية.
- تقنية بناء التفسير: يقارن البيانات بافتراضات وُضعت في بداية الدراسة.
- تقنية التحليل الدوري المنتظم: يقارن اتجاهات بافتراضات نظرية.
- إعادة الملاحظات: يقارن الملاحظات التي جُمعت من سياقات مختلفة.
- دراسة الحالة المسحية: تحليل ثانوي للبيانات المتوافرة.

5.3 مزايا دراسات الحالة وعيوبها

المزايا

إن دراسات الحالة:

- تسمح بإجراء بحوث معمقة.
- تولد معلومات مباشرة، لكونها تُجرى في سياقات طبيعية.
- تستخدم طرائق تشجع التعارف والتقارب مع أفراد العينة.
- تسمح باستخدام طرائق ومصادر مترابطة متعددة.
- تقتضي اتصالات طويلة الأمد وخبرات شخصية في الميدان.
- تركز على خبرات حياتية مباشرة وقابلة للإثبات.
- تولد معلومات تغطي الوحدة كاملة وليس مجرد جوانب محددة منها.

العيوب

- تنطبق النتائج على وحدة الدراسة فحسب ولا تسمح بإجراء تعميمات استقرائية.
- تقتضي النتائج انطباعات شخصية وتحيزًا، لذلك ليس هناك ضمان للموضوعية والصدق والثبات.
- لا يمكن تكرار البحث.

▪ إمكان محدود للوصول إلى الميدان وإلى المعلومات الشخصية والذاتية التي تشكل أساس بحوث دراسة الحالة.

▪ قد يسبب أثر المقابل شيئًا من الخلل، حتى وجود الباحث في الميدان قد يكون له أثر سلبي.

ليست هناك طريقة تخلو من المشكلات بما فيها دراسات الحالة. فقد تعاني هذه الأخيرة مشكلات في تلبية متطلبات المنهجيات الموضوعية، كما هو الحال في الطرائق الكمية التي تعاني مشكلات في تلبية متطلبات التصاميم التفسيرية. وبشكل عام، تبقى هذه الطرائق من أفضل الطرائق وأكثرها شيوعًا، وهي طرائق مشروعة كأي طريقة أخرى في البحث الاجتماعي.

نقاط أساسية

▪ البحث الميداني نوع من البحوث التي تُجرى في الميدان وتدرس أوضاعًا حياتية في تكشّفها.

▪ هناك أنواع متعددة من الدراسات الميدانية مثل الدراسات الاستطلاعية والدراسات الوصفية ودراسات اختبار الفرضيات.

▪ من حيث المبدأ، تشبه تصاميم الدراسات الميدانية تصميم البحث المعياري الذي شرحناه سابقًا في هذا الكتاب، لكنها أقل تعقيدًا وأكثر مرونة من التصاميم الكمية.

▪ إن دراسة الحالة هي «بحث تجريبي يتقصّى ظاهرة معاصرة في سياقها الحياتي الفعلي عندما تكون الحدود بين الظاهرة والسياق غير محددة بوضوح، وعندما تُستخدم مصادر عدة للأدلة»[21].

▪ تُستخدم دراسات الحالة كبحوث رئيسة في البحث النوعي.

▪ تُستخدم دراسات الحالة كدراسات استطلاعية أو كتفسير قَبلي أو بَعدي للدراسة.

---

(21) Yin, *Case Study Research*, p. 23.

▪ يشتمل بروتوكول دراسة الحالة على عرض شامل لمشروع دراسة الحالة وإجراء ميداني وأسئلة دراسة الحالة ودليل لإعداد التقرير.

▪ يرجع أصل البحث الإثنوغرافي إلى الإثنوغرافيا والأنثروبولوجيا الاجتماعية، ويُستخدم في العلوم الاجتماعية في مجالات عدة، كأن يستخدمه النسويون مثلًا.

▪ تتمثل الأسس النظرية الرئيسة للبحث الإثنوغرافي في الثقافة والكلية، والدراسات المعمقة ودراسات التسلسل الزمني.

▪ الطرائق المستخدمة في البحث الإثنوغرافي هي الوصفية أو النقدية، وهي تشبه الطرائق المستخدمة في ميادين أخرى، لكن البحث الميداني الإثنوغرافي والبحث التاريخي الإثنوغرافي أكثر تمثيلًا لهذا النوع من البحوث.

▪ تعتمد قيمة البحث الإثنوغرافي على المنهجية التي يستخدمها البحث والتي تقترب من المنهجية الوضعية والبحث النقدي.

إلى أين؟

قبل أن تترك هذا الفصل، لا بد لك من أن تزور الموقع المرافق للطبعة الثالثة من كتاب **البحث الاجتماعي**: http://www.palgrave.com/sociology/sarantakos لتراجع المفاهيم الأساسية في هذا الفصل وتختبر نفسك في القضايا الرئيسة التي ناقشناها.

قراءات إضافية

Books

Atkinson, P. *The Ethnographic Imagination: Textual Construction of Society*. London: Routledge, 1990.

Carspecken, P. F. and G. Walford (eds.). *Critical Ethnography and Education*. London: Elsevier Science, 2001.

Coffee, A. *The Ethnographic Self: Fieldwork and the Representation of Reality*. London: Sage, 1999.

Davies, C. A. *Reflexive Ethnography: A Guide to Researching Selves and Others.* London: Routledge, 1999.

De Laine, M. *Fieldwork, Participation and Practice: Ethics and Dilemmas in Qualitative Research.* Thousand Oaks, Calif.: Sage, 2000.

Denzin, N. K. *Interpretive Ethnography: Ethnographic Practice for the Twenty-first Century.* London: Sage, 1997.

Hammersley, M. and P. Atkinson. *Ethnography: Principles in Practice.* 2nd ed. London: Routledge, 1995.

Pink, S. *Doing Visual Ethnography: Images, Media, and Representation in Research.* London: Sage, 2001.

Stake, R. E. *The Art of Case Study Research.* Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1995.

Taylor, S. (ed.). *Ethnographic Research: A Reader.* London: Open University Press, 2001.

Warren, C. A. D. and J. K. Hackney. *Gender Issues in Ethnography.* 2nd ed. London: Sage, 2000.

الفصل العاشر

الملاحظة

هذا الفصل

- يقدم إطلالةً على الملاحظة كطريقة للبحث الاجتماعي.
- يحدد أنواع الملاحظة في البحث الاجتماعي.
- يلخص الخطوات الرئيسة للملاحظة.
- يشير إلى بعض مشكلات الملاحظة.

العناوين الرئيسة

مقدمة

1. أنواع الملاحظة
2. عملية الملاحظة
3. الملاحظة بالمشاركة
4. الملاحظة المادية
5. قضايا أخلاقية
6. مزايا الملاحظة وعيوبها
7. مشكلات الملاحظة

نقاط أساسية

إلى أين؟

قراءات إضافية

مقدمة

تعد الملاحظة من أقدم طرائق البحث الاجتماعي، استخدمها أولًا علماء الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا، بينما كان علماء الاجتماع وغيرهم من العلماء الاجتماعيين يفضلون استخدام المسوح وغيرها من التقنيات. وبمرور الزمن أصبحت طريقة الملاحظة معروفة خارج نطاق الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا، حيث أصبحت تستخدم المعينات البصرية والسمعية[1]. أما اليوم، فأصبحت الملاحظة من أهم تقنيات البحث الاجتماعي.

تقتضي الملاحظة جمع بيانات من طريق المشاهدة بشكل رئيس. ويمكن أن تُستخدم تقنية الملاحظة وحدها لجمع البيانات أو بالتعاون مع غيرها من التقنيات كالمقابلة الجماعية والدراسة الوثائقية ودراسة الحالة. وعلى الرغم من أن الملاحظة تدرس الأشخاص، يمكنها أيضًا أن تركز على الأشياء بصفتها مخرجات لفعل الإنسان وتصرفاته، أو بصفتها جزءًا من البيئة المادية.

في هذا الفصل سنناقش طبيعة الملاحظة وأنواعها وسيرورتها ونوضح أهميتها للبحث الاجتماعي.

أولًا: أنواع الملاحظة

يستطيع الباحث أن يدرس بالملاحظة جميع الظواهر الاجتماعية القابلة للملاحظة ما دام يستطيع الوصول إليها. وليس من الممكن بالطبع ملاحظة قضايا شخصية حساسة، ولا أسباب الظواهر الاجتماعية ونتائجها، ولا الأمور الماضية

(1) H. Ellgring, «Audiovisuell unterstützte Beobachtung,» in: U. Flick et al., eds., *Handbuch Qualitative Sozialforschung* (Munich: Psychologie Verlags Union, 1991).

أو المستقبلية. تتخذ الملاحظة أشكالًا عدة يختلف بعضها عن بعض في جوانب عدة على الرغم من تشابهها بشكل عام (انظر الإطار (1.10)). فهي تختلف في مدى مشاركة الملاحظ في ميدان الملاحظة، ومدى كون الملاحظة منظمة أو مقننة. وهذا التمييز يؤدي إلى وجود الأنواع الأساسية التالية من الملاحظة[2].

1.1 الملاحظة بالمشاركة والملاحظة من دون مشاركة

يكون الباحث في الملاحظة بالمشاركة حاضرًا بين المبحوثين، حيث يتمكن من دراستهم ومراقبتهم من الداخل[3]. وفي الغالب لا يكون الباحث معروفًا في المجموعة بصفته باحثًا. على سبيل المثال، يتظاهر الباحث الذي يريد أن يدرس سلوك المثليين بأنه شاذ جنسيًا مثلهم ليستطيع إجراء دراسته من الداخل. وبالطريقة نفسها، فإن الباحث الذي يريد أن يدرس أوضاع العمل لعمال مصنع ما ينبغي له أن يشاركهم بصفته عاملًا مثلهم، ويعمل معهم جنبًا إلى جنب، وفي الوقت نفسه يراقب سلوكهم من الداخل. ويستطيع الباحث بصفته عضوًا في المجموعة أن يدرس أيضًا بنية هذه المجموعة وتكوينها ومشكلاتها واتجاهات أفرادها بشكل مباشر أو كما يشعر بها أفراد المجموعة.

في حالة الملاحظة من دون مشاركة، يقوم الباحث بدراسة أفراد العينة من الخارج، حيث يكون له دور محدد ومختلف عن أدوار أفراد الدراسة. يبقى الباحث وفقًا لهذه الطريقة غير معروف ولا يلاحظ أفراد الدراسة وجوده، كما في ملاحظة المختبر حيث يتفاعل الأفراد في المختبر ويقوم الباحث بملاحظتهم من خلف مرآة باتجاه واحد (يراهم ولا يرونه). فمثلًا يستطيع الباحث أن يراقب الأطفال في ملعب المدرسة من خلال نافذة، وفي الحالتين لا يشارك الباحث بفاعلية في المجموعة التي يدرسها.

---

(2) انظر: A. Benini, *Construction of Knowledge* (Rome: Gnome, 2000); S. Lamnek, *Qualitative Sozialforschung, Band 1: Methodologie; Band 2: Methoden und Techniken* (Weinheim: Psychologie Verlags Union, 1993); L. Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit* (Wien: Selbstverlag, 2000).

(3) H. Legewie, «Feldforschung und teilehmende Beobachtung,» in: U. Flick et al., eds., *Handbuch Qualitative Sozialforschung* (Munich: Psychologie Verlags Union, 1991).

الإطار 1.10

أنواع الملاحظة

العامل	نوع الملاحظة
البنية	منظمة أو مبنيّة: تقتضي تصميمًا وتحكمًا شديدًا. غير منظمة أو غير مبنيّة: تقتضي تصميمًا مرنًا ومن دون تحكم
دور الملاحظ	مشارك: الملاحظ جزء من السياق. غير مشارك: الملاحظ ليس جزءًا من السياق.
الملاحظ	ملاحظة الذات: المراقب يلاحظ نفسه باستخدام الفيديو. ملاحظة الآخر: المراقب يلاحظ غيره.
التركيز	ملاحظة إنسانية: يلاحظ الناس وأنشطتهم. ملاحظة مادية: ملاحظة أشياء مادية وطبيعية.
السياق	ملاحظة طبيعية: ملاحظة في سياق طبيعي. ملاحظة مخبرية: ملاحظة في مختبرات.
التزام الملاحظ	ملاحظة نشطة: الملاحظ ملتزم بقضية الدراسة (من الناحية الفكرية وأحيانًا شخصيًا، يشارك ويدعم الهدف العام للدراسة). ملاحظة سلبية: الملاحظ غير ملتزم بقضية الدراسة.
عمق الدراسة	ملاحظة ساذجة: بسيطة وغير منظمة. ملاحظة علمية: منظمة ومبنيّة (مقيّدة).
هوية الملاحظ	ملاحظة مفتوحة: هوية الملاحظ معروفة. ملاحظة خفية: هوية الملاحظ غير معروفة.

لا يكون أفراد الدراسة مدركين دائمًا أنهم تحت الملاحظة والمراقبة ولا يعلمون أنهم موضوع دراسة، إذ قد يغير أفراد الدراسة سلوكهم عندما يعرفون أنهم مراقبون. لذلك يحرص الباحثون على إجراء الدراسة في سياق لا يشعر فيه الأفراد بأنهم مراقبون، وبذلك يتخلصون من أثر ردة الفعل. وحيثما لا يكون ذلك مهمًا تكون الدراسة معروفة وهوية الباحث مكشوفة. والسؤال الذي يثار في هذا السياق يتعلق بالأخلاق؛ فلا بد للباحث من أن يبرر اختياره للأسلوب الملائم للملاحظة.

الإطار 2.10

معايير الملاحظة المبنيّة (المقيّدة) وغير المبنيّة (غير المقيّدة)	
الملاحظة المبنيّة	**الملاحظة غير المبنيّة**
تستخدم تصميمًا صارمًا	تستخدم تصميمًا مرنًا
ملاحظة من دون مشاركة	ملاحظة بالمشاركة
تستخدم مستويات عالية من التقنين أو المعايرة	تستخدم مستويات متدنية من التقنين
تركز على جوانب من السياق	تركز على السياق كله
تطبق في المختبر وفي سياق طبيعي	تعمل في سياقات طبيعية
تدرس مجموعات صغيرة بشكل رئيس	تدرس مجموعات صغيرة وكبيرة
ملاحظة رسمية	ملاحظة غير رسمية
ملاحظة غير ظاهرة	ملاحظة غير ظاهرة
ملاحظة مباشرة	قد تكون مباشرة وغير مباشرة
تستخدم تصميمًا كميًا في الأغلب	تستخدم تصميمًا نوعيًا في الأغلب

هناك أنواع متعددة من الملاحظة تقع على طرفي نقيض: الملاحظة بالمشاركة والملاحظة من دون مشاركة. يكون الباحثون أحيانًا مراقبين أكثر من كونهم مشاركين، وفي حالات أخرى يكون الباحثون مشاركين أكثر من كونهم مراقبين. ومن ثمَّ، فإن الفرق بين الأنواع المختلفة يكمن في درجة المشاركة - الملاحظة أكثر مما يكمن في طبيعة الملاحظة نفسها.

2.1 الملاحظة المبنيّة والملاحظة غير المبنيّة

يختلف هذان النوعان من الملاحظة، كما يدل اسماهما، من حيث درجة البناء. تستخدم الملاحظة المبنيّة (المقيّدة) إجراء رسميًا صارمًا مع فئات معرّفة واضحة للملاحظة، وتخضع لدرجة عالية من التحكم والتقنين. كما أنها تنظم ويخطط لها قبل الشروع بالدراسة. هنا يحدد الباحث بدقة ما يريد ملاحظته وكيف ستتم الملاحظة وكيف ستسجل نتائج الملاحظة. أما الملاحظة غير المبنيّة (غير المقيّدة) فهي غير منظّمة جيدًا وتُترك عادة للملاحظ.

تقع الملاحظة شبه المبنيّة (شبه المقيّدة) بين الملاحظة المبنيّة والملاحظة غير المبنيّة. فقد تكون مبنيّة من حيث مقاربتها وغير مبنيّة من حيث سياقها. وهي شائعة الاستخدام في البحث الاجتماعي وتجمع بين مزايا الملاحظة المبنيّة وغير المبنيّة وعيوبهما.

3.1 أنواع أخرى من الملاحظة

▪ **الملاحظة الإنسانية والمادية:** تركز الأولى على الناس وأفعالهم، بينما تركز الثانية على الأشياء.

▪ **الملاحظة الساذجة والملاحظة العلمية:** تعني الملاحظة الساذجة الملاحظة اليومية غير المبنيّة التي يستخدمها الناس في تفاعلاتهم اليومية في المواقف الاجتماعية. وتصبح الملاحظة علمية عندما يُخطط لها وتنفّذ بانتظام، وعندما تكون متعلقة بهدف معين وعندما تخضع للتحكم والاختبارات.

▪ **الملاحظة الطبيعية والملاحظة المخبرية:** تحدث الملاحظة الطبيعية في سياقات طبيعية، وأما المخبرية فتحدث في المختبرات.

▪ **الملاحظة المفتوحة والملاحظة الخفية:** في الملاحظة المفتوحة تكون هوية الملاحظ/ الباحث معروفة لأفراد الدراسة وكذلك هدف الدراسة، أما في الملاحظة الخفية فلا يعرف الأفراد أنهم خاضعون للملاحظة والدراسة.

▪ **الملاحظة الفاعلة والملاحظة السلبية:** تتطلب هذه الملاحظة تدخل الباحث والتزامًا بقضية البحث، أما السلبية فليست كذلك، وفيها يكون دور الملاحظ مهنيًا يهتم بتسجيل البيانات، وفي هذه الحالة تكون الملاحظة مجرد واجب يؤدى بموضوعية وحيادية.

▪ **الملاحظة المباشرة والملاحظة غير المباشرة:** تدرس الملاحظة المباشرة الناس فرديًا أو جماعيًا. أما غير المباشرة فتدرس الأفراد من خلال مخرجات أفعالهم ونتائجها، حيث يقوم الباحث بملاحظة ما تركه الأفراد من الآثار وتقويمه وتحليله، وقد لا يكون هؤلاء الأفراد موجودين، ومن خلال هذه الملاحظات يستنتج الباحث بعض النتائج المتعلقة بحياة أولئك الأفراد.

▪ **ملاحظة الذات وملاحظة الآخرين**: في ملاحظة الآخرين، يلاحظ الباحث الآخرين، أما في الملاحظة الذاتية فيقوم الباحث بملاحظة نفسه، كأن يلاحظ كيف تكون ردة فعله في مواقف معينة، أو بشكل غير مباشر باستخدام الفيديو لمراقبة نفسه ثم تحليل التفاعل الذي جرى، كأن يحلل كيفية تعامله في بعض المواقف الحرجة في الملاحظة[4].

هذه الأنواع من الملاحظة ليس منفصلًا بعضها عن بعض؛ فقد تكون الملاحظة بالمشاركة مثلًا فاعلة ومفتوحة في الوقت نفسه.

ثانيًا: عملية الملاحظة

1.2 القالب البحثيّ

تتخذ الملاحظة شكل القالب البحثيّ العام نفسه الذي عرضناه سابقًا في هذا الكتاب، لكن محتوى كل خطوة يشتمل على عناصر تتأثر نوعًا ما بطبيعة الملاحظة. وفي ما يلي ملخص للخطوات الأساسية للبحث كما يُستخدم في مجال الملاحظة، وكما يمارسها الباحثون الكمّيون أساسًا. قد يستخدم الباحثون النوعيون الخطوات نفسها، لكن يجب تعديل محتواها وفقًا لمبادئ الإطار النظري الأساس للبحث.

1.1.2 اختيار الموضوع وصوْغه

في هذه المرحلة، يقرر الباحث وحدة الملاحظة، وهذا أمر ضروري سواء أكانت الملاحظة مبنيّة أم غير مبنيّة. ومن الضروري في هذه المرحلة أن يوضح موضوع الملاحظة بغض النظر عن السياق المنهجي. فمثلًا، يجب أن يحدد الباحث ما إذا كانت الملاحظة ستركز على الأفعال أو الكلام أو الاتجاهات أو السلوك. وقد يستخدم الباحثون النوعيون تعريفًا عامًا لوحدة الملاحظة، لكن تحديد هذه

(4) N. Rodriguez and A. Ryave, *Systematic Self-observation* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 2002).

الوحدة يجب أن يتم على الرغم من ذلك كله. فلا يدخل باحث إلى ميدان الدراسة من دون أن تكون لديه فكرة واضحة عما سيدرسه. وعلاوة على تحديد وحدة الدراسة، يقوم الباحث أحيانًا بتحديد هيكل الدراسة المنطقي والمعياري.

في حالة استخدام البحث الكمي والملاحظة المبنيّة، يتم تحديد الموضوع بدقة حتى يكون الملاحظون مدركين لعناصر الشيء الذي سيلاحَظ. كما يتم تطوير فئات محددة تساعد الباحث في تصنيف المادة (السلوك، العلاقات...). ويمكن أن يرتكز التصنيف، على سبيل المثال، على معايير تتعلق بهدف الدراسة، ودرجة التفصيل المطلوب، واهتمام الباحث، واستجابة أفراد الدراسة المتوقعة، وطبيعة الموقف. فمثلًا، يمكن في ملاحظة في صفّ دراسي استخدام الفئات التالية: «فئة متمركزة على المدرس»، «فئة متمركزة على الطالب»، «سلطوية»، «ديمقراطية»، «تميّز بحسب الجنس»، «لا تميّز بحسب الجنس». وسيتم تعريف هذه الفئات تعريفًا إجرائيًا في ما بعد، وذلك بتحديد معايير تدل على وجودها. ومن الأمثلة على ذلك: نوع اللغة ونوع الكلام ونغمة الصوت وتعابير الوجه.

يتم تطوير هذه الفئات والمؤشرات بعد العمل الاستطلاعي وقبل بداية الملاحظة. وبعد تشكيل هذه الفئات وتحديدها تُستخدم بالشكل نفسه في خلال الدراسة. وهذا يُمكّن الباحث من تصنيف وحدات التحليل كما يسمح أيضًا بإجراء مقارنات. وفي النهاية فإن تشكيل الفئات يمكّن الباحثين من الاهتمام بالعناصر القريبة من هدف الدراسة، ومن جمع بيانات وثيقة وصحيحة. وحيثما يُستخدم أكثر من ملاحظ، يمكن توليد نتائج أكثر دقة وتفصيلًا وأكثر قابلية للمقارنة.

في البحث النوعي، وحيثما تُستخدم الملاحظة بالمشاركة تكون المقاربة مختلفة نوعًا ما. وبالتأكيد، لا بد من اختيار الموضوع، ويمكن ألّا تكون التعريفات محددة جدًا وأن تكون الفئات، في حال استخدامها، غير واضحة أو محددة. ففي معظم الحالات، يتم تطوير الفئات في أثناء عملية الملاحظة التي تكون في هذا السياق مرنة ومفتوحة من حيث مقاربتها[5].

---

(5) J. Lofland and L. Lofland, *Analyzing Social Settings: A Guide to Qualitative Observation and Analysis*, 2nd ed. (Belmont, N.J.: Transaction, 1994).

كما ذكرنا سابقًا، يختار الباحث في هذه المرحلة من البحث الإطار النظري والمنهجي، ومن ثمّ نوع الملاحظة: مبنيّة أو غير مبنيّة، بالمشاركة أو من دون مشاركة... وهكذا. أما في ما يتعلق بنوع الملاحظة فينبغي للباحث أيضًا أن يحدد دور الملاحظ في السياق. لا توجد مرونة في دور الملاحظ في الملاحظة المبنيّة، حيث يكون الملاحظ رسميًا ومنعزلًا (غير منخرط في الدراسة).

في الملاحظة بالمشاركة، هناك عدد أكبر من الخيارات؛ كالمشاركة الكاملة، حيث يندمج الملاحظ تمامًا في المجموعة موضوع الدراسة، أو المشاركة الجزئية والملاحظة الكاملة (ملاحظ فحسب).

2.1.2 إجراءات اختيار العينة

بعد تحديد تفصيلات موضوع الملاحظة ووحدتها والمعايير المنهجية للدراسة، يبدأ الباحث بالجانب العملي للبحث، فتكون الخطوة التالية هي اختيار أفراد العينة.

حيثما يُستخدم التصميم الكمي الصارم يكون اختيار أفراد العينة بالطريقة الاحتمالية. أما في التصاميم النوعية حيث تُستخدم الملاحظة غير المبنيّة أو الملاحظة بالمشاركة، فيُختار الأفراد بالطريقة النظرية الهادفة. وفي السياقين يعني اختيار العينة أكثر من مجرد اختيار الأفراد[6]، كما سنرى لاحقًا.

الوقت

يجب على الباحث أن يحدد متى تبدأ الملاحظة، ويكتسب ذلك أهمية أكبر في حالة الملاحظة بالمشاركة لإمكان توافر بيئات وخبرات مختلفة في أوقات معينة دون سواها (أيام، أسابيع، شهور...). لهذا السبب فإن اختيار وقت معين يؤثر في نوع المعلومات التي ستُجمع وفي جودتها وكميتها. ولا يحتاج الباحث الذي يستخدم الملاحظة المبنيّة إلى الالتزام بهذه المتطلبات، لأنه من المتوقع أن تحدث الملاحظات في أوضاعٍ محددة بما فيها الوقت.

(6) W. Mahr, *Politische Struktur der Sozialforschung* (Leipzig: Selbstverlag, 1995).

المدة الزمنية

بعد تحديد موعد إجراء الملاحظة، ينبغي للباحث أن يفكر بمدة الملاحظة، ويعني ذلك تحديد طول كل جلسة (مثلًا، ساعة في استراحة الغداء)، ثم تحديد طول الدراسة (مثلًا، يوميًا لمدة ثلاثة شهور)، وتاليًا تكون مدة الدراسة ساعة يوميًا في استراحة الغداء لمدة ثلاثة شهور. ويحدَّد موعد البدء عند التفكير بالوقت (انظر أعلاه).

المكان

يتضمن اختيار العينة تحديد المكان الذي ستُجرى فيه الملاحظة؛ فإذا كانت الملاحظات ستُجرى في مدارس أو مستشفيات أو أندية، يجب أن يحدد المكان المحدد للملاحظة في هذه المؤسسات، أي تحديد الغرفة والطابق وأي تفصيلات أخرى.

نوع الحدث

يجب تحديد نوع الحدث الذي سيُدرس؛ فهل سيراقب الباحث كل شيء، أم بعض الحوادث، أم الحوادث الروتينية، أم حوادث غير متوقعة، أم حوادث خاصة؟

الترتيبات

ينبغي للباحث أن يقرر الترتيبات الضرورية لدخول السياق وتسجيل البيانات، إضافةً إلى الإجراءات المتعلقة بالعينات طبعًا. يكون الدخول إلى السياق أمرًا مهمًا في حالة الملاحظة بالمشاركة والملاحظة بشكل عام. ويتضمن الدخول الحصول على إذن لدخول البيئة التي ستُدرس، وهذا أمر ليس بالسهل دائمًا. فبينما تكون مراقبة أطفال في ملعب المدرسة عملية سهلة، تكون مراقبة نزلاء السجن أو أفراد عصابات الشوارع أو أندية المثليين أو بعض اللجان الحكومية صعبة جدًا. ولا بد من الانتهاء من هذه الترتيبات قبل البدء بالملاحظة.

3.1.2 المُلاحِظ

كما هي الحال في طرائق البحث الأخرى، كذلك الأمر في طريقة الملاحظة، على الباحث أن يحدد الشخص أو الأشخاص الذين سيقومون بجمع البيانات. إضافةً إلى ذلك، يقوم الباحث بتقويم طبيعة الملاحظة وصفات الملاحظين. ويتطلب ذلك تحديد مدى توافر بعض المهارات عند الملاحظين. وبعد الانتهاء من هذه الأمور ينتقل الباحث إلى الخطوة التالية في عملية البحث.

مهارات المُلاحِظ

إن نوعية الملاحظ في الأغلب تكون أكثر أهمية في سياق الملاحظة منها في طرائق أخرى، ذلك أن الملاحظة، خصوصًا الملاحظة بالمشاركة، تعتمد بشكل كبير على جودة الملاحظ في جمع البيانات من حيث الكمية والنوعية، ولهذا السبب يجب اختيار الملاحظين بعناية. وتختلف الصفات التي يجب أن تتوافر في الملاحظ من حالة إلى أخرى، خصوصًا في ما يتعلق بنوع الملاحظة التي ستُتبع في الدراسة، لكن هناك صفات ومهارات أكثر أهمية من غيرها[7]. وفي ما يلي بعض الصفات المطلوبة وفقًا للمنهج الكمي في البحث:

- قدرة شخصية عامة من حيث الإدراك والذاكرة.
- معرفة بميدان البحث والبيئة المحيطة.
- معرفة محددة بموضوع البحث.
- خبرة سابقة في الملاحظة والبحوث الأخرى.
- قدرة على التعامل مع حالات الأزمة.
- المرونة والقدرة على التكيف.
- احترام الحدود بين الملاحظ وأفراد الدراسة.
- قدرة على الشعور بقوة الثقافة في الحياة اليومية.
- قدرة على التعايش والتعامل مع الآخرين.
- قدرة على اتباع التعليمات.

---

(7) Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit.*

- قدرة على ضبط الميل الشخصي والتحكم بالأيديولوجيا الشخصية.
- الأمانة والثقة.
- الوعي بالمعايير الأخلاقية واحترامها.

تختلف المهارات المطلوبة من الملاحظ من حالة إلى أخرى، وفقًا للسياق النظري والمنهجي للبحث. يتوقع من الملاحظين بالمشاركة وفقًا للمنهج الكمي أن يكونوا مدركين متطلباته وأن يمتلكوا مهارات قد تختلف عما هو مطلوب في السياق النوعي.

تدريب المُلاحِظ

تقتضي طبيعة الملاحظة في كثير من الحالات أن يقوم بها الباحث نفسه، خصوصًا في الملاحظة بالمشاركة، وفي حالة البحث النوعي ودراسة الحالة. وفي حالات أخرى، يمكن استخدام أكثر من مُلاحِظ. يقوم الملاحظون المختلفون بملاحظة مجموعاتهم كل على حدة، وينتجون بيانات تدخل في التحليل النهائي للدراسة. ويُسرّع استخدام أكثر من ملاحظ عملية جمع البيانات، لكنه قد يسبب بعض المشكلات، خصوصًا في ما يتعلق بالتنوع بين الملاحظين. وحيثما يتعدد الملاحظون وحيثما لا يكون الباحث هو الملاحظ نفسه، يصبح تدريب الملاحظين ضروريًا.

عندما يكون التدريب مطلوبًا، فإنه يركز على قضايا مركزية بالنسبة إلى الدراسة، وعلى المصادر المحتملة لإحداث خلل، وعلى جوانب الدراسة التي تتطلب مزيدًا من التفسير، والأهم من ذلك التدريب على المهارات الفنية للملاحظة. وتُمهّد الدراسات الاستطلاعية الطريق لذلك، وفي أي حال يعتقد كثير من الباحثين أن التركيز على النقاط التي يتضمنها الإطار 3.10 أمر مفيد[8].

حتى عند استخدام ملاحظ واحد في الدراسة، يبقى التدريب مهمًا. وعلى

---

(8) انظر على سبيل المثال: B. Becker, *Grundlagen soziologischer Methodologie* (Frankfurt: Selbstverlag, 1989); Flick et al., eds., *Handbuch Qualitative Sozialforschung* (Munich: Psychologie Verlags Union, 1991); K. Martin, *Methodologisches Denken* (Hamburg: Selbstverlag, 1988).

الملاحظ أن يعرف ماذا سيلاحظ ومتى وكيف تجري الملاحظة. وأما مدى اندماج الملاحظ في الدراسة فذلك قضية أخرى. ومن الصعب على الملاحظ أن يصبح ملاحظًا مشاركًا أصيلًا، ونادرًا ما يصل الملاحظون إلى تلك المرحلة[9]. لذلك يُعد التدريب مفيدًا دائمًا.

الإطار 3.10

أهداف تدريب الملاحظ

يركز تدريب الملاحظ على:

- الفهم الشامل لموضوع البحث.
- معرفة خصائص مجتمع الدراسة.
- فهم مجالات الإشكال المحتملة في الدراسة.
- معرفة الفئات (حيثما تطلب الأمر) واستعمالها الفاعل.
- معرفة أولية بطرائق التغلب على المشكلات والنزاعات غير المتوقعة.
- القدرة على اتباع التعليمات بدقة وتعديلها من دون تحيّز أو إحداث خلل في البيانات.
- التكيف والمرونة.
- القدرة على ملاحظة أشياء وفئات عدة في الوقت نفسه.

4.1.2 جمع البيانات

يقوم الباحث في هذه المرحلة بتنفيذ التعليمات كلها واستخدام التقنيات التي يتضمنها التصميم كلها. ومن ناحية عملية، يتعامل الملاحظ مع أفراد الدراسة ليجمع البيانات منهم. وسنذكر هنا عددًا قليلًا من النقاط فحسب.

الشروع بالملاحظة

تتضمن واجبات الملاحظ الأولية إعداد السياق والتعرف إليه وإصدار تعليمات كافية وملائمة. ومن المهم في عملية الملاحظة المبنيّة أن يقوم الملاحظ

(9) H. F. Wolcott, «Posturing in Qualitative Research,» in: M. D. LeCompte, W. L. Millroy and J. Preissle, eds., *The Handbook of Qualitative Research in Education* (San Diego: Academic Press, 1992), p. 20.

بمقابلة أفراد الدراسة ودعوتهم إلى المختبر ليشرح لهم ما هو مطلوب منهم بالتفصيل. وقد تتضمن هذه العملية إعطاء زوجين مئة دولار لمناقشة كيفية إنفاقها. وتحدد طبيعة الدراسة إلى أي مدى يمكن كشف عملية الملاحظة للأفراد.

إذا جرت الملاحظة المبنيّة في سياقات طبيعية فإن الأفراد، في الأوضاع الطبيعية، لا يبلَّغون بأنهم قيد الملاحظة ولا تجرى أي ترتيبات بخصوص السياق؛ إذ يقوم الملاحظ بزيارة أفراد الدراسة ويلاحظهم من دون معرفتهم بذلك. ويتم التسجيل في السياق نفسه، أو في المختبر بطريقة يحددها الباحث.

في الملاحظة النوعية، كما في الملاحظة بالمشاركة مثلًا، تختلف عملية اختيار أفراد الدراسة وكيفية الشروع بها. وكما ذكرنا سابقًا، لا تُستخدم الإجراءات العشوائية هنا، والمشارك هنا أكثر من مجرد مخبر. يدخل الملاحظ إلى الميدان، لكنه يعمل على ألّا تكتشف هويته، والأهم من ذلك ألا يؤثر وجوده في بنية السياق وأدائه. وبالتحديد، يتوقع من الملاحظ أن يحترم الأفراد الملاحظين، وعليه أن يكون متفهمًا ومتسامحًا وعارفًا بأساليب حياة أفراد الدراسة. وتكون العلاقة بين الملاحظ وأفراد الدراسة وثيقة وقريبة تعتمد على التعاون والتفاهم المتبادل والثقة.

جمع البيانات

يبدأ جمع البيانات، في الملاحظة بالمشاركة، بعد أن يدخل الباحث السياق ويبدأ بتسجيل الملاحظات بالطريقة الملائمة للأوضاع. وعندما يكون الإطار نوعيًا، تُجمع البيانات وتُحلل في آن. تركز الملاحظة على وحدات البحث عبر فترة زمنية محددة، وبهذا المعنى يمكن البيانات التي تجمع أن تتعلّق بمَدَيات زمنية متعددة، وبذلك تركز على أطر زمنية مختلفة وتولّد أنواعًا متعددة لجمع البيانات. وفي ما يلي بعض الأمثلة:

- **الملاحظة المستمرة**: تكون الملاحظة في شكلها العام مستمرة، أي إنها تستمر بتسجيل ما يحدث طوال فترة الحدث. فمثلًا قد يقوم الباحث بتسجيل مستوى النشاط لأطفال في مخيم في خلال مدة أربعة أسابيع.

- **الملاحظة محددة التوقيت:** أي جمع بيانات في وقت محدد. فقد يرغب الباحث في جمع بيانات في شأن ما يحدث في وقت محدد؛ كأن يسجّل المكان الذي يكون فيه كبار السن في الساعة التاسعة صباحًا. هل ما زالوا في الفراش ينظرون إلى سقف الغرفة، يقرأون، يتحدثون معًا، يمشون في الساحة أم يساعد بعضهم بعضًا؟... وهكذا. توفر هذه الطريقة بيانات حول نقطة معينة في زمن معين وكأنها صورة تلتقط لفرد أو مجموعة، من دون النظر إلى إطار زمني.

- **الملاحظة في فترة محدودة:** تقع هذه الطريقة بين الملاحظة المستمرة والملاحظة محددة التوقيت. ويركز جمع البيانات بهذه الطريقة على ما يحدث بين وقتين محددين: بين 9:00 و9:10 صباحًا. ونفترض هنا أن للباحث هدفًا معينًا لجمع البيانات في هذا الوقت المحدد.

- **ملاحظة الحدث:** تتعلق هذه الطريقة بسلوك ينجم عن سلوك آخر أو حوات أخرى. ويعتمد وجود وحدة الملاحظة في هذه الطريقة على وقوع حدث آخر. كأن يتمّ في المثال السابق تسجيل مستوى النشاط عند كبار السن في قسم الكبار بعد دخول الطبيب. ويريد الباحث قياس مدى نشاط كبار السن بحضور الطبيب. هل هذا النشاط أكثر أم أقل بحضور الطبيب أم في غيابه؟

5.1.2 التسجيل

يجب أن يفكر الباحث في عملية تسجيل البيانات في مرحلة التخطيط للبحث. هناك ثلاث قضايا مهمة في هذا الخصوص: ما الذي سيسجَّل ومتى وكيف؟ وهذا يتعلق بطريقة التسجيل والحوادث التي ستسجَّل وطريقة الترميز.

طرائق التسجيل

تختلف طرائق التسجيل من نوع إلى آخر من أنواع الملاحظة. ففي البحث الكمي، يقتضي تسجيل الملاحظة المبنيّة تحديد وجود فئات مختلفة وتكرارها. وهذا يتطلب تركيزًا، حيث تُسجل جميع الفئات بشكل ملائم. فالعملية فنية وميكانيكية وتسمح باستجابات قابلة للقياس. ويختلف التسجيل أيضًا وفقًا لنوع الحدث موضوع الدراسة، وكثافة المعلومات وحجم المجموعة.

أما في البحث النوعي، فإن طريقة التسجيل تختلف وفقًا لموضوع البحث ودرجة معرفة الملاحظ بالطرائق المتاحة. وبشكل عام تُشكَّل الطرائق وفقًا للتسلسل الزمني أو بطريقة منتظمة. وأهم طرائق التسجيل شيوعًا ما يلي: كتابة المعلومات حرفيًا، باختصار أو كتابة الكلمات المفتاحية، تسجيل المحادثات سمعيًا، تسجيل الحوادث بالفيديو، والتقاط الصور.

الإطار 4.10

المدى الزمني لتركيز الملاحظة: أربعة خيارات
▪ الملاحظة المستمرة تركز على أنواع النشاط طوال مدة الدراسة.
▪ الملاحظة محددة التوقيت تركز على أنواع النشاط في وقت محدد.
▪ الملاحظة في فترة معينة تركز على أنواع النشاط في خلال فترة زمنية محددة.
▪ ملاحظة الحدث تركز على طبيعة حوادث معينة ما دامت موجودة.

تُعدّ طريقة تدوين الملاحظات من أكثر الطرائق استخدامًا، لكنها غير ممكنة دائمًا. فقد تكون المعلومات التي يراد تسجيلها مكثفة جدًا، وقد يكون عدد أفراد الدراسة كبيرًا لا يساعد في تدوين الملاحظات بسهولة، وقد لا يرغب الملاحظ في أن يعرف الأفراد أنهم تحت الملاحظة والدراسة. علاوة على ذلك، فإن تدوين الملاحظات قد يوجه اهتمام الملاحظ إلى الكتابة، وبذلك فقد يُفقد بعض ما يدور بين أفراد المجموعة المراقبة. وإذا لم تسمح الأوضاع بتدوين الملاحظات، ينبغي للملاحظ تدوين كلمات أو عبارات مفتاحية تساعده عند استكمال الملاحظات في ما بعد، وقد يضطر الملاحظ أحيانًا إلى ترك مسرح الحوادث قليلًا ليكتب بعض الملاحظات المهمة.

يُعدّ التسجيل الصوتي والمرئي أسهل وأكثر فاعلية من الطرائق الأخرى، حيث يستطيع الباحث الاستماع إلى الشريط المسجل أو مشاهدته مرة أو أكثر وفقًا لحاجته، ويستطيع أيضًا أن يستخدم أكثر من مُلاحظ في الوقت نفسه، ما يعطي بيانات أكثر صدقًا ودقة. لكن هناك حالات يكون التسجيل فيها غير ممكن وقد لا يوافق أفراد الدراسة على إجراء تسجيل لهم، فيحد هذا من فائدة التسجيل واستخدامه. علاوة على ذلك، يضيف التسجيل عبئًا زائدًا على الباحث، حيث

يتم تأجيل عملية تدوين الملاحظات، وكثيرًا ما يكون جزء كبير من المعلومات المسجلة غير مفيد. أما طريقة التصوير التي ذكرناها أخيرًا فهي محدودة الفائدة.

الحوادث

يتم التسجيل وفقًا للإطار المنهجي للدراسة. ففي المنهج الكمي، تُجرى الملاحظة على أساس فئات الملاحظة التي طوّرها الباحث قبل البدء بعملية الملاحظة. وتتعلق هذه الفئات بالوحدات والأفراد الذين يوضحون وجود بعض الخصائص ومحتواها واتجاهها وكثافتها. فقد تركز الملاحظة على محتوى النقاش أو على المشاعر أو تعابير الوجه أو العدوان أو أنماط التواصل أو السلوك أو على قضايا عامة تحدد في خلال عملية التحديد الإجرائي للدراسة.

في البحث النوعي يسجل الملاحظون منذ البداية ما يحدث حولهم من دون تمييز (بغض النظر عن أهمية ما يحدث في وقت الملاحظة)، ويحتفظون بسجلات دقيقة ومفصلة وملاحظات كاملة. والقاعدة العامة هي وصف السياق والأفراد والمناقشات والعلاقات وغيرها. وعبر الزمن، تزداد المعرفة بالسياق كما يزداد فهم أهمية ما يحدث بالنسبة إلى موضوع البحث. ويؤدي ذلك إلى تأسيس آليات للفرز تسمح للملاحظ بأن يصبح أكثر تركيزًا وانتقاء. ويقتضي جمع البيانات وتسجيلها عنصرًا من عناصر التحليل في بنيتها.

الترميز

بعد تطوير الفئات التي ستلاحَظ وبعد أن تصبح وحدات الملاحظة واضحة ومحددة سلفًا، يمكن حينئذٍ استخدام الرموز لتسجيل البيانات، وهي طريقة مختصرة تُستبدل فيها الأفعال وأنماط السلوك بأرقام أو بكلمات مفتاحية، ما يُسهّل عملية التسجيل، خصوصًا عند وجود أمور كثيرة تتطلب تسجيلًا وعددًا كبيرًا من الأفراد للملاحظة. وإذا كانت الفئات واضحة ومحددة المعالم، يمكن حينئذٍ استخدام أدوات ميكانيكية لتسجيل بيانات الملاحظة، مثل جهاز الكرونوغراف التفاعلي الذي طوّره شابل (Chapple) ومقياس التأمّل السمعي الذي طوّره ثيلن (Thelen) وجهاز التسجيل التفاعلي الذي طوّره بيلز وغربرودز (Bales and Gerbrauds).

تأتي الرموز في البحوث الكمية نتيجة للتحديد الإجرائي الدقيق للبحث والتعريف الدقيق للمؤشرات، وتحدد هذه العملية بدقة جوانب السلوك الذي نحتاج إلى ملاحظته وذلك لتحديد موضوع الدراسة وتقويمه. وتساعد الرموز الباحث في تحديد ما يريد وتجاهل ما لا يريد. وهي التي توضح للملاحظ ما يشكّل الانتباه لدى أطفال المرحلة الابتدائية وكيف نحدد مؤشراته. وبينما يقوم الباحثون النوعيون بملاحظة الأطفال في المدارس بشكل عام، يركز الباحثون الكميون على جوانب محددة في الخبرة المدرسية ويقوّمون جوانب محددة من سلوك الأطفال.

6.1.2 التحليل وكتابة تقرير البحث

تُعدّ طريقة تحليل البيانات وتوصيلها إلى الجمهور من أهم جوانب عملية البحث، وهذا ما سنناقشه في فصل آخر. في هذه المرحلة، من المهم أن نلاحظ، وفقًا للبحث الكمي، أن تكرار حدوث الفئات المختلفة التي حددت في أثناء عملية الملاحظة يشكل أساسًا للقياس الإحصائي والتحليل، ولاستخدام الاختبارات الإحصائية الملائمة لتحديد العلاقات وتقديم التفسيرات وإجراء المقارنات وأخيرًا التنبؤات. في المقابل، حيثما يستخدم المنهج النوعي في البحوث، فإن جمع البيانات وتحليلها يحدثان معًا في الوقت نفسه كما الحال في تصميم البحث النوعي المرن. وتساعد مخرجات هذا التحليل في إنتاج التقرير النهائي.

ثالثًا: الملاحظة بالمشاركة

تُعد الملاحظة بالمشاركة من أهم طرائق الملاحظة في البحث الاجتماعي بشكل عام، وفي البحث النوعي بشكل خاص. لذلك فمن المهم أن نضيف بعض المعلومات حول هذه الطريقة كما تستخدم في المنهج النوعي وتزداد أهمية ذلك في ما يتعلّق بالمعايير الرئيسة التي تميز هذه الطريقة من غيرها من أنواع الملاحظة. وتظهر أهم مزايا هذه الطريقة[10] في الإطار 5.10.

(10) Benini, *Construction of Knowledge*, p. 36; Lamnek, *Qualitative Sozialforschung*, p. 363.

الإطار 5.10

المعايير الرئيسة للملاحظة (النوعية) بالمشاركة

إن الملاحظة بالمشاركة (النوعية):

- تلتزم بدراسة الحوادث اليومية من حيث شعور المشاركين في الدراسة حيالها وكيفية فهمها.
- تُجرى في بيئة طبيعية، وبذلك تبقى الملاحظة طبيعية وموثوقة.
- مصممة لدراسة الحوادث الاجتماعية في جميع الأوضاع، حيث تكون البيانات أقرب ما يمكن إلى الواقع، والبشر الذين يعيشون فيه وطريقتهم في بنائه واختباره.
- يتم جمع البيانات من خلال التفاعل وجهًا لوجه.
- تجمع البيانات بطريقة غير منظمة.
- تستخدم طرائق مرنة ومفتوحة.
- تدرس الواقع كما يشكله التفاعل والاتصال بين المشاركين.
- تعالج الواقع بطريقة تفسيرية.

بكلام أدقّ، تتميز الملاحظة بالمشاركة بكونها تلاحظ التواصل والتفاعل بطريقة طبيعية غير منظمة، حيث يتم تطوير تصميم البحث وتعديله في أثناء الملاحظة في علاقة مباشرة وجهًا لوجه وبأسلوب منفتح ومرن.

رابعًا: الملاحظة المادية

ناقشنا في ما سبق أشكالًا مختلفة لملاحظة الأفراد وجمع البيانات عنهم، وعن علاقاتهم مع الآخرين ومع بيئتهم، وقدمنا أمثلة عن ملاحظة «البشر». أما **الملاحظة المادية** فتكون للأشياء التي يوجد بعضها في البيئة الطبيعية المادية، وبعضها الآخر يتمثل في مخرجات السلوك البشري. هناك إذًا نوعان من الملاحظة المادية: **ملاحظة الأشياء** التي يستخدمها أفراد الدراسة أو التي تؤثر فيهم بشكل ما، و**ملاحظة الآثار المادية** أو ما يخلفه السلوك البشري.

1.4 ملاحظة الأشياء

تتضمن هذه الملاحظة ملاحظة أشياء لها تأثير مهم في حياة الناس. وهي مفيدة من ناحيتين: **أولًا** أنها تكشف معلومات عن اتجاهات الناس وسلوكهم،

وثانيًا أنها تعمل لإثبات أو دحض أو تضخيم المعلومات التي تُقدّم إلى الباحثين بطريقة أخرى. وقد تستخدم هذه الأنواع من الملاحظة باعتبارها طرائق بحثية رئيسة أو من خلال الإضافة إلى طرائق أخرى.

من الأمثلة على استخدام هذا النوع من الملاحظة، باعتبارها طريقة رئيسة في البحث، ما يحدث عند محاولة إثبات الحالة الاجتماعية لشخصين يعيشان معًا في شقة واحدة كمستأجرين. يستطيع الباحث بزيارة هذين الشخصين وباستخدام الملاحظة المبنيّة، وتحديد بعض المؤشرات الدقيقة عن العلاقة الحقيقية بينهما وفقًا لمتطلبات القانون، كالتأكّد مما إذا كانا متساكنين. ومن هذه المؤشرات وجود سرير واحد، وغرفة نوم واحدة، وعدم وجود أي أماكن أخرى للنوم في الشقة. وقد يكون حفظ الملابس الداخلية والأغراض الشخصية في الخزانة نفسها مؤشرًا آخر. وفي مثل هذه الحالة ليست هناك قيمة لصدق المؤشرات أو أخلاقيات الدراسة. المهم هو أن الملاحظة المادية يمكن أن توفر بيانات كافية لاستخلاص النتائج حول الناس من دون مساعدتهم.

كذلك تُستخدم الملاحظة المادية مع طرائق أخرى لجمع البيانات مثل المقابلة. وكما لاحظنا سابقًا، فإن المعلومات التي توفرها الملاحظة في مثل هذه الحالة تساعد في اختبار صدق المعلومات التي تؤمنها أساليب أخرى. فعلى سبيل المثال، امرأة تكافح للإبقاء على ابنها تحت رعايتها وتدافع عن قضيتها أمام موظف اجتماعي في بيتها، قد تقدم قصة مقنعة لكن من الصعب عليها أن تربح القضية إذا كان واقع البيت يشير إلى حقيقة أخرى: بيت غير منظم، قذر، حقن فارغة بجانب السرير، زجاجات خمر فارغة، أو دلائل على تدخين مفرط... وغيرها. فالملاحظة هنا أكثر إفادة وإقناعًا من ادعاءات الأبوين.

2.4 ملاحظة الآثار المادية

إن الآثار المادية مخرجات لأنواع نشاط إنسانية تقدم معلومات عن اتجاهات اجتماعية معينة وعادات وأنماط سلوكية وآثار ثقافية لمجموعة من الناس أو لمجتمع. ويمكن لهذه الآثار المادية أن تُدرس بطرائق عدة، خصوصًا باستخدام

الملاحظة. في هذه الحالة يركز الملاحظون على الآثار التي تركها الأفراد خلفهم، ثم يستخلصون بعض النتائج عن هؤلاء الأفراد وحياتهم الاجتماعية والثقافية. وهناك نوعان من المقاييس للآثار؛ يدرس أحدهما الزيادة، بينما يهتم النوع الثاني بالنقصان. يهتم الأول بتراكم الآثار، أما الآخر فيدرس التأكل[11].

استخدم الباحثون مفهوم «الآثار» بطريقتين؛ إذ قد تتمثل الآثار بأشياء مادية في بعض الحالات كنفايات المنازل في الأماكن العامة. فمثلًا يستطيع شخص أن يثبت بأن أفراد أسرة ما يشربون البيرة أم لا بالتفتيش في نفايات المنزل، وبالمثل يمكن إثبات التدخين بوجود أعقاب السجائر في الممرات أو في المنفضة. وهذا هو التعريف نفسه الذي استخدمناه في تفسير دراسة الأشياء التي ذكرناها أعلاه؛ فالأشياء هنا عبارة عن آثار. وفي حالات أخرى تتمثل الآثار برموز أو إشارات أو رسوم، مثل الرسوم في الكهوف أو كتابة العبارات المشينة في الحمامات، التي توفر للباحث معلومات مهمة عن الأشخاص الذين استخدموا تلك البيئات.

بشكل أكثر تحديدًا، توفر دراسة الآثار المادية معلومات عن ثقافة المجتمعات السابقة وحياتها، كما يمكن أن توفر هذه الدراسة معلومات عن الأنماط السلوكية والعادات الشخصية للجماعات والأفراد، ومعلومات فريدة لا تستطيع الأساليب الأخرى توفيرها. ومن الممكن استخدام دراسة الآثار المادية باعتبارها طريقة رئيسة وحيدة أو تُستخدَم، إضافة إلى أساليب أخرى.

هناك مجالات كثيرة يصلح فيها استعمال طريقة دراسة الآثار المادية. فمن خلال ملاحظة أرض المتحف مثلًا، يمكن استخلاص بعض النتائج عن مدى إقبال الناس على بعض المعروضات الأثرية؛ فإذا كانت الأرض أمام ذلك المعرض تبدو وقد ديست كثيرًا، فهذا يعني أن عدد زوار هذه القطعة كبير، وتاليًا يمكننا أن نستنتج أن هذه القطعة الأثرية مفضلة ومحبوبة أكثر من غيرها. ويستخدم الباحثون الاجتماعيون الآثار المادية لاستنتاج عادات مجتمع أو مجموعة معينة. ففي دراسة حديثة، قام أحد الباحثين بتفحص النفايات المنزلية لبيوت الأمهات

---

(11) Benini, Ibid.

اللواتي يعشن وحدهن، للتأكد من نوعية الطعام الذي يأكلنه، كذلك قام الباحثون بملاحظة وجود بعض الأشياء الأخرى التي تهمهم في البحث. وفي دراسة مشابهة، ركز التفتيش على الكحول والمخدرات بدراسة أعداد الزجاجات وأنواعها وعدد الحقن المستخدمة والعلب التي يمكن أن تكون علب مخدرات، وهكذا. وقامت دراسة أخرى بالبحث في سلال النفايات لأصحاب بيوت أثرياء وشخصيات معروفة وذلك للإجابة عن أسئلة مماثلة ولتعرّف الأشياء التي يلقي بها هؤلاء الناس في النفايات. وهنا يتخذ الباحث دور رجل التحريات الخبير الذي يتفحص ما يحيط بالأفراد ليكتشف شيئًا خفيًا أو غير معروف.

3.4 عملية البحث

يتبع جمعُ البيانات والتحليل النمطَ العام لقالب البحث، ابتداء من تحديد موضوع البحث إلى جمع البيانات ثم التحليل. ويمكن استخدام المنهجية الكمية أو النوعية وفقًا لنوع الملاحظة المادية. وعند دراسة الآثار المادية يمكن استعمال الملاحظة غير المبنيّة، وفي بعض الحالات يمكن استخدام الملاحظة المبنيّة. كما يمكن توجيه المقابلين وتقديم بعض النصح لهم في شأن الأشياء التي سيلاحظونها في أثناء المقابلة، وقياس مداها ونوعيتها وفقًا لمتطلبات تصميم البحث. ولا تتمتع الملاحظة المادية في البحث الاجتماعي بدرجة شيوع وشهرة الملاحظة الإنسانية نفسها في أسلوب الملاحظة بشكل عام.

خامسًا: قضايا أخلاقية

كما هو الحال في طرائق جمع البيانات الأخرى، لا بد من أخذ القضايا الأخلاقية بالاعتبار. إن طبيعة الملاحظة تجعل الأخلاق قضية فعلية، لأن الملاحظين سيتعاملون مع أفراد الدراسة مباشرة. وفي كثير من الحالات تجري الملاحظة من دون علم أفراد الدراسة بها، ويزداد الأمر جدية عندما لا يعرف أفراد الدراسة هوية الملاحظ، خصوصًا عندما يتظاهر الملاحظ بأنه عضو أصيل في المجموعة موضوع الدراسة.

لا يعتبر بعض الباحثين الأخلاق قضية مهمة ويرون أنها يجب ألا تعوقهم عن متابعة اهتماماتهم البحثية ما داموا يعتقدون أن هدف الدراسة نبيل. وهم يعتقدون أن إخفاء هوياتهم أمر مبرر إذا كانت نتائج البحث مفيدة للأفراد والمجتمع. لكن معظم الباحثين يعتقد أن إغفال الناحية الأخلاقية في البحث أمر غير مقبول؛ فعلى الباحث أن يُعرّف عن نفسه عند دخول ميدان البحث والتعامل مع أفراد الدراسة شخصيًا، وعليه أيضًا أن يكشف عن نواياه الحقيقية وعن أهداف البحث. ولا بد من أن يكون الباحث صادقًا في الكشف عن نواياه.

سادسًا: مزايا الملاحظة وعيوبها

المزايا[12]:

- توفر الملاحظة معلومات عندما لا تكون طرائق جمع البيانات الأخرى فاعلة، وتستخدم إجراء أقل تعقيدًا وأقل استهلاكًا للوقت في عملية اختيار الموضوع.
- توفر بيانات عندما لا يكون المبحوثون قادرين على تقديم معلومات أو راغبين في ذلك.
- تجرى في سياق طبيعي وتدرس الحوادث كما تتطور، وهذا ما يحدث في البحث النوعي بشكل خاص.
- توفر معلومات مباشرة من دون الاعتماد على تقارير الآخرين.
- تسمح بجمع نوعية واسعة ومتنوعة من المعلومات حتى لو كان يُعتقد أن هذه المعلومات غير ملائمة في وقت الدراسة. وينطبق هذا على الملاحظة بالمشاركة.
- غير مكلفة نسبيًا.

العيوب[13]:

- لا تُستخدم مع المجموعات الكبيرة أو لدراسة الحوادث المكثفة.

---

(12) Mahr, *Politische Struktur der Sozialforschung.*

(13) Becker, *Grundlagen soziologischer Methodologie*; Mahr, Ibid.

- لا تستطيع تقديم معلومات عن حوادث مستقبلية أو غير متوقعة.
- لا توفر بيانات تتعلق بدرجة تكرّر السلوك.
- لا تستطيع دراسة الاتجاهات والآراء مباشرة.
- لا تلائم دراسة المسائل الحساسة كالسلوك الجنسي والعنف الأسري.
- متعبة نسبيًا وتستغرق وقتًا طويلًا.
- تتأثر بتحيز الباحث وميوله وتعتمد على طريقة إدراكه للأمور ومدى ذاكرته.
- يكون الملاحظ في أسلوب الملاحظة بالمشاركة جزءًا من الموقف موضوع الدراسة.
- لا تقدم إجراءات للتغلب على تحيز الباحث واتجاهاته وآرائه.
- لا تسمح بإجراء تعميمات استقرائية للنتائج.

على الرغم من هذه العيوب، تظل الملاحظة من أكثر طرائق جمع البيانات شيوعًا ويستخدمها الباحثون وفقًا للمنهجين الكمي والنوعي.

سابعًا: مشكلات الملاحظة

هناك عوامل ومشكلات كثيرة تحد من استخدام أسلوب الملاحظة. ويعزى بعض هذه المشكلات إلى الملاحظين وبعضها الآخر إلى طبيعة الملاحظة وهدفها وترتيباتها المنهجية. وناقشنا بعض هذه المشكلات سابقًا، لكن هناك مشكلات أخرى يمكن تلخيصها كما يلي[14].

1.7 مصادر الخطأ

من الناحية العملية، ترتبط الأخطاء بجميع جوانب الملاحظة، إذا لم يكن تصميم الدراسة والإعداد لها فاعلين. وقد يسبب هدف الملاحظة أخطاء إذا لم يفهمه الملاحظون فهمًا صحيحًا. وبالمثل، قد تجعل ترتيبات الملاحظة عملية

(14) Becker, Ibid., Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit.*

التسجيل متعبة أو مستحيلة أحيانًا، لذلك تُترك بعض المعلومات المهمة من دون تسجيل. ويكون ذلك واضحًا عندما لا يكون الترميز ملائمًا أو عندما يكون غير واضح. والأهم من ذلك، قد يكون الملاحظ مصدرًا لعدد من الأخطاء، الأمر الذي يدفع الباحثين إلى اتخاذ بعض الإجراءات الوقائية. وفي ما يلي قائمة موجزة بمثل هذه الأخطاء:

الملاحظ بوصفه مصدرًا للخطأ

- **عدم القدرة**: قد تحدث الأخطاء نتيجة عدم قدرة الملاحظ أو عدم اهتمامه أو رغبته، أو نتيجة التعب والشعور بالملل وعدم الانتباه.
- **عدم اتّساق الملاحظ**: ويحدث ذلك بطريقتين: **أولًا**، عندما لا يستطيع الملاحظ القيام بالملاحظات بالطريقة نفسها في خلال الدراسة، **وثانيًا**، عند استخدام أكثر من مُلاحِظ وعندما لا يعملون بشكل موحد.
- **تواصل الملاحظ غير اللفظي**: قد يؤثر ذلك في اتجاهات أفراد الدراسة وتوقعاتهم وتاليًا يتأثر بسلوكهم.
- **تحيز الملاحظ**: ويحدث ذلك نتيجة نزوع الملاحظ وميله إلى إدراك المواقف وفقًا لفكره الأيديولوجي أو ميوله الشخصية من خلال انتقاء البيانات أو طريقة الترميز، ما يؤدي إلى تشويه الواقع.
- **الانحراف**: قد ينحرف سلوك الملاحظ وعلاقته مع أفراد الدراسة عن السلوك المطلوب والمتوقع.
- **الخداع**: قد يخدع الملاحظ الباحث، وهذه مشكلة يصعب كشفها وضبطها، خصوصًا في حالة استخدام الملاحظة بالمشاركة.
- **نقص المعرفة**: قد لا تكون معرفة الملاحظ كافية بموضوع الملاحظة أو بسياقها أو فئاتها المستخدمة في البحث.
- **مشكلات في تسجيل البيانات وتحليلها**: قد لا يكون تسجيل البيانات دقيقًا وقد لا يكون التحليل منتظمًا أو موضوعيًا.
- **عدم المعرفة الكافية بالمجموعة الملاحظة**: قد لا تكون المجموعة موضوع البحث مألوفة جيدًا للملاحظ.

▪ **وجود الملاحظ في سياق الملاحظة قد يسبب خللًا:** خصوصًا في حالة استخدام الملاحظة بالمشاركة أو عندما يُطلب من أفراد الدراسة العمل في بيئة اصطناعية (الملاحظة المخبرية).

▪ **التوقعات:** قد تسبب التوقعات المنتظرة من الاستجابات تحيزًا في المخرجات.

2.7 كيف نتجنب الأخطاء؟

ينبغي للباحث أن يبذل قصارى جهده لتجنب الأخطاء، وعليه أن يعمل على تخفيف آثارها وأهميتها حيثما وقعت. ويتوقع من الباحث أن:

▪ يصمم البحث بطريقة تمنع وقوع الأخطاء بالقدر المستطاع، وذلك بتوضيح موضوع البحث وأهدافه، وتحديد فئاته وجعلها سهلة الفهم، وتوفير أدوات فاعلة لتسجيل البيانات حيثما أمكن ذلك، وتوفير بيئة ذات تأثير سلبي ضئيل في عملية البحث وكمية البيانات ونوعيتها.

▪ يختار الملاحظين والمساعدين من ذوي القدرة والاهتمام بالعمل في المشروع، أي ممن يتمتعون بالصفات الشخصية المطلوبة للبحث، وممن لديهم القدرة على التعلم والتكيف مع حاجات البحث كما يُطلب منهم، وممن لديهم الرغبة في العمل تحت أوضاع متنوعة وصعبة مع أناس من طبائع وأصول مختلفة.

▪ يدرب الملاحظين جيدًا، حيث تتكون لديهم معرفة كاملة بجميع جوانب المشروع وأهدافه ومشكلاته، خصوصًا الفئات وتطبيقها الدقيق.

▪ يشرف على الملاحظين، حيث:

- يستطيع تحديد الانحرافات عن المسار المطلوب وضبطها.
- يستطيع تقديم النصيحة كلما تطلب الأمر ذلك.
- يستطيع تحسين الخطط والفئات من خلال الخبرة.

تقع الأخطاء في جميع أنواع البحوث والملاحظة ليست استثناءً، والأخطاء جزء من أي بحث. ومن واجبات الباحث أن يتخذ الترتيبات اللازمة لمنع وقوع

الأخطاء والمشكلات، وتعديل تحليل البيانات وتفسيرها حيثما يتوقع حدوث أخطاء.

نقاط أساسية

- الملاحظة طريقة لجمع البيانات تعتمد على المشاهدة كأداة وحيدة لجمع البيانات.
- هناك أنواع عدة من الملاحظة بما فيها الملاحظة الساذجة والعلمية وبالمشاركة ومن دون مشاركة والمبنيّة وغير المبنيّة والطبيعية والمخبرية والمفتوحة والمخفية والفاعلة والسلبية والمباشرة وغير المباشرة.
- يُفضّل الباحثون الكميون الملاحظة المبنيّة بينما يفضل الباحثون النوعيون الملاحظة غير المبنيّة.
- خطوات قالب البحث المستخدم في الملاحظة تشبه خطوات القالب المعياري التي ذُكرت سابقًا في هذا الكتاب.
- طرائق اختيار العينة في الملاحظة تشبه الإجراءات العامة في هذا الميدان.
- في ضوء طبيعة هذه الطريقة، يُتوقع من الملاحظ أن يكون مؤهلًا جيدًا ويمتلك المهارات المطلوبة.
- تتحقق الملاحظة، بصفتها طريقة لجمع البيانات، في أشكال عدة: المستمرة التي تجرى في وقت محدد، والدورية المنظمة، وملاحظة الحدث.
- إن دراسة الأشياء والآثار المادية توسع نطاق الملاحظة وتعزز أهميتها باعتبارها طريقة للبحث.
- الملاحظة طريقة فريدة تُستخدم في المجالات التي لا تُستخدم فيها الطرائق الأخرى، ولذلك لها مزايا عديدة.
- ترتبط مشكلات الملاحظة بقضايا عدة: الملاحظ وهدف الملاحظة والأدوات المستخدمة وفئات الملاحظة وتوقعات الباحث.

إلى أين؟

قبل أن تترك هذا الفصل، لا بد لك من أن تزور الموقع المرافق للطبعة الثالثة من كتاب **البحث الاجتماعي**: http://www.palgrave.com/sociology/sarantakos لتراجع المفاهيم الأساسية في هذا الفصل وتختبر نفسك في القضايا الرئيسة التي ناقشناها.

قراءات إضافية

Books

Bakeman, R. and J. M. Gottman. *Observing Interaction: An Introduction to Sequential Analysis*. Cambridge: Cambridge University Press, 1997.

Humphreys, L. *Tearoom Trade: Impersonal Sex in Public Places*. Chicago: Aldine, 1970.

Janesick, V. J. *'Stretching' Exercises for Qualitative Researchers*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 2004.

Jorgensen, D. L. *Participant Observation: A Methodology for Human Studies.* Newbury Park, Calif.: Sage, 1989.

Rodriguez, N. and A. Ryave. *Systematic Self-Observation*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 2002.

Sanger, J. *The Complete Observer? A Field Research Guide to Observation*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1996.

الفصل الحادي عشر

المُسوح - الاستبيانات

هذا الفصل

- يشرح استخدام الاستبيانات كطريقة لجمع البيانات.
- يوضح أنواع الاستبيانات واستعمالاتها.
- يوضح كيفية بناء الاستبيان.
- يفسر حالات عدم الاستجابة في الاستبيانات.

العناوين الرئيسة

مقدمة

1. بنية الاستبيان
2. شكل الاستبيان
3. حجم الاستبيان
4. أنواع الأسئلة
5. الأسئلة المفتوحة والأسئلة المرمّزة مسبقًا
6. شكل الإجابة
7. محتوى السؤال

8. قواعد بناء الاستبيان
9. خطوات بناء الاستبيان
10. الاختبارات القبلية والدراسات الاستطلاعية
11. مراجعة الاستبيان
12. أهمية الاستبيان
13. حالات عدم الاستجابة في الاستبيانات البريدية
14. الاستبيانات في البحث النسوي
15. مزايا الاستبيانات وعيوبها
16. الاستبيانات في عصر الحاسوب

نقاط أساسية

إلى أين؟

قراءات إضافية

مقدمة

تُعد المسوح أكثر أساليب جمع البيانات شيوعًا في البحوث الاجتماعية، إلى حد ينظر إليها بعض الناس خطأ وكأنها طريقة البحث الاجتماعي. وما يعزز هذا الفهم تعرض كل واحد منا تقريبًا لدراسة مسحية في وقت ما، وذلك بالمشاركة في المسوح السكانية والإجابة عن أسئلة استبيان في العمل أو البيت، أو الإجابة عن استبيان عندما نتقدم بطلب التحاق بمؤسسات التعليم العالي أو بطلب قرض من البنك أو للحصول على عضوية في أحد الأندية. كل واحد منا يعرف المسوح وأهدافها. وهي ليست مجرد أداة بحث معروفة لكنها جزء من خبرات حياة الإنسان[1].

بشكل عام، تُعد المسوح طرائق لجمع البيانات، حيث يتم بها جمع معلومات بوساطة أسئلة شفوية أو مكتوبة. ويسمى جمع البيانات بالحصول على إجابات لأسئلة شفوية المقابلة. أما الأسئلة المكتوبة فتكون في الاستبيانات التي توزع على المبحوثين بالبريد أو يسلمها الباحث إليهم شخصيًا في بيوتهم أو في أماكن عملهم أو أي مكان آخر، وتعاد الاستبيانات إلى الباحث بعد الإجابة عن أسئلتها.

هذه هي الطرائق التي سنناقشها في ما بعد. وفي هذا الفصل سنوضح عناصر الاستبيان، مثل طبيعتها وأنواعها ومحتواها وتصميمها وبنائها ومزاياها وعيوبها وأشكال استخدامها. أما النوع الثاني من المسوح وهو المقابلة، فسيكون موضوع الفصل المقبل.

بما أن المقابلات تستخدم شكلًا من أشكال الاستبيانات على شكل دليل

(1) N. M. Bradburn and S. Sudman, *Polls and Surveys: Understanding What They Tell Us* (San Francisco: Jossey-Bass, 1988).

للمقابلة، وبما أن هذه الأدلة تكون عادة صارمة ومقننة مثل الاستبيان، فإن ما سنذكره في هذا الفصل ينطبق أيضًا على المقابلة. لذلك سندرس الاستبيانات بطريقة أكثر عمومية، مع التركيز بشكل خاص على الأسئلة بدلًا من التركيز على الاستبيانات وحدها.

أولًا: بنية الاستبيان

هناك أنواع مختلفة من الاستبيانات، ويختلف الاستبيان من نوع إلى آخر وفقًا لطبيعته وطريقة تطبيقه. وفي ما يلي أنواع الاستبيانات:

- **الاستبيانات المقننة**: تتميز هذه الاستبيانات بتصميم صارم ومقنن أو مُعايَر لا يسمح بالمرونة في الإجابة عن أسئلتها، ولا يسمح إلا بالإجابة عن الأسئلة الموجودة في الاستبيان من دون زيادة في الأفكار أو الإجابات البديلة. وهي تُستخدم بشكل عام في البحث الكمي.

- **الاستبيانات غير المقننة**: يكون تصميم هذه الاستبيانات أقل صرامة من الاستبيانات المقننة وتكون درجة تقنينها قليلة نسبيًا. وفي الأغلب تكون هذه الاستبيانات صغيرة محددة الأسئلة لكن أسئلتها مفتوحة، لذلك تكون الإجابات غير منظمة، حيث تسمح للمستجوبين بصوغ إجاباتهم بالطريقة التي يرتؤونها، وتُستخدم هذه الاستبيانات في البحوث النوعية والنسوية.

- **الاستبيانات شبه المقننة**: تقع هذه الاستبيانات بين النوعين السابقين وتجمع إلى درجة معتدلة بين التقنين والبناء أو التصميم. وقد يشتمل تصميمها على أسئلة مبنيّة سلفًا وأسئلة مقننة مسبقًا ويشتمل كذلك على أسئلة غير مبنية وغير مقننة مسبقًا. وتختلف درجة التوازن بين التقنين والبناء من حالة إلى أخرى، حيث يكون بعض الاستبيانات أقرب إلى الأنموذج المقنن وبعضها الآخر يكون أقرب إلى الاستبيانات غير المقننة. وتُستخدم هذه الاستبيانات في البحوث الكمية والبحوث النوعية/ النسوية، لكنها أكثر شيوعًا في النوع الثاني.

تسلم الاستبيانات إلى المبحوثين شخصيًا أو ترسل إليهم بالبريد. وسواء أقام الباحث بتطبيق الاستبيان شخصيًا أم أرسله بالبريد، لا بد من أن يُبنَى وفقًا لمعايير

ومبادئ معينة. ومن هذه المعايير اشتمال الاستبيان على ثلاثة أجزاء هي: رسالة التغطية، التعليمات، الإرشادات، محتوى الاستبيان.

1.1 رسالة التغطية

تهدف رسالة التغطية إلى تعريف المبحوثين بموضوع البحث وفريق البحث، وإزالة الشكوك والشعور بعدم الثقة لدى بعض أفراد الدراسة في شأن موضوع البحث، وتحفيز الأفراد للمشاركة والإجابة عن الأسئلة، ولتأكيد سرية الأسماء وعدم الإفصاح عنها. يجب على هذه الرسالة أن تتضمن في الأقل الأمور الموضحة في الإطار 1.11.

الإطار 1.11

محتوى رسالة التغطية

يجب على رسالة التغطية في الأقل أن:

- تصف أهداف البحث الرئيسة وتوضح أهميته الاجتماعية.
- تحدد أعضاء فريق البحث والجهات المسؤولة عنه.
- توضح الأسباب التي توجب على أفراد الدراسة الإجابة عن الاستبيان.
- تضمن عدم كشف الأسماء والخصوصية والسرية.
- توضح متطلبات الإجابة عن الاستبيان كالوقت اللازم والشروط...
- توفر معلومات عن المخاطر المحتملة المتعلقة بالمشروع.
- تشتمل على أمور تتعلق بالأخلاق.

تُعدّ رسالة التغطية من العوامل التي تؤثر في نسبة الاستجابة. فطريقة عرض الاستبيان وتقديمه ونوع التأكيدات التي تقدَّم للمبحوثين تحدد إلى درجة كبيرة مدى الإجابة عن جميع الأسئلة ومدى إرجاعها إلى الباحث.

يذكر بعض الباحثين[2] أن طريقة مخاطبة المبحوث في الاستبيان (مثل

(2) A. Benini, *Construction of Knowledge* (Rome: Gnome, 2000); W. Mahr, *Politische Struktur der Sozialforschung* (Leipzig: Selbstverlag, 1995).

عزيزي الطالب، عزيزي السيد جونز، عزيزي ربّ الأسرة، السيد/ ة)، بل ولون الورق المستخدم، وشكل عنوان الرسالة، وأسلوب كتابة الرسالة وشكلها من الأمور المهمة، خصوصًا في ما يتعلق بمعدل الاستجابة للاستبيان. وعادة تجرى دراسات استطلاعية ويُستخدم الخبراء للمساعدة في إعداد رسالة التغطية الفاعلة.

2.1 التعليمات

تشتمل رسالة التغطية عادة على تعليمات موجزة لكيفية الإجابة عن أسئلة الاستبيان (كأن تذكر: «لن تستغرق الإجابة أكثر من 30 دقيقة، فما عليك إلا أن تضع إشارة صح أمام السؤال»). وتقدم التعليمات المفصلة في الاستبيان نفسه أو في ورقة منفصلة. توضح التعليمات كيفية التعبير عن الجواب الصحيح أو ما يفضله المبحوث (كما في الأسئلة المرمزة سابقًا)، كما أنها تذكّر المبحوثين بألّا يحاولوا الإجابة وفقًا لرغبات الباحث، وتذكّرهم أيضًا بأنه لا توجد إجابة صح أو خطأ، وعليهم الإجابة عن الأسئلة كلها. وعلاوة على ذلك توضح التعليمات ما يجب أن يفعله المبحوثون بعد إكمال الإجابات (يجب أن تعاد الاستبيانات إلى مدير المشروع في الظرف المعنون في وقت محدد). ولأسباب واضحة ينبغي للتعليمات أن تقدم أكبر قدر ممكن من المعلومات وبلغة بسيطة؛ لأن التعليمات غير الملائمة أو غير الكافية تكون سببًا في عدم الاستجابة، لذلك يجب أن يتجنب الباحث مثل هذه التعليمات.

3.1 المتن الأساس

يشتمل هذا الجزء على أسئلة الاستبيان، وكي يكون فاعلًا يجب أن تُعدّ الأسئلة بعناية فائقة وحذر شديد، خصوصًا في ما يتعلق بالمحتوى والبنية واختيار المفردات وسلاسة التعبير والصوغ[3]. وهذا هو الجزء الذي يمكّن الباحث من جمع البيانات المطلوبة لاستكمال الدراسة، وهذا ما سنناقشه لاحقًا.

---

(3) W. H. Foddy, *Constructing Questions for Interviews and Questionnaires: Theory and Practice in Social Research* (Melbourne: Cambridge University Press, 1993).

ثانيًا: شكل الاستبيان

تحتاج عملية بناء الاستبيان إلى جهد ووقت كبيرين وتتطلب كفاية منهجية وخبرة واسعة في البحث بشكل عام وفي أساليب صوغ الأسئلة بشكل خاص. وتوفر هذه الخبرات للباحث المهارات اللازمة للتعامل مع القضايا الرئيسة لهذه العملية، التي تتعلق بكيفية بناء الاستبيان ونوعية الأسئلة فيه ومحتواها ومدة الإجابة عن الاستبيان وكيفية تقديمها بوضوح، حيث تكون سهلة القراءة وجذابة للمبحوث كي تحقق أهدافها في النهاية.

نعني بشكل الاستبيان طريقة ترتيب الأسئلة فيه. ومن المتطلبات العامة في هذا المجال أن تكون الأسئلة مرتبة منطقيًا حيث تسمح بالانتقال من سؤال إلى آخر بشكل متسلسل، أي إنها تنتقل من موضوع إلى آخر انتقالًا منطقيًا من دون مواجهة أيّ مشكلة أو عقبة.

قام الباحثون بالإفادة من هذه المعايير في تكوين أشكال عدة من الاستبيانات، وأهمها الأشكال الستة الآتية:

- **الاستبيانات على شكل قمع** (Funnel): حيث يتدرّج طرح الأسئلة من العام إلى الخاص، ومن الأسئلة غير الشخصية إلى الشخصية، ومن غير الحساسة إلى الأسئلة الحساسة.
- **استبيان القمع المقلوب**: حيث تتدرّج الأسئلة من الخاص إلى العام، ومن الشخصية إلى غير الشخصية، ومن الحساسة إلى غير الحساسة.
- **الاستبيان المعيني الشكل** (Diamond): يجمع هذا الشكل بين الشكلين السابقين حيث تتدرج الأسئلة من الخاص إلى العام، ثم تعود إلى الخاص، ومن الأسئلة الشخصية إلى غير الشخصية ثم تعود إلى الشخصية.
- **الاستبيان على شكل X**: حيث يستعمل الجزء الأول من الاستبيان شكل القمع، ويستعمل الجزء الثاني شكل القمع المقلوب، حيث تتغير الأسئلة من عامة إلى خاصة ثم تعود إلى عامة، ومن أسئلة غير شخصية إلى شخصية وهكذا.
- **الاستبيان على شكل صندوق**: حيث تكون الأسئلة موحدة في جميع أجزاء الاستبيان وتبقى بالمستوى نفسه.

▪ **استبيان مختلط:** حيث تظهر الأسئلة وفقًا لمنطق الدراسة فتتغير من العامة إلى الخاصة، وهكذا حسبما تتطلب الدراسة. وقد يحتوي هذا الشكل من الاستبيانات على أجزاء تتخذ الأسئلة في كل جزء شكلًا من الأشكال المذكورة آنفًا. فقد يستخدم الجزء الأول شكل القمع وقد يتخذ الثاني شكل الصندوق ويكون الأخير على شكل القمع المقلوب.

يتم اختيار شكل الاستبيان وفقًا لطبيعة المسح ونوع المبحوثين وطول الاستبيان وطبيعة تنفيذه ونتائج الدراسة الاستطلاعية. ومن المهم أن يتفق شكل الاستبيان مع أهداف الدراسة لا مع ما يفضله الباحث شخصيًا. وقبل تحديد شكل الاستبيان أو بنيته، يجب أخذ عوامل سلامة الأسئلة بالاعتبار. ومن المهم أيضًا أن تكون الأسئلة مرتبطة منطقيًا، ومرتبطة بموضوع البحث. والأهم من ذلك كله أن يشعر المبحوثون بالراحة والطمأنينة حيال بنية الاستبيان وطريقة تكوينه بدلًا من شعورهم كأفراد يُحقَّق معهم.

يجب أن نتذكر أن شكل الاستبيان الملائم يضمن إجابة المبحوثين عن الأسئلة كلها ويشعرهم بأنهم جزء من الدراسة ويساعدهم في عدم الشعور بالتعب والملل اللذين يؤديان إلى فقدان الاهتمام وعدم التعاون. فإذا كانت الأسئلة مرتبة وفقًا لمنطق المبحوثين، وإذا كانت مترابطة بعضها مع بعض بشكل ملائم، وإذا كان المبحوثون لا يشعرون بمرور الوقت في أثناء الاستجابة، ولا بالجهد الفكري الذي يبذلونه في الإجابة، فإنّه يتطور لدى المبحوثين اتجاه إيجابي نحو الدراسة يدفعهم إلى إكمال الاستبيان وإعادته إلى الباحث.

ثالثًا: حجم الاستبيان

يعتمد حجم الاستبيان على عوامل مثل هدف البحث ونوع المبحوثين وطريقة التحليل وتوافر المصادر. وقد يراوح عدد الأسئلة في الاستبيان من بضعة أسئلة إلى مئة سؤال، لكن القاعدة العامة في شأن حجم الاستبيان أن يشتمل على العدد اللازم من الأسئلة من دون زيادة أو نقصان.

سنقدم لاحقًا بعض الإرشادات في هذا الشأن. ويجب أن نتذكر في هذه

المرحلة أن يكون الاستبيان ترجمة دقيقة لموضوع البحث، سواء أكان الاستبيان مكتوبًا أم على شكل مقابلة شفوية.

أما طول الاستبيان فيعتمد على عدد متغيرات الدراسة ومؤشراتها وعدد الأسئلة المطلوبة لتغطية المؤشرات بشكل كامل. فعلى سبيل المثال، إذا كان البحث يشتمل على متغير واحد (الطبقة الاجتماعية مثلًا) وكانت المؤشرات هي المهنة والدخل والتعليم، يجب أن يشتمل الاستبيان على العدد اللازم من الأسئلة لتغطية جميع المؤشرات.

يوضح الشكل 1.11 موقع الأسئلة في سياق الدراسة والاستبيان. كما يُظهر الشكل نفسه أن الاستبيان قد يتضمن أسئلة عن مهنة المبحوث (س1) ومهنة زوج/زوجة المبحوث (س2) ومهنة والد المبحوث (س3). فإذا كانت هذه المعلومات عن مهنة المبحوث وزوجته ووالده وجدّه مطلوبة، سنكون في حاجة إلى أسئلة كثيرة تحت مؤشر «المهنة». ولا بد من الأخذ بالاعتبار هنا عدد الأسئلة المطلوبة لمؤشري الدخل والتعليم، والمهم هنا أن هناك علاقة مباشرة بين السؤال والمؤشر والمتغير. وإذا لم تتوافر هذه العلاقة يجب استبعاد السؤال، ما لم يكن هناك سبب جيد لوجوده في الاستبيان (فمثلًا قد يكون السؤال ذا أهمية من الدرجة الثانية أو الثالثة).

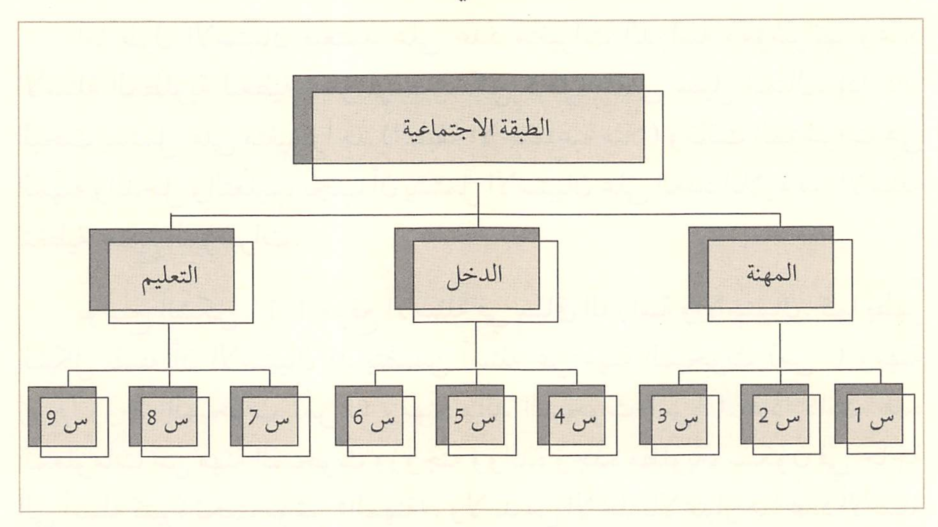
يعتمد حجم الاستبيان أيضًا على منهجية البحث ونوعه. فمثلًا قد يتضمن استطلاع الرأي لعينة ممثلة عددًا قليلًا من الأسئلة، بينما تتطلب الإحصائية السكانية أو الدراسة المفصلة لقضية اجتماعية (المسح الأسري الوطني) عددًا أكبر من الأسئلة.

رابعًا: أنواع الأسئلة

تتنوع أسئلة الاستبيان وفقًا لعدد من المعايير، خصوصًا في ما يتعلق بأهدافها وأهميتها لموضوع البحث وبنيتها وطريقتها في التعامل مع قضية البحث ومحتواها وصيغتها ونوع الاستجابة التي تتطلبها[4].

(4) J. M. Converse and S. Presser, *Survey Questions: Handcrafting the Standardized Questionnaire* (Beverly Hills, Calif.: Sage, 1986).

الشكل 1.11
عرض تخطيطي لبناء الأسئلة



يُفرّق بعض الباحثين[5] بين أنواع من الأسئلة: الأسئلة الأساسية (التي تتعلق مباشرة بمادة البحث)، والأسئلة الإضافية (التي تهدف إلى قياس ثبات الإجابات)، والأسئلة الزائدة (التي تُستخدم في بداية الأسئلة لجذب المبحوثين وتهيئتهم للإجابة). لكن هناك أنواعًا أخرى من الأسئلة كما سنرى في ما يلي:

- **الأسئلة الرئيسة**: تتطلب هذه الأسئلة إجابات ذات علاقة مباشرة بموضوع البحث، حيث يقدم كل سؤال معلومات عن جانب معين من جوانب البحث الذي يمثل مؤشرًا لأحد المتغيرات. وفي دراسة السلطة الزوجية يكون السؤال «من يتحكم بالعلاقة بين الزوجين؟» من الأسئلة الرئيسة.

- **الأسئلة الثانوية**: هي الأسئلة التي لا تكون ذات علاقة مباشرة بموضوع البحث، فهي ذات أهمية ثانوية لأنها تقدم معلومات عن قضايا ثانوية كاتساق الآراء وثبات أداة البحث. وهي لا تقدم معلومات جديدة عن موضوع البحث، لكنها تؤكد سلامة المنهجية وتكامل الاستبيان وصدق المبحوثين.

(5) Mahr, *Politische Struktur der Sozialforschung.*

▪ **الأسئلة من الدرجة الثالثة:** لا تتمتع هذه الأسئلة بأهمية الأسئلة الرئيسة ولا الأسئلة الثانوية، لكنها تساعد في إيجاد إطار ملائم لجمع البيانات والمعلومات الكافية من دون إرهاق المبحوث أو تحيزه. ومن الأمثلة على ذلك أسئلة الحشو أو الأسئلة الاستطلاعية.

▪ **أسئلة الحشو:** لا تعد هذه الأسئلة مهمة للبحث لكنها تهم المبحوث، وعادة ما تضاف قبل أسئلة حساسة أو بعدها.

▪ **الأسئلة الاستطلاعية:** تُستخدم هذه الأسئلة في المقابلات لتشجيع المبحوث على استكمال سؤال أو توضيحه أو توسيعه، ولإثارة النقاش وتوجيهه ولإيجاد سياق ودّي يخلو من التحيز. وهناك أساليب عدة لأسئلة الاستطلاع طورها المقابلون وفقًا لحاجاتهم. ومن هذه الأساليب أسلوب التلخيص والأسلوب المنظم الذي لا يطلب من المبحوث عمل شيء ما (وسنناقش ذلك في ما بعد).

▪ **الأسئلة المباشرة وغير المباشرة:** تطلب الأسئلة المباشرة أو الشخصية من المبحوث تقديم معلومات عن نفسه كما في السؤال: «هل تؤمن بالله؟»، أما الأسئلة غير المباشرة فهي تطلب من المبحوث معلومات عن أناس آخرين، مفترضة بأنه سيقدم شيئًا عن نفسه في أثناء التحدث عن الآخرين، ومثال ذلك السؤال: «هل تظن أن الناس في مثل عمرك يؤمنون بالله هذه الأيام؟».

تُستعمل هذه الأسئلة غير المباشرة عندما نشك في أن المبحوث لن يشعر بالراحة عندما يقدم معلومات عن نفسه في إجابته عن أسئلة الاستبيان، كما هو الحال عندما تتطرق الأسئلة إلى قضايا حساسة أو محرجة أو مهددة، أو عندما يكون موضوع البحث صعبًا، حيث لا يستطيع المبحوث الإجابة عن سؤال مباشر. في مثل هذه الحالات فإن الأسئلة غير المباشرة تُسهّل الإجابة على المبحوث، لكنها تثير بعض القضايا الأخلاقية التي تستحق مزيدًا من الاهتمام.

▪ **الأسئلة الإيحائية:** تتضمن هذه الأسئلة محاولة ضمنية لإغراء المبحوث لتأكيد وجهة نظر. فمثلًا إذا أردنا اختيار وجهات نظر الطلاب نحو الامتحانات، يمكن أن يكون السؤال المباشر كما يلي: «هل تعتقد ضرورة إلغاء الامتحانات؟»،

أما السؤال الإيحائي في مثل هذه الحالة فسيكون: «ألا تعتقد أنت أيضًا ضرورة إلغاء الامتحانات؟».

▪ **أسئلة التصفية والأسئلة العارضة**: تهدف أسئلة التصفية إلى جمع بيانات، لأول مرة في الدراسة، عن جانب عام من جوانب البحث، ويتبعها عادة سؤال أكثر تحديدًا (سؤال عارض). ومثال ذلك السؤال: «هل تدخن؟».

تأتي الأسئلة العارضة بعد أسئلة التصفية وتسعى إلى جمع معلومات إضافية وأكثر تحديدًا عن قضية طرحت سلفًا في أحد أسئلة التصفية. وفي مثالنا السابق يكون السؤال العارض: «كم سيجارة تدخن في اليوم؟». ومن الخطأ المنهجي أن نطرح سؤال تصفية من دون أن يلحق به سؤال طارئ.

▪ **أسئلة الأبدال الثابتة (الأسئلة المرمّزة مسبقًا) والأسئلة المفتوحة**: يمكن تصنيف الأسئلة وفقًا لشكل الاستجابة لها إلى نوعين: الأسئلة المفتوحة والأسئلة المغلقة (المرمزة سابقًا أو ذات الأبدال الثابتة). هناك أثر قوي لهذه الأشكال من الأسئلة في طبيعة الاستبيان ومدى فائدتها، وهي شائعة الاستعمال في البحث الاجتماعي[6]. وسنوضح هذه الأنواع من الأسئلة بتفصيل أكثر في الفقرات التالية.

خامسًا: الأسئلة المفتوحة والأسئلة المرمّزة مسبقًا

تسمح الأسئلة المفتوحة (أو حرّة الإجابة) للمبحوثين بتدوين استجاباتهم بالطريقة التي يرونها ملائمة، وبعباراتهم وكلماتهم الخاصة بهم. أما الأسئلة المغلقة (التي تُعرّف أيضًا بالأسئلة المرمزة مسبقًا أو ذات الاستجابات المحددة) فتقدم إلى المبحوث عددًا من الاستجابات ليختار منها.

على سبيل المثال، فإن السؤال: «ما رأيك بمقترح اتحاد الطلاب إلغاء الامتحانات؟» الذي سيتبعه فراغ للكتابة فيه، يُعد سؤالًا مفتوحًا. أما إذا حُددت إجابات هذا السؤال بإحدى الاستجابات الآتية «(1) أوافق بقوة، (2) أوافق، (3)

(6) J. G. Geer, «What Do Open-ended Questions Measure?,» *Public Opinion Quarterly*, vol. 52 (1988).

غير متأكد، (4) لا أوافق، (5) لا أوافق بقوة»، فيكون حينئذ سؤالًا مغلقًا أو ما يسمى بمحدد الإجابة. وفي هذه الحالة يُتوقع من المبحوثين وضع دائرة حول الإجابة التي يرونها صحيحة.

يعتمد اختبار الأسئلة المفتوحة أو المغلقة أو غيرها على عوامل عدة. وفي مناقشة جرت قبل سنوات عدة (وما زالت ملائمة هذه الأيام) قام كان (Kahn) وكانيل (Cannell)[7] في عام 1975 بتوضيح هذه العوامل كما يظهر في الإطار 2.11.

الإطار 2.11

أسئلة مفتوحة أم مرمّزة مسبقًا؟

يُنصح باستخدام الأسئلة المفتوحة إذا:

- كان الباحث مهتمًا بكميات كبيرة من المعلومات.
- كانت اتجاهات المبحوثين وقدراتهم على التواصل ودافعيتهم غير معروفة.
- كان المبحوثون لا يستطيعون التواصل.
- كان المبحوثون غير مطلعين ولم يتوصلوا إلى رأي بعد.

ويمكن استخدام الأسئلة المرمّزة مسبقًا إذا:

- كان الباحث مهتمًا بتصنيف الاستجابات أو المبحوثين.
- كان موقف المبحوثين معروفًا.
- كان المبحوثون قادرين على التواصل.
- كانوا مطلعين وتوصلوا إلى رأي معين.

بشكل عام، فإن اختيار الأسئلة المفتوحة أو المغلقة يعتمد على جوانب قوتها وضعفها. وفي ما يلي بعض مزايا الأسئلة المفتوحة وعيوبها[8].

---

(7) R. L. Kahn and C. F. Cannell, *The Dynamics of Interviewing: Theory, Technique, and Cases* (New York: Wiley, 1957).

(8) L. Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit* (Wien: Selbstverlag, 2000).

مزايا الأسئلة المفتوحة

- تسمح بالتعبير عن المشاعر والأفكار، خصوصًا عند دراسة القضايا المعقدة.

- توفر تفصيلات أكثر من التي توفرها الأسئلة المرمّزة مسبقًا، خصوصًا في ما يتعلق بالمؤهلات والمبررات.

- توفر معلومات في مجالات لم يتنبأ بها الباحث.

- تسمح باستخلاص نتائج عن منطق المبحوثين وطرائق تفكيرهم.

- تسمح للمبحوثين بإظهار إبداعاتهم والتعبير عن ذواتهم ومبادراتهم.

العيوب

- لا تلائم الأسئلة الحساسة.

- تولد معلومات كثيرة تتطلب وقتًا طويلًا وجهدًا كبيرًا لترميزها و/أو تقويمها.

- تحتاج إلى وقتٍ طويلٍ.

- لا تسمح بإجراء مقارنات دقيقة.

- قد توفر معلومات غير مفيدة وغير ملائمة.

- ليست مواءمة إذا كان المبحوثون لا يستطيعون التعبير بشكل واضح.

- تحتاج إلى معالجة إضافية إذا تطلب البحث تحليلًا إحصائيًا.

نلاحظ أن مزايا الأسئلة المرمّزة مسبقًا وعيوبها هي عكس مزايا الأسئلة المفتوحة وعيوبها؛ فمزايا نوع هي عيوب لآخر. فعلى سبيل المثال يُعد توفير الحرية للباحث من مزايا الأسئلة المفتوحة ومن عيوب الأسئلة المرمّزة مسبقًا، لذلك لا حاجة إلى ذكر مزايا وعيوب كل نوع على حدة.

سادسًا: شكل الإجابة

1.6 مقدمة

تمتاز الأسئلة المفتوحة والأسئلة المرمزة مسبقًا بأن الأولى سهلة البناء، لكنها صعبة المعالجة، والثانية صعبة البناء وسهلة المعالجة. وتُعدّ عملية بناء خيارات الإجابة عن الأسئلة المرمزة مسبقًا مهمة شاقة. وفي هذا الجزء سنُلقي الضوء على الأبدال المتاحة للإجابة عن الأسئلة المرمزة مسبقًا، وسنناقش العوامل المؤثرة في اختيار الأبدال في ما بعد(9).

من المتطلبات المنهجية الصارمة أن تكون أبدال الإجابة عن الأسئلة المرمّزة مسبقًا ملتزمة بمعايير ومبادئ معينة، وأهمها أن تكون الأبدال أو خيارات الإجابة دقيقة وشاملة، ولا يمكن استبدال بديل بآخر، وأن تكون أحادية البُعد. وفي ما يلي وصف موجز لهذه الأبدال.

▪ **الأبدال الصائبة**: يتوقع من الأبدال أن تكون **أولًا** صائبة، بمعنى أنها يجب أن تتناول النقطة المركزية في السؤال، **وثانيًا** أن تكون ملائمة، **وثالثًا** أن تكون في صلب السؤال. فإذا كانت الأبدال المحتملة للسؤال «ما مدى تقدمك في هذا المساق؟» تشتمل على «راضٍ جدًا» و«راضٍ» و«غير راضٍ»، و«غير راضٍ جدًا»، تكون غير صائبة لأنها تتعلق بالرضا لا بالتقدم والنجاح. وعلى الرغم من وجود علاقة بين الرضا والنجاح فهما قضيتان مختلفتان: فقد يكون مدير شركة راضيًا جدًا عن تقدم الفرع المسؤول عنه ونجاحه، لكنه يُقدّر معدل التقدم بدرجة «متوسط».

▪ **الأبدال الشاملة**: يجب أن تغطي الأبدال الخيارات المحتملة كلها. فعندما نجيب عن السؤال: «عدد الأطفال؟» الذي تتبعه الأبدال: (أ) 1 أو 2، (ب) 3 أو أكثر، تكون الأبدال غير شاملة لأنها تستثني الأسر التي لا أطفال لها. وفي حالات أخرى لا بد من الأخذ بالحسبان بعض الأبدال مثل: «غير ذلك، لا رأي، لا

---

(9) Benini, *Construction of Knowledge*.

أعرف»، كي تكون الأبدال شاملة. لكن يجب أن نحترس لئلا تصبح هذه الأبدال «أبدالًا سهلة» تستقطب عددًا كبيرًا من المبحوثين. وفي مثل هذه الحالات لا بد من إجراء اختبار قبلي للتأكد من عدم وجود مثل هذه الإجابات السهلة.

- **الأبدال التي يقصي بعضها بعضًا:** يتوقع من الأبدال أن تكون مختلفة، بعضها عن بعض، حيث ينفي اختيار واحد منها إمكان اختيار أي بديل آخر. وبذلك لا يستطيع المبحوث إلا اختيار إجابة صحيحة واحدة فقط من دون أي لبس أو غموض. فمثلًا، إن الأبدال: «عازب، متزوج، متعايش مع غيره، مطلق، منفصل، أرمل»، لا ينفي بعضها الآخر لأنها تسمح لبعض المبحوثين باختيار أكثر من بديل. فالشخص المطلّق مثلًا يستطيع أن يختار الخيار الثالث أو الخامس.

- **الأبدال أحادية البعد:** وهذا يعني أن مجموعة من الفئات/ الأبدال يجب أن تقيس مفهومًا واحدًا وأن تكون متعلقة به في بعد واحد فقط. فالأبدال التي تتضمن: ثابت جدًا، ثابت، غير ثابت، غير ثابت جدًا» تُعد أحادية البعد لأنها تقيس مفهومًا واحدًا هو الموثوقية أو الثبات. أما الأبدال: «سعيد جدًا، سعيد، غير راضٍ، غير راضٍ جدًا» فهي غير أحادية البعد لأنها تتعلق ببعدين: السعادة والرضا.

2.6 مجموعات الإجابة

سنوضح في ما يلي بعض طرائق صوغ أبدال الإجابة في أسئلة الاستبيان. وعلى الرغم من أن بعضها أكثر شيوعًا من غيرها، غير أنها لا تزال كلها تُستخدم في البحث الاجتماعي.

1.2.6 الإجابات الرقمية

تشمل هذه الفئة من الإجابات طيفًا يتميز بصفتين متضادتين في كل طرف، وبينهما سلسلة من الأرقام، يضع المبحوث حول واحدة منها دائرة أو إشارة ما.

مثال أ: كانت إجابة رئيس الوزراء في شأن توظيف الأمهات (ضع دائرة حول الإجابة الملائمة):

غير مُرضية جدًا	1	2	3	4	5	مُرضية جدًا

2.2.6 المقاييس اللفظية

في كثير من الحالات تتطلب الإجابة عن سؤال التعبير بمفردات، حيث يتوقع من المبحوث أن يضع إشارة في الفراغ الملائم عند الكلمة التي يعتقد أنها صحيحة.

مثال ب: كان الدعم الذي قدمه الاتحاد (ضع إشارة صح أمام الكلمة الملائمة):

مرتفعًا جدًا (.....)

مرتفعًا (.....)

معتدلًا (.....)

منخفضًا (.....)

منخفضًا جدًا (.....)

3.2.6 المقاييس المتدرجة صعودًا

يختار الباحثون الأبدال التي تمثل مؤشرات معينة تتبع كل منها مجموعة من الأرقام تتدرج من الأدنى إلى الأعلى، ليختار المبحوث منها الإجابة الملائمة. ويعني الرقم 1 في هذه السلسلة «منخفض جدًا» والرقم 10 يعني «مرتفع جدًا»، وهذا ما توضحه التعليمات العامة للاستبيان.

مثال ج: في هذا البلد، يمكن وصف حالة المرأة في المجالات الآتية بما يلي (ضع دائرة حول الإجابة الصحيحة من فضلك).

حقوق الإنسان	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
التوظيف	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
الصحة	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10

4.2.6 الإجابات البيانية

لا يُعدّ استخدام الإجابات البيانية أمرًا جديدًا في البحث الاجتماعي. ففي أبسط أشكالها تتضمن الإجابة كلمتين مرتبطتين بنقاط أو خط بينهما، ويُطلب من المبحوث أن يضع إشارة على الخط عند النقطة التي تمثل رأيه. ثم يقوم الباحث بتقويم الإجابة وفقًا لموقع الإشارة التي وضعها المبحوث وبوساطة أنموذج مقنن.

مثال د: كانت الانتخابات البلدية يوم الأحد الماضي:

عادلة ... ... غير عادلة

5.2.6 الإجابات البيانية - الرقمية

يستخدم الباحثون الاجتماعيون عادة مزيجًا من الإجابات البيانية والرقمية، حيث يعتمد اتجاه الإجابة وتقويمها على موقع الإشارة التي يضعها المبحوث من دون أن تشير إلى وصف أو معيار معين.

مثال هـ: كانت ردة فعل زوجتي على ارتفاع الضرائب في الأسبوع الماضي (ضع إشارة صح):

(.....) +3

(.....) +2

(.....) +1

(.....) −1

(.....) −2

(.....) −3

6.2.6 مقاييس الحرارة

ترتَّب الإجابات في هذا النوع على شكل يشبه قراءات ميزان الحرارة، فتبدو على شكل طيف متدرّج كميزان الحرارة، وفي طرفيه صفتان متعاكستان، مثل «مرتفع جدًا» و«منخفض جدًا». وتعكس الدرجات الموجودة على ميزان الحرارة مستوى إجابة المبحوث.

7.2.6 مقاييس الوجه

من المقاييس البيانية الأخرى المستخدمة لتسجيل الإجابات عن الأسئلة المرمزة مسبقًا ما يسمى بمقياس الوجوه، حيث تُرتَّب خمسة أو سبعة وجوه بالحجم نفسه على خط مستقيم، وتكون الوجوه متشابهة تمامًا، ما عدا شكل الفم الذي يظهر على شكل حرف U في أحد جانبيه تعبيرًا عن السعادة، ويتغير شكل حرف U تدريجًا إلى أن يتخذ شكلًا مقلوبًا في الطرف الآخر من الفم للتعبير عن

عدم السعادة. ولا يُستخدم في هذا المقياس أي صفات شارحة، لأن الوجوه هي التي تُعبّر عن مدى شعور المبحوث، حيث يُطلب منه تحديد الوجه الذي يعبر عن شعوره. وفي ما يلي مثلًا من خمسة وجوه.

مثال و: ما مدى سرورك بقرار المحكمة العليا؟ (ضع دائرة حول مجموعة الوجوه التي تعبّر عن رأيك).

سعيد جدًا ☺☺ ☺☺ ☺☺ ☹☺ ☹☹ غير سعيد جدًا

8.2.6 مقياس السلّم

ترتب الإجابات في هذا المقياس على سلّم أو مدرّج، حيث تمثل طيفًا من خمس درجات أو أكثر، ويعبَّر عن الدرجات القصوى فيها بصفات متضادة (مثل: 'مرتفع' و'منخفض' أو 'قوي' و'ضعيف'). ويكون السؤال مثلًا: أين تقف على السلم الاجتماعي؟ ويُطلب من المبحوث أن يضع X على النقطة التي تمثل اختياره.

9.2.6 مقاييس الكمية الثابتة

يُطلب من المبحوث في هذه المقاييس أن يضع علامة لمفهومين أو شيئين، حيث تُجمع العلامتان معًا لتشكلا قيمة معينة (100 مثلًا). ويَصلح هذا المقياس للتأكد من المسافة النفسية بين المثيرات؛ إذ يطلب من المبحوثين تخصيص 100 نقطة لحزب العمال أو للحزب الشيوعي في ضوء تعامل الحزبين مع قضايا الضرائب. ويراوح التقدير من 100 إلى 0 أو بالعكس، أو من 20 إلى 80، أو من 60 إلى 40... وهكذا. ثم تُحسب العلامات التي حددها كل مبحوث وتقوّم بوساطة إيجاد علاقات من نوع أ/ ب = 40/ 60 = 4/ 6 = 1.5، أو بالعكس.

10.2.6 أسئلة مقياس ليكرت

مقاييس ليكرت (Likert Scale) شائعة الاستخدام، خصوصًا بوصفها أداة لدراسة الاتجاهات. وتراوح فئات الإجابات في مسافة بين طرفي نقيض مُقسّمة إلى خمس نقاط وفقًا لمقياس رقمي لفظي.

مثال ز: كانت ردّة فعل الممرضين على مقترح الرواتب الجديد في رأيي (ضع دائرة حول الرقم الذي يمثل إجابتك):

إيجابي جدًا	5
إيجابي	4
مُحايد	3
سلبي	2
سلبي جدًا	1

11.2.6 مقاييس الترتيب

بخلاف كثير من المقاييس التي يُطلب فيها من المبحوث اختيار إجابة واحدة فقط، تتطلب مقاييس الترتيب تحديد الإجابات كلها بترتيبها من الأعلى إلى الأسفل مثلًا. فتكون هناك رتب بعدد الأفراد.

مثال ح: أرتّب أداء الأحزاب السياسية الخمسة على معيار (1-5) كما يلي (1 = منخفض جدًا، 5 = مرتفع جدًا) (ضع الرقم بين القوسين).

الديمقراطيون	----	( )
حزب العمال	----	( )
حزب الخضر	----	( )
الحزب الوطني	----	( )
الحزب الليبرالي	----	( )

12.2.6 المقاييس الدلالية التفاضلية

تُستخدم هذه المقاييس لتقويم وحدات اجتماعية، مثل المعلمين والأهل والأصدقاء والسياسيين. ويشتمل المقياس على مجموعات من المتضادات (تصل إلى 70)، وتتعلق بثلاثة أبعاد رئيسة: (أ) **الانطباع العام**، (ب) **القوة أو المقدرة**، (ج) **النشاط**. وتتدرج المسافة بين النقيضين من الصفر الذي يمثل التقويم الأدنى (سيئ جدًا، ضعيف جدًا، منخفض جدًا) إلى الدرجة 6 التي تمثل التقويم الأعلى (جيد جدًا، قوي جدًا، مرتفع جدًا). وعندما تستخدم هذه المقاييس يُطلب من المبحوث تحديد ترتيب الشخص المعني كما يراه ملائمًا. ويقدم المثال رقم (1)

أمثلة لمؤشرات الأبعاد الثلاثة. وتمثل مجموعات المتضادات الثلاث الأبعاد المذكورة أعلاه.

مثال ط: كيف تقوّم دور مدرسك في الصف؟

جيد	6	5	4	3	2	1	0	سيئ
منسجم	6	5	4	3	2	1	0	غير منسجم
اجتماعي	6	5	4	3	2	1	0	غير اجتماعي
متشدد	6	5	4	3	2	1	0	ليّن
صعب المراس	6	5	4	3	2	1	0	سهل
عنيد	6	5	4	3	2	1	0	متساهل
سريع الغضب	6	5	4	3	2	1	0	هادئ
نشيط	6	5	4	3	2	1	0	سلبي
حاد الذكاء	6	5	4	3	2	1	0	بليد

تعتمد بنية مجموعة الإجابات وطبيعتها وحجمها على عوامل عدة، أهمها طبيعة الدراسة وطبيعة المبحوثين ومدى استعمال التحليل الإحصائي. يستخدم الباحثون أساليب عدة لتشكيل فئات دقيقة وفاعلة من الإجابات كتلك التي طورها ليكرت وثيرستون (Thurstone) وغوتمن (Guttman).

سابعًا: محتوى السؤال

يُعد محتوى السؤال أهم عنصر في الاستبيان أو في دليل المقابلة. وعلى الرغم من أهمية الأسئلة وترتيبها في الحصول على المعلومات، غير أن محتوى السؤال يؤدي الدور الأهم في الحصول على المعلومة المطلوبة أو الإجابة. وكي يحقق الاستبيان هدفه، لا بد من ترتيب محتوى الأسئلة وفقًا للمعايير الآتية[10].

- **التركيز**: يجب أن يُعالج كل سؤال نقطة واحدة فقط، لذلك يجب تجنب

(10) B. Becker, *Grundlagen soziologischer Methodologie* (Frankfurt: Selbstverlag, 1989); Mahr, *Politische Struktur der Sozialforschung*; X. Puris, *The Complexity of Research Measure* [in Greek] (Paris: Ajax, 1995).

الأسئلة التي تركز على نقطتين. فمثلًا السؤال: «هل يهتم والداك بك ويساعدانك؟» يسأل عن أكثر من شيء واحد في الوقت نفسه. فالسؤال أولًا لا يميز بين الأم والأب (قد تتصف الأم بالصفتين المذكورتين في السؤال بينما الأب ليس كذلك)، لذلك لا يستطيع المبحوث أن يصف كلًا من الوالدين على حدة. وثانيًا يسأل السؤال عن أمرين: الاهتمام والمساعدة. ففي مثل هذه الحالة، لا تكفي إجابة واحدة ليعبر المبحوث عن موقفه، لذلك يجب تجنب مثل هذه الأسئلة. لكن الباحث بحاجة إلى معلومات عن هذه القضايا، لذلك يحسن طرح أسئلة منفصلة.

▪ **الأهمية**: يجب أن يكون محتوى كل سؤال ذا أهمية لموضوع البحث، لكن يمكن طرح بعض الأسئلة التي لا علاقة لها بموضوع البحث إذا كانت مبررة ولهدف محدد.

▪ **الاتساق**: يجب أن يتطرق كل سؤال إلى عنصر محدد من عناصر موضوع البحث، وأن يكون متسقًا مع الأسئلة الأخرى، حيث لا يزداد عدد الأسئلة عن جانب معين على حساب جانب آخر من الموضوع ما لم تكن هناك مبررات لذلك. كما يجب أن يعطى كل جزء من أجزاء الاستبيان الحجم والاهتمام نفسيهما ما لم تكن هناك مبررات لغير ذلك.

▪ **الوضوح والبساطة**: يجب أن يكون محتوى السؤال واضحًا وبسيطًا من حيث اللغة والمحتوى، لذلك لا بد من تجنب الأسئلة الغامضة والمُبهمة والمحرِجة. كما ينبغي استخدام الأسئلة الشخصية بمنتهى الحذر.

▪ **اللغة**: يجب أن تُصاغ الأسئلة بلغة المبحوث.

▪ **الاتجاه**: يحسن أن يكون للأسئلة اتجاه إيجابي نحو المبحوثين والدراسة، وبشكل عام يجب أن تعبر الأسئلة عن روح المودة والزمالة.

▪ **عدم الافتراض المسبق**: يحسن تجنب طرح الأسئلة التي ترتكز على افتراضات مسبقة. فليس من الأخلاق أن تسأل طالبًا «متى توقفت عن الغش في الامتحانات؟»، من دون أن يسبق هذا السؤال سؤالٌ آخر يقدم له.

▪ **الأسئلة الإيحائية:** يُفضّل تجنب وضع الأسئلة الإيحائية التي تشجع المبحوث على الإجابة بشكل معين يفضله الباحث (مثل: ألا تعتقد أيضًا بضرورة إلغاء الامتحانات؟).

▪ **التحيز للصيت والشهرة:** ينبغي تجنب الأسئلة التي تشجع المبحوث على الإجابة اقتداء بأناس أو خبراء مشهورين (مثال: يعتقد أطباء الشيخوخة أن التقدم في السن يؤدي إلى الشعور بالغربة والعداوة بين كبار السن من الرجال، ما رأيك في هذه القضية؟).

سنرى لاحقًا أن طبيعة طرح الأسئلة وتقديمها للمبحوثين تتباين. فقد يختلف الباحثون النوعيون حول نقاط عدة ذُكرت آنفًا في هذا الفصل، لكنهم يكادون لا يختلفون حول قيمة النقاط المذكورة سابقًا وقبولها في شأن محتوى السؤال.

ثامنًا: قواعد بناء الاستبيان

هناك قواعد عدة يجب اتباعها في تصميم الاستبيان، وبعض هذه القواعد أكثر أهمية من الآخر. ولا بد من أخذ هذه القواعد بالاعتبار في مرحلة صوغ الاستبيان أو تخطيط المقابلة. ويمكن تلخيص آراء الباحثين في هذا الشأن كما يلي[11].

1.8 قواعد التصميم

▪ يجب أن تكون الأسئلة سهلة القراءة والمتابعة.

▪ يجب أن يكون التعرف إلى الأسئلة وفئات الإجابة سهلًا وأن يكون تمييزها من غيرها واضحًا أيضًا. ولا بد من ترك مسافة كافية بين السؤال والآخر.

▪ لا بد أن تكون تعليمات الإجابة واضحة. فمثلًا: «ضع دائرة حول الرقم الملائم» أو «ضع إشارة صح في الإطار الصحيح»، ولا ينبغي أن يُترك شيء كأمر مسلّم به.

---

(11) Mahr, Ibid.

▪ ينبغي توفير فراغ ملائم ليسجل فيه المبحوث الملاحظات الملائمة حيثما تطلب الأمر.

2.8 قواعد محتوى السؤال

▪ يجب أن يكون كل سؤال متعلقًا بجانب أو أكثر من جوانب الدراسة.

▪ ينبغي تجنب الأسئلة الغامضة والمبهمة والافتراضية وغير المحددة.

▪ لا بد من استبعاد الأسئلة المستخدمة كمقدمات والأسئلة التي تحتمل أكثر من إجابة، أو التي تسأل عن أكثر من جانب من جوانب الدراسة، أو التي ترتكز على افتراضات مسبقة.

▪ يجب تجنب استعمال المفردات الغامضة والأكاديمية المتخصصة.

▪ يحسن استخدام لغة المبحوثين، وإذا لم يكن ذلك ممكنًا يجب استعمال لغة بسيطة خالية من المفردات المتخصصة واللهجة العامية، ومن العبارات أو التراكيب المعقدة.

▪ يجب التأكد من أن الأسئلة مرتبة ترتيبًا منطقيًا سلسًا.

▪ ينبغي لكل سؤال أن يسأل عما هو مصمم للسؤال عنه.

3.8 قواعد شكل الاستبيان

▪ لا بد للاستبيان من مظهر مهني محترف يعطي انطباعًا رسميًا عن وثيقة تستحق الاحترام وتُشعِر المبحوثين بالمسؤولية.

▪ يجب أن يقدَّم الاستبيان بشكل يشجع المبحوث على إكماله وإرجاعه إلى الباحث.

▪ يفضل كتابة الأسئلة على وجه واحد من الصفحة.

▪ يجب أن يكون مظهر الاستبيان جذابًا للمبحوث من حيث طباعته وألوانه.

▪ يجب أن يقدم الاستبيان باعتباره وثيقة كاملة مصحوبة برسالة تغطية

مطمئنة وجذابة للمبحوثين تشتمل على ملاحظة ختامية توجه المبحوث لكيفية إرجاع الاستبيان.

- يجب أن يكون حجم الاستبيان أصغر ما يمكن بالعدد الضروري من الأسئلة فحسب.
- لا بد من توفير تعليمات كافية وإرشادات واضحة حيثما لزم ذلك.
- يجب أن تكون خيارات الإجابة عن الأسئلة المرمزة مسبقًا ملائمة.
- يجب التأكد من خلو الاستبيان من أي تحيز أو مساس بالأخلاق.

تتعلق هذه القواعد بالنواحي المنهجية والفنية والعملية للدراسات المسحية، ويتم تصميم الاستبيانات وفقًا لأسس تأخذ المعايير والمسؤوليات المهنية بالاعتبار. ويُعد المبحوثون عاملًا مهمًا في هذا السياق، لذلك فإن التصميم الجيد للاستبيان الذي يأخذ المبحوثين في الحسبان يشجعهم على استكمال الاستبيان وإرجاعه، وهذا أمر لا بد للباحثين من أخذه في الاعتبار.

تاسعًا: خطوات بناء الاستبيان

يصمّم الاستبيان بطريقة منظمة ومُركّزة ويمر في خطوات عدة متداخلة. ويشكل تصميم الاستبيان أساسًا للمرحلة الآتية من البحث. وفي ما يلي أهم خطوات تصميم الاستبيان[12].

الخطوة 1 الإعداد

يحدد الباحث أولًا نوع الاستبيان الملائم لبحثه، كما يحدد طريقة تنفيذه. ويجب على الباحث أن يسعى إلى اختيار الاستبيان الملائم، وقد يجد استبيانًا جاهزًا أعده باحث سابق. فإذا وجد واحدًا يمكنه أن يستخدمه في دراسته كما هو، وقد يعتمد عليه في إعداد استبيانه الخاص به. وإذا لم يستطع الباحث العثور على استبيان، عليه أن يصمم واحدًا بنفسه.

(12) انظر: Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit;* Puris, *The Complexity of Research Measure.*

الخطوة 2 كتابة المسوّدة الأولى

يكتب الباحث عددًا من الأسئلة يكون عادة أكثر من العدد المطلوب، حيث تشتمل الأسئلة على جوانب متعددة من البحث وأسئلة عن المنهجية (الأسئلة التي تختبر الموثوقية والصيغة)، وقد يضيف أسئلة أخرى ثانوية وأخرى أقل أهمية.

الخطوة 3 النقد الذاتي

يقوم الباحث بتقويم الأسئلة من حيث أهميتها واتساقها ووضوحها والتزامها بقواعد تصميم الاستبيان المذكور آنفًا.

الخطوة 4 التقويم الخارجي

تُعرض النسخة الأولى من الاستبيان على خبراء في هذا الميدان لتقويمها. فقد تُحذف بعض الأسئلة أو تعدّل، وقد تضاف أسئلة جديدة في ضوء ملاحظات المقوم الخارجي.

الخطوة 5 إعادة تقويم الاستبيان ومراجعته

تؤخذ ملاحظات الخبراء بالاعتبار وتُعدّل الأسئلة في ضوء ذلك. وإذا لم تكن التعديلات جذرية يستطيع الباحث أن ينتقل إلى الخطوة الآتية. أما إذا كانت التعديلات جذرية أو كبيرة فلا بد من إرجاع الاستبيان إلى الخبراء مرة أخرى لتقويمه ثم تراجع ثانية حتى تصبح في المستوى المقبول، وحينئذ ينتقل البحث إلى الخطوة الآتية.

الخطوة 6 الاختبار القبلي أو الدراسة الاستطلاعية

يلجأ الباحث في معظم الحالات إلى إجراء دراسة استطلاعية لتقويم الاستبيان أو اختباره قبليًا للتأكد من ملاءمته بشكل عام. وفي هذه الحالة يُطبق الاستبيان على عينة صغيرة حيث يُطلب من المبحوثين الإجابة عن جميع الأسئلة أو بعضها. بعد ذلك تحلل النتائج وتفسَّر.

الخطوة 7 المراجعة

قد تؤدي الدراسة الاستطلاعية أو الاختبار القبلي إلى ضرورة إجراء بعض

التعديلات على الاستبيان. فإذا كانت التعديلات طفيفة ينتقل الباحث إلى الخطوة الآتية، وأما إذا كانت جوهرية فسيرجع الباحث إلى الخطوة 4.

الخطوة 8 الاختبار القبلي الثاني

قد يخضع الاستبيان المعدَّل لاختبار قبلي مرة أخرى، خصوصًا في ما يتعلق بالأسئلة المُعدَّلة، ويعتمد ذلك على حجم التعديلات ودرجة تعقيد القضية المعنية. وفي الأغلب يكتفي الباحث باختبار قبلي واحد. ولا بد من أخذ نتائج الاختبار في الحسبان وإجراء ما يلزم من تعديلات.

الخطوة 9 صوغ النسخة النهائية

يقوم الباحث في هذه المرحلة بإجراء التعديلات الناتجة من الاختبار القبلي كما يقوم بمراجعة الاستبيان والتأكد من سلامته من الأخطاء المتنوعة، كالأخطاء الإملائية والأخطاء في التعليمات ودرجة الوضوح والشكل والتصميم ووجود فراغات ملائمة للإجابات والترميز والتدريج والمظهر بشكل عام. ثم تُرسل هذه النسخة إلى الطباعة والنسخ.

عاشرًا: الاختبارات القَبلية والدراسات الاستطلاعية

تُعد الاختبارات القبلية والدراسات الاستطلاعية من أدوات البحث التي يستخدمها الباحثون الكميون قبل البدء الفعلي بجمع البيانات. وهي دراسات تجريبية (أو مصغرة) تهدف إلى التأكد من أن تخطيط الدراسة وأدواتها تتمتع بالصدق والثبات والصحّة. ويحقق هذان الأسلوبان أهدافًا متشابهة، لكنهما يختلفان في جوانب محددة، كما سنرى لاحقًا.

1.10 الاختبارات القَبْلية

هي اختبارات قصيرة لعناصر محددة في أداة البحث وتُستخدم أساسًا لاختبار بنية الاستبيان «الميكانيكية». فقد تكون هناك حاجة إلى اختبار خيارات

الإجابة عن بعض الأسئلة، وقد نُلاحِظ أيضًا أن السؤال نفسه غير واضح لذلك يحتاج إلى تعديل. وقد تكون أبدال الإجابات أو خيارات الإجابة غير كافية لتغطي الاحتمالات الممكنة كلها، ولا يرغب الباحثون عادة في زيادة عدد الأبدال بإضافة خيار: «غير ذلك، حدد من فضلك».

من الممكن اختبار الاستبيان قَبْليًا لتظهر الإجابات ما إذا كانت خيارات الإجابة عن أحد الأسئلة بحاجة إلى إعادة ترتيب. فإذا كانت نسبة المبحوثين الذين اختاروا الإجابة «غير ذلك، حدد من فضلك» قليلة نسبيًا، يبقى السؤال كما هو. أما إذا كانت النسبة عالية نسبيًا فهناك حاجة إلى تعديل خيارات الإجابة.

يمكن اتباع إجراء آخر مشابه عندما يكون الباحث غير متأكد من أن المبحوثين سيجيبون عن سؤال حساس مباشرة أو أنهم يختارون البديل «غير متأكد»، «لا رأي لي» أو «لا أعرف».

2.10 الدراسات الاستطلاعية

الدراسة الاستطلاعية هي نسخة مصغرة، أو نسخة تجريبية للدراسة الرئيسة. فبينما تساعد الاختبارات القبلية في حل بعض المشكلات الميكانيكية في أداة البحث، تسعى الدراسات الاستطلاعية إلى حل مشكلات تنظيمية وإدارية تتعلق بالدراسة كلها وبالمبحوثين أيضًا.

تُحقق الدراسات الاستطلاعية أهدافًا عدة يظهر أهمها في الإطار 3.11 وفقًا لآراء بعض الباحثين مثل[13]. وتُعدّ هذه النقاط ملائمة للبحوث النوعية والكمية. تهدف الدراسات الاستطلاعية في البحث الكمي إلى التأكد من إمكان الوصول إلى المبحوثين، ومن مواءمة الموقع وما إذا كانت أساليب جمع البيانات تولد معلومات كافية أم لا (لا قليلة ولا كثيرة جدًا)، وما إذا كانت خطة البحث جيدة أم لا، وما إذا كانت الدراسة في حاجة إلى بعض التعديلات أو التغييرات.

---

(13) على سبيل المثال: A. N. Oppenheim, *Questionnaire Design, Interviewing and Attitude Measurement* (London: Pinter, 1992); N. L. Sproull, *Handbook of Research Methods: A Guide to Practitioners and Students in the Social Sciences* (London: Scarecrow, 1988).

الإطار 3.11

أهداف الدراسات الاستطلاعية
▪ تقدير تكلفة الدراسة الرئيسة ومدتها الزمنية. ▪ تقويم فاعلية تنظيم الدراسة وترتيبها. ▪ اختبار مواءمة طرائق البحث وأدواته. ▪ التأكد من مدى كفاية إجراءات اختيار العينة. ▪ تقدير مستوى الإجابة ونوع المنسحبين من الدراسة. ▪ التأكد من مدى التنوع في مجتمع الدراسة. ▪ تعريف الباحثين بالبيئة التي سيجرى فيها البحث. ▪ توفير فرصة لممارسة استخدام أدوات البحث قبل بداية الدراسة الرئيسة. ▪ تقويم استجابات المبحوثين لتصميم البحث العام. ▪ تحديد العيوب وجوانب الغموض والمشكلات المحتملة في جوانب البحث كلها ليتسنى للباحث تعديلها وتصحيحها قبل الشروع في الدراسة الفعلية.

3.10 التقويم

يتم تقويم نتائج الاختبار القبلي والدراسة الاستطلاعية في ضوء الأهداف المذكورة سابقًا. وستوفر النتائج إجابات مباشرة عن بعض التساؤلات، وتحدد ما إذا كانت هناك مشكلات تحتاج إلى حلول. ولا بد من إجراء تعديلات معينة في الحالات الآتية: إذا لم يستطع الباحث تكوين العلاقة المتوقعة بالمبحوثين، وإذا واجه الباحث صعوبة في إقناع المبحوثين بالمشاركة في الدراسة، وإذا رفض المبحوثون الإجابة عن أسئلة معينة، أو اختاروا البديل «لا أعرف» بنسبة كبيرة، وإذا أضاف المبحوثون بعض الملاحظات أو التعديلات إلى إجاباتهم، وإذا كان المبحوثون يبدون انزعاجًا من كاميرا الفيديو أو من بعض العوامل البيئية الأخرى[14]. عمومًا، تمثل الاختبارات القَبْلية والدراسات الاستطلاعية تجريبًا للدراسة بكاملها وتوفر فرصة للتعديل والتغيير قبل الشروع بالدراسة الفعلية.

(14) Becker, *Grundlagen soziologischer Methodologie.*

حادي عشر: مراجعة الاستبيان

تتضمن مراجعة الاستبيان عددًا كبيرًا من الأمور يتعلق معظمها بطبيعة موضوع البحث. لكن عددًا كبيرًا من الباحثين يركز على أخذ النقاط الآتية في الحسبان عند مراجعة الاستبيان[15]:

- **حجم الاستبيان**: هل الاستبيان كبير جدًا أم صغير جدًا؟ والمهم هنا أن يكون لكل سؤال هدف محدد، وألا يُحذف ذلك السؤال.

- **أهمية الإجراء**: ما النقطة المحددة التي يسأل عنها السؤال؟ هل السؤال ملائم تمامًا؟ هل يسأل عما هو مصمم للسؤال عنه؟ يجب أن يسأل كل سؤال عن نقطة واحدة محددة بوضوح ومن دون لبس أو غموض.

- **الضرورة**: هل هناك حاجة إلى كل سؤال؟ هل يمكن حذف بعض الأسئلة؟ هل هناك تكرار في الأسئلة؟ هل نحتاج إلى أكثر من سؤال عن نقطة معينة؟ يتم الإبقاء على كل سؤال إذا كان يحقق هدفًا معينًا وكان وجوده ضروريًا.

- **الوضوح**: هل من السهل فهم الأسئلة، وهل هي واضحة وغير مبهمة؟

- **محتوى السؤال ونبرته**: هل السؤال مقبول؟ وهل الأسئلة تتنافى والأخلاق؟ وهل تُشعر المبحوثين بالخطر أو التهديد أو الإهانة وهل تُشجعهم على التحيز؟ يجب تغيير أسئلة كهذه أو حذفها.

- **شكل الاستبيان**: هل يوجد فراغ كافٍ لكتابة إجابات الأسئلة المفتوحة؟ هل شكل الاستبيان ولون أوراقه وحجم حروف الطباعة ملائمة؟

- **الأسئلة المرمّزة مسبقًا**: هل خيارات الإجابة (الأبدال) للأسئلة المغلقة سهلة الفهم وشاملة وأحادية الاتجاه ولا تحل إجابة محل أخرى؟ إذا لم تكن الخيارات كذلك لا بد من تعديلها.

---

(15) H. Berger, H. F. Wolf and E. Ullmann, eds., *Handbuch der Sozialistischen Forschung: Methodologie, Methoden, Technicken* (Berlin: Akademie Verlag, 1989); Benini, *Construction of Knowledge*; Puris, *The Complexity of Research Measure*; C. Selltiz, L. J. Wrightsman and S. W. Cook, *Research Methods in Social Relations* (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1976).

▪ **الكفاية:** هل تغطي الأسئلة جوانب البحث كلها بشكل وافٍ؟ فإذا لم تكن كذلك تضاف أسئلة جديدة.

▪ **التعليمات:** هل هناك تعليمات كافية لتوضيح كيفية تعبئة الاستبيان وتوضيح الاستخدام الأمثل لجوانب الاستبيان كلها؟

▪ **صوغ الأسئلة وملاءمتها للمبحوثين:** هل الأسئلة مصوغة بطريقة تلائم المبحوثين من حيث القدرات اللغوية والتعليم والاهتمام والقدرة العقلية؟

▪ **رسالة التغطية:** هل الرسالة مكتوبة بشكل جيد؟ هل توفر المعلومات اللازمة؟ هل هناك أمور لم تتضمنها الرسالة؟ هل هي قصيرة جدًا أم طويلة جدًا؟ هل تخاطب المبحوثين بما يلائمهم؟

▪ **الترميز المسبق:** هل الترميز مسجل بشكل ملائم وفقًا لبرنامج الحاسوب المستعمل؟

▪ **البيانات الشخصية:** هل البيانات الشخصية مطلوبة كلّها (العمر والتعليم والمهنة...)؟ وهل هي كافية؟ وهل هي موجودة في المكان الملائم من الاستبيان؟

▪ **المبادئ:** هل التزم الاستبيان بالمبادئ المنهجية الخاصة بتصميم الاستبيانات؟

▪ **المسؤوليات القانونية:** هل هناك أي سؤال يؤثر في حقوق المبحوثين أو أي طرف آخر؟

▪ **الاعتبارات الأخلاقية:** هل الاستبيان ملائم أخلاقيًا؟

▪ **الانطباع العام:** هل من السهل قراءة الاستبيان، ومتابعته بشكل عام؟

تركز هذه القائمة على أهم القضايا التي يجب أخذها في الحسبان عند مراجعة الاستبيان. وهناك مشروعات بحثية فردية قد تثير قضايا خاصة وتتطلب أمورًا معينة لا بد للباحث من معالجتها.

ثاني عشر: أهمية الاستبيان

يجب أن تكون الأسئلة ملائمة لموضوع البحث وذات صلة به كما ذكرنا سابقًا، حيث يتعلق كل سؤال بجانب أو أكثر من موضوع البحث، وأن تغطي الأسئلة معًا مختلف جوانب موضوع البحث. يتبع الباحثون عددًا من الخطوات للتأكد من أهمية الأسئلة لموضوع البحث، ومن توزيعها بالتساوي على جوانب البحث المختلفة، ومن شمول جميع أجزاء البحث بالأسئلة. ذُكرت هذه الخطوات سابقًا، لكننا نعيد تقديم ملخص لها في ما يأتي:

الخطوة 1 تحديد المفهوم أو المفاهيم التي ستخضع للدراسة.

الخطوة 2 تحديد أبعاد هذه المفاهيم.

الخطوة 3 تحديد المؤشرات.

الخطوة 4 ترجمة المؤشرات إلى أسئلة.

الخطوة 5 وضع هذه الأسئلة في استبيان وفقًا لإجراء تصميم الاستبيانات.

يعني هذا أن تطوير أسئلة للاستبيان هي عملية تحويل موضوعات البحث إلى متغيرات، ثم إلى مؤشرات، ثم إلى أسئلة. وتتضمن هذه العملية أن يكون لكل سؤال هدف محدد، وأن يتعلق بجانب محدد من جوانب البحث.

دعونا الآن نشاهد ذلك عمليًا. لنفترض أننا نريد دراسة «آثار التدين في التحصيل الدراسي للمراهقين». وفقًا للخطوة رقم 1 نقوم بتحديد المفاهيم وهي التديُّن والتحصيل الدراسي. وفي الخطوة الثانية نُحدد أبعاد هذين المفهومين (وهي المعتقدات الدينية والممارسة والتحصيل في الحساب واللغة الإنكليزية والعلوم والدراسات الاجتماعية). ثم نحول هذه المفاهيم إلى مؤشرات وفقًا للخطوة الثالثة. فمثلًا، تكون المؤشرات للمفهوم الأول: الإيمان بالله وحضور الصلاة في الكنيسة وقراءة الإنجيل والمشاركة في أنواع النشاط الديني. أما بالنسبة إلى المفهوم الثاني فتشتمل المؤشرات على: درجات الطلاب في اللغة الإنكليزية والحساب والعلوم والدراسات الاجتماعية.

الإطار 4.11

تسلسل الترجمة			
المفاهيم	الأبعاد	المؤشرات	الأسئلة
التديُّن	المعتقدات	الإيمان بالله	هل تؤمن بالله؟
		الإيمان بالقديسين	هل تؤمن بالقديسين؟
	أنواع النشاط	الحضور إلى الكنيسة	هل تذهب إلى الكنيسة؟
		نشاط ديني	هل تذهب إلى المدرسة يوم الأحد؟
التحصيل الدراسي	الحساب	الدرجة	علامتك في الحساب؟
	اللغة الإنكليزية	الدرجة	علامتك في اللغة الإنكليزية؟
	العلوم	الدرجة	علامتك في العلوم؟
	الدراسات الاجتماعية	الدرجة	علامتك في الدراسات الاجتماعية؟

بعد ذلك تُحوَّل هذه المؤشرات إلى أسئلة وفقًا للخطوة الرابعة: هل تحضر إلى الكنيسة؟ هل تقرأ الإنجيل؟ هل تشارك في نشاط ديني؟ ما هي درجاتك في الحساب واللغة الإنكليزية والعلوم والدراسات الاجتماعية؟ قد تحول بعض المؤشرات إلى سؤال واحد أو اثنين وقد يتطلب بعضها عددًا أكبر من الأسئلة، حيث يرغب باحث في معرفة كم مرة يذهب المبحوث إلى الكنيسة، وكم مرة يذهب إخوته وأخواته ووالداه أو بعض أقربائه في الوقت الحاضر، أو قبل سنة أو سنتين. والمهم في الأمر أن تترجم الأسئلة معنى أحد جوانب البحث أو معنى متغير ما، وتوفر معلومات عن جانب محدد من جوانب موضوع البحث. وإذا اتبع الباحث هذه التحويلات أو الترجمة بالتسلسل، ستكون الأسئلة كلها ملائمة لموضوع البحث وسيعرف الباحث بالضبط الهدف من كل سؤال في الاستبيان، وسيعرف أيضًا أن كل سؤال يرتبط بجانب معين ويوفر معلومات عنه.

ثالث عشر: حالات عدم الاستجابة في الاستبيانات البريدية

1.13 مقدمة

قد لا يستجيب كثير من المبحوثين للاستبيان، خصوصًا إذا أُرسِل إليهم بالبريد في الدراسات المسحية، ويعني هذا أن معظم من يستلم استبيانًا بريديًا لن

يُرجعها إلى الباحث في الوقت المحدد. وفي ما يلي أهم أسباب هذه الظاهرة[16]:

- ليست لديهم رغبة في ذلك (فهم، مثلًا، غير موافقين على الدراسة ولا يحبون من يموّلها، ولا يحبون تعبئة استبيانات، وقد لا يرغب في ذلك زوج المبحوث أو زوجته).
- المبحوثون غير قادرين على المشاركة في الدراسة لأسباب عقلية أو لغوية أو جسدية (كما في حالة المعاقين أو المهاجرين).
- قد لا يكون المبحوثون موجودين (لأنهم قد رحلوا إلى منطقة أخرى، وقد لا يكونون في البيت عندما جرت زيارتهم، أو يكون بعضهم قد مات).
- لم يكن لديهم متسع من الوقت للإجابة.
- لم يستلموا الاستبيان.
- وجدوا أن الاستبيان معقد جدًا.

تستحق قضية عدم الاستجابة للاستبيانات البريدية اهتمامًا كبيرًا نظرًا إلى أن عدد الذين لا يستجيبون قد يكون كبيرًا، لذلك ينبغي للباحثين أن يبذلوا قصارى جهدهم لخفض عدد حالات عدم الاستجابة إلى الحد الأدنى.

يتحقق ذلك بوساطة إجراءات اجتماعية ونفسية واقتصادية وغيرها. ويمكن تصنيف هذه الإجراءات في مجموعتين: يهدف **النوع الأول** إلى منع حدوث مثل هذه الحالات واستعمال أساليب تشجع المبحوثين على تعبئة الاستبيانات وإرجاعها. أما **النوع الثاني** فيهدف إلى متابعة المبحوثين وحفزهم على إرجاع الاستبيان (انظر الإطار 5.11). ومن الإجراءات المعتادة للتغلب على المشكلة الثانية إرسال رسائل تذكر الذين لم يعبئوا الاستبيان وتحثّهم على إعادته. وفي العادة يكفي إرسال المذكرة مرتين، فبعد الرسالة الثانية لن تجدي أي محاولة أخرى في هذا المجال. ومن المفيد أحيانًا أن يحدد الباحث بعض الحوافز للمبحوثين لتشجيعهم على إعادة الاستبيانات، لكن هذا الإجراء قد يسبب تحيزًا بين المبحوثين وذلك بجذب أناسٍ معينين للمشاركة في الدراسة.

---

(16) انظر: Becker, *Grundlagen soziologischer Methodologie*; Puris, *The Complexity of Research Measure.*

2.13 الحيلولة دون عدم الاستجابة

مما يحسّن معدل الاستجابة بشكل عام تخطيط الدراسة جيدًا واتخاذ الإجراءات الملائمة وأخذ الحيطة والحذر. وهناك أمور أخرى يمكن أن نتبعها للحد من هذه الظاهرة. وفي ما يلي بعض المؤشرات والمقترحات المفيدة في مثل هذه الحالة[17]:

- **مقاربة المبحوثين**: كلما كان أسلوب مخاطبة المبحوثين في رسالة التغطية يشعرهم بالثقة والمودة ازداد احتمال تعبئة الاستبيانات وإرجاعها إلى الباحث.
- **الوضوح**: كلما كان هدف الدراسة وطبيعتها وفائدتها وممولها معروفًا بوضوح ازدادت نسبة الاستجابة.
- **الصدق**: كلما كانت رسالة التغطية صادقة ومختصرة ازداد احتمال الاستجابة للاستبيان وإرجاعه.
- **المبادئ**: تزداد نسبة تعبئة الاستبيان وإعادته بازدياد قناعة المبحوث بسرية المعلومات وعدم كشف الأسماء فيها.

الإطار 5.11

خمس عشرة طريقة لتحسين معدل الاستجابة
▪ حاول أن تراجع أسماء المبحوثين بحذف أسماء المنسحبين من المشاركة (الوفيات والذين انتقلوا للسكن في مناطق أخرى).
▪ لا تجعل فترة إرجاع الاستبيان طويلة جدًا ولا قصيرة جدًا.
▪ اجعل الاستبيان قصيرًا لأن المبحوث لا يجيب عن الاستبيان الطويل في كثير من الحالات.
▪ اجعل الاستبيان جميل المظهر وجذابًا.
▪ اجعله سهل القراءة وجيد الطباعة وسهل اللغة وواضح التعليمات.

(17) S. Lamnek, *Qualitative Sozialforschung, Band 1: Methodologie; Band 2: Methoden und Techniken* (Weinheim: Psychologie Verlags Union, 1993); Mahr, *Politische Struktur der Sozialforschung*; Puris, *The Complexity of Research Measure*; Selltiz, Wrightsman and Cook, *Research Methods in Social Relations*.

▪ اجعل الإجابة عن الأسئلة سهلة، حيث تكون الأبدال واضحة، وارسم مربعًا صغيرًا لوضع إشارة الإجابة فيه.

اجعل الاستبيان يبدو جديرًا بالاهتمام، وركّز على سرية المعلومات والأسماء والمعايير الأخلاقية.

▪ اجعله مثيرًا لاهتمام المبحوث ليترك لديه انطباعًا جيدًا من حيث المغلف ورسالة التغطية.

▪ لا تتدخل بالشؤون الخاصة للمبحوثين، ولا تجعل الأسئلة مسيئة لهم.

▪ اجعلها موائمة أخلاقيًا وكن صادقًا وأمينًا.

▪ اجعل المبحوثين يشعرون بالأهمية بمخاطبتهم بالطريقة اللائقة.

▪ اجعل الاستبيان واضحًا لجهة ذكر المسؤولين عنه ومموليه والجامعات التي تجريه.

▪ اجعل الإجابة عنه سهلة وارفق معه مغلفًا معنونًا وجاهزًا للإعادة.

▪ كن صادقًا في وعودك التي تقطعها على نفسك من دون مبالغة أو استجداء.

▪ أرسل مذكرة أو مذكرتين مستخدمًا المعايير الأخلاقية الصادقة.

▪ **طول رسالة التغطية**: كلما كانت رسالة التغطية أقصر كانت أفضل.

▪ **رسائل التذكير**: كلما زادت قناعة المبحوث بفائدة المذكِّرات وعلاقتها بالحفاظ على السرية وعدم كشف الأسماء، ازداد احتمال تعبئة الاستبيان وإعادته إلى الباحث.

▪ **المبررات**: كلما زادت قناعة المبحوث بأهمية الدراسة ومبرراتها، ازداد احتمال الاستجابة وإعادة الاستبيان.

▪ **الوقت اللازم**: كلما كان الوقت اللازم لتعبئة الاستبيان محددًا أكثر، ازدادت نسبة الاستجابة وإكمال الاستبيان.

▪ **الحجم**: كلما صغر حجم الاستبيان ازداد احتمال تعبئته.

▪ **درجة الصعوبة**: كلما كانت عملية تعبئة الاستبيان أسهل يزداد احتمال تعبئته وإرجاعه.

▪ **الحساسية**: كلما قلت درجة حساسية محتوى السؤال، ازدادت فرص الاستجابة وإعادة الاستبيان.

- **طريقة إرجاع الاستبيان**: كلما كانت طريقة إرجاع الاستبيان أسهل (حيث تتضمن مغلفًا معنونًا ومزودًا بطابع بريدي)، ازدادت نسبة إرجاعه.
- **الوقت اللازم لإرجاع الاستبيان**: كلما كانت الفترة مريحة للمبحوث ازدادت فرص إرجاعه.
- **تسليم الاستبيان للمبحوث**: كلما كانت طريقة تسليم الاستبيان مريحة وشخصية، ازدادت نسبة تعبئته وإرجاعه في الوقت المحدد.
- **المكافآت**: كلما كانت مكافأة إرجاع الاستبيان أكبر وأفضل، ازدادت نسبة إرجاعه إلى الباحث.
- **اجعل تاريخ إرجاع الاستبيان ملائمًا**: لا تجعل الفترة طويلة جدًا ولا قصيرة جدًا لأن ذلك لا يشجع المبحوثين على إعادة الاستبيان.
- **اجعل رسالة التغطية جذابة للمبحوثين حتى تشجعهم على إرجاع الاستبيان.**
- **الشكل والتصميم**: كلما كان شكل الاستبيان وتصميمه جذابين، ازدادت فرص إكماله وإرجاعه.
- **المظهر**: اجعل مظهر الاستبيان جميلًا وجذابًا والطباعة واضحة، لأن ذلك يشجع على إرجاعه.
- **الثقة**: اجعل الاستبيان جديرًا بالثقة والاهتمام من حيث محافظته على سرية المعلومات والأسماء والتزامها بالمعايير الأخلاقية، فقد يزيد ذلك من نسبة إعادته.

رابع عشر: الاستبيانات في البحث النسوي

هناك من يدّعي أن الاستبيانات أدوات للبحث الكمي أكثر منها للبحث النوعي، لكن هذا يصدق على الاستبيانات المقننة أو المُعايَرَة. ومما يؤيد ذلك الفكرة القائلة إن الاستبيانات على الأغلب ما تُستخدم في البحث الكمي وإن معظم النقد الموجه إليها جاء من الباحثين النوعيين.

على الرغم من صدق مقولة أن الباحثين الكميين يحتكرون استخدام المسوح واسعة النطاق باستعمال الاستبيانات المقننة، غير أن ذلك لا يعني البتّة أن الباحثين النسويين والنوعيين يمتنعون عن استخدام هذه الطريقة البحثية. فالباحثون النوعيون والنسويون يستخدمون الاستبيانات غير المبنيّة وغير المقننة أكثر من استخدامهم الاستبيانات المقننة، وهم يستخدمونها بنسبة أكبر من استخدام الباحثين الكميين لها. إن الاستبيانات غير المبنيّة وغير المقننة التي تتضمن أسئلة مفتوحة وتسمح بدرجة من الذاتية والمرونة في طريقة بناء الأسئلة والإجابة عنها، لا تنسجم مع المبادئ المعرفية فحسب، بل مع الممارسة العامة أيضًا.

إن الباحثين النوعيين والنسويين لا ينتقدون الاستبيانات لذاتها، بل ينتقدون الشكل المقنن بدرجة عالية، والموضوعية والحيادية القيمية وطريقة تنفيذها. كما أن هؤلاء الباحثين يقترحون وسائل لتحسين الاستبيانات، لكنهم لا يرفضونها. أخيرًا، فإن الباحثين النسويين ينتقدون طريقة تعامل الباحثين مع المبحوثين، خصوصًا الأدوار التي يمارسونها مع المبحوثين، والمسافة التي يقفون فيها من المبحوثين. وفي ضوء ذلك تبقى الاستبيانات منسجمة مع المبادئ الأساسية للبحث النوعي، كما أن الباحثين النوعيين لا يتجاهلونها.

ما يؤيد هذه الفكرة أيضًا أن الباحثين النسويين ينظرون إلى الاستبيانات بالدرجة نفسها من الأهمية التي ينظر بها الباحثون الكميون. ويُعدّ استخدام الاستبيانات الموجزة وغير المقننة التي تتضمن أسئلة مفتوحة، والتي تكون فيها العلاقة بين الباحث والمبحوث قريبة وودية، من أدوات جمع البيانات المقبولة لدى الباحثين النسويين والنوعيين والتجريبيين. علاوة على ذلك فهم يبدون اهتمامًا بالاستبيانات المقننة وجمع البيانات عالية المستوى من حيث التكميم والقابلية للمقارنة والكفاية، حيث تُعدّل لتلائم متطلبات منهجية بحوثهم.

باختصار، إن تميز البحث النسوي والنوعي هنا لا يرتبط بأداة البحث بحد ذاتها، بل بطريقة فهمها وتطبيقها في السياقات المتنوعة. وكما نعلم، فإن معظم طرائق البحث، بما فيها الاستبيانات، تسمح بدرجة كبيرة من التعديل والتغيير.

خامس عشر: مزايا الاستبيانات وعيوبها

هناك مزايا وعيوب للاستبيانات باعتبارها طريقة لجمع البيانات، لذلك فإن لها فوائد وحدودًا يجب أن يدركها الباحث. وفي ما يأتي قائمة بمزايا الاستبيانات وعيوبها.

المزايا

- الاستبيانات أقل تكلفة من الأساليب الأخرى، وكما يقول سيلتز[18]: «يمكن إرسال الاستبيانات بالبريد، أما المقابلات فلا».
- تؤدي إلى نتائج سريعة.
- يمكن استكمالها وفقًا لأوضاع المبحوثين.
- توفر ضمانات أكبر لسرية الأسماء.
- فرص الخطأ والتحيز فيها أقل مما في المقابلات.
- الاستبيانات مقياس ثابت وموحد ومنسق ولا تغيير فيه.
- توفر وجهة نظر موضوعية حيال القضية المبحوثة، ويستطيع المبحوثون الرجوع إلى ملفاتهم وسجلاتهم عند الإجابة، كما أن كثيرًا منهم يفضل الكتابة بدلًا من التواصل الشفوي في بعض القضايا.
- توفر تغطية أكبر، نظرًا إلى إمكان الوصول إلى المبحوثين بدرجة أسهل مما في الطرائق الأخرى.
- لا تتأثر بمشكلات عدم التواصل المباشر (أي حالة عدم توافر المبحوثين في وقت إجراء الدراسة، الأمر الذي يشكل صعوبة في المقابلات).

العيوب

- لا تسمح الاستبيانات بسبر غور الأسئلة وتوضيحها للمبحوث.
- لا تسمح بتحفيز المبحوث للمشاركة في الدراسة أو للإجابة عن الأسئلة.

(18) Selltiz, Wrightsman and Cook, *Research Methods in Social Relations.*

▪ لا تسمح بالتعرف إلى هوية المبحوث ولا إلى الأوضاع التي تجري فيها الإجابة، فلا يتأكد الباحث من أن الشخص الصحيح هو الذي أجاب عن الاستبيان، أم غيره.

▪ لا يستطيع الباحث التأكد من الإجابة عن الأسئلة بالترتيب المطلوب حيثما لزم الأمر.

▪ لا تسمح بجمع بيانات إضافية (من خلال الملاحظة مثلًا) في أثناء الإجابة عنها.

▪ هناك احتمال كبير لوجود إجابات جزئية لغياب الإشراف المباشر.

يجب ألّا ينصبّ التقويم في الاستبيانات وغيرها من الأدوات على نوعية الطريقة فحسب، بل على مدى مواءمتها أيضًا. ويجب أن يؤخذ سياق البحث في الحسبان وأن يعطى الاهتمام المطلوب؛ إذ قد تكون الاستبيانات مفيدة في بعض السياقات من دون غيرها.

سادس عشر: الاستبيانات في عصر الحاسوب

يمكن الإفادة من الحاسوب في استعمال الاستبيانات، خصوصًا المقننة منها وذلك بسبب هيكلها. ويقدم الحاسوب خدمة للباحث أكثر من مجرد مساعدته في جمع البيانات. ففي بعض الحالات يقوم الحاسوب بطرح الأسئلة على المبحوث واستلام الإجابات من دون تدخل الباحث.

هذا واضح في المقابلات، كما سنوضح بالتفصيل في الفصل الآتي. ويمكن إجراء المقابلات بوساطة الحاسوب من طريق استخدام البرامج CAPI وCATI و CISUR وCODSCI، حيث يقرأ المبحوث السؤال ويجيب عنه وفقًا للتعليمات التي تظهر على الشاشة. وتجرى المقابلات مثل الاستبيانات فتصبح وكأنها استبيانات إلكترونية من دون حضور الباحث الذي يُجري المقابلة.

هناك أيضًا برامج تعمل على تنفيذ الاستبيانات وإنجازها، وتاليًا فهي تحل محل مساعد البحث التقليدي، ومن هذه البرامج الاستبيان الذاتي المحوسب

(CSAQ)، حيث لا يعطى المبحوث استبيانًا ورقيًا بل يُطلب منه الجلوس أمام شاشة الحاسوب، حيث تظهر أمامه تعليمات الاستبيان وتقدم إليه بعض النصائح الفنية إذا تطلب الأمر ذلك. ويقوم المبحوث بإدخال الإجابة التي سيحتفظ بها الحاسوب في ذاكرته ثم يجمع الإجابات ويُحضّرها للتحليل.

هناك برامج أخرى تعمل بطريقة مشابهة. وبذلك يكون الحاسوب قد أضاف إلى عمله وظائف جديدة، فبدلًا من أن يساعد في عملية التحليل وحسب، أصبح يساعد في إعداد البيانات وجمعها. وهذا ما كان يقوم به مساعدو البحث.

يُعد الحاسوب جسرًا يوصل الباحث إلى التطورات المتقدمة في ميدان وسائل الاتصال الإلكترونية، حيث يسمح للباحث بالمزيد من السهولة وسرعة الوصول إلى البيانات والمبحوثين. كما يُمكّن الحاسوب الباحث من استعمال الإنترنت والبريد الإلكتروني للتواصل مع المبحوثين الذين يُطلب منهم أيضًا تعبئة استبيانات. ويسمح هذا النوع من التواصل بالاتصال مع عدد أكبر من المبحوثين ويمكّن الباحث من استخدام طرائق أكثر لتنفيذ الاستبيان، وتاليًا قد لا يحتاج الباحث إلى العنصر البشري لتنفيذ هذه المهمة.

كما ذكرنا سابقًا، يمكّن الحاسوب الباحث من استعمال الإنترنت، ما يسهل عملية اختيار العينات وإجراء الدراسات المسحية. وقد يكون استخدام الإنترنت جذابًا للمبحوثين، ومن يوافق منهم على المشاركة يوجَّه إلى الموقع الذي يوجد فيه الاستبيان. بعد ذلك تستمر العملية كما الحال في الاستبيانات التي تجرى بوساطة الحاسوب، حيث تُعبأ الاستبيانات وتحفظ النتائج في قواعد للبيانات. لقد أصبحت المسوح الحاسوبية مألوفة، يستخدمها عدد كبير من الباحثين والمؤسسات البحثية. ومن الأمثلة على الاستخدام المنظم للإنترنت في هذه المسوح إنشاء مجموعات من المتطوعين مستعدين لتعبئة هذه الاستبيانات وإجراء المقابلات من طريق الإنترنت (وتُدفع لكل مشارك رسوم معينة).

يمكن استخدام الحاسوب مع طرائق تقليدية أخرى. فمثلًا، يقوم الباحث باختيار عينة الدراسة بالطريقة التقليدية لضمان تمثيلها لمجتمع الدراسة، ثم يوجه المبحوثين إلى موقع الاستبيان حيث يستطيعون تعبئتها وفقًا للأوضاع التي

تلائمهم. وتاليًا لن تكون هناك ضرورة للاتصال بالباحثين أو السفر إلى موقع البحث.

نقاط أساسية

- تُعد الاستبيانات شكلًا من أشكال الدراسات المسحية، فهي دراسة مسحية مكتوبة.
- أهم أجزاء الاستبيان: رسالة التغطية والتعليمات ومحتوى الاستبيان.
- يتخذ الاستبيان أحد التصاميم التالية: القِمع، والقمع المقلوب، وشكل المعين، وشكل حرف x، وشكل الإطار، ومزيج من أنواع مختلفة.
- يتضمن الاستبيان عادة أسئلة رئيسة وثانوية و/ أو أسئلة من الدرجة الثالثة من الأهمية. وقد تكون الأسئلة مفتوحة أو مغلقة.
- يجب أن تكون الخيارات في الأسئلة المغلقة دقيقة وشاملة وأحادية البعد، كما ينبغي ألا تسمح بتكرار الإجابة الصحيحة.
- يجب الاهتمام بمحتوى السؤال، خصوصًا طريقة صوغه ومدى مواءمته ووضوحه وبساطته ومستوى لغته ونوعها والاتجاه الذي تُعبّر عنه الأسئلة.
- تكون الأسئلة المرحلة الأخيرة في سلسلة من التحويلات أو الترجمات، ابتداء من تحديد موضوع البحث إلى المؤشرات إلى صوغ الأسئلة.
- الاختبارات القَبْليَة هي اختبارات صغيرة لبعض عناصر الاستبيان بهدف التأكد من مواءمتها وسلامتها.
- الدراسة الاستطلاعية هي دراسة مصغرة للدراسة الرئيسة تتضمن جزءًا من العينة.
- تعمل الاختبارات القَبْلية على تقويم أدوات الدراسة، أما الدراسات الاستطلاعية فتقوّم سيرورة البحث ومخرجاتها.
- تشكل حالات عدم الاستجابة مشكلة كبيرة بحاجة إلى معالجة.

إلى أين؟

قبل أن تترك هذا الفصل، لا بد لك من أن تزور الموقع المرافق للطبعة الثالثة من كتاب **البحث الاجتماعي**: http://www.palgrave.com/sociology/sarantakos، لتراجع المفاهيم الأساسية في هذا الفصل وتختبر نفسك في القضايا الرئيسة التي ناقشناها.

قراءات إضافية

Books

Arlek, P. L. and R. B. Settle. *The Survey Research Handbook: Guidelines and Strategies for Conducting a Survey*. New York: McGraw-Hill, 1995.

De Vaus, D. (ed.). *Surveys in Social Research*. London: Sage, 2002.

Dillman, D. *Mail and Internet Surveys: The Tailored Design Method*. Chichester: Wiley, 2000.

Foddy, W.H. *Constructing Questions for Interviews and Questionnaires*. Melbourne: Cambridge University Press, 1992.

Galavotti, M. C. *Observation and Experiment in the Natural and Social Sciences*. Boston: Kluwer Academic, 2003.

Mangione, T. W. *Mail Surveys: Improving the Quality*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1995.

Sapsford, R. *Survey Research*. London: Sage, 1999.

Periodical

Couper, M. P. «Web Surveys: A Review of Issues and Approaches.» *Public Opinion Quarterly*. vol. 64, 2000.

الفصل الثاني عشر

المُسوح - المقابلات

هذا الفصل

- يتناول المقابلات باعتبارها طرائق لجمع البيانات.
- يعرف أنواع المقابلات ويوضح استخداماتها.
- يوضح عملية المقابلة.
- يحدد مزايا المقابلات وعيوبها والمشكلات المرتبطة بها.

العناوين الرئيسة

مقدمة

1. تنوع المقابلات
2. المقابِل
3. عملية المقابلة
4. علاقة المقابِل – المبحوث
5. التحفيز والاستكشاف
6. المقابلة السردية
7. المقابلة المكثفة

8. المقابلة الهاتفية
9. سياق المقابلة
10. مزايا المقابلات وحدودها
11. مشكلات المقابلات وأخطاؤها
12. عدم الاستجابة في المقابلات
13. المقابلة في عصر الحاسوب
14. مقارنة بين طرائق البحث المسحية

نقاط أساسية

إلى أين؟

قراءات إضافية

مقدمة

تُعدّ المقابلة أو الاستبيان الشفوي من أكثر وسائل جمع البيانات شيوعًا. وتشكل المقابلات والاستبيانات ما يسمى بالطريقة المسحية التي تُعد من أهم تقنيات البحث الاجتماعي. وتُستخدم المقابلات كطرائق لجمع البيانات في معظم أنواع تصاميم البحوث، بغض النظر عن منهجية البحث الأساسية. فمثلًا، يستخدم الباحثون الكميون غالبًا المقابلات المقننة وشبه المقننة، بينما يستخدم الباحثون النسويون المقابلات غير المقننة مثل المقابلات المكثفة والمركزة.

في هذا الفصل سنشرح أنواع المقابلات واستخداماتها في جمع البيانات.

أولًا: تنوع المقابلات

1.1 أنواع المقابلات

تُعد المقابلات، كما ذكرنا في الفصل السابق، استبيانات شفوية أو ناطقة، حيث يشكل الاستبيان بنية المقابلة. ويلائم هذا حديثنا عن المقابلات من جانبين: **أولًا**، ما ذكرناه عن الاستبيانات في الفصل السابق ينطبق على المقابلات أيضًا، ولذلك لا حاجة لنا إلى طرح تلك القضايا مرة أخرى هنا. **ثانيًا**، يعكس التنوع في المقابلات التنوع في الاستبيانات، فهي متنوعة كتنوع الاستبيانات. لكن بنية الاستبيان تشكل مصدرًا واحدًا فقط للتنوع في المقابلات، ذلك أن المقابلات تختلف في أهدافها وفي دور المقابِل وحجم العينة وتنفيذ المقابلة كما سنرى لاحقًا.

1.1.1 المقابلات المبنيّة (المقيّدة) وغير المبنيّة (غير المقيّدة)

تستخدم **المقابلات المبنيّة** استبيانات مبنيّة تُقدَّم شفويًا للمبحوثين، حيث يقوم المقابل بتسجيل الاستجابات. وعند إجراء المقابلات لا بد من الالتزام الدقيق بصوغ الأسئلة وترتيبها وتعليمات الإجابة عنها. ويتوقع من المقابل أن يعمل مثل «إنسان آلي» من دون تحيز ومن دون تغيير نغمة الصوت في أثناء المقابلات، حيث يترك لدى المبحوثين الانطباع ذاته. كما يجب عليه أن يستخدم الأسلوب نفسه، وأن يبقى بالمظهر نفسه ويستخدم الأسئلة المساعدة والمحفزة نفسها، ولا يبدي أي مبادرة أو اهتمام شخصي في موضوع البحث. إن خيارات الاستجابات محددة وملزمة، الأمر الذي يخفض تحيز المقابل إلى الحد الأدنى ويحقق درجة أعلى من الموضوعية والتوحيد في الإجراءات، ويُستعمل هذا النوع من المقابلات في البحث الكمي.

تستخدم **المقابلات غير المبنيّة** استبيانات غير مبنيّة (برامج للمقابلات) تتضمن عددًا من الأسئلة المفتوحة التي يمكن تغيير صوغها وترتيبها وفقًا لرغبة المقابل. ويتصرف المقابل في هذا السياق بحرية وفقًا لبعض نقاط البحث حيث يستطيع إعادة صوغ الأسئلة حيثما تطلب الأمر ذلك، ويستخدم أسئلة مُساعِدة محايدة. ويكون تصميم المقابلة مرنًا، والقيود عليها قليلة، حيث تكون في معظم الحالات على شكل إرشادات وليس قواعد. ويُستخدم هذا النوع من المقابلات عادة في البحوث النوعية والنسوية.

أما **الاستبيانات شبه المبنيّة** فتقع بين المقابلات المبنيّة والمقابلات غير المبنيّة. فهي تشمل عناصر من النوعين يقترب بعضها من المقابلة المبنيّة أحيانًا، ومن المقابلة غير المبنيّة أحيانًا أخرى. وتعتمد درجة تنظيم المقابلة على موضوع البحث وهدفه ومصادره ومعاييره المنهجية وتوجهاته، ونوع المعلومات المطلوبة التي تحددها أهداف البحث. ويُستخدَم هذا النوع من المقابلات في البحوث النوعية والنسوية والكمية.

2.1.1 مقابلات دلفي

تُعد مقابلة دلفي (Delphi interviews) شكلًا من أشكال المقابلات الإثنوغرافية

التي تستخدم مقاربة إثنوغرافية ذات مراحل متعددة. يقوم الباحث بمقابلة خبراء في مجال موضوع البحث. وفي هذا النوع من المقابلات، يُطلب من المبحوثين تقديم معلومات وإصدار أحكام بخصوص القضية المطروحة للبحث، ثم يُطلب منهم الخروج ببعض الاستنتاجات أو التنبؤات. وبعد ذلك يقوم الباحث بتلخيص المعلومات من منظور اجتماعي ومنطقي ويقدم ملخصًا مكتوبًا للخبراء للمناقشة وإبداء الملاحظات. ثم يأخذ تلك الملاحظات واختلافات الرأي في الحسبان ويُعدّل ملخصه ويقدمه مرة أخرى إلى الخبراء لمزيد من الملاحظات، وتستمر هذه العملية إلى أن تنخفض الخلافات في الرأي بين الخبراء إلى الحد الأدنى.

استُخدم هذا الأسلوب أصلًا في الأربعينيات من القرن العشرين في حالات الحرب وللتنبؤ بما يحمله المستقبل. ولذلك سُمّي بطريقة دلفي في المقابلة. ويمكن استخدام هذا الأسلوب في الاستبيانات شريطة المحافظة على سرية الأسماء.

3.1.1 أنواع أخرى من المقابلات

هناك أنواع كثيرة من المقابلات التي لا يتسع المجال هنا لمناقشتها، منها:

- **المقابلة التحليلية**: تهدف إلى تحليل مفاهيم ونظريات وفقًا لأنموذج إرشادي معين.
- **المقابلات السيريّة**: تسجل هذه المقابلات تاريخ حياة فرد، وتسمى أيضًا «المقابلات السردية».
- **المقابلات التوافقية**: تتضمن مقابِلَيْن اثنين، حيث يأخذ كل واحد منهما ملاحظاته على حدة، ثم يكتبان تقريرًا مشتركًا.
- **المقابلة التشخيصية**: تهدف إلى تقويم استجابات المبحوث لمشكلة يطرحها الباحث.
- **المقابلة التي ترتكز على معضلة**: يقوم الباحث في هذا النوع بتقويم استجابة المبحوث لمعضلة طرحها الباحث.
- **مقابلة النخبة**: يكون المبحوثون في هذه المقابلات من المعروفين والشخصيات البارزة.

▪ **المقابلة الإثنوغرافية**: يتضمن المبحوثون خبراء أو شخصيات بارزة بهدف دراسة الثقافات والثقافات الفرعية.

▪ **المقابلة الجماعية**: يقوم الباحث فيها بمقابلة عدد من المبحوثين في الوقت نفسه.

▪ **المقابلة الموجّهة**: يتخذ الباحث/ المقابل في هذا النوع دور الموجّه وليس دور المسيطر.

▪ **المقابلة الصارمة**: تستخدم هذه المقابلة إجراءات دقيقة وصارمة وينظر الباحث إلى الإجابات بشك وريبة، وتشبه هذه المقابلة عملية الاستجواب.

▪ **المقابلة الفردية**: يُقابَل مبحوث واحد في الوقت نفسه.

▪ **المقابلة الاستفسارية**: ينظر إلى المبحوث في هذه المقابلة وكأنه شريك في تقديم البيانات.

▪ **المقابلة المحايدة**: يكون المقابل في هذا النوع محايدًا، يركّز على الوقائع ومحفزًا ولطيفًا، لكنه يقف على بعد معين من المبحوثين بعيدًا عمّا هو شخصي.

▪ **المقابلة المفتوحة**: تسمح هذه المقابلة بالمرونة والتغيير في هيكلها وتنفيذها.

▪ **المقابلة باستخدام فريق من الباحثين**: تُجرى المقابلة أكثر من مرة على العيّنة نفسها.

▪ **المقابلة التي ترتكز على مشكلة**: تركز المقابلة على مشكلة محددة، وهي مقابلة مفتوحة وتؤخذ فيها ملاحظات المبحوث بالاعتبار.

▪ **المقابلة الاستقبالية**: يقوم المبحوث في هذه المقابلة بدورٍ فاعلٍ، ويكون الباحث مستمعًا مساندًا له[1].

▪ **المقابلة «الناعمة»**: يتخذ الباحث/ المقابل فيها دورًا توجيهيًا فحسب.

▪ **المقابلة الهاتفية**: تُجرى المقابلة هاتفيًا.

▪ **المقابلة الفريدة**: تُجرى هذه المقابلة مرة واحدة فقط.

---

(1) G. Kleining, *Das rezeptive Interview* (Bielefeld: University of Bielefeld, 1988).

2.1 المقابلات في البحث النوعي

تُعدّ المقابلات شبه المبنيّة وغير المبنيّة أكثر أنواع المقابلات استخدامًا وأكثرها انسجامًا مع معايير ومبادئ البحوث النوعية. وفي ما يأتي قائمة بالمعايير المنهجية والعناصر الفنية للمقابلات النوعية(2):

- **التأمل**: تستخدم المقابلة النوعية أساليب وطريقة تحليل تسمح للباحث بالتأمل والتفكير في مقاربته الذاتية للعالم، حيث يأخذ في الحسبان التطبيقات المعرفية التي ينتجها للحياة الاجتماعية.
- **الواقعية**: تهدف المقابلات النوعية إلى دراسة الواقع كما هو وبما فيه، وكما يتمثل في أنواع نشاط الحياة اليومية.
- **أولوية المبحوثين**: يُعدّ المبحوث خبيرًا يُقدّم معلومات قيمة ويتمتع بأهمية الباحث نفسها وليس مجرد مصدر للمعلومات.
- **غياب التقنين**: المقابلات النوعية غير مقننة وتسمح للمبحوثين بالتعبير عن آرائهم من دون قيود.
- **الانفتاح**: لا تستخدم المقابلات النوعية منهجية مقننة، وهي قابلة للتغيير والتعديل والتكييف وفقًا لمتطلبات البحث. ويتوقع من المقابلين الدخول في مناقشة مفتوحة مع المبحوثين مع المحافظة على دورهم التحفيزي وليس المهيمن أو المسيطر.
- **المرونة**: يتبع الباحث النوعي مجريات المقابلة كما تطرأ في أثناء المقابلة.
- **الحياة العملية**: يؤكد الباحثون النوعيون في مقابلاتهم جوانب مختلفة من الخبرة الشخصية كما هي في الواقع.
- **النظرية المؤسَّسة**: تهدف المقابلات النوعية في معظم الحالات إلى تطوير نظرية مؤسَّسة (ترتكز على البيانات).

---

(2) W. Farber, *kunstlehre der Erklärung* (Graz: Selbstverlag, 2001); S. Lamnek, *Qualitative Sozialforschung, Band 1: Methodologie; Band 2: Methoden und Techniken* (Weinheim: Psychologie Verlags Union, 1993), pp. 21-29; N. Pannas, *Politiki kai Koini Gnomi* [Politics and Public Opinion] (Leipzig: Selbstverlag, 1996).

▪ التفسير: تظهر النتائج في خلال الدراسة وتفسر في أثناء عملية المقابلة.

تظهر هذه الجوانب الفنية والمنهجية أن المقابلات النوعية ليست خيارًا سهلًا، وليست نوعًا بسيطًا من البحوث. على العكس من ذلك فهي تتطلب أن يكون المقابل أكثر كفاءة والمبحوثون أكثر قدرة على التعبير عن آرائهم وأفكارهم[3].

3.1 المقابلات في البحث النسوي

يتبع الباحثون النسويون معايير البحث النوعي ومبادئه، لكنهم يضيفون إليها عنصرًا جديدًا هو التركيز على النساء كباحثات ومبحوثات. وكما هو الحال في البحث النوعي، ينظر البحث النسوي إلى المقابلة كطريقة مفيدة جدًا ويقدر انفتاحها وطبيعتها النوعية وطريقة توجيهها المبحوث، كما أن البحث النسوي يستخدمها بكثرة لتسهيل الإصلاح الاجتماعي. وتقول راينهارز[4] إن المقابلة «تلائم الباحثات بشكل خاص»؛ وتشعر أنها «تستخدم مهارات تلائم دور المرأة التقليدي». وتضيف الباحثة: «إن هذه الطريقة مفيدة جدًا عندما تقوم بها امرأة، وكي تُفهم المرأة يجب أن تقابلها امرأة مثلها»[5].

إن المقابلات التي تجرى في البحث النسوي هي نفسها التي تستخدمها منهجيات البحث الأخرى، لكنها عُدلت لتلائم مبادئ البحث النسوي ومعاييره. وبالتحديد، فإن الباحثات اللاتي يقمن بالمقابلات يتميزن بصفات كالتي تظهر في الجدول 1.12[6].

مع أن معظم النسويين يوافقون على هذه الفكرة في المقابلة، هناك باحثون من ضمن هذا الأنموذج الإرشادي لا يتفقون معه. فمن الباحثين الذين قاموا بتطوير انطباعاتهم الخاصة عن المقابلة والبحث النسوي بشكل عام: الباحثون

(3) Lamnek, Ibid.; Pannas, Ibid., pp. 76-79.

(4) S. Reinharz, *Feminist Methods in Social Research* (New York: Oxford University Press, 1992), p. 20.

(5) Ibid., p. 23.

(6) L. Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit* (Wien: Seblestverlag, 2000); P. D. Punch, *Developing Effective Research Proposals* (London: Sage, 2000).

النسويون التجريبيون، وباحثو مابعد الحداثة ومابعد البنيوية. وتؤكد هذه الفكرة النطاق الواسع للبحث النسوي وغزارة المعلومات التي يمكن أن يولدها.

الجدول 1.12

مقارنة بين المقابلات الكمية والنوعية/ النسوية

المعيار	البحث الكمي	البحث النوعي/ النسوي
طبيعة الأسئلة	معظمها مبنيّ وشبه مبنيّ	معظمها مفتوح
ترتيب الأسئلة	يلتزم بترتيب ثابت	لا تلتزم بترتيب ثابت
المقابلة تفترض	صدارة المقابل	صدارة المبحوث
يتحكم بالمقابلة	المقابل/ الباحث	لا أحد
يكون المقابل عادة	بعيدًا من المبحوث؛ غير متورّط أو مندمج، موضوعيًا ومنضبطًا أخلاقيًا	قريبًا من المبحوث؛ متورطًا أو مندمجًا، ذاتيًا، وغير منضبط أخلاقيًا
الأسئلة المساعدة أو المحفزة	محددة	غير محددة
مدة المقابلة	قصيرة نسبيًا	طويلة نسبيًا
تفصيلات المقابلة	تحدد منذ البداية	تتغير وفقًا للموقف
عدد المبحوثين في الدراسة	كثير عادة	قليل عادة
التصميم العام	ثابت	مرن
عرض الأسئلة	موحد لجميع المبحوثين	كما يتطلب الموقف، مرن
عدد المقابِلين	كثير عادة	واحد عادة
طبيعة المقابلة	سؤال وجواب	مناقشة
العينة	عشوائية، تختار قبل الدراسة	غير عشوائية، مرنة، تزداد في خلال الدراسة ولا تتغير

ثانيًا: المُقابِل

قبل أن تبدأ المقابلات يتخذ الباحث عددًا من القرارات المهمة لتسهيل عملية البحث. وسنلخص مهمات المقابل الكمي تاليًا. ويمكن إضافة مهمات أخرى وتعديل بعض المهمات المذكورة لاحقًا عندما نجري بحثًا ما وفقًا لمنهجية

البحث المتبعة. فعلى سبيل المثال، في مقابلات البحوث الكمية يتحكم الباحث بسياق المقابلة، ويبقى على مسافة معينة من المبحوث ولا يتفاعل معه. أما في البحوث النوعية فيتوقع من الباحث أن يتجنب التحكم بسياق المقابلة وأن يكون قريبًا من المبحوث ومتفاعلًا مع الموقف.

الإطار 1.12

معايير المقابلة النسوية إن النسوية: ▪ ترفض الأنموذج الإرشادي الذكوري عند إعداد المقابلات وتنفيذها. ▪ تستخدم مقابلات إناث ومبحوثات إناث في الغالب. ▪ ترفض فكرة الانعزال عن المبحوثين، وتشجع على إيجاد علاقة ودية متبادلة بين الباحث والمبحوث. ▪ تتجنب العلاقة السلطوية بين الباحث والمبحوث، وتطبّق علاقات لا ترتكز على مفهوم هرمي. ▪ لا تستعمل الاستبيانات المبنيّة كي تسمح بالمرونة. ▪ تلتزم بمبدأ الحساسية والتفاعل الانفعالي والتدخل الشخصي في المقابلات. ▪ تشجع على استخدام القيم والانفتاح والإفصاح عن الذات وتبادل هذه المفاهيم.

1.2 واجبات المُقابِل

تختلف واجبات المقابل باختلاف الأنموذج الإرشادي. لكن هناك بعض المهمات الأساسية التي ينبغي للمقابل أن ينفذها بغض النظر عن الأنموذج الإرشادي الأساس، وفي ما يلي أهم تلك الواجبات:

- الاتصال بالمبحوثين لترتيب موعد المقابلة وتاريخها.
- إجراء المقابلة.
- ضبط أو توجيه المقابلة بما يوائم الأنموذج الإرشادي الذي يرتكز عليه البحث.
- التأكد من عدم تأثيره في طريقة إجابة المبحوث عن الأسئلة.

■ تسجيل الإجابات بدقة.

■ إقامة علاقات إيجابية مع الجمهور والمحافظة عليها.

■ مراعاة المعايير الأخلاقية.

الإطار 2.12

الواجبات الإدارية في المقابلة المبنيّة (أو المقيّدة)
■ الإعلان عن الحاجة إلى مقابلين ومشرفين.
■ طباعة برامج المقابلات.
■ اختيار المقابلين والمشرفين والإداريين.
■ تدريب المقابلين.
■ ترتيب أوضاع العمل ودفع المكافآت وتحديد مدة التوظيف.
■ ترتيب اجتماعات مع المبحوثين تسبق المقابلة.
■ معالجة حالات رفض المشاركة في الاجتماعات التي تسبق المقابلة.
■ اختيار مكان المقابلة وزمانها.
■ البدء بإجراء المقابلات.
■ معالجة الحالات التي ترفض المشاركة في الدراسة.
■ ترتيب إجراءات الإشراف الميداني.
■ التأكد من إجراء المقابلات إجراءً سليمًا والالتزام بالأخلاق.
■ ترتيب إعادة المقابلات المكتملة إلى الباحث.
■ الاتصال بالمبحوثين عشوائيًا للتأكد من استكمال المقابلة.
■ التأكد من استكمال المقابلات وخلوّها من الأخطاء والهفوات.

2.2 اختيار المقابِل

يتّبع الباحثون خطوات منتظمة في عملية اختيار المقابِلين، لأنهم يؤدون دورًا مهمًا في البحث. وفي ما يلي بعض المعايير المهمة في اختيار المقابلين[7]:

(7) B. Becker, *Grundlagen soziologischer Methodologie* (Frankfurt: Selbstverlag, 1989); A. Benini, *Construction of Knowledge* (Rome: Gnome, 2000); H. Berger, H. F. Wolf and E. Ullmann, eds., *Handbuch der Sozialistischen Forschung: Methodologie, Methoden, Technicken* (Berlin: Akademie Verlag, 1989).

- الأمانة والثقة وضبط النفس.
- الذكاء والنضج واللطف في التعامل.
- التفاعل مع الآخرين والقبول الاجتماعي.
- العناية والضمير الحي والقدرة على التركيز.
- القدرة والموثوقية.
- الموضوعية وعدم التحيز.
- القدرة على التكيف والاستقلالية والمبادرة.
- القدرة على التواصل الشفوي والقدرة على الإصغاء إلى الآخرين.
- الاهتمام والمعرفة بموضوع البحث.
- القدرة على العمل مع الآخرين في فريق من الخبراء.

الإطار 3.12

سِمات المقابلين النوعيين

- سمات شخصية (الحساسية واللطف).
- معرفة بموضوع البحث وسياقه.
- القدرة على معالجة المعلومات لفهم المعاني وتفسيرها، والاستجابة لها وفقًا لذلك.
- الاهتمام والالتزام بالبحث.
- الوضوح في الكلام والفكر.
- القدرة على التكيف والاستقلالية والمبادرة.
- المبادرة في استطلاع ما يفكر فيه المبحوث.
- الإبداع في طرح الأسئلة وتحديد المهمات التي تلائم المبحوث.
- الخبرة في إجراء مقابلات نوعية.
- النضج الشخصي والمهني الذي يشجع على الثقة والاحترام.

تختلف ميزات المقابل من حالة إلى أخرى وفقًا لنوع المقابلة المستخدم في

البحث. فمثلًا، يلتزم المقابلون النوعيون بمعظم المعايير المذكورة أعلاه، ويُطلب منهم أيضًا أن يتمتعوا بالسمات التي تظهر في الإطار 3.12.

في ضوء طبيعة الدراسة، يمكن إضافة معايير أخرى، كما يمكن تعديل بعض المعايير السابقة. ولذلك لا بد من اختيار المقابل وفقًا لمعايير صارمة للحصول على الأفضل.

3.2 تدريب المُقابِل

يخضع المقابلون بعد اختيارهم لتدريب يعتمد في كثافته ودرجته على المهارات والخبرات المتوافرة لدى المقابل، وعلى طبيعة البحث أيضًا. ويهدف التدريب إلى معالجة مسألتين رئيستين: **الأولى**، خفض التحيز والعوامل التي تؤدي إلى أخطاء، و**الثانية**، تعريف المقابل بجوهر البحث، ما يؤدي إلى مزيد من الدقة والوضوح والثبات بين المقابلين. أما بالنسبة إلى النقطة الأولى، فيمكن أن ترتبط الأخطاء والتحيز بالعوامل الآتية التي يجب أن تؤخذ في الحسبان في عملية التدريب[8]:

- **نقص المهارات**: يؤثر المقابل في نتائج البحث بسبب نقص قدراته الإدارية والمهنية وبلادته، أو من خلال الاتصال بالشخص الخطأ أو بحذف بعض الأسئلة أو إساءة قراءتها، أو قراءتها من دون ترتيب أو تسجيل الاستجابات الخطأ أو إساءة فهم المبحوث وترك بعض الأسئلة من دون إجابة.

- **سوء السلوك**: قد يعمد المقابل إلى حذف بعض الأسئلة أو إعادة صوغها أو تبديل المبحوثين أو الغش بسبب عدم الاتصال بالمبحوث والإجابة عن الأسئلة بنفسه بدلًا من المبحوث.

- **العرض**: قد تسبب طريقة عرض المقابل خللًا يؤثر في البيانات. ومن العوامل المؤثرة في هذا المجال المظهر ونبرة الصوت والموقف من المبحوث والبحث وردات الفعل على الإجابات والتعليقات.

(8) Farber, *kunstlehre der Erklärung*; Pannas, *Politiki kai Koini Gnomi*, pp. 89-91.

▪ **التوقعات**: إن توقعات المقابلين حيال المبحوثين، نتيجة لمظهرهم وأوضاع حياتهم مثلًا، قد تؤثر في العملية ومخرجاتها.

▪ **الأسئلة المساعدة**: قد يتأثر البحث باستخدام المقابل الأسئلة المساعدة في ما يتعلق باستخدامها أو عدمه والزمان والمكان وما إذا كانت المقابلة قد تمت وفق التعليمات. ويعد استخدام الأسئلة المساعدة استخدامًا خاطئًا أحد مصادر الخطأ، ولذلك يجب أن يتجنبها.

تساعد المعرفة بطبيعة الأخطاء ومصادرها والتدريب الفاعل للمقابل في تجنب المشكلات والأخطاء وتعزيز السمات المطلوبة لإكمال المقابلة بنجاح. ويتضمن التدريب عادة جوانب كتلك المبيّنة أدناه(9):

▪ تطوير مهارات المقابلة وممارستها من خلال الملاحظة والممارسة والنقد. تتضمن الملاحظة مشاهدة مقابلات مسجلة بالفيديو أو مقابلات فعلية يقوم بها المتدربون وتتبعها جلسة تقويم.

▪ تعلّم كيفية تقديم نفسك إلى المبحوثين باتباع الأسلوب الملائم لنمط حياة المبحوث والاهتمام بالمظهر وطريقة المخاطبة (بما في ذلك ارتداء الملابس اللائقة...) وكيفية بدء المقابلة من دون التأثير في بيئة موضوع البحث.

▪ تعلّم بعض أساليب إقناع المبحوثين غير المتعاونين بالمشاركة في الدراسة أو تشجيع المبحوثين على الإجابة عن الأسئلة كما هو مطلوب.

▪ اكتساب المعرفة والمهارات اللازمة لتحصيل المعلومات الملائمة وتسجيل الاستجابات بدقة.

▪ وضع معايير للحيادية والأخلاق والغفليّة وعدم كشف الأسماء (للباحثين الكميين).

تُستخدم هذه الممارسات بشكل عام في البحوث الكمية على نحوٍ يكاد يكون حصريًا، ذلك أنّ الباحثين النوعيين أقل التزامًا بهذه الإجراءات (فهم

---

(9) انظر: K. Martin, *Methodologisches Denken* (Hamburg: Selbstverlag, 1988); N. Vlahos, *Kolνwvlkn Epεννα* [Sociological Methodology; in Greek] (Athens: Phantom, 1984).

يقومون بالبحث من دون مساعدة المقابلين). وتعرضت هذه الإجراءات الصارمة للنقد بصفتها شكلًا من أشكال القيود التي تؤدي إلى تحيز المقابلين وتُحدد الآراء والمفاهيم بتوجيه الحساسية والمنهجية إلى مفاهيم مسبقة ومسارات وخبرات محددة سابقًا.

ثالثًا: عملية المقابلة

تُجرى المقابلات في البحوث الكمية على مراحل عدة، تتطلب كل مرحلة منها مهمات محددة. كما تجرى الأنواع المختلفة من المقابلات بطرائق مختلفة أيضًا، لكن هناك أمورًا مشتركة بين جميع أنواع المقابلات.

الإطار 4.12

لماذا يرفض المبحوثون المقابلة؟ قد يكون المبحوث، مثلًا: ▪ غير مهتم بموضوع البحث. ▪ غير موافق على هدف البحث. ▪ لا يجد المقابل لطيفًا أو جادًا أو مؤدبًا. ▪ ليس لديه متسع من الوقت. ▪ غير متأكد من الأهداف الحقيقية للمقابلة. ▪ لا يشعر بالارتياح مع المقابل وقد يكون متشككًا أو خائفًا. ▪ لا يجد البحث متسقًا مع عمله أو التزاماته. ▪ لم يحصل على موافقة زوجه/ زوجته الذي/ التي قد لا يوافق/ توافق على مثل هذا البحث[15].

1.3 العثور على المبحوثين

يزوِّد المقابلون في معظم الحالات بقائمة بأسماء الأشخاص المتوقع مقابلتهم وعناوينهم من أجل الاتصال بهم. يحتاج المقابل إلى تعريف المبحوثين

(10) Becker, *Grundlagen soziologischer Methodologie*; X. Puris, *The Complexity of Research Measure* [in Greek] (Paris: Ajax, 1995).

بجوانب البحث المختلفة وأهدافه ومموّله، وطمأنتهم بالسرية وعدم كشف الأسماء، كما يجب على المقابل أن يوضح للمبحوثين تفصيلات أخرى عن البحث (تتعلق بالمدة الزمنية والآثار المحتملة للمقابلة)، وأن يسعى إلى تأمين تعاونهم ثم يجري المقابلة أو يرتب لإجرائها في وقت آخر.

يُفتَرَض بالمقابل أن يكون مستعدًا للتعامل مع حالات تصعب فيها مقابلة المبحوث و/ أو الحالات التي يرفض فيها المبحوث إجراء المقابلة معه؛ إذ قد لا يكون المبحوث موجودًا في بيته وقد يكون انتقل للسكن في منطقة أخرى أو مات. ويحتمل أن لا يستطيع المبحوث التواصل الشفوي وقد يرفض التعاون مع المقابل أيضًا، وفي مثل هذه الحالة يجدر بالمقابل أن يكون مستعدًا لإقناع المبحوث وكسب ثقته بتقديم الأدلة الملائمة له (بطاقة الهوية، رسائل من المعرفين، منشورات سابقة). والتأكيد على أهمية البحث ونتائجه وتوضيح أهمية استجابة المبحوث للدراسة.

الإطار 5.12

لماذا يوافق المبحوثون على إجراء المقابلة؟

تتضمن أسباب الموافقة على إجراء المقابلة ما يلي:

- **الاهتمام**: قد يكون المبحوث مهتمًا بالتحدث عن قضايا معاصرة.
- **الحاجة إلى التحدث**: قد يشعر المبحوث بالراحة للتنفيس عن مشكلاته بالتحدث عنها للآخرين.
- **الشعور بالأهمية**: قد يشعر المبحوث بالاحترام والتقدير لاختياره للتحدث عن قضايا مهمة.
- **الإيثار**: قد ينظر المبحوث إلى المساهمة وسيلة للمساهمة في رفاه المجتمع.
- **التعاطف**: قد يجد المبحوث قيمة عالية في مساعدة المقابلين على أداء عملهم.
- **الأدب**: قد لا يرغب المبحوث في إحباط المُقابِل وتخييب آماله.
- **الفضول**: يكون المبحوث مهتمًا بموضوع البحث وبعملية المقابلة.
- **الملل**: «لم يكن لدي شيء آخر أفعله في ذلك الوقت».
- **الشعور بالالتزام**: قد يشعر المبحوث أنه مدين لموّل المشروع أو للمؤسسة البحثية.

من المحتمل جدًا أن يقنع المقابل المبحوث بإجراء المقابلة معه إذا كان يعرف أسباب رفضه المقابلة وأسباب موافقته أيضًا. ويساعد استخدام هذه العوامل استخدامًا سليمًا وعادلًا وأخلاقيًا في النجاح في البحث عن مبحوثين.

من مسؤوليات المقابل الأخرى الترتيب لزمان المقابلة ومكانها عندما لا يستطيع المبحوث إجراء المقابلة في يوم الاتصال به. قد يحتاج الباحث إلى إيجاد مكان محفز ومريح وهادئ يشجع على إجراء مقابلة خاصة في جو مريح. وعلى الرغم من ذلك يُمكن إجراء المقابلة مع المبحوث في الشارع أو أمام البقالة، خصوصًا إذا كانت المقابلة قصيرة. ويُعد الوقت عاملًا مهمًا آخر. والمهم هنا أن تُجرى المقابلة في أفضل وقت يلائم المبحوث، حيث يستطيعان التحدث براحة ومن دون استعجال أو إزعاج.

2.3 إجراء المقابلة

يعتمد إجراء المقابلة وطريقة طرح الأسئلة على نوع المقابلة. ففي المقابلة المبنيّة أو المقيدة تُطرح الأسئلة وفقًا لتعليمات المقابلة. وبشكل عام يُتوقع من المقابل أن يبدي اهتمامًا بموضوع البحث والمبحوث أيضًا. وعليه أن يتجنب التحيز والأسئلة الموحية بفكرة أو اتجاه معين. ويتم التسجيل أيضًا وفقًا لتعليمات إجراء المقابلة. ويعني ذلك في حالات كثيرة وضع إشارة انتهاء في المربعات الصغيرة التي تشير إلى البنود في برنامج المقابلة. وفي حالات أخرى تُسجل الاستجابات حرفيًا. أما الأسئلة المفتوحة فيتم تسجيلها حرفيًا وبإيجاز وفقًا لمتطلبات البحث. ويسهّل استخدام الأدوات السمعية - البصرية عملية التسجيل، لكن يجب الحصول على موافقة المبحوث قبل التسجيل (وهذا الأمر مهم عند تدوين الملاحظات أيضًا و/ أو عند التكلم أمام الميكروفون).

3.3 إنهاء المقابلة

لا بد من إنهاء المقابلة بعناية وحذر ولطف وبروح من الثقة والصداقة والتعاون والاحترام المتبادل، كي يُدرك المبحوث أن مساهمته في البحث وفي خدمة المجتمع بشكل عام تلقى التقدير والاحترام. وفي كثير من الحالات ينهي المقابل المقابلة بخاتمة كان قد تدرب عليها وحفظها.

4.3 الإشراف الميداني والمراقبة

على الرغم من انخراط المقابلين في جمع البيانات، أو ربما لهذا السبب، لا يترك تنفيذ المقابلة للمُقابِل وحده. فلا بد من الإشراف والمراقبة، خصوصًا عندما يستخدم أكثر من مقابل واحد. فقد لا يكون بعض المقابلين بالدرجة المطلوبة من الدقة والشمولية وهناك دائمًا فرصة للغش. وفي العادة، يقوم الباحث أو المشرف بالتأكد من المقابلات التي يستلمها من حيث اكتمالها، ومدى استخدام الأسئلة المحفزة والمساعدة وجودة تسجيل البيانات. وإضافة إلى ذلك يقوم المشرف بالاتصال بالمبحوثين للتأكد من: أولًا، إجراء المقابلة؛ وثانيًا، هل جرت وفقًا للخطة المرسومة لها؟ كما يتم التأكد أيضًا من التحيز والأمانة والأدب والموضوعية والأخلاق والعلاقات بين المقابل والمبحوث في أثناء إجراء المقابلة.

رابعًا: علاقة المقابِل - المبحوث

تعتمد العلاقة التي تتطور بين المقابل والمبحوث على عوامل عدة، مثل منهجية البحث وموضوعه وأهدافه وأسلوب المقابلة. لكن هناك معايير مشتركة للعلاقة بين المقابل والمبحوث يجب الالتزام بها في جميع الأحوال.

الخلفية والمظهر

يُختار المقابِلون بطريقة ينسجمون فيها مع المبحوثين من حيث قدرتهم على إشعارهم بالارتياح والطمأنينة. وتتضمن جوانب الانسجام هذه: الخلفية الاجتماعية والجندر والعرق والإثنية والعمر والشخصية. ومثال ذلك ما يحدث في البحوث النسوية، حيث يشترط أن تكون المقابِلة امرأة لتكون الدراسة فاعلة. وكما ذكرنا سابقًا، فإن البحث النسوي يُرى على أنه البحث الذي تجريه المرأة عن المرأة.

يكمن المنطق وراء ذلك في أن المقابلات الناجحة تتميز بعلاقات إيجابية وفاعلة بين المقابل والمبحوث، وهذه العلاقات تزداد إذا كان المقابل والمبحوث من خلفية واحدة، حيث يسهّل ذلك الدخول في المقابلة ويزيد من الثقة المتبادلة

والتعاون والتفاهم، ويسمح بتطور علاقات ودية بين المقابل والمبحوث. وعلاوة على ذلك، فللمرأة «عدسات» تسمح بدراسة المرأة بدرجة أجدر وأفعل من «عدسات» الرجل عندما يدرس المرأة. وتؤدي الملابس اللائقة والمظهر الأنيق دورًا مهمًا في المقابلة. ويتوقع من المقابل أن يرتدي ملابس محايدة تشبه لباس المبحوث بشكل عام، ولا تكون لافتة، حيث يتحول التركيز على المُقابِل بدلًا من التركيز على موضوع البحث.

مكانة المقابِل والمبحوث

ينبغي للمقابل ألا يُظْهر الرعاية في تعامله مع المبحوث، ولا يبدي امتعاضه مما يقوله المبحوث، ولا يقوّم إجاباته. ويجدر بالمقابل ألا يظهر بمظهر القاضي الحكيم بل بصفته باحثًا مهتمًا يطمح للتعلم من المبحوث. ويحسن ألا يقوم المقابِل بتشجيع بعض الإجابات أو رفضها؛ إذ عليه أن يكون محايدًا ومستقبلًا ومتلهفًا لمعرفة أراء المبحوث التي تُعد قيّمة ومفيدة للمقابل.

لا يقبل الباحثون النوعيون والنسويون أن يكون المقابِل حياديًا وبعيدًا من المبحوث؛ وانتقد الباحثون النسويون الافتراض الذي مفاده أنّ المقابل هو مصدر المعرفة والخبير الذي يطرح أسئلة على من هو دونه، كما أنهم يرفضون النظر إلى المبحوث كجاهل لا يعرف شيئًا. ويعتقد هؤلاء الباحثون أن العلاقة بين المقابل والمبحوث يجب أن تبنى على أساس التكافؤ بين الطرفين[11].

خامسًا: التحفيز والاستكشاف

تعد هذه الأسئلة شائعة في عملية المقابلة؛ لأنها تسهّل الإجابة على المبحوث أو تشجعه على الاستمرار بالإجابة. فالسؤال المحفز هو جزء من سؤال يقدم عددًا من الإجابات الممكنة التي يتوقع من المبحوث أن يختار منها واحدًا أو أكثر. ومثال ذلك السؤال: أي من أنواع النشاط الديني قمت به خلال الأسابيع الأربعة

(11) Reinharz, *Feminist Methods in Social Research*; M. Westkott, «Feminist Criticism of Social Sciences,» in: J. M. Nielsen, ed., *Feminist Research Methods: Exemplary Readings in the Social Sciences* (London: Westview, 1990).

الماضية؟ حيث يسمع المبحوث أو يرى عددًا من أنواع هذا النشاط ليختار منها. وهذا يجعل إجابة بعض الأسئلة أسهل وأدق. ويتم تطوير هذه الأسئلة بعد دراسة استطلاعية واختبار قبلي.

أما الأسئلة المساعدة فهي جمل محايدة تشجع المبحوث على توسيع أو توضيح إجابة جزئية أو غير ملائمة أو غير دقيقة. كما تهدف هذه الأسئلة أيضًا إلى استثارة المبحوث ومساعدته في الإجابة عن سؤال من دون التأثير في اتجاه تفكيره، أو دفعه إلى التحيز أو تشويه الإجابة. وتستخدم الأسئلة المساعدة في المقابلات التي تسمح بمناقشات مفتوحة، كما في المقابلة المكثفة. وهناك نوعان في الأقل من هذه الأسئلة: غير طلبية أو غير توجيهية وتلخيصية[12].

في ما يلي بعض الأمثلة على الأسئلة المساعدة: الأسئلة أو الملاحظات غير الطلبية التي تشير إلى ملاحظة أو سؤال محدد من دون الطلب من المبحوث أن يفعل شيئًا. فمثلًا، عندما تكون إجابة المبحوث غير كاملة أو غير ملائمة أو عامة، قد يعلق المقابل عليها قائلًا: «حسنًا. أريد المزيد من المعلومات عن هذا الأمر»، أو «ماذا تقصد بذلك؟» أو «كيف يكون المثال على ذلك؟»، أو «فهمت»، أو «يبقى المقابل صامتًا؟». أما الأسلوب التلخيصي فيشجع المبحوث على الاستمرار في الإجابة بتلخيص آخر ما قاله المبحوث، وانتظار ما سيضيفه من جديد. ومثال ذلك عندما يقول المقابل بعد فترة صمت من المبحوث: «حسنًا. كانت تلك هي الخطوة الأولى...»، ثم يصمت.

تُعد الأسئلة والملاحظات المحفزة والمساعدة جديرة بالاهتمام والدراسة في البحوث الكمية، أما في السياقات البحثية الأخرى فيستطيع المقابل استخدام أي أسلوب لحفز المبحوث على الاستمرار في الحديث والمناقشة من دون تبرير لاستخدام أي أسلوب. ومن العوامل التي تؤدي إلى هذا الفرق بين مناهج البحث وطبيعة الأنموذج الإرشادي، ومفهوم الموضوعية عند الباحث، وقيمة الموثوقية بين المقابلين.

---

(12) انظر: Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit.*

سادسًا: المقابلة السردية

1.6 مقدمة

تعود المقابلات السردية في أسسها النظرية والمنهجية إلى الباحث شوتز[13]. وترتكز مبادئ هذا النوع من المقابلات على مبادئ الفلسفة الظاهراتية والفرع الفلسفي في مدرسة شيكاغو، لكن البحث تأثر بشكل كبير بآراء فرع علم الاجتماع في هذه المدرسة. وتُعدّ المقابلة السردية نوعًا من المقابلات وطريقة لجمع البيانات من طريق سرد السيرة الذاتية، لذلك فهي تسمى مقابلة السيرة الذاتية، وتتضمن تحليلًا للمحتوى، ما يجعلها تجمع بين مزايا ثلاث طرائق لجمع البيانات. ويعتقد بعض الباحثين مثل ميندوك[14] أن المقابلة السردية أكثر طرائق المقابلات تطورًا.

ترتبط مزاياها الأساسية بطبيعة سياق المقابلة ودور المقابل[15]. إن المقابلة السردية أقرب إلى الحياة وأكثر طبيعية من الطرائق الكمية، كما أنها تتطلب أن يكون دور المقابل عاديًا وغير رسمي. وبالتحديد، تُعدّ المقابلة السردية شكلًا من أشكال التواصل مع الناس، وبهذا المعنى فإن التواصل يعني المواقف والخبرات الحياتية اليومية[16]. لذلك تكون المقابلة عملية تواصل طبيعية[17] حيث يستمع

---

(13) F. Schütze, *Die Technik des narrativen Interviews in Interactionsfeldstudien: dargestellt an einem Project zur Erforschung kommunalen Machtstrukturen, Arbeitsberichte und Forschungsmaterialien, Nr. 1.* (Bielefeld: University of Bielefeld, 1977); *Die Technik des narrativen Interviews* in Interaktionsstudien: *dargestellt an einem Projekt* von *kommunalen Machtstrukturen, No. 1* (Bielefeld: University of Bielefeld, Arbeitsberichte und Forschungsmaterialien, 1979); «Prozeßstructuren des Lebenlaufs,» in J. Mathes, A. Pfeifenberger and M. Stosberg, eds., *Biographie in Handlungswissenschaftlicher Perspective* (Nürnberg: University of Erlangen-Nürnberg, 1981); «Narrative Repräsentation kollektiver Schiksalsbetroffenheit,» *Erzählungen*, vol. 4 (1982); Bibliographieforschung und narratives Interview,» *Neue Praxis*, vol. 13. no. 3 (1983); *Das Narrative Interview in Interactionsfeldstudien, Kurs 3755* (Hagen: University of Hagen, 1987).

(14) H. Maindok, *Professionelle Interviewführung in der Sozialforschung* (Pfaffenweiler: Centaurus Verlagsgesellschaft, 1996), p. 97.

(15) N. Hermanns, «Narratives Interview,» in: U. Flick et al., eds., *Handbuch Qualitative Sozialforschung* (Munich: Psychologie Verlags Union, 1991).

(16) Schütze, «Bibliographieforschung und narratives Interview,» p. 434.

(17) Maindok, *Professionelle Interviewführung in der Sozialforschung*, p. 110; Benini, *Construction of Knowledge*.

المقابل إلى المبحوث ويُشجعه على الاستمرار في حديثه، ولا يتدخل فيه ولا يقاطعه ولا يحاول إزعاجه أو التشويش عليه بأي طريقة.

تركز المقابلة السردية على السرد الذي يُنْظَر إليه على أنّه لعبة لغوية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمتحدث نفسه. ويعتقد أن السرد يعكس عمليات التفكير التي يستخدمها المبحوث وأنماطه الثقافية التي تُسيطر على خياراته في الحياة أو توجّهها. وتمنح المقابلة السردية المبحوث حرية كاملة في التعبير من دون أي قيود قد تفرضها الأسئلة أو المقابل أو الوقت أو الأوضاع. لذلك يستطيع المبحوث التعبير عن أي آراء أو وجهات نظر أو أفكار، كما يكون بوسعه التركيز على أي نقطة في الموضوع.

2.6 عملية المقابلة

تتضمن عملية المقابلة السردية ثلاثة عناصر[18]: القصة الرئيسة والأسئلة والخاتمة. وفي ما يلي وصف مفصل لعملية المقابلة السردية اعتمادًا على أعمال شوتز وآخرين مثل لامنيك وبفايفر[19].

المرحلة الأولى: المقدمة

- تعريف المبحوث بسياق المقابلة وتوقعاتها وإطارها العام، بما في ذلك المعايير الأخلاقية وسرية الأسماء والمعلومات.
- تقديم موضوع البحث وخطته وأبعاده بالتفصيل.
- يطرح المُقابِل سؤالًا لحفز المبحوث للتحدث عن نفسه وخبراته الشخصية.
- إجراء ترتيبات التسجيلات الصوتية والمرئية.
- لا يسأل المقابل أسئلة عن الدوافع والأسباب وما شابه ذلك، وبدلًا من ذلك يترك الأمر للمبحوث ليتحدث أو يشير إلى هذه الأشياء إذا ذكرت في أثناء الحديث.

(18) Maindok, *Professionelle Interviewführung in der Sozialforschung*, pp. 111-113.

(19) Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit*; Lamnek, *Qualitative Sozialforschung*, pp. 71-72.

المرحلة الثانية: السرد

▪ يُشَجَّع المبحوث من خلال مثيرات محددة على التحدث بحرية عن خبراته الحياتية، ولا يتدخل المقابل في الحديث، بل يبقى مستمعًا مهتمًا، ولا يقوم إلا بإبداء بعض الملاحظات التي تشجع المتحدث على الاستمرار، ولإشعاره بأنه مهتم بحديثه. ويظهر ذلك من خلال عبارات شفوية مختصرة وإشارات بسيطة. يختار المبحوث الحوادث التي يعتبرها ملائمة ويقوم بالتوسع في الموضوعات الملائمة والمهمة، ويتوقف حيثما يشعر أن ذلك ضروري. كما يقوم بعرض الحوادث مرتبة بحسب أهميتها أو وفقًا لما يتذكره، وهو حر في تقرير ترتيب العرض والحوادث التي سيتحدث عنها (الطفولة أو مرحلة البلوغ أو الوقت الحاضر أو فترة ما قبل الحرب أو فترة الحرب أو ما بعدها).

▪ لا يشجع المبحوث على وصف خبراته الشخصية والاجتماعية فحسب، بل على مقارنتها مع خبرات أخرى وتفسيرها كما يفهمها. تُمكّن المقابلة السردية المتحدث من نقل حوادث ماضية إلى الوقت الحاضر وتُذكّره بالخبرات وتعيده زمنيًا إلى الماضي، وتجعله يعيش تلك الحوادث والخبرات مرة أخرى من خلال سردها.

المرحلة الثالثة: الأسئلة

▪ عندما يشير المبحوث إلى نهاية القصة يستطيع المقابل أن يطلب منه المزيد من المعلومات ليملأ بعض الفجوات التي حدثت في أثناء السرد، أو لتوضيح بعض الأشياء الغامضة أو غير الواضحة أو الناقصة. وتمتاز هذه المرحلة بطرح أسئلة لتحصيل معلومات وليس لإصدار حكم أو توجيه انتقاد، وتستمر العملية لتصبح جزءًا من السرد حيث يقدم المبحوث/ الراوي خبراته وحكمته إلى الباحث.

▪ إذا برزت حاجة إلى مزيد من المعلومات عن جوانب جديدة، يشجع المبحوث على التحدث عنها، فيعود بالقصة إلى المرحلة الثانية. ولا تنتقل المقابلة إلى المرحلة التالية حتى تستكمل هذه المرحلة تمامًا، ومن ثم تنتقل المقابلة إلى مرحلة الأسئلة والتفسير.

المرحلة الرابعة: التفسير

▪ في هذه المرحلة، وبعد وصف المعلومات الأساسية وصفًا يُرضي المقابل والمبحوث، يُطْرَح المزيد من الأسئلة المباشرة. فيطلب من المبحوث أولًا: تقديم وجهات نظر أكثر عمومية وتجريدًا عن الموقف وحوادثه موضحًا الوقائع المتكررة بشيء من التجريد والعلاقات البينية المنتظمة. ثانيًا: وصف الجوانب الأكثر عمومية في القضية المطروحة، ويُعطى المبحوث الفرصة لإبداء قدرته في تقدير هذه الجوانب وتحديدها وتقديم تفسيرٍ أكثر تجريدًا للموقف. وثالثًا: تفسير الدوافع والمقاصد، وأخيرًا: مناقشة معنى القصة مع المقابل.

▪ إذا برزت حاجة إلى مزيد من المعلومات عن جوانب جديدة، يشجع المبحوث على التحدث عنها فيعود بالقصة إلى المرحلة الثانية. ولا ينتقل المقابل إلى المرحلة التالية حتى تُستكمل هذه المرحلة تمامًا.

المرحلة الخامسة: التحليل

▪ في هذه المرحلة تُحوّل المقابلة والمناقشة التي تبعتها إلى نص مكتوب. وتشبه طريقة تفريغ الاستبيان هنا طريقة تفريغ الاستبيانات في أي نوع من المقابلات، بما في ذلك ترقيم أسطر النص على الرغم من وجود اختلاف، حيث يتم التركيز هنا بحسب بفايفر[20] على «الصوت» وما يتعلق به بدلًا من التركيز على الكتابة. ويتوقع من النص المكتوب أن يمثل طبيعة المقابلة والمناقشة كما حدثت بما في ذلك الوقفات في أثناء الحديث، والتردد والتذبذب في نغمة الصوت وسرعة الكلام والعاطفة وغيرها من الأمور المشابهة. وكقاعدة عامة، فإن المقابل هو الذي يعدّ النص المكتوب لما لديه من معرفة جيدة بطبيعة المقابلة والكلام بشكل خاص.

▪ يخضع النص المكتوب لتحليل للمحتوى، وهو ما يسمى تحليل المحادثة الذي يُعد أساسيًا لهذه الطريقة في تحليل البيانات.

عملية التحليل معقدة، وتتطلب جهدًا أكبر مما تتطلبه في المقابلة الكمية

(20) Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit*, p. 71.

المقيدة والبسيطة، وسنقدم وصفًا مفصلًا وموجزًا لهذا التحليل في ما بعد. المهم هنا هو أن التعقيد والتنوع والكثافة في هذا الأنموذج البحثي تؤدي إلى نتائج ذات جودة عالية، وهذا هو سبب استخدام المقابلة السردية.

سابعًا: المقابلة المكثفة

هذه مقابلة غير مبنيّة أو غير مقيّدة يستخدمها الباحثون الاجتماعيون إمّا وسيلة وحيدة للبحث، وإما إضافة إلى طرائق أخرى. وتُسمى هذه الطريقة أيضًا «المقابلة المعمّقة»[21]. وهي طريقة متطورة جدًا تتطلب معرفة كافية بموضوع البحث وخبرة طويلة في إجراء المقابلات، وقدرة على التواصل الفاعل، كي يحافظ المقابل على الثقة المتبادلة والعلاقة الطيبة بينه وبين المبحوثين.

تمتاز هذه الطريقة بأن تصميمها مرن وغير مقيد؛ إذ ليست هناك أسئلة محددة يطرحها المقابل، ويتوقع من المقابل أن يطور الأسئلة كما يتطلب الموقف والسياق. لهذا السبب، فإن صوغ الأسئلة وترتيب طرحها قد يختلف من مقابلة إلى أخرى؛ فالمقابلات المكثفة تكون طويلة وقد تمتد على مدار جلستين أو أكثر، ولهذه الطريقة مزايا وعيوب ينبغي للباحثين إدراكها.

مواطن القوة في المقابلات المكثفة

- العلاقة الطيبة بين المقابل والمبحوث تُشْعِر الأخير بالأهمية.
- التزام الطرفين واهتمامهما بالعلاقة والمناقشة.
- المقابلة غير المقيدة تسمح بمناقشة أمور لم تذكر في برنامج المقابلة.
- المرونة والاستمرارية وحرية طرح الأسئلة وتقويم السلوك في أثناء المقابلة.
- تحصيل معلومات ذات جودة عالية.

---

(21) V. Minichiello et al., *In-Depth Interviewing: Researching People* (Melbourne: Longman Cheshire, 1990).

■ قدرة المقابل على الإفادة من الإصغاء والشعور مع المبحوث باعتبارهما أدوات مهمة في التفاعل.

مواطن الضعف في المقابلة المكثفة

■ الاعتماد على مهارات المقابل ومعاييره وفكره.

■ عدم إمكان تعميم النتائج.

■ عدم القدرة على المقارنة بين الحالات المدروسة؛ لأن عناصر المقابلة قد تختلف من حالة إلى أخرى

■ الحاجة الكبيرة إلى الوقت والمصادر.

تُجرى المقابلات المكثفة مثل غيرها من المقابلات، لذلك فإن القواعد العامة للمقابلات التي ذُكرت سابقًا تنطبق على هذه المقابلة. وتتغير القواعد العامة للمقابلة بسبب عدم وجود قيود أو حدود بين الأسئلة وحرية صوغها وترتيب طرحها والتركيز على المبحوث بشكل أساس. كما أن هذه العوامل توجه عملية المقابلة إلى مسار يقرّب الباحث من عالم المبحوث وواقعه.

ثامنًا: المقابلة الهاتفية

تمتاز هذه المقابلة بالميزات البنيوية نفسها لأساليب المقابلة المقننة أو المعيارية، إلا أنها تُجرى هاتفيًا. وعلى الرغم من أن هذا الفرق لا يبدو مهمًا، لكنه يؤثر في بعض جوانب عملية البحث[22]. **أولًا**، يجب صوغ الأسئلة بطريقة تسمح بفهم أوضح لمحتواها عندما تسأل هاتفيًا. كما أن المقابلات الهاتفية لا تكون طويلة مثل المقابلات وجهًا لوجه. وأخيرًا يجب أن تُجرى بطريقة تُشجّع المبحوث على المشاركة في الدراسة من جهة، وتحقق المعايير الأخلاقية من جهة أخرى. تعزّز مثل هذه المقابلة فرص موافقة المبحوثين للمشاركة في المقابلة. وتتضمن مقدمات مثل هذه المقابلات معلومات تشبه محتوى رسالة التغطية في المقابلات البريدية.

---

(22) J. H. Frey, *Survey Research by Telephone* (Newbury Park, Calif.: Sage, 1989).

تُجرى المقابلات الهاتفية عندما تكون المقابلة بسيطة وموجزة، وعندما يسعى الباحث إلى الحصول على نتائج سريعة غير مكلفة، وعندما لا تكون هناك ضرورة لمقابلة المبحوث وجهًا لوجه، وعندما لا تكون بعض مشكلات اختيار العينة مهمة (مثل وجود مبحوثين غير معروفين وغير مشتركين في الدراسة). وفي الحالات التي تستخدم فيها هذه المقابلة تكون لها فوائد كثيرة[23]، لكنها تعاني بعض العيوب أيضًا.

مواطن القوة في المقابلة الهاتفية

- لا تتطلب وقتًا وجهدًا كبيرين.
- تسمح بدراسة عينة كبيرة نسبيًا.
- اقتصادية نسبيًا.
- تؤدي إلى نتائج سريعة.
- تسمح بتواصل أكثر انفتاحًا لأنها ليست وجهًا لوجه.
- تقلل نسبة التحيز حيث لا تؤثر في المبحوثين عوامل الجنس والعرق والعمر والمظهر.
- تضمن درجة أكبر من السرية وعدم كشف الأسماء مقارنة مع الطرائق الأخرى، خصوصًا عندما تستخدم عينة عشوائية من أرقام الهواتف التي يريد الباحث الاتصال بأصحابها.

مواطن الضعف في المقابلة الهاتفية

- نسبة عالية من الرافضين المشاركة.
- عدم القدرة على تحديد هوية المبحوث.
- إمكان مناقشة موضوعات بحثية محدودة.
- عدم القدرة نسبيًا على ضبط المقابلة تمامًا.

(23) Benini, *Construction of Knowledge*; W. Mahr, *Politische Struktur der Sozialforschung* (Leipzig: Selbstverlag, 1995).

▪ إمكان محدود للوصول إلى المبحوثين (بعض الناس لا يمتلك هاتفًا وبعضهم لا يسمح بكشف رقم هاتفه).

على الرغم من هذه العيوب تفوق مزايا هذه المقابلة عيوبها وتبقى أسلوبًا مفيدًا جدًا لجمع البيانات.

تاسعًا: سياق المقابلة

ليست المقابلة عملية بسيطة ومباشرة يقدم فيها المبحوث المعلومات التي يتطلبها كل سؤال بحرية تامة، فالإجابة عن الأسئلة عملية تتأثر بعدد من العوامل السياقية التي يمكن أن تحدد الإجابة ومدى صدقها. ومن هذه العوامل: طبيعة الموضوع والمقابل وسياق المقابلة. ويتضمن العامل الأخير جوانب مثل طريقة عرض السؤال، والبيئة التي تحدث فيها المقابلة، ومدى قبول الأسئلة التعليقات والتفسير، **فمثلًا** تؤدي المقابلة حول تعاطي المراهقين المخدرات إلى نتائج مختلفة إذا ما أجريت في ساحة المدرسة أو في البيت بوجود الوالدين أو في مركز الشرطة.

هناك مسألة لا بد من توضيحها تتعلق بكيفية تأثير سياق المقابلة في احتمال الحصول على إجابات عن الأسئلة، ومدى صدق هذه الإجابات. وتتعلق هذه العوامل المؤثرة بإرادة المبحوث وقدرته على الإجابة الصادقة. وبمعرفة هذه العوامل يستطيع المقابل أن يحقق نتائج أكبر وأفضل وأكثر دقة. وفي ما يلي بعض هذه العوامل كما يراها بعض الكتاب[24]:

▪ **فهم السؤال**: كلما كان السؤال أوضح زاد احتمال الإجابة عنه. وهناك عوامل قد تعوّق الفهم وتتعلق بالمقابل نفسه، مثل نغمة الصوت التي قد تحوّل انتباه المبحوث، وعوامل تتعلق بالمفاهيم كأن يجيب المبحوث عن الأسئلة بشكل عام وليس بالتحديد، وكذلك قدرة المبحوث على فهم السؤال: هل أدرك مفهوم السؤال أم فهمه حرفيًا؟

---

(24) Pfeifer, *Sachverhalte. Konstruktion und Wirklichkeit*; W. Laatz, *Empirische Methoden* (Frankfurt am Main: Harri Deutsch, 1993).

▪ **المعالجة المعرفية**: تعالج المعلومات أو الرسائل الواردة إلى الدماغ بربطها بالمعلومات المخزونة سلفًا في الدماغ التي توجّه المبحوث إلى الإجابة الصحيحة. يُقوّم المبحوثون من ثمّ مدى مواءمة الإجابة من حيث وقتها، ومن حيث التقويم المتوقع في ضوء الاتجاهات والآراء والخبرات والحقائق. أخيرًا، توضع أجزاء المعلومات معًا لتشكّل الإجابة الكاملة. وتتأثر هذه العملية بطريقة عرض السؤال وسياقه ومدى شعور المبحوث بالالتزام بالإجابة وغيرها من العوامل المتشابهة.

▪ **الدقة**: الأسئلة التي تتطلب مستوى عاليًا من الدقة تؤدي في الأغلب إلى إجابات غير دقيقة، بسبب نقص المعرفة وضعف إمكان الوصول إلى المعلومات الملائمة اللازمة للإجابة. وهذا العامل دون غيره، يؤثر في مفهوم تقدير الذات لدى المبحوث، الأمر الذي قد يؤثر في باقي المقابلة.

▪ **وجود شخصيات ذات سلطة أو تأثير في أثناء المقابلة**: لا يتوقع من المبحوث أن يعطي إجابات صادقة عن أسئلة حساسة في حضور شخص ذي سلطة (صاحب العمل، أحد الوالدين، الزوج، المعلم، ضابط شرطة...)؛ إذ لا بد من إجراء المقابلة في بيئة محايدة.

▪ **المعايير الاجتماعية**: لا يقدم المبحوثون عادة إجابات تتناقض والمعايير الاجتماعية العامة. فهم يُقدّرون إجاباتهم وفقًا للتوقعات الاجتماعية، حيث لا تتعدى الإجابات حدود المعايير الاجتماعية أو غيرها كي لا يتعرضوا لتقويم اجتماعي سلبي. لذلك قد يحصل الباحث على إجابات مقبولة اجتماعيًا لكنها لا تكون بالضرورة صادقة. فمن المهم إذًا أن يتأكد الباحث أو المقابل والمبحوث من أن الأسئلة الحساسة مصوغة بطريقة تحيّد العوامل الخارجية في المقابلة. وهناك ثلاثة عوامل مهمة في هذا الشأن: القبول الاجتماعي الذي يتعلق بالمعايير والقيم الثقافية، والتوقعات السياقية التي تتعلق بالتوقعات والمتطلبات في سياق المقابلة، وأخيرًا دور المبحوث الذي يتعلق بالدور المتوقع منه في المقابلة، مثل تعريف المقابِل والمبحوث والحدود التي تُجرى ضمنها المقابلة.

▪ **التحيز في اتخاذ القرار**: يواجه المبحوث سلسلة من المواقف التي تتطلب اتخاذ قرارات مهمة. وهذه القرارات هي التي توجه الأداء في المقابلة، ما قد يؤدي إلى تحيز لا يمكن تجنبه مثل الميل إلى الامتثال، أو التفضيل، أو التكيف، أو عدم الاكتمال. وعادة تكون إجابة المبحوث صحيحة في غياب التحيز وغياب الأكلاف الشخصية أو الاجتماعية.

هناك حالات كثيرة قد يتسبب سياق المقابلة فيها بمشكلات أو تشويهات، كما سنرى في ما بعد. وتتمثل القاعدة العامة في مثل هذه المواقف بأن يقوم الباحث والمقابل بصوغ أسئلة المقابلة بطريقة تجنب المبحوث مواقف يضطر فيها إلى التنازل عن موقفه، أو تعديله، ما يؤثر في صدق الإجابات.

عاشرًا: مزايا المقابلات وحدودها

تُستخدم المقابلات بكثرة في العلوم الاجتماعية، حيث إنها أصبحت تُعرف بطريقة البحث في العلوم الاجتماعية. وعلى الرغم من الانتقادات الموجهة إليها[25] فإن مزاياها المتعددة تجعلها أفضل وسائل جمع البيانات الأخرى. وفي ما يلي أهم هذه المزايا والحدود[26].

المزايا

▪ **المرونة**: يمكن تعديل المقابلة لتلائم سياقات متنوعة.

▪ **المعدل العالي للاستجابة**: تكون نسبة الاستجابة في المقابلة عالية نسبيًا.

▪ **سهولة التنفيذ**: لا تتطلب المقابلة من المبحوث قدرة على القراءة، أو على التأمل مع وثائق معقدة أو استبيانات طويلة.

▪ **تسمح المقابلة بملاحظة السلوك غير اللفظي**: ولا تتوافر هذه الصفة في أساليب جمع البيانات الأخرى كالاستبيان مثلًا.

---

(25) Reinharz, *Feminist Methods in Social Research.*

(26) Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit*; Mahr, *Politische Struktur der Sozialforschung*; E. Roth, ed., *Sozialwissenschaftliche Methoden: Lehr-und Handbuch für Forschung und Praxis* (Munich: Oldenburg, 1987).

▪ **لا تحتاج إلى وقت وجهد كبيرين كما في الأساليب الأخرى لجمع البيانات:** تتطلب المقابلة درجة أقل من الصبر مقارنة مع الطرائق الأخرى. فالمقابلات تحتاج إلى «مشاركة» وليس مجرد «الاستجابة». وتتطلب المشاركة شخصًا آخر ليتفاعل معه المبحوث في أداء المهمة، لذلك تُعدّ المقابلة مهمة تعاونية بدلًا من كونها مهمة من جانب واحد.

▪ **التحكم بالبيئة:** تسمح المقابلة للمقابل بالتحكم بأوضاع المقابلة التي تتم فيها الإجابة عن الأسئلة.

▪ **إمكان تصحيح المبحوثين لحالات سوء الفهم:** وهذه ميزة قيمة لا تتوافر في الأساليب الأخرى لجمع البيانات، مثل الاستبيانات.

▪ **التحكم بترتيب طرح الأسئلة:** لا يعرف المبحوث السؤال الذي سيطرح عليه لاحقًا لأن المقابل يستطيع أن يتحكم بترتيب طرح الأسئلة. فعندما يكون ترتيب الأسئلة ذا دلالة، تكون المقابلة أكثر فائدة من الاستبيان.

▪ **إمكان تسجيل الاستجابات فورًا:** لا يتوافر للمبحوث وقت كافٍ للإجابة كما الحال في الاستبيان، فعندما تكون التلقائية مهمة تصبح المقابلات أكثر فائدة من الاستبيانات.

▪ **التحكم بهوية المبحوث:** تكون هوية المبحوث معروفة عند استخدام المقابلات، على خلاف الأمر في الاستبيانات.

▪ **التمام:** يستطيع المقابل التأكد من اكتمال طرح الأسئلة كلها في المقابلة لأنه هو الذي يطرحها، بخلاف ما هو عليه الأمر في الاستبيانات.

▪ **التحكم بوقت المقابلة وموعدها ومكانها:** يمكن إجراء المقابلات كما خطط لها تمامًا من حيث الوقت اللازم والموعد المحدد والأوضاع المحيطة بالمقابلة، لكن الباحث لا يضمن ذلك في حالة الاستبيانات.

▪ **إمكان التعقيد:** يمكن للمقابل استخدام أسئلة أكثر تعقيدًا لأنه يستطيع أن يساعد المبحوث في الإجابة عنها.

▪ **الطول:** يمكن للمقابلات أن تكون أطول من غيرها من الأساليب (كالاستبيانات مثلًا).

الحدود

- **التكلفة**: المقابلات أكثر تكلفة وتحتاج إلى وقت أطول من الأساليب الأخرى كالاستبيانات مثلًا.
- **التحيز**: تتأثر المقابلة بالمُقابِل والتحيّز الذي قد يبديه.
- **عدم الارتياح**: لا يشعر المبحوث بالارتياح في أثناء المقابلة كما يشعر في الإجابة عن الاستبيان مثلًا.
- **فقدان السرية وكشف الهوية**: تكون درجة السرية وعدم كشف الأسماء أقل في المقابلات منها في الاستبيانات؛ لأن المقابل يعرف المقابل ومكان إقامته ونوع بيته وأوضاع أسرته وتفصيلات شخصية أخرى.
- **الحساسية**: المقابلة أقل مواءمة من الأساليب الأخرى عند مناقشة أسئلة حساسة. فمثلًا يفضّل كثير من الناس الكتابة بدلًا من المقابلة الشفوية عند الإجابة عن أسئلة حساسة.

إضافةً إلى هذه العيوب، تتأثر عملية المقابلة بعوامل أخرى تشترك فيها مع الأساليب الأخرى لجمع البيانات، مثل سوء تمثيل الحقائق عمدًا، والأخطاء المتعمدة، وعدم الرغبة في إجراء المقابلة، وعدم القدرة على تقديم معلومات، وغيرها من العوامل. إن تحديد مثل هذه المشكلات في المقابلات أسهل مما في أساليب جمع البيانات الأخرى، وسنقدم في المبحث الآتي تفصيلًا لبعض تلك المشكلات.

حادي عشر: مشكلات المقابلات وأخطاؤها

تتأثر المقابلات بعدد من المشكلات والأخطاء. ومن المشكلات المرتبطة بطبيعة هذه الطريقة تسجيل البيانات وأخطاء التقويم وأخطاء التعليمات. وفي ما يلي قوائم ببعض هذه الأخطاء المتنوعة بحسب برغر[27].

(27) Berger, Wolf and Ullmann, eds., *Handbuch der Sozialistischen Forschung*, pp. 228-231.

1.11 أخطاء التسجيل

- الاستماع أو الرؤية الانتقائية.
- عدم فهم، أو إساءة فهم ما يقوله المبحوث.
- التأخر الشديد أو التبكير الشديد في تسجيل الإجابات.
- إجابات غير مكتملة أو خاطئة أو غير مفهومة.

2.11 أخطاء التقويم

- **أثر التساهل**: عند تجنب الإجابات السلبية جدًا.
- **أثر التشدّد**: عند تجنب الإجابات الإيجابية جدًا.
- **أثر الإسقاط**: عندما يُسقِط المُقابِل ميلَه الشخصي ومثالياته على المبحوث، ما يؤثر في فهم الإجابات وتقويمها.
- **أثر الاتصال المباشر**: عندما يؤدي فقدان الموضوعية الناتج من معرفة المبحوث إلى تقويم متساهل أو خفيف للإجابات.
- **أثر الاتجاه الوسطي**: عندما يميل الباحث إلى تجنب تسجيل الإجابات المتطرفة.
- **أثر المجموعة المرجعية**: عندما يطور الباحث توقعات تتعلق بالمجموعة المرجعية للمبحوث ويقوّم الإجابات وفقًا لتلك التوقعات. ومن الأمثلة على ذلك:

- **أثر عدم التوقع الكبير من المبحوث**: يتوقع الباحث القليل جدًا من المبحوث.
- **أثر السلطة**: الشعور بالخوف من منصب المبحوث أو سلطته.
- **أثر سانتا كلوز**: توقع المزيد أو الكثير من المبحوث (التعامل مع الآخرين على أنهم أكثر ذكاءً أو أكثر تعاطفًا بطريقة ودية متفهمة).

- **أثر التماهي**: يؤدي إلى أخطاء بسبب ميل الباحث إلى التوحّد والتطابق مع المبحوث، ولذلك يعامله بدرجة أكبر من التساهل، والعكس صحيح.

3.11 أخطاء التعليمات

- استبدال حالات عدم الإجابة بإجابات شخص آخر.
- الاحتفاظ بالمعلومات التي جُمعت وعدم الكشف عنها.
- تغيير الإجراءات بشكل يتعارض مع تعليمات الباحث، فَتُغَيِّر الأسئلة أو ترتيب طرحها.
- تزوير أجزاء من البيانات.
- إبداء الموافقة أو الرفض في أثناء جمع البيانات.

لا تقتصر هذه العيوب على المقابلات، فقد تقع في أي أسلوب من أساليب جمع البيانات. لذلك من المهم أن يدرك الباحث أين تقع مثل هذه الأخطاء وأن يكون مدركًا لإمكان وقوعها ليتخذ الإجراءات الملائمة لتجنبها.

ثاني عشر: عدم الاستجابة في المقابلات

يُعدّ عدم الرغبة في و/ أو عدم القدرة على المشاركة في المقابلة مشكلة كبيرة في أنواع المقابلات كلها، خصوصًا المقابلات في البحث الكمي، حيث يكون اختيار العينات دقيقًا ومؤثرًا، وحيث يكون استبدال مبحوث بآخر غير مسموح به. وقد يكون الإصرار على استجابة المبحوثين غير الراغبين في الاستجابة أو المشاركة ناجحًا في إقناعهم بالمشاركة في المقابلة. كما أن تقديم مكافآت للمبحوثين لقاء مشاركتهم أمر مشجع آخر. وبشكل عام تظل مشكلة عدم الاستجابة قائمة، ويستعمل الباحثون عددًا من الأساليب لمنع هذه الظاهرة أو للحصول على استجابات كاملة. وينطبق معظم الاقتراحات التي طُرحت في معالجة هذه الظاهرة في الاستبيانات على المقابلات أيضًا. وعلاوة على ذلك،

فإن الاقتراحات الآتية التي اقترحها بعض الكتّاب[28] تُعدّ مفيدة في هذا السياق.

▪ **المقاربة**: كلما كانت مقاربة المبحوث شخصية وصادقة وموجزة ولطيفة عند زيارته أول مرة، ازداد احتمال مشاركته في الدراسة.

▪ **التوضيح**: كلما كانت المقابلة واضحة وتعليماتها مفصلة، بما في ذلك الجهة الممولة وأهدافها والوقت اللازم لإجرائها وضمان سريتها وعدم كشف أسماء المبحوثين فيها، ازداد احتمال موافقة المبحوث على المشاركة في الدراسة.

▪ **جاذبية الدراسة**: كلما كان عرض الدراسة جذابًا، وكلما كان وصف الموضوع جذابًا وجديدًا، ازداد احتمال موافقة المبحوثين على المشاركة في الدراسة.

▪ **الصدق**: كلما كان الباحث أكثر صدقًا وإخلاصًا وتواضعًا وطمأنة للمبحوث، ازداد احتمال مشاركته فيها.

▪ **الاحترام**: كلما شعر المبحوث بالمزيد من الاحترام لدوره كـ «خبير» يُستشار لا كمصدر للمعلومات، ازدادت فرصة مشاركته في المقابلة.

▪ **الثقة**: كلما كان نجاح الباحث أكبر في إزالة الغموض وعدم الثقة والشعور بعدم الاطمئنان والارتباك والشكوك والمخاوف لدى المبحوث، ازدادت فرص مشاركته في المقابلة.

▪ **الانطباع**: كلما زاد الانطباع الإيجابي لدى المبحوث عن الدراسة وأهدافها، ازدادت فرص مشاركته في المقابلة.

▪ **الترتيبات**: كلما كانت ترتيبات إجراء المقابلة مريحة وتبعث على الاطمئنان لدى المبحوث، وكلما زاد شعوره بالاحترام في التعامل معه (الاتصال به هاتفيًا قبل المقابلة)، ازدادت فرص موافقته على المشاركة في المقابلة وإكمالها.

---

(28) Becker, *Grundlagen soziologischer Methodologie*; Berger, Wolf and Ullmann, eds., *Handbuch der Sozialistischen Forschung*; Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit*; Puris, *The Complexity of Research Measure.*

▪ **لطف التعامل**: كلما كان الباحث متواضعًا ولطيفًا في تعامله مع المبحوث، ازدادت فرصة موافقته على المشاركة في المقابلة.

▪ **الممول**: تكون رغبة المبحوثين أكبر للمشاركة عندما يكون الراعي لمشروع البحث جهة حكومية أو جامعة أو غيرها من المؤسسات، بينما يتردد المبحوثون في المشاركة في المقابلات التي تـجرى لمصلحة شخص معين أو لمصلحة المُقابِل.

▪ **الهدف**: كلما كان هدف الدراسة جديرًا بالاحترام والتقدير، تزداد فرصة موافقة المبحوثين على المشاركة في المقابلات.

باختصار، تُعد الوقاية خير علاج لحالات عدم الرغبة في الاستجابة. إن معرفة الباحث بطريقة ردّات فعل المبحوثين لعناصر الاستبيان أو المقابلة تساعده في صوغها، حيث ينخفض عدد الحالات التي ترفض المشاركة أو لا ترغب فيها.

ثالث عشر: المقابلة في عصر الحاسوب

كان للتطور في تكنولوجيا المعلومات أثر إيجابي في ممارسة عملية المقابلة؛ إذ أصبح من الممكن الآن إجراء مقابلات بين المبحوث وجهاز الحاسوب حيث يكون الباحث أيضًا موجودًا ويقتصر دوره عادة على إعطاء التعليمات ومساعدة المبحوث. وفي ما يلي بعض البرامج التي يمكن استعمالها في المقابلات:

▪ **المقابلة الشخصية بمساعدة الحاسوب (CAPI)**: الحاسوب في هذه المقابلة هو الذي يطرح الأسئلة ويتحكم بالإجابات، حيث يجلس المبحوث أمام الحاسوب ويقرأ الأسئلة التي تظهر على الشاشة، ثم يُدخل الإجابات كما يُطلَب منه. يقوم الحاسوب بمعالجة الإجابات آليًا ويحضرها للتحليل. ويمكن استخدام هذا البرنامج في المقابلات الفردية أو الجماعية، ويقتصر دور الباحث على ملاحظة هوية المبحوثين وتوجيههم إلى استعمال الحاسوب، وبعد الانتهاء من المقابلة يقوم الباحث بإغلاق الجلسة.

الجدول 2.12
مقارنة بين أنواع المسوح

	أنواع المسوح		
الاعتبارات الرئيسة	وجهًا لوجه	الهاتفية	البريدية
إمكان الحصول على مبحوثين	لا تواجه إلا مشكلة الإعاقة السمعية أو الكلامية	مثل السابقة إضافةً إلى عدم توافر الهاتف أو رقم الهاتف	مشكلة العجز عن إجرائها والأميّة
طول الاستبيان	طويلة	متوسطة	قصيرة
تعقيد الاستبيان	عالٍ	عالٍ	منخفض
معالجة موضوعات حساسة	مقبول	جيد	جيد
معدل الاستجابة	عالٍ جدًا	عالٍ	منخفض
وقت استكمال الاستبيان	عالٍ	منخفض	عالٍ
تحيز المقابلة	عالٍ	متوسط	لا شيء
التحكم بهوية المبحوثين	عالٍ جدًا	منخفض	منخفض جدًا
تعقيد الأداة المسموح به	عالٍ جدًا	متوسط	عال جدًا
الفرصة للمساعدة	عالٍ جدًا	عالٍ	لا شيء
طرح أسئلة حساسة	أقلها مواءمة	موائم	أكثرها مواءمة
التكلفة	عالية جدًا	متوسطة	منخفضة
عدم الارتياح	عالٍ	متوسط	منخفض

▪ **المقابلة الذاتية الكاملة بمساعدة الحاسوب (CODSCI)**: وهو برنامج آلي كامل لا نحتاج فيه إلى الشخص المقابل. يقوم المبحوث بقراءة الأسئلة التي تظهر على شاشة الحاسوب مباشرة، حيث يقوم الحاسوب بطرح الأسئلة وتفسير المشكلات وتقديم المساعدة في الإجابة عن الأسئلة. وبعد الانتهاء من المقابلة يخزن الحاسوب المعلومات ذاتيًا في ذاكرته ويضيفها إلى المعلومات السابقة.

▪ **المقابلة الهاتفية بمساعدة الحاسوب (CATI)**: يستخدم المقابل الحاسوب ويقوم المقابل بقراءة الأسئلة التي تظهر على الشاشة للمبحوث عبر الهاتف، ويسجل الإجابات ويحفظها في الحاسوب. ويستطيع الحاسوب أن يقدم أكثر من مجرد عرض الأسئلة واستلام الاستجابات، فهو يستطيع أن يختار العينة ورقم الهاتف والاتصال بالمبحوث ويربط المبحوث بالمقابل.

▪ **البحث المسحي المتكامل بالتعاون مع الحاسوب (CISUR)**: وهو برنامج متكامل وأكثر تقدمًا من البرامج السابقة حيث يتضمن وظائف أكثر تشمل جوانب كثيرة من البحث. وهذا مثال آخر على كيفية استعمال الحاسوب في البحوث لوظائف أكثر من مجرد التحليل الإحصائي للبيانات. ويدل هذا التطور على أن الحاسوب يحل محل الإنسان تدريجًا.

▪ «**جامع البيانات**»: يعمل هذا البرنامج وفقًا لمبادئ عمل البرامج السابقة وله الأهداف والوظائف نفسها. وعلى الرغم من أنه أداة لجمع البيانات يستخدم أيضًا أداة للبحث الاجتماعي لاشتماله على وظائف إضافية، حيث يساعد في تطوير استبيانات وبرامج للمقابلات ويوفر أساليب لتحليل البيانات الكمية مثل: الإحصاء الوصفي والتوزيع التكراري وتحليل كا^2 (Chi-square) وتحليل التباين واختبارات مان - وتني وترابطاته (r, rho, lagged correlation). كما يساعد في تحليل البيانات النوعية مثل عد الكلمات والبحث عنها، إضافةً إلى وظائف أخرى للبحث في النصوص.

هناك برامج حاسوبية أخرى كثيرة تُستخدم في هذا الميدان. وما ذكرناه آنفًا مجرد أمثلة على استخدامات الحاسوب في عملية المقابلة باعتبارها طريقة لجمع البيانات.

رابع عشر: مقارنة بين طرائق البحث المسحية

كثيرًا ما يثار السؤال عن أفضل طريقة مسحية للبحث. والجواب الصحيح هو أن الطرائق كلها فاعلة ومفيدة وفقًا لنوع المعلومات المطلوبة. فكل طريقة تلائم

موضوع بحث معين، وتتطلب مبحوثين معينين ومعلومات معينة أيضًا. ويقدم الجدول 2.12 موجزًا لخصائص هذه الطرائق المسحية.

نقاط أساسية

- المقابلات دراسات مسحية تجرى شفويًا وهي شائعة الاستعمال ولها أشكال متعددة.
- تكون المقابلات إما مقيدة أو غير مقيدة أو مقننة أو غير مقننة.
- تُجرى المقابلة وجهًا لوجه بين المقابل والمبحوث أو هاتفيًا.
- تكون المقابلة في البحث النوعي فردية وشخصية، تستخدم أسئلة مفتوحة وتكون مرنة ومفتوحة.
- اختيار مقابلين مشابهين للمبحوثين من حيث الخلفية الاجتماعية يسهّل دخول عالم المبحوث، ويشجع الثقة والتفاهم والتعاون بين الطرفين وتاليًا يقلل التحيز وتشويه للمعلومات.
- المقابلة الهاتفية تولد نتائج سريعة وتسمح بدراسة عينات كبيرة وهي اقتصادية نسبيًا وتعزز التواصل المفتوح وتقلل التحيز، وتضمن درجة أكبر من السرية مما عليه الحال في المقابلات التي تجرى وجهًا لوجه.
- ترتبط الأخطاء في المقابلات بالتسجيل غير السليم للبيانات أو بتقويم الإجابات أو بالإخفاق في اتباع التعليمات الصادرة للمقابلين.
- تستخدم المقابلات في البحث الكمي والبحث النوعي بأشكال مختلفة.
- تطرح المقابلة السردية موضوعًا للمناقشة وتشجع المبحوث على تقديم أكبر قدر ممكن من المعلومات. استخدام هذا النوع في ازدياد مستمر وكثيرًا ما يستخدم في البحث النوعي.
- تكون المقابلات المكثفة في الأغلب غير مقيدة وغير مقننة، وتهدف إلى إجراء استقصاء معمق عن القضايا المطروحة.

إلى أين؟

قبل أن تترك هذا الفصل، لا بد لك من أن تزور الموقع المرافق للطبعة الثالثة من كتاب **البحث الاجتماعي**: http://www.palgrave.com/sociology/sarantakos لتراجع المفاهيم الأساسية في هذا الفصل وتختبر نفسك في القضايا الرئيسة التي ناقشناها.

قراءات إضافية

Books

Adams, S. *Interviewing for Journalists*. London: Routledge, 2001

De Vaus, D. *Surveys in Social Research*. London: Routledge, 2002.

Frey, J. H. and S. M. Oishi. *How to Conduct Interviews by Telephone and in Person*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1995.

Gubrium, J. F. and J. A. Holstein (eds.). *Handbook of Interview Research: Context and Method*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 2001.

Keats, D. *Skilled Interviewing*. Hawthorn, Victoria: ACER, 1993.

Kvale, S. *Interviews: An Introduction to Qualitative Research Interviewing*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1996.

Lavrakas, P. *Telephone Survey Methods: Sampling Selection and Supervision*. Beverley Hills: Sage, 1993.

Merton, R. K., M. Fiske and P. L. Kendall. *The Focused Interview: A Manual of Problems and Procedures*. 2nd ed. London: Collier MacMillan, 1990.

Riessman, C. K. *Narrative Analysis*. Newbury Park, Calif.: Sage, 1993.

Rubin, H. J. and I. S. Rubin. *Qualitative Interviewing: The Art of Hearing Data*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1995.

الفصل الثالث عشر

دراسة الوثائق

هذا الفصل

- يوضح طبيعة الطرائق الوثائقية وأنواعها.
- يقدم موجزًا عن التحليل الثانوي.
- يوضح عملية تحليل المحتوى.
- يصف طريقة السيرة الذاتية.
- يشرح بالتفصيل ثلاث طرائق محددة لتحليل النص.

العناوين الرئيسة

مقدمة

1. دراسات الوثائق
2. تحليل المحتوى
3. تحليل النص

نقاط أساسية

إلى أين؟

قراءات إضافية

يدرس الباحثون الوثائق بقدر ما يدرسون الناس إن لم يكن أكثر. وهم يفعلون ذلك إما مع دراسة الناس أو بدلًا منها. وبالتحديد تتخذ دراسة الوثائق شكل مراجعة الدراسات والأدبيات السابقة أو دراسة معمقة أكثر للوثائق. وفي الحالتين تتعامل هذه الدراسة مع البيانات التي ينتجها الكتّاب والباحثون غير أولئك الذين يدرسون الوثائق ولهدف يختلف عادة عن هدف الكاتب الأصلي.

سنركز في هذا الفصل على دراسة الوثائق وتحليل المحتوى قبل أن نصل إلى تحليل النصوص، حيث سنتطرق إلى موضوعات مثل تحليل الخطاب والمنهج التفسيري ومابعد الحداثة.

مقدمة

تتخذ الطرائق الوثائقية أشكالًا متنوعة، وتعالج منظومة كاملة من الوثائق، تراوح بين الوثائق بوصفها وحدة للتحليل من جهة، ونصوصًا من جهة أخرى. وفي ما يلي أنواعها الأكثر شيوعًا:

- **دراسة الوثائق**

يركز التحليل هنا على وصف وتحديد الاتجاهات والتكرارات والعلاقات البينية والتحليل الإحصائي أحيانًا. ومن الأمثلة على دراسة الوثائق: التحليل الأساسي الذي يُنتج ملخصات لمعلومات حقيقية، البحث في السيرة، والتحليل الثانوي ذو الطبيعة الإحصائية بما في ذلك جمع نتائج البحوث ذات العلاقة المشتركة وتحليلها.

- **تحليل المحتوى**

يتضمن هذا التحليل المزيد من العمليات المتقدمة والمعقدة. يركز البحث

على المحتوى الظاهر أو الكامن للوثائق بطريقة تحليلية مفصلة، أو على المعاني في الوثيقة. وفي الحالتين نحصل على نتائج في قضايا أبعد من اللغة أو النص. وعلى الرغم من أن هذه الطريقة تُستخدم في البحوث الكمية، غير أنه يمكن استخدامها أيضًا في البحوث النوعية.

- **تحليل النصوص**

تنظر هذه الطريقة إلى النص وكأنه «واقع افتراضي» وتنظر إلى «العالم بوصفه نصًّا» وتستخدم طرائق مثل السيميائية وتحليل الخطاب والتأويل لتصل إلى أقصى نقطة في التحليل، ولا ترقى تاليًا إلى مستواها أي طريقة بحث أخرى.

تكمن أهم مصادر البيانات للتحليل الثانوي في أرشيفات البيانات والإحصاءات الرسمية التي تتوافر بشكل إلكتروني في معظم البلدان. وبشكل عام فإن أنواع الوثائق المستخدمة تتضمن ما يلي:

- **الوثائق العامة**: الإحصاءات السكانية وكتب الإحصاء السنوية وأرشيف المحاكم وسجلات السجون والأدب (الروايات والشعر...).
- **سجلات الأرشيف**: مثل سجلات الخدمة في المستشفيات وسجلات الأطباء والعاملين الاجتماعيين وسجلات المؤسسات والإحصاءات الرسمية.
- **مخرجات وسائل الإعلام**: المطبوعات والأفلام وبرامج الإذاعة والتلفزيون والبرامج بأنواعها المختلفة سواء أكانت حيّة أم مكتوبة.
- **الوثائق الشخصية**: مثل تواريخ حياة الأشخاص والمذكرات واليوميات والاعترافات والسير الذاتية والملاحظات المكتوبة قبل محاولات الانتحار والرسائل والمرثيات.
- **الوثائق الإدارية** مثل المقترحات والمذكرات وتقارير التقدم في العمل وجداول الأعمال ومحاضر الاجتماعات والإعلانات والوثائق الداخلية الأخرى.
- **الدراسات والتقارير الرسمية.**

هناك ثلاث طرائق في الأقل للحصول على هذه المصادر للمعلومات[1]. **أولًا**، القنوات غير الرسمية، مثل الاتصال الشخصي والطلب الشخصي والإنترنت. وهناك **ثانيًا** القنوات الرسمية مثل الأوراق المقدمة في المؤتمرات المتخصصة ومكتبات الدوريات والمجلات الإلكترونية وقوائم المراجع. **وثالثًا** القنوات الثانوية التي تشتمل على قوائم المراجع وسجلات البحوث المقترحة وقواعد البيانات. وبعد أن أصبحت وسائل الإعلام الإلكترونية والإنترنت في متناول الجميع، ازداد إمكان الوصول إلى الوثائق، حيث أصبح بإمكان الباحث أن يطلع على قواعد البيانات في أنحاء العالم المختلفة. كما أن تطبيق تشريع حرية المعلومات وسّع دائرة الحصول على الوثائق التي تتضمن اليوم جوانب الحياة الاجتماعية كلها تقريبًا. كذلك فإن طبيعة هذه الوثائق العامة جعلتها واسعة الانتشار[2].

أولًا: دراسات الوثائق

1.1 التحليل الأساس

على الباحث أن يطبق خطوتين قبل إجراء التحليل الأساس: **الأولى**: اختيار الموضوع والمنهجية، ويتطلب هذا اتخاذ قرار في شأن ما سيُدْرَس والمنهجية التي ستوجه الدراسة. **الثانية**: تحديد طرائق اختيار العينة. ويعني هذا اختيار الوثائق التي ستخضع للتحليل مثل الكتب والدوريات والصحف والمذكرات وتحديد أماكن توافرها والفترة الزمنية التي سيشار إليها في البحث[3] وطريقة اختيار الوثيقة.

يختلف التحليل الفعلي للوثائق وفقًا لطبيعة محتواها وأهداف الدراسة. وفي

---

(1) H. M. Cooper, *Synthesizing Research: A Guide for Literature Reviews* (London: Sage, 1998).

(2) انظر: W. Burgard and H. E. Lueck, «Nichtreactive Verfahren,» in: U. Flick et al., eds., *Handbuch Qualitative Sozialforschung* (Munich: Psychologie Verlags Union, 1991); A. Kellehear, *The Unobtrusive Researcher: A Guide to Methods* (Sydney: Allen & Unwin, 1993); R. M. Lee, *Unobtrusive Measures in Social Research* (Buckingham: Open University Press, 2000); E. J. Webb et al., *Unobtrusive Measures* (Thousand Oaks, Cal.: Sage, 2000).

(3) على سبيل المثال: *Time Magazine* (1999), and (2000).

إطار تحليل الوثيقة يهدف الباحث إلى الحصول على انطباعات سطحية، بتخطيط مسبق أو من دون تخطيط وإعداد. وفي ما يلي عرض لبعض الأمثلة لنوع المقاربة المستخدمة في تحليل الوثائق:

- **التحليل الوصفي**: هذا تحليل أولي يتضمن تلخيص البيانات وتحديد الاتجاهات الرئيسة وتقديم الوصف. ومن الأمثلة على الموضوع الملائم: «كيف استجابت وسائل الإعلام للتعديل الأخير في شأن حرية المعلومات؟».

- **تحليل الفئات**: هذا نوع من التحليل أكثر انتظامًا من الأول ويرتكز على فئات حُدّدت قبل بداية الدراسة. ويهدف إلى تحديد التنوع وتعريفه أكثر مما يهدف إلى مساعدة التحليل الكمي. ومثال ذلك الموضوع: «كيف كانت السلطة موزعة بين الأزواج والزوجات في الأسر في الخمسينيات من القرن العشرين؟».

- **التحليل الاستطلاعي**: يبحث عن خصائص مميزة واتجاهات في النص الذي يحدد هوية الرسالة التي تنقلها الوثيقة. ويشتمل على تحديد البيانات ومقارنتها وتقويم مدى مواءمتها وأهميتها وتسجيلها بانتظام. وسنقدم في نهاية الفصل صورة متكاملة مفسرة للوثيقة. ومن الأمثلة على هذا التحليل: «كيف صورت المجلات النسوية الحياة الأسرية في الخمسينيات من القرن العشرين؟».

- **التحليل المقارن**: مقارنة بين قضايا اجتماعية عبر الزمن والبلدان والثقافات. وهذا تحليل أساسي ينجم عن قراءة الوثائق ويؤدي إلى نتائج منفصلة لكل جانب من جوانب المقارنة، ومن الموضوعات الملائمة لهذا التحليل: «ماذا كانت اتجاهات الطلاب نحو الزواج المثلي في بريطانيا واليابان؟»، أو «ما أنواع النشاط الذي كانت تمارسه الأمهات يوم الأحد في الخمسينيات والتسعينيات من القرن العشرين في أستراليا؟».

يستطيع الباحثون استخدام هذه الطرائق للتحري عن أنماط الحياة والعادات والاتجاهات والممارسات السابقة، وتاليًا نتوصل إلى تمثيل للحياة كما عاشها الناس في فترة زمنية في الماضي. وقد تُستخدم هذه الطرائق أيضًا للمقارنات الثقافية والتاريخية. ويمكن أيضًا استخدام هذه الوسائل كطريقة لتوفير معلومات متصلة عن موضوع معين قبل المُضي قُدُمًا بالدراسة.

2.1 البحث السِّيَريّ

تعني هذه الطريقة دراسة الوثائق الشخصية والسِّيَريّة التي تقدم معلومات عن قصد أو من دون قصد عن حياة الكاتب بجوانبها كلها، بنيتها، ودينامياتها ووعي الكاتب، بطريقةٍ تعيد بناء حياته[4]. وتتضمن هذه الوثائق المذكرات واليوميات والسِيَر الذاتية والرسائل والشهادات التي أدلى بها الكاتب في حياته، وغيرها من الوثائق ذات الطبيعة الشخصية. وكان أول من استخدم هذه الطريقة بشكل منتظم في العلوم الاجتماعية توماس وزنانيكي[5] في دراستهما المعروفة عن الشعب البولندي، وشو[6] في دراسته ظاهرة الجنوح عند الشباب. وفتحت هذه الدراسات الباب لهذا النوع من الدراسات إلى أن أصبحت طريقة معروفة في البحث الاجتماعي[7].

في الدراسات النوعية تركز دراسة السير على أمرين[8]:

- **تعريف الكاتب للذات والفعل الاجتماعي**، الأمر الذي يعكس طريقة إدراك الشخص وتفسيره للعالم بكليته. فالتركيز هنا ليس على الفرد بل على السيرة[9].
- **التنظيم الاجتماعي للفرديّة**[10]: يرتكز ذلك على افتراض أن طريقة تفسير

---

(4) H. Bude, «Rekonstruktion von Lebenskonstruktionen: eine Antwort auf die Frage, was die Biographieforschung bringt,» in: M. Kohli and G. Robert, eds., *Biographie und soziale Wirklichkeit: Neue Beiträge und Forschungsperspektiven* (Stuttgart: Metzler, 1984).

(5) W. J. Thomas and F. Znaniecki, *The Polish Peasant in Europe and America* (New York: Octagon, 1958).

(6) C. R. Shaw, *The Jack Roller: A Delinquent Boy's Own Story* (Chicago: University of Chicago Press, 1930).

(7) W. Fuchs, *Biographische Forschung: Eine Einführung in Praxis und Methoden* (Opladen: Westdeutscher Verlag, 1984).

(8) J. Friedrichs, *23. Soziologentag 1986: Sektions- und Ad-hoc Gruppen* (Opladen: Westdeutscher Verlag, 1987); S. Lamnek, *Qualitative Sozialforschung, Band 1: Methodologie; Band 2: Methoden und Techniken* (Weinheim: Psychologie Verlags Union, 1993).

(9) W. Fischer and M. Kohl, «Biographieforschung,» in: W. Voges, ed., *Methoden der Biographie- und Lebenslaufforschung* (Opladen: Leske und Buderich, 1987), p. 26; W. Voges, ed., *Methoden der Biographie-und Lebenslaufforschung* (Opladen: Leske und Budrich, 1987).

(10) Lamnek, *Qualitative Sozialforschung.*

الكتّاب لذواتهم تكشف معلومات عن حياتهم، كما أنها تبين طريقة إدراكهم الواقع والعلاقات بين آرائهم وبيئاتهم الاجتماعية، وتأثير الواقع في حياتهم وأفعالهم، والأهم من ذلك هو الأصل الاجتماعي لشخصياتهم الفردية. ومن المفترض هنا أن المجتمع هو الذي يشكل تلك السرديات الفردية[11]، وتاليًا تسمح بإلقاء نظرة على عملية تشكيل الذات أو الفرد. وبهذا المعنى فإن الطريقة السِّيَريّة تسهل عملية تحديد محددات الشخصية الفردية.

يستخدم البحث السِّيَريّ طرائق عدة وفي ما يلي بعض الأمثلة:

- **الطريقة الكلية**: يدرس الباحث الوثيقة كاملة بقصد تحديد العناصر الملائمة لأهداف البحث. ويرتكز التحليل على الصورة العامة للوثيقة.

- **الطريقة المتخصصة**: تركز هذه الطريقة على جانب واحد أو أكثر من الوثيقة.

- **الطريقة الوصفية**: تهدف إلى إيجاد علاقات بين المتغيرات واختبار الارتباطات والعلاقات.

- **الطريقة التقابلية (المقارنة)**: تقارن التراجم أو السِّيَرَ لتحديد أوجه التشابه والاختلاف بينها.

- **الطريقة التصنيفية**: تركز على إيجاد فئات وتصنيفها.

- **تحليل المحتوى**: تُستخدم هذه الطريقة لتحليل المحتوى الظاهر و/ أو الكامن للوثائق السِّيَريّة. ويُشير المحتوى الظاهر إلى المحتوى الحرفيّ الواضح الصريح للوثيقة، أما المحتوى الكامن فيعني المعاني غير الظاهرة التي تتطلب قراءة ما بين السطور (الاستنتاج).

---

(11) B. Hildebrand et al., «Biographiestudiien in Rahmen von Milieustudien,» in: M. Kohli and G. Robert, eds., *Biographie und soziale Wirklichkeit: Neue Beiträge und Forschungsperspektiven* (Stuttgart: Metzler, 1984), p. 29; M. Kohli, «Normalbiographie und Individuälitat: Zur institutionellen Dynamik des gegenwärtigen Lebenslaufregimes,» in: Friedrichs, ed., *23. Soziologentag 1986: Sektions-und Ad-hoc Gruppen* (Opladen: Westdeutscher Verlag, 1987); M. Kohli and G. Robert, eds., *Biographie und soziale Wirklichkeit: Neue Beiträge und Forschungsperspektiven* (Stuttgart: Metzler, 1984).

▪ **التحليل السياقي**: ويدرس الوثائق لفهم سياقاتها الثقافية والاجتماعية.

وبما أن الطريقة السِّيَريّة تندرج تحت دراسات الوثائق، فإن جميع طرائق تحليل الوثائق تلائم الدراسات السِّيَريّة.

3.1 التحليل الثانوي

يتعامل هذا التحليل مع البيانات التي يجمعها الباحثون أو المؤسسات العامة أو السلطات الحكومية، حيث يقوم باحثون بجمع بيانات عن قضايا محددة تهم باحثين آخرين من حيث محتواها وإمكان تحليلها. ويركز هذا النوع من دراسات الوثائق على البيانات المؤرشفة، مثل تلك الموجودة في المؤسسات التي تحتفظ ببيانات مسحية أو إحصائية سكانية. وتستخدم هذه الطريقة بشكل أساسي البحث الكمي والتحليل الإحصائي، كما أن البحث النوعي ممكن أيضًا.

من الأمور المغرية للباحثين عملية استخدام البيانات التي جمعتها واحتفظت بها وحللتها السلطات الحكومية والعامة، والتي تغطي ميادين واسعة (ما يجعل تمثيلها نسبيًا)، لكنها تسمح بالمقارنات والدراسات الطولية. وبهذا المعنى يستطيع الباحثون دراسة قضايا تتعلق بالاتجاهات والتطورات في بعض المجالات بالتركيز على مثل هذه البيانات. وإضافة إلى هذه المصادر، يستطيع الباحثون الوصول إلى أرشيف البيانات التي أنتجها باحثون بإشراف مؤسسات متعددة تمكن الباحثين المهتمين من الإفادة من تلك البيانات بناء على طلبهم (ومقابل رسوم معينة). وبشكل عام، فإن الوصول السهل إلى هذه المصادر، خصوصًا عبر الإنترنت يجعل التحليل الثانوي سهلًا وسريعًا وفاعلًا وقليل التكلفة.

4.1 تحليل التحليل

كان جين غلاس[12] أول من أطلق هذه التسمية «meta-analysis» على هذا النوع من التحليل، لكن كارل بيرسن (Karl Pearson) استخدم هذا الأسلوب قبله

---

(12) G. V. Glass, «Primary, Secondary and Meta-Analysis of Research,» *Educational Researchers*, vol. 5 (1976).

بكثير عندما درس فاعلية لقاحات مرض التيفوئيد. وبعد ذلك أصبح تحليل نتائج البحوث الأخرى معروفًا نوعًا ما لدى الباحثين الاجتماعيين[13].

هذا التحليل هو نوع من التحاليل الثانوية لنتائج بحوثٍ مختلفة عن موضوع معين. وفي الواقع، يُحوّل نتائج دراسات عدة إلى مقياس عام حتى يتسنى للباحث مقارنة النتائج ودمجها معًا في استنتاج واحد.

الإطار 1.13

معايير التحليل الثانوي

إن التحليل الثانوي:

- يهتم بتحليل بيانات جُمعت في دراسات أخرى.
- يفترض أن البيانات المجموعة سابقًا قد عُولجت وحُللّت تمامًا.
- يدرس البيانات الموجودة وينتج معلومات جديدة ومفصلة ويخرج بنتائج جديدة تختلف عن نتائج البحث الأصلي.
- يعالج جوانب من القضية تختلف عما درسه الباحث الأصلي.
- يستخدم طرائق متقدمة بوسعها أن تكشف عن اتجاهات لا يتوصل إليها الإنسان بالفهم الشائع أو الحسّ المشترك.
- يستخدم طرائق كمية ونوعية.
- يركز على مصادر البيانات الخاصة أو الرسمية.
- ثانوي لأنه يحلل البيانات للمرة الثانية.

يشبه ذلك تحويل معدل الدخل السنوي لسائقي الحافلات في أستراليا واليابان والبيرو، كما ورد في الإحصاءات الرسمية لتلك الدول (بالعملة المستخدمة في كل دولة)، إلى اليورو كي نستطيع المقارنة بينها. ومن دون هذا التحويل لن تكون

(13) T. D. Cook et al., *Meta-analysis for Explanation: A Casebook* (New York: Russell Sage Foundation, 1992); J. E. Hunter, *Methods of Meta-analysis: Correcting Error and Bias in Research* (Newbury Park, Calif.: Sage, 1990); C. Mann, «Meta-Analysis in the Breech,» *Science*, vol. 249 (1990); L. E. Wells and J. H. Rankin, «Families and Delinquency: A Meta-Analysis of the Impact of Broken Homes,» *Social Problems*, vol. 38 (1991).

المقارنة ممكنة. فهذا التحليل يرشد الباحثين إلى كيفية تحويل نتائج الدراسات المتوافرة بأشكال ووحدات مختلفة إلى شكل واحد لتصبح ذات معنى أكبر.

الإطار 2.13

ما تحليل التحليل (Meta-analysis)؟

تحليل التحليل أو تحليل نتائج الدراسات المختلفة هو طريقة تهدف إلى جمع مكتشفات عدد من الدراسات عن موضوع واحد لاستخلاص نتائج لتحديد اتجاه هذه المكتشفات. ويتم ذلك بتوحيد نتائج الدراسات التي يُعَبَّر عنها بمقاييس مختلفة، ما يسهّل المقارنة بينها باستخدام تحليل جامع[14]. وبعبارات فنية، فإن هذا التحليل يُحوّل المقاييس المختلفة للدراسات المختارة إلى مقياس واحد مشترك مثل علامة (Z)، ومقاييس الاحتمال ذات النهاية الواحدة لقياس الدلالة، ومعامل الارتباط، ومقياس فيشر (Fisher's Z's)، ومقياس كوهين (Cohen's ds) لقياس حجم الأثر[15]. وهذه المقاييس تسمح باستخلاص نتائج صادقة.

دعونا نتناول مثالًا آخر: يهتم أحد الباحثين بدراسة آثار الطلاق في الأطفال. وعلى الرغم من أن عددًا كبيرًا من الدراسات قد أُجري في هذا الموضوع، فإن نتائجها ومقاييسها تختلف من دراسة إلى أخرى. ففي شكلها الحالي، لا تشير هذه النتائج المختلفة إلى اتجاه محدد في هذا الموضوع، فهناك حاجة إلى توحيد النتائج كي نستطيع مقارنتها. وهنا يأتي دور هذا التحليل الذي يعمل على تحويل نتائج هذه الدراسات المختلفة إلى شكل أو مقياس واحد ليتمكن الباحث من المقارنة بينها واستخلاص النتائج في شأن موضوع البحث.

مثله مثل أي طريقة أخرى يواجه هذا التحليل بعض الانتقادات[16] من الباحثين المهتمين بطريقة استخلاص نتائج من بحوث متنوعة ذات عينات وبيئات مختلفة. لوحظ أولًا أن هذا التحليل حساس لنوع الدراسات التي تم اختيارها

---

(14) J. A. Kulik and C. C. Kulik, «Meta-Analysis: Historical Origins and Contemporary Practice,» *Advances in Social Science Methodology*, vol. 2 (1992).

(15) B. Mullen and N. Miller, «Meta-Analysis,» in: C. K. Judd, E. L. Smith and L H. Kidder, eds., *Research Methods in Social Relations* (New York: Harcourt, Brace, Jovanovich, 1991), p. 429.

(16) K. W. Wachter, «Disturbed by Meta-Analysis?,» *Science*, vol. 241 (1988).

ولطريقة اختيارها أيضًا. علاوة على ذلك، يدّعي هؤلاء النقاد بتجاهل خصوصية الدراسات المختارة للبحث، وكذلك الأوضاع التي أجريت فيها (نوعية العينة وجودة البحث وجودة التصميم). وكثيرًا ما تكون الدراسات غير قابلة للمقارنة. ولذلك فإن وحدات كل دراسة تختلف عن الأخرى، ما يجعل هذا التحليل يطبق على عينة مصطنعة غير قابلة للمقارنة ولا يمكن جمعها معًا في سياق منطقي، لذلك لا تكون نتائجها صادقة.

5.1 مزايا دراسات الوثائق وعيوبها

سنقدم في ما يلي قائمة موجزة بمزايا دراسات الوثائق وعيوبها[17].

المزايا

- **الأثر الرجعي:** تُمكن دراسات الوثائق الباحثين من دراسة حوادث وقضايا سابقة.

- **سهولة الوصول إلى الوثائق بسرعة:** لا قيود على طريقة دراسات الوثائق، ولا يواجه الباحثون فيها المشكلات والصعوبات التي يواجهها الباحثون في طرائق أخرى، خصوصًا الطرائق التي تتعامل مع الناس مباشرة؛ فلا يواجه الباحثون مشكلة رفض المبحوثين وعدم استعدادهم للمشاركة في الدراسة، كما لا يواجهون حالات عدم الاستجابة أو التحيز أو أي مشكلة أخرى تتعلق بالمبحوثين.

- **العفوية:** في معظم الحالات، يقوم بعض الكتّاب بإنتاج الوثائق من دون طلب من الباحثين، الأمر الذي يخفض تحيز الباحث إلى حد كبير.

- **السهولة واليسر في التعامل مع الوثائق:** يستطيع الباحثون دراسة الموضوع في أي وقت وللفترة التي يريدونها، كما يكون بوسعهم طرح الأسئلة التي يرغبون فيها من دون أي اعتبارات أو قيود كما هو الحال في أسلوب المقابلة أو الملاحظة.

---

(17) انظر: H. Berger, H. F. Wolf and E. Ullmann, eds., *Handbuch der Sozialistischen Forschung: Methodologie, Methoden, Technicken* (Berlin: Akademie Verlag, 1989); X. Puris, *The Complexity of Research Measure* [in Greek] (Paris: Ajax, 1995); L. Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit* (Wien: Selbstverlag, 2000).

- **انخفاض التكلفة:** يُعد هذا النوع من البحوث من أقل البحوث تكلفة.

- **عدم الحاجة إلى وقت طويل:** يستغرق جمع البيانات بهذا الأسلوب وقتًا أقل مما عليه الحال في الطرائق الأخرى. كما أن توافر الوثائق بشكل إلكتروني وعبر الإنترنت يسهل البحث ويقصّر وقته.

- **مصدر واحد:** الوثائق هي في الأغلب المصدر الوحيد لمثل هذه الدراسات (عند دراسة الحوادث الماضية).

- **النوعية الجيدة للمعلومات:** التعامل مع بيانات أصلية مباشرة يؤدي إلى نتائج ذات جودة عالية.

- **إمكان إعادة الاختبار:** بما أن الوثائق متوافرة ويسهل الوصول إليها، تكون إعادة الدراسة ممكنة.

- **الحيادية:** لا تتأثر النتائج بطريقة جمع البيانات، ولا بعملية القياس.

العيوب

- **عدم التمثيل:** لا تكون الوثائق عادة ممثلة لنوعها وتاليًا لا يمكن تعميم النتائج.

- **عدم إمكان الوصول إلى الوثائق:** يصعب أحيانًا الحصول على بعض الوثائق (الرسائل الشخصية والمذكرات...)

- **نقص البيانات:** تكون بعض الوثائق ناقصة أو غير محدّثة.

- **الموثوقية أو الثبات:** قد لا تكون بعض الوثائق موثوقة.

- **القابلية للمقارنة:** لا تكون المقارنة بين الوثائق ممكنة دائمًا.

- **مشكلات منهجية:** قد تطرأ مشكلات منهجية مثل مشكلات الترميز وطريقة العرض.

- **التحيز الشخصي:** قد تكون الوثائق متحيزة لأنها تمثل وجهة نظر كاتبيها.

على الرغم من هذه العيوب، تبقى دراسات الوثائق أداة مفيدة جدًا للبحث الاجتماعي وتظل طريقة لا يُستغنى عنها، خصوصًا إذا كان البحث يهدف إلى دراسة حوادث ماضية. ففي مثل هذه الحالات تكون دراسة الوثائق هي الطريقة الوحيدة لجمع البيانات.

ثانيًا: تحليل المحتوى

1.2 مقدمة

يُعدّ تحليل المحتوى طريقة وثائقية للبحث الاجتماعي تهدف إلى إجراء تحليل كمي و/ أو نوعي لمحتوى النصوص والصور والأفلام وغيرها من أشكال التواصل المحكي أو المرئي أو المكتوب. وقد يكون هذا التحليل مرتبطًا بأشكال التواصل وقصد الكاتب وأساليب الإقناع وأسلوب النص والمستهدفين من القراء ودوافعهم واتجاهاتهم وقيمهم. فعلى سبيل المثال، درس الباحثون النسويون قضايا المرأة بالتركيز على الوثائق، مثل كتب الأطفال والقصص الخيالية واللوحات الإعلانية وقصص الخيال العلمي النسوي والقصص غير الخيالية والموضة وكتب الكشافة والمرشدات والأعمال الفنية والخطاب الصحافي والسجلات الطبية والبحوث المنشورة وكتب المداخل في علم الاجتماع والمقتبسات(18).

باعتباره طريقة كمية، يُستخدم تحليل المحتوى عند الحاجة إلى تحديد وقت حدث ما وتكراره ومدته، وكذلك عند دراسة محتوى نص بهدف التبصّر بقيم الأفراد أو الجماعات أو مشاعرهم أو أهدافهم أو أيديولوجياتهم، كما هي موضحة في محتوى النص. كما يُستخدم أيضًا في تقويم آثار التواصل في الجمهور المستهدف(19).

---

(18) S. Reinharz, *Feminist Methods in Social Research* (New York: Oxford University Press, 1992), p. 147.

(19) W. Mahr, *Politische Struktur der Sozialforschung* (Leipzig: Selbstverlag, 1995).

الإطار 3.13

خصائص تحليل المحتوى

إن تحليل المحتوى:

- طريقة وثائقية تتضمن مواد مكتوبة ووثائق رسمية وخطابات وصورًا وغيرها.
- دراسة لمحتوى النصوص مثل الكلمات والمعاني والصور.
- دراسة كمية، لأنها تقيس خصائص محددة في محتويات النص قياسًا موضوعيًا.
- دراسة نوعية، لأنها تركز على المعاني والتفسيرات في النص.
- حيادي، لأن الوثيقة لم تُكتب بعلم مسبق بأنها ستخضع للتحليل.
- شفاف، لأن إجراءاته واضحة ومفتوحة ويمكن إعادة تطبيقها.
- غير معلن، لأن دراسة الوثائق تجري من دون علم كاتبيها.
- متنوع ومرن ويمكن تطبيقه في سياقات متعددة ومواد مختلفة.
- دراسة طولية، لأنه يمكّن الباحث من دراسة القضية نفسها عبر فترة من الزمن.
- قابل للمقارنة، لأنه يولد بيانات ثقافية مختلفة، ومن عيّنات مختلفة.

تدل هذه المناقشة على أن تحليل المستوى يركز على المحتوى الظاهر وكذلك الكامن للوثائق. ويتمثل **المعنى الظاهر** في البنية السطحية للنص وفي مكوناته الموجودة في الوثيقة: المفردات والجمل والفقرات. ويركز البحث هنا على ما هو ظاهر وواضح من محتوى الوثيقة ويتضمن إحصاء لتكرار بعض وحدات البحث.

أما **المحتوى الكامن** فهو المعنى العميق أو غير الظاهر للوثيقة. وهنا يقرأ الباحث ما بين السطور ويسجل ملاحظاته والمعاني الخفية التي يستطيع الباحث استقراءها من النص، ويدرس في هذا الجانب القصد من عملية التواصل والأنماط الثقافية التي يوحي بها النص والاتجاهات وجوانب الميل والتحيز والمعايير التي تتضمنها رسالة النص. كما يدرس الباحث أيضًا طرائق تحليل المعاني والرموز الخفية، أو التي يمكن استنتاجها من النص، والتي توجه سلوك الناس في نهاية الأمر. وتتلخص مهمة تحليل المحتوى الكامن للنص في تفكيك الرسائل وإعادة بنائها من أجل تحديد معانيها الحقيقية وأثر السياق في تشكيل المعاني ومبرراتها العميقة.

كما ذكرنا آنفًا، فإن تحليل المحتوى الكامن هو ما تركز عليه أنواع التحليل المفصلة، خصوصًا تلك التي تهدف إلى تحليل النص. ومع ذلك تبقى أشكالًا من أشكال تحليل المحتوى وكثيرًا ما يشار إليها في الدراسات المشابهة.

2.2 أنواع تحليل المحتوى

أوضحنا سابقًا أن تحليل المحتوى لا يُعدّ أداة بحث موحدة بأيّ حال من الأحوال، وهناك أربعة أنواع في الأقل من هذا التحليل: التحليل الوصفي والسياقي والتقابلي (المقارن) والمتخصص.

- **تحليل المحتوى الوصفي**: يهدف هذا التحليل إلى تحديد المحتوى الأساسي للبيانات ووصفه من حيث التسلسل الزمني والموضوعات الأساسية أو غيرها. ويعتمد على السرد ليجعل الوصف واضحًا ويُقرّب محتواه إلى السياق الطبيعي. وقد يركّز الوصف على الموضوع أو على الباحث، ويتضمن عمليات التعداد والجدولة والتفعيل الإجرائي والتصنيف وشيئًا من التقويم والتفسير.
- **التحليل السياقي**: يدرس هذا النوع موضوع البحث في سياقه ويهدف إلى فهم السياق من خلال فهم ما يكتبه المؤلفون في النصوص.
- **التحليل التقابلي (المقارن)**: يتضمن هذا التحليل مقارنة نصوص مختلفة، من حيث النوع والمؤلف لتحديد الفروق الفكرية وغيرها في طريقة عرض المعلومات، ويختبر صدق النصوص وثباتها وصدقيتها.
- **التحليل التخصصي**: يدرس هذا التحليل عناصر أو جوانب من العملية بأكملها مثل المرسل والمستقبل ووسيلة الاتصال أو الرسالة. فعلى سبيل المثال، يدرس هذا التحليل أسئلة مثل: «لماذا أرسلت الرسالة»، أو «ماذا كان هدفها أو الناتج المتوقع منها؟».

هناك أشكال أخرى من تحليل المحتوى تستخدم أساليب أكثر تحديدًا وتفصيلًا وتسمح بتفهم أكبر للمحتوى والسياق. وسنناقش بعض هذه الأساليب في ما بعد.

3.2 إجراء تحليل المحتوى

إن الأنموذج البحثي العام الذي يطبَّق في تحليل المحتوى هو أنموذج البحث الاجتماعي نفسه الذي شرحناه آنفًا في هذا الكتاب. ويكمن الفرق الوحيد في محتوى كل خطوة، حيث يجب أن يكون مرتبطًا بطبيعة الطريقة وميدان الدراسة. ويتضمن الأنموذج البحثي لتحليل المحتوى الخطوات الآتية:

الخطوة 1 اختيار موضوع البحث ومنهجيته

تحدد هذه الخطوة ما سيتم دراسته والسياق الذي ستُجرى فيه الدراسة. فقد يكون الموضوع كلامًا (تعابير التمييز ضد المرأة) أو ظواهر أو موضوعات أو مواقف أو نظرات أو عناصر أخرى. أما المنهجية فقد تكون كمية أو نوعية تُستخدم في إطار أنموذج محافظ أو ناقد تحريري.

الخطوة 2 بناء منهجية موضوع البحث

تتضمن هذه الخطوة تعريف الموضوع واستطلاعه وتحديده إجرائيًا، كأن يحدد الباحث وحدات التحليل (الكلمة، شبه الجملة، الصورة، المصطلحات، المعاني...) ويكوّن الفرضيات عند الضرورة، وأخيرًا تحديد الفئات. وحيثما لزم الأمر، لا بد من إجراء اختبار قَبْلي. وفي إطار المنهج النوعي يُعرّف الموضوع بعبارات عامة تسمح بالمرونة ومزيد من التعديلات في أثناء دراسة الموضوع، ولن تكون هناك حاجة إلى التعريف الإجرائي للبحث.

الخطوة 3 اختيار العينة

تتضمن هذه الخطوة تحديد الوثائق التي ستخضع للدراسة وتحديد طرائق اختيارها. وبعبارات محددة يمكن اتباع الخطوات الآتية:

- اختيار طريقة انتقاء العينة الملائمة للنص.
- اختيار النص الملائم (صحيفة، مجلة، دورية، كتاب، مسلسل،...).
- اختيار تاريخ النشر (من أول حزيران/ يونيو إلى نهاية كانون الأول/ ديسمبر).

▪ اختيار الأجزاء التي ستدرس (المقالات الافتتاحية، قسم الأعمال، قسم التوظيف).

الخطوة 4 جمع البيانات

تتضمن هذه الخطوة اختيار طرائق جمع البيانات وتحديد نوع المساعدة المطلوبة، ثم يبدأ الباحث بتحديد تكرار الوحدة وبروزها واتجاهها وكثافتها. وتسمى هذه العملية بالترميز (كما سنرى لاحقًا). وبالتحديد، فإن جمع البيانات يعالج الأمور التالية[20]:

▪ **ظهور وحدات البحث**: هل تظهر وحدات البحث في النص أم لا؟ فمثلًا هل يظهر عنصر «الخبرة السابقة» في الإعلانات الأكاديمية عن وظائف في الجامعات؟

▪ **تكرار وحدات البحث في النص موضوع البحث**. فمثلًا، قد تتكرر عبارة «الخبرة السابقة» كمطلب أو شرط للمنصب الأكاديمي في 85 في المئة من الإعلانات.

▪ **أهمية أو ترتيب أولوية الوحدات التي تظهر في الوثيقة**. فمثلًا هل تظهر عبارة «الخبرة السابقة» قبل أو بعد المؤهلات والمنشورات وغيرها. فقد يعرف مدى أولويتها من حيث التركيز عليها والحيز الذي تشغله في النص.

▪ **تقويم الوحدة**: هل هي إيجابية أم محايدة أم سلبية؟ ففي المثال السابق قد ينص الإعلان على أن «الخبرة السابقة» ميزة أو أنها غير ضرورية.

▪ **التركيز على العبارة التي وردت فيها الوحدة**: سيلاحظ الباحث إذا كانت عبارة «الخبرة السابقة» لم يُرَكَّز عليها مطلقًا، أو رُكِّزَ عليها نوعًا ما، أو كان التركيز عليها قويًا أو قويًا جدًا.

▪ **السياق الذي ظهرت فيه الوحدة المدروسة**: يحاول الباحث في هذه الحالة تحديد ما إذا كانت وحدة البحث قد ظهرت وحدها أو مع غيرها من الشروط أو

(20) انظر: K. Martin, *Methodologisches Denken* (Hamburg: Selbstverlag, 1988).

المعايير. وفي المثال السابق سيحاول الباحث تحديد ما إذا كانت عبارة «الخبرة السابقة» قد ظهرت وحدها أو مع فئات أخرى مثل الفئات التي تتعلق بالمكان والمدة الزمنية ومستوى الخبرة. وقد تتخذ هذه العبارات شكل: «خبرة خارج البلاد»، أو «خبرة سابقة لا تقل عن ثلاث سنوات»، أو «خبرة سابقة في المستوى المعلن عنه».

الخطوة 5 تحليل البيانات وتفسيرها

ستحلَّل البيانات في ضوء توجه الباحث وهدف الدراسة. وبالتحديد، يمكن اتباع الخطوات الآتية:

- حساب تكرار الرموز والمؤشرات.
- تحليل الرموز والمؤشرات التي جُمعت في الدراسة.
- تحليل القيم التي نتجت من تحليل الرموز والمؤشرات.
- تحليل شكل التقويم واتجاهه ونوعيته (تحليل التقويم).
- تحليل الملاحظات التي تتعلق بالسياق.

ثم تُكتب النتائج بطريقة وشكل معينين وفقًا لطبيعة الدراسة ونوع الجمهور المستهدف.

1.3.2 تشكيل الفئات

اختيار الفئات وتعريفها

يُعد تشكيل الفئات أو بناؤها إحدى طرائق التعامل مع المحتوى. وتُعرّف الفئة بأنها مجموعة من المعايير التي تدور حول فكرة أو قيمة. فعلى سبيل المثال، في دراسة المعايير التي يعتمدها الشباب في اختيار شريكة الحياة، قد يهتم الباحث بنوعين من المعايير: المعايير المتعلقة بالحب والجاذبية والعاطفة وغيرها، والمعايير المتعلقة بمكانة الوظيفة والممتلكات والأمن الاقتصادي والتعليم وما شابه ذلك. ويستطيع الباحث استخدام فئتين عندما يدرس النصوص: تتعلق **الأولى** بالانفعالية المرتبطة بالمجموعة الأولى من المعايير؛ وترتبط **الثانية** بالعقلانية

المرتبطة بالمجموعة الثانية من المعايير. وفي أثناء التحليل ستُصنّف المعلومات تحت هاتين المجموعتين. وبهذه الطريقة، يستطيع الباحث تحديد الفئة الأقوى أثرًا في الوقت الذي نشرت فيه الوثائق.

تكون بعض الفئات أكثر أهمية للتحليل من غيرها، وهي «الفئات الأساسية». وهناك فئات أخرى ذات أهمية ثانوية (الفئات الثانوية)، وفئات تتعلق بجوانب مهمة، لكنها هامشية (الفئات من الدرجة الثالثة). وبشكل عام، يجب أن تتوافر الخصائص الآتية في أنواع الفئات كلها كما يظهر في الإطار 4.13.

الإطار 4.13

معايير الفئات

يتوقع من الفئات أن تكون:

- واضحة وغير مبهمة.
- مرتبطة بموضوع البحث.
- تركيزها على جزء محدد من موضوع البحث.
- شاملة حيث تغطي الفئات معًا الموضوع كله.
- دقيقة ووحيدة الاتجاه ولا يحلّ بعضها محلّ بعضٍ.
- مستقل بعضها عن بعض.

تتمتع الفئات بالدرجة نفسها من الأهمية في الدراسات النوعية. ويكمن الفرق الوحيد في أنه لا يتم تعريفها بدقة قبل الشروع بالدراسة، بل تظهر في مرحلتي جمع البيانات والتحليل.

اختيار وحدات التحليل والترميز

تكون الوحدات بشكل عام كلمات ورموزًا وعناصر وجملًا وصفات وموضوعات رئيسة ورسائل ومعاني ورموزًا تدل على وجود إحدى الفئات. وينبغي أن يختار الباحث السياق الذي تقع فيه وحدة التحليل. وقد يكون هذا السياق جملة أو فقرة أو فصلًا. وبالتحديد، يعتمد نوع وحدة التحليل على نوع

المحتوى الذي تهدف الدراسة إلى تحليله، سواء أكان المحتوى الظاهر أم المحتوى الكامن.

بعد ذلك يبدأ الباحث بالترميز الذي يتضمن تحديد وجود الوحدات في الوثيقة وتكرارها ومدى التركيز عليها وما إلى ذلك من الأمور، وقد تكون هذه الوحدات ظاهرة أو كامنة. لذلك نجد نوعين من الترميز: الظاهر والكامن. ويتعامل الترميز الظاهر مع أجزاء من النص، أما الكامن فيركز على المعاني التي تزداد وضوحًا من خلال القراءة بشكل عام.

عندما تُجرى الدراسة وفقًا للإطار النوعي، لا ينصبّ التركيز على عملية التعداد بل على تحديد المعاني والمؤشرات للفئات التي تُفسّر جوانب من البحث. لكن هناك دراسات نوعية تستفيد من وجود بعض جوانب موضوع البحث وكثافته.

اختبار الفئات

بعد اختيار الفئات والوحدات والسياقات وتحديدها، تُختبر باستخدام إجراءات إحصائية أو باستشارة خبراء أو باحثين آخرين. فقد يُطلَب من الخبراء مثلًا تحديد الفئات الموجودة في وثيقة واختيار وحدات التسجيل بشكل مستقل، فإذا اتفقت تحليلات الخبراء مع تحليل الباحث الأصلي (بنسبة 80 في المئة تقريبًا)، يكون اختبار الموثوقية مقبولًا، وإلا كان على الباحث أن يُعيد تحديد الفئات ووحدات التحليل، ويُعيد تعريفها أيضًا.

معنى البيانات

يوفر تحليل المحتوى بيانات مثل غيره من طرائق جمع البيانات. وسواء أكانت منهجية البحث كمية أم نوعية، توفّر البيانات معلومات في شأن الفئة السائدة. فإذا كانت منهجية البحث كمية، تُعْرَض البيانات على شكل نسب ورسوم بيانية وجداول وأشكال تدعمها اختبارات إحصائية اختبارات الدلالة. أما إذا استُخدمت المنهجية النوعية، فتُعْرَض البيانات في كلمات أو رسوم بيانية أو جداول دون تحاليل إحصائية.

الإطار 5.13

تحليل المحتوى: مثال

تريد باحثة أن تدرس مكانة المرأة في وسائل الإعلام في حقبة ما قبل الحرب العالمية الثانية. وتُجْري الدراسة كما يلي:

1. قد يكون الموضوع دراسة وفقًا للأنموذج الإرشادي النسوي لحضور المرأة في وسائل الإعلام.

2. يتضمن الحضور جانبين: درجة انخراط المرأة في وسائل الإعلام، وطبيعة هذا الانخراط (كيف ظهرت النساء في وسائل الإعلام وماذا كان دورهن وكيف تم تبرير ذلك؟).

3. تُجمع المعلومات من الصحف الخمس لعام 1938 الصادرة في المنطقة، حيث يتم اختيارها وفقًا لانتشارها.

4. يحدد الباحث عدد مرات الإشارة إلى المرأة وطبيعة دورها الذي ظهرت فيه ومعاني تلك الإشارات والمؤشرات السياقية التي تشير إلى المرأة. ثم يقوم الباحث بإعداد الجداول التكرارية وأوصافها.

5. يبدأ الباحث بعملية تحليل البيانات التي جُمعت وفقًا للمعايير النوعية ليحدد معنى الأرقام وما تشير إليه بالنسبة إلى مكانة المرأة في المجتمع.

6. تتناول التفسيرات القواعد العامة التي ترتكز على القواعد الثقافية التي قد تفسر بعض الجوانب التاريخية لمكانة المرأة في المجتمعات، وأهمية تلك الجوانب بالنسبة إلى حياة المرأة المعاصرة.

2.3.2 الترميز

بشكل عام، يعتمد نوع الترميز الذي يُستخدم في تحليل المحتوى على عدد من العوامل، خصوصًا محتوى الدراسة ومنهجيتها. ويعني الترميز تخصيص رموز للوحدات التي حُددت في الدراسة. وقد تكون هذه الرموز أرقامًا أو كلمات أو رموزًا. فإذا كان البحث يدرس المحتوى الظاهر فإنه سيستخدم الترميز الظاهر، وبالمثل إذا كان الباحث يركز على المحتوى الكامن فإنه يستعمل الترميز الكامن أيضًا.

يعني **الترميز الظاهر** تحديد وجود عناصر النص السطحية الواضحة

وتكرارها، مثل الكلمة والجملة والرمز. وبشكل عام، يعالج التحليل الوحدات الظاهرة الصريحة التي تم اختيارها للتحليل.

يعني الترميز الكامن تحديد وجود الوحدات الدلالية المتعلقة بالمعاني وتكرارها كما عرّفت في المراحل الأولى من الدراسة. وهنا يقرأ الباحث النص ويصفه موضحًا المعايير التي اعتُمدت في الدراسة ويجهز النص للتعداد والتحليل. ويُعد هذا النوع من الترميز أكثر تعقيدًا ويحتاج إلى وقت أطول إذا ما قورن بالترميز الظاهر.

يُستخدم هذان النوعان من الترميز في تحليل المحتوى إما بشكل منفصل أو معًا في الدراسة نفسها. ولأن الترميز الظاهر يتعامل مع وحدات ملموسة لا تتطلب تفسيرًا أو حكمًا شخصيًا، يُعتقد أن هذا الترميز يتمتع بطبيعة أكثر موثوقية من الترميز الكامن. وتلائم الرموز والترميز الدراسات النوعية أكثر من غيرها، على الرغم من أن طريقة إجراء الترميز قد تختلف وتتنوّع.

4.2 طرائق تحليل البيانات

1.4.2 التحليل الكمي

هناك طرائق وتقنيات متعددة ومتنوعة يستخدمها الباحثون الكمّيون لتحليل البيانات التي جُمعت بطريقة تحليل المحتوى. وفي ما يلي أمثلة لبعض هذه الطرائق[21]:

- **التحليل الوصفي**: يعني التحليل هنا إحصاء عدد مرات ظهور عناصر معينة من البحث ومقارنتها مع عناصر أخرى.

- **التحليل الفئوي**: دراسة الوثائق وفقًا لمجموعة من الفئات، ما يؤدي إلى بيانات اسمية أو ترتيبية أو دورية ستعالج إحصائيًا في ما بعد.

- **التكافؤ والتركيز**: تعالَج البيانات في هذا النوع من التحليل وفقًا لمقاييس

---

(21) N. Pannas, *Politiki kai Koini Gnomi* [*Politics and Public Opinion*] (Leipzig: Selbstverlag, 1996); N. Sofos, *Quantitative Analyse* (Berlin: Selbstverlag, 1990).

متدرجة، وفي ضوء معايير نظرية. ولا يكون للمقاييس في تحليل التكافؤ معايير منفصلة، لكن لها قيمًا قطبية مثل «مع» أو «ضد». كما يستخدم تحليل مدى التركيز مقاييس متدرجة[22].

▪ **تحليل الاحتمالات**: تحليل دلالي للنص يُستخدم لاستخلاص استنتاجات من النص في شأن شخصية المؤلف[23].

▪ **التحليل السياقي**: دراسة التسلسل الذي تظهر فيه بعض المفاهيم في نصوص محددة. إن ظهور بعض المفاهيم معًا ليس عفويًا، بل يُعبّر عن أنساق الكاتب الفكرية، أو عن مقاصد المتكلم. ويُعتقد أن هذه الحالات تدل على «التمثيلات المعرفية للواقع الاجتماعي».

2.4.2 التحليل النوعي

يختلف نوع تحليل المحتوى المستخدم في البحوث النوعية عنه في البحوث الكمية. وتتعلق الاختلافات بالمعايير والمبادئ النظرية والمنهجية للتحليل النوعي، مثل الانفتاح والقابلية للتواصل والطبيعيّة والتفسير. وباختصار، تُحلّل البيانات النوعية كما يلي:

بعد التأكد من وحدات التحليل (نص من كتاب أو تسجيل لمقابلة أو أي شكل من أشكال التواصل اللغوي أو المرئي)، يحدِّد الباحث ويقوّم العناصر التي تبدو مهمة وذات معنى من الناحية النظرية، ويحاول ربطها بالسؤال الأساس للدراسة. ويكمن جوهر التحليل النوعي في إعادة بناء حالات محددة وتحديد بنى نمطية.

في بعض الحالات يدرس الباحث النص دلاليًا ونحويًا، ويستخدم قواعد المنطق، ويربط معاني أجزاء النص بالنص كاملًا وبتفكير الكاتب بشكل عام، ثم

---

(22) Lamnek, *Qualitative Sozialforschung*.

(23) K. Merten, *Inhaltsanalyse: Einführung in Theorie, Methode und Praxis* (Opladen: Westdeutscher Verlag, 1983).

يصوغ الفرضيات الملائمة[24]. وفي حالات أخرى تُعدّ عمليات جمع البيانات وتحليلها محاولة لتحديد معايير في النص قد تشير إلى أفعال أو آثار أو عبارات ومبادئ تسمح باستخلاص استنتاجات عن الخلفية الانفعالية والمعرفية والسلوكية لطرفي التواصل. ويقترح ميرنغ[25] طرائق عدة للتحليل كما يلي:

- **تحليل المحتوى الختامي**: تختصر البيانات، حيث يتكامل النص وتبقى العناصر المهمة، ويصبح النص واضحًا وشفافًا.

- **بناء الفئات الاستدلالي**: يستمر الباحث بتلخيص البيانات لتكوين فئات من البيانات تدريجًا. ويؤدي المزيد من العمل وتحليل الفئات إلى تشكيل فئات شاملة تخضع لمزيد من التحليل والبحث للحصول على النتائج المرجوّة.

- **تحليل المحتوى التفسيري**: يهدف هذا التحليل إلى تفسير الأجزاء غير الواضحة من النص (مفاهيم أو جمل). ويتطلب ذلك جمع بيانات إضافية بطريقة منتظمة ومنضبطة بطريقتين: استخدام معلومات من النص نفسه (تحليل المحتوى الضيّق)؛ أو من مصادر أخرى غير النص المدروس (تحليل المحتوى الواسع). وأهم ميزة لهذا التحليل التفسيري إشارته إلى السياق لأن التحليل هنا يعني التفسير من خلال السياق (وبعبارة أخرى فهو تحليل السياق).

- **تحليل السياق البنيوي**: تطوير بنية معينة بوضع المواد في ترتيب معين وفقًا لمعايير محددة سابقًا[26]. وقد تتعلق هذه الهيكلة بمعايير شكلية (الهيكلة الشكلية)، أو بمعايير المحتوى (هيكلة المحتوى) أو بمعايير النوع أو البعد (هيكلة النوع)، أو

---

(24) H. Danner, *Methoden Geisteswissenschaftlicher Pädagogik* (Munich: E. Reinhardt, 1979); Sofos, *Quantitative Analyse.*

(25) P. Mayring, *Grundlagen und Techniken qualitativer Inhaltsanalyze* (Munich: University of Munich, 1983); P. Mayring, «Qualitative Inhaltsanalyze,» in: H. Jüttemann, ed., *Qualitative Forschung in der Psychologie: Grundfragen, Verfahrensweisen, Anwendungsfelder* (Weinheim: Beltz, 1985); P. Mayring, *Qualitative Inhaltsanalyse: Grundlagen und Techniken* (Munich: Dt Studien Verlag, 1988); P. Mayring, «Qualitative Inhaltsanalyse,» in: U. Flick et al., eds., *Handbuch Qualitative Sozialforschung* (Munich: Psychologie Verlags Union, 1991); P. Mayring, «Qualitative Inhaltsanalyse,» in: U. Flick, E. von Kardorff and I. Steinke, eds., *Qualitative Forschung: Ein Handbuch* (Reinbek bei Hamburg: Rowohlt, 2000).

(26) Mayring, Ibid.; p. 75.

بمعايير ترتبط بتطوير أبعاد الهيكلة التي يمكن تصنيفها إلى فئات منفصلة. ويساعد هذا في تطوير تعريفات لأمثلة نمطية وتحديدها، ووضع دليل للترميز، ما يجعل عملية الهيكلة أكثر دقة.

▪ **التفسير الموضوعي**: طريقة لتحليل المحتوى وطريقة للبحث أيضًا (انظر الفصل الرابع عشر) تهدف إلى الكشف عن البنى الكامنة للمعنى التي ترتكز عليها الأشكال المنفردة للسلوك التي توجه الفعل الفردي. ويهتم هذا التفسير بتفسير المواقف الاجتماعية موضوعيًا وذاتيًا وبطريقة توضع فيها المعاني الذاتية قبالة بنى المعنى الكامنة (التفسيرات الموضوعية).

تاريخيًا، هناك تحول واضح في طرائق تحليل المحتوى من الكمية إلى النوعية. ومع أن الطريقتين مستعملتان، هناك طرائق أخرى لتحليل المحتوى في الوقت الحاضر.

5.2 تحليل المحتوى في عصر الحاسوب

تسمح طبيعة تحليل المحتوى باستخدام العمليات الحاسوبية. كما أن تعامل هذه الطريقة مع كلمات ورموز يسهّل من استخدام الوسائل الإلكترونية التي تساهم في قراءة النص وحساب تكرار الوحدات والفئات، وفي التحليل الفعلي للنتائج. وهناك برامج حاسوبية للمساعدة في هذه المهمات مثل جنرال إنكوايرر (The General Inquirer) وأكسفورد كونكوردانس بروغرام (Oxford Concordance Program).

يُستخدم برنامج «جنرال إنكوايرر» في تحديد تكرار المفردات ومقارنتها. ويستطيع الحاسوب تحديد مفاهيم مهمة في النص آليًا، وحساب تكرارها وعرض النتائج في رسوم بيانية وترتيبها في فئات، وإجراء بعض الاختبارات الإحصائية الأساسية، وذلك باستخدام برامج مثل: KWIC (الكلمات المفتاحية في سياق) وKWOC (الكلمات المفتاحية خارج السياق)، وINTEXT وMAX وATLAS.ti. وسنعرض مزيدًا من البرامج الحاسوبية التي يمكن استخدامها في تحليل المحتوى في قسم آخر من هذا الكتاب، لكننا سنوضح هنا برنامجين فقط.

جرى تطوير برنامج TEXTPACK للاستخدام في تحليل المحتوى حيث يوفر إجراءات لمعالجة النص وترميزه واستطلاعه. وهو مزود بوسيلة آلية لترميز النص بمساعدة قاموس يختاره الباحث ويحوي الرموز. ويستطيع هذا البرنامج أن يحسب تكرار الوحدات وجوانب أخرى، حيث تنسجم هذه الإجراءات مع برامج إحصائية مثل SPSS وSAS.

هناك أيضًا برنامج AQUAD ذو الوظائف المتعددة كما في البرنامج السابق. ويتم تحليل المحتوى وفقًا لهذا البرنامج ابتداءً من تلخيص النص إلى إعادة بنائه ثم مقارنته بغيره. ففي أثناء تلخيص النص تُختصر الاختبارات وتفسَّر باعتبارها وحدات ذات معنى وتُرتَّب وفقًا للوحدات التي حُدِّدت في بداية الدراسة. وفي المرحلتين الثانية والثالثة، يرتفع مستوى التحليل إلى مستوى أعلى وأكثر تعقيدًا حيث تُعرض البيانات في جداول أو مصفوفات خاصة بالنص والرموز.

6.2 مزايا تحليل المحتوى وعيوبه

بما أن تحليل المحتوى طريقة وثائقية، فهو يتمتع بجميع مزايا الطرائق الوثائقية الأخرى التي عُرضت سابقًا ويعاني عيوبها. وسنذكر بعض الجوانب في ما يلي:

المزايا

- تحليل المحتوى لا يتدخل في شؤون الآخرين، ولذلك لا يؤثر في المبحوثين.

- يمكن استعمال تحليل المحتوى عندما لا يكون من الممكن الوصول إلى موضوع البحث أو وحداته. ففي بعض الحالات لا يكون الوصول إلى موضوع البحث ممكنًا، ولا يمكن التعامل معه بطرائق أخرى. وحينئذٍ يكون تحليل المحتوى هو الطريقة الوحيدة لتوليد المعلومات.

- لا يتطلب تحليل المحتوى مبحوثين، لذلك فهو يتجنب الصعوبات المتعلقة بهم كلها.

- إن كون تحليل المحتوى يتعامل مع بيانات جاهزة وليس فيه مبحوثون، يُجنّبه تحيز الباحث.

- يُعدّ توافر مادة البحث ميزة كبيرة. فالنصوص موجودة وجاهزة للاختبار وإعادة الاختبار، وهذا غير ممكن عندما يكون العنصر البشري أساسيًا للبحث.
- طريقة قليلة التكاليف مقارنة بغيرها من الطرائق مثل الدراسة المسحية.
- تحليل المحتوى أقل تحيزًا من الطرائق الأخرى، لأن النصوص توفر المعلومات بشكل محايد وجاهز للبحث.

العيوب

- قد لا يكون الوصول إلى بعض الوثائق ممكنًا، مثل الرسائل الشخصية والمذكرات.
- تشمل الوثائق معلومات عن عدد قليل من الناس وتاليًا فهي غير ممثلة.
- لا يستطيع تحليل المحتوى دراسة الحوادث غير المدونة أو الموثقة، لذلك فهو يقتصر على دراسة الحوادث الموثقة وحسب.
- لا تكون الوثائق أحيانًا كاملة، ولذلك تكون المعلومات متحيزة وغير موثّقة.
- تحليل المحتوى أقل قابلية للمقارنة من غيره من الطرائق.
- يتأثر تحليل المحتوى بتحيز الشخص الذي يقوم بالترميز.

تجدر الملاحظة إلى أن تحليل المحتوى طريقة متنوعة، وتاليًا فإن النقاط الرئيسة التي ذكرت آنفًا قد لا تنطبق على أنواعه كلها. وعلاوة على ذلك، فإن ما يُعدّ مزايا في بعض السياقات (النماذج الكمية) قد يكون عيوبًا في سياقات أخرى (النماذج النوعية...) والعكس صحيح.

ثالثًا: تحليل النص

ذكرنا سابقًا أن دراسات الوثائق تجرى على مستويات مختلفة، وفي سياقات مختلفة، ووفقًا لمنهجيات مختلفة. فهي طريقة لجمع البيانات أحيانًا، وفي أحيان أخرى تمثل قوالب بحثية تستخدم مبادئ معرفية معقدة، وتتبنى طرائق للتفكير

تختلف عن الطريقة التي ذُكرت في القسم السابق. وما يميزها هو التركيز على فهم النص. وبشكل عام تسمى هذه الطريقة لتحليل الوثائق «طريقة تحليل النصوص»، حيث يُنْظَر إلى العالم أحيانًا على أنّه عبارة عن نص.

سنوضح في هذا القسم ثلاثة أشكال من تحليل النصوص: تحليل الخطاب والتأويل ومابعد الحداثة.

1.3 تحليل الخطاب

1.1.3 ما تحليل الخطاب؟

يُعد تحليل الخطاب تطبيقًا دقيقًا لتحليل المحتوى في سياق نوعي. فهو يتعلق بعملية التواصل والنصوص واللغة والكلام والمحادثة وطرائق النظر إلى العالم الاجتماعي وتصنيفه والتفاعل معه في أنواع النشاط اليومية[27]. تُدرَس اللغة في تحليل الخطاب كما تظهر في النصوص الاجتماعية، أي حيث تظهر باعتبارها نتاجًا اجتماعيًا، في شكل محكيّ أو مكتوب. ببساطة، يدرس تحليل الخطاب المناقشات الجماعية ونصوص المقابلة والوثائق السياسية.

2.1.3 موضوع تحليل الخطاب

يركز هذا الأنموذج على الخطابات التي تعرّف بأنها إطارات معانٍ مبنية اجتماعيًا وتشكل قواعد توجيهية أو معايير أو تقاليد يعبَّر عنها بجمل تتضمن معلومات في شأن ما هو ملائم أو غير ملائم، مسموح به أو غير مسموح، مقبول أو غير مقبول، قيّم أو غير قيّم. والناس يعرفون هذه القواعد ويطبقونها في حياتهم بشكل لاشعوري ويقبلونها أمورًا مُسلّمًا بها. وبمزيد من التحديد فإن الخطابات:

- مبنيّة اجتماعيًا وثقافيًا وتعكس جوانب من سياقها الاجتماعي الثقافي.

(27) J. M. Atkinson and J. Heritage, *Structure of Social Action: Studies in Conversational Analysis* (Cambridge: Cambridge University Press, 1984); V. Jupp, «Documents and Critical Research,» in: R. Sapford and V. Jupp, eds., *Data Collection and Analysis* (London: Sage, 1996), p. 300; H. Marshall, «Discourse Analysis in an Occupational Context,» in: C. Cassell and G. Symon, eds., *Qualitative Methods in Organisational Research* (London: Sage, 1995).

- تعتمد على البنى الاجتماعية والمتكلمين والجمهور المستهدف (إذ تختلف المعاني وفقًا لذلك).
- متّصلة بنتائج القوة.
- تعكس السياق الاجتماعي وهي جزء منه[28].

الإطار 6.13

ما تحليل الخطاب؟ يتعامل تحليل الخطاب مع الخطابات التي هي إطارات للمعاني مبنيّة اجتماعيًا وتؤثر في الناس والقواعد أو المعايير أو التقاليد. ويدرس تحليل الخطاب اللغة بشكل رئيس، خصوصًا طبيعتها البناءة التي توجّه الفعل. واللغة والخطاب ليسا مجرد كلمات وجمل. إنهما طرائق للتعبير عن الذات؛ وفي تحليل الخطاب يكون للغة بحد ذاتها قيمة، وهي موضوع الدراسة حيث يدرس الباحثون تركيبها وخصائصها وأنساقها المتكررة. ويحاول تحليل الخطاب تحديد الطرائق التي تحدث فيها التباينات وأسباب حدوثها.

لا تنطوي الخطابات على معايير الحياة الاجتماعية فحسب، بل تنتج أيضًا نُسَخًا من العالم والمجتمع والحوادث والعوالم النفسية الداخلية[29]. وينظر إلى الخطاب باعتباره دليلًا وسيطًا للعمليات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ومخرجاتها.

أغراض تحليل الخطاب

يهدف تحليل الخطاب إلى دراسة كيفية بناء أو تشكيل معاني الظواهر الاجتماعية كما يستخدمها الناس لفهم حياتهم. وإذا عرفنا أن المعاني تنتقل وتجري مشاركتها ثقافيًا بين الناس، فإن الخبرات الشخصية أكثر أهمية وتوفر معلومات أكثر من الآراء ووجهات النظر الشخصية. وبالتحديد، يمكن وصف تحليل الخطاب باعتباره ميدانًا يُعْنى بما يلي[30]:

(28) انظر: H. Marshall, «Discourse Analysis in an Occupational Context,» in: C. Cassell and G. Symon, eds., *Qualitative Methods in Organisational Research* (London: Sage, 1995).

(29) J. Potter, «Discourse Analysis as a Way of Analyzing Naturally Occurring Talk,» in: D. Silverman, ed., *Qualitative Research: Theory, Method and Practice* (London: Sage, 1997), p. 146.

(30) J. Potter and M. Wetherell, «Analyzing Discourse,» in: A. Bryman and R. G. Burgess, eds., *Analyzing Qualitative Data* (London: Routledge, 1994), p. 48.

- الخبرات الإنسانية التي يتضمنها الخطاب أو يؤثر فيها.
- «الكلام والنص والممارسات الاجتماعية» و«المحتوى اللغوي» (المعاني والموضوعات).
- البنية اللغوية (القواعد والتماسك اللغوي).
- الفعل والبناء والتنوع.
- التنظيم البلاغي والجدلي.

الإطار 7.13

ما الذخيرة اللغوية؟

تشمل الذخيرة اللغوية مجموعات من المفردات والأوصاف والعبارات المجازية؛ فهذه هي أحجار البناء التي تبنى منها التراكيب أو العمليات المعرفية والأفعال والسياسات وغيرها من الظواهر. وتمكننا دراسة الذخيرة اللغوية والتفسيرية التي تتجلّى في النصوص الاجتماعية من التعرف إلى خلفية المتحدث من حيث القواعد والمبادئ. وتحتل دراسة اللغة موقع القلب من تحليل الخطاب.

يتعامل تحليل الخطاب مع اللغة بشكل أساسي، خصوصًا طبيعتها البناءة التي توجّه الأفعال. فاللغة والخطاب ليسا مجرد كلمات وجمل. وبهذا المعنى، يحاول تحليل الخطاب الإجابة عن الأسئلة التالية: كيف يُستَخدَم الكلام والمفردات؟ وكيف ترتبط الخبرات الشخصية بمفهوم القوة أو السلطة؟[31]. ويركز تحليل الخطاب على كيفية تنظيم الخطاب بناءه، وعلى أثر بعض أشكال الخطاب في القراء.

يكون البحث هنا عن التراكيب اللغوية التي تعبّر عن الذخيرة التأويلية التي يستخدمها الناس لفهم حياتهم. وتشمل الذخيرة التأويلية التي تشير إلى الكفاية اللغوية مجموعات متشابكة من المفردات والأوصاف والعبارات المجازية، التي

(31) Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit.*

تشكل وحدات البناء للتراكيب والعمليات المعرفية والأفعال والسياسات وغيرها من الظواهر[32].

تتغير التراكيب اللغوية وفقًا للهدف منها. لذلك يحاول تحليل الخطاب أن يحدد الطرائق التي تتغير بها التراكيب اللغوية، ويُبيّن أسباب التغير والتنوّع. وتُمكّن دراسة التراكيب اللغوية والذخيرة اللغوية التي تظهر في النصوص الاجتماعية من معرفة المبادئ والقواعد الكامنة عند المتحدث. وتاليًا، فإن معرفة الخبرات الشخصية للمتحدث تُمكّن الباحث من استطلاع المبادئ والمعايير التي تشكل حياة الناس العاديين.

عملية تحليل الخطاب

موضوع التحليل هنا هو اللغة والنص. وكما ذكر عدد من الباحثين[33] فإن جوهر تحليل الخطاب يكمن في طريقة تعامله مع اللغة بصفتها وحدة للتحليل. فاللغة والخطاب طريقتان لتعبير الأفراد عن أنفسهم. وفي عملية تحليل الخطاب تكون للغة بحد ذاتها قيمة معينة، حيث إنها موضوع الدراسة التي يدرس الفرد بنيتها وخصائصها وثوابتها والأنماط المتكررة فيها.

يستند القالب البحثي لتحليل الخطاب إلى عدد من نماذج البحث النوعي الإرشادية التي تكون فيها البنائية والتأويلية هي الأهم، ويضاف إليهما الأنموذج الإرشادي النقدي. وفي ضوء ذلك يجري تحليل الخطاب في إطار المنهجية النوعية كما هو الحال في تحليل المحتوى النوعي. ويكمن الفرق بينهما في مركزية الخطاب والتركيز على النص واللغة والذخيرة اللغوية. وببساطة، يمكن عرض أنموذج البحث في تحليل الخطاب كما يلي:

---

(32) M. Wetherell and J. Potter, *Mapping the Language of Racism* (Hemel Hempstead: Harvester/ Wheatsheaf, 1992).

(33) Jupp, «Documents and Critical Research»; Marshall, «Discourse Analysis in an Occupational Context»; Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit*; Wetherell and Potter, *Mapping the Language of Racism*.

تحليل الخطاب: مثال

1. اختيار الموضوع

مثال: المكانة الاجتماعية للإثنيات

اختيار القالب البحثي

مثلًا، تحليل الخطاب

2. تحديد وحدة البحث

مثلًا، الذخيرة اللغوية المتاحة للمبحوثين

3. اختيار العينة

مثلًا، اختيار 15 مبحوثًا اختيارًا عشوائيًا

اختيار الطريقة

مثلًا، المقابلات غير المقيدة

4. جمع البيانات

اختيار طريقة جمع البيانات (المقابلات مثلًا)

إجراء المقابلات وتسجيلها وتفريغها

إجراء المقابلات كتفاعل - تحديد الذخيرة اللغوية للمبحوث وممارسته الخطابية، وإنتاج «نصّ اجتماعي»

5. تحليل البيانات

- قراءة النصوص بدقة وإعادة القراءة.
- تحديد الذخيرة اللغوية، أي الأنماط المتكررة في تنظيم النص ومحتواه.
- تحديد سياق الذخيرة اللغوية.
- تحديد أمثلة متشابهة أو متباينة أو متنوعة من حيث ما يُقال.
- انتقاء أمثلة تشير إلى ذخيرة محددة واحدة، وإعادة هذه العملية، ووضعها بعنوان معين. والثبات بين المقابلات أو في أثنائها مؤشر على استخدام نمط معين.
- دراسة التباينات لتحديد عدد الأنماط التي يستخدمها المشاركون، ودراسة الأمثلة كلها لتحديد كيفية استخدامها.
- التحقق من بعض العواقب الممكنة الناجمة عن استعمال أنماط مختلفة.
- دراسة العلاقة بين الذخائر اللغوية. هل هناك علاقة بينها، هل تتكامل أم تتناقض؟

6. كتابة البحث

ينبغي اتباع إرشادات البحث النوعي في كتابة تقرير البحث.

يتبع تفسير النتائج القواعد العامة لتحليل المحتوى، لكن ضمن الإطار النقدي النوعي. وهناك أساليب أخرى للتفسير تعتمد على أنماط نظرية أخرى سنعرضها في ما بعد. ولا حاجة إلى القول إن تحليل الخطاب يستطيع التعامل مع بيانات جمعت سابقًا وعُرضت في وسائل الإعلام. وحيثما يوجد نص يكون تحليل الخطاب طريقة مفيدة للتحليل.

الإطار 8.13

ما هو التأويل؟ تقنية خاصة في تفسير النصوص ترتكز على الفهم، لكنها لا تركّز على ماذا نفهم بل على كيف نفهم؟ فهي عملية فهم؛ أي كيف نفهم العالم من حيث العملية والقواعد والنسق والأوضاع الخفية والطريقة التي ينتقل بها التفسير والفهم من جيل إلى آخر.

2.3 التراث التأويلي

1.2.3 مقدمة

يركز التأويل على تفسير النص نحويًا ونفسيًا. وبشكل عام، يدل هذا المنهج على فن ترجمة النصوص (تفسير التوراة والكتب الدينية)، ويشكل منهجًا للتعامل مع النصوص والتعبيرات الثابتة للحياة البشرية بهدف فهمها وتفسيرها ومن أوجدها. ويكمن جوهر هذا المنهج في الفهم، خصوصًا كيف يتم الفهم بدلًا من التركيز على ما يقتضيه الفهم. فهو يدور حول العملية والقواعد والنمط والأوضاع الخفية والطرائق التي ينتقل فيها الفهم والتفسير إلى الناس من خلال التفاعل الاجتماعي[34].

(34) W. Farber, *kunstlehre der Erklärung* (Graz: Selbstverlag, 2001); H.- G. Gadamer, *Wahrheit und Methode, Grundzüge einer philosophischen Hermeneutik* (Tübingen: Mohr, 1975); A. Honer, «Bausteine zu einer Lebensweltorientierten Wissenssoziologie,» in: R. Hitzler, J. Reichertz and N. Schröer, eds., *Hermeneutische Wissenssoziologie* (Konstanz: UVK, 1999); H.-G. Söffner, «Sozialwissenschaftlice Hermeneutik,» in: U. Flick, E. von Kardorff and I. Steinke, eds., *Qualitative Forschung: Ein Handbuch* (Reinbek bei Hamburg: Rowohlt, 2000), p. 164.

يهدف ذلك إلى استخلاص مقاصد المؤلف ومعانيه. ويقتضي ذلك الرجوع في الزمان إلى الوقت والمكان والسياق الذي عاش فيه المؤلف لمحاولة فهم المعاني التي يقصدها، والسياق الذي كتب فيه النص. وبذلك يصبح الفهم عملية معقدة توصل الباحثين والمنظرين إلى مستويات متعددة من الحياة البشرية وبأشكال مختلفة مثل التأويل النقدي والتأويل الحواري[35]، والتأويل الموضوعي[36].

وسنصف المنهج الأخير بالتفصيل في ما يلي.

2.2.3 التأويل الموضوعي

كان أوفرمان (Overmann) أول من وضع هذا المنهج في عام 1983[37] وهو يدرس التفاعلات المتضمنة في النصوص ويُعيد بناء البنى الموضوعية للمعاني في النص[38]. وباختصار، يرتكز التأويل الموضوعي على الافتراضات الآتية[39]:

(35) B. Scheele, «Dialogische Hermeneutic,» in: Flick et al., eds., *Handbuch Qualitative Sozialforschung* (Munich: Psychologie Verlags Union, 1991).

(36) M. Lenssen and S. Aufenanger, «Zur Rekonstruktion von Interaktionsstrukturen. Neue Wege zur fernsehanalyze,» in S. Aufenanger and M. Lenssen, eds., *Handlung und Sinnstruktur: Bedeutung und Anwendung der objektiven Hermeneutik* (Munich: Kindt, 1986).

(37) V. Övermann et al., «Die Methodologie einer «objectiven Hermeneutik» und ihre allgemeine forschungslogische Bedeutung in der Sozialwissenschaften,» in: H.-G. Söffner, ed., *Interpretative Verfahren in der Sozialund Textwissenschaften* (Stuttgart: Metzler, 1979); V. Övermann et al., «Die Methodologie einer «objectiven Hermeneutik,» in: P. Zedler and H. Moser, eds., *Aspekte qualitativer Sozialforschung: Studien zu Aktionsforschung empirischer Hermeneutik und reflexiver Sozialtechnologie* (Opladen: Leske und Budrich, 1983).

(38) J. Reichertz, «Objektive Hermeneutik und hermeneutische Wissenssoziologie,» in: U. Flick, E. von Kardorff and I. Steinke, eds., *Qualitative Forschung: Ein Handbuch* (Reinbek bei Hamburg: Rowohlt, 2000), p. 514; J. Reichertz, «Objektive Hermeneutik,» in U. Flick et al., eds., *Handbuch Qualitative Sozialforschung* (Munich: Psychologie Verlags Union, 1991).

(39) S. Aufenanger and M. Lenssen, eds., *Handlung und Sinnstruktur: Bedeutung und Anwendung der Objektiven Hermeneutik* (Munich: Kindt, 1986); R. Bohnsack, *Rekonstructive Sozialforschung: Einfürung in Methodologie und Praxis qualitativer Forschung* (Opladen: Leske and Budrich, 1993); *Rekonstruktive Sozialforschung: Einführung in Methodologie und Praxis* (Opladen: Leske and Budrich, 1999); T. Heinze, *Qualitative Sozialforschung: Erfahrungen, Probleme und Perspektiven* (Opladen: Westdeutscher Verlag, 1987), p. 77; Övermann et al., «Die Methodologie einer «objectiven Hermeneutik» und ihre allgemeine forschungslogische Bedeutung in der Sozialwissenschaften»; Övermann et al., Die Methodologie einer «objectiven Hermeneutik.»

■ هناكَ معانٍ كامنة وراء الأفعال الفردية.

■ توجد المعاني الكامنة بشكل مستقل وفي النهاية تصبح أشكالًا مستقلة من واقع الناس المتفاعلين معًا وتوجه أفعالهم سواء أكانوا واعين لوجود هذه المعاني أم لا.

■ الأفعال الفردية تعبّر عن بنى كامنة موضوعية.

يهدف التأويل الموضوعي إلى الكشف عن بنى المعاني الكامنة ومقارنتها بالمعاني التي يستخدمها الأفراد. وتمكننا هذه المقارنة من تحديد مكانة الأفعال والمعاني الفردية، ويجري التحليل في هذا السياق بتطبيق سلسلة من الإجراءات المعقدة. وهناك ثلاث طرائق أو استراتيجيات أو أشكال لتفسير النصوص يمكن للباحثين استخدامها[40]. وهذه الطرائق: التحليل الدقيق والتحليل التسلسلي والتحليل البنيوي.

إن التأويل الموضوعي ملائم جدًا لتحليل الحالات الفردية، لذلك فهو لا يلائم تحليل العينات الكبيرة. وكما ذكرنا سابقًا، لا يضمن نتائج صادقة إلّا البيانات الناتجة من عينة غير مقننة وتفسيرها التأويلي الموضوعي[41].

يكمن العنصر الأساس في هذا التحليل في المقارنة المستمرة لمعاني نصوص معينة بنصوص الواقع الحياتي، ويُرَى هذا على هيئة حلزون، هو الحلزون التأويلي الذي يرتكز على الاعتقاد أن «فهم النصوص يتصاعد إلى الأعلى من خلال لولب من الفهم: تحليل معاني نصوص معينة وربطها بالعالم الواقعي الذي حدثت فيه، ثم إعادة تفسير النصوص من جديد»[42].

---

(40) Reichertz, «Objektive Hermeneutik und hermeneutische Wissenssoziologie,» p. 517; Lamnek, *Qualitative Sozialforschung*; Övermann et al., Ibid.; Övermann et al., Ibid.

(41) Reichertz, Ibid., p. 517.

(42) N. Foster, «The Analysis of Company Documentation,» in: C. Cassell and G. Symon, eds., *Qualitative Methods in Organisational Research* (London: Sage, 1995), p. 150.

الإطار 9.13

ما الحلزون التأويلي؟
هو تقنية تُستعمل لربط الكل غير المعروف بالأجزاء المعروفة والتوصل إلى فهم كامل. ويرتكز هذا على الافتراض بأن الكل والأجزاء يعتمد بعضها على بعض؛ فالسياق هو الذي يوفر القواعد التي توجه بنية الأجزاء المكونة له، وفعلها. وتاليًا فإن الأجزاء تحمل طابع السياق. وتساعد معرفة الأجزاء في فهم الكل والعكس صحيح. فالفهم دائري أو لولبي، وتاليًا فإن معنى الجملة يفهم عندما تكون الكلمات معروفة، وتعتمد معاني الكلمات على السياق وهو الجملة.

سنرى في الإطار 10.13 وصفًا موجزًا لهذه العملية ومثالًا لكيفية عمل هذا التحليل في واقع الحال[43].

الإطار 10.13

الحلزون التأويلي	
الخطوات	المهمات
الخطوة 1: تحديد معاني النصوص الفردية وفهمها	- اقرأ نصوصًا وابحث في نص واحد منها عن الأفكار ثم ابحث عنها في مجموعة من النصوص. - اهتم بتحليل النصوص وأوصافها. - استمر في البحث بالتركيز على المعاني وليس على التحليل. - حدد افتراضات الكاتب ووجهات نظره المسلّم بها. - عزز فهم الأفكار الرئيسة والفرعية. - ركز على تكرار المعاني لتقويم أهميتها. - تفحص المعاني وطبيعتها وأهميتها في السياق الأوسع. - عزّز العملية ونوّعها بفهم السياقات الأخرى، والسياقات في النصوص الفردية. - تحقّق من كيفية ارتباط السياقات وحدد أوجه التناقض بينها.

(43) Reichertz, «Objektive Hermeneutik und hermeneutische Wissenssoziologie»; Foster, «The Analysis of Company Documentation.»

الخطوة 2: تحديد الأفكار الرئيسة والفرعية	- اربط الأفكار الرئيسة بعضها ببعض. - ابحث عن فكرة مركزية توفر إطارًا أكبر لفهم الأفكار الفرعية المتناقضة.
الخطوة 3: تحديد مجموعات الأفكار المترابطة	- تحقّق من جمع النصوص التي تشترك في المعاني الرئيسة في مجموعة واحدة. - صنف الوثائق وفقًا لتماسكها ومنطقها الداخلي.
الخطوة 4: ابحث عن البيانات الوثائقية في أكثر من مصدر	- قارن البيانات بنصوص أخرى أو بنصوص لمؤلفين آخرين، حيث تكون لها تفسيرات مختلفة لقضية الدراسة. - ارجع إلى نصوص أخرى وأشكال أخرى من البيانات لتقوّم المعنى الحقيقي لأجزاء النص.
الخطوة 5: التأكد من الصدق والثبات	- اطلب من باحثين آخرين التأكد من دقة الدراسة والتزامها. - اطلب من آخرين التأكد من أن المقتبسات ممثلة للنصوص التي أُخذت منها. - تأكد من أن الباحثين لم يتأثروا بأفكارهم المسبقة وبآرائهم الشخصية. - تأكد من أن الباحث التزم بتطبيق الحلزون التأويلي.
الخطوة 6: إعادة وضع البيانات الوثائقية في سياقاتها	- قارن البيانات مرة أخرى بالسياقات التي أُخذت منها. - قارن البيانات بالنتائج من المستوى نفسه بدراسات أخرى للتأكد من وضعها العام.
الخطوة 7: اختيار مادة ممثّلة	- اختر مجموعة من الوثائق التي يمكن أن تنشر.

يُعدّ التأويل الموضوعي طريقة بحث مفيدة في عملية تحليل النصوص، وهو يستخدم في مجالات متعددة. ومثال ذلك دراسة إعلانات الاتصالات الشخصية في وسائل الإعلام[44]، وميادين الطب النفسي والتفاعل الاجتماعي هي الأشدّ

(44) K. Nagler and J. Reichertz, «Kontaktanzeigen: Auf der Suche nach dem anderen den man nicht kennen will,» in: S. Aufenanger and M. Lenssen, eds., *Handlung und Sinnstruktur: Bedeutung und Anwendung der Objectiven Hermeneutik* (Munich: Kindt, 1986).

تقبّلًا لهذه الطريقة. ويعد التأويل الموضوعي أشهر وسيلة نظرية ساهمت بقوة في البحث النوعي في كل من ألمانيا وسويسرا والنمسا[45].

3.3 مابعد الحداثة

1.3.3 الخصائص العامة

ظهرت مابعد الحداثة بعد الحرب العالمية الثانية، وكانت في بدايتها مرتبطة بالراديكاليين النظريين البعيدين من الفعل[46] الذين تبنوا الفلسفات الفوضوية والوجودية والعدمية، خصوصًا الفلاسفة أمثال هايدغر (Heidegger) ونيتشه (Nietzche) وفتغنشتاين (Wittgenstein). ثم أصبحت ما يُشار إليه في الأغلب بأنّه مدرسة في الفكر نخبوية وعلى الزيّ الدارج. وبشكل عام، فإنها تمثل اتجاهًا مختلفًا من التفكير والعمل الأكاديمي، وتتخذ موقفًا ناقدًا لكل شيء في التفكير الحديث والعلم والعالم[47].

نهتم هنا أساسًا بطريقة إجراء البحوث وفقًا لمنهجية مابعد الحداثة، لأننا نعلم مسبقًا أن معايير البحث في أي منهجية تحكمها المبادئ والمعايير الفلسفية التي تقوم عليها. وبعبارة بسيطة، يُجري مابعد الحداثيين بحوثهم وفقًا للطريقة التي يعرّفون بها الواقع والمعرفة والعلم. لذلك لا بد من استطلاع هذه المعايير قبل البدء في عملية البحث في مابعد الحداثة.

ينتقد باحثو مابعد الحداثة أساس المنهجية ذاته، بما في ذلك الأنطولوجيا والإبيستمولوجيا وإلى حد ما طرائق البحث والاستقصاء. ويشمل هذا فكرة جمع

---

(45) Bohnsack, *Rekonstruktive Sozialforschung*; R. Hitzler and A. Honer, *Sozialwissenschaftliche Hermeneutic* (Opladen: Leske and Budrich, 1997).

(46) J. Thomas, *Doing Critical Ethnography: Qualitative Research Methods Series, No. 26* (Newbury Park, Calif.: Sage, 1993), p. 25.

(47) N. K. Denzin, *Images of Postmodern Society* (London: Sage, 1991); S. Harding, «Feminism, Science, and the Anti-enlightenment Critiques,» in: L. Nicholson, ed., *Feminism/Postmodernism* (New York: Routledge, 1990); D. Kellner, «Postmodernism as a Social Theory: Some Problems and Challenges,» *Theory, Culture and Society*, vol. 5 (1988); D. Kellner, «Popular Culture and the Construction of Postmodern Identities,» in: S. Lash and J. Friedman, eds., *Modernity and Identity* (Oxford: Blackwell, 1992).

المعرفة عن العالم بطريقة «علمية» وإمكان الوصول إلى تفسيرات أو نظريات شاملة وكاملة[48]. وهناك نوعان مابعد الحداثة: الراديكالية (أو المتشككة)، والمعتدلة (أو الإيجابية).

لا تؤمن **راديكالية مابعد الحداثة** بالأصول الأنطولوجية للعلوم الاجتماعية ولا بمبادئها الإبيستمولوجية، ومن هنا جاءت فكرة الواقع التجريبي، وهي تتبع اتجاها مغايرًا تمامًا للفلسفة الوضعية في شأن المنهجية وإدراك الواقع.

أما **مابعد الحداثة المعتدلة** فلا تنفي الحداثة والنماذج الإرشادية الحديثة، لكنها تتخذ موقفًا بناءً في شأن أسسها النظرية وأهدافها ومبادئها، وتقترح طرائق لإعادة بنائها، حيث تصبح أكثر فاعلية في تحقيق أهدافها. ويستخدم مابعد الحداثيين المعتدلين، على الرغم من موقفهم الناقد للوضعية، منهجًا معتدلًا حيال الواقع والبحث، وذلك على عكس موقف الراديكاليين. وبشكل عام، يمكن تلخيص الأسس المنهجية لهذه المدرسة الفكرية كما يلي[49]:

2.3.3 الواقع: ما الذي يدرسه مابعد الحداثيين؟

نبذ مابعد الحداثيين الراديكاليون فكرة الواقع تمامًا، فهم لا يعتقدون بوجود «واقع حقيقي»، ولا يوجد في نظرهم مراجع حقيقية يُشار إليها في العالم. وهم يرون أن معاني الأوصاف هي مجرد تمثيل بسيط[50]، ويشكك بعضهم في الحاجة إلى مفهوم الواقع[51]. لذلك فإن البحث كما نعرفه لا وجود له في هذا الأنموذج الإرشادي، وبالمثل لا وجود لأنموذجهم الإرشادي في بحوثنا.

---

(48) J. F. Gubrium and J. A. Holstein, *The New Language of Qualitative Method* (Oxford: Oxford University Press, 1997), p. 75.

(49) انظر على سبيل المثال: M. Crotty, *Foundations of Social Research: Meaning and Perspective in the Research Process* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1998); Gubrium and Holstein, *The New Language of Qualitative Method*; L. Richardson, «The Consequences of Poetic Representation,» in: C. Ellis and M. Flaherty, eds., *Investigating Subjectivity* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1992); P. M. Rosenau, *Postmodernism and the Social Sciences* (Princeton, N.J: Princeton University Press, 1992); R. Usher, I. Bryant and R. Johnston, *Adult Education and The Postmodern Challenge: Learning Beyond the Limits* (London: Routledge, 1997).

(50) J. Baudrillard, *Simulations* (New York: Semiotext, 1983), p. 19.

(51) Rosenau, *Postmodernism and the Social Sciences.*

أما المعتدلون فلا يعتقدون أن الواقع موجود بصفة موضوعية، لكنه يشكَّل ويُصاغ ويُفسَّر ويستمر من خلال التفاعل. كما أنهم يرفضون الفكرة الحداثية بأن العالم موحد ومتحد ومتجانس وواضح بذاته، لأنهم يعتقدون أن العالم تعددي ومجزأ. لذلك لا يتضمن العالم في نظرهم معاني ثابتة أو مفردة ليقوم الباحثون بجمعها وتحليلها، لكنها جمعيّة ومتعددة ومتغيرة باستمرار. وفي ضوء ذلك لا يستطيع البحث الحداثي التعامل مع العالم لكن مع أجزاء منه فحسب. وكما يشير الباحثون في هذا الموضوع، «لا يوجد العالم في أجزاء منظمة» تسمح بدراستها وقياسها وتقويمها.

الأهم من ذلك أن العمليات الاجتماعية والثقافية، بالنسبة إلى مابعد الحداثة المعتدلة، تشكل ضروبًا من التراتب الهرمي ضمن النظام الاجتماعي وتولد أنظمة قوة أو سلطة تُخضع الناس إلى الضبط والسيطرة. ولا يتعلق ذلك بالمكانة والامتيازات المادية فحسب، بل بالطريقة التي ندرك فيها العالم ونفسره ونشكله، وبطريقة تواصل الناس بعضهم مع بعض وبطبيعة المعاني وبنيتها وبأنظمة اللغة وبخلق الإنسان بشكل عام.

لذلك فإن مابعد الحداثة تشكك في كل مزاعم الحقيقة وتشتبه في أنها تخدم وتموّه مصالح معينة في الصراعات المحلية والثقافية والسياسية[52]. وهذا يعني أن ما يريد الباحثون البحث عنه في العالم ليس متنوعًا ومتعددًا فحسب بل تتحكم به أنظمة السلطة التي تحدد «ماذا» و «كيف» ندركه ونتعامل معه. لذلك فإن هذا الإدراك للقوة والعالم يحدد المعرفة التي ندركها وكيفية ذلك.

3.3.3 المعرفة

ما نوع المعرفة التي يسعى إلى جمعها مابعد الحداثيين؟ فبخلاف الحداثيين الذين يعتقدون - كما يقال لنا - أن المعرفة ثابتة وعالمية وواحدة (حقيقة واحدة، يقينٌ واحد) وذات مكانة عالية وآمنة ومحايدة، فإن مابعد الحداثيين المعتدلين يعتقدون أن المعرفة تعددية يسيطر عليها التنوع الداخلي وسرعة الزوال والتجزئة

(52) L. Richardson, «Writing: A Method of Inquiry,» in: N. K. Denzin and Y. S. Lincoln, eds., *Handbook of Qualitative Research* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1994), p. 517.

والغموض، ويعتقدون أيضًا أنها تعتمد على الأوضاع الاجتماعية والثقافية وأنواع الخطاب وأنظمة المعتقدات والنماذج التفسيرية، والأنظمة اللغوية وأنظمة القوة (الطبقة، الجنس البشري، الجندر، الأسرة)، وأنها تتشكل اجتماعيًا.

يتحكم النظام بمعايير التعلم والمعرفة: ما يجب معرفته وكيفية البحث عن المعرفة. وليست اللغة التي يكتسبها الناس دونما وعي في أثناء التفاعل الاجتماعي مجرد ناقل للفكر والمشاعر والأوامر فحسب، بل أداة تشكيلية تكوّن إطار تفكيرهم وأنظمتهم المعرفية. بناء على ذلك، فإن المعاني التي تتكون منها اللغة وأدوات البحث ليست موحدة أو واضحة، بل جزء من النظام الذي يعيش الناس في إطاره. كما أن الباحث ومشروع البحث يتشكلان اجتماعيًا، والنظام يتأكد من امتلاك الباحثين المهارات الملائمة والمعايير الأخلاقية الصحيحة وأدوات البحث الصحيحة أيضًا.

لذلك، تتشكل المعرفة اجتماعيًا وتتحكم بها القوة وهي غير ثابتة وتتغير باستمرار وغير مؤكدة.

4.3.3 ما نظرة مابعد الحداثة إلى العلم؟

لا يحتكر العلم الحقيقة التي تُعّد نسبية ويستحيل تحصيلها، لذلك فإن المخرجات العلمية لم تعد أكثر قيمة من أي تفسيرات أخرى. كما أن مابعد الحداثيين لا يثقون بالعلم لأنهم: **أولًا**، لا يرون فيه قيمة ذاتية أو أصيلة، **ثانيًا** لأنهم يعتقدون أن العلم يخدم القوي، كما يرفضون فكرة مساواة التحديث بالتقدم.

يذكر روزينو[53] أن نظرة مابعد الحداثة إلى العلم الاجتماعي تصبح انطباعية وذاتية بدرجة أكبر عندما تسمح الحقيقة بعدم اليقين أو عدم التأكد. فالثقة في العاطفة تحل محل الملاحظة النزيهة غير المحايدة، كما أن «النسبية تُفَضَّل على الموضوعية، والتجزئة تُفَضَّل على الكلية».

تدّعي فلسفة مابعد الحداثة عدم وجود معايير لتحديد الحقيقة من عدمها أو

(53) Rosenau, *Postmodernism and the Social Sciences*, p. 8.

للتأكد من الصدق؛ فالموضوعية هنا تُستبدل بالنسبية. لذلك فإن العلم والحقيقة والعدالة مفاهيم نسبية بالنسبة إلى الزمان والمكان. وتشكك هذه الفلسفة في الاعتقاد بالتقدم والتحرر[54]، وأنه يمكن الوصول إليهما من خلال العقلانية والعلم. فهي تشكل أزمة ثقة في أنظمة المفاهيم الغربية. فلا يستطيع العلم توقع المستقبل، ولا يستطيع المساهمة في تشكيل السياسات الفاعلة: العالم لن يتحسن أبدًا[55].

الإطار 11.13

أسس مابعد الحداثة (المعتدلة)
▪ الواقع يُفسر ويُعاد تفسيره وهذا يعني أنه يُخْلَق خَلْقًا ويُحافظ عليه حفاظًا.
▪ المعرفة تتغير باستمرار وهي غير كاملة ومجزأة وهناك حقائق كثيرة.
▪ تتولد المعرفة من خلال الخطاب وهي تبنى وتتشكل وتخضع للقوة.
▪ هناك حقائق كثيرة، والحقيقة الوحيدة هي عدم الحقيقة.
▪ ليس للعلم قيمة ذاتية متأصلة فهو يخدم القوي.
▪ الموضوعية غير ممكنة وليست ذات قيمة، وتتأثر بالمكان والزمان.
▪ مابعد الحداثة المعتدلة تقبل الطرائق التقليدية، لكنها تشكك فيها ولا تثق بها.
▪ طرائق البحث تتكشف للفهم تدريجًا؛ إذ يجري اختيارها وتعديلها ونقدها وإعادة تعديلها وهكذا.
▪ عملية البحث ليست ثابتة وإنما مفتوحة لأسئلة جديدة وطرائق جديدة لتحصيل المعرفة.
▪ الباحث متفاعل ومبدع ومتعلم ومفسر وصانع للمعرفة، ولا يمتلك مهارات أو معرفة أو قيمة خارقة.
▪ تُكتب النتائج وتنشر بتواضع ومرونة وبالشكل الأمثل، ابتداء من التقارير العادية إلى القصائد أو الموسيقى أو المسرحية.

5.3.3 معايير البحث

يتخذ مابعد الحداثيين مواقف متنوعة في شأن المنهجية والبحث والطريقة. يقول بعض الكتّاب إن تركيز مابعد الحداثيين على الرموز والسينما والتلفزيون

(54) Usher, Bryant and Johnston, *Adult Education and the Postmodern Challenge*.

(55) Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit.*

والواقع المفرط يؤيد وجهة النظر بأن البحث في مابعد الحداثة لا يتعدى كونه «إثنوغرافيا سينمائية». ويعتقد كتّاب آخرون أن باحثي مابعد الحداثة يرفضون الطرائق الكمية ويستخدمون طرائق البحث النوعية بدلًا منها. وهناك من يشكك في إمكان إجراء البحوث النوعية؛ فعلى سبيل المثال، يقول غوبريم وهولشتاين إن «التحدي يتلاءم وحجم الأزمات وأهميتها، ما يبعد البحث خارج نطاق الأسئلة التجريبية «ماذا» و«كيف». وتكمن الأزمة في التمثيل نفسه حيث تستبدل مابعد الحداثة الراديكالية الواقع بالتمثيل». وبالتحديد، يؤكد روزينو أن مابعد الحداثة تعرّف كل شيء باعتباره نصًا وتسعى إلى تحديد موقع المعنى بدلًا من اكتشافه، وتقدم قراءات وليس ملاحظات أو تفسيرات أو نتائج(56).

«هؤلاء الباحثون لا يجرون أي اختبارات لأن الاختبار يتطلب «أدلة»، وهو مفهوم لا معنى له في إطار مابعد الحداثة... فهم ينظرون إلى ما هو فريد وليس إلى العام، وإلى العلاقات النصية البينية بدلًا من العلاقات السببية، وإلى غير المتكرر بدلًا من المتكرر أو العادي أو الروتيني»(57).

كما أشرنا سابقًا، فإن الموقف المتطرف لمابعد الحداثة الراديكالية يجعل من المستحيل تصنيف هذه الطريقة تحت أي قالب بحثي، بما في ذلك قالب مابعد الحداثة المعتدلة. لذلك سنركز في مناقشتنا على مابعد الحداثة المعتدلة.

كيف يجرى البحث وفقًا لمهنجية مابعد الحداثة المعتدلة وما هي أهم مبادئه؟ يلتزم معظم الباحثين وفقًا لهذه الطريقة بعدد من المبادئ(58) وفي ما يلي أهمها:

- **الأنموذج الإرشادي للبحث:** تُجرى البحوث وفقًا لمنهجية مابعد الحداثة المعتدلة في سياق ناقد لتشكيل المعنى واستخدامه. وتشترك هذه المنهجية مع المنظرين الناقدين في فكرة وجود مظهر وواقع، وتهدف إلى اختراق المظهر لتصل

(56) Gubrium and Holstein, *The New Language of Qualitative Method*, p. 76.

(57) Rosenau, *Postmodernism and the Social Sciences*, p. 8.

(58) A. Benini, *Construction of Knowledge* (Rome: Gnome, 2000); Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit*; Richardson, «Writing: A Method of Inquiry»; Usher, Bryant and Johnston, *Adult Education and the Postmodern Challenge*.

إلى الواقع، والبنى الخفية وأنظمة القوة وأشكال الظلم. وهي تختلف عن البحث التقليدي الذي يُعدّ أداة للظلم، لأنه يعني السيطرة على المبحوث باحتكار المعاني وجمع البيانات ومعانيها. وبهذا تكون هذه الطريقة قد انحرفت عن الطريقة العلمية في إجراء البحوث[59].

كما يذكر أشر ورفاقه[60] «فإن مابعد الحداثة لا تدرس العالم الذي يبنيه البحث ويتحرّاه، لكنها تدرس الطريقة التي يكتب فيها ذلك العالم في البحوث». ويتبنى البحث في مابعد الحداثة المبدأ التأويلي للواقع بصفته غير ثابت وغير موضوعي، لكنه متنوع ويبنى بناء. مع ذلك، فإن هذه المنهجية لا تركز على «العالم الذي يشكل ويبحث، لكن على طريقة كتابته في نص البحث»[61].

- **تصميم البحث**: كما ذكرنا سابقًا، تتبنى مابعد الحداثة مبادئ البحث البنيوية والتأويلية التي تطورت في إطار أنموذج إرشادي نقدي، لذلك فإن بحوث مابعد الحداثة تجرى وفقًا للمنهجية النوعية من دون اختلافات واضحة عن الأنموذج الذي عرضناه سابقًا في هذا الكتاب. إن طرائق البحث نوعية، مع شيء من التشكك في شأن احتكارها للقوة في استخلاص الحقائق والمعرفة. فطرائق البحث تتكشف تدريجًا ثم تعدَّل وتطوَّر وتطبَّق بشكلها الجديد. وبشكل عام، تقبل مابعد الحداثة الطرائق التقليدية في المعرفة، لكن ليس بالدرجة نفسها من الالتزام كما الحال عند باحثين آخرين. وتعامل الموضوعية والصدق في سياق نوعي ناقد، وهكذا يكون دور الباحث في عملية البحث.

- **كتابة البحث**: يكتب باحثو مابعد الحداثة بحوثهم بطريقة متميزة تستحق اهتمامًا خاصًا؛ فهم يستخدمون حدسهم وانفعالاتهم ويشاركون الآخرين بكتاباتهم وأوصافهم بطريقة بسيطة وغير منتظمة، حيث يتخذ البحث شكل القصيدة أو الموسيقى أو الرقص أو التمثيل. فقد عرضت ريتشاردسون[62] بحثها

(59) Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit.*

(60) Usher, Bryant and Johnston, *Adult Education and the Postmodern Challenge*, p. 211.

(61) Usher, Ibid., p. 211.

(62) Richardson, «The Consequences of Poetic Representation.»

عن الأمهات المنفصلات والنتائج التي توصلت إليها عن خبرة إحدى المبحوثات في قصيدة. وعلاوة على ذلك، فقد ضمنت تلك القصيدة جزءًا من خبراتها الخاصة، وتاليًا تكون قد عرضت مزيجًا من خبراتها الشخصية وخبرات المبحوثة. ويُعدّ ذلك ميزة في نظر الباحثة لأنها جمعت بين الباحث والمبحوث والقارئ. وتقول ريتشاردسون[63]: «إن عرض ما هو اجتماعي شعرًا طريقة لتهميش الذات غير الانعكاسية بغية خلق موقع لاختبار الذات بوصفها عارف/ بنّاء اجتماعي، وليس ذلك مجرد كلام على الموضوع بل قيامٌ به. في كتابنا الآخر، يمكن أن نكتب أنفسنا. هذا هو مغزى القصة».

لا يتمتع بحث مابعد الحداثة بالقوة التي يتمتع بها البحث في النماذج الأخرى؛ إذ إن الموقف المتطرف لمابعد الحداثة الراديكالية يضع أنموذج البحث كله في موقف حرج. وعلاوة على موقفها الناقد للوضع الاجتماعي ونظرتها المعرفية، بما في ذلك إدراكها للواقع والمعرفة والحقائق والبحث، يشجع كثيرون من الباحثين والكتّاب على وضع بحث مابعد الحداثة خارج نطاق البحث الاجتماعي.

نقاط أساسية

- الطرائق الوثائقية «غير مباشرة» لأنها تساعد في جمع البيانات من دون المشاركة المباشرة للمبحوثين، لذلك فهي تسمى «الطرائق غير المتطفلة».

- تتضمن هذه الطرائق دراسات الوثائق وتحليل المحتوى وتحليل النصوص.

- تُدْرَس الوثائق لتكشف سلوك الناس المذكورين في محتوى الوثائق واتجاهاتهم.

- تركز دراسات الوثائق على الوثائق العامة وسجلات الأرشيف والوثائق الشخصية والإدارية والدراسات والتقارير الرسمية.

- تُعد الدراسات الوثائقية ذات قيمة لأنها تمتاز بعودتها إلى الماضي وسهولة

(63) Ibid., p. 136.

الوصول إلى الوثائق والعفوية والتكلفة المنخفضة والجودة العالية، وإمكان تكرارها وعدم التحيز الشخصي.

- تتضمن الطريقة السِّيَرية دراسة الوثائق الشخصية والسِّيَرية.
- تحليل المحتوى طريقة وثائقية تدرس محتوى الوثائق الظاهر والكامن.
- يركز جمع البيانات في تحليل المحتوى على وجود وحدات البحث وتكرارها وبروزها واتجاهها، ومدى التركيز عليها.
- تشتمل الطرائق الوثائقية على تحليل النصوص الذي يستخدم مبادئ تحليل الخطاب والتأويل ومابعد الحداثة.
- قد تُستخدم الطرائق الوثائقية وحدها، أو إضافة إلى طرائق أخرى.

إلى أين؟

قبل أن تترك هذا الفصل، لا بد لك من أن تزور الموقع المرافق للطبعة الثالثة من كتاب **البحث الاجتماعي**: http://www.palgrave.com/sociology/sarantakos لتراجع المفاهيم الأساسية في هذا الفصل وتختبر نفسك في القضايا الرئيسة التي ناقشناها.

قراءات إضافية

Books

Cheek, J. *Postmodern and Poststructural Approaches to Nursing Research*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 2000.

Coulthard, M. *Advances in Written Text Analysis*. London: Routledge, 1994.

Fawcett, B. (ed.) *Practice and Research in Social Work: Postmodern Feminist Perspectives*. New York: Routledge, 2000.

Hunston, S. and G. Thompson. *Evaluation in Text: Authorial Stance and the Construction of Discourse*. Oxford: Oxford University Press, 2000.

Lather, D. *Getting Smart: Feminist Research and Pedagogy with/in the Postmodern*. New York: Routledge, 1991.

Lee, R. M. *Unobtrusive Measures in Social Research*. Buckingham: Open University Press, 2000.

Neuendorf, K. A. *The Content Analysis Guidebook*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 2000.

Potter, J. *Representing Reality: Discourse, Rhetoric and Social Construction*. London: Sage, 1996.

Riffe, D., F. Lacy and F. G. Fico. *Analyzing Media Messages: Using Quantitative Content Analysis in Research*. Mahwah, N.J.: Lawrence Erlbaum, 1998.

Roberts, C. W. (ed.). *Text Analysis for the Social Sciences: Methods for Drawing Statistical Inferences from Texts and Trans*cripts. Hove: Laurence Erlbaum. 1997.

Robinson, E. and S. Robinson, *What does it Mean? Discourse, Text, Culture: An Introduction*. Sydney: McGraw- Hill, 2003.

Rolfe, G. *Research, Truth, and Authority: Postmodern Perspectives on Nursing*. Basingstoke: Macmillan. 2000.

Saulwick, W. *Sex Role Portrayal of Women in Advertisements: A Content Analysis. Canberra: Office of the Status of Women*. 1987.

Scheurich. J. J. *Research Method in the Postmodern*. London: Falmer, 1997.

Silverman, D. *Interpreting Qualitative Data in Methods for Analyzing Talk, Text and Interaction*. London: Sage, 2001.

Webb, E. J. et al. *Unobtrusive Measures*. Thousand Oaks, Calif.: Sage. 2000.

Weber. R. P. *Basic Content Analysis*. Newbury Park, Calif.: Sage, 1990.

Wood, L. A. and R. O. Kroger, *Doing Discourse Analysis: Methods for Studying Action in Talk and Text*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 2000.

Periodical

Reed, M. «The Limits of Discourse Analysis in Organisational Analysis.» *Organisation*, vol. 7, 2000.

الفصل الرابع عشر

البحث التطبيقي

هذا الفصل

- يعرّف طبيعة البحث التطبيقي وأنواعه.
- يركز على تصاميم البحث التقويمي المعروفة.
- يصف عملية تحليل الحاجات.
- يوضح طبيعة البحث العملي.

العناوين الرئيسة

مقدمة

1. البحث التقويمي
2. تقويم الحاجات
3. البحث العملي: البحث قيد العمل

نقاط أساسية

إلى أين؟

قراءات إضافية

مقدمة

يركز البحث التطبيقي على «التطبيق»، وبعبارة أخرى يدرس أوضاع حياتية واقعية تتطلب عناية فورية. وبخلاف البحث الأساسي الذي يهدف إلى تحصيل المعرفة وتعزيز الفهم العلمي للعالم، يهتم البحث التطبيقي بتحديد المشكلات والبحث عن حلول ملائمة لها، وإيجاد إجابات مباشرة[1]. وبينما يدرس البحث الأساسي أسباب الإصابة بالإيدز وآثارها، يدرس البحث التطبيقي مجتمعًا معينًا ليحدد حاجاته في ما يتعلق بالخدمات المقدمة إلى مرضى الإيدز، ويقدم توصيات لكيفية التعامل مع هذه المسألة.

هناك أنواع متعددة من البحث العملي، وأكثرها شهرة واستخدامًا[2] البحوث الوبائية ودراسات الجدوى والبحوث التقويمية. تركز **الدراسات الوبائية** على الصحة، وتُستخدم لتحديد المدى الذي يصله بعض الخصائص السكانية. ويعتمد هذا البحث على المنهجية الكمية والعينات الممثلة والطرائق المسحية. أما **دراسات الجدوى** فتُستخدم لتقدير ما إذا كانت التكاليف والأرباح المتوقعة لبرنامج مقترح تبرر تنفيذه، حيث اعتادت الدوائر الحكومية إجراء دراسات جدوى قبل البدء بتنفيذ مشروعات مكلفة، وفي ضوء نتائجها تقرر ما إذا كانت ستستمر في المشروع أم توقفه. وأخيرًا يستخدم **البحث التقويمي** لتقويم حالة برنامج للتأكد من أن أداءه يبرر الاستمرار في دعمه أم لا. وهذا أمر معروف، خصوصًا في البحث الاجتماعي والرعاية الاجتماعية والسياسات الاجتماعية.

---

(1) انظر: R. Walker, ed., *Applied Qualitative Research* (Aldershot, UK: Gower, 1985).

(2) L. Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit* (Wien: Selbstverlag, 2000).

ولأن هذه الأنواع الثلاثة من البحث العملي تتضمن عنصرًا قويًا من التقويم، وتستخدم تصاميم بحث متشابهة أو التصميم نفسه، يقوم كثير من الباحثين بالتعامل معها تحت عنوان البحث التقويمي. وتشير الدراسات إلى أن كثيرًا من الباحثين يستخدم هذه البحوث، إضافة إلى بحوثٍ إزالة الغموض والمشاركة، كما أنها تنسجم مع البحث النسوي وتستخدم فيه كثيرًا[3]. وبهذا المعنى يصبح البحث النسوي بحثًا تطبيقيًا يستخدم طرائق البحث النسوي وغيرها لتحرير البشر وإحداث تغييرات في جوانب محددة من الحياة الاجتماعية.

سنناقش في هذا الفصل ثلاثة أنواع من هذه الطرائق: البحث التقويمي وتحليل الحاجات والبحث العملي. وسنوضح في هذه المناقشة طبيعة هذه البحوث التطبيقية ونزعتها التحريرية والسياسية.

أولًا: البحث التقويمي

1.1 مقدمة

البحث التقويمي نوع من البحوث التي تُستخدم لتقويم جدارة أو برامج أو سياسات أو خدمات أو تدخلات معينة. ويستخدمها عادة العاملون الاجتماعيون وعلماء النفس والمرشدون ومسؤولو الرعاية والاقتصاديون. وبالتحديد، يهدف هذا البحث إلى تقديم معلومات عن جوانب متعددة لبرامج معينة؛ لتحديد ما إذا كانت هذه البرامج أو السياسات أو الخدمات أو البرامج جديرة بالدعم والتنفيذ والاستمرار بها أم لا[4]. ويرتبط البحث التقويمي بالحاجة المستمرة إلى المساءلة التي تتطلب إثبات قيمة المشروعات بالأدلة.

---

(3) S. Reinharz, *Feminist Methods in Social Research* (New York: Oxford University Press, 1992), p. 180-194.

(4) A. Clarke, *Evaluation Research: An Introduction to Principles, Methods and Practice* (London: Sage, 1999), p. 3; J. C. Greene, «Qualitative Program Evaluation: Practice and Promise,» in: N. K. Denzin and Y. S. Lincoln, eds., *Handbook of Qualitative Research* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1994); J. R. Sanders, ed., *Handbuch der Evaluation standards. Joint Committee on Standards for Educational Evaluation* (Opladen: Leske and Budrich, 1999).

الإطار 1.14

خصائص البحث التقويمي
إن البحث التقويمي هو:
▪ بحث تطبيقي وليس «تدقيقي»: يطبق نتائج البحوث في ميادين محددة.
▪ نوع من بحوث السياسة يهدف إلى المساعدة في وضع السياسات أو إعادة صوغها.
▪ بحث منظم ومنضبط، حيث إنه يستخدم تصاميم وإجراءات بحث تقليدية.
▪ طريقة منتظمة لجمع المعلومات باستخدام تصاميم بحث كمية أو نوعية.
▪ بحث عملي له توجه عملي لتحقيق هدف معين.
▪ بحث عملي يتخذ خطوات محددة لإقناع أصحاب القرار باتخاذ إجراء معين.
▪ بحث سياسي، حيث إنه يتطلب من الباحث والمجتمع التدخل في السياسة ويستخدم أساليب سياسية لتحقيق أهدافه.

يُتوقع من البحث التقويمي أن يكون منتظمًا ودقيقًا في إجراءاته، الأمر الذي يتطلب خطة واضحة أو برنامجًا أو تصميمًا واضحين. ويؤكد توافر المعرفة العملية لتساعد في عملية اتخاذ القرار. لذلك فهو شكل من أشكال بحوث السياسات من منظور عملي مع تركيز على السياسة. ولذلك يتضمن هذا البحث عنصرًا سياسيًا(5). ومن ناحية منهجية، يستخدم البحث التقويمي كمبحوثين أفرادًا و/ أو جماعات من المهتمين بموضوع البحث ولهم فيه مصلحة، ويستخدم طرائق كمية بوصفها أدوات رئيسة له. وعلى الرغم من ادعاء العكس، يستخدم البحث التقويمي طرائق نوعية(6). ويمكن تلخيص أهم خصائص البحث التقويمي على النحو الآتي كما يظهر في الإطار 1.14(7).

---

(5) P. H. Rossi and H. E. Freeman, *Evaluation: A Systematic Approach*, 5th ed. (Newbury Park, Calif.: Sage, 1993).

(6) C. K. Judd, E. L. Smith and L. H. Kidder, *Research Methods in Social Relations* (New York: Harcourt, Brace, Jovanovich, 1991), p. 329.

(7) انظر: Y. S. Lincoln and E. G. Guba, «Research, Evaluation and Policy Analysis: Heuristics in Disciplined Inquiry,» *Policy Studies Review*, vol. 5 (1986); M. Q. Patton, *Utilisation-Focused Evaluation*, 2nd ed. (Newbury Park, Calif: Sage, 1986); Rossi and Freeman, *Evaluation*.

توجه طبيعة البحث التقويمي وأهدافه اهتمامه وتركيزه نحو جوانب معينة من الواقع الاجتماعي قد لا تحظى باهتمام أنواع أخرى من البحث. لذلك يُعدّ البحث التقويمي فاعلًا في قضايا معينة كتلك المذكورة أدناه في الإطار 2.14[8].

2.1 أنواع البحث التقويمي

تختلف أنواع البحث التقويمي وفقًا لاختلاف طبيعة البحث وبنيته وهدفه وتصميمه. وفي ما يلي أهم هذه الأنواع:

▪ **التقويم الرسمي وغير والرسمي**

يرتكز التقويم غير الرسمي على ممارسات غير رسمية. ومع أن هذه الممارسات توفر «تلميحات» عن طريقة سير البرامج، لا يُعتمَد عليها مصدرًا وحيدًا في اتخاذ قرارات مصيرية تحدد مصير البرامج. أما التقويم الرسمي فيستخدم إجراءات علمية تتضمن تقويمًا منتظمًا لمحتوى وبنية ومخرجات برنامج أو حدث أو مشروع أو تدخّل مخطط له، حيث يتم في إطار بحث منظم[9].

▪ **التقويم التكويني والتقويم التحصيلي**

يهدف التقويم التكويني إلى تحديد جوانب القوة والضعف للبرنامج المعني كي نجعل ذلك البرنامج فاعلًا دائمًا[10]. أما التقويم التحصيلي فهو نوع من إصدار حكم في شأن مصير برنامج في ضوء الأداء السابق وحاجات المجتمع. فالتقويم التكويني يسأل: «ما الذي يمكن عمله لتفعيل هذا البرنامج؟»، أما التقويم التحصيلي فيسأل: «هل البرنامج جيد بما يكفي لاستمراره؟».

---

(8) E. Chelimsky and W. R. Shadish, eds., *Evaluation for the Twenty-first Century: A Handbook* (Thousand Oaks, Calif: Sage, 1997); Clarke, *Evaluation Research*; E. R. House, *Professional Evaluation* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1993); Patton, *Utilisation-Focused Evaluation*; Rossi and Freeman, *Evaluation*.

(9) Clarke, *Evaluation Research*, p. 1.

(10) على سبيل المثال: Judd, Smith and Kidder, eds., *Research Methods in Social Relations*, p. 329.

الإطار 2.14

مجالات تركيز البحث التقويمي

يتضمن البحث التقويمي دراسة:

- أنواع نشاط البرامج وخصائصها ومخرجاتها.
- قيمة أو جدارة شيء ما، كالبرامج الاجتماعية والتربوية والسياسات والموظفين.
- تقويم مفهوم البرامج التنفيذية الاجتماعية وتصميمها وتنفيذها وفائدتها.
- تقديم الخدمات، فهو بحث عملي موجه لتقديم الخدمات.
- الفائدة والأهمية والقابلية للتطبيق وتلبية الاحتياجات.
- القضايا الوصفية والمعيارية والسببية.

- **تحليل التكلفة – المنفعة**

يهدف هذا التقويم إلى جمع معلومات لمساعدة صنّاع السياسة وغيرهم في تقويم المؤدّيات الاقتصادية لمشروع جديد. ويُجرى هذا التحليل عادة قبل اتخاذ قرار الشروع بالمشروع للتأكد من أن هذا القرار جدير بالتنفيذ. ويولّد هذا التحليل بيانات عن التكاليف الفعلية للمشروع المقترح والعائدات المتوقعة منه للمجتمع. وعندما توفَّر هذه البيانات لصناع القرار والسياسة، سيكون في وسعهم تقرير قبول المشروع المقترح أو رفضه.

- **تحليل الحاجات**

يستخدم هذا التحليل ضمن معايير تطوير السياسة، فهو يقوّم حالة مجتمع بالنظر إلى نوع الحاجات التي تتطلب رعاية، وأيّها يجب أن يُعطى الأولوية. فتحليل الحاجات يتعامل إذًا مع الحاجات وأولوياتها بشكل رئيس.

- **تحليل العملية**

يُستخدم هذا التحليل عندما نريد تقويم تقدم البرنامج. وفي هذه العملية يسأل الباحث ما إذا كان البرنامج أو الخدمة أو التدخل تؤدي ما هي مصممة لأدائه أم لا، وإذا وجد أن البرنامج لا يؤدي دوره يسعى الباحث إلى تحديد مدى بعد البرنامج عن تحقيق هدفه.

الإطار 3.14

التقويم التكويني والتقويم الختامي أو التحصيلي: مقارنة

التقويم التكويني	التقويم التحصيلي
1. يسأل: كيف يمكن تحسين البرنامج؟	1. يسأل: هل يجب الاستمرار بالبرنامج أو إيقافه؟
2. يُجريه المشاركون والمديرون والمهتمون.	2. يُجريه مخططو السياسة و/ أو الممولون.
3. يتضمن تقويم العملية والمخرجات.	3. يتضمن تقويم العملية والمخرجات.
4. يقدم ملاحظات لتحسين البرنامج.	4. يقوّم فاعلية البرنامج العامة.
5. يستخدم طرائق كمية و/ أو نوعية.	5. يستخدم الطرائق الكمية ويولد بيانات تسهّل عملية تقويم مفصلة.
6. الباحثون مشاركون ومتفاعلون ومتعاطفون.	6. الباحثون سلبيون غير مشاركين وغير متفاعلين.

▪ تحليل المخرجات

يركز هذا التحليل على نوع مخرجات البرنامج وما إذا كان البرنامج قد حقق المخرجات التي كان يهدف إلى تحقيقها أم لا. والسؤال هنا عن مدى انحراف المخرجات الحقيقية للبرنامج عن المخرجات المستهدفة؛ لأن معرفة ذلك تساعد صناع القرار في اتخاذ القرار الملائم في شأن مستقبل البرنامج.

▪ تقويم التأثير

يشبه هذا التقويم تقويم المخرجات لكنه يقوّم مدى تأثير البرنامج في المجتمع بدلًا من تقويم مدى تحقيق البرنامج لما هو مصمم لتحقيقه. ويُعد تقويم التأثير مفيدًا جدًا لأن البرامج والخدمات والتدخلات تهدف إلى مساعدة الناس في المجتمع، كما أن دراسات تقويم التأثير هي الوحيدة التي تستطيع الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بمدى فائدة البرامج.

▪ البحث التقويمي الكمي والنوعي

يظهر هذان النوعان من التقويم عندما تؤخذ المنهجية معيارًا للتمييز بينهما[11]،

---

(11) E. von Kardorff, «Qualitative Evaluationsforschung,» in: U. Flick, E. von Kardorff and I. Steinke, eds., *Qualitative Forschung: Ein Handbuch* (Reinbek bei Hamburg: Rowohlt, 2000).

فهما على التتابع يستخدمان الأنموذجين الكمي والنوعي[12]، ويعتمد اختيار أحدهما دون الآخر على عوامل عدة، مثل موضوع التقويم والبيانات المطلوبة، وهدف التقويم والأنموذج النظري الذي يرتكز عليه التقويم. ومن الجدير بالذكر أنه يمكن إجراء أنواع التقويم كلها في ضوء هذين الخيارين.

يتضمن البحث التقويمي الكمي قوالب بحثية عدة، تعتمد كلها على طبيعة البحث المستخدم في كل قالب، وعلى نوع البيانات التي يولّدها كل قالب. ومن هذه القوالب ما يسمى بالبحث التقويمي الوصفي الذي يركز على جمع بيانات وصفية مثل: عدد الناس الذين يستخدمون البرنامج، نسبة الذين يقدمون اقتراحات للتحسين، تكاليف البرنامج. وهناك نوع آخر من أنواع البحث التقويمي الكمي هو تقويم السبب والنتيجة، الذي يسعى إلى تقويم مدى تحقيق المصادر المستخدمة في البرنامج للمخرجات المتوقعة.

أما في البحث التقويمي النوعي فالتنوع أكبر وأكثر. مثلًا، يُستعمل البحث الوصفي أيضًا في النمط النوعي من البحوث، على الرغم من أن أنواع الوصف الناتجة قد تختلف عن الأوصاف التي ينتجها القالب الكمي. إن سياق التقويم هو الذي يحدد القالب الملائم للدراسة. ومن أنواع التقويم التي تلائم البحث النوعي أكثر من ملاءمتها للبحث الكمي ما يسمى بالبحث التقويمي المعياري الذي يركز على ما هو صحيح أو خطأ في البرنامج، بما في ذلك القضايا القانونية والأخلاقية والدينية، ويصدر أحكامًا قيمية في شأن طبيعة البرنامج ومخرجاته.

■ **البحث التقويمي السريري وغير السريري**

يتعلق البحث التقويمي السريري بتقويم الناس الذين يطلبون مساعدة من المتخصصين باختيارهم أو أنهم ينصحون بطلب المساعدة من العاملين الاجتماعيين أو غيرهم من المتخصصين. ويتعامل هذا البحث مع حالة واحدة (أو عدد محدود من الحالات) في كلّ مرّة. فمثلًا قد ينصح المرشدون الاجتماعيون زوجين يعانيان العنف الأسري في البيت باتباع إجراءات محددة يتوقع منها أن تعيد

(12) انظر: I. Shaw, *Qualitative Evaluation* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1999).

علاقاتهما إلى طبيعتها. فالتقويم في مثل هذه الحالة يوضح مخرجات الإجراءات العلاجية. وبالمثل، قد يعالَج طفل «صعب المراس» طبيًا لضبط سلوكه ثم يقوّم سريريًا للتأكد من تحقق المخرجات المتوقعة. وفي هذه الحالات تُستخدم في التقويم تجارب قبلية وبعدية من دون الحاجة إلى مجموعات ضابطة. أما التقويم غير السريري فيشمل كل شيء آخر، وهو الذي نعرفه باسم تقويم البرنامج الذي يطبق على البرامج العامة التي تؤثر في مجموعات اجتماعية كبيرة. وتجرى هذه الدراسات باستخدام تصاميم شبه تجريبية.

- **تحليل نوعية الحياة**

هذا نوع آخر من البحوث التقويمية يستخدم في بلدان عدة لمعرفة ما إذا كان مستوى المعيشة في بلد ما مرتفعًا أو متوسطًا أو منخفضًا، وما إذا كانت مستويات المعيشة قد تغيرت عبر الزمن أم لا. كما يهدف أيضًا إلى مقارنة مستويات المعيشة في بلدان مختلفة. وفي هذا التقويم تقاس نوعية الحياة بمؤشرات اجتماعية تتضمن مجموعة من المعايير التي تُعد مهمة. وباستخدام هذه المؤشرات يستطيع الباحثون الاجتماعيون تحديد ما إذا كانت الحالة الاقتصادية للعمال أفضل مما كانت عليه قبل 30 عامًا أم لا، وما إذا كانت الأوضاع المعيشية للطلاب قد تحسنت عبر السنوات العشر الماضية، وما إذا كانت نوعية حياة المرأة قد أصبحت أفضل بشكل كبير مما كانت عليه في السبعينيات من القرن العشرين.

تعرّف المؤشرات التي يستخدمها الباحثون لقياس نوعية الحياة إما تعريفًا موضوعيًا من الباحثين أو تُصاغ وفقًا لآراء المجموعات المبحوثة. ففي الحالة **الأولى**، يستخدم الباحثون معايير مقبولة بشكل عام - مؤشرات اجتماعية - لتحديد نوعية الحياة إجرائيًا. وهنا تقوم الحكومة والباحثون بتحديد ما يعد مستوى عاليًا أو منخفضًا. فهم يقررون متى يفترض أن يشعر الناس بالسعادة في حياتهم ومتى لا يشعرون. أما الطريقة **الثانية** لتحديد مستوى الحياة فتعتمد على آراء المبحوثين، كبار السن مثلًا، في تحديد ما هو جيد أو غير جيد لهم بدلًا من قيام السلطات أو الباحثين بتحديد مستويات حياتهم. ففي هذه الحالة يجب بناء المقاييس التي ستستخدم لقياس نوعية حياة كبار السن بالتشاور معهم، وليس بما يحدده الخبراء

فحسب؛ فما يعتبره الباحثون جيدًا قد لا يكون بالضرورة كذلك في رأي كبار السن.

بشكل عام، فإن نوعية الحياة تُدرس وفقًا لقالب البحث الكمي، ما يؤدي إلى نتائج لا تكون دقيقة فحسب، بل قابلة للتعميم والمقارنة أيضًا. وعلى أي حال، فإن البحث النوعي يمكن أن يُستخدم في مثل هذه الحالات أيضًا، لكنه يستعمل مقاييس مختلفة ويؤدي إلى انطباعات مختلفة عن المفهوم نفسه أيضًا. ويولد التقويم النوعي لنوعية الحياة انطباعات شخصية بدرجة أكبر، ما يعكس وجهات النظر الشخصية، وتاليًا تكون قابليتها للتعميم محدودة.

3.1 غرض البحث التقويمي

أوضحنا في ما سبق وبشكل غير مباشر أسباب استخدام البحث التقويمي والمخرجات المتوقعة منه. وتكمن أهمية هذا البحث في التطبيقات العملية والقضايا المتعلقة بالسياسات. وبالتحديد، يتوقع من البحث التقويمي أن يقوّم أثر التدخلات الاجتماعية، وبذلك «يخفف من حالات عدم اليقين ويحسن الفاعلية، ويتخذ قرارات في شأن فاعلية تلك البرامج وتأثيرها»[13].

على سبيل المثال، في مجالات علم النفس والعلاج النفسي والعمل الاجتماعي، يهتم البحث التقويمي بتقويم البرامج السريرية والتدخلات العلاجية المقدمة للأفراد الذين يعانون أمراضًا عقلية أو من مشكلات بين الأشخاص (العنف الأسري والنزاعات الأسرية)[14]. ومع أن الأهداف تختلف باختلاف نوع التقويم، هناك أهداف معينة يشترك فيها معظم أنواع التقويم. والإطار 4.14 يُقدم أكثر هذه الأهداف استخدامًا[15].

---

(13) Patton, *Utilisation-Focused Evaluation.*

(14) L. Eills, *Research Methods in the Social Sciences* (Oxford: Brown and Benchmark, 1994).

(15) انظر: W. Bauer, *Qualitative Forschung mit Gastarbeitern* (Weimar: Ganz Verlag, 1994); Chelimsky and Shadish, eds., *Evaluation for the Twenty-first Century;* Ellis, *Research Methods in the Social Sciences*; Kardorff, «Qualitative Evaluationsforschung,» p. 239; R. T. Torres, S. H. Preskill and M. E. Piontek, *Evaluation Strategies for Communicating and Reporting: Enhancing Learning and Organisations* (London: Sage, 2000); C. H. Weiss: «How Can Theory-Based Evaluation Make Greater Headway?,» *Evaluation Review*, vol. 21, no. 4 (1997); Weiss, *Evaluation: Methods for Studying Policies and Programs* (New York: Prentice-Hall, 1998).

الإطار 4.14

أهداف البحث التقويمي

- تقويم جودة الإجراءات والقوالب والقوانين السياسية والاجتماعية والبيئية كلها وفاعليتها ومداها.
- تحفيز وتوثيق ومواكبة التغيرات الاجتماعية والمؤسسية والعمليات التعليمية.
- المساهمة عبر نتائج البحوث في إيجاد فهم أعمق لمجالات البحث المعنية.
- تحديد الحاجة إلى برامج جديدة وطرائق تحسين فاعلية البرامج القائمة.
- تحسين المعرفة والبرمجة وتطوير السياسات.
- تحديد الفجوات في الخدمات وتقويم الأبدال المستخدمة لتلبية الحاجات التي لم تلبَّ بعد.
- تقديم أدلة منظّمة تدل على الخبرة والقدرة على اتخاذ القرار.
- التنبؤ بمدى نجاح برنامج مخطط له.
- تحديد الجدوى الاقتصادية لبرنامج معين وما إذا كانت العائدات منه تفوق تكاليفه.
- المساعدة في اتخاذ القرار والتخطيط من منظور منفذ البرنامج لتحقيق إرشاد أفضل وعقلانية أكبر، ونوعية عروض أفضل وأدلة ومبررات تسوّغ الأهداف والمصالح وتفرضها.

4.1 خطوات البحث التقويمي

علينا أن نأخذ في الاعتبار نقطتين رئيستين عندما نفكر في إجراء أي بحث تقويمي: **الأولى**، يجب أن ندرك أن البحث التقويمي لا يتعلق بطرائق بحث جديدة، لكنه تطبيق لطرائق البحث التي تحدثنا عنها سابقًا في هذا الكتاب. **الثانية**، يمكن استخدام البحث التطبيقي وفقًا للمنهجية النوعية والمنهجية الكمية[16]. وفي ضوء ذلك تكون خطوات البحث التقويمي إما وفقًا للمنهجية الكمية ذات التصميم المحدد، وإما المنهجية النوعية ذات التصميم المحدد، وإما المنهجية النوعية ذات التصميم المرن. وفي معظم الحالات يُستخدم التصميم الكمي.

T. Cook and C. S. Reinhardt, eds., *Qualitative and Quantitative Methods in Evaluation Research* (Beverley Hills, Calif.: Sage, 1979). (16)

1.4.1 أمثلة لخطوات البحث

كي نفهم تصميم البحث دعونا نضرب المثال الآتي: وقع المجلس البلدي لبلدة ما تحت ضغط مجموعات اجتماعية متعددة تطالبه بخفض حالات الشجار بين المراهقين والتخريب المتعمد للممتلكات في المساء في بعض أجزاء البلدة. فقرر المجلس بناء على توصية من العامل الاجتماعي تأسيس مركز للمراهقين، يلتقون فيه بأصدقائهم ويمارسون الألعاب الرياضية ويشربون المرطبات والعصائر ويستمعون إلى الموسيقى المفضلة لهم في بيئة اجتماعية ملائمة. يسعى البحث التقويمي الآن إلى تقويم فاعلية هذا البرنامج بعد مضي عام على تنفيذه.

الخطوة 1 الموضوع والمنهجية

النقطة الأولى التي يجب أن توضح جيدًا هنا تتعلق بما يجب أن يُدرس وفي أي سياق. هل التقويم تكويني أم تحصيلي؟ ما هي المنهجية التي ستُستخدم: كمية أم نوعية؟

الخطوة 2 بناء موضوع البحث منهجيًا

في هذه المرحلة يجب تحديد جوانب الدراسة بوضوح، خصوصًا الهدف المحدد من التقويم. في مثالنا الذي يعتمد التصميم الكمي يركز سؤال البحث على متغيرين: المتغير المستقل وهو مركز الشباب، والمتغير التابع وهو «أمن المجتمع» أو «الاضطراب في المجتمع». والسؤال المنطقي يكمن في ما إذا كان وضع المجتمع سيتغير أم لا بعد عام من إنشاء المركز، وبعد ذلك ينبغي للباحث أن يعرّف «الاضطراب في المجتمع» و«مركز الشباب». وبالتحديد لا بد من تحديد سلوك الشباب إجرائيًا وتحديد مقياس دقيق له باستخدام مؤشرات مثل الضجيج والتخريب والركض في الشوارع. ويتم التعامل مع مركز الشباب بالطريقة نفسها. ويتطلب تعريفات واضحة ومحددة لما ينبغي تقويمه وقياسه في المركز، وكيفية تطبيق عملية القياس.

الأمر الأصعب هو تعريف المتغير المستقل إجرائيًا (مركز الشباب). فكيف نستطيع قياس مفهوم «مركز الشباب» بطريقة منهجية معقولة؟ وكيف نحدد ما

إذا كانت التغيرات في المجتمع (مثل نقص الضجيج ونقص حالات التخريب) ناجمة عن إنشاء مركز الشباب؟ هذه أسئلة لا بد من توضيحها في هذه المرحلة من البحث. والسؤال الأساس الذي يحتاج إلى عناية خاصة هو ما إذا كان الوضع السابق في المجتمع قد تغير أم لا بأي شكل من الأشكال.

الخطوة 3 اختيار العينة

قد تتضمن العينات أشخاصًا ممن لديهم معرفة بالبرنامج وآثاره في المجتمع، وممن يشعرون بالمسؤولية حيال تطويره أو التعريف به، أو من الذين يعملون في البرنامج أو مسؤولين عن الخدمات التي يقدمها، أو من أصحاب المصلحة أو الخبراء أو السلطات الحكومية والجماعات الاجتماعية. ويجري اختيار المبحوثين بطرائق ملائمة لمنهجية الدراسة. فقد يقتصر المبحوثون على المتأثرين بالضجيج والتخريب الذين يستطيعون تحديد ما إذا كان تأثرهم بالضجيج والتخريب قد تغير أم لا بعد إنشاء مركز الشباب. وقد يشتمل المبحوثون على أشخاص يعرفون حياة الأندية الليلية، ويستطيعون تحديد ما إذا كان قد حدث تغيير ولماذا حدث التغيير وكيف.

الخطوة 4 جمع البيانات

إن طرائق جمع البيانات المستخدمة في هذا الأنواع من البحوث هي نفسها المستخدمة في البحوث الأخرى. وتكمن الفروق، حيثما توجد، في الأهداف وليس في طبيعة الطريقة[17]. في مثالنا السابق يكون إجراء مسح لأفراد المجتمع، كما ذكرنا آنفًا، مفيدًا جدًا. فالمسوح تغطي الجوانب الملائمة للقضية كلها، خصوصًا المتغيرين الأساسيين. علاوة على ذلك، يمكن جمع البيانات بطرائق أخرى مثل مقابلات دلفي (Delphi) ومجموعات التركيز التي تضم أفرادًا من مجموعات مختلفة، وبذلك يمكن دراسة قضايا الاضطرابات في المجتمع ومجموعات الشباب بفاعلية كبيرة.

---

(17) E. Babbie, *The Practice of Social Research* (Belmont, Calif.: Wadsworth, 1995); R. A. Berk, «Publishing Evaluation Research,» *Contemporary Sociology: A Journal of Reviews*, vol. 24, no. 1 (1995); Rossi and Freeman, *Evaluation.*

الخطوة 5 تحليل البيانات

يُجرى تحليل البيانات بشكل عام وفقًا للمنهجية الكمية، وقد يكون أحيانًا نوعيًا. وفي مثالنا السابق يُستخدم التحليل الكمي لأنه أكثر مواءمة. وستظهر المسوح ما إذا لاحظ السكان الذين كانوا يشكون من تصرفات الشباب سابقًا أي اختلاف منذ افتتاح المركز. كما أن سجلات المجلس البلدي ستظهر ما إذا كان عدد حالات التخريب ودرجة خطورتها قد تغيرا أم لا. وأخيرًا ستظهر سجلات الشرطة ما إذا كان هؤلاء الأشخاص قد تعاملوا مع المركز أم لا. وستظهر نتائج التحليل في ما بعد مدى تحقيق البرنامج لهدفه. وسواء أكان التقويم تكوينيًا أم ختاميًا، سيكون بوسع الباحث أن يوصي بالاستمرار بالبرنامج أو إيقافه، ويحدد ما إذا كان المركز في حاجة إلى رعاية المجلس البلدي ودعمه أم لا.

الخطوة 6 كتابة البحث

تنشر نتائج الدراسة بطرائق عدة. ويتمثل أكثر هذه الطرائق شيوعًا في تقديم تقرير داخلي للسلطة التي طلبت إجراء التقويم، وقد تنشر النتائج أيضًا بعرضها في مؤتمر شرط موافقة صاحب الشأن. في ظلّ هذه الشروط، يمكن نشر النتائج في مجلات أو في كتاب و/ أو في منشورات حكومية. وفي مثالنا هذا، سيقدم تقرير البحث للمجلس البلدي مرفقًا بالتوصيات الملائمة.

5.1 خلاصة

يتضمن البحث التقويمي عددًا من العناصر تجعل منه تحدّيًا صعب التطبيق. وما يزيد من جاذبية هذا البحث ويجعله يتطلب الكثير من الجهد والوقت هو الجمع بين المنهجين الكمي والنوعي، وارتباطه بالسياسة الاجتماعية والبحث العملي. ومع ذلك فإن إجراء هذا البحث ومساره لا يختلفان عما في البحوث السهلة المباشرة. ويدل هذا على أنه بغض النظر عن طبيعة البحث ونوعه، فإن خطوات البحث الست تشكل المسار العام لعملية البحث الاجتماعي. وفي الختام لا بد من القول إنه ينبغي للباحث في أي حالة أن يكون مدركًا المعايير النظرية

والبنيوية للبحث وسياقه. ولهذا السبب كنا نشير دائمًا إلى طبيعة البحث وبنيته وهدفه في أثناء مناقشتنا تصاميم البحث في البحوث التقويمية، وهذا ما يرتّب علينا أن نحصل على أكبر قدر ممكن من المعرفة عن البحث قبل البدء بتنفيذه.

ثانيًا: تقويم الحاجات

يُعد تقويم الحاجات أحد أنواع البحوث التقويمية التي تُستخدم لتحديد حاجات المجتمع التي تتطلب رعاية، وأي من هذه الحاجات يتطلب رعاية فورية. ويعمل هذا النوع من البحوث على تقويم حالة حياة المجتمع باستخدام طرائق البحث الاجتماعي المعيارية وجمع التقديرات الصحيحة من الخبراء والدراسات المسحية. فهو يحدد الجوانب «المتأزّمة» في حياة الناس ويصنفها بحسب الأولوية. وتُستخدم هذه المعلومات لتوعية صناع السياسة وتمكينهم من معالجة مشكلات المجتمع بشكل بنّاء وفاعل، قبل أن تتحول إلى معضلات.

يستعمل تحليل الحاجات، بصفته نوعًا من البحث التقويمي، تلك الخطوات والإجراءات التي يطبقها البحث التقويمي، لذلك ليست هناك حاجة إلى إعادة طرحها ومناقشتها هنا. لكن هناك بعض النقاط التي يجب أن يؤخذ في الحسبان، ومنه اختيار موضوع البحث.

يعني اختيار موضوع البحث ثلاثة أمور: يتمثل الأمر **الأول** بنوع الحاجة التي ستُبحث، وهل سيعالج البحث حاجات عامة أم محددة كنقص الخدمات الاقتصادية والخدمات القانونية وغيرها؟ أما الأمر **الثاني** فهو مرجعية هذه الحاجات، هل ستتعامل الدراسة مع حاجات موضوعية (كما يراها الخبراء) أو حاجات شخصية (كما يشعر بها أصحاب المصلحة) أو حاجات ملحوظة (كما يصفها الذين يعرفون أكثر عن الناس المعنيين مثل المخبرين والمستشارين)؟ ويتعلق الأمر **الثالث** بالسياق الذي ستُحدد فيه الحاجات وتُحلَّل. وقد يكون السياق المجتمع الريفي الصغير أو ضاحية إحدى المدن أو مدينة أو أكبر من ذلك.

الإطار 5.14

أهداف تحليل الحاجات

- تحديد حاجات الجماعة لتعيين نوع الخدمات المطلوبة.
- تحليل الحاجات وتحديد أولويات معالجتها.
- مساعدة الحكومة في وضع السياسات.
- تسهيل تخصيص الموارد وتوزيعها.
- تحرير الناس وزيادة وعيهم بحالة الجماعة وأوضاعها.
- تمكين أصحاب المصلحة من العمل على التغيير.
- وضع خطة عمل لبرنامج التدخل العلاجي في المستقبل.
- مقارنة الجماعات في المنطقة نفسها وفي المناطق المختلفة.
- تقويم فاعلية السياسات والبرامج التي تقدمها جهة معينة.
- تسهيل إجراء المزيد من البحوث التقويمية بتوفير المعلومات الضرورية.

في المواقف الحقيقية، تُعرف الحاجات وتُحدد وفقًا لإحدى الطرائق الثلاث السابقة، مع أنها تقوّم وفقًا لمعايير معقولة. ويجب أن يتم اختيار هذه الحالات بحذر، وقد تستبعد التعريفات الموضوعية من عالم الحاجات الواقعي. وما يثير التساؤل أيضًا التعريفات القائمة على الحاجات الشخصية للمعنيين، التي قد لا تكون ذات قيمة كبيرة حتى لو صدرت من «قلوب» المحتاجين. فتعريف حاجة متعاطي المخدرات لتوفيرها بشكل حر ومن دون ضبط هو محلّ شكّ من جوانب متعددة.

لذلك يجب تحديد طبيعة الحاجات ليتمكن الباحث من تقويمها وتحليلها بالتفصيل، وبطريقة تسمح بإجراء تقويم ومقارنات دقيقة. فكيف تُعرف الحاجات وتُحدد؟ وعمّ سيبحث الباحث؟ وأين سيقوم الباحث بتحديد الحاجات وتقويمها؟ هذه أسئلة أخرى تساعد الباحث في المضي قدمًا في دراسته بشكل فاعل.

من الأمور التي ينبغي للباحث أن يهتم بها في المرحلة الأولى من تصميم

البحث اختيار منهجية البحث التي تُحدَّد وفقًا لهدف الدراسة وطبيعة الحاجات، وطبيعة البيانات المطلوبة. وكما ذكرنا سابقًا، تُستخدم عادة المنهجية الكمية في هذا البحث على الرغم من إمكان استخدام الطريقة النوعية أيضًا. فإذا ما استُعملت الطريقة الكمية، كما هو الحال في الأغلب، سيُستخدم تصميم دقيق وصارم. أما إذا اختار الباحث الطريقة النوعية فإن التصميم سيكون إما ثابتًا أو مرنًا.

الإطار 6.14

من يستخدم تحليل الحاجات؟

- الدوائر الحكومية: لتحديد جوانب الحياة الاجتماعية التي تتطلب تدخلًا وللمساعدة في صنع السياسات.
- المشروعات التجارية الخاصة للتأكد من مدى ضرورة إضافة خدمة جديدة.
- الباحثون والأكاديميون لكسب معرفة جديدة في موضوع معين، وتوعية المجموعات المهتمة والسلطات الحكومية مباشرة.
- العاملون الاجتماعيون لتوزيع موارد المجتمع بفاعلية.
- المجموعات المهتمة بموضوع معين لتحرير المعنيين وتمكينهم، ولإدخال تعديلات.

تعتمد طريقة تنفيذ البحث على اختيار المنهجية وطبيعة البيانات التي ستُجمع. وبعبارة أبسط، فإن الباحث سيتبع خطوات التصميم الذي يعتبره ملائمًا. وما يميز دراسة من أخرى هو اختيار الأدوات المحددة خصوصًا تلك التي تُستخدم في دراسة حاجات الجماعة.

يعتمد اختيار طرائق تحديد الحاجات وتقويمها على أشياء كثيرة منها: كيفية تعريف الحاجات. وبعبارة أخرى: هل يركز الباحث على الحاجات الموضوعية أم الذاتية أم الملحوظة؟ فعندما تدرس الحاجات من منظور موضوعي يكون استعمال المؤشرات الاجتماعية طريقة ملائمة ومفيدة. ومن الممكن الحصول على مؤشرات اجتماعية بسهولة، وتوفر هذه المؤشرات معلومات كافية لإصدار أحكام صادقة ودقيقة في شأن وجود الحاجات في المجتمع.

عندما يتم التعامل مع الحاجات كما يدركها أولئك الذين يعرفون أفضل

المعرفة عن المعنيين بها (الخبراء والمخبرون الأساسيون ومقدّمو الخدمات... إلخ، يكون التصميم الأفضل هو النوعي الذي يستخدم الدراسات والمسوح لجمع البيانات. وفي مثل هذه الحالات ستكون المسوح الممثلة هي أفضل وسيلة لجمع البيانات وتحليلها. ستُظهر نتائج هذه الدراسات وجود أو عدم وجود حاجات معينة تتطلب رعاية وعناية. وإذا ما وجدت حاجات متعددة فإن الباحث سيصنفها وفقًا لأولويات التعامل معها. كما أن المسوح توفر معلومات عن مدى استخدام الخدمات الحالية وعن أسباب استخدام الناس لها أو عدم استخدامها.

عندما يتم التعامل مع الحاجات كما يدركها الخبراء والمخبرون ومقدمو الخدمة، فإن طريقة جمع البيانات ستكون المسوح الصغيرة ومجموعات دلفي ومجموعات التركيز وما شابهها. وتهدف هذه الطرائق إلى تجميع الخبرات عن حاجات الجماعات وكيفية استجابة العملاء للخدمات الاجتماعية، وتشجيعهم للتحدث عن الحاجات، وتحديد تلك التي تستحق عناية، وأخيرًا تقرير الخدمة التي تتطلب إجراءً فوريًا.

ثالثًا: البحث العملي: البحث قيد العمل

1.3 مقدمة

كما ذكرنا سابقًا، يعتقد بعض الباحثين ضرورة الفصل بين المصالح السياسية والبحث. فالباحثون ليسوا رجال سياسة، لأن مهمتهم إنتاج المعرفة وتفسير الظواهر الاجتماعية وليس إعادة تنظيم المجتمع. وبالتأكيد تؤدي المعرفة الجديدة إلى إعادة بناء اجتماعي، لكن يجب أن يكون هذا من مخرجات العمل السياسي وليس ناجمًا عن عملية البحث.

هذه مجرد وجهة نظر. أما وجهة النظر الأخرى فتتمثل في إمكان اتخاذ البحث أبعادًا تتضمن عملًا سياسيًا يورّط مبحوثين في عملية البحث ومن خلاله في عمل سياسي هو جزء من عملية البحث. ويجمع هذا بين ممارسة البحث والعمل السياسي على شكل بحث عملي. وبهذا المعنى، لا تكون المصالح

السياسية حكرًا على السياسيين والجماعات ذات الاهتمام، بل تمتد إلى الباحثين أيضًا. وبذلك يصبح الباحثون مصدر تأثير مباشر و/ أو غير مباشر في الدراسة من خلال القرارات التي يتخذونها، والطرائق التي يختارونها، ومدى قبولهم مطالب الممولين[18].

لكن السياسة تذهب إلى أعمق من ذلك. فهناك حالات ينسجم فيها الباحثون تمامًا مع البرامج والأيديولوجيات السياسية، ويتخذون إجراءات إيجابية (أو سلبية) في محاولة منهم لممارسة آرائهم ووضعها حيز التنفيذ[19]. وبذلك يصبح البحث بالنسبة إليهم أداة سياسية وأداة للتغير الاجتماعي وإعادة بناء المجتمع. لذلك يسعى البحث أحيانًا إلى تعزيز اهتمامات المجموعات المحرومة واعتقاداتها. إن البحث العملي هو أفضل مثال لذلك ويمثل نوعًا من البحوث التي ما زالت تستخدم منذ العشرينيات من القرن العشرين[20] في معظم ميادين البحث الاجتماعي[21].

2.3 ما البحث العملي؟

البحث الاجتماعي «عملية تطبيق المعرفة والنظريات في حل مشكلات الواقع الاجتماعي لتحسين نوعيته وتطويره من خلال تعاون الباحثين والممارسين والناس العاديين»[22]. ويتميز هذا النوع من البحوث بعدد من الخصائص[23] كما يظهر في الإطار 7.14.

---

(18) J. Greenwood, «Action Research and Action Researchers: Some Introductory Considerations,» *Contemporary Nurse*, vol. 3, no. 2 (1994).

(19) J. J. Schensul and S. L. Schensul, «Collaborative Research: Methods of inquiry for Social Change,» in: M. D. LeCompte, W. L. Millroy and J. Preissle, eds., *The Handbook of Qualitative Research in Education* (New York: Academic Press, 1992).

(20) W. F. Whyte, ed., *Participatory Action Research* (Newbury Park, Calif.: Sage, 1991).

(21) P. Reason and H. Bradbury, *Handbook of Action Research: Participative Inquiry and Practice* (London: Sage, 2001); J. Thomas, *Doing Critical Ethnography: Qualitative Research Methods Series, No. 26* (Newbury Park, Calif.: Sage, 1993).

(22) R. B. Burns, *Introduction to Social Research in Education* (Melbourne: Longman Cheshire, 1990), p. 252; S. Oja and L. Smulyan, *Collaborative Action Research: A Developmental Approach* (London: Falmer, 1989).

(23) Burns, Ibid.; A. Benini, *Construction of Knowledge* (Rome: Gnome, 2000).

الإطار 7.14

طبيعة البحث العملي
إن البحث العملي:
▪ بحث تطبيقي: يعالج مشكلات محددة ويقترح حلولًا فورية.
▪ سياقي: يشخِّص مشكلة في سياق معين ويحاول حلها.
▪ موضعي: يُركِّز على حل مشكلات اجتماعية وسياسية حالية.
▪ تعاوني: يتطلب جهودًا مشتركة بين الباحثين والممارسين.
▪ مشترك: يشترك الباحثون في تنفيذ النتائج.
▪ سياسي: يتضمن موقفًا سياسيًا واتجاهًا محددًا في تنفيذه.
▪ تحريري: يحاول تفعيل دور الناس في عملية التغيير.
▪ ذو تقويم ذاتي: يتضمن تقويمًا مستمرًا لعملياته وتعديلاته لتعديل مسار البحث والممارسة.

باختصار، ينتقد البحث العملي الأسس النظرية والمنهجية للبحوث الاجتماعية التقليدية، بما يقدمه من تحديات ومتطلبات. وكما يقول وينتر[24] يتحدى هذا البحث طريقة البحث العلمي، بناء على سلطة المراقب «الخارجي» والباحث «المستقل»، ويدّعي البحث إعادة بناء المهارة العملية والرؤية النظرية وفقًا لإجراءاته البحثية. كما أن البحث العملي بحث تطبيقي، ولذلك فهو يستعمل تصميم البحث الذي تستخدمه البحوث الأخرى بشيء من التعديل في شأن دور المبحوث وطريقة جمع البيانات. وبشكل عام، فإن البحث العملي يستخدم تصميم البحث الذي يُستخدم في البحث التقويمي.

3.3 جوهر البحث العملي

يتميز البحث العملي بتدخل الباحث شخصيًا، وبطبيعته التحريرية، والمشاركة الفاعلة للمبحوث، ومعارضته بعض السياسات والممارسات. هذه العناصر تضع

(24) R. Winter, *Action Research and the Nature of Social Inquiry: Professional Innovation and Educational Work* (Avebury: Gower, 1987), p. 2.

البحث العملي ضمن معايير وجهة النظر النقدية التي وُضحت في الفصل الثاني. يقف الباحث هنا في صفّ المبحوثين ويساعدهم في فهم موقفهم الواقعي (من حيث التمييز والحرمان...)، ويفسر لهم أسباب ذلك ويدلهم على طرائق التغيير و«التحرير». ويعمل الباحث والمبحوثون معًا للتغيير، وبذلك يصبح البحث أداة للتغيير وإعادة البناء. فمثلًا، يوضح الباحث للمبحوثين كيفية تشكيل النظام الاجتماعي، وكيف وصلوا إلى ما هم عليه في المجتمع وفي حياتهم الشخصية، ومن يستفيد من ذلك وما يمكن أن يفعل لتحسين حياتهم.

في بعض الحالات تتعلق الدوافع الأساسية بمعتقدات عميقة الجذور، واعتقادات ونظريات تتطلب إعادة بناء جذرية للنظام الاجتماعي، وتُعدّ الماركسية مثالًا على ذلك. وفي حالات أخرى تكون النظرية المحفزة أقل راديكالية لكنها بالقوة نفسها من التأثير. فعلى سبيل المثال، أثرت النسوية في النشاط البحثي على نحوٍ بات يتضمن مشاركة وعملًا وتحريرًا. أخيرًا، فإن الباحثين الذين يمارسون البحث العملي هم الذين يرغبون في تغيير الأوضاع بطرائق لها دلالتها من الناحية الاجتماعية، مع أنها ليست أساسية كما هو الحال في الطريقتين السابقتين.

في الحالات كلها، يعتمد البحث العملي على القناعات السياسية للباحث، وينجز بحوثًا عملية تتحرّى الأوضاع الاجتماعية، ويشرك الناس ويحشد طاقاتهم ويوجههم لوضع أهداف، ويولد نتائج ويتابعها إلى أن يتم تنفيذها. يقوم الباحث بتنفيذ الدراسة ويتأكد من أن النتائج تلقى الاهتمام الذي تستحقه. وبذلك لا يكون الباحث مجرد باحث فحسب، بل هو متعاون وميسر لعملية البحث التي تتضمن: طابعًا سياسيًا وطابع المشاركة والمساهمة والعناصر التحريرية ومشاركة الباحث المباشرة والتزامه الشخصي. وفي النهاية، فإن البحث العملي يساعد في تمكين المشاركين وتطوير مهاراتهم والمعرفة التي تلزمهم لإحداث تغيير في بيئتهم[25].

(25) J. McNiff, *Action Research: Principles and Practice* (London: Routledge, 1992).

الإطار 8.14

المبادئ الأساسية للبحث العملي

- **الالتزام بقضية الدراسة**: البحث ليس مهمة تؤدى، لكنه واجب.
- **الطبيعة التحريرية**: تفسير البنى الاجتماعية وتوضيح أسباب المشكلات.
- **مشاركة المبحوثين الفاعلة** في الدراسة والتعاون مع الباحث.
- **مقاومة الأنظمة** والسياسات والممارسات القائمة.
- **الطبيعة السياسية** للدراسة وأسبابها ونتائجها.
- **الطبيعة التطبيقية للبحث**، حيث إنه يركز على حل المشكلات.
- **التزام أنموذج نقدي** يوجه البحث وأساسه السياسي.
- **تمكين المشاركين** لإحداث تغيير في بيئتهم.
- **الالتزام بتغيير النظام الاجتماعي** وإعادة بنائه.
- **إجراءات وعمليات مشحونة بالقيم.**

تؤثر المصالح السياسية والأولويات والقيم والأيديولوجيات في نوع البحث ونطاقه وفي طبيعة النتائج وتطبيقها، كما أن البحث العملي يؤثر أيضًا في الحياة السياسية والاجتماعية. وهذا ما يحمل السياسيين وصناع السياسة على أن يكونوا حذرين في تحديد أنواع البحوث التي يدعمونها ونوع النتائج التي ينشرونها. لذلك فإن على الباحثين الاجتماعيين أن يدركوا هذه العلاقة، وأن يتخذوا قراراتهم وفقًا لمعايير ومبادئ أخلاقية[26].

4.3 تصميم البحث

يتبع البحث العملي خطوات البحث نفسها المتبعة في أنواع البحوث الأخرى.

(26) A. J. Kimmel, *Ethics and Values in Applied Social Research* (Newbury Park, Calif.: Sage, 1988).

يبدأ البحث بالترتيبات الضرورية للخطوة التحضيرية، ثم ينتقل إلى تصميم البحث وجمع البيانات والتحليل، وأخيرًا نشر النتائج. وفي ما يلي مثال توضيحي.

الخطوة 1 التحضير

يبدأ الباحث أولًا باختيار موضوع البحث وتعريفه. وكغيره من الباحثين، يقوم الباحث العملي بتحديد قضية تحتاج إلى بحث، ثم يُعرّفها لتصبح واضحة ومحددة، كما يبين التناقضات والمظالم، إضافةً إلى تسمية الموضوع[27]. ويختلف البحث العملي عن البحوث الأخرى، حيث يميل الباحث إلى اختيار موضوع جدلي يتعلق بمشكلة أو إهمال أو ظلم وما شابه ذلك. لكن هذا ليس عنصرًا من عناصر تصميم البحث؛ لأنه جزء من الإطار النظري للبحث الذي يرتكز عادة على مبادئ نقدية أو ماركسية أو نسوية بدلًا من المبادئ والمعايير الوضعية.

الخطوة 2 تحديد الموضوع إجرائيًا

في هذه الخطوة تُعرّف المفاهيم الأساسية وتوضح. مثال ذلك إجراء دراسة عن ظلم المثليين واضطهادهم في بلدة صغيرة. على الباحث هنا أن يعرّف نوع المثليين الذين سيدرسهم (الشاذين جنسيًا أو السحاقيات أو العازب، مع وجود أطفال أو من دون أطفال)، وأنواع الاضطهاد التي ستخضع للبحث، والضواحي المحددة التي ستشملها الدراسة، ما لم يجرِ البحث في إطار البحث النوعي.

يُعد تحديد الموضوع وتعريفه إجرائيًا خطوة أساسية في البحث العملي وغيره من أنواع البحوث. ويكون التحديد الإجرائي عنصرًا أساسيًا في البحث إذا كان موضوع البحث في حاجة إلى تحديد وتعديل ومعالجة قبل طرحه على المبحوثين. ففي المثال السابق، لا بد من تعريف الظلم أو الاضطهاد إجرائيًا، حيث يصبح قابلًا للقياس، خصوصًا إذا كان القياس جزءًا من الدراسة. وإذا لم يكن الأمر كذلك، سيجري التعامل مع مفهوم الاضطهاد كما الحال في البحوث النوعية. وينطبق هذا على الفرضيات أيضًا.

(27) Y. Wadsworth, *Everyday Evaluation of the Run* (Melbourne: Action Research Issues Association, 1991), p. 5.

الخطوة 3 اختيار العينة

إن خطوات اختيار العينة في البحث العملي هي نفسها التي تُستخدم في البحوث الأخرى، حيث تُستخدم العينات الاحتمالية أو غير الاحتمالية، وقد تشمل عددًا قليلًا أو كثيرًا من المبحوثين. ومن المتوقع أن تستخدم هذه الدراسات عينة كرة الثلج و/ أو أساليب اختيار من خلال جمعيات الشاذين، حيث يمكن الحصول على عينة للدراسة منها.

الخطوة 4 جمع البيانات

يستخدم البحث العملي طرائق جمع البيانات المستخدمة في أنواع البحوث الأخرى. وأهم الطرائق هنا المقابلات المكثفة ومجموعات التركيز. وفي معظم الحالات تكون طرائق جمع البيانات في البحث العملي كما في البحوث الأخرى، وهذا صحيح في ما يتعلق بالجوانب الفنية المتعلقة بالوصول إلى المبحوثين وجمع البيانات المطلوبة، لكن هناك بعض الفروق.

يشجع البحث العملي على مشاركة المبحوثين بدرجة أكبر مما عليه الحال في أنواع البحث الأخرى، حيث يُشجَّع بعض أفراد الدراسة على المشاركة الفاعلة مع الباحث في خلال البحث كله. وتبدأ المشاركة من تحديد موضوع البحث وتصميمه، وقد تستمر إلى حين نشر النتائج[28]. وتجري استشارة المجموعات المثلية التي ستخضع للدراسة، وتوجه إلى كيفية التعامل مع السلطات بفاعلية أكبر وبمساعدة فريق البحث ومساعديهم.

الخطوة 5 تحليل البيانات

يتم تفسير البيانات وتحليلها وفقًا لمعايير المنهجية التي يرتكز عليها البحث. وكما الحال في أنواع البحث الأخرى، يستخدم الباحثون الإجرائيون طرائق ملائمة لتحديد الاتجاهات وتبرير الاستنتاجات المتعلقة بسؤال البحث. وقد تُستخدم الطرائق الكمية أيضًا، لكن نتائج المقابلات المكثفة ومناقشات مجموعات التركيز أكثر مواءمة للتحليل النوعي.

---

(28) Whyte, ed., *Participatory Action Research.*

الخطوة 6 كتابة تقرير البحث

كما الحال في الخطوات السابقة، يُكْتَب البحث وفقًا لطرائق كتابة تقارير البحوث في الأنواع الأخرى. لكن طبيعة البحث تتطلب إدراكًا استباقيًا للنتائج، حيث يشترك الباحث والمبحوث معًا في إعطاء النتائج الأهمية التي تستحقها.

الخطوة 7 الخطوات اللاحقة

بينما يشعر الباحثون الآخرون بالرضا والسعادة عندما تُنشَر بحوثهم في مجلات متخصصة أو بشكل تقرير، ينظر الباحثون العمليون إلى مرحلة تقديم التوصيات إلى السلطات المسؤولة والتأكد من تنفيذها باعتبارها خطوة من خطوات البحث. وقد يتطلب ذلك المزيد من الضغط على السلطات المعنية مثل جماعات المصالح، وزيارة السلطات المعنية لضمان اتخاذ القرارات الملائمة، وزيارة ممثل المنطقة في البرلمان لاتخاذ الإجراء الملائم، واستخدام الحملات الإعلامية لنشر النتائج وكسب تأييد الجمهور. وقد يتطلب ذلك أيضًا التظاهر أمام مجلس الأمة وفي أماكن أخرى للتعبير عن رأيهم وتوضيح الأمر للمعنيين.

تعمدنا عدم الحديث عن المنظور النظري في أثناء الحديث عن التصميم؛ لأن المنظور النظري يتغلغل في أجزاء البحث كلها، ويقدم توجيهات وإرشادات تشكل محددات للبحث العملي وأي بحث آخر بشكل عام. ويعني هذا التخلص من التحيز المنهجي والنظري. ولا تختلف الجوانب الفنية للبحث العملي كثيرًا عن مثيلاتها في أنواع البحث الأخرى، وتاليًا فإن العامل الذي يصنع الفرق هنا هو السياسة، كما يتطلب الإطار النظري للبحث العملي.

5.3 مزايا البحث العملي وعيوبه

استُخدم البحث العملي في الماضي بنجاح ولا يزال كذلك على نحو متزايد. وإلحاح بعض الباحثين النسويين والماركسيين يجعله ينمو ويزدهر. ويكمن السر في نجاحه في مزاياه المتعددة وعيوبه القليلة والأقل أهمية كما نرى في الإطار 9.14.

الإطار 9.14

مزايا البحث العملي وعيوبه	
المزايا	**العيوب**
يشجع مشاركة الناس	لا يسمح بإعادة التطبيق أو التكرار
يشجع أصحاب المصلحة على تحمل المسؤولية في البحث	قد يثبت الأفكار المسبقة للباحث
يشجع على التحرر	يتحيز لمصلحة بعض الجماعات
يخدم المصلحة العامة	لا يضمن تمثيل العينة والموضوعية والتعميم
يهدف إلى إحداث تغيير	مصداقيته منخفضة بسبب اشتراك غير المحترفين في البحث
يجعل العمليات الاجتماعية والسياسية شفافة للجمهور	لا يوجد ضبط لطبيعة النتائج وجودة تصميم البحث

إن العيوب التي أشير إليها تتعلق بالنقد الموجه للبحث العملي الذي يرتكز على البحث النوعي، وفي الواقع فإنها هي نفسها عيوب البحث النوعي بشكل عام، ولا تخص البحث العملي باعتباره أنموذجًا للبحث. إن معظم هذه الانتقادات غير ملائمة عندما يرتكز البحث العملي على نمط البحث الكمي. وأيًا كان الأمر، يظل البحث العملي ذا مزايا كثيرة تفوق عيوبه بشكل كبير. لكن يجب أن نلاحظ أن ما يجعل هذا البحث مهمًا ومفيدًا ليس تصميمه أو طريقته، بل «العمل» الذي يوجه سيرورته. وتكمن أهمية البحث العملي **أولًا** في طريقة استخدامه وتعديله الطرائق الحالية لتعزيز دوافع استخدامه، **وثانيًا** في الالتزام والمشاركة السياسية للباحثين والمبحوثين.

لا يعني ذلك أن هذا البحث أقل جاذبية، بل يعني أنه مقاربة تتضمن توازنًا بين المنهجية والسياسة، الأمر الذي يجعله طريقة بحث عظيمة الفائدة. والمهم أن ندرك هنا أن تصميم البحث يعتمد على الأنموذج النوعي أو الأنموذج الكمي، وأنَّ قيمته من قيمة هذين المنهجين.

نقاط أساسية

- يركز البحث الأساسي على كسب معرفة جديدة وتعزيز الفهم العلمي لبعض جوانب العالم.
- يعالج البحث التطبيقي مشكلات محددة، ويبحث عن حلول لها. والدافع هنا ليس المعرفة العلمية في حد ذاتها بل التطبيق، وحلّ المشكلات والتغيير.
- أنواع البحث التطبيقي الرئيسة الثلاثة هي: البحث الوبائي وبحوث الجدوى والبحث التقويمي.
- يستخدم العاملون الاجتماعيون والمهتمون بشكل عام هذه الأشكال من البحث التي تشكل أيضًا أكثر أدوات البحث النسوي استخدامًا.
- البحث التقويمي شكل فريد من البحوث الاجتماعية، ويُستخدم لتقويم قيمة أو جدوى سياسة مطبقة أو برنامج علاجي مخطط له.
- يظهر البحث التقويمي بأشكال عدة: الختامي والتكويني وتحليل الحاجات وتحليل التأثير وتحليل العملية.
- يوفر تقويم الحاجات مخرجات تشخيصية مفيدة للسياسة العامة والتدخل العلاجي الاجتماعي.
- يجمع البحث العملي بين المنهجية المعيارية والدافع السياسي ومشاركة المبحوثين الفاعلة. وعلاوة على ارتباط البحث العملي بالمبحوثين، فهو يتضمن عناصر للتحرير والتغيير.
- ينسجم البحث العملي مع الأنموذج البحثي النسوي حيث استُخدم كثيرًا.
- تكمن قيمة تصاميم البحث هذه في «تطبيقها» وهدفها، وليس في طبيعة طرائقها.

إلى أين؟

قبل أن تترك هذا الفصل، لا بد لك من أن تزور الموقع المرافق للطبعة الثالثة من كتاب **البحث الاجتماعي**: http://www.palgrave.com/sociology/sarantakos

لتراجع المفاهيم الأساسية في هذا الفصل وتختبر نفسك في القضايا الرئيسة التي ناقشناها.

قراءات إضافية

Books

Boruch, R. *Randomized Experiments for Planning and Evaluation: A Practical Guide.* Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1997.

Cunningham, J. B. *Action Research and Organisational Development.* London: Praeger, 1993.

Hawe, P., D. Degeling and J. Hall. *Evaluating Health Promotion: A Health Workers Guide.* Sydney: MacLennan and Petty, 1993.

Pawson, R. and N. Tilley. *Realistic Evaluation.* London: Sage, 1997.

Posovac, E. J. and R. G. Carey. *Program Evaluation: Methods and Case Studies.* Upper Saddle River, N. J: Prentice-Hall, 1997.

Reason, P. and H. Bradbury. *Handbook of Action Research: Participative Inquiry and Practice.* London: Sage, 2001.

Robson, C. *Small-Scale Evaluation: Principles and Practice.* London: Sage, 2000.

Selener D. *Participatory Action Research and Social Change.* Ithaca, N.Y.: Cornell University, 1997.

South Australian Community Health Research Unit. *Planning Healthy Communities: A Guide to doing Community Needs Assessment.* Adelaide: Flinders Press, 1991

Weiss, C. H. *Evaluation: Methods for Studying Programs and Policies.* Upper Saddle River, N.J.: Prentice-Hall, 1997.

Periodicals

Hicks, C. and D. Hennessy. «The Use of Customized Training Needs Analysis Tool for Nurse Practitioner Development.» *Journal of Advanced Nursing*: vol. 26, 1997.

Hicks, C., D. Hennessy, and F. Bawell. «Development of a Psychometrically Valid Framing Needs Analysis Instrument for Use with Primary Health Care Teams.» *Health Services Management Research*: vol. 9, 1996.

Shepherd, J. C. «Training Needs Analysis: Necessity or Luxury?» *Journal of Nursing Management*: vol. 3, 1994.

القسم الرابع

تحليل البيانات

15. التحليل النوعي
16. التحليل الكمي

الفصل الخامس عشر

التحليل النوعي

هذا الفصل

- يركز على طبيعة التحليل النوعي وخصائصه.
- يوضح عرض البيانات في البحث النوعي.
- يوضح النظرية المؤسَّسة والاستقراء التحليلي.
- يناقش المقابلات السردية.
- يقدم أساسًا للمقارنة بين التحليل النوعي والتحليل الكمي.

العناوين الرئيسة

مقدمة

1. توقيت التحليل النوعي
2. أنواع التحليل النوعي
3. النظرية المؤسَّسة
4. الاستقراء التحليلي
5. البناء والتفكيك
6. تحليل البيانات في المقابلات السردية
7. عرض البيانات في البحث النوعي
8. التحليل بمساعدة الحاسوب

نقاط أساسية

إلى أين؟

قراءات إضافية

مقدمة

يتميز التحليل النوعي بأنه يتعامل مع بيانات مكتوبة بالكلمات، وبأنّه يتضمن القليل من القياسات الكمية والتقنيات المعيارية والإحصائية[1]، ويهدف إلى تحويل البيانات النوعية وتفسيرها بطريقة علمية منظمة ودقيقة[2]، وفي ما عدا ذلك ليس هناك إجماع على كيفية إجراء التحليل النوعي، ولا على مواصفات قبوله. يقول بعض الباحثين[3] إن عملية التحليل النوعي أكثر عمقًا وتركيزًا وتفصيلاً من التحليل الكمي وتتخذ أحد خيارين: الاستقراء التحليلي والنظرية المؤسَّسة. لكن خيارات التحليل النوعي لا تتوقف عند هذا الحد.

هناك باحثون يتحدثون عن طرائق أخرى للتحليل ترتكز بشكل رئيس على تحليل الخطاب والتفكيك وتحليل المحادثة والتحليل المسرحي والتحليل التأويلي والتحليل مابعد الحداثي والتحليل السردي والسيميائي والبنيوي ومابعد البنيوي. باختصار، يستخدم التحليل النوعي طرائق عدة وله استخدامات عدة، ويستهدف فئات مختلفة وله ممولون كثر[4]. ويذكر ولكوت[5] أكثر من عشرين

(1) U. Engel and U. Weggenig, «Statistische Auswertungsverfahren nominalskalierter Daten,» in: U. Flick et al., eds., *Handbuch Qualitative Sozialforschung* (Munich: Psychologie Verlags Union, 1991).

(2) A. Coffey and P. Atkinson, *Making Sense of Qualitative Data: Complementary Research Strategies* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1996), p. 3.

(3) أمثال: W. Farber, *kunstlehre der Erklärung* (Graz: Selbstverlag, 2001); N. W. Jankowski and F. Wester, «The Qualitative Tradition in Social Science Inquiry: Contributions to Mass Communication Research,» in: K. B. Jensen and N. W. Jankowski, eds., *A Handbook of Qualitative Methodologies for Mass Communication Research* (London: Routledge, 1991).

(4) N. G. Fielding and R. M. Lee, *Computer Analysis and Qualitative Research* (London: Sage, 1998).

(5) H. F Wolcott, «Posturing in Qualitative Research,» in: M. D. LeCompte, W. L. Millroy and J. Preissle, eds., *The Handbook of Qualitative Research in Education* (San Diego: Academic Press, 1992); =

استراتيجية أو طريقة للبحث، بينما يرفع تيش[6] هذا الرقم إلى 27. والعوامل المشتركة بين هذه الطرائق التحليلية هو انتماؤها إلى الأنموذجين الإرشاديين التفسيري والتأويلي، وفهمهما العالم بأنه يُشكَّل اجتماعيًا من خلال اللغة، وفكرة أن التحليل يتعامل مع التمثيلات الثقافية باعتبارها نصوصًا[7].

سنشرح في هذا الفصل أكثر طرائق التحليل النوعي شيوعًا، وسنوضح توقيتها وطبيعتها بالتفصيل.

أولًا: توقيت التحليل النوعي

بخلاف التحليل الكمي الذي يُجرى بعد جمع البيانات، يُجرى التحليل النوعي في أوقات مختلفة. ففي بعض الحالات يُجرى بعد جمع البيانات، لكنه في أغلب الأحيان يُجرى في أثناء جمع البيانات. ومن الممكن أيضًا أن يجمع بين الأنموذجين.

1.1 التحليل في أثناء جمع البيانات

يُعد التحليل في أثناء جمع البيانات أكثر طرائق التحليل استخدامًا والتزامًا بمبادئ البحث النوعي. ففي هذه الحالة، تُجمع البيانات وتُرمَّز وتُنَظَّم مفهوميًا، ويُربط بعضها ببعض وتحلل وتقوَّم، ثم تُستخدم نقطة انطلاق لاختيار المزيد من العينات وجمع البيانات والمعالجة والتحليل حتى يصل الباحث إلى درجة الإشباع أو الاكتفاء، وبذلك تندمج عملية جمع البيانات مع عملية تحليلها.

على سبيل المثال يقوم الباحثون الميدانيون بدراسة البيانات المجموعة عن كثب، وقد يجتمعون مع زملائهم لمناقشة نتائجهم ومقارنة ملاحظاتهم والتأكد

H. F. Wolcott, *Transforming Qualitative Data: Description, Analysis, Interpretation* (Thousand Oaks, = Calif.: Sage, 1994).

(6) R. Tesch, *Qualitative Research: Analysis, Types and Software Tools* (New York: Falmer, 1990).

(7) A. Benini, *Construction of Knowledge* (Rome: Gnome, 2000); Farber, *kunstlehre der Erklärung*.

من الاتّساق وإجراء تحليل للبيانات واستخلاص النتائج قبل الاستمرار في جمع البيانات، وتتخذ هذه العملية شكلًا لولبيًا يبدأ من تحليل البيانات واختصارها إلى ترتيبها وتفسيرها، ثم يعود إلى جمع البيانات مرة أخرى وتحليلها واختصارها وترتيبها وتفسيرها، إلى أن يصل الباحث إلى درجه الإشباع أو الاكتفاء.

في هذه العملية، يقوم الباحثون بتشذيب البيانات والتأكد من صدق النتائج المستخلصة وتحديد الجوانب المشتركة والعامة والتخلص من الحالات السلبية، ما يؤدي إلى درجة من الاتّساق، وإلى درجة من التعميم على نطاق محدود. كما يقوم الباحثون أيضًا بالربط بين التعميمات واختبارها وإعادة اختبارها ومقارنتها باستمرار من أجل الوصول إلى تصنيفات، وفي النهاية إلى نظريات (انظر الإطار (1.15)).

2.1 التحليل بعد جمع البيانات

في كثير من الحالات، وبغض النظر عن تصميم البحث، يبقى شيء للتحليل بعد الانتهاء من جمع البيانات. وهناك حالات يتم فيها التحليل النوعي كاملًا بعد جمع البيانات كما الحال عندما يتم تسجيل البيانات إلكترونيًا بوساطة الفيديو أو الشرائط المسموعة. ففي هذه الحالة، يجرى التحليل الرئيس بعد جمع البيانات وبعد مشاهدة الفيديو والاستماع إلى الشرائط. ويختلف نوع التحليل باختلاف طبيعة الدراسة.

3.1 التحليل في أثناء جمع البيانات وبعده

ليس الجمع بين نوعي التحليل ممكنًا فحسب، بل كثير الاستخدام أيضًا. فمن المعروف أنه في أثناء جمع البيانات يقوم الباحثون بإجراء جزء من التحليل الأساسي وتسجيل البيانات ثم التركيز على التحليل بعد الانتهاء من جمع البيانات، وذلك بالتركيز على جوانب محددة من سؤال البحث كما يظهر من أهدافه. وفي حالات كثيرة، يهدف التحليل في أثناء جمع البيانات إلى توجيه البحث في الاتجاه السليم، وتسهيل معالجة موضوع البحث وتغطيته بشكل كامل. لكن التحليل الفعلي يُجرى بعد اكتمال جمع البيانات.

الإطار 1.15

عملية التحليل

إن الباحث في التحليل النوعي:

1. يركز على البيانات المجموعة ويقرأها في سياقها وضمن إطار البحث وهدفه، مستخدمًا تحليلًا وصفيًا بسيطًا للمحتوى.

2. يحدد البيانات التي توجد بينها عوامل مشتركة ويضعها تحت رمز معين.

3. يسجل انطباعاته الأولية وما يلاحظه حول إجراء البيانات.

4. يتفحص البيانات لتحديد أنماط وأفكار رئيسة وتتاليات معينة وفروق وغيرها.

5. يكوّن مصفوفات وخرائط وجداول بيانية ورسومًا وأشكالًا أخرى لعرض المادة.

6. يجمع بيانات جديدة ويتعامل معها كما في الخطوات السابقة.

7. يكوّن مجموعات متشابهة ويتخلص من الحالات السلبية، ما يؤدي إلى درجة من الاتّساق وإلى تعميمات على نطاق محدود.

8. يربط التعميمات معًا ويختبرها ويُعيد اختبارها ويقارنها باستمرار من أجل الوصول إلى تصنيفات، وفي النهاية إلى نظريات[8].

في حالات أخرى، يهدف التحليل الذي يُجرى بعد جمع البيانات إلى تحسين التحليل الأولي والتأكد من سلامته. ويحدث ذلك عندما تُختبر النتائج التي استخلصت في خلال المراحل الأخيرة من جمع البيانات وتقارَن مع الملاحظات النهائية أو بالبيانات التي سُجلت إلكترونيًا (فيديو أو شرائط مسموعة). هنا تساعد المعلومات الإضافية في تعزيز، وأحيانًا تصحيح، النتائج الأولية. فقد يطلب الباحث من زملائه الاستماع إلى التسجيلات أو مشاهدتها للحصول على نصائحهم وملاحظاتهم لتوضيح الاتجاهات والتحقق من التفسيرات الأولية.

---

(8) Benini, *Construction of Knowledge*; L. Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit* (Wien: Selbstverlag, 2000); M. B. Miles and A. M. Huberman, *Qualitative Data Analysis: An Expanded Sourcebook* (Beverley Hills, Calif.: Sage, 1994).

ثانيًا: أنواع التحليل النوعي

أشرنا في المناقشة السابقة إلى موقع التحليل في تصميم البحث النوعي وإلى كيفية إجراء هذا التحليل. ومع أن هذا الوصف كان موجزًا، إلا أنه يشير إلى الخصائص الرئيسة لهذا التحليل عندما يتم بعد جمع البيانات أو في أثنائها أو بعدها.

يتطلب التحليل النوعي أكثر مما ذكرناه سابقًا. وبعبارات محددة، يمكننا القول إنه يمكن تصنيف عملية التحليل إلى ثلاث فئات مختلفة: الثابتة والمتكررة والذاتية. باختصار، يُستخدم الأنموذج الثابت عندما يجرى التحليل بعد جمع البيانات، ويُستخدم الأنموذج المتكرر عندما يجرى التحليل في أثناء جمع البيانات، أما الأنموذج الذاتي فيتبع بضع قواعد فحسب، إذا ما اتّبع أيّ قواعد، لذلك لا يمكننا قول الكثير عنه (انظر الإطار (2.15)).

يتعامل **الأنموذج الثابت** من التحليل النوعي مع الوثائق المكتوبة، فهو يدرس النصوص المكتوبة التي ينبغي للباحث أن يقرأها ويحللها. وبهذا المعنى، تُستعمل طرائق التحليل المستخدمة في دراسة الوثائق وتحليل المحتوى وتحليل النصوص. وبما أننا شرحنا هذه الطرائق سابقًا فلن نناقش الأنموذج الثابت في هذا الفصل.

يُعد **أنموذج التحليل الذاتي** أنموذجًا متنوعًا ويدرس الحالات التي لا يمكن دراستها وفقًا لأنموذجي التحليل الآخرين. وترفض مثل هذه الأنواع نماذج البحث المنتظمة وذات البنية الثابتة، كما ترفض الاعتقاد بعالم منظم أو بالحقيقة والمعرفة الموضوعية، أو بالافتراض بأن طرائق البحث قادرة على جمع معلومات يمكن أن تكون مشتركة لدى جميع الأكاديميين.

ترتكز هذه المدرسة الفكرية على الخيار الشخصي والقرارات الشخصية والميول الشخصية، وكذلك على الآراء الذاتية بخصوص الحقائق والمعرفة. ومن الأمثلة على هذه المدرسة الفكرية أنموذج مابعد الحداثة الراديكالي. ولإدراكنا بعدم وجود معايير عامة للتحليل الذاتي كما الحال في نماذج البحث الأخرى، فإن

الباحثين يستعيرون في بعض الحالات الإجراءات التي تلائم بحوثهم من نماذج أخرى، ولا حاجة لنا هنا في مناقشة هذا الأنموذج البحثي. لذلك، سنناقش في ما بقي من هذا الفصل الإجراءات التحليلية التي تقع ضمن الأنموذج المتكرر، وهي النظرية المؤسَّسة والاستقراء التحليلي والبناء وإعادة البناء.

الإطار 2.15

الأنواع الرئيسة للتحليل النوعي
▪ **التحليل النوعي المتكرر:** تستخدم هذه الطريقة التحليلية استراتيجيتين رئيستين: النظرية المؤسَّسة والاستقراء التحليلي، وتتميز هاتان الاستراتيجيتان بالاستخدام المتكرر لجمع البيانات والتحليل.
▪ **التحليل النوعي الثابت:** تُستخدم هذه الطريقة بشكل رئيس عندما يتبع البحث تصميمًا محددًا. ففي هذه الحالة يجرى التحليل بعد جمع البيانات ويتضمن طريقة تحليل المحتوى أو تحليل النص. ويعتمد نوع الطريقة على طبيعة البيانات وهدف التحليل وطبيعة الإطار النظري الذي يرتكز عليه البحث.
▪ **التحليل النوعي الذاتي:** يُستخدم هذا التحليل في الحالات التي لا يمكن فيها استخدام أيٍّ من النوعين السابقين. وتشترك استخداماته كلها في عدم انسجامها مع البحث المنظم والتحليل المنتظم، وعدم ثقتها بالأساليب والطرائق الصارمة. وفي عدد من الحالات، تؤدي حالات عدم الإيمان بالحقيقة الموضوعية وعدم الثقة بقدرة الطرائق المعيارية في استخلاص المعرفة إلى اختيار ذاتي للطرائق دونما اعتماد على مبادئ وقواعد عامة.

ثالثًا: النظرية المؤسَّسة

1.3 مقدمة

كما ذكرنا سابقًا، يُجرى التحليل النوعي في إطار الأنموذج المرن الذي يرتكز على النظرية المؤسَّسة. لذلك، فعند مناقشة طبيعة التحليل النوعي - من دون تجاهل التنوع في هذا الأنموذج البحثي - من المنطقي والمشروع أن نشير إلى النظرية المؤسَّسة ونعطيها الاهتمام الذي تستحقه. واذا اختزلنا وصف عملية التحليل في هذا الأنموذج البحثي يمكننا القول إن تحليل البيانات هنا عملية

دينامية تتضمن عناصر متعددة من عملية البحث، ولا تؤجل إلى مابعد اكتمال جمع البيانات[9]. كما يقول الخبراء، فإن تحليل البيانات يتضمن الإجراءات المذكورة في الإطار 3.15.

الإطار 3.15

جوانب التحليل المؤسَّس

1. تحديد مؤشرات مفهوم ما.
2. دراسة المؤشرات ومقارنتها.
3. ترميز المؤشرات والبحث عن إجابات وصوغ الفرضيات.
4. تصنيف المؤشرات المتشابهة في فئة واحدة.
5. تسمية الفئة واعتبارها فئة رمزية تعكس التشابه بين المؤشرات والقاسم المشترك الأصغر بينها. وهذا هو الرمز المفهومي، المفهوم.
6. مقارنة المؤشرات بالمفاهيم وبمؤشرات أخرى، ما يساعد في تشذيبها وربطها بشكل ملائم بالبيانات.
7. البحث عن سمات أخرى في الفئات وتشذيبها وجمع المزيد من المعلومات إلى أن تُختَبَر الرموز ونصل إلى درجة الاكتفاء أو الإشباع. كلما زاد التشابه بين مؤشرات المفهوم المعني زادت درجة إشباع سمات المفهوم.
8. تطوير وإشباع فئات أخرى بالمقارنة المستمرة.
9. تضمين النظرية مفاهيم وسماتها التي جرى تطويرها كما وصفنا أعلاه.
10. اختبار النظريات مزيدًا من الاختبار ومقارنتها وربما تشذيبها وتغييرها.

سنرى في ما بعد كيف تتم هذه العملية بالضبط. في هذه المرحلة هناك حاجة إلى تعريف المفاهيم والممارسات الأساسية للنظرية المؤسَّسة وتفسيرها، مثل الفئات، واختيار العينات نظريًا، والإشباع النظري، والترميز.

---

(9) A. L. Strauss, *Qualitative Analysis for Social Scientists* (New York: Cambridge University Press, 1987; 1990); *Grundlagen Qualitativer Sozialforschung: Datenanalyse und Theorielbildung in der Empirischen Sozialforschung* (Munich: Wilhelm Fink Verlag, 1991), p. 51; B. G. Glaser, *Emergence vs. Forcing: Basics of Grounded Theory Analysis* (Mill Valley, Calif.: Sociology Press, 1992).

2.3 أدوات التحليل

المفاهيم والمؤشرات

إن المؤشرات بيانات ملموسة، مثل أنماط السلوك والحوادث الاجتماعية الملاحظة والموصوفة في الوثائق ونصوص المقابلات. وهي تدل على وجود مفهوم يقوم الباحث بتطويره، بشكل موقت في البداية ثم بمزيد من الثقة. وتحتل مثل هذه المفاهيم موقعًا مركزيًا في سياق النظرية المؤسَّسة.

الفئات

الفئة هي وحدة معلومات تتضمن حوادث ووقائع وأمثلة[10]. تؤدي الفئات التي تعالج بشكل ملائم إلى تحديد فئات رئيسة تساعد في اختيار العينات نظريًا وجمع البيانات. والفئة الرئيسة هي الفئة التي تمتلك القوة اللازمة لتفسير أكبر درجة تباين في السلوك، وتساعد أيضًا في تكامل النظرية وتقويتها وإشباعها. وكما قال ستروس[11] مؤسس هذا الأنموذج البحثي، فإن الفئة الرئيسة يجب أن تحقق المعايير الآتية:

- أن تكون محايدة.
- تتكرر كثيرًا في البيانات.
- تسمح بالإشارة إلى فئات أخرى بسهولة.
- تتضمن إشارات واضحة إلى النظرية الشكلية.

الأهم من ذلك هي الفئة الجوهرية التي يسعى هذا الأنموذج البحثي إلى توفيرها، ألا وهي النظرية المؤسَّسة.

---

(10) Benini, *Construction of Knowledge*, p. 65; A. Böhm, «Theoretisches Codieren: Textanalse in der Grounded Theory,» in: U. Flick, E. von Kardorff and I. Steinke, eds., *Qualitative Forschung: Ein Handbuch* (Reinbek bei Hamburg: Rowohlt, 2000).

(11) Strauss, *Grundlagen qualitativer Sozialforschung*, pp. 67-68.

الاختيار النظري للعينة

بخلاف أنموذج البحث الكمي وعدد من النماذج النوعية التي يتم اختيار العينة فيها قبل الشروع بالبحث، في النظرية المؤسَّسة تُختار العينة والسياقات والحوادث بشكل رئيس في خلال عملية جمع البيانات والتحليل. ويبدأ اختيار العينة هنا باختيار موجّه للوحدة الأولى. وتوجه المعلومات التي تجمع من المبحوث الأول الباحثَ إلى من سيكون المبحوث الثاني، وتوجه المعلومات التي تجمع من المبحوثين كليهما الباحث إلى اختيار المبحوث الثالث... وهكذا. وبعبارة محددة فإن النظرية التي تبرز تتحكم باختيار المبحوثين[12]، لذلك سميت العملية بالاختيار النظري للعينة.

الاكتفاء النظري

يشير هذا المفهوم إلى المرحلة التي تكفّ فيها بيانات جديدة عن البروز في عملية البحث، وتكون الفئة قد تطورت تمامًا، وتصبح العلاقات بين الفئات محددة ومؤكدة[13].

الترميز

يُعد الترميز من أهم عناصر النظرية المؤسَّسة، وهو عملية متنوعة ومعقدة. ولذلك سنناقش هذا المفهوم بالتفصيل في ما يلي.

3.3 الترميز

يُعد الترميز السبيل الأساسي إلى بناء النظرية في إطار النظرية المؤسَّسة، لذلك ينبغي أن يُجرى الترميز بدقة وانتظام. وكما يقول مؤسس النظرية المؤسَّسة[14] يجب على الباحثين الانتباه إلى التحذيرات الواردة في الإطار 4.15.

---

(12) Ibid., p. 70.

(13) A. L. Strauss and J. M. Corbin, *Basics of Qualitative Research: Techniques and Procedures for Developing Grounded Theory* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1998), p. 212.

(14) Strauss, *Grundlagen Qualitativer Sozialforschung*, pp. 122-123.

في إطار هذه المعايير يظهر الترميز في ثلاثة أشكال: المفتوح والمحوري والانتقائي. ويطبَّق كل نوع بطريقة معينة ويهدف إلى تحقيق أهداف معينة أيضًا في عملية بناء النظرية، كما سنرى.

الإطار 4.15

احترس في أثناء عملية الترميز:
▪ لا تفسر الجمل، لكن اكتشف الفئات الأصلية وسمِّها.
▪ حدد الفئات وفقًا للأنموذج الإرشادي الذي يستند إليه الترميز (بالإشارة إلى الأحوال والاستراتيجيات والنتائج).
▪ رتب الفئات وعلاقاتها مع الفئات الفرعية الواحدة بعد الأخرى.
▪ اربط الفئات بالبيانات وأشر إليها بشكل ملائم.
▪ ركز على العوامل التي تسهل عملية الفرز والتصنيف.
▪ بيّن العلاقات بين الفئات والفئات الفرعية.
▪ اربط الفئات غير المترابطة مع غيرها أو احذفها.

الترميز المفتوح

يهدف الترميز المفتوح إلى تحديد المفاهيم من الدرجة الأولى والرموز الأساسية. وفي هذه العملية، يبدأ الباحث بالاطلاع على البيانات وتحليلها بحثًا عن مؤشرات تجريبية للمفاهيم. ويتطلب هذا الأمر تسجيل الملاحظات باستمرار وتصنيفها ومقارنتها بحثًا عن المعاني. وبعد ذلك يسمي الباحث البيانات ليوضح أصنافها، وفي أثناء العمل يغير التسميات كما يتطلب الأمر كي «يُمَفْهِم» البيانات، متطلعًا إلى أنساق مفهومية، ما يؤدي إلى ظهور مفاهيم تصبح في النهاية أساس الأنموذج النظري[15]. ثم يختبر الباحث المفاهيم الجديدة ليتأكد من صحتها، ويحدد ما إذا كان لها القدرة التفسيرية التي يفترض أن تمتلكها. لذلك تطبق المفاهيم أولًا في مساحة صغيرة ثم في حجم أكبر وأخيرًا في النص كاملًا. وتكون

(15) Böhm, «Theoretisches Codieren: Textanalse in der Grounded Theory.»

معرفة السياق مهمة في هذه العملية. وتقارَن الفئات الجديدة بعضها ببعض لتحديد التباين المحتمل في جوانبها. وأخيرًا تقارَن المفاهيم بعضها ببعض لتحديد المهم منها الذي يستحق المزيد من التحليل ولمعرفة أي المفاهيم يجب إهمالها.

الترميز المحوري

يُعد الترميز المحوري (الذي يسمى أيضًا الترميز النظري) مستوى متقدمًا من الترميز، ويهدف إلى الربط بين الرموز الأساسية والمفاهيم من الدرجة الأولى لتكوين مفاهيم من درجة أعلى. وفي هذا الشكل من الترميز، يضع الباحث «محورًا» يتخلّل البيانات لربط المفاهيم. وبينما «يفتح» الترميز المفتوح البيانات لاحتمالات نظرية، فإنّ الترميز المحوري «يجمع» المفاهيم معًا ويربطها بعضها ببعض ليصل إلى درجة أعلى من التجريد.

يؤدي هذا في النهاية إلى بناء «رموز نظرية» ويولّد فئات: حيث يمنح التشذيب والتفريق المفاهيم الجديدة صفة الفئات[16]. تخضع الفئات المركزية إلى مزيد من الاختبار من طريق تطبيقها في نصوص قصيرة وطويلة وفي النص كاملًا، وربطها بعضها ببعض وبالمفاهيم من حيث المحتوى والشكل، ودراستها من حيث المكان والزمان والعلاقات السببية والوسيلة والغاية. ثم تختبر العلاقات الافتراضية بينها باستخدام مادة جديدة ثم تختبر مرة أخرى بالترميز، ما يؤدي في النهاية إلى افتراضات موقتة.

الترميز الانتقائي

يدخل التحليل في هذه الخطوة مستوى أعلى من التجريد، ويسعى الباحث إلى تحديد «الفئة الجوهرية العليا». ويعني هذا اختيار فئة من بين الفئات التي تم تحديدها، حيث تحقق متطلبات الاختبارات. ويتجه التحليل هنا إلى نقطة مركزية، وتستمر عملية التحليل في مسارات مشابهة للمسارات التي استخدمت في الخطوات السابقة. ويعني هذا التعامل مع الملاحظات والرسوم البيانية والفئات بحثًا عن الظاهرة المركزية والفئة الأساسية. إن سمات الفئات الجوهرية

(16) Ibid.

المحتملة وأبعادها مرتبطة بسمات الفئات الأخرى وأبعادها، بحثًا عن الانتظامات والتعميمات ومستوى التجريد وسواها التي تكون بارزة ولديها قوة تفسير عالية. وكلما زاد مستوى تجريد الفئات ازدادت قابلية النظرية للتطبيق[17]. وبعد ذلك تحول مبادئ النظرية إلى فرضيات تقارن مرة أخرى بالواقع. وتستمر هذه العملية إلى أن نصل إلى درجة الإشباع والاكتفاء النظري؛ أي عندما لا نستطيع إضافة أي جانب إلى النظرية. ويعني هذا انتهاء التحليل.

بشكل عام، فإن هذا التصميم البحثي يتمتع بمزايا أنواع البحث النوعي كلها ويعاني عيوبها. وهناك بعض القضايا الإضافية التي تتعلق بجوانب رئيسة عدة من التطبيق ويركز معظمها على الطابع الذاتي الشديد والدرجة العالية من القرارات العشوائية التي يتخذها الباحث[18] مثل قرار الانتقال من خطوة إلى أخرى أو تحديد ما إذا تم التوصل إلى مرحلة الاكتفاء/ الإشباع، في ضوء العينة الصغيرة والمعايير النظرية القليلة التي حُددت في بداية البحث.

رابعًا: الاستقراء التحليلي

الاستقراء التحليلي إجراء يُستخدم لتحليل بيانات نوعية[19]، جرى تطويره على يد فلوريان زنانيكي (Florian Znaniecki) في ثلاثينيات القرن العشرين. ومنذ ذلك الوقت وشهرته تزداد بين الباحثين النوعيين. يهدف الاستقراء التحليلي ببساطة إلى إنتاج بيانات كاملة وشاملة في شأن الظواهر الاجتماعية[20]. ويعني الاستقراء الانتقال من الخاص إلى العام، أي تكوين مفاهيم مجردة من دراسة بيانات محددة. وهو عكس الاستنباط الذي ينتقل من العام إلى الخاص، محاولًا

---

(17) Ibid.

(18) U. Flick, *Qualitative Forschung: Theorien, Methoden, Anwendung in Psychologie and Sozialwissenschaften* (Reinbek bei Hamburg: Rowohlt, 1995), p. 205.

(19) انظر: D. Bühler-Niederberger, «Analytische Induction als Verfahren der Qualitativen Methodologie,» *Zeitschrift für Soziologie*, vol. 6 (1985); P. K. Manning, «Analytic Induction,» in: R. B. Smith and P. K. Manning, eds., *Qualitative Methods: vol. II of Handbook of Social Research Methods* (Cambridge, Mass.: Ballinger, 1982).

(20) Fielding and Lee, *Computer Analysis and Qualitative Research*, p. 22.

إثبات المفاهيم المجردة بإيجاد بيانات محددة تؤيدها. وبشكل ما، فإن الاستقراء التحليلي يتضمن الاستقراء والاستنباط معًا[21]. وبصفته استقرائيًا، فإنه يدرس البيانات التي جُمعت من خلال البحث النوعي، ويحاول إيجاد أنماط متكررة ومشتركة قد تسهم في صوغ فرضيات. أما كونه استنباطيًا فهو يختبر صدق هذه الفرضيات بمقارنتها مع بيانات البحث للتأكد من كونها صادقة وقابلة للتطبيق. وهذا ما يسمى عادة بالحلزون التحليلي.

الإطار 5.15

استخدام الاستقراء التحليلي
1. حدد وصِفْ موضوع البحث.
2. ادرس البيانات الخام التي تولّدت في أثناء الدراسة.
3. كوّن فرضية عمل في شأن طبيعة الخصائص التي يفترض الباحث أنها أكثر أهمية.
4. اختبر حالة محددة للتأكد من صلاحية الفرضية في شأن الخصائص المفترضة.
5. إذا أكدت الحالة صحة الفرضية، استمر بالمقارنة ببيانات جديدة إلى أن تصل إلى درجة الإشباع. وحينئذ تُقبَل الفرضية ويثبت صدقها.
6. إذا لم تؤكد الحالة صحة الفرضية، يمكنك أن تستبعد الحالة وتعيد تعريف الظاهرة، أو تعيد صوغ الفرضية بتغيير الخصائص المفترضة سابقًا، حيث تصبح الحالة جزءًا من الظاهرة المعنية بالدراسة.
7. استمر بالمقارنة بحالات جديدة إلى أن يؤدي التحليل إلى نظرية يمكنها أن تفسر الظاهرة في سياق معين.

كيف يجرى الاستقراء التحليلي؟ يجري التحليل وفقًا لعملية التحليل اللولبي/ الحلزوني التي عرضناها سابقًا. وينتقل التحليل ضمن هذه العملية بين العام والخاص، بين الفرضية وبيانات البحث، إلى حين التوصل إلى اتفاق. ويمكن تلخيص هذه العملية كما يظهر في الإطار 5.15[22].

(21) M. Hammersley and P. Atkinson, *Ethnography: Principles in Practice*, 2nd ed. (London: Routledge, 1995), pp. 234-235.

(22) Farber, *kunstlehre der Erklärung*; Fielding and Lee, *Computer Analysis and Qualitative Research*, p. 22; N. W. Jankowski and F. Wester, «The Qualitative Tradition in Social Science Inquiry: Contributions to Mass Communication Research,» in: K. B. Jensen and N. W. Jankowski, eds., *A Handbook of Qualitative Methodologies for Mass Communication Research* (London: Routledge, 1991).

يختلف هدف الاستقراء التحليلي من حالة إلى أخرى وفقًا لعدد من المعايير. ويرى بعض الباحثين[23] أن هذه الطريقة اختبار شامل للحالات لإثبات تعميمات عامة وسببية، لكن باحثين آخرين يترددون بقبول هذا الرأي. ويدعي هؤلاء المعارضون أن هذا الإجراء لا يستطيع أن يوجد علاقات سببية أو يتنبأ بحوادث أو يولّد تعميمات شاملة، فهم يعتقدون أن الاستقراء التحليلي ملائم لاختبار الحالات التي قد تكون مرتبطة بمفهوم في مرحلة التكوين[24].

خامسًا: البناء والتفكيك

يُعدّ البناء والتفكيك جزأين من آلية تحليلية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمذهب التفسيري وبفكرة أن العالم يُبنى ويُشَكَّل كما ذكرنا آنفًا. وبما أن هذه الآلية كثيرة الاستعمال في التحليل النوعي، من الضروري أن نصفها بإيجاز. ونجد عند لوغر[25] وصفًا للعناصر الأربعة التي تتكون منها هذه العملية كما يأتي:

- **التفكيك**: كي يفهم الباحث الظواهر فهمًا عميقًا، عليه أن يعزل نفسه عن الحوادث اليومية والتفسيرات والتنميطات، وعليه أن يتجاوز ما هو «معروف». لذلك لا بد من توسيع القدرة على التفسير وتجنب التحديد المتسرع للظواهر، وتحقيق هيكلة جديدة للمعرفة. وكي يحدث ذلك يجب أن تقسم المواد إلى أجزاء صغيرة وتُخْرَج من سياقها إلى الحد الذي لا نعود فيه قادرين على معرفة السياق الأصلي. وبهذه الطريقة، تحول النصوص إلى وحدات معنى صغيرة لا علاقة لها بالارتباطات الدلالية السابقة مع الوحدات الأخرى أو السياقات، كما تصبح متحررة من أي افتراض عام.

- **التفاضل التقابلي**: تجمع الوحدات المفككة الناتجة من الخطوات السابقة في مفاهيم جديدة لتقارن مع أبدال أخرى محتملة كي يوسع الباحث فهمه العملية المقصودة بالبحث.

---

(23) Manning, «Analytic Induction,» p. 280.

(24) Jankowski, and Wester, «The Qualitative Tradition in Social Science Inquiry.»

(25) M. Lueger, *Grundlagen Qualitativer Feldforschung* (WUV-Universitätsverlag Wien, 2000), pp. 76-80.

▪ **البناء السياقي للمعنى:** ويعني هذا تحليل المواد التي أعيد تشكيلها ضمن سياق اجتماعي مادي.

▪ **تفسير المعاني المعمق:** يفكر الباحث بالمعاني المتعددة المحتملة ويحلل هذه الاحتمالات كما لو أنها حقيقية. ويهدف ذلك إلى تمكين الباحث من تحصيل معلومات ممكنة عن سياق الظاهرة بأكمله.

▪ **اختبار النتائج:** يستمر اختبار مخرجات هذه العملية إلى أن يثبت صدق المفاهيم الناتجة.

تدل هذه المناقشة الموجزة على أن التحليل والتفسير في البحث النوعي عمليتان غير بسيطتين أو موحدتين. فالتنوع في هذا المجال مهم وجذريّ، يصعب دمجه في أنموذج واحد أو نمط أو قالب واحد. وبخلاف البحث الكمي، فإن التحليل والتفسير في البحث النوعي متنوع ومتعدد بتعدد الطرائق المستخدمة (وحتى أكثر من ذلك)، ويختلف باختلاف الأنموذج النظري أو الإرشادي الذي ترتكز عليه الدراسة.

سادسًا: تحليل البيانات في المقابلات السردية

يبدأ التحليل في المقابلات السردية بعد اكتمال السرد والحوار وتفريغ البيانات. ويعني التحليل هنا تحليل النصوص المفرغة من المقابلات، وتحليل المحتوى، وتحليل النصوص. وما يميز هذا الشكل من المقابلات أن التحليل فيها لا يركز على المقابلة نفسها بل على النص الذي يتشكل في أثناء توثيق القصة التي عرضت في أثناء المقابلة[26].

مثلًا، يُعطى الانتباه هنا إلى تحليل المحادثة (ولذلك يسمى تحليل المحادثة)[27]، بتركيز خاص على بنية المحادثة، مثل التردد في أثناء السرد،

---

(26) S. Lamnek, *Qualitative Sozialforschung. Band 1: Methodologie; Band 2: Methoden und Techniken* (Weinheim: Psychologie Verlags Union, 1993), p. 34; H. Hermans, C. Tkocz and H. Winkler, eds., *Berufsverlauf von Ingenieuren: biographieanalytische Auswertung narrativer Interviews* (Frankfurt am Main: Campus Verlag, 1984).

(27) انظر: B. Bergmann, *Sozialtheorie und Soziologie* (Stuttgart: Selbstverlag, 1991).

وأنماط سرد القصة، وترتيب الخبرات، والتغير في طريق السرد، والتذبذب في إعطاء التفصيلات في أثناء السرد، والتناقض في محتوى المعلومات وغير ذلك. ولا بد من أخذ هذه التذبذبات والترددات والتناقضات في السرد بالاعتبار عند استخلاص النتائج في شأن البنى والعمليات. ومن الجدير بالذكر أن مثل هذه الجوانب في القصة لا ترتبط بالضرورة بمشكلات في تشكيل المبحوث الواقع، بل قد تكون من خصائص الواقع نفسه.

يمكن تلخيص عملية تحليل النصوص المستخلصة من المقابلات السردية في ست خطوات كما وردت لدى شوتز (Schutze) وآخرين من الباحثين[28]، وهذه الخطوات:

1. **تحليل النص الشكلي**: تتضمن الخطوات الأولى في التحليل تنظيف النص من المواد غير السردية وتحضيره للتحليل الذي يشتمل تحديد الحوادث المتسلسلة في النص، والبحث عن وجود أنواع من المعلومات التي قدمها المبحوث بدرجات متفاوتة من الأهمية (هل أعطى المبحوث أولوية معينة لبعض الحوادث دون غيرها واعتبرها أكثر أهمية، بينما تعامل مع بعض الحوادث الأخرى وكأنها أقل أهمية؟)، وبهذه الطريقة يُقسَم النص إلى حوادث متسلسلة توضح كيفية إدراك المبحوث ووصفه وتقويمه تلك التسلسلات من الحوادث. بعد ذلك يُجرى التحليل ضمن سياق النص المرتب تسلسليًا.

2. **الوصف البنيوي للمحتوى**: يتم التركيز هنا على البنية العامة للنص وكيفية تكوينه. ولتحقيق ذلك يفتش الباحث عن مؤشرات لأدوات الربط بين مكونات الحوادث (لأن، ثم، بعد ذلك، الآن...) وعن التغيرات في نغمة الصوت وتركيب اللغة وتصحيح المبحوث لنفسه وما شابه[29]. ويهدف ذلك إلى تحديد أي الجمل أو العناصر أكثر أو أقل أهمية.

---

(28) Benini, *Construction of Knowledge*, p. 913; Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit*, pp. 62-79, and pp. 132-146; T. Heinze, *Qualitative Sozialforschung: Erfahrungen, Probleme und Perspektiven* (Opladen: Westdeutscher Verlag, 1995), pp. 70-76; R. Bohnsack, *Rekonstructive Sozialforschung: Einfürung in Methodologie und Praxis qualitativer Forschung* (Opladen: Leske and Budrich, 1993), pp. 91-107.

(29) Heinze, *Qualitative Sozialforschung*, p. 72.

3. **التجريد التحليلي**: في هذه المرحلة من التحليل، تُمكّن النتائجُ الباحثَ من إدراك الموقف بالنظر إلى التعبيرات الأكثر عمومية وتجريدًا من دون التقيد بالجمل المحددة أو أوصاف الحوادث المفردة. ثم تقارن هذه الجمل المجردة بجمل ترتبط بتسلسلات حياتية محددة، ثم يختبر صدقها. ومن المتوقع أن يؤدي ذلك إلى تحديد التكرار الفعلي السائد والأساسي الذي يصف حوادث الحياة.

4. **تحليل المعرفة**: يقود التجريد التحليلي إلى تفسير أكثر واقعية وإقناعًا لعمليات المبحوث الحياتية، يمتد إلى مستويات المعرفة وإلى تحليل طرائق استخدام المعرفة للاستجابة لمتطلبات المجتمع.

5. **المقارنات**: في هذه المرحلة يجري مزيد من المقارنات بين أجزاء وأخرى من النص لنتمكن من التعميمات، ما يؤدي في النهاية إلى بناء فئات أساسية.

6. **بناء الأنموذج النظري**: يهدف هذا التحليل في النهاية إلى بناء أنموذج نظري تقارن عناصره تسلسليًا بالجمل الموجودة في النص. فالعناصر التي تنسجم مع النص تبقى، أما الأخرى فتحذف. وتُعدّ هذه المقارنة بين الكل والأجزاء ذات أهمية كبيرة لبناء الأنموذج النظري.

لا يهتم الباحث هنا بالأوصاف المفصلة غير المفسرة فحسب، بل بالقصة أيضًا. فالأوصاف هي تقارير حوادث كما يذكرها المبحوث، في حين تتميز القصص بأنها لا تضع مشهد الحوادث أمام السامع فحسب بما في ذلك المكان والزمان، لكنها تشتمل أيضًا على عرض متسلسل للحدث وتفسير ارتجاعي وخلاصة للقصة. وبشكل أساس، تركز المقابلة السردية على إعادة بناء أنماط الفعل. وأهم مزايا (وفوائد) المقابلة السردية: التفسير الارتجاعي وقرب القصص المُفَصَّلة من الواقع.

الأساس النظري للتفسير التحليلي المستخدم في المقابلة السردية هو قياس أو مماثلة القصة والخبرة، أي إن القصة والخبرات تتطابق (هناك عدد من الباحثين الذين انتقدوا هذه الفكرة). ويعني هذا أن قصة حياة الشخص المبحوث تعكس بصدق الخبرات الحياتية التي تتضمن معلومات عن التراكيب الأساسية وآليات الحياة الاجتماعية المتعلقة بأناس آخرين. وفي ضوء ذلك، يُعتقد أن المقابلة

السردية لا تتمتع بقوة للتركيز على قصص حياة المبحوثين فحسب، لكن على قصص عن الخبرات الجماعية ذات البنى والعمليات الاجتماعية، وعلى حوادث تاريخية وخبرات اجتماعية للجماعة وردات فعل واستجابات اجتماعية أخرى حيال الحوادث الاجتماعية المعاصرة.

تشبه عملية تحليل نصوص المقابلة السردية النمط العام للتحليل النوعي الذي تحدثنا عنه سابقًا. إن مقارنة المجردات بالبيانات الخام ومحاولة إثبات الصدق المستمرة، كما عرضناها في الاستقراء التحليلي، أمر واضح جدًا في هذا التحليل.

سابعًا: عرض البيانات في البحث النوعي

1.7 مقدمة

يستخدم الباحثون النوعيون طرائق عدة لعرض بياناتهم بشكل مرئي. فبينما يستخدم بعضهم طرائق العرض التي يستخدمها الباحثون الكميون بشكلها الأصلي أو المعدل، يستخدم آخرون طرائق مختلفة للعرض. ويُعدّ استخدام الجداول والرسوم البيانية من الطرائق المفيدة لعرض البيانات في البحث النوعي، لكن هيكل العرض لا يبدو أنه يلتزم أي قواعد أو إجراءات، مع أن الرسوم البيانية والجداول في البحث النوعي تصمم لتخدم حاجات دراسة معينة.

يبدو أن الباحثين طوروا هذه الطرائق لدراسة معينة تفي بأساليبهم الخاصة بهم، لكن الطرائق التي تثبت فائدتها يستخدمها باحثون آخرون لتصبح في ما بعد عنصرًا من عناصر البحث النوعي. وعرض مايلز وهوبرمان، على سبيل المثال، بعض الطرائق التي استخدماها في دراساتهما، في منشور واسع القراءة (1994). واستخدم باحثون نوعيون كثيرًا من تلك الطرائق. وسنوضح في ما بعد بعض تلك الطرائق والأساليب كما استخدمها هؤلاء الباحثون نظريًا ومنهجيًا، وسنقدم بعض الأمثلة التي استخدموها.

2.7 المصفوفات في البحث النوعي

المصفوفة شكل من أشكال عرض البيانات تشبه إلى حد كبير الجدول وتساويه من حيث الوظيفة. وتتكون المصفوفة من عنوان وعنوان فرعي وخلايا وأشكال أخرى من المعلومات تشبه جداول البحث الكمي، لكنها تختلف في هدفها وطبيعتها.

المصفوفات شكل من أشكال الجداول التلخيصية، فهي تشتمل على معلومات لفظية واقتباسات ونصوص ملخصة وملاحظات ومذكرات واستجابات مقننة، وكثيرًا ما تتركز البيانات حول نقطة أو محور ذي معنى من محاور البحث. وبشكل عام، تتضمن المصفوفة معلومات عن بعض جوانب البحث وتفسرها، وتمكن الباحث من الحصول على فكرة سريعة عامة عن البيانات المتعلقة بجانب معين. وبذلك، تخدم المصفوفة الهدف نفسه الذي يخدمه الجدول في البحث الكمي.

قد تكون المصفوفات معقدة جدًا وتخدم أهدافًا عدة. ففي بعض أشكالها (**قائمة التدقيق**) تقدم المصفوفة بيانات متكاملة عن مؤشر ختامي أو مقياس، وتقدم مكونات عدة لمتغير واحد متسق[30]. وفي شكل آخر، تحتوي المصفوفة على معلومات مرتبة زمنيًا (**المصفوفة المرتبة زمنيًا**) أو وفقًا للأدوار (**المصفوفة المرتبة وفقًا للأدوار**). ويمكن النظر إلى النوع الأول باعتباره جدولًا، تكون أعمدته مرتبة وفقًا للتسلسل الزمني، موضحة ماذا حدث ومتى في أثناء تقدم البحث من مرحلة إلى أخرى. أما المصفوفة المرتبة وفقًا للأدوار فإن صفوفها تحوي معلومات لفظية عن وجهات نظر أصحاب الأدوار في شأن قضية معينة في البحث. ومن الممكن أن تجمع المصفوفة بين النوعين (الدور وفقًا للزمن أو الدور وفقًا للمجموعة).

يمكن ترتيب المصفوفات في ضوء موضوع رئيس (**المصفوفة المرتبة وفقًا للمفاهيم**) أو وفقًا للمخرجات والمتغيرات التابعة (**مصفوفات التأثير**)، أو تعرض القوى الفاعلة في سياقات معينة موضحة العملية والمخرجات (**مصفوفة ديناميات الموقع**). ويمكن أن تعرض المصفوفة سلاسل من الحوادث مرتبة بأي

---

(30) Miles and Huberman, *Qualitative Data Analysis.*

ترتيب ممكن (وفقًا للحوادث) أو على شكل شبكة من الأسباب والنتائج. وفي الحالة الأخيرة، تقدم المصفوفة حقلًا من العلاقات البينية بين المتغيرات التابعة والمستقلة، حيث تصف العلاقات السببية بينها.

من الجدير بالذكر أن النماذج الموصوفة أعلاه، على الرغم من طبيعتها النوعية، لها سمات كمية قوية، الأمر الذي قد لا يقبله الباحثون النوعيون التقليديون. فاستخدام مصطلح المتغيرات بنوعيها المستقل والتابع، خصوصًا عندما ترتبط بعلاقات سببية، قد لا يروق كثيرين من الباحثين لعدم انسجامه مع التحليل النوعي. ويوضح هذا مدى التنوع في ميدان البحث النوعي.

بناء المصفوفات

إن بناء المصفوفة عملية ترتبط بالبراعة والكفاءة والإبداع الشخصي للباحث أكثر من ارتباطها بالقواعد والمبادئ. يقول مايلز وهوبرمان[31] إنه لا توجد قوانين ثابتة لبناء المصفوفة، وليس هناك مصفوفات «صحيحة» بل مصفوفات لها وظيفة، لذلك فهذان الباحثان ينصحان سواهما من الباحثين باتباع بعض القواعد العامة عند التعامل مع المصفوفات. وتنص هذه القواعد على ضرورة عرض المصفوفة في صفحة واحدة، واشتمالها على 15-20 متغيرًا في الصفوف والأعمدة، وأن تبنى بشكل يمكن تغييرها وتعديلها بإضافة صفوف وأعمدة جديدة، وأن تبقى الصفوف والأعمدة دقيقة ومحكمة حتى يمكن التفريق بينها، وأن المصفوفات الجديدة يمكن أن تنبثق من مصفوفات أخرى في أثناء تقدم البحث.

3.7 الأشكال في البحث النوعي

تُعادل فائدة الأشكال في البحث النوعي فائدة المصفوفات؛ فهي تضم خطوطًا ومنحنيات وتعليقات لفظية ومؤشرات، لكن ليس لها تصميم أو بناء ثابت، حيث يعتمد ذلك على تعقيد البيانات وقدرة العامل الميداني[32] وخياله.

---

(31) Ibid., pp. 240-241.

(32) Ibid.

4.7 الرسوم البيانية في البحث النوعي

يصف مايلز وهوبرمان (1994) رسمًا بيانيًا يسميانه «الرسم البياني السياقي» يعرض بصورة بيانية العلاقات بين عناصر البيئة مثل الأدوار والجماعات التي تشكل السياق الذي يتطور فيه السلوك. والسياق عنصر مهم في فهم السلوك. ويقدم الرسم البياني السياقي عرضًا مرئيًا للسلوك في السياق.

5.7 العرض التوضيحي في البحث النوعي

تُستخدم العروض التوضيحية في البحث النوعي لأغراض متعددة ومتنوعة، إذ تُعد بديلًا مما تقدمه الإحصاءات. وبهذا المعنى، تقوم الرسوم البيانية والمصفوفات والأشكال بترميز المعلومات التي تعرضها الأشكال والمعاملات الرياضية في البحث الكمي. فهي تقدم معلومات مرئية تمكن الباحث من فهم المعلومات المجموعة لاستخلاص بعض النتائج. وهناك أنواع مختلفة من العروض التوضيحية. وتحدث مايلز وهوبرمان بالتفصيل عن هذه الأنواع، وفي ما يلي قائمة موجزة بها:

1.5.7 العروض داخل الحالات

يتضمن النوع الأول من العروض «العروض داخل الحالات» الذي يهدف إلى استطلاع ووصف النتائج المتعلقة بدراسة حالة واحدة فقط. وأنواع العروض التوضيحية المستعملة في هذا السياق هي: العروض المرتبة جزئيًا (بما فيها الرسم البياني السياقي وقوائم التدقيق والعروض على شكل قصائد)، والعروض المرتبة وفقًا للزمن (مثل سرد الحوادث والرسم البياني للحوادث المهمة وشبكات الحالة - الحدث وسجلات النشاط)، والمصفوفات المرتبة وفقًا للأدوار ومصفوفات الأدوار وفقًا للزمن والعروض المرتبة وفقًا للمفاهيم (مثل المصفوفات المتسلسلة وفقًا للمفاهيم ومصفوفات المفاهيم والمحاور والمصفوفات المتشعبة والخرائط المعرفية ومصفوفات التأثير).

هناك أنواع من العروض التوضيحية لا تهدف إلى الوصف فحسب، بل إلى تقديم التفسيرات والتنبؤات، وتشمل هذه الأنواع مصفوفة الحالة الديناميكية التي تعرض مجموعة من القوى من أجل التغيير وتتبع العمليات المفاهيمية

والمخرجات[33] والشبكة السببية التي تعرض المتغيرات المتعددة والعلاقات في ما بينها.

2.5.7 العروض التوضيحية عبر الحالات

يتضمن هذا النوع أكثر من حالة واحدة يهدف بعضها إلى استطلاع المخرجات ووصفها، فيما يهدف بعضها الآخر إلى ترتيب النتائج وتفسيرها. ويكون بعضها مرتبًا جزئيًا، وبعضها مرتبًا وفقًا للحالة والزمن. ومعظم هذه العروض مصفوفات ورسوم بيانية وجداول، لكن هناك أنواعًا أخرى مستخدمة مثل مخطط التشتت. وهنا يظهر القرب من البحث الكمي. ويظهر ذلك بوضوح عندما نستطلع الجزء الثاني من هذه المجموعة المتعلقة بالترتيب والتفسير. وهنا يجري التركيز بقوة على التوقعات وتحليل المتغيرات والتحليل السببي أيضًا (سلاسل سببية وشبكات سببية)، التي لا تنتمي إلى المنهجية النوعية في نظر كثيرين من الباحثين الكميين.

ثامنًا: التحليل بمساعدة الحاسوب

تُستخدم الحواسيب في البحث النوعي في سياق كلٍّ من البحث النوعي المحض، حيث يكون التحليل وفقًا للطريقة التقليدية، والبحث النوعي المقوى أو المدعوم[34]. يستخدم التحليل المحوسب بأشكال عدة وهو يسمح للباحث النوعي بمعالجة البيانات بطريقة موازية لطريقة البحث الكمي[35].

---

(33) Ibid., p. 148.

(34) P. Contrad and S. Reinharz, «Computers and Qualitative Data,» *Qualitative Sociology*, vol. 7 (1984); Fielding and Lee, *Computer Analysis and Qualitative Research*; M. Fisher, *Qualitative Computing: Using Software for Qualitative Data Analysis* (Aldershot: Avebury, 1997); T. Richards, *NUDIST: User's Manual* (Melbourne: Replee, 1986); L. Richards and T. Richards, «Qualitative Data Analysis: Can Computers Do It?,» *Australian and New Zealand Journal of Sociology*, vol. 23, no. 1 (1987); Richards and Richards, «Using Computers in Qualitative Analysis,» in: N. Denzin and Y. Lincoln, eds., *Handbook of Qualitative Research* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1994); E. A. Weitzman and M. B. Miles, *Computer Programs for Qualitative Data Analysis* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1994).

(35) G. L. Huber, «Computerunterstützte Auswertung qualitativer Daten,» in: U. Flick et al., eds., *Handbuch Qualitative Sozialforschung* (Munich: Psychologie Verlags Union, 1991); T. W. Madron, C. N. Tate and R. G. Brookshire, *Using Microcomputers in Research* (Beverley Hills, Calif.: Sage, 1987), and C. C. Ragin, *The Comparative Method* (Berkley: University of California Press, 1987).

يوجد اليوم أكثر من 24 برنامجًا حاسوبيًا تُستخدم في البحث النوعي[36]. وإضافة إلى برامج «وورد» الأساسية التي تستعمل في التحليل البسيط للبيانات النوعية، هناك برامج صُممت خصيصًا لأغراض البحث. وكل واحد منها مخصص لمجال معين من البحث، مثل برنامج استرجاع النص الذي يسترجع المعلومات ويرمزها، وبرنامج مدير النصوص وشبكة المفاهيم التي ترسم جداول ورسومًا بيانية، والبرامج التي تقوم ببناء نظريات مرتكزة على الرموز لاختبار الفرضيات وتطوير النظريات.

ومن أشهر أنواع البرامج ما يلي[37]:

AQUAD	HyperSoft	MECA	TextBase Alpha
AskSam	Info Select	Metamorph	The Ethnograph
ATLAS.ti	Kwalitan	Nud*ist	The Text Collector
Hyper Qual	Martin	NVivo	The Word Cruncher
Hyper RESEARCH	MAX	Qualpro	ZyINDEX

يعتمد مدى استخدام تحليل البيانات المحوسب على طبيعة الدراسة ونوع التحليل والأنموذج النظري أو الإرشادي الذي ترتكز عليه الدراسة. وباختصار، تتلخص وظائف البرامج الحاسوبية في التحليل في الإطار 6.15 أدناه.

مع أن معظم برامج الحاسوب المستخدمة في التحليل النوعي تتضمن نماذج للتسجيل والترميز واسترجاع البيانات، غير أنها تفتقد الوظائف المتقدمة مثل الربط

(36) Fielding and Lee, *Computer Analysis and Qualitative Research*; Weitzman and Miles, *Computer Programs for Qualitative Data Analysis*.

(37) انظر: U. Flick et al., eds., *Handbuch Qualitative Sozialforschung* (Munich: Psychologie Verlags Union, 1991); U. Kelle and C. Erzberger, «Integration Qualitativer und quantitativer Methoden: Methodologische Modelle und ihre Bedeutung für die Forschungspraxis,» *Kölner Zeitschrift für Soziologie und Sozialpsychologie*, vol. 51 (1999); Richards and Richards, «Qualitative Data Analysis»; «Using Computers in Qualitative Analysis»; E. Weitzman and M. B. Miles, *Computer-aided Qualitative Data Analysis: A Review of Selected Software* (New York: center for Policy Research, 1993); *Computer Programs for Qualitative Data Analysis*.

والعرض والدمج، إلا في بعض البرامج فحسب. ومن البرامج ذات الوظائف المتقدمة: ATLAS.ti, Nud*ist, MetaDesign, MECA, Hyper RESEARCH, QCA. عمومًا، سوف نذكر في ما يلي مزايا برامج تحليل البيانات المحوسبة وعيوبها.

مزايا التحليل المحوسب

- **يوفر الوقت:** إن الحاسوب أسرع من الباحث في معظم عمليات التحليل. وتبقى الحواسيب أسرع من الإنسان حتى لو أخذنا في الاعتبار الوقت اللازم لبرمجتها لأداء بعض المهمات. وفي ضوء أنَّ معظم التعليمات منظمة ومُعدّة مسبقًا وجاهزة للاستخدام، تظل فائدة الحاسوب واضحة جدًا.

- **يوفر الجهد:** إن كثيرًا من المهمات غير متكاملة معًا وكثيرًا من الأعمال التي كانت ضرورية في السابق لم تعد لها حاجة الآن. إن إعفاء الباحثين من كمية هائلة من العمل البسيط يوفر لهم المزيد من الوقت للتركيز على جوانب مهمة في عملية التحليل.

- **يستخرج النتائج بسرعة:** تُنجز العمليات في جزء من الوقت الذي يستغرقه مساعد البحث لإنجازها.

الإطار 6.15

استخدام الحاسوب في تحليل البيانات

يمكن أن تساعد الحواسيب في المجالات الآتية:

- **التسجيل/ التخزين:** يساعد الحاسوب الباحث في تسجيل البيانات وتخزينها، وتُستخدم لهذا الغرض برامج معالجة الكلمات وبرامج خاصة لتحليل البيانات.
- **الترميز:** يساعد الحاسوب الباحث في تحديد أجزاء من النص وترميزها من أجل استرجاعها لاحقًا وربطها بأجزاء أخرى من النص. علاوة على ذلك، تسمح هذه البرامج للباحث بكتابة ملاحظات جانبية في الهوامش.
- **الاسترجاع/ الربط:** يمكن استرجاع الأجزاء المرمزة من النص ووضعها في ملفات خاصة و/ أو ربطها بأجزاء أخرى من النص، ما يسهل البحث في الجزء نفسه أو بين أجزاء مختلفة وربطها بعضها ببعض. وتستطيع برامج معينة إجراء تحليل المحتوى وتعداد تكرار الرموز وإنتاج نتائج كمية.

▪ **العرض**: يمكن عرض نتائج الاسترجاع والبحث بوساطة الحاسوب بطرائق عدة مثل: تظليل أجزاء معينة جزءًا جزءًا، وجمع أجزاء مترابطة من النص وعرضها معًا في ملف واحد. وأخيرًا هناك برامج حاسوبية تستطيع أن تعرض النتائج في رسوم بيانية.

▪ **التكامل**: هناك برامج حاسوبية أكثر تطورًا تستطيع أن تطور تصنيفات وفئات واقتراحات وشبكات دلالية وإيجاد روابط بينها إلى الحد الذي يجعلها قادرة على بناء و/ أو اختبار نظريات.

▪ **التحليل**: يستطيع الحاسوب أن يحلل الفروق وأوجه التشابه والعلاقات بين أجزاء النص.

▪ **تطوير تصنيفات ونظريات.**

▪ **الاختبار**: يستطيع الحاسوب أن يختبر الافتراضات النظرية وفقًا لبيانات نوعية وأن يجمع بين الطرائق النوعية والكمية.

▪ **الاستعمال المريح**: يستطيع الباحث أن يستخدم الحاسوب في أي وقت وزمان (في وقت متأخر من الليل، في أثناء العطل، في الطائرة...).

▪ **يقلل الحاجة إلى الموظفين**: يقوم الحاسوب بأعمال موظفين عدة، وبذلك فإن استعماله يقلل عدد الموظفين والمساعدين.

▪ **يقدم تحليلًا أكثر كفاءة**: الحاسوب لا يرتكب خطأ في تمييز الرموز أو عدّها.

▪ **يسهل التعامل مع النصوص والرموز**: خصوصًا إذا كانت البيانات محفوظة إلكترونيًا.

▪ **يسهل عملية إعادة إنتاج النص ومشاركته مع آخرين**: يمكننا الحاسوب من نسخ أجزاء من النص وتحديد الرموز المتشابهة ودمجها في ملف مشترك وإرسال ملفات إلى باحثين آخرين وغيرها بسهولة وسرعة.

▪ **الدقة**: يؤدي الحاسوب العمليات المختلفة بدقة أكبر من الإنسان.

▪ **الثقة والثبات**: يمكن الاعتماد على عمل الحاسوب بدرجه أكبر من العمل اليدوي.

▪ **المرونة**: يسمح الحاسوب بمرونة في التحليل.

- **القوة:** يجري الحاسوب العمليات بكميات كبيرة تفوق قدرة البشر.

عيوب التحليل المحوسب

- **التكلفة:** يتطلب بنية تحتية تزيد من كلفة المشروع لشراء الحواسيب والبرامج.
- **المعالجة الاصطناعية:** يدّعي كثيرون من الباحثين أن جوهر البيانات لا تدركه الأجهزة مهما كانت البرامج ذكية.
- **عدم الاتساق النظري:** توفر الطرائق النوعية في جوهرها مسارًا بعيدًا من التفكير والعمليات المبنيّة أو المقيّدة، مثل التكميم وبعد الباحث عن المبحوث. لذلك فإن استخدام الحاسوب في البحث النوعي ضد هذا المبدأ، الأمر الذي لا يجعله مختلفًا عن النماذج التي يُفترض فيه أن يتجنبها.
- **عدم كفاية البرامج:** في كثير من الأحيان، لا يوجد اتساق بين المبادئ المنهجية الحاسوبية وافتراضات النظرية التي يرتكز عليها البحث. ويظهر ذلك في كون برنامج حاسوبي واحد يخدم نظريات نوعية مختلفة عدة. إن الزيادة في عدد برامج الحاسوب وتنوعها قد يصلح هذا الخلل.
- **التأكيد:** إن استخدام الحاسوب كثيرًا ما يغير بؤرة التحليل من تطوير النظرية إلى الترميز وجوانب فنية من التحليل.

بشكل عام، يتمتع تحليل البيانات المحوسب بمزايا وفوائد للباحثين أكثر مما في التحليل اليدوي. إن تصحيح العيوب وزيادة وعي الباحثين بمخاطر التحليل المحوسب وتعديل برامج الحاسوب كي تلبي حاجات الباحثين والمجتمع الأكاديمي بشكل عام مسألة وقت وتدريب. وأصبحت الحواسيب أدوات بحث لا يُستغنى عنها وستزداد فائدتها بتقدم التكنولوجيا، وستبقى كذلك في المستقبل.

نقاط أساسية

- يجرى التحليل النوعي في معظم الحالات في أثناء جمع البيانات أو في خلال جمع البيانات وبعده.

- بشكل عام، ليس التحليل النوعي ثابتًا ولا موحدًا كما هو في التحليل الكمي.
- هناك حالات يتبع فيها التحليل النوعي منهج تصميم ثابت، حيث يبدأ بعد إتمام التسجيل والتفريغ والتأكد والتدقيق ومن ثم التفسير والتعميم.
- معظم الباحثين النوعيين لا يستخدم طرائق إحصائية رياضية في تحليل البيانات.
- يستعمل الباحثون النوعيون الحاسوب في تحليل البيانات استعمالًا واسعًا. وطُورت برامج حاسوبية متنوعة للمساعدة في التحليل النوعي للبيانات، وتُستخدم هذه البرامج في التسجيل والحفظ والترميز والاسترجاع وربط البيانات وعرضها ودمجها معًا.
- إن تحليل البيانات في البحث النوعي لا يتسم بالوضوح والتناسق نفسيهما كما الحال في البحث الكمي.
- في المقابلات النوعية، تتطلب إحدى طرائق جمع البيانات تفريغ المقابلة كتابة وتدقيقها وتحليلها وتفسيرها وتعميمها والتحقق منها.
- يصبح التحليل النوعي أكثر تقدمًا وتعقيدًا عندما يتطلب عمليات الاستقراء التحليلي والبناء والتفكيك والنظرية المؤسَّسة.
- في دراسات الحالة، يتم تحليل البيانات بواحدة أو أكثر من الطرائق الآتية: مضاهاة الأنساق وتقنيات بناء التفسير وتحليل التسلسل الزمني والملاحظة المتكررة والتحليل الثانوي.
- تُستخدم الحواسيب في البحث النوعي للتسجيل والحفظ والترميز والاسترجاع، وربط البيانات بعضها ببعض وعرضها ودمجها.
- تُستعمل الرسوم البيانية بكثرة في البحث النوعي، ومنها: المصفوفات والأشكال والجداول.

إلى أين؟

قبل أن تترك هذا الفصل، لا بد لك من أن تزور الموقع المرافق للطبعة الثالثة من كتاب البحث الاجتماعي: http://www.palgrave.com/sociology/sarantakos لتراجع المفاهيم الأساسية في هذا الفصل وتختبر نفسك في القضايا الرئيسة التي ناقشناها.

قراءات إضافية

Books

Altheide, D. L. *Qualitative Media Analysis*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1996.

Boyatzis, R. E. *Transforming Qualitative Information: Thematic Analysis and Code Development*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1998.

De Vaus, D. *Analyzing Social Science Data*. London: Sage, 2002.

Ezzy, D. *Qualitative Analysis: Practice and Innovation*. Crows Nest, N.S.W.: Allen and Unwin; London: Routledge, 2002.

Gibbs, B. *Qualitative Data Analysis: Explorations with Nvivo*. Buckingham: Open University Press, 2001.

Hayes, N. *Doing Qualitative Analysis in Psychology*. Hore, UK: Psychology Press, 1997.

Hodson, L. *Analysing Documentary Accounts*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1999.

Lofland, J. and L. H. Lofland. *Analysing Social Settings: A Guide to Qualitative Observation and Analysis*. Belmont, Calif.: Wadsworth, 1995.

Silverman, D. *Interpreting Qualitative Data: Methods for Analysing Talk, Text and Interaction*. London: Sage, 2001.

الفصل السادس عشر

التحليل الكمي

هذا الفصل

- يركز على طبيعة البحث الكمي وخصائصه.
- يوضح كيفية عرض البيانات الكمية المبوبة.
- يقدم تحليلًا وصفيًا وعلائقيًا.
- يقدم اختبارات ذات دلالة.
- يوضح كيفية استخدام الاختبارات الإحصائية من دون رياضيات.

العناوين الرئيسة

مقدمة

1. خطوات تحليل البيانات
2. عرض البيانات المبوبة
3. المعالجة الإحصائية
4. الاقترانات
5. اختبارات الدلالة

نقاط أساسية

إلى أين؟

قراءات إضافية

مقدمة

التحليل الكمي عملية متنوعة ومعقدة، ويتطلب تحليلًا أوليًا (التعامل مع البيانات الخام التي تنتجها الدراسة)، وتحليلًا ثانويًا (التعامل مع البيانات التي حللت سابقًا)، أو تحليلًا لنتائج دراسات أخرى. علاوة على ذلك، يتضمن التحليل الكمي أساليب إحصائية متباينة. ويمكن إجراء المعالجات الإحصائية إما يدويًا أو إلكترونيًا[1].

جعلت سهولة استخدام الحاسوب والفوائد المتعددة للمعالجة الإلكترونية المعالجات الإحصائية إجراء معياريًا في التحليل الكمي. ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

- التحليل السريع والمعالجة السريعة لكميات كبيرة من البيانات.
- تحليل بيانات غير مكلفة نسبيًا ومعالجتها.
- درجة عالية من الموثوقية أو الثبات.
- دقة في الحسابات.
- توافر اختبارات إحصائية متطورة لغير الإحصائيين.

سنوضح في هذا الفصل الطبيعة المتنوعة والمعقدة للتحليل الكمي بطريقة تبسّط تنوعه من دون إهمال جودته وتتجنب الخوض في مشكلات طبيعته الرياضية. وفي واقع الأمر، سيقدم هذا الفصل موضوع الإحصاء بطريقة يفهمها الطالب من دون استخدام الرياضيات والمعادلات والحسابات اليدوية والطرائق

(1) J. Rassenberger, *Computerintegrierte Informationsverarbeitung in der empirischen Sozialforschung* (Nürnberg: Institut für Freie Berufe, 1989); S. Reid, *Working with Statistics* (Cambridge: Polity, 1987).

الإحصائية القديمة. وسيركز تحليل البيانات بشكل رئيس على ما يتضمنه التحليل الكمي، ومتى يُجرى، وتحت أي أوضاع تُستعمل الإجراءات الإحصائية، وعلى كيفية استخدام الحاسوب لإجراء الاختبارات، وكيفية تفسير نتائج الاختبار في إطار الدراسة. وسترى أنه في وسعك إجراء تحليل إحصائي من دون الحاجة إلى معادلات إحصائية أو حسابات[2].

لاحِظ أنه يمكن استخدام برنامج SPSS الإصدار 11 أو 12، كما يمكن أيضًا استخدام الإصدار 10، لكن بعد إجراء بعض التعديلات. يحوي الإصدار 10 الإجراءات الحسابية نفسها للإصدار 11 أو 12، إلا أنه يضع بعض القياسات في مواقع تختلف عن مواقعها في الإصدارين الأخيرين.

أولًا: خطوات تحليل البيانات

بما أن تحليل البيانات يجرى الآن بمساعدة الحاسوب، ستركز مناقشتنا في هذا الفصل على تحليل البيانات إلكترونيًا فحسب. ولذلك نحتاج إلى حاسوب وبرنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS (الإصدار 11 أو 12).

الإطار 1.16

مهمّات التحليل الكمي

- إعداد البيانات والتأكد منها وتدقيقها وترميزها.
- إدخال البيانات في الحاسوب.
- العرض بالرسوم البيانية: عرض النتائج في جداول ورسوم بيانية.
- معالجة البيانات وتحليلها: إجراء تحليل إحصائي.
- تفسير النتائج: تفسير البيانات فرديًا.
- استخلاص النتائج: تقديم إجابات مباشرة عن سؤال البحث.

يبدأ تحليل البيانات عندما ينتهي جمعها، أي بعد اكتمال أدوات جمع البيانات (مثل الاستبيانات). ومن هذه المرحلة، سيتبع الباحث عملية منظمة تبدأ بتحضير البيانات لإدخالها في الحاسوب، ثم إدخالها ومعالجتها وتحليلها.

---

(2) انظر: S. Sarantakos, *Same-Sex Couples* (Sydney: Harvard Press, 2002).

قد يرغب الباحث في الحصول على إيجاز للاتجاهات العامة في شأن سؤال الدراسة. وهناك طرائق عدة لتحقيق ذلك: الجداول والرسوم البيانية، والمعاملات الإحصائية... وغيرها. وتؤدي هذه المرحلة إلى مرحلتي التفسير واستخلاص النتائج. وسنوضح هذه الخطوات بالتفصيل في ما يأتي.

الإطار 2.16

تصوّر لاستبيان عن الزواج (مقتطف)

	للاستعمال الرسمي فحسب
1. ما الجندر خاصتك؟	ذكر (√) 1 أنثى ( ) 2
2. كم عمرك؟	أقل من 25 ( ) 1 50-26 (√) 2 75-50 ( ) 3
3. هل تعتبر نفسك...	متدينًا جدًا ( ) 1 متدينًا ( ) 2 غير متدين (√) 3 ضد التدين ( ) 4
4. هل أنت الآن...	عازب (√) 1 متزوج ( ) 2 مساكن ( ) 3 مطلّق/ منفصل ( ) 4 أرمل ( ) 5
5. هل تحبّذ حل مؤسسة الزواج؟	أوافق بشدة ( ) 1 أوافق ( ) 2 لا رأي ( ) 3 غير موافق ( ) 4 غير موافق بشدة (√) 5

6. هل تؤيد تعدد الزوجات؟	نعم ( ) 1 لا (√) 2 لا أعرف ( ) 3
7. هل يجب أن تتولى الدولة مسؤولية الأطفال؟	أعتقد ذلك ( ) 1 لا أعتقد ذلك ( ) 2 لا أعرف (√) 3
8. بشكل عام، هل الأسر سعيدة كما اعتادت أن تكون؟	أعتقد ذلك ( ) 1 لا أعتقد ذلك (√) 2 لا أعرف ( ) 3
9. هل تؤيد منع الإجهاض؟	نعم (√) 1 لا ( ) 2 لا أعرف ( ) 3

1.1 إعداد البيانات

تتضمن عملية إعداد البيانات أولًا تدقيق البيانات والتأكد منها وترميزها. ويعني هذا أن يقوم الباحث بالتأكد من البيانات التي جمعت في أثناء الدراسة ويدققها لتصبح واضحة ومقروءة وملائمة وصحيحة، ويُجرى التدقيق حيثما يلزم. وإذا كانت الإجابات مفقودة أو غير مقروءة يقرر الباحث قبولها أو رفضها.

إن الترميز عملية لتحويل الاستجابات اللفظية إلى رموز رقمية، فمثلًا قد يرمز لفئة «ذكر» برقم 1 و«الأنثى» برقم 2، ويمكن أن يتم الترميز قبل جمع البيانات (الترميز القَبْلي) أو بعدها (الترميز البَعدي). وتسمى الأرقام المستعملة في الترميز مثل 1 و2 **القيم**، وتسمى المفاهيم التي تمثلها الأرقام «ذكر» و«أنثى» **أسماء القيم**.

يمكن أن يستخدم الترميز في التحليل الكمي عند استخدام الأسئلة المفتوحة. ويعني هذا **أولًا** تطوير الفئات، و**ثانيًا** تحديد اسم القيمة والقيمة لكل سؤال. فمثلًا، عندما يكون السؤال المفتوح عن كيفية التعامل مع قضايا السلطة في الأسر، تكون الفئات: أبوي، ديمقراطي، أمومي (نسبة إلى أم)، والقيم: 1 و2 و3

على التوالي. ويتبع ذلك قراءة متمعنة للإجابات وتحديد الفئة الصحيحة وإدخالها في المكان المحدد إلى جانب الإجابة. تُستخدم أسماء القيم عند إدخال البيانات في الحاسوب، وعادة تُبنى الفئات قبل البدء بالدراسة وتعرض الرموز الملائمة في كتيب الرموز الذي يكون في متناول العاملين في الترميز.

يجب أيضًا تسجيل الإجابات المفقودة والإجابات غير الدقيقة (كأن توضع الإشارة التي تحدد الجندر بشكل غير واضح بين "ذكر" و«أنثى»). وتسمى هذه القيم بالقيم المفقودة وتمثل بالأرقام «9» أو «99» أو «999»، وفقًا لعدد الخانات في القيمة: واحدة أو اثنتان أو ثلاث. أخيرًا، يتوقع من الباحثين مراقبة الترميز لمنع حدوث أخطاء أو تحيز، فالثبات بين المرمزين أمر مهم وعادة نتأكد منه في سياقين: ثبات المرمّز (ويعني أن المرمّز يحافظ على نمط ثابت وموحد من الترميز ويتجنب التباين في عملية الترميز)، والثبات بين المرمزين (ونتحقق من ذلك بمقارنة ترميز أحد المرمزين مع الآخر للتأكد من مدى التماثل بين ترميزهم عندما يقوم بالترميز أكثر من واحد).

2.1 إدخال البيانات في الحاسوب

الخطوة الأولى في معالجة البيانات إلكترونيًا هي إدخال الإجابات المدقَّقة والمرمَّزة إلى الحاسوب. وكما ذكرنا سابقًا، فإننا نحتاج إلى حاسوب مزوّد بالحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS من الإصدارات: 10 و11 و12[3]، وهو برنامج قوي، ويسهل على الطلاب استخدامه وغير مكلف نسبيًا. وتتضمن عملية إدخال البيانات في الحاسوب خطوتين رئيستين: تعريف المتغيرات، وإدخال البيانات. وسنوضح هاتين الخطوتين في ما يأتي:

1.2.1 تعريف المتغيرات

تشبه عملية تعريف المتغيرات بناء «مربعات» في الحاسوب ذات مسميات محددة ومعدة لتتسع للبيانات الخاصة بالمتغير. نطلب من الحاسوب مثلًا، أن

---

(3) انظر: R. L Miller et al., *SPSS for Social Scientists: Versions 9, 10 and 11* (Houndmills, UK: Palgrave Macmillan, 2002).

يصنع مربعًا أو صندوقًا تُسميه «الجندر». وتطلب منه أن يقسمه إلى قسمين: «ذكر» و«أنثى» وأن يحدد لهما القيمتين 1 و 2 على التوالي. وهنا ستوضع الإجابات عندما تُدْخَل البيانات الفعلية. يكرر الباحث هذه العملية لكل متغير. دعونا نوضح ذلك في المثال التالي:

لنفترض أننا قمنا بدراسة تشتمل على استبيان يتكون من أسئلة عدة. دعونا نرى كيف ستُعرّف الأسئلة التسعة الأولى (والمتغيرات المرتبطة بها). المتغيرات التي ستدخل في الحاسوب هي: الجندر والعمر والتدين والحالة الاجتماعية والزواج وتعدد الزوجات والأطفال والسعادة والإجهاض (انظر الإطار 2.16).

كي نوضح كيفية تعريف المتغيرات، سنطبق العملية على متغير الجندر. وستعرّف المتغيرات الأخرى كلها بالطريقة نفسها. وسنتبع الخطوات الآتية لتعريف متغير «الجندر».

1. اذهب إلى 'Data Editor' في برنامج SPSS وانقر 'Variable View' (في أسفل الشاشة).
2. اطبع كلمة 'Gender' تحت 'Name' (العمود الأول، السطر الأول من الشاشة).
3. اذهب إلى 'Type' وانقر الإطار المظلل واختر الخيار الذي تراه ملائمًا. وفي حالتنا هذه يكفي اختيار 'Numeric'.
4. انتقل إلى 'Width'، واتركه عند 8. وهذا كافٍ.
5. انتقل إلى 'Decimals' وغيّرها إلى صفر بالنقر على السهم الذي يؤشر إلى الأسفل. بما أن استجاباتنا 1 أو 2 فإن الكسور العشرية لا تلزمنا.
6. انتقل إلى 'Label' واكتب الاسم الكامل للمتغير، مثلًا: جنس المبحوثين. وتستطيع أن تكتب بما لا يزيد على 60 حرفًا، لكن يُفضّل كتابة أقل من ذلك.
7. انتقل مباشرة إلى 'Values' وانقر على الإطار المظلل في جانبها.

- في مربع 'Value' اكتب رقم القيمة أو رمزها للإجابة الأولى. وخياراتنا هي ذكر أو أنثى برموزهما المحددة 1 و2. اكتب 1 للمذكر و2 للمؤنث، ثم انتقل إلى 'Value label'.
- في مربع 'Value label' اكتب 'Male' وانقر على 'Add'.
- ارجع إلى 'Value' وأدخل 2 'Female' ثم اذهب إلى 'Label Value' وأدخل 'Female'. انقر 'Add' مرة أخرى ثم انقر OK.

8. انتقل إلى 'Missing' وانقر الإطار المظلل. في الشباك الجديد:

- شغل 'Discrete Missing Values'.

- اكتب '9' في مربع 'Discrete Missing Values'.
- انقر OK.
9. انتقل إلى 'Columns' وحدد 'Width' كما تشاء (8 تكفي).
10. انتقل إلى 'Align'، واتركه كما هو (يمين).
11. انتقل إلى 'Scale' وغيّره إلى 'Normal'، وإذا كان المتغير ترتيبيًا أو دوريًا نقوم بتعديل 'Scale' وفقًا لذلك.

الآن عرَّفنا متغير «الجندر» وأصبح الحاسوب جاهزًا لاستقبال البيانات الملائمة. وبالطريقة نفسها تُعرّف المتغيرات الأخرى التي ستوضع تحت متغير «الجندر».

2.2.1 إدخال البيانات

حددنا السياق الذي ستُدخل فيه البيانات، وهو يشتمل على المتغيرات المتعلقة بكل سؤال، وخيارات الإجابة عن كلّ سؤال. لذلك فإن الحاسوب يعرف أين يحفظ الإجابات. والآن لا بد لنا من الاهتمام بالإجابات المشار إليها في الاستبيان (الإطار 2.16). وباختصار، فإن القيم المرتبطة بالأسئلة التسعة هي: 1، 2، 3، 1، 5، 2، 3، 2، 1.

الخطوة الأولى في إدخال البيانات هي الانتقال إلى 'Data Editor'، حيث توضع الدرجات بشكل صحيح، كل واحدة تحت المتغير المتعلق بها. وهذه عملية سهلة: الرقم 1 يوضع تحت «الجندر»، والرقم 2 تحت «العمر» و3 تحت «الدين» (تذكر أنه يسمح لك باستخدام 8 حروف فقط)... وهكذا. نكرر هذه العملية إلى أن تستكمل قراءة الاستبيانات كلها وتدخل في الحاسوب. وبعد إدخال البيانات، يصبح الحاسوب مستعدًا لإجراء أي اختبارات إحصائية تريدها.

ثانيًا: عرض البيانات المبوبة

هناك طرائق عدة لعرض النتائج أهمها الجداول والرسوم البيانية التي سنتحدث عنها بإيجاز في ما يأتي.

1.2 الجداول

الجداول الأحادية (ذات المتغير الواحد) التي تتضمن متغيرًا واحدًا كعدد الأطفال في الأسر البريطانية والإيرلندية، والجداول متعددة المتغيرات (تتضمن أكثر من متغيرين مثل عدد الأطفال بحسب الجنسية وعمر الأم ومستوى تعليمها وأصلها الإثني). تشمل الجداول بعض العناصر التي تميّز بعضها من بعض - وتظهر أكثر هذه العناصر شيوعًا في الإطار 3.16.

1.1.2 قواعد العرض

يعتمد عرض البيانات على مجموعة من القواعد. ويجد القارئ القواعد الشائعة التي يذكرها معظم الباحثين(4) في الإطار 4.16.

الإطار 3.16

العناصر الأساسية للجدول
▪ فترة الفئة هي ذلك الجزء من المدى المرتب في مجموعة، كما في توزيع العمر: 1-5، 6-10، 11-15، و16-20.
▪ عرض الفئة أو اتساعها هو الفرق بين مستوى الفترة الدنيا والعليا.
▪ حدود الفئة هي الأرقام التي تحدد الحدود لكل فترة فئة. فمثلًا في الفترة 1-5، يكون الرقم 1 هو الحد الأدنى و5 هو الحد الأعلى في حدود الفئة.
▪ النقطة الوسطى هي القيمة التي تقع بين الحد الأعلى والحد الأدنى لفترة الفئة. فالنقطة الوسطى للفترة 1-5 هي 3.
▪ التكرار هو عدد الملاحظات في كل عنصر أو فئة أو فترة فئة.
▪ الفئة المفتوحة هي الفئة التي لها حد واحد، مثل الفئة: «تحت خمس سنوات» و«أقل من دولارين» و«65 سنة فأكثر».

2.1.2 إنشاء الجدول باستعمال برنامج SPSS

يُعَدُّ استخدام الحاسوب من أسهل الطرائق لتكوين جدول. وتوفر برامج SSPS

(4) B. Becker, *Grundlagen soziologischer Methodologie* (Frankfurt: Selbstverlag, 1989); W. Mahr, *Politische Struktur der Sozialforschung* (Leipzig: Selbstverlag, 1995).

طرائق مختلفة لعرض الجداول. فهناك الجداول التكرارية لمتغير واحد أو الجداول المتداخلة لمتغيرين أو أكثر. وسنعرض في ما يأتي خطوات تكوين الجدول.

الجداول ذات المتغير الواحد (الأحادية)

1. اختر Analyze/Descriptive Statistics/Frequencies.
2. انقل المتغير الذي تريد عرضه في الجدول إلى Variable(s) box.
3. فَعِّل، وانقر موافق (OK).

في جدول يظهر الدخل السنوي للموظفين المدنيين في المملكة المتحدة، يستطيع الحاسوب أن يظهر عدد المبحوثين الذين يحصلون على 20.000 باوند وعدد الذين يحصلون على ما يزيد على 20.000 باوند في السنة، بما في ذلك القيمة والتكرار والنسبة المئوية، والنسبة المئوية الصحيحة، والنسبة المئوية التراكمية.

الإطار 4.16

قواعد عرض البيانات

- **الوضوح**: يجب عرض البيانات بوضوح من دون لبس أو غموض.
- **البساطة**: يجب أن تكون البيانات سهلة القراءة.
- **الاقتصادية**: يجب عرض البيانات من دون إسراف أو تقتير.
- **ترتيب المتغيرات**: يجب عرض المتغيرات المستقلة والتابعة بالترتيب الصحيح.
- **المظهر**: يجب أن يكون مظهر البيانات أنيقًا وجميلًا.
- **الدقة**: يجب أن تتوافق الهوامش مع قيم الخلايا، والملاحظات الذيلية مع المراجع الملائمة.
- **الموضوعية**: ينبغي ألا تكون المعلومات في الجداول والرسوم البيانية مضللة، ولا تؤدي إلى استنتاجات خاطئة.

الجداول ذات المتغيرين

من أجل الحصول على جدول ذي متغيرين، مثل عدد الطلاب الحاضرين في الصف ومصنفين وفقًا لمكان الولادة (البلد أو المدينة) والجندر (ذكر أو أنثى)، نتبع الخطوات الآتية:

1. اذهب إلى 'Data Editor' واختر Analyze/Descriptive Statistics.
2. انقر 'Crosstabs' أو الجداول المتقاطعة.
3. ضع متغيرًا واحدًا في 'Rows box' وآخر في 'Columns box'.
4. انقر موافق (OK).

إذا استخدمنا مثالنا عن الدخل السنوي للموظفين المدنيين في بريطانيا، فيمكن أن يتضمن هذا الجدول متغيرًا آخر مثل الجندر، حيث يقدم معلومات عن دخل الذكور والإناث السنوي. فعلى سبيل المثال، كم من الذكور والإناث يحصل على أقل أو أكثر من 20.000 باوند في السنة؟ عندما تطلب من الحاسوب أن يكوّن جداول ذات متغيرين، ينبغي لك أن تحدد ما إذا كنت تريد نسبًا مئوية، وما إذا كنت تريد هذه النسب في الصفوف أو في الأعمدة أو في كلتيهما.

2.2 الرسوم البيانية

الرسوم البيانية أشكال توفر عرضًا مرئيًا للنتائج، وبعضها يتكون من هيكل وجسم. وبينما يكون الهيكل هو نفسه في هذه الرسوم، فإن شكل الجسم يختلف عادة من نوع إلى آخر. وهناك رسوم أخرى تستخدم الدوائر والأعمدة والخرائط والصور أو أشكالًا أخرى لعرض المعلومات الملائمة.

الإطار 5.16

نقاط للتذكُّر:

- الخطان اللذان يلتقيان ليشكلا زاوية قائمة بينهما في الزاوية اليسرى السفلى من الشكل يسميان المحاور الإحداثية.
- نقطة التقاء المحورين الإحداثيين تسمى نقطة الأصل وهي نقطة الصفر.
- يوضع الصفر إلى يسار تقاطع الإحداثيين.
- القيم فوق نقطة الأصل تكون موجبة، أما القيم تحتها فسالبة.
- الخط الأفقي للمحورين الإحداثيين يسمى الإحداثي السيني أو الأفقي.
- الخط العمودي للمحورين الإحداثيين يسمى الإحداثي العيني أو العمودي.
- تحدد قيم المتغير التابع على الإحداثي العيني أو العمودي.
- في المقاييس الترتيبية توضع القيم الدنيا على نهاية الطرف الأيسر والقيم العليا على نهاية الخط الأيمن.
- ويمكن أن توضع القيم في المقياس الاسمي بأي ترتيب.

1.2.2 أنواع الرسوم البيانية

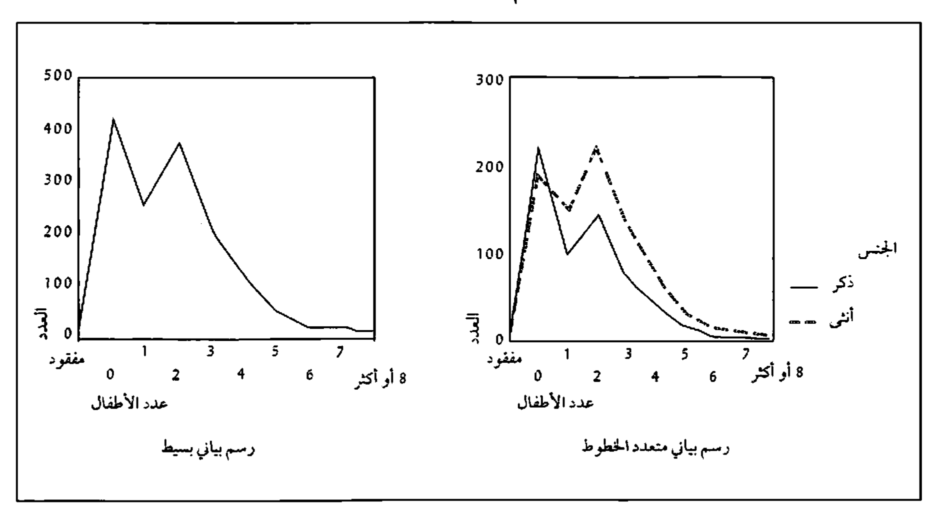
يستخدم الباحثون أنواعًا عدة من الرسوم البيانية لعرض نتائج بحوثهم عرضًا مرئيًا. وسنشرح في هذا المبحث بعض أنواع الرسوم البيانية الشائعة، وسنبين هيكلها وأهدافها. وهي: الرسم البياني الخطي، المدرج التكراري، الرسم البياني بالأعمدة (المزدوج والمنفصل)، والرسم البياني للتشتت، والمخطط الدائري.

الرسم البياني الخطي

يشتمل الرسم البياني الخطي على مجموعة من النقاط تصل بينها خطوط مستقيمة، ويمكن أن تكون بسيطة أو متعددة. وكل خط يمثل متغيرًا واحدًا. وكي نمثل عدد الأطفال في كل أسرة نحتاج إلى خط واحد فقط يُبيّن عدد الأطفال في كل أسرة، واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة... إلخ. ونستعمل خطوطًا أخرى إذا أردنا تمثيل متغيرات جديدة.

الشكل 1.16

الرسوم البيانية الخطية



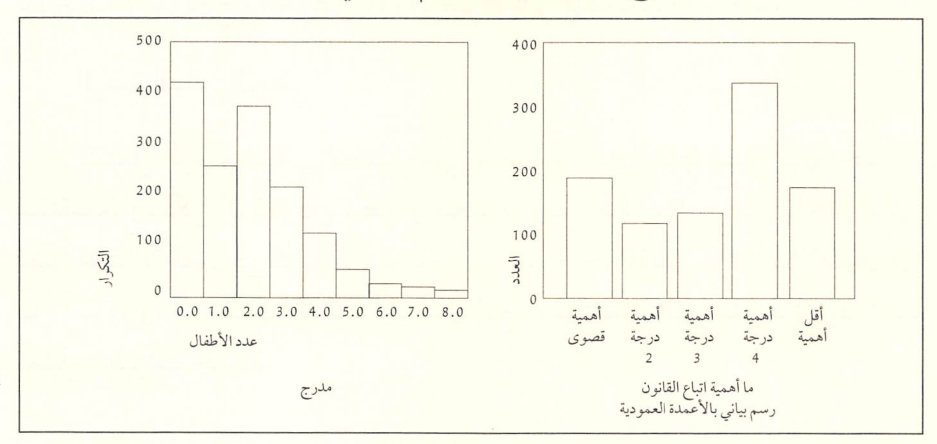
المدرج التكراري والرسم البياني بالأعمدة

المدرج التكراري رسم يُحدّد على الإحداثيات، ويُظهر شكل التوزيع

وعرضه ومركزه وارتفاعه. وتعرض المدرجات التكرارية قيمًا متصلة، حيث ترسم الأعمدة بعضها إلى جانب بعض من دون فراغ بينها.

الشكل 2.16

المدرج التكراري والرسم البياني بالأعمدة



أما **الرسم البياني بالأعمدة** فيشبه المدرج التكراري، حيث إنه يتكون من أعمدة تدل على حجم قيم المتغير المعني. لكن الأعمدة غير متصلة بعضها ببعض حيث تترك مسافة بين العمود والآخر. وتُستعمل لتمثيل متغيرات متدرّجة اسميًا مع فترات فاصلة. ويمكن أن تكون الأعمدة عمودية أو أفقية. وهناك رسوم بيانية بسيطة تمثل قيمًا منفردة، ورسوم بيانية مزدوجة تمثل مجموعات من الأعمدة المتجاورة، وهناك الأعمدة المكدسة كما يظهر في الشكل 3.16.

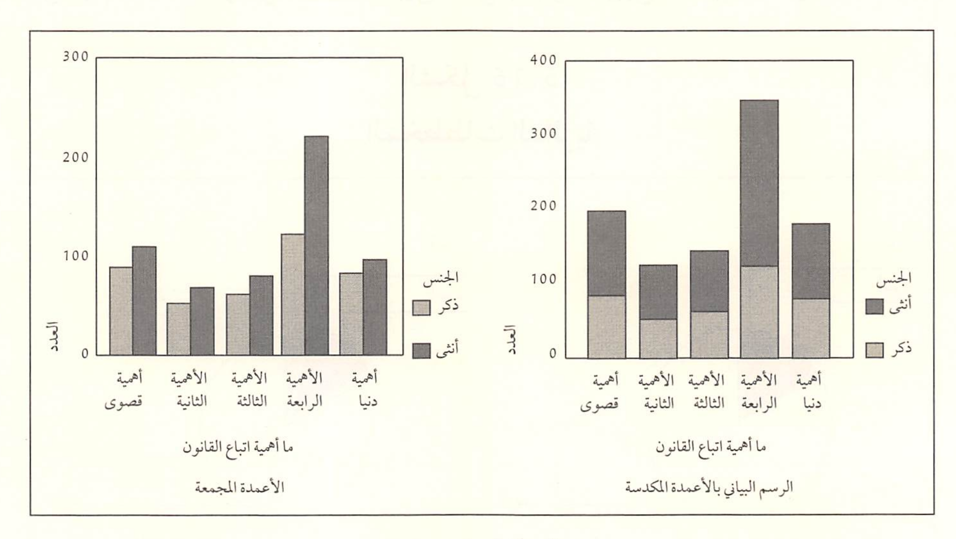
رسم التشتت

رسم التشتت (Scattergram) رسم بياني يستعمل عندما نحوسب التعالقات، وهو يصف العلاقة بين متغيرين. وتمثل هذه العلاقة على شكل نقاط. وتوضح هذه الرسوم ما إذا كانت هناك علاقة بين المتغيرين، وفي حال وجودها هل هي إيجابية أم سلبية، قوية أم ضعيفة. فكلما كانت النقاط أقرب إلى الخط المستقيم كانت العلاقة أقوى. وإذا كانت النقاط تتجمع حول خط يبدأ من نقطة الأصل ويقطع زاوية المحورين في المنتصف، فإن ذلك يعني وجود ارتباط موجب. أما

إذا كانت النقط مشتتة كما في الرسم (ب) فسيكون الارتباط سالبًا. يدل الرسم (أ) على عدم وجود ارتباط بين المتغيرات.

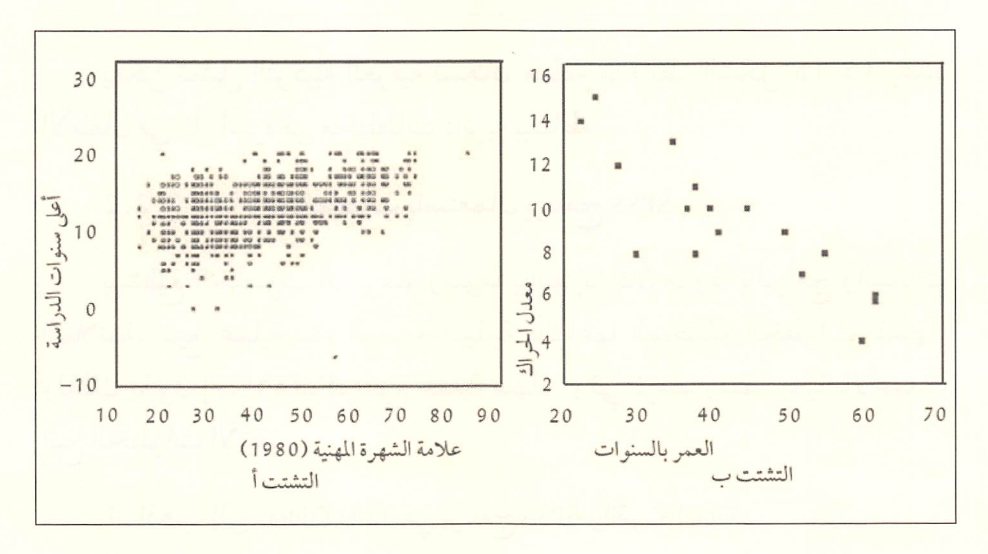
الشكل 3.16

رسم بياني بالأعمدة المجمعة والأعمدة المكدسة



الشكل 4.16

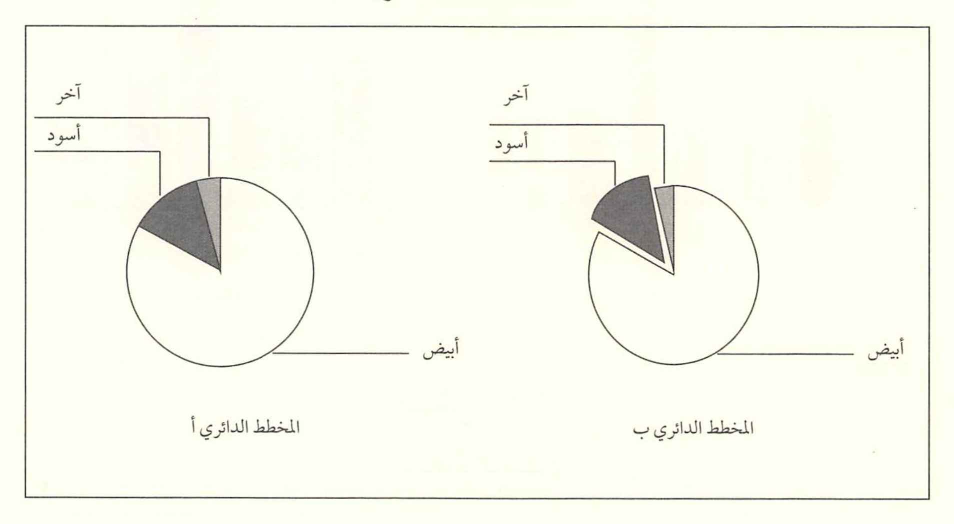
مخطط التشتت



المخطط الدائري

تُستخدم المخططات الدائرية (Pie Chart) لوصف متغيّر واحد ضمن فئة وتمثيل حجم أجزائها. وتمثل المتغيرات في المخطط الدائري على شكل دائرة، حيث يشغل كل جزء من المتغير جزءًا من الدائرة بما يتلاءم وحجمه. وتُعدّ هذه الرسوم ملائمة لعرض العلاقات بين الكل وأجزائه وبين الأجزاء نفسها.

الشكل 5.16
المخططات الدائرية



يمكن تمثيل التركيبة العرقية لسكان منطقة ما (انظر الشكل 5.16) وعدد الأطفال في كل أسرة في مخططات دائرية ببساطة.

2.2.2 إنشاء المخططات باستعمال برنامج SPSS

يستطيع الحاسوب أن يرسم رسومًا بيانية إذا كان مزودًا بالبرامج والبيانات الملائمة. تتبع عملية بناء الرسوم البيانية بأنواعها المختلفة الخطوات نفسها، ولذلك يكون إجراء هذه الرسوم عملية سهلة. وكي ترسم رسمًا بيانيًا بالأعمدة، اتبع الخطوات الآتية.

1. اذهب إلى ‘Data Editor’ في برنامج SPSS وانقر ‘Graphs’.

2. انقر 'Bar' وفعّل 'Summaries for groups of cases'.

3. انقر الرسم الموجود أمام 'Simple'.

4. انقر 'Define' وفعّل 'N of cases'.

5. انقل المتغير الذي تريد عرضه إلى 'Box Variable'.

6. انقر 'OK'.

بعد ذلك سيظهر رسم بياني بالأعمدة على الشاشة. ولتكوين رسوم بيانية أخرى، حدد أسماءها في السطر الثاني أعلاه، واتبع الخطوات نفسها. وإذا أردت خيارات متقدمة أخرى عليك أن تستطلع أيقونة 'SPSS Options'.

ثالثًا: المعالجة الإحصائية

تتضمن المعالجة الإحصائية أساليب تسمح بتحليل البيانات بالتفصيل. ويوفر أحد هذه الأساليب وصفًا عامًا للبيانات ويسمى **التحليل الوصفي** (الإحصاء الوصفي). وثمة أسلوب آخر يركز على العلاقات بين المتغيرات بحثًا عن الارتباطات (التعالقات) ويسمى **التحليل التعالقي** (الإحصاء التعالقي). والشكل الثالث من المعالجة الإحصائية هو **اختبار الدلالة** الذي يدل على المدى الذي تعكس فيه النتائج معايير مجتمع الدراسة، وما إذا كانت الدراسة تسمح بتعميم النتائج أم لا.

نبدأ موضوعنا بعرض بعض الأساليب الإحصائية الوصفية الأولية.

1.3 المقاييس التعالقية

إن الأشكال الرقمية ذات فائدة محددة في البحث الكمي، لكنها تصبح أكثر فائدة وذات دلالة عندما يرتبط بعضها ببعض. فعلى سبيل المثال، إنَّ 500 مبحوث يفكرون بطريقة معينة يُعدّ عددًا كبيرًا إذا كان العدد الكلي هو 600، لكن العدد نفسه يصبح قليلًا إذا كان العدد الكلي 10.000 مبحوث. تعمل المقاييس التعالقية على ربط الأعداد بعضها مع بعض أو ربطها بالعدد الكلي. والمقاييس

المستخدمة في هذا السياق هي المتوسط والنسبة المئوية، ويُستخدم المقياس الأخير بشكل واسع ليس في البحث فحسب، بل في الحياة اليومية أيضًا. ووصفنا هذه المقاييس بإيجاز في الإطار 6.16.

2.3 مقاييس الميل المركزي أو الأوسط

تُستخدم هذه المقاييس لمعرفة المعدّل والقيمة الأنموذجية أو الأكثر شيوعًا في توزيع. وأفضل مقاييس تقدمها إلينا هذه القيم هي المتوسط والمنوال والوسيط. ويعتمد استخدامها على طبيعة البيانات التي تصفها. ويمكن مشاهدة مواصفاتها في الإطار 7.16. وعند استخدام الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS، يمكن حساب المتوسط والوسيط والمنوال منفردة أو معًا وفقًا لاختيارك في السطر 4 أدناه. استخدم الخطوات الآتية لتحصل على هذه القيم من الحاسوب.

الإطار 6.16

المقاييس التعالقية ووظائفها

المقاييس	الوصف والأمثلة
المتوسط	يقارن المتوسط التكرار المحسوب لمتغير بالتكرار الممكن. ويمكن الحصول عليه بقسمة الأول على الثاني.
النسبة	علاقة أجزاء المتغير بعضها مع بعض (الذكور مع الإناث، مثلًا). ويمكن الحصول عليها بقسمة الأول (الذكور) على الثاني (الإناث). فإذا كانت الأعداد 26 و37 على التوالي، فإن نسبة الذكور ستكون 0.7 = 37/ 26، أي هناك سبعة ذكور لكل عشر إناث. أما نسبة الإناث فهي 1.4 = 26/ 37. وهذا يعني وجود 14 أنثى في مقابل 10 ذكور.
النسبة المئوية	تصف النسبة المئوية العلاقة بين مجموعة فرعية (n) ومجموعة كلية (N) ونحصل على هذه النسبة باستخدام المعادلة 100xN/n . في المثال السابق تكون النسبة المئوية للذكور 41.26 في المئة (41.26٪=100x63 /26)، ونسبة الإناث 58.73 في المئة (58.73٪=100x63/ 37).

1 . اختر Analyze/Descriptive Statistics/Frequencies.

2 . انقل المتغير الذي تريد إلى مربع المتغيرات Variables (s) box.

3 . فعّل جداول عرض التكرار Display frequency tables.

4 . انقر Statistics (الإحصاء) ثم فعّل Mean (المتوسط) وMode (المنوال) وMedian (الوسيط).

5 . انقر Continue (استمر) ثم انقر (OK).

الإطار 7.16

مقاييس الميل المركزي أو الأوسط

المقياس	الوصف والأمثلة
المتوسط	معدل الملاحظات كلها. ويمكن حسابه بجمع العلامات كلها وقسمة المجموع على عدد العلامات. ويُستخدم في بيانات النسبة والفترة.
الوسيط	نقطة في توزيع ترتيبي تقسم الملاحظات (وليس قيمتها) إلى قسمين متساويين. ففي التوزيع: 4، 8، 11، 12، 18، 23، 26، 28، 30، 33، 36، يكون الوسيط هو 23 (حيث توجد خمس ملاحظات على كل جانب من جانبي هذا الرقم) ويستعمل في البيانات الترتيبية والفترة والنسبة.
المنوال	الفئة التي تتمتع بأكبر عدد من الملاحظات. ففي أحد الاختبارات إذا حصل 6 طلاب على درجة A، و9 طلاب على B، و16 على C و7 طلاب على P، يكون المنوال هو C. ويستخدم في البيانات الاسمية والفترية والنسبة.

لكل مقياس هدفه الخاص، لذلك فهي مفيدة بشكل عام. وتعتمد مواءمتها على طبيعة التوزيع الذي يقيسه كل مقياس وعلى عوامل أخرى تظهر في الإطار 8.16 [5].

من بين هذه المقاييس يتمتع المتوسط بخصائص حسابية مهمة جدًا، وهو مقياس ثابت لا يتأثر بتحول جزء من البيانات بسهولة. لذلك فهو أكثر مقاييس الميل

(5) W. H. Foddy, *Elementary Applied Statistics for Social Sciences* (Sydney: Harper and Row, 1988); L. Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit* (Wien: Selbstverlag, 2000).

المركزي شيوعًا. وتعرض الاتجاهات في النتائج باستخدام المتوسطات التي تُعدّ أكثر شيوعًا من غيرها.

3.3 مقاييس التشتت

تُستخدم هذه المقاييس عندما نريد معرفة مدى توزّع العلامات حول المتوسط ومعدل انحراف هذه العلامات عن المتوسط. ومقاييس التشتت التي سنأخذها في الاعتبار هنا هي: **التباين والانحراف المعياري والمدى**. وسنصف خصائصها باختصار في الإطار 9.16.

الإطار 8.16

متى نستعمل المتوسط والمنوال والوسيط؟

- يُستعمل المنوال إذا كان المتغير مدرجًا اسميًا ويمكن استخدامه أيضًا مع جميع أنواع البيانات.
- يُستعمل المتوسط إذا كان المتغير ترتيبيًا أو فتريًا أو نسبة.
- إذا أظهر التوزيع ميلًا مركزيًا يكون المتوسط أو الوسيط هما أفضل المقاييس، وإذا لم يكن هناك ميل مركزي يفضل استخدام المنوال.
- إذا كان التوزيع منحرفًا يفضل استخدام الوسيط، خصوصًا في توزيع بيانات الفترة. وعندما يكون الانحراف شديدًا وإذا كان التوزيع يشتمل على بيانات ترتيبية يفضل استخدام المنوال.
- إذا كان القياس سريعًا وعامًا مقبولًا فيمكن حينئذ استخدام المنوال.
- إذا أردنا معلومات عن الاتجاه العام، فإن المتوسط هو أفضل خيار.
- إذا أردنا معلومات عن مواقع الحالات في نصفي التوزيع، يفضل استخدام الوسيط.

تتبع عملية حساب مقاييس التشتت الخطوات الواردة أدناه. وبما أن التباين والانحراف المعياري يحققان الهدف نفسه، فإننا سنناقش الانحراف المعياري وحده في هذا المبحث. ومن الجدير بالملاحظة أيضًا أنه يمكن حساب هذه المقاييس كلها مع مقاييس الميل المركزي. وإذا اتبعنا الخطوات الآتية، سيظهر على الشاشة المتوسط والوسيط والمنوال والمدى والانحراف المعياري.

1. اختر Analyze/Descriptive Statistics/Frequencies.
2. انقل المتغير الذي تريد إلى مربع المتغيرات Variable (s) box.

3. انقر Statistics وفعّل Range وStandard deviation.

4. انقر المتوسط والوسيط والمنوال Mode وMedian وMean.

5. انقر Continue ثم OK.

4.3 مقارنة العلامات: علامة زد

افترض أن طالبين تقدما لاختبار في البحث الاجتماعي، أحدهما في علم النفس والآخر في علم الاجتماع. حصل الطالب A على 65 من 100 من العلامات، وحصل الطالب B على 70 من 100. السؤال الذي يُسأل هنا: هل نستنتج أن أداء الطالب B أفضل من أداء الطالب A؟ إن استخدام علامة زد (z-score) يجيب عن هذا السؤال بأخذ المتوسط في الاعتبار. ومن الإجابات الممكنة أن نقول إن العلامة 65 جاءت من توزيع كان المتوسط فيه 60، ما يشير إلى أن الطالب A فوق المعدل العام، وأن العلامة 70 جاءت من توزيع كان المتوسط فيه 70، حيث يكون هذا الطالب متوسطًا. ولذلك فإن أداء الطالب A أفضل من أداء الطالب B.

الإطار 9.16

التباين والانحراف المعياري والمدى

المقياس	الوصف والأمثلة
التباين	هو معدل المسافات التي تفصل العلامات الفردية عن المتوسط، أو متوسط مربع انحرافات الملاحظات عن المتوسط.
الانحراف المعياري	الجذر التربيعي للتباين. فمثلًا، في صف من الطلاب بمعدل ذكاء 120، يعني انحراف معياري مقداره 5 أن معدل الانحراف لهؤلاء الطلاب عن متوسط معدل الذكاء هو خمس نقاط، أي إن معظم ذكاء الطلاب يقع بين 115-125.
المدى	المسافة بين أعلى نقطة وأدنى نقطة في توزيع ما. مثال: إذا كانت أدنى علامة في الحساب هي 45 وأعلى علامة كانت 90، يكون المدى 45 (45=90-45).

من ناحية إحصائية، فإن علامات زد (Z-Scores) تحول العلامات الخام إلى علامات تقاس في توزيع حيث يكون المتوسط 0 (صفر) والانحراف المعياري 1، وحيث تقاس العلامات بوحدات الانحراف المعياري. وبذلك فإن علامة زد +1.5 تعني أن العلامة الخام التي تتماشى مع علامة زد هذه هي واحد ونصف انحراف معياري فوق المتوسط. وبعبارة أخرى فهي علامة جيدة نسبيًا. وبالمثل، فإن علامة زد -0.5 تعني أن العلامة الخام المقابلة لها هي نصف انحراف معياري تحت المتوسط.

لحساب علامة زد لمجموعة من البيانات باستخدام SPSS نتبع الخطوات الآتية. تذكر أنك في حاجة إلى بيانات حاسوبية تتضمن متغيرًا بعلامات تريد أن تحولها إلى علامات زد (Z-Scores).

1. انقر اسم المتغير (صاحب العلامات التي يجب تحويلها) في 'Data Editor'.
2. اختر 'Analyze/Descriptive Statistics/Descriptives'.
3. انقل المتغير الذي يراد تحويله إلى 'Variable (s) box'.
4. فعّل 'Save Standardized values as variable'.
5. انقر 'OK'.

بعد هذه الخطوات سيعرض لك الحاسوب متغيرًا آخر إلى جانب المتغير الذي تريد أن تحوّله بما في ذلك علامات زد الموافقة. ويمكن أن تعالج هذه العلامات إحصائيًا كأي مجموعة أخرى من البيانات. ولمقارنة درجتين أو علامتين يجب تحويل التوزيعين إلى علامات زد.

رابعًا: الاقترانات

1.4 طبيعة المقاييس الاقترانية

التعالق هو طريقة تتفحّص العلاقة بين متغيرين. وبالتحديد تختبر التعالقات ثلاثة جوانب أساسية للعلاقات:

- **وجود تعالق أو عدمه:** هل هناك تعالق بين المتغيرات المعنية أم لا؟
- **اتجاه التعالق:** هل التعالق الموجود إيجابي أم سلبي؟

■ قوة التعالق: هل التعالق قوي أم ضعيف؟

تتضح هذه الجوانب الثلاثة، وجود التعالق واتجاهه وقوته، في معامل الارتباط. وبشكل عام يراوح مدى المعامل من -1 إلى +1، وإذا كان المعامل صفرًا فإن ذلك يعني عدم وجود تعالق بين المتغيرات. وكلما اقترب المعامل من 1 (+1 أو -1) يكون التعالق أقوى، وكلما اقترب من الصفر كان التعالق أضعف.

الإطار 10.16

قياس التعالقات
يكون التعالق:
■ منخفضًا جدًا إذا كانت قيمة المعامل أقل من 0.20.
■ منخفضًا إذا كانت قيمة المعامل بين 0.21 و0.40.
■ متوسطًا إذا كانت قيمة المعامل بين 0.41 و0.70.
■ مرتفعًا إذا كانت قيمة المعامل بين 0.71 و0.90.
■ مرتفعًا جدًا إذا كانت قيمة المعامل فوق 0.91[6].

أما اتجاه التعالق فتدل عليه الإشارة التي تظهر أمام المعامل. فعندما يكون إيجابيًا (+) يعني ذلك أن المتغيرات تتغير في الاتجاه نفسه (تعالق إيجابي)، وعندما يكون أحد المتغيرين مرتفعًا (مثل الدخل) يكون المتغير الآخر (نوعية الحياة) أيضًا مرتفعًا. أما إشارة السالب (-) فتعني أن المتغيرين يتحركان في اتجاهين متعاكسين (تعالق سلبي): فعندما ينخفض أحدهما (الدخل) مثلًا يزداد الآخر (الجريمة). يجب أن نتذكر أنَّ التعالق لا يعني السببية.

2.4 الخيارات المتاحة

هناك ثلاثة أنواع من الاختبار يشمل كل نوع منها عددًا من الاختبارات المحددة. ويعتمد اختيار نوع الاختبار على نوع التوزيع (متصل أو منفصل) وعلى بنية التوزيع

(6) Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit.*

وخصائصه ومستوى القياس. يوضح الجدول 1.16 عددًا من المقاييس المشهورة مبوبة وفقًا لمستوى القياس.

الجدول 1.16

اختبارات الاقتران وفقًا لمستوى القياس	
المستوى	**الاختبارات**
المستوى الاسمي	معامل الارتباط فاي، Cramer's V، معامل الطوارئ Tschurprow's (C) T, Yules Q, Lambda test.
المستوى الترتيبي	ارتباط سبيرمان، Tau-a، معامل Gamma، Sommer's d، وTau-b.
المستوى الفتري	معامل ارتباط بيرسون

في هذا القسم سنشرح نوعًا واحدًا فقط لكل مستوى: معامل الارتباط فاي و Cramer's V، Spearman's rho، وPearson's r.

3.4 مقاييس الاقتران الاسمية

تستخدم المقاييس الاسمية عندما تكون العلاقة المبحوثة مرتبطة بمتغيرات اسمية. ومن المهم أن نتذكر هنا أن المعاملات تراوح بين 0 و1، حيث يكون الصفر هو أدنى قيمة والقيم السالبة لا معنى لها.

الإطار 11.16

اختبار الاقتران الاسمي: مثال

أظهرت دراسة مسحية أن 70 من أصل 100 طالب و55 من أصل 100 طالبة يعارضون فكرة الامتحانات. هل نستطيع القول إن المجموعتين الرافضتين الامتحانات كبيرتان بما يكفي للاستنتاج بأن للجندر أثره في الموقف من الامتحانات؟ وبمعرفتنا لجندر الطلاب، هل نستطيع توقع مواقفهم من الامتحانات؟

معامل فاي وكريمر V (Phi Coefficient and Cramer's V)

يُستخدم معامل فاي في الجداول 2 x 2، بينما يُستعمل كريمر V في الجداول

الأكبر. ويمكن حسابهما معًا باستخدام الحزمة الإحصائية SPSS وإنتاج نتائج متشابهة. وعند استخدام فاي في الجداول الكبيرة يمكن أن تزيد قيم فاي على 1، وفي مثل هذه الحالات نستخدم كريمر V. وكي نحسب فاي وكريمر نتبع الخطوات الآتية:

1. اختر 'Analyze/Descriptive Statistics/Crosstabs'.
2. انقل متغيرًا واحدًا إلى Row(s) box والآخر إلى Column(s) box.
3. انقر Statistics ثم فعّل 'Phi and Cramer's V'.
4. انقر Continue ثم انقر 'OK'.

باستعمال أحد الأمثلة المذكورة أعلاه، يعرض الحاسوب الجدول التالي متضمنًا قيم فاي وكريمر V ومستوى الدلالة لكل منهما.

المقاييس المتناظرة: Phi and Cramer's V

	المقياس	القيمة	الدلالة التقريبية
اسمي × اسمي (2X2)	Phi	.145	.041
	كريمر V	.145	.041
عدد الحالات الصحيحة		200	

إن قيمة فاي هي 145. ومستوى الدلالة التقريبي هو 041.، ويعني هذا أن الاقتران بين المتغيرين «متدن جدًا» ويكاد يُهمل، وهذا أمر ذو دلالة إحصائية كبيرة (لأن 041. أقل من القيمة المحددة 05.). ولذلك لا يوجد اقتران بين المتغيرين في الدراسة.

4.4 مقاييس الاقتران الترتيبية

تُستخدم المقاييس الترتيبية عند اختبار البيانات الترتيبية، أي مع الثنائيات المرتبة. ومن أشهر مقاييس البيانات الترتيبية معامل ارتباط سبيرمان الذي سنوضحه في ما يأتي:

الإطار 12.16

اختبار الاقتران الترتيبي: مثال

صُنّف 15 طالبًا مرتين: الأولى وفقًا لمشاركتهم في الرياضة (الرتبة 1)؛ والثانية وفقًا لأدائهم الأكاديمي (الرتبة 2). باستخدام هاتين الرتبتين، هل نستطيع القول إن هناك ارتباطًا بين المشاركة في الرياضة والأداء الأكاديمي؟

معامل سبيرمان للارتباط الترتيبي

هذا معامل ارتباط غير بارامتري يتعامل مع الرتب (وليس الأحجام) ويقيس قوة الاقتران الخطي بين المتغيرات. وبخلاف المقاييس الترتيبية الأخرى، فإن معامل ارتباط سبيرمان مقياس يرتكز على التعالق. وباستخدام المثال السابق نطلب من الحاسوب ما يلي:

1. اختر Analyze/Correlate ثم انقر (ثنائي) Bivariate.
2. انقل المتغيرين المقصودين بالارتباط إلى Variable(s) box.
3. فعّل Spearman بالنقر على الإطار أمامه.
4. فعّل One-tailed or Two-tailed كما يتطلب الأمر.
5. فعّل Flag Significant Correlations ثم انقر OK.

يستجيب الحاسوب بعرض مجموعة من الجداول تتضمن معلومات ملائمة، وأهمها ما يأتي:

معامل ارتباط سبيرمان

			الرتب الأكاديمية	الرتب الرياضية
معامل سبيرمان	الرتب الأكاديمية	معامل الارتباط	1.000	.952**
		الدلالة (ثنائي الطرف) N	 15	.000 15
	الرتب الرياضية	معامل الارتباط الدلالة (ثنائي الطرف) N	.952** .000 15	1.000 15

تظهر النتائج أن معامل الارتباط هو 952. ومستوى دلالته هو 000. لذلك هناك ارتباط عالٍ جدًا وموثوق بين المتغيرين. وببساطة، فإن الطلاب الذين احتلوا رتبًا عالية في مجال معين كانوا أيضًا من ذوي الرتب العالية في المجال الآخر. والعكس صحيح.

5.4 مقاييس اقتران الفترة/ النسبة

الإطار 13.16

اختبار اقتران الفترة/ النسبة: مثال
قام صحافي بمقابلة 500 موظف مدني يعملون في الدائرة نفسها (المحكمة الجنائية) ومن الخلفية التعليمية نفسها. السؤال هو: هل هناك ارتباط بين طول فترة الخدمة والدخل السنوي، وهل نستطيع القول إن زيادة طول فترة الخدمة تعني دخلًا أعلى؟

1.5.4 معامل ارتباط بيرسون

يُعدّ معامل ارتباط بيرسون أكثر المقاييس شيوعًا لقياس الارتباط بين المتغيرات على المستوى الفتري. وهو اختبار متناظر يتعامل مع أزواج من العلامات ومع أحجام الملاحظات (الأشياء المبحوثة). وهذا القياس يختبر ما إذا كان هناك تعالق خطي بين المتغيرين وهل هذا التعالق موجب أم سالب وقوي أم ضعيف. ويُحسب معامل ارتباط بيرسون كما يلي:

1. اختر Analyze/Correlate ثم انقر (ثنائي المتغير) Bivariate.
2. انقل المتغيرين «السنوات والدخل» إلى مربع Variable(s) box.
3. فعّل Pearson بالنقر على الإطار أمامه.
4. فعّل One-tailed أو two-tailed كما يتطلب الأمر.
5. فعّل Flag Significant Correlations.

بعد ذلك وباستخدام البيانات الموصوفة أعلاه سيعرض الحاسوب الجدول الآتي:

معامل ارتباط بيرسون

			سنوات الخدمة	مستوى الدخل
سنوات الخدمة	ارتباط بيرسون		1	.883**
	الدلالة (ثنائي الطرف) N		 500	.001 500
مستوى الدخل	ارتباط بيرسون الدلالة (ثنائي الطرف) N		.883** .001 500	1 500

يظهر هذا الجدول: (1) تعالقًا موجبًا (883 في المئة ليس لها إشارة سالب)، (2) تعالقًا قويًا (883.)، (3) تعالقًا ذا دلالة كبيرة (كما يظهر في 001. و**). (تعني النجمتان في الجانب العلوي من الرقم وجود تعالق ذي دلالة إحصائية قوية). لذلك يمكننا أن نستنتج أن ثمة اقترانًا قويًا جدًا بين عدد سنوات الخدمة ومستوى الدخل.

2.5.4 معامل التحديد

يصف معامل التحديد التباين العام، أي درجة التباين المشتركة بين المتغيرين، وهو مربع معامل الارتباط (r^2) ويقدم إلينا دليلًا لقابلية القيام بالتوقعات: فهو يسمح للباحث بتوقع متغير واحد إذا كانت درجة التحديد معروفة. فعلى سبيل المثال، إن درجة الارتباط 7. التي تُعّد مرتفعة في معظم الحالات، وهي ما يتوقعه الباحث في الأحوال الطبيعية، تستطيع أن تفسر 49 في المئة فقط من التغيرات التي يمكن أن يفسرها المتغير المستقل.

خامسًا: اختبارات الدلالة

1.5 مقدمة

تستخدم اختبارات الدلالة عندما نريد معرفة أهمية نتائج بحوثنا. ويعني هذا معرفة المدى الذي تعكس فيه نتائج البحث ما يحدث فعلًا في المجتمع

المستهدف. فعلى سبيل المثال، هل نتائجنا انعكاس صادق لما يحدث في مجتمع الدراسة أم أنها نتيجة لمشكلات منهجية أو سواها؟ أو هل يمكن تعميم نتائج الدراسة؟ (انظر الإطار 16.16).

ما الذي نتحدث عنه هنا؟ افترض أن دراسة 200 طالب أظهرت أن الطالبات يمارسن الغش في الامتحانات بدرجة أكبر من الطلاب الذكور. فالسؤال الذي يهم الباحث هنا هو: هل تعكس هذه النتيجة ما يحدث فعلًا في مجتمع الدراسة؟ هل الغش بين الطالبات أكثر مما هو عليه عند الطلاب الذكور؟ تنص الفرضية الصفرية على عدم وجود فرق في الغش في الامتحانات بين الذكور والإناث. اختبارات الدلالة هي التي تثبت صحة هذه الفرضية أو ترفضها.

الإطار 14.16

ما هو مستوى الدلالة؟

مستوى الدلالة مقياس يُبيّن مدى أهمية النتائج ودلالتها إحصائيًا. يقوم الحاسوب بحساب هذا المستوى بإجراء اختبارات ذات صلة. ويراوح مستوى الدلالة من صفر إلى واحد، ويعني هذا أن مستوى الدلالة صفر يشير إلى درجة عالية من الاحتمال بأن نتائج الدراسة تعكس ما هي عليه الحال في المجتمع المستهدف. واحتمال الخطأ في هذا الاستنتاج هو 0 من 100. والعكس هو مستوى دلالة يساوي 1. وفرصة احتمال الخطأ في النتيجة هو 100 من 100. وبلغة الإحصاء فإن مستوى الدلالة يدل على احتمال رفض الفرضية الصفرية، حيث كان يفترض قبولها، وهذا احتمال نحن مستعدون له، وهو ما يسمى ألفا.

إن قيم ألفا (Alpha) التي يقبلها الباحثون الاجتماعيون عادة هي 0.50 و0.01. وفي مثل هذه الحالات نقبل بأن هناك احتمال 5 في المئة (لمستوى 0.05) أو 1 في المئة (لمستوى 0.01) لرفض فرضية صفرية صحيحة. وبعبارة أخرى، لنفترض أننا اخترنا عددًا من العينات من المجتمع نفسه عشوائيًا، سيحدث فرق بالمصادفة بحجم الذي يظهر في النتائج على مستوى 0.05 خمس مرات فقط في 100 عينة، والـ 95 مرة الباقية ستعكس الفروق في المجتمع المستهدف. ويبدو أن الدراسة ستكون أكثر دقة إذا كانت الفروق ذات دلالة على مستوى 0.01 حيث تكون فرص رفض فرضية صفرية صحيحة هي 1 في كل 100. وباختصار، يجب أن نتذكر أن المعاملات تكون ذات دلالة إحصائية إذا كان مستواها بين 0.05 و0.000.

هناك أنواع عدة من اختبارات الدلالة، وفقًا لعوامل ثلاثة:

- هل التوزيع على المستوى الاسمي، أو الترتيبي أو الفتري/ النسبي؟
- هل تتضمن الدراسة عينة واحدة أو أكثر (اختبارات العينة الواحدة، اختبارات العينتين، واختبارات العينات المتعددة)؟
- هل العينات مترابطة (متطابقة) أم مستقلة؟

أهم أنواع اختبارات الدلالة ما نشاهده في الجدول 2.16. وتتبع هذه الاختبارات إجراءات دقيقة ابتداء من صوغ الفرضية البحثية، ثم صوغ الفرضية الصفرية والفرضية البديلة ثم حساب إحصاءات الاختبار، وانتهاء بالتأكد من قبول الفرضية الصفرية أو رفضها. وفي المناقشة الآتية سنبحث بعض هذه الاختبارات فحسب وسنوضح أهدافها ومواءمتها وكيفية اشتقاق القيم وتفسيرها. لذلك فإننا سنناقش هذه الاختبارات من حيث الجوانب الآتية:

- متى تستخدم اختبارات معينة وتحت أي أوضاع؟
- كيف تحسب باستخدام الحزمة الإحصائية SPSS؟
- كيفية تفسير قيمها؟

يمكنك معرفة المزيد عن هذه الاختبارات في كتاب التمارين المرافق لهذا الكتاب، وفي الدراسات ذات العلاقة.

الجدول 2.16

إطلالة على اختبارات الدلالة

الاختبارات اللابارامترية/ اللاحصرية		الاختبارات البارامترية/ الحصرية	
رقم العينات ونوعها	المستوى الاسمي	المستوى الترتيبي	المستوى الفتري/ النسبي
One	χ^2-test (Goodness -of-fit test)	Kolmogorov-Smirnov test	t-test

يتبع

تابع

t-test	Mann-Whitney U-test Wald-Wolfowitz runs test	χ^2-test of Independence Fisher's exact test z-test for proportions	Two Independent (متغيران مستقلان)
t-test	Sign test Wilcoxon test	McNemar test	Two dependent (متغيران تابعان)
ANOVA	Kruskal-Wallis H-test	X2-test	More than two Independent (أكثر من اثنين مستقلين)
ANOVA	Friedman test	Cochran Q-test	More than two dependent (أكثر من اثنين تابعين)

الجدول 3.16

بعض اختبارات الدلالة على المستوى الاسمي

عدد العينات	أنواع العينات	اختبار الدلالة
عينة واحدة	لا ينطبق	χ^2حُسن المطابقة
عينتان	مستقل تابع	χ^2اختبار الاستقلالية Fisher exact test McNemar test
K عينات	مستقل تابع	χ^2 Test Cochran Q test

2.5 اختبارات المستوى الاسمي: اختبارات كا^2

يستخدم الباحثون عددًا من اختبارات المستوى الاسمي، ويعتمد اختيار الاختبار على عوامل مثل نوع العينات ودرجة الارتباط بينها. يقدم إلينا الجدول 3.16 أمثلة لهذه الاختبارات، وسنشرح في ما يلي اختبار كا^2 (chi-square tests) فحسب. ويمكن الحصول على معلومات عن الأنواع الأخرى من المصادر الملائمة.

تُعد اختبارات كا² أكثر أنواع اختبارات الدلالة استعمالًا في العلوم الاجتماعية. فهي توفر معلومات عن معرفة ما إذا كانت البيانات المجموعة قريبة إلى القيمة التي تُعدّ مثالية ومقبولة بشكل عام، وما إذا كان متغيران مرتبطين معًا أم لا. هناك نوعان من اختبار كا²: اختبار حسن المطابقة واختبار الاستقلالية.

الإطار 15.16

اختبار كا² هو:
اختبار دلالة من المستوى الاسمي يطبَّق للتأكد من درجة قابلية النتائج التي خلصت إليها دراسة عينة للتعميم. فمثلًا، إذا أظهرت دراسة 500 طالب (من أصل 5000) من طلاب السنة الأولى في جامعة محلية أن 350 من المبحوثين يعارضون فكرة الاختبارات، فإن اختبارات كا² تستطيع أن تخبرنا ما إذا كان هذا العدد من المعارضين يعكس حقيقة الأغلبية من الـ5000 طالب من طلاب السنة الأولى.

1.2.5 اختبار حسن المطابقة: متغير واحد

يُستخدم هذا الاختبار (Goodness-of-fit test) من اختبارات كا² عندما تتضمن الدراسة متغيرًا واحدًا فقط، كما في المثال المذكور في الإطار 16.16:

الإطار 16.16

اختبار حسن المطابقة ذو المتغير الواحد: مثال
في دراسة أجريت على 300 ممرضة، وُجد أن 100 منهن يؤيدن إدارة المستشفى التي يعملن فيها وأن 150 يحتملنها و50 ممرضة يرفضن الإدارة. هل الفروق العددية ذات دلالة إحصائية لتجعلنا نستنتج أن الممرضات بشكل عام في مجتمع الدراسة يفكرن بهذا الشكل؟

لنفترض أن آراء الممرضات مقسمة بالتساوي بين الآراء الثلاثة، فإننا نستمر بالتحليل كما يلي:

1. اختر Analyze/Non-Parametric tests ثم انقر Chi-Square.
2. انقل المتغير إلى Test Variable list box.
3. فَعّل All categories equal (جميع الفئات متساوية).

4. انقر Options وفَعّل Descriptive.

5. انقر Continue ثم OK.

بعد ذلك يعرض الحاسوب الجدول الآتي الذي يتضمن قيمة كا^2 ودرجات الحرية ومستوى الدلالة. والرقم الذي يهمنا هو مستوى الدلالة 000. شرحنا معنى هذه النتيجة في الإطار 14.16 سابقًا.

نتائج اختبار (تي) لحسن المطابقة t-test goodness-of-fit test

	الاتجاهات
chi-square (كاي تربيع)	50.000
درجات الحرية df	2
Asymp. Sig. (مستوى الدلالة)	.000

يدل هذا، ببساطة، على وجود مستوى عالٍ من الدلالة، وهو أعلى مستوى يمكن الحصول عليه. ولذلك نرفض الفرضية الصفرية ونستنتج أن الفروق بين المجموعات الثلاث من الممرضات في الدراسة تعكس الفروق في مجتمع الدراسة ولا تُعزى إلى أي سبب آخر.

دعونا الآن نعيد عملية الحساب على افتراض أن التكرارات غير متساوية، حيث إن 50 ممرضة يؤيدن الإدارة و30 ممرضة يحتملن الإدارة و20 ممرضة ضد الإدارة.

- اختر Analyze/Non-Parametric tests ثم انقر chi-square.
- انقل المتغير إلى Test Variable list box.
- فَعّل Values ثم أدخل 50 وانقر Add.
- أدخل 30 وانقر Add، ثم أدخل 20 وانقر Add.
- انقر Options وفعّل Descriptive.
- انقر Continue ثم OK.

ستشاهد على الشاشة أن قيمة كا^2 هي 41.667، وأنّه مع درجتين من الحرية فإن $p=.000$. وتفسير هذه الأرقام هو كما ذكرنا في الحالة السابقة ولا يحتاج إلى مزيد من التعليق.

2.2.5 اختبار الاستقلالية باستخدام كا^2: متغيران

يُستخدم هذا الاختبار عندما ندرس متغيرين من المستوى الاسمي. والسؤال المهم في هذا الاختبار ليس عن مطابقة القيم الملاحظة لمتغير واحد في الأنموذج النظري، لكن عما إذا كان المتغيران مستقلين بعضهما عن بعض أو مرتبطين أحدهما بالآخر. تنص الفرضية الصفرية على أن المتغيرين مستقلان.

الإطار 17.16

اختبار الاستقلالية باستخدام كا^2: مثال لمتغيرين
أظهرت دراسة مسحية عن المواقف من الإجهاض طاولت 100 أنثى و100 ذكر أن عددًا أكبر من الرجال يعارض الإجهاض قياسًا بالنساء. فهل نستطيع القول إن الفرق بين الجنسين كافٍ لرفض عدم الارتباط بينهما والاستقلال المفترض للمتغيرين؟ هل الاتجاهات نحو الإجهاض لا تتأثر بالجندر؟

اختبارات كا^2

		القيمة	درجة الحرية	Asymp.sig (2-sided)	Exact.sig (2-sided)	Exact.sig (1-sided)
Person chi square	(كا^2)	10.666	1	0.001		
Continuity correlation	الارتباط المستمر	9.759	1	0.002		
Likelihood ratio	النسبة الاحتمالية	10.767	1	0.001		
Fisher's exact test	اختبار فيشر				0.002	0.001
Linear-by-linear	الخطي-الخطي	10.613	1	0.001		
Association	الارتباط					
N of valid cases	عدد الحالات الصحيحة	200				

ولحساب اختبار كا^2 للاستقلالية نتبع الخطوات الآتية:

1. اختر Analyze/Descriptive statistics/Crosstabs.
2. انقل abort إلى Row(s) box وgender إلى Column(s) box.
3. انقر statistics وفعِّل chi-square.
4. انقر Continue ثم انقر OK.

سنقرأ الجدول الآتي على شاشة الحاسوب. والنقطة الملائمة لنا هنا هي مستوى الدلالة المشار إليها (Asymp.sig. (2-sided.

بما أن مستوى الدلالة مرتفع (Asymp.sig (2-sided)=0.001)، نرفض الفرضية الصفرية ومعها الافتراض بأن المتغيرين (الاتجاهات نحو الإجهاض والجندر) مستقلة. ولذلك من المعقول أن نستنتج أن المتغيرين مرتبطان وتاليًا فإن اتجاهات الرجال تختلف عن اتجاهات النساء نحو الإجهاض.

3.5 اختبارات المستوى الترتيبي

تتعامل اختبارات المستوى الترتيبي مع البيانات الترتيبية، ولها أهداف اختبارات المستوى الاسمي نفسها. وهناك أنواع كثيرة من هذه الاختبارات، نشاهد أشهرها في الجدول 4.16.

لا تتمتع هذه الاختبارات بشهرة اختبارات المستوى الاسمي أو الفتري/ النسبي وشيوعه نفسه في البحوث الاجتماعية. لذلك سنقدم في هذا الجزء وصفًا مختصرًا لهذه الاختبارات، وسنوضح خصائصها الرئيسة، وأين وكيف تستخدم وكيف نفسر نتائجها. إن عملية حسابها سهلة، خصوصًا عندما نستعمل الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS، كما سنرى في ما يلي.

الجدول 4.16

اختبارات المستوى الترتيبي

عدد العينات	نوع العينات	اختبارات الدلالة
عينة واحدة	لا ينطبق	Kolmogorov-Smirnov test
عينتان	مستقل	Wald-Wolfowitz runs test Mann-Whitney U-test
	تابع	Sign test Wilcoxon test
عينات k	مستقل تابع	Kruskal-Wallis H-test Friedman test

تصنف الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS هذه الاختبارات تحت اسم واحد هو **الاختبارات اللابارامترية** [أي اللاحصرية]. وتاليًا فإن طريقة الوصول إلى هذه الحسابات هي:

Analyze > Non parametric tests. ويقودك هذا إلى مجموعة من المقاييس تشتمل على ما يلي: كا^2، ذو الطرفين، One-sample K-S، runs 2، independent variable (متغيران مستقلان)، K independent variables، 2 related samples، K related samples. يتضمن كل واحد من هذه الاختبارات واحدًا أو أكثر من الاختبارات التي ذكرناها في هذا الجزء. وفي ما يلي قائمة بهذه الاختبارات:

Non-parametric tests	**List items**
Chi-square test	Chi-square
Binomial test	Binomial
Runs test	Runs
One sample Kolmogorov-smirnow test	One sample K-S
Man-Witney U; Wald-Wolfowitz;	2 independent variables
Kolmogorow-Smirnov Z, etc.	
Kruskal-Wallis H; Median	K independent samples
Wilcoxon; Sign; McNemar	2 related samples
Friedman; Kendall's W; Cochran's Q.	K related samples

توضح هذه القائمة المكان الذي يوجد فيه كل اختبار، وكيفية التعامل معه. فمثلًا، يوجد اختبار McNemar في مجموعة العينتين المترابطتين (two-related sample group)، وتاليًا يمكن الحصول على هذا الاختبار باتباع ما يلي: Analyze > Non Parametric tests > 2 related samples > McNemar

بالمثل، فإن طريقة الحصول على اختبار Friedman هي: Analyze > Non Parametric tests > K related samples > Friedman. ومن هناك ما عليك إلا اتباع تعليمات البرنامج. وتفسر المعاملات باستعمال المعايير نفسها التي تستخدم في الاختبارات الأخرى.

4.5 اختبارات مستوى الفترة/ النسبة

سنوضح في هذا الجزء نوعين من اختبارات المستوى الفتري/ النسبي. وتسمى هذه الاختبارات اختبارات الدلالة البارامترية [أي الحصرية]، حيث إنها ترتكز على الافتراض بأن مجتمع الدراسة موزع توزيعًا طبيعيًا، وملتزم بمبادئ المنحنى الطبيعي. ويعرض الجدول 5.16 اختبارات الدلالة على المستوى الفتري/ النسبي التي يشار إليها في ما بعد، وهي مرتبة وفقًا لعدد أنواع العينات المدروسة.

الجدول 5.16

اختبارات الدلالة على المستوى الفتري/ النسبي

عدد العينات	نوع العينات	اختبارات الدلالة
عينة واحدة	لا ينطبق	اختبار تي t-test
عينتان	مستقلة أو تابعة	t-test
عينات k	مستقلة	تحليل التباين البسيط Simple ANOVA
	تابعة	تحليل التباين المتعدد Multiple ANOVA

الإطار 18.16

> **ما هو اختبار تي (t-test)؟**
> هو اختبار دلالة على المستوى الفتري/ النسبي يهدف إلى التأكد من كون نتائج دراسة ترتكز على عينة ذات دلالة إحصائية أم لا، وأنها صحيحة بالنسبة إلى المجتمع المستهدف. يفحص هذا الاختبار درجة تعميم نتائج الدراسة. وهو يؤدي الغرض نفسه الذي تؤديه اختبارات كا^2، إلا أنه يلائم التغيرات الفترية/ النسبية وحدها.

1.4.5 اختبار تي The t-test

يُعد اختبار تي من الاختبارات المعروفة والمفيدة، ويُستخدم للعينات الصغيرة، ويعتقد بصلاحيته للعينات الكبيرة أيضًا[7]. هناك نوعان من اختبار تي: اختبار العينة الواحدة واختبار العينتين.

(7) G. Argyrous, *Statistics for Social Research* (Melbourne: Macmillan, 1996), p. 223.

- اختبار تي ذو العينة الواحدة

يقارن هذا الاختبار الوسط الحسابي للعينة بالوسط الحسابي لمجتمع الدراسة، ويختبر إذا كان الفرق بين الوسطين ذا دلالة إحصائية. انظر إلى المثال الآتي:

الإطار 19.16

اختبار تي ذو العينة الواحدة: مثال
تعتقد محاضِرةٌ أن الممرضات العاملات في مؤسستها أشد محافظة من الممرضات العاملات في مؤسسات أخرى. وكي تختبر هذا الافتراض حصلت على علامات 26 ممرضة باستخدام مقياس المحافظة وحسبت المتوسط (5.715) والانحراف المعياري (1.384). وعلى افتراض أن معدل المحافظة عند الممرضات هو 4.4، هل تستطيع المحاضرة القول إن الفروق ذات دلالة إحصائية؟

تستخدم المحاضِرة اختبار تي ذا القيمة الواحدة لاختبار فرضيتها. والخطوات هي ما يلي (اسم المتغير 'conserv'):

1. اختر Analyze/Compare means/One-sample T test.
2. انقل 'conserv' إلى Test variable(s) box.
3. اكتب 4.4 في Test Value box.
4. انقر Options وحدد Confidence interval (فترة الثقة) بـ95 في المئة.
5. فعِّل Exclude cases analysis by analysis (في Missing values sector).
6. انقر Continue ثم OK.

وبعد ذلك يظهر لك الجدول الآتي:

اختبار بعينة واحدة One-sample test

	قيمة الاختبار					
					فترة الثقة للفرق 95 في المئة	
	t	df	الدلالة	الوسط	أدنى	أعلى
المحافظة	4.846	25	.000	1.32	.76	1.87

إن الرقم الحاسم هنا هو مستوى الدلالة (.Sig) وهو مرتفع (000.). وفي ضوء مستوى الدلالة المرتفع نستطيع أن نرفض الفرضية الصفرية. ويعني هذا أن الفروق بين المتوسطات لا تُعزى إلى تأثيرات أو مشكلات منهجية، بل إلى فروق في المجتمع المستهدف. ولذلك فإن درجة المحافظة لدى الممرضات المبحوثات تختلف اختلافًا ذا دلالة عن درجة المحافظة عند مثيلاتهن في المجتمع المستهدف.

- اختبار تي ذو العينتين للعينات التابعة

تُستعمل الاختبارات ذات العينتين للتأكد من الفروق بين متوسطي عينتين مستقلتين أو تابعتين، إذ إن هناك اختبارًا للعينات المستقلة وآخر للتابعة. وسنركز مناقشتنا هنا على اختبار العينات التابعة. ويستخدم اختبار تي هنا لفحص الفروق بين كل زوجين من البيانات.

الإطار 20.16

اختبار تي ذو العينتين: مثال
قام صحافي بمقابلة عشرة مبحوثين مرتين، كانت أولاهما في لقاء أولي، وكانت الثانية بعد حضورهم ندوة عن المثلية. وكان هدف البحث هو التأكد مما إذا كانت آراؤهم قد تغيرت تغيرًا ذا دلالة بعد حضور الندوة. أُدخلت علامات المقابلتين في الحاسوب. ونصت الفرضية الصفرية على عدم وجود فروق بين العلامات. فهل هذا صحيح؟

دعونا ندرس مثالًا لنرى نتائج اختبار تي. نبدأ بعملية الحساب كما يلي:

1. اختر Analyze/Compare means ثم انقر Paired-Sample T test.
2. ظلل المتغيرات وانقلها إلى Paired Variable(s) box.
3. انقر Options.
4. حدد Confidence interval بـ 95 في المئة والقيم المفقودة Missing Values كما هو مطلوب.
5. انقر Continue ثم OK.

بعد ذلك يظهر لك جدول يشتمل على معلومات ملائمة، خصوصًا قيمة t ومستوى الدلالة أيضًا.

اختبار العينات المزدوجة Paired samples test

فترة الثقة 95 في المئة			العينات المزدوجة						
الدلالة	درجات الحرية	t	أعلى	أدنى	خطأ الوسط المعياري	الانحراف المعياري	الوسط	اختبار قبلي اختبار بعدي	الزوج 1
.000	9	5.511	2.54	1.06	.327	1.033	1.80		

في ضوء مستوى الدلالة المرتفع فإننا نرفض الفرضية التي تنص على أن المتوسطين متساويان. وهذا يعني أن المتوسط بعد الندوة يختلف اختلافًا ذا دلالة عن المتوسط الأول. وتاليًا فإن الفرق بين المتوسطين ذو دلالة إحصائية. فمن المنطق إذًا القول إن الندوة والتواصل بين المبحوثين والباحثين كان لهما أثر في آراء المبحوثين نحو المثلية.

2.4.5 تحليل التباين

يُعد تحليل التباين(ANOVA) أقوى أنواع الاختبارات المستخدمة في البحث الاجتماعي وأكثرها شيوعًا، وهو ملائم للاستخدام في التوزيعات من المستوى الفتري/ النسبي، ويُعرف باسم تحليل التباين أو اختبار (ف). ويُستعمل باعتباره اختبارًا عامليًا بسيطًا، أو عامًا أو متعدد العوامل. وتسمى هذه الاختبارات أيضًا الأحادية أو ذات الاتجاه الواحد (عند استخدام معيار واحد)، أو ذات الاتجاهين (الثنائية) (عند استخدام معيارين)، أو التحليل العاملي المتعدد (عند استخدام معايير أكثر). ويسمى أيضًا اختبار ف نسبة لمخترعه ر. د. فيشر.

الإطار 21.16

تحليل التباين هو:
اختبار دلالة على المستوى الفتري/ النسبي ويصلح لمقارنة عينتين أو أكثر. ويظهر بأشكال متعددة، ويعمل بالطريقة نفسها، ويحقق الأهداف نفسها التي تحققها اختبارات تي، إلا أن الأخيرة ملائمة لمقارنة عينتين وحسب. يُعد تحليل التباين أقوى من اختبار تي.

يُستعمل تحليل التباين إذا توافرت له شروط معينة، أهمها ما يلي:

- **اختيار عشوائي للعينات.**
- **الاستقلالية**: العلامات مستقلة بعضها عن بعض.
- **الطبيعية**: العلامات موزعة توزيعًا طبيعيًا.
- **التجانس**: التباينات متساوية.

أكثر أنواع تحليل التباين انتشارًا هي تحليل التباين الأحادي (ذو الاتجاه الواحد)؛ وتحليل التباين الثنائي (ذو الاتجاهين). وفي هذا المبحث سنوضح طبيعة تحليل التباين الأحادي واستخداماته. يُستخدم هذا التحليل عند وجود عامل واحد (يعمل كأنه المتغير المستقل) ومتغير تابع واحد. والعامل هو متغير اسمي (ذكور، إناث، مجموعات إثنية، الحالة الاجتماعية...)، أما المتغير التابع فهو كمي. وعلى الرغم من اختبار متغيرين، فإن تحليل التباين الأحادي ينظر في ما إذا كانت مجموعات العينات تتباين بانتظام بطريقة واحدة، أو في شأن جانب واحد فقط. ومن الأمثلة على ترتيب هذه المتغيرات في تحليل التباين الأحادي ما يلي:

العامل (المتغير النوعي)	العامل التابع الكمي؟
الحالة الاجتماعية المستوى: عازب، متزوج، مطلق...	**السعادة العامة** سعيد جدًا، سعيد، غير سعيد، غير سعيد جدًا
الجندر المستوى: ذكر، أنثى	**التحصيل المدرسي** مرتفع جدًا، مرتفع، متوسط، منخفض، منخفض جدًا.
الإثنية المستوى: يوناني، ألماني، بريطاني، إيرلندي	**الطموحات التعليمية** مرتفعة جدًا، مرتفعة، متوسطة، منخفضة، منخفضة جدًا.
التعليم المستوى: ابتدائي، ثانوي، جامعي	**الانتماء الأسري** مرتفع جدًا، مرتفع، متوسط، منخفض، منخفض جدًا.

يشتمل تحليل التباين الثنائي على معيارين للتصنيف ومتغيرين مستقلين ومتغير تابع واحد. فمثلًا، إذا سألنا عن أثر الطبقة الاجتماعية في السعادة بشكل عام فإننا نستخدم تحليل التباين الأحادي، لكن إذا ربطنا الطبقة الاجتماعية والحالة الاجتماعية بالسعادة بشكل عام، فإننا نحتاج إلى تحليل التباين الثنائي. في المثال الأول هناك عامل واحد: الطبقة الاجتماعية، أما المثال الثاني فيشتمل على عاملين: الطبقة الاجتماعية والحالة الاجتماعية.

- حوسبة تحليل التباين

كما ذكرنا سابقًا، يُستخدم تحليل التباين الأحادي عند وجود متغيرين، وعامل واحد وتصنيف باتجاه واحد. ولتوضيح كيفية إجراء اختبارات تحليل التباين نستعمل المثال المذكور في الإطار 22.16.

بعد إدخال البيانات في الحاسوب، نتبع الخطوات الآتية:

1. اختر Select/Compare means.
2. انقر One-Way ANOVA.
3. انقل المتغير المستقل Familism (الانتماء الأسري) إلى Dependent List box.
4. انقل Factor country إلى Factor box.
5. انقر Options ثم Descriptive.
6. انقر Continue ثم OK.

الإطار 22.16

تحليل التباين الأحادي: مثال
أجريت دراسة مسحية على مجموعة من الطلاب من خمسة بلدان لمعرفة اتجاهاتهم نحو الأسرة. وزّعت استبيانات وجمعت الأعداد الملائمة من كل بلد. والسؤال هو: هل هناك فروق ذات دلالة في اتجاهات الطلاب نحو الأسرة في هذه البلدان؟ إن تحليل التباين سيساعدنا في الإجابة عن هذا السؤال.

بعد الانتهاء من هذه الخطوات سنحصل على عرض يشتمل على جدول

تحليل التباين (جدول ف F-Table)، وجدول 'Descriptives'. يتضمن جدول التباين (ANOVA) المعلومات المهمة لنا في هذه المرحلة في الأقل ومستوى الدلالة الذي يبلغ 010. وكما الحال في اختبار الدلالة في الحالات الأخرى، وفي ضوء معرفتنا لمستوى الدلالة 010. فإننا نرفض الفرضية الصفرية التي تنص على تساوي المتوسطات، وتاليًا هناك اتجاهات مختلفة نحو الأسرة بين المجموعات المبحوثة. وبالتحديد، يمكننا القول إنه من المعقول أن نفترض أن مجموعة واحدة في الأقل تختلف عن الأخريات.

تحليل التباين ANOVA

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية (df)	متوسط المربعات	التباين (F)	الدلالة .Sig
بين المجموعات	35.760	4	8.940	4.382	.010
في المجموعات	40.800	20	2.040		
المجموع	76.560	24			

نقاط أساسية

- يستخدم البحث الكمي والبحث النوعي أنواعًا مختلفة من تحليل البيانات.
- يستخدم التحليل الكمي أساليب إحصائية متقدمة لمعالجة البيانات الكمية.
- يجري معظم الباحثين الكميين التحليلات الإحصائية باستخدام الحاسوب.
- يعرض الباحثون الإحصائيون ملخصات لنتائج بحوثهم في جداول ورسوم بيانية.
- إن المعدل والنسبة المئوية مقاييس علاقية (ارتباطية)، فهي تربط أجزاء المجموعة بعضها ببعض أو بالمجموعة.
- إن المتوسط والوسيط والمنوال مقاييس للنزعة المركزية.
- تحليل التباين والانحراف المعياري والمدى مقاييس للتشتت.
- أكثر مقاييس الارتباط شيوعًا معامل ارتباط بيرسون، وسبيرمان rho.

- اختبارات الدلالة تربط الإحصاءات بالمعايير، وتسأل: هل تعكس العينة المجتمع المستهدف؟
- أشهر أنواع اختبارات الدلالة هي كا^2 واختبارات t وتحليل التباين.

إلى أين؟

قبل أن تترك هذا الفصل، لا بد لك من أن تزور الموقع المرافق للطبعة الثالثة من كتاب **البحث الاجتماعي**: http://www.palgrave.com/sociology/sarantakos لتراجع المفاهيم الأساسية في هذا الفصل وتختبر نفسك في القضايا الرئيسة التي ناقشناها.

قراءات إضافية

Books

Betts, K., D. Hayward and N. Garnham. *Quantitative Analyses in the Social Sciences: An Introduction*. Croydon, Victoria: Tertiary, 2001.

Brace, N., R. Kemp and R. Snelgar. *SPSS for Psychologists. A Guide to Data Analysis using SPSS for Windows*. Houndmills: Palgrave, 2000.

Field, A. *Discovering Statistics Using SPSS for Windows: Advanced Techniques for the Beginner*. London: Sage, 2000.

Foster, J. J. *Data Analysis Using SPSS for Windows New Edition: Editions 6-10*. London: Sage, 2001.

Miller, R. L. et al. *SPSS for Social Scientists: Versions 9, 10 and 11*. Houndmills: Palgrave Macmillan, 2002.

Sarantakos, S. *Basic Stats without Maths*. Sydney: Harvard Press, 2000.

القسم الخامس

النشر

17. كتابة التقرير

الفصل السابع عشر

كتابة التقرير

هذا الفصل

- يقدم إرشادات لكيفية كتابة تقرير البحث.
- يوضح بنية تقرير البحث ومحتواها.
- يصف تقارير البحوث في سياقات محددة.
- يعرض أساليب كتابة تقرير البحث.
- يناقش تقارير البحث النوعية والكمية.

العناوين الرئيسة

مقدمة

1. سياق كتابة التقرير
2. البنية والمحتوى
3. التقرير في البحث الكمي
4. التقرير في البحث النوعي
5. التقرير في البحوث متعددة الأُطر المفهومية أو الإرشادية
6. تقرير مشروع الطالب
7. العرض
8. التقويم الذاتي
9. أخيرًا وليس آخرًا: مصير التقرير

نقاط أساسية

إلى أين؟

قراءات إضافية

مقدمة

إن آخر خطوة في عملية البحث هي نشر نتائجه، أي نشر المعلومات التي جُمعت في أثناء عملية البحث. وهذه خطوة مهمة لأنها تُطلع المجتمع على الوضع الراهن في موضوع البحث، وتوفر فرصة للمجموعات ذات الاهتمام وللحكومة لأخذ النتائج بالاعتبار، والأهم من ذلك اتخاذ الإجراءات الملائمة في ضوء النتائج. ويعني تقرير البحث بالنسبة إلى المجتمع والخبراء أيضًا «البحث نفسه»، والبحث هو ما يتضمنه هذا التقرير. فتقرير البحث هو «وجه عملية البحث»، ولذلك يجب إعداد تقرير البحث بطريقة تعرض النتائج بأوضح طريقة ممكنة وبشكل بناء.

سنناقش في هذا الفصل كيفية بناء تقرير البحث. سنرى، من بين أشياء كثيرة، ما تعنيه كتابة تقرير البحث وكيف تصبح التقارير طريقة أساسية ومفيدة وبناءة لنشر النتائج بوضوح ودقة للقراء. وسنعرض بعض الطرائق التي يمكن أن يكتب فيها تقرير البحث، والعوامل التي ينبغي أن تؤخذ في الحسبان عند إعداد تقارير البحوث، والبنود التي يجب أن تتضمنها لتكون كاملة ومفيدة وفاعلة.

أولًا: سياق كتابة التقرير

إن كتابة التقرير «كتابة مُهَنْدَسَة»[1]، أي عملية منتظمة ومنضبطة. وبالتحديد، يتوقع من التقرير أن يصف سيرورة البحث وأن يعرض مخرجاتها بدقة وكفاية وفاعلية. فمنذ البداية، يجب أن يتم إعداد أي تقرير بغض النظر عن طبيعته

(1) M. J. Murray and H. Hay-Roe, *Engineered Writing: A Manual for Scientific, Technical and Business Writers* (Tulsa, Okla.: PennWell, 1986).

ومحتواه، في سياقه. ومن العناصر الأساسية التي يجب أن تؤخذ في الحسبان في عملية إعداد التقرير المعايير الأخلاقية ونوع الجمهور المستهدف وهدفه وأماكن النشر. وسنرى لاحقًا أن السياق أكثر تعقيدًا من هذه الأمور، لكن على كاتب التقرير أن يفكر منذ البداية في هذه العوامل الأربعة.

1.1 الأخلاق

يجب أن يلتزم البحث المعايير الأخلاقية، وكذلك طريقة كتابة التقارير. وكما ذكرنا سابقًا، فإن التقرير هو «وجه الدراسة» وطريقة عرض النتائج تؤثر في جودة البحث ومصداقيته. وينبغي أن يعكس العرض المهنية والعدالة والنزاهة التي تُتوقع من الباحث. إن عدم احترام المبادئ الأخلاقية مثل السرقة العلمية وتزوير البيانات والغش وما شابه ذلك يُعدّ مخالفة يعاقِب عليها القانون.

2.1 القارئ

يجب أن يُكتَب البحث بطريقة مفهومة للقارئ المقصود. ويتمتع القراء بقدرات لغوية مختلفة، كما أن معرفتهم بالمصطلحات والتعابير العلمية تختلف اختلافًا كبيرًا، لذلك يجب أن يكتب البحث بلغة المستهلك. وبالمثل، فإن طول البحث وحجم التفصيلات فيه ومدى احتوائه على جوانب فنية وعمق التحليل ومناقشة النتائج تتباين وفقًا لقدرات القارئ. فمن الواضح أنَّ الحديث الموجّه إلى المجموعات المعنيّة يختلف عن التقارير المقدمة إلى مموّل المشروع، وعن البحوث العلمية المقدمة في مؤتمرات وعن المقالات المنشورة في دوريات متخصصة. وفي الحالات كلها، يُتوقع من التقرير أن يكون واضحًا، وصادقًا وشاملًا ومفيدًا، ويضع دائمًا القارئ في الحسبان.

3.1 الغرض

تختلف طبيعة التقرير ومحتواه باختلاف غرض البحث والتقرير. فالدراسات الوصفية تؤدي إلى منشورات تتضمن نتائج وصفية، والدراسات الاستطلاعية تنتج تقارير تتضمن بيانات استطلاعية. وبالمثل، فإن الدراسات التي ترتكز على البحث

العملي تتطلب خطط عمل ترشد المجموعات ذات الاهتمام والحكومة لما يجب أن يُفْعَل لتحقيق أهداف البحث. فالهدف من البحث يحدد هيكله ومحتواه، لذلك يجب أن يكون واضحًا. وسواء أكان البحث يهدف إلى تنوير القارئ أم إسداء النصيحة إلى الحكومة أو ممول البحث، أم تحفيز حوار عام أم اتخاذ إجراء عام، فإن كل ذلك يؤثر كثيرًا في طريقة عرض التقرير وتقديمه ومحتواه وبنيته.

الإطار 1.17

المتطلبات الأخلاقية الأساسية في كتابة التقرير
▪ يجب أن يقدم تقرير البحث وصفًا دقيقًا وواقعيًا وصادقًا عن نتائج البحث من دون إساءة تمثيل ومن دون تضليل للقارئ. ▪ يجب مراعاة السرية وعدم كشف الأسماء، ويجب ألا يشتمل النص على أي معلومات تساعد في الكشف عن أسماء المبحوثين، كما يجب على البحث ألا ينشر معلومات سرية. ▪ ينبغي ألا تكشف أسماء المبحوثين الرئيسيين ولا أسماء الوسطاء أو المديرين. ▪ السرقة العلمية مخالفة. يجب الاعتراف بأعمال الآخرين ومساهماتهم وتوثيقها في عملية كتابة تقرير البحث. ▪ يُعد الغش في تقرير البحث مخالفة للمعايير المهنية والأخلاقية يُعاقِب عليها القانون. ▪ تزوير النتائج عمل لاأخلاقي ومخالفة كبيرة. ▪ إخفاء النتائج أيضًا مخالفة وعمل لاأخلاقي يتنافى ومعايير البحث. ▪ يجب كشف محددات البحث في تقرير البحث مهما كانت أسبابها. ▪ يجب الاعتراف بفضل كل من ساهم في إكمال البحث أو كتابة تقريره. ▪ يجب إعداد التقرير بطريقة مهنية محترفة لا تضر بسمعة المبحوثين أو الممولين أو مصالحهم.

4.1 منافذ نشر التقرير

يبدو التفكير بطريقة العرض أمرًا في غير مكانه بالنسبة إلى بعضهم. في العادة، نتوقع إثارة هذه القضية بعد الانتهاء من كتابة تقرير البحث. ومع أن ذلك منطقي، لكن هذا الاعتبار غير صحيح لأن طبيعة التقرير ومحتواه وهدفه وقراءه وطوله تعتمد كثيرًا على المكان الذي سينشر فيه البحث. ولذلك لا بد من تحديد مكان النشر. وباختصار، تنشر النتائج عادة في أحد المواقع الآتية:

▪ **الصحف**: تُخاطب الصحف الجمهور العام، وتهتم بالتقارير التي تصف الاتجاه الرئيس في النتائج. وفي معظم الحالات، تكون هذه التقارير موجزة ومكتوبة بلغة بسيطة وأسلوب واضح، ويقدمها الصحافيون وليس الباحثون. لذلك تلتزم هذه التقارير بمعايير النشر في الصحف.

▪ **النشرات الإخبارية**: تخاطب هذه النشرات القراء من ذوي الاهتمام الخاص و/ أو من ذوي التوجهات الأيديولوجية المعنية. فلا بد من تعديل اللغة والأسلوب في العرض ليلائم مستوى القارئ، ويقدم التقرير الذي لا يكتبه الباحث ملخصًا مقيدًا لمحتوى النتائج وأهميتها.

▪ **المؤتمرات**: تكون النتائج التي تُقدم في مؤتمرات أكثر تعقيدًا وتحديدًا لأنها موجهة إلى خبراء في الميدان نفسه. يقدم الباحث عرضًا مفصلًا لنتائج أولية أو نهائية بلغة الجمهور المستهدف، والباحث هو الذي يعرض النتائج.

▪ **الدراسات أحادية الموضوع**: إذا كان التقرير كبيرًا وموسعًا ويتضمن مناقشة مستفيضة لموضوع البحث، فمن الممكن أن ينشر في دراسة. والدراسات هذه هي منشورات جادة وقد تكون أحيانًا سلسلة من المنشورات التي يعدها الباحث، وجزءًا من سلسلة أحيانًا، وتُعَامَل من جميع الوجوه كنوع من الكتاب.

▪ **المجلات**: تسمح المجلات بنشر تقارير بحوث موجزة ودقيقة ومحكمة ومفصلة، وهي أكثر الطرائق شيوعًا لنشر البحوث الأكاديمية حيث يقرأُها المتخصصون. في معظم الحالات، تنشر النتائج في سلسلة من المقالات، حيث تركز كل واحدة على جانب معين من جوانب البحث. وفي ضوء متطلبات النشر في هذه المجلات، تكتب التقارير باحتراف ومهنية ووفقًا لأسلوب النشر الذي تطلبه المجلة.

▪ **الكتب**: تُعدّ الكتب أفضل طريقة لنشر نتائج البحوث وأكثرها قبولًا واحترامًا. ويسمح الكتاب في نطاقه الواسع وتركيزه الأكبر بنشر نتائج البحوث على نطاق أوسع وأكمل. وتكمن المشكلة الوحيدة في نشر الكتب في أن أوضاع السوق لا تساعد عملية النشر، ولذلك فإن الدراسات التي تنشر في كتب قليلة.

وكثير من نتائج البحوث المتخصصة التي لا تجتذب عددًا كبيرًا من القراء لا تجد متسعًا للنشر في كتب.

هناك أماكن أخرى كثيرة لنشر نتائج البحث. فقد تكون ورشات العمل والندوات جيدة للمهتمين بالموضوع ولرعاة المشروع. كما أن المقابلات الإعلامية في الإذاعة أو التلفزيون من الطرائق الجيدة لنشر نتائج الأبحاث. لكن معظم الباحثين يعتبر الكتب والرسائل العلمية الخاصة أفضل السبل لنشر نتائج أبحاثه، يتبعها النشر في المجلات العلمية المحكمة والمؤتمرات. وكما ذكرنا سابقًا، فإن ارتقاء البحث إلى مستوى النشر الذي يستحقه لا يعتمد على جودته وحدها؛ فالسياسة والاعتبارات الاقتصادية على القدر نفسه من الأهمية (وأكثر أهمية أحيانًا).

ثانيًا: البنية والمحتوى

يبدأ الباحث بالعرض بعد تحديد الهدف الذي يسعى التقرير إلى تحقيقه ومن هو الجمهور المستهدف، وأين سينشر البحث، ومدى الالتزام بالمعايير الأخلاقية. وسنناقش في ما يلي المعايير المهنية التي توجه الباحث في إعداد تقرير البحث[2]. وباختصار، لا بد للباحث الذي يستعد للعرض من أن يقرر، **أولاً** محتوى التقرير وما هي النتائج التي يجب أن يتضمنها، ودرجة التفصيل واستعمال الإحصاء أو السرد وغيرها، **وثانيًا** هيكل التقرير وبنيته، **وثالثًا** أسلوب النص. هذه العناصر الثلاثة على الدرجة نفسها من الأهمية ويجب أن تتكامل معًا بشكل جيد، وأن تعطى الاهتمام الكافي قبل البدء بالكتابة. وسنناقش هذه الأمور بإيجاز في ما يلي. وبما أن البنية والمحتوى مرتبطان معًا، فإننا سنناقشهما معًا أيضًا. ويتوقع من محتوى التقرير أن يلتزم بعدد من القواعد وأن يحقق معايير معينة يحددها الأقران والمهنة[3] بشكل عام (انظر الإطار (2.17)).

---

(2) H. F. Wolcott, *Writing Up Qualitative Research* (Newbury Park, Calif.: Sage, 1990).

(3) G. A. Fine, «The Ten Commandments of Writing,» *The American Sociologist*, vol. 19 (1988).

كثير من قواعد العرض في البحث الكمي ينطبق أيضًا على كتابة تقرير البحث في البحوث النوعية. وهناك أمور مشتركة وعلى الدرجة نفسها من الأهمية في البحوث النوعية والكمية، مثل البنية العامة للتقرير (المقدمة، التقرير، الخاتمة) وقضايا الدقة والأخلاق. لكنّ ثمة أنواعًا من البحث النوعي تنحرف قليلًا عن هذا الأنموذج. وكما ذكرنا آنفًا، عندما نناقش بعض أنواع البحث النوعي، هناك حالات يتخذ عرض النتائج فيها شكل القصيدة أو الرسم أو المسرحية. وهذه الأشكال على النقيض تمامًا للبحوث الكمية، لكنها جزء منها.

الإطار 2.17

المواصفات العامة لمحتوى التقرير
محتوى التقرير:
▪ يعرض ويناقش نتائج المشروع والمشكلات والإحباطات التي واجهها الباحث في أثناء الدراسة.
▪ يقدَّم بطريقة بسيطة ومنظمة، حيث يعرض ويوضح كل جانب من جوانب البحث، ويكون العرض موجهًا نحو الأهداف المحددة مسبقًا، ويُنَظَّم التقرير وفقًا لمعايير وممارسات متفق عليها.
▪ يلتزم بالمعايير والممارسات المقبولة في العلوم الاجتماعية، في بنائه وتكوينه.

هناك جانب آخر يتعلق بالعرض في البحث النوعي، وهو أن كتابة تقرير البحث لا تكون بعد الانتهاء من البحث، بل هي جزء رئيس من العملية نفسها، حيث يرى بعض الباحثين أنها تتزامن مع التحليل النهائي. إن الكتابة هي آخر جزء من المشروع، وهي أيضًا المرحلة الأخيرة من التحليل. يقول مات[4] على سبيل المثال، إن عرض الواقع هو دائمًا بناء للواقع؛ فالطريقة التي تُعرض فيها البيانات والنتائج توجد تفسيرًا للواقع. ويقول الكاتب نفسه: «بل إن من المسموح به في أثناء الانتقال من الخبرة إلى عرض النص، أن تُكتب نسخٌ مختلفة لنص محتمل»[5]. ولا ندري ما إذا كان هذا الانطباع مقبولًا عند أغلبية الباحثين النوعيين الذين يثيرون تساؤلات كثيرة حوله. وهناك آراء مختلفة في هذه المسألة في نطاق

---

(4) E. Matt, «Darstelllung Qualitativer Forschung,» in: U. Flick, E. von Kardorff and I. Steinke, eds., *Qualitative Forschung: Ein Handbuch* (Reinbek bei Hamburg: Rowohlt, 2000), p. 581.

(5) Ibid., p. 583.

البحث النوعي، كما سنرى لاحقًا. وسنقارن في مناقشتنا في هذا الجزء البحث النوعي مع البحث الكمي ونُبيّن الفرق بينهما، وسنوضح كيفية كتابة تقرير البحث في كل واحد منهما.

ثالثًا: التقرير في البحث الكمي

يتكون تقرير البحث عادة من خمسة أجزاء: المقدمة والمنهجية والنتائج والمناقشة والخلاصة. ويجب أن تكتب هذه الأجزاء بطريقة متناسقة ومتلائمة. ومع أن أجزاء التقرير كلها مهمة تبقى النتائج والمناقشة أهمها - لكونها تعرض جوهر النتائج وتقوّمها تقويمًا ناقدًا - لهذا السبب تكون الأجزاء الأخرى من البحث أصغر حجمًا. وبشكل عام، لا تتجاوز المقدمة والمنهجية 10 في المئة من التقرير، إلا إذا كانت الأدبيات ذات الصلة أو المنهجية أمرًا مثيرًا للجدل ويتطلب عناية خاصة (وفي مثل هذه الحالة تعرض المقدمة والمنهجية في قسم خاص بعنوان «مراجعة الدراسات السابقة») أو عندما تكون المنهجية معقدة. وبالمثل لا تشكل الخلاصة والتوصيات إلا جزءًا صغيرًا من التقرير.

1.3 ملخص البحث

ملخص البحث تلخيص دقيق وشامل ومحكم ومفيد للتقرير بكامله. فهو يوفر تلخيصًا مفيدًا (بين 150 و200 كلمة) يُمكّن القارئ من التعرف بإيجاز إلى النتائج. وهو تقرير مصغر يجد القارئ فيه معلومات كافية عن هدف البحث ومخرجات الدراسة تساعده في اتخاذ قرار في شأن قراءة التقرير كاملًا أم لا. وبشكل أكثر تحديدًا يجيب الملخص عن الأسئلة الآتية المذكورة في الإطار 3.17.

يُطلب من كل باحث يقدم بحثه للنشر في المجلات المتخصصة أن يكتب له ملخصًا؛ إذ أصبحت الملخصات أكثر شيوعًا من ذي قبل، إلا أن الملخصات لا تُطلب عند نشر البحوث في الكتب والمجلات والنشرات الإخبارية والرسائل العلمية الخاصة. وفي عدد من الحالات تشتمل التقارير على ما يسمى بالملخص التنفيذي، وهو ملخص يتضمن تفصيلات أكثر من الملخص العادي.

الإطار 3.17

أسئلة يجب النظر فيها لدى إعداد الملخص
▪ ما هو هدف الدراسة؟ ▪ كيف أجريت الدراسة (بما في ذلك اختيار العينة ونوعها وحجمها، وطرائق جمع البيانات وتحليلها)؟ ▪ ما أهم نتائج الدراسة؟ ▪ ما أهم الاستنتاجات من الدراسة (الخلاصة)؟

الإطار 4.17

أسئلة يجب النظر فيها لدى إعداد المقدمة
▪ ما موضوع البحث؟ ▪ ما مبررات إجراء هذا البحث ومن سيفيد منه؟ ▪ ماذا كُتب في هذا الموضوع وما نتائج البحوث السابقة فيه؟ ▪ هل ما قيل أو عُمل في هذا الموضوع صحيح؟ ▪ هل هناك فجوات أو عيوب في البحوث السابقة تبرر إجراء هذه الدراسة؟ ▪ ما وجهة نظر الباحث في البحوث السابقة والسياسة في شأن موضوع البحث؟ ▪ ما فرضيات البحث؟ ▪ ما المخرجات المتوقعة من هذه الدراسة؟

2.3 المقدمة

تتضمن مقدمة البحث وصفًا وشرحًا وتعريفًا لموضوع التقرير وهدفه وأهمية البحث ونتائج الدراسة الاستطلاعية (إن وجدت)، ومراجعة للدراسات السابقة والمشكلات التي واجهها الباحث والتعديلات التي تمت لتحديد البحث الذي يراد نشره في هذا التقرير. ويفترض من المقدمة أن توفر إجابات عن الأسئلة المذكورة في الإطار 4.17 أدناه:

يتوقع من هذه الأسئلة أن تضع موضوع البحث في سياق البحث والحوار والسياسات المعاصرة، وأن تبين أهمية البحث للقارئ وماذا سيجني القارئ من دراسة هذا التقرير.

3.3 الطريقة

يُطلع هذا الجزء القارئ بدقة ووضوح على الطريقة التي أجري فيها البحث. وهناك مجلات متخصصة حددت نماذج معينة لهذا القسم من التقرير وما يجب أن يحتويه. يسمي بعض الباحثين هذا الجزء «المنهجية» وبعضهم يسميه «طريقة البحث». وهناك من يتشدد في تحديد العناصر التي يجب أن يتضمنها هذا الجزء وأسماء الأجزاء التي يشتمل عليها، وهناك آخرون ممن هم أقل تشددًا في شأن أسماء أجزاء هذا القسم ومحتوياته. وبشكل عام، يغطي هذا القسم قضايا تتعلق بالإطار المنهجي واختيار العينة وأدوات البحث، وطرائق جمع البيانات والتحليل والتفسير والمشكلات التي واجهت الباحث في أثناء إجراء الدراسة. وبإيجاز، يتطلب هذا الخطوات كلها التي تحدثنا عنها عند مناقشة خطوات عملية البحث. وبشكل عام تشتمل المنهجية على ما يلي:

- **اختيار الموضوع والمنهجية**
  - ما موضوع البحث؟
  - كيف تمت معالجة سؤال البحث؟
  - ما المنهجية التي ارتكز عليها البحث؟
  - ما الإطار العام لعملية البحث؟
- **الأدوات**
  - ما موضوع البحث بالتحديد، وما المتغيرات؟
  - كيف تم تعريف المتغيرات إجرائيًا؟
  - ما الأدوات التي استخدمت لقياس المتغيرات؟
  - ما المقاييس وفئات الاستجابة التي استخدمت في الدراسة؟
  - ما فرضيات العمل، وما الفرضية الصفرية، وما الفرضيات البديلة؟
- **اختيار العينة**
  - من هم المبحوثون في الدراسة؟
  - ما حجم العينة وتركيبها؟
  - ما الأساليب التي استخدمت في اختيار العينة؟

- ما الإجراءات التي اتُّخذت لتجنب الأخطاء؟
- ما درجة التعميم المتوقعة؟
- ما خصائص مجتمع الدراسة؟

■ **طرائق جمع البيانات**
- ما طرائق جمع البيانات التي استخدمت ولماذا؟
- ما الإجراءات الفعلية لجمع البيانات بما في ذلك طرائق منع حدوث حالات عدم الاستجابة وكيفية التعامل معها؟
- كيف تم التأكد من الصدق والثبات في الدراسة؟
- ما أنواع الاختبارات القبلية والدراسات الاستطلاعية التي استخدمت في الدراسة، وماذا كانت نتائجها؟

■ **تحليل البيانات**
- كيف حُللت البيانات؟
- هل استخدمت الأساليب الحسابية والإحصائية؟
- ما الإجراءات التي اتخذت لضمان الصدق والثبات؟
- هل هناك قضايا خاصة يجب أن تؤخذ في الحسبان؟

■ **الأخلاق**
- كيف تم التعامل مع القضايا الأخلاقية في الدراسة؟

4.3 النتائج

تعرض النتائج في هذا القسم، وهو الأكبر عادة في البحث. ويعتمد محتواه على طبيعة الموضوع ومنهجية البحث، ومدى التفصيل المطلوب في عرض التقرير (هل يقدم ملخصًا للنتائج أم تحليلًا مفصلًا للبيانات). والجزء الرئيس في هذا القسم هو الوصف المباشر للمتغيرات والعلاقات بينها على شكل جمل خبرية أو جداول أو أشكال أو رسوم بيانية و/ أو طرائق عرض أخرى. تعرض النتائج هنا نقطة نقطة وخطوة خطوة، وفقًا لبنية الأداة المستخدمة أو ترتيب الموضوعات كما صنفها الباحث.

الإطار 5.17

أسئلة يجب النظر فيها لدى كتابة النتائج
▪ ما الإجابات المباشرة لأسئلة الدراسة؟
▪ كيف تقدم النتائج ملخصة؟
▪ ما الأساليب التي يمكن استخدامها لعرض النتائج عرضًا مرئيًا لإظهار الاتجاهات في الدراسة؟
▪ هل هناك ضروب اقتران واضحة في الدراسة يمكن لها أن تفسر العلاقات البينية بين العوامل ذات الصلة؟
▪ هل تسمح النتائج بالتوقع في ضوء نتائج البحث؟
▪ ما مدى دلالة الفروق التي أظهرتها الدراسة؟
▪ لماذا يجب أن نثق بالنتائج؟
▪ هل هناك مشكلات قد تؤثر في صدق الدراسة وثباتها؟
▪ هل تنسجم طريقة عرض النتائج مع المعايير الأخلاقية؟

تقدم النتائج ملخصة حتى يتسنى للقارئ تكوين انطباع عام عن الاتجاهات فيها. ومن الأشكال العامة التي تقدم فيها النتائج الميل المركزي ومخطط التشتت، تدعمها جداول تكرارية ورسوم بيانية متكاملة مع النص. وبعد ذلك يتم تبويبها وتقدير الارتباطات بين المتغيرات في الدراسة. ويدل هذا على أن العوامل المعنية مترابطة أو مستقلة. وإذا كان تحليل الانحدار قد استُعمل في الدراسة، تُعْرَض النتائج في هذا القسم. وأخيرًا تقدم نتائج اختبارات الدلالة هنا، إذا كانت قد استخدمت، لتعزيز دلالة العلاقات أو الفروق التي رصدت في هذا القسم. يقدم الإطار 5.17 القضايا التي تؤخذ في الحسبان في هذا القسم على شكل أسئلة.

يوفّر عرض النتائج والاعتبارات الأخلاقية/ الأيديولوجية والكمية المقترنة بها قاعدةً لمزيد من الإحكام النقدي، كما سنرى في المبحث الآتي.

5.3 المناقشة

يَتْبع عرض النتائج مناقشة لأهم النقاط فيها، حيث تُلَخَّص النتائج وتُفَسَّر وتُؤوَّل، ما يشير إلى الاتجاهات العامة فيها بعيدًا من البيانات والملاحظات. ومن دون الحاجة إلى إعادة النتائج أو الابتعاد الشديد عن الحقائق التي أظهرتها الدراسة،

يُقدّم هذا القسم مناقشة عامة لأهمية النتائج ومقارنتها بغيرها من الدراسات. وتأخذ هذه المناقشة مجراها في سياق منطقي ونظري ومقارِن وسياسي، وتحاول دمج النتائج في نظريات الدراسة وفي أهدافها وفرضياتها. وفي النهاية، فإن المناقشة ستوفر إجابة أكثر عمومية عن أسئلة الدراسة وتفسر قضايا عدة متضمنة في مشكلة البحث. علاوة على ذلك، ستوضح المناقشة هذه عيوب الطرائق المستخدمة في الدراسة وبعض آثارها المحتملة في النتائج. وأهم القضايا التي تناقش عادة في هذا القسم ملخصة في الإطار 6.17.

الإطار 6.17

أسئلة يجب النظر فيها لدى كتابة المناقشة

- ما المعنى العام للنتائج؟
- كيف ترتبط النتائج بالافتراضات/ الأسئلة الرئيسة للدراسة؟
- كيف تنسجم النتائج مع الاتجاهات المذكورة في الدراسات ذات العلاقة؟
- ما النظريات أو وجهات النظر أو الآراء التي تؤيدها النتائج أو ترفضها؟
- هل تدعم النتائج خططًا وبرامج متعلقة بالقضية المعنية في البحث؟
- هل تؤيد النتائج فرضيات الدراسة؟

هناك حالات تُعرض فيها النتائج وتناقش في القسم نفسه. ففي مثل هذه الحالات، توضع النتائج والمناقشة في قسم واحد وتحت عنوان واحد يسمى «النتائج والمناقشة». وعلى أي حال، يجب ألا تعرض المناقشة بيانات جديدة لم تقدم سابقًا في النتائج، فالمناقشة تعني: مناقشة النتائج المقدمة في القسم السابق من التقرير.

6.3 الخلاصة والتوصيات

تشتمل معظم التقارير على قسم بعنوان «نتائج»، أو «خلاصة ونتائج»، أو «ملخص ونتائج»، أو «نتائج وتوصيات». ويلخص هذا القسم الإجابات الرئيسة التي نجمت عن الدراسة، ويركز على تطبيقات هذه النتائج في موضوع البحث والنظرية والمجتمع بشكل عام. كما يتم التركيز أيضًا على الفجوات المعرفية التي ظهرت في أثناء الدراسة، والتي تستحق المزيد من البحث والعناية.

الإطار 7.17

أسئلة يجب النظر فيها عند تقديم الخلاصة

- ما الإجابة عن سؤال الدراسة؟
- هل أجابت الدراسة عن السؤال بشكل تام ومقنع؟
- هل تحتاج الإجابة إلى المزيد من الدعم التجريبي؟
- هل تشير الدراسة إلى عيوب في النظرية أو البحث؟
- ما تطبيقات النتائج في موضوع البحث والمجتمع بشكل عام؟
- هل هناك فجوات في معرفتنا موضوع البحث والنظرية المتعلقة به؟
- ما الذي يمكن فعله لتحسين الوضع الراهن في هذا الميدان؟
- من الذي ينبغي أن يتخذ إجراء في هذا السياق: الفرد أو جماعات المصالح أو المجتمع أو الحكومة؟

بعد الانتهاء من الخلاصة، يقدّم الباحث عددًا من التوصيات المتعلقة بالفعل المطلوب من أجل الاستجابة للوضع الذي حددته الدراسة. وهنا يضع الباحث النتائج في سياق عام، ويخلص إلى بعض التوصيات العامة أو المحددة. ويتوقع من الاستجابة لمثل هذه التوصيات أن تحل بعض المشكلات التي برزت في أثناء البحث. لكن المنظّرين أو الباحثين العمليين عادةً ما يلحّون على هذه النقطة أكثر من الباحثين الوضعيين، لكن الاتجاه العام هو أن يتّخذ الباحث موقفًا في شأن القضية المعنية ويدرس نتائج البحث ويقرر مباشرة أو بشكل غير مباشر العمل المطلوب في هذا المجال. وباختصار، نشاهد في الإطار 7.17 عددًا من القضايا التي تعالَج في هذا القسم من البحث.

عادة يقوم القراء بدراسة هذا القسم دراسة متمعنة، وهو الجزء الذي يُوليه صناع القرار والسياسة والنقاد اهتمامًا خاصًا. لذلك يفضل كتابة هذا القسم بطريقة تعكس الدراسة بشكل دقيق وصحيح. وبالتحديد، يجب أن تعكس الخلاصة نتائج البحث وحدها وألا تناقش أي قضايا لا يستطيع البحث دعمها.

7.3 المراجع

يتوقع من كل تقرير بحثي أن يشتمل على قائمة بالمراجع: يجب توثيق كل دراسة أو مرجع استُعمل في الدراسة في قائمة للمراجع ترتب ترتيبًا ألفبائيًا في نهاية البحث.

تُرَتَّب المراجع بطرائق عدة وفقًا للأسلوب المتبع في جهة النشر، أو وفقًا لما يفضله الباحث إذا لم تكن هناك قيود على ذلك. والخلاف هنا ليس في شأن مسألة التوثيق بل في شأن كيفية التوثيق، إذ تتبع المجلات العلمية والناشرون والمؤسسات الأكاديمية كالجامعات والمراكز المتخصصة أساليب خاصة بها لتوثيق المراجع. فنظام هارفرد أحد هذه الأنظمة، إضافة إلى أنظمة أخرى معروفة. فاستخدام نظام دون غيره يبدو مسألة تفضيل شخصي لا علاقة لها بجودة النظام.

8.3 العناصر الاختيارية

أخيرًا قد يتضمن تقرير البحث قسمًا يسمى «الاعتراف بالفضل» وقائمة بالمحتويات وملاحق. وهذه الأجزاء كلها اختيارية تضاف إلى التقرير إذا دعت الضرورة إلى ذلك.

يمكن أن يكتب قسم «الاعتراف بالفضل» بشكل منفصل أو على شكل ملاحظة ذيلية مرتبطة بعنوان البحث أو بجزء من المقدمة. ويجب أن يزوّد التقرير بقائمة للمحتويات، خصوصًا إذا كان التقرير كبيرًا. وقد تتضمن القائمة العناوين الرئيسة وحسب، وقد تشمل أيضًا معلومات مفصلة. أما الملحق فهو فرصة للباحث لإضافة عناصر من الدراسة من غير الملائم إدخالها في تقرير البحث على الرغم من أهميتها. وقد تتضمن هذه العناصر: الاستبيان كاملًا، وصورًا وخرائط وجداول مطولة وأي مواد أخرى هامشية تساعد القارئ في فهم النتائج فهمًا جيدًا وتوفر أدلة إضافية أو توضيحًا أو دعمًا.

رابعًا: التقرير في البحث النوعي

إن معظم الأجزاء التي تحدثنا عنها في كتابة تقرير البحث الكمي تلائم تقرير البحث النوعي. فالهيكل العام وترتيب البحث في البحوث النوعية والكمية متشابهان. ويبدأ تقرير البحث في النوعين بملخص البحث ومقدمة ثم الجزء الرئيس من البحث ثم النتائج... فالخلاصة. وفي كلا النوعين مراجعة للدراسات السابقة واعتراف بفضل الآخرين الذين ساهموا في إنجاز البحث (مع أن بعض جوانب التقرير النوعي قد يختلف في جوانب عدة عما هي عليه في البحث الكمي).

علاوة على ذلك، في التقارير التي تشير إلى دراسات أجريت وفقًا لأنموذج نوعي ثابت ومحدد، فإن التقرير يكون مشابهًا لتقارير الباحثين الكميين؛ إذ قد لا يتضمن محتوى التقرير أشكالًا إحصائية واختبارات دلالة، لكن الشكل العام ومعايير عرض التقرير المتعلقة ببعض أجزاء التقرير وأسلوبه والمعايير الأخلاقية هي نفسها. أما إذا أجريت دراسة وفقًا لأنموذج النظرية المؤسَّسة فسيكون التقرير مختلفًا. وكما ذكرنا سابقًا، قد تكون هناك أجزاء إضافية يكون محتواها مختلفًا بالتأكيد، وكذلك فكرتها الأساسية.

يُعدّ التنوع من الخصائص الأساسية لتقارير البحث النوعية، فهي لا تتباين وفقًا لطبيعة البحث والأنموذج البحثي فحسب، بل وفقًا للأنموذج الإرشادي الذي يرتكز عليه البحث. فالتقرير الذي يتبع طريقة تحليل النصوص ويرتكز على مبادئ التأويل ومابعد الحداثة، سيُكتب بطريقة تختلف عن تقرير لدراسة حالة. وهذا ما يجعل بعض الكتاب الذين يكتبون إرشادات لكتابة تقارير البحوث النوعية يقترح أشكالًا مختلفة من التقارير لكل ميدان من ميادين البحوث بدلًا من شكل واحد يطبق في النماذج البحثية كلها.

من الجدير بالملاحظة في هذه المرحلة أنه على الرغم من الاختلافات في الطول والطبيعة وتفصيلات خطوات التقرير المختلفة، فإن الهيكل العام للتقرير يتضمن أمورًا مشتركة كثيرة. على الرغم من ذلك كله، يكتب كثير من الباحثين تقارير بحوثهم بطريقة لا تختلف كثيرًا عن تلك المستخدمة في البحث الميداني، وبينما يدّعي آخرون الالتزام بمبادئ النظرية المؤسَّسة فإنهم يكتبون تقارير لا تختلف عن تقارير الباحثين الميدانيين. وفي الأقسام الآتية، سنوضح بعض الأمثلة الأخرى.

1.4 كتابة التقرير في البحوث الميدانية

نجد لدى بيلي[6] مثالًا لتقرير بحث ميداني يظهر في الإطار 8.17، ومع أنه

(6) C. A. Bailey, *A Guide to Field Research* (London: Pine Forge, 1996).

يشبه تقارير الباحثين الكميين من الناحية الهيكلية فهو أطول، ولا يتضمن قسمًا خاصًا للنتائج والمناقشة. وتظهر طبيعة البحث النوعي، والتفاعل المتبادل بين الباحث والمبحوثين تمامًا في هيكل التقرير ومحتواه.

بما أننا ناقشنا سابقًا هيكل البحث الميداني وعمليته، فمن السهل علينا أن نفهم المهمات المتضمنة في خطوات التقرير المشار إليه أعلاه.

1.1.4 أنواع العرض

نجد لدى فان مانين[7] مقاربةً أكثر تنوعًا لكتابة تقارير البحوث الإثنوغرافية[8]. وفي هذا السياق كثيرًا ما يشار إلى الملاحظة بأن النصوص الإثنوغرافية تزخر بما يسميه **الحكايات الواقعية** التي تشكل أكثر أساليب الكتابة شيوعًا في هذا الميدان، والتي توجه كيفية كتابة تقرير البحث. علاوة على ذلك، هناك نوعان من الحكايات (**الحكايات الشخصية والحكايات الانطباعية**) التي تُعدّ أقل شيوعًا من غيرها. وفي ما يلي عرض لهذه الأنماط الثلاثة:

الإطار 8.17

العناصر الأساسية في تقرير البحث الميداني
1. المقدمة.
2. التاريخ: تاريخ الوضع أو المجموعة.
3. السرد: وصف البحث وفقًا لترتيب حوادثه زمنيًا.
4. الوثائق الداعمة: تشتمل على المواد الداعمة والمقتبسات الحرفية والصور والخرائط وما شابه ذلك.
5. الاحتفاظ بصوت المتكلم: يتعلق ذلك بفهم المتحدث ووجهة نظره وسلوكه.
6. تحديد موقعك: هل أثر الباحث في مخرجات البحث، هل يشعر الباحث بالأمن أو التردد والتجاذب في شأن مدى تأثيره في مخرجات البحث؟

(7) J. Van Mannen, *Tales of the Field: On Writing Ethnography* (Chicago: University of Chicago Press, 1988).

(8) انظر أيضًا: Matt, «Darstellling Qualitativer Forschung,» pp. 584-585.

7. التفصيلات المنهجية: يصف هذا القسم طرائق البحث والشروع به والخروج منه والمشكلات والمحددات.
8. مشاركة النتائج مع أعضاء فريق البحث: تقدم نسخة من التقرير للمشاركين الرئيسيين في البحث للحصول على ملاحظاتهم وآرائهم.
9. القضايا الأخلاقية: هي القضايا نفسها في أنواع البحث الأخرى.
10. الخلاصة والملاحق: وصفت سابقًا في أنواع أخرى من التقارير[9].

أنواع العرض[9]

■ **الحكايات الواقعية:**

- تكتب باستخدام ضمير الغائب.
- تكتب بأسلوب واقعي باستخدام لغة الوقائع.
- تركز على الجانب المثالي الذي يظهر في المقدمة.
- تقديمٌ للواقع الموضوعي.
- يقف المؤلف في الخلفية بصفة مراقب غير مشارك.

■ **الحكايات الشخصية:**

- تتطلب أن يكون الباحث مشاركًا تمامًا ويتكلم من الميدان.
- يستخدم الباحث أسلوبه الشخصي.
- يصف الباحث جميع الخبرات الممكنة مع العمل الإثنوغرافي ومخرجاته.
- تشتمل على تقارير وخبرات منهجية في شأن دخول الميدان بالخبرات والمشاعر والتغيرات.
- تكتب باستعمال ضمير المتكلم وتشتمل على افتراضات شخصية وتحيز شخصي، وتقدم وجهة نظر الباحث.
- تعرض النتائج بطريقة واقعية.

■ **الحكايات الانطباعية:**

- عرض شخصي محض «استذكار موسع للخبرة في الميدان»[10].

---

(9) Bailey, *A Guide to Field Research.*

(10) Van Mannen, *Tales of the Field*, p. 102.

- تحاول إدخال الجمهور إلى عالم البحث.
- تحاول عرض قصة مثيرة وغريبة من الميدان.
- يقف الباحث في المقدمة.
- تكتب على شكل مقالة.
- حكايات انطباعية ذاتية تقدم بقالب واقعي أو انطباعي[11].

توضح أساليب عرض التقارير المذكورة أعلاه التنوع في التقارير، ليس في إطار البحث النوعي فحسب، بل في إطار نماذج البحث الخاصة بالباحثين. ولا داعي للقول إن هذا التنوع لا يشكل عقبة، لكنه ميزة. فلكل طريقة هدف لا تستطيع النماذج الأخرى تحقيقه بالدقة والكفاءة نفسيهما.

2.1.4 أنماط التقارير

لا تقتصر طرائق عرض البيانات في البحوث الميدانية على هذه الطرائق فحسب، بل هناك طرائق أخرى لا تقل عنها أهمية. ونجد لدى بيرغس[12] ثلاثة أنماط من التقارير النوعية: الوصفية والتحليلية وبناء النظرية.

- **التقارير الوصفية**: تتضمن هذه التقارير ملخصات للخبرات التي سجلها الباحث في أثناء إجراء البحث بشكل محدد من دون إضافة التقويم الذاتي، ومن دون الانحراف عما كان يحدث وفقًا لقناعة الباحث.

- **التقارير التحليلية**: تقدم هذه التقارير أوصافًا ومناقشة للمفاهيم التي برزت في عملية إجراء البحث. ويتضمن هذا التقرير أيضًا مقارنات وتقويمات وتفسيرات.

- **تقارير بناء النظريات**: هذه التقارير تشبه التقارير التحليلية إضافة إلى أنها تتضمن مناقشات تساهم في تطوير نظريات عامة.

---

(11) Ibid., p. 106.

(12) R. G. Burgess, *In the Field: An Introduction to Field Research* (London: Allen & Unwin, 1984), p. 182.

من وجهة نظر مختلفة، يشير بعض الباحثين والكتّاب[13] إلى أن تقارير البحوث الميدانية تستخدم عددًا من النماذج المحددة للكتابة، وفي ما يلي أهمها:

▪ **الكتابة المرتكزة على المبحوث**: تعرض التقارير المكتوبة وفقًا لهذا النوع النتائج من وجهة نظر المبحوث. وهي تقدم النتائج كما هي في الواقع (قدر المستطاع)، كما تقدم بعض العناصر مثل أنواع النشاط النمطية ومساهمة المبحوث الشخصية في سياق زمني واجتماعي، وتعرض وجهات نظر المبحوثين حرفيًا. وكذلك تفسيرات المواقف والحوادث والعلاقات وغيرها تُعْرَض كما يفهمها أفراد المجتمع.

الإطار 9.17

أساليب الكتابة المرتكزة على الكاتب في البحث الميداني
▪ سرد الذات: يُسمح للكاتب الذي يستخدم هذا الأسلوب بالمبالغة والتفاخر وتسلية الآخرين وذكر شيء من دون توثيق دقيق وأن يعيش الخبرات السابقة، وأن يقول ما لا يقال في أوضاع أخرى[14].
▪ العرض الإثنوغرافي الخيالي: تشبه التقارير هنا القصص الخيالية، ويعني هذا تحويل خبرات البحث الميداني إلى خيال، ويتمتع الكاتب بحرية كافية لإيجاد المشاهد مع الشخصيات والحوادث وجوانب أخرى يكتب عنها.
▪ التمثيل الشعري: ينظر الباحث إلى سياق الدراسة وكأنه مكان تتحول فيه المحادثات الميدانية إلى شكل من أشكال الشعر. ولذلك يعرض التقرير وكأنه قصيدة طويلة.
▪ المسرحية الإثنوغرافية: في هذا السياق، تسجل الخبرات الميدانية وتقدم على شكل مسرحية. وتلخص هذه الخبرات وتعرض على شكل مسرحية. وبعبارة أخرى، تُمثل الخبرات بدلًا من أن تنشر بطريقة تقليدية.
▪ المزج بين الأنواع المختلفة: لا يلتزم هذا النمط بأنموذج معين، بل يشجع على استخدام أكثر من أسلوب من الأساليب الأربعة المذكورة أعلاه[15].

(13) L. Richardson, «Writing: A Method of Inquiry,» in: N. K. Denzin and Y. S. Lincoln, eds., *Handbook of Qualitative Research* (Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1994); L. Pfeifer, *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit* (Wien: Selbstverlag, 2000).

(14) Richardson, «Writing: A Method of Inquiry,» p. 521.

(15) Richardson, Ibid.

▪ **الكتابة المرتكزة على الكاتب**: تركز التقارير وفقًا لهذا الشكل على الكاتب الذي يعرض الواقع كما يراه ويفسره شخصيًا، فحوادث الحياة في السياق لا تكون بالضرورة واقعية (لا كما وقعت تمامًا). ويتمتع الكاتب في هذا النمط بدرجة عالية من الحرية في عرض الواقع كما يشاء. ونجد عند ريتشاردسن[16] الأمثلة الآتية لأساليب الكتابة المستخدمة في هذا السياق: سرد الذات، والعرض الإثنوغرافي الخيالي، والتمثيل الشعري، والمسرحية الإثنوغرافية، والأنواع المختلطة (انظر الإطار 9.17).

▪ **المزج بين النوعين السابقين**: يكتب تقرير البحث الميداني وفقًا لهذا الأنموذج بالجمع بين الكتابة المرتكزة على المبحوث والمرتكزة على الكاتب. ومن المتوقع أن يقدم وصف الحياة واقعيًا وعرض وجهات النظر الشخصية وغيرها مشهدًا مجسمًا للحياة في الميدان.

الإطار 10.17

نماذج تقرير دراسة الحالة:
▪ **الأنموذج التحليلي**: يبدأ التقرير بمقدمة تتبعها معلومات عن موضوع البحث وسياقه وعرض البيانات وتحليلها، وأخيرًا مناقشة النتائج.
▪ **أنموذج بناء النظرية**: يكون عرض المادة وفقًا للأنموذج الإرشادي الذي يرتكز عليه البحث. تشكل عناصر النظرية الجوانب الرئيسة في الكتاب وتقدم هذه العناصر في فصول مستقلة مع البيانات الملائمة التي تؤيد النظرية.
▪ **الأنموذج المقارِن**: يتطلب هذا النمط دراسة حالات عدة تمت دراستها من وجهات نظر مختلفة، وبشكل مقارن يسمح بتقويم الخيارات الممكنة واختيار الأفضل منها.
▪ **أنموذج التسلسل الزمني**: يُعرض المحتوى وفقًا للتسلسل الزمني لتاريخ الحالة. وهذا يشجع على تحديد التغيرات عبر الزمن، وتاليًا يحدد العلاقات بين الحوادث الاجتماعية والخبرات.
▪ **أنموذج التشويق**: يمثل هذا الأنموذج عكس الأنموذج التحليلي، حيث تعرض النتائج الرئيسة للدراسة أولًا ثم تتبعها التفصيلات والتفسيرات المنهجية. تؤدي معرفة معايير السياق الاجتماعي أولًا إلى فهم أفضل للتفصيلات وتشكل إطارًا أفضل لتقويم النتائج.
▪ **الأنموذج غير المتسلسل**: تعرض الفصول في هذا الأنموذج باعتبارها وحدات مستقلة من دون علاقة بين الواحد والأخر. ويمكن تغيير ترتيبها من دون أي فقدان للجودة.

(16) Richardson, Ibid.

مع أن الباحثين الميدانيين يستخدمون أشكال كتابة التقارير كلها، فإن المزج بين الأنواع المختلفة يبدو أكثرها شيوعًا. يمزج كثير من الباحثين[17] بين الكتابة المرتكزة على المبحوث والكتابة المرتكزة على الكاتب.

2.4 دراسات الحالة

تستخدم نماذج كتابة تقارير البحوث الميدانية التي شرحت سابقًا أيضًا في كتابة تقارير دراسة الحالة. وقد يبدو التقرير قصة حالة فردية يرافقها الوصف والجداول والرسوم البيانية والصور وغيرها. وقد يبدو التقرير وكأنه دراسة لحالات عدة بقصص متعددة، أو تقرير على شكل سؤال وجواب أو تقرير لحالات عدة تمثل مغزى واحدًا في كل فصل بدلًا من عرض حالة كاملة في فصل واحد. يعتمد وضع التفصيلات في سياق التقرير على عوامل عدة، لذلك فإن شكل التقرير قد يختلف، وقد يتخذ أحد الأشكال المذكورة في الإطار (10.17)[18].

خامسًا: التقرير في البحوث متعددة الأُطر المفهومية أو الإرشادية

يختلف شكل التقرير الذي يكتبه الباحثون الذين يستخدمون قالبًا متعدد الأطر أو النماذج وفقًا لطبيعة هذا القالب. وكما ذكرنا في الفصل الأول، فإن هيكل القوالب البحثية التي تستخدم المنهجين النوعي والكمي متنوع، ونتوقع أن ينعكس ذلك في التقرير. وعلاوة على ما ذكر في الفصل الأول، فإن للمنهجية الرئيسة شأنًا مهمًا في بناء البحث وتصميمه، ومن المتوقع إذًا أن يكون لها شأن مماثل في مرحلة العرض.

1.5 تثليث الأُطر المفهومية المتعاقب

عندما تستخدم منهجية معينة باعتبارها نقطة بداية لمنهجية أخرى، فإن بناء

---

(17) Bailey, *A Guide to Field Research*, p. 108.

(18) انظر: R. K. Yin, *Case Study Research: Design and Methods* (Newbury Park, Calif.: Sage, 1991).

التقرير يكون عادة وفقًا للأنموذج الثاني. فمثلًا، عندما تستخدم المنهجية النوعية قبل الكمية بهدف توفير معلومات أساسية لبناء المنهجية اللاحق، فإن الباحث سيتبع الأنموذج الكمي في تقديم التقرير. وفي مثل هذه الحالة، تعرض نتائج الدراسة النوعية في القسم الخاص بالطرائق، وطبيعة الدراسة هي التي تحدد ما إذا كان هذا القسم سيكتب وفقًا للمنهج النوعي أو الكمي. وتُعرض النتائج الأولية مثل نتائج الدراسة النوعية بشكل ملخص وبطريقة توفر نتائج كافية لتوجيه الدراسة الكمية وتبريرًا لصدق أدوات الدراسة وثباتها.

غنيٌّ عن القول إن المنطق نفسه سيستخدم عندما تكون الدراسة الأولى كمية، حيث يكون التقرير في هذه الحالة نوعيًا، وستكتب نتائج الدراسة الكمية بشكل ملخص في مقدمة البحث أو في قسم طرائق البحث في التقرير النوعي. أخيرًا، لا بد من ملاحظة أنه إذا كانت الدراسة الأولى موسعة، وذات نتائج تحتاج إلى اهتمام خاص، فإنه يمكن عرض نتائجها في تقرير منفصل. وفي مثل هذه الحالات سينتج المشروع تقريرين منفصلين، واحد لكل دراسة.

تُستخدم طريقة مشابهة عند استخدام أكثر من دراستين متتاليتين. والتوقع المحتمل في مثل هذه الحالة أن يُكتب التقرير وفقًا لمنهجية الدراسة الأخيرة، حيث تدمج نتائج الدراسات الأخرى في تقرير البحث.

2.5 تثليث الأُطر المفهومية المتزامن

يكون تقرير الدراسة التي تستخدم منهجين متزامنين معقدًا إلى حد ما؛ لأن ذلك يعتمد على طبيعة الدراسة وقصد الباحث. وفي معظم الحالات، تكون إحدى الدراستين أكثر بروزًا من الأخرى، لكن تبقى الخيارات الأخرى مفتوحة ولو كان ذلك نظريًا.

عندما يتضمن المشروع دراسة رئيسة وأخرى فرعية، فإن تقرير البحث سيُكتب وفقًا لأنموذج الدراسة الرئيسة. أما المعلومات المتعلقة بالدراسة الفرعية فتُدْمَج في التقرير بطريقة تملأ الفجوات في الدراسة الكبرى. وقد تتضمن دراسةٌ استبيانًا منتظمًا كبيرًا، إضافة إلى خمس وعشرين مقابلة جماعية في سياق كمي

يليه سياق نوعي. فالتقرير هنا سيكتب في الأغلب وفقًا للمنهج الكمي تتخلله مقتطفات سردية من المقابلات تهدف إلى تفسير بعض النقاط في الدراسة الكمية بدرجة أكبر من الدقة. وتُستخدم الطريقة نفسها عندما تكون الدراسة الأخيرة نوعية، وتاليًا سيكتب التقرير وفقًا للمنهج النوعي.

3.5 التحوّل المتدرّج

يتضمن هذا الأنموذج تصميمًا لإجراء دراسة تولد بيانات نوعية يتم تحويلها إلى بيانات كمية. ومثال ذلك، دراسة اعتمدت على الملاحظة غير المنظمة وأنتجت مجموعة من البيانات المختصرة عن الموضوعات نفسها لكل مبحوث في الدراسة. ثم يقرر الباحث بعد ذلك تكميم الإجابات وتحليل البيانات باستخدام المنهج الكمي. وتعتمد طريقة تقديم التقرير في هذه الحالة على هدف الدراسة وقصد الباحث.

من المنطقي هنا أن يعد الباحث تقريرًا نوعيًا وأن يدمج البيانات المحولة في هيكل التقرير، خصوصًا في القسم الخاص بالنتائج. وبما أن الدراسة الأولية أجريت وفقًا للمنهج النوعي، فمن المنطق أن نفترض أن الباحث كان مهتمًا بالحصول على بيانات نوعية لاستخلاص نتائج نوعية أيضًا. وتاليًا فإن البيانات الكمية، كما يبدو، تهدف إلى توسيع تطبيق النتائج النوعية و/ أو توفير مقارنات أدق في الدراسة الرئيسة نفسها وخارجها.

هناك احتمال آخر يتمثل في إنتاج تقريرين أحدهما يشتمل على البيانات النوعية وفقًا للمنهج النوعي، والآخر يشتمل على البيانات الكمية وفقًا للمنهج الكمي. ويحدث ذلك عندما يكون التقريران موجهين إلى نوعين مختلفين من القراء، وعندما يرغب الباحث في مناقشة جوانب مختلفة من النتائج في التقريرين.

خلاصة القول إن المناقشة في هذا القسم ترتبط بعدد قليل من الحالات. وفي الحقيقة، **أولًا**، يفضل معظم الباحثين العمل في إطار منهج واحد في آن واحد. **ثانيًا**، إن الباحثين الذين يختارون العمل وفقًا للمنهجين الكمي والنوعي معًا، يعملون وفقًا لأنموذج إرشادي أو إطار مفهومي واحد بشكل رئيس، ويستعملون

الآخر بشكل ثانوي، وثالثًا، فإن الباحثين الذين يعتمدون المنهجين بشكل متكافئ هم الأقلية. إن احتمال إجراء دراسات متعددة الأنماط، وتاليًا كتابة تقارير متعددة المنهجيات احتمالٌ ضعيف في ضوء تنوع مسارات تصاميم البحث في المنهجين، والعمل المكثف اللازم لإنجاز الدراستين وعدم الانسجام الطبيعي بين النماذج الإرشادية.

سادسًا: تقرير مشروع الطالب

كما لاحظنا سابقًا، يُكتب تقرير البحث وفقًا للمنهجية التي ارتكز عليها البحث. فالمنهجيات البحثية المختلفة تتطلب معايير مختلفة لكتابة التقارير، ما يؤدي إلى تقارير ذات طبيعة كمية أو نوعية. وقد يختلف هيكل هذه التقارير ومحتواها إلى حد ما، لكنها، من حيث المبدأ، تلتزم مبادئ نظرية أساسية تجعل التقارير «علمية»: أي منتظمة ومنضبطة وفقًا لمبادئ وقواعد نظرية محددة ومبادئ أخلاقية مهنية.

إن طبيعة التقارير مستقلة عن مكانة الباحث الذي يواجه خيارين: إما أن يكتب تقريرًا وفقًا للمعايير المهنية، أو مخالفًا لها. وتنطبق هذه الشروط على جميع الباحثين الذين يستخدمون إجراءات بحثية للحصول على نتائج، وعلى الباحثين المحترفين، والأساتذة الذين ينشرون نتائج بحوثهم، وغيرهم من الأكاديميين والطلاب الذين يطلب منهم كتابة بحوث أو مشروعات تخرج.

على الطلاب، أكثر من غيرهم، أن يوضحوا في تقارير بحوثهم مدى تمكنهم من طرائق كسب المعرفة وطرائق مشاركتهم زملاءهم من الأكاديميين نتائج بحوثهم بطريقة محترفة مثل أي كاتب محترف، ويجب أن يكتب البحث بطريقة علمية وفقًا للمنهج النوعي أو الكمي.

تاليًا فإن تقرير بحث الطالب لن يختلف اختلافًا جوهريًا عن أي تقرير بحث آخر. والعوامل الوحيدة التي قد تدفع الطالب إلى تعديل تقرير بحثه هي: المواصفات التي تحددها مؤسساتهم وتوجيهات المشرفين عليهم، وهل سينشر البحث أم لا، ومتطلبات الناشر. ويعني هذا أن المناقشة التي عرضناها في المبحث

السابق من هذا الفصل والمناقشة التي تلحق تنطبقان أيضًا على تقارير بحوث الطلاب.

سابعًا: العرض

1.7 نقل الرسالة

إذا كان المحتوى يدل على ما يتضمنه التقرير، فإن تقديم التقرير يعني كيفية عرض المحتوى. وفي أنموذجي البحث الإرشاديين، يتوقع من التقارير أن تُكْتَب وفقًا لمعايير معينة يحددها الأقران والزملاء والمعايير الأكاديمية، وطبيعة المستهدفين وحاجات السوق. وفي النهاية فإن هدف التقرير هو إيصال المعلومات. وهذا يعني أن القراء يستطيعون فهم المحتوى جيدًا، ولا داعي إلى القول بضرورة كون التقرير ممتعًا وسهل القراءة. وفي ما يلي بعض الإرشادات لكتابة تقرير ناجح[19]. يجب أن يكون التقرير:

- **موجزًا**: يحقق الهدف المطلوب من دون زيادة أو نقص. فالبحث الكبير ليس أفضل من الصغير الذي يتضمن المعلومات نفسها.

- **سهل القراءة**: يكون مكتوبًا وفقًا لمستوى القارئ. يُكتب التقرير وفقًا لمعايير تتلاءم والمستهدفين منه سواء أكانوا أكاديميين أم موظفين مدنيين أم سياسيين أم صناع سياسة. فلكل فئة توقعات مختلفة وأسلوب لغوي مختلف. لذلك يجب أن تُكتَب التقارير بما يتلاءم وحاجة القراء. فليس من الغريب أن يكتب باحث تقريرًا إلى المجلس البلدي المحلي ومقالة لمجلة متخصصة يعرضان النتائج نفسها، لكن بطريقتين مختلفتين.

- **مكتوبًا بإتقان**: لا من حيث الأسلوب والقواعد فحسب، بل أيضًا من حيث البناء العام للمحتوى. فمثلًا يتوقع الأكاديميون من التقرير أن يتفق مع معايير المجلة أو الناشر الذي سينشر البحث، وهذا أمر معتاد. أما صناع السياسة فيتوقعون من

(19) انظر: W. Farber, *kunstlehre der Erklärung* (Graz: Selbstverlag, 2001), p. 238.

التقرير أن يكون ملخصًا وموجزًا يتضمن عرضًا مباشرًا للنتائج (مصحوبًا بمستوى معين من الإحصاءات ومن دون مصطلحات أكاديمية خاصة)، كما يتضمن رسومًا بيانية وأشكالًا وجداول وتلخيصًا للمعلومات (باستعمال النقاط مثلًا حيث يتطلب الأمر).

- **لافتًا وممتعًا**: يُعرَض بطريقة مباشرة تشد القارئ إلى حاجات المجتمع ويثير تساؤلات مهمة ويقترح حلولًا ممكنة ويعالج قضايا حساسة ومهمة.

- **في حينه**: ينشر في الوقت الملائم بعد الانتهاء من كتابة النتائج؛ فالمعلومات القديمة قد تهم الأكاديميين ولا يأبه لها السياسيون وصناع القرار.

يبدو أن هذا هو الحد الأدنى من متطلبات تقرير البحث. ويتوقع معظم الباحثين والقراء وجود المزيد في هذه التقارير، خصوصًا ما يتعلق بالمحتوى والمعايير المهنية، وأهمها ما نشاهده في الإطار 11.17[20].

مع أن هذه النقاط مقبولة لدى عدد كبير من الباحثين، لا يزال عدد منها مثيرًا للجدل. فالمنظرون والناقدون والباحثون النوعيون يعتبرونها غير ملائمة، خصوصًا ما يتعلق بالموضوعية وتغييب الذات وابتعاد الباحث عن المبحوث. ومع ذلك يلتزم كثير من الباحثين النوعيين بمعايير الموضوعية، وكما لاحظنا سابقًا، فإن الموضوعية أحد جوانب تقرير البحث في المنهج النوعي.

2.7 أسلوب الكتابة

تختلف أساليب الكتابة اختلافًا كبيرًا؛ فأسلوب الكتابة لعرض بحث في مؤتمر يختلف عن أسلوب الكتابة للنشر في مجلة متخصصة أو في كتاب لعامة القراء. ولكل أسلوب سياق معين يكون التقرير فيه مقبولًا. وكما ذكرنا آنفًا، يُعزى الاختلاف في الأسلوب إلى اختلاف القراء واختلاف معايير النشر في الأماكن المختلفة.

---

(20) B. Becker, *Grundlagen soziologischer Methodologie* (Frankfurt: Selbstverlag, 1989); K. Martin, *Methodologisches Denken* (Hamburg: Selbstverlag, 1988); X. Puris, *The Complexity of Research Measure* [in Greek] (Paris: Ajax, 1995).

الإطار 11.17

تقرير البحث: متطلبات الحدّ الأدنى

- **الوضوح**: يجب أن يكتب التقرير بوضوح من دون لَبس أو غموض.
- **الإتقان**: على الكاتب أن يتجنب التعميمات والجمل المبهمة.
- **المواءمة**: يجب أن يكون البحث مفهومًا ليس للأكاديميين والمتخصصين فحسب، بل لجميع القراء المستهدفين.
- **الكمال**: يجب ألا يُستثنى من التقرير أي جزء من أجزاء البحث، وينبغي أن يولى كل جزء الدرجة الملائمة من الاهتمام.
- **الموضوعية**: يجب تجنب الانفعالية والذاتية في كتابة تقرير البحث. ويتوقع من التقرير أن يقدم معلومات عن نتائج البحث. ويجب أن تعرض الآراء ووجهات النظر الشخصية بطريقة يسهل فيها تمييز هذه الآراء من غيرها من محتويات التقرير. يجب أيضًا فصل الوقائع عن الأحكام القيمية أيضًا.
- **النزاهة**: تُعرض النتائج بطريقة نزيهة غير متحيزة.
- **القابلية للتحقق والتأكد من النتائج**: يجب أن يكون التحقق من معلومات التقرير سهلًا.
- **تغييب الذات**: يفضل أن يكتب التقرير بصيغة ضمير الغائب.
- **الأخلاق**: يجب أن يكتب تقرير البحث وفقًا للمعايير الأخلاقية لكتابة تقارير البحوث.

مع ذلك، هناك معايير أسلوبية عامة ومتفق عليها بين الباحثين والكتّاب. ومع أن درجة الاتفاق على هذه المعايير تضعف عبر الزمن، وبعض الكتاب يقبلون معايير دون غيرها، لكن يبدو أن هذه المعايير مفضلة لدى معظم الباحثين وتستحق الذكر والتوضيح.

صيغة المتكلم أم الغائب؟

يصر كثير من الناشرين والمحررين على استخدام صيغة الغائب في كتابة تقرير البحث. فمن الأفضل أن نقول «أظهرت الدراسة...» بدلًا من «وجدت في دراستي...». فالرسالة في كلتا الحالتين هي نفسها، لكن تقاليد كتابة تقارير البحوث تفضل الطريقة الأولى.

المبني للمعلوم أم المجهول؟

بالمثل، فإن تقاليد كتابة تقارير البحوث تفضل استعمال صيغة المبني للمجهول على المبني للمعلوم، فكثير من الباحثين يفضلون القول «وُجِد أن النساء....» على «وجد الباحث أن النساء...». وكما في المثال السابق، الرسالة نفسها، لكن طريقة التعبير عنها مختلفة. وعلى الرغم من ذلك، هناك تحول نحو استعمال المبني للمعلوم بدلًا من المبني للمجهول في كتابة البحوث؛ إذ ازداد عدد المجلات العلمية التي تقبل استعمال المبني للمعلوم، وهناك مجلات أخرى لا تعير المسألة أي اهتمام. فكلا الأسلوبين مقبول ما دام الباحث ملتزمًا بأحدهما.

الفعل الماضي أم المضارع؟

يعتمد اختيار الفعل الماضي أو المضارع على القضايا المشار إليها في النص. والقاعدة هي استعمال الفعل الماضي في كتابة نتائج البحث؛ لأن هذا أمر منطقي حيث إن النتائج حدثت في الزمن الماضي. فمن المنطق أن نكتب «كان عدد النساء كبيرًا...» بدلًا من «عدد النساء أكبر...». هذا إضافة إلى أن استعمال الفعل المضارع غير صحيح لأن الجملة تشير إلى عدد النساء عند إجراء الدراسة وليس الآن. كما أن استعمال الفعل المضارع يعني التعميم وهذا غير صحيح أيضًا في مثل هذه الحالة.

اللغة المتحيزة لجنس معين؟

يتوقع من تقارير البحوث أن تتجنب استخدام اللغة التي تتضمن تحيزًا لجنس معين. وجاء ذلك نتيجة للحركة النسوية، وأصبح مطلبًا مؤسسيًا في العالم الغربي. وهناك أسباب كثيرة لضرورة تجنب اللغة المتحيزة جنسيًا، فهي أولًا تخالف مبادئ المساواة وتعكس ممارسات تميز بين الجنسين. كما أنها غير مقبولة من الناحية الأخلاقية. علاوة على ذلك، فإن استخدام لفظ واحد للإشارة إلى الجنسين (ذكر أو أنثى) يؤدي إلى الغموض وعدم الوضوح ولا يعكس المعلومات الواردة في بيانات البحث بنزاهة وكمال.

لتبسيط الأمر نتساءل: هل كان المجرم ذكرًا أم أنثى؟ في مثل هذه العبارات يسيء التقرير تمثيل المحتوى، ولذلك فالتقرير غير دقيق.

الإطار 12.17

فكر تفكيرًا ناقدًا! (عنه وعنها وعن البشرية)

إذا كان النسويون بنائيين، وإذا كانت البنائية تقدر المعاني أكثر من «الأشياء» - مثل الكلمات - لماذا من المهم أن نستبدل بعض الكلمات (مثل هو، الإنسان) بكلمات أخرى (هو أو هي وبنو البشر) التي تختلف حرفيًا بعضها عن بعض، لكنها بالمعنى نفسه. وعلاوة على ذلك فإن معاني الكلمات غير المقبولة تمثل الجنسين (هو تشير إلى الإناث والذكور، والناس تعني جميع البشر ذكورًا وإناثًا)، كما أن لهذه الكلمات معاني يمكن إعادة بنائها.

لا بد من سبب عميق لذلك! ما هو؟

إن النقطة الصحيحة التي يثيرها النسويون هي أن الباحثين والمبحوثين من الجنسين الذكور والإناث، فليس هناك مبرر للإشارة إليهم بصيغة المذكر «هو» أو المؤنث «هي» واستخدام الضميرين هو/هي يبدو غير مريح، لكنه البديل الأفضل. وهناك بديل مفضل آخر هو استخدام ضمير الجمع الغائب (they). [هذا يلائم اللغة الإنكليزية لأن 'they' تشير إلى المذكر والمؤنث، لكن يقابلها في اللغة العربية ضمائر عدة مثل «هما، هم، هن»، فالمشكلة تبقى قائمة في اللغة العربية - المترجم]. وعلى أي حال هناك آخرون ممن يجدون «الأنموذج القديم الجيد» ملائمًا وسهل القراءة. فمثلًا قالت سوزان هاك[21] في الحديث عن أسلوب كتابتها في مقدمة كتاب لها عن نظرية المعرفة إنها «لم تُعقّد كتابتها باستبدال he بـ he أو she»، ولم تعدل تركيب أي جملة كي تتجنب استخدام أي ضمير. وأكدت أنه «لا داعي للقول... إنني أعتقد أن النساء، مثل الرجال، ذوات عارفة».

لا يعد أسلوب الكتابة جزءًا أساسيًا من عملية البحث الاجتماعي أو إنتاج المعرفة. ومع ذلك فهو جزء مهم من عملية البحث. إنه الجزء الذي يساعد في نشر النتائج على المهتمين بطريقة واضحة ودقيقة ومقبولة. ولذلك فإنه يستحق القدر الكافي من العناية مثل أي جزء آخر من أجزاء البحث.

---

(21) S. Haack, *Evidence and Inquiry: Towards Reconstruction in Epistemology* (Cambridge: Blackwell, 1995), p. 8.

ثامنًا: التقويم الذاتي

من الحكمة أن يخضع التقرير، قبل أن يغادر يدي الباحث، إلى تدقيق أخير للتأكد من أنه يعكس النتائج بشكل صحيح، وأنه يحقق معايير الكتابة، وأنه خالٍ من الأخطاء أو الحذف. وأشار عدد من الباحثين[22] إلى عدد من الأمور التي يجب أن تؤخذ في الحسبان في مرحلة التقويم الذاتي، منها:

1.8 الملخّص

- هل الملخص ملائم وكافٍ وكامل وموجز؟
- هل يبالغ في عرض النتائج أو يقلل من قيمتها؟
- هل هو موضوعي ومفيد؟
- هل هو مكتوب بلغة واضحة وملائمة ومتّسقة مع لغة التقرير بشكل عام؟

2.8 المتن الأساس

- هل الهيكل متسق ومقسّم إلى أجزاء متناسقة؟
- هل هو كامل وسهل القراءة وواضح وموجز وموضوعي ونزيه وقابل للتحقق منه وغير شخصي؟
- هل يلتزم المعايير الأخلاقية؟
- هل يحقق كل جزء من أجزاء التقرير هدفه؟

1.2.8 المقدمة

- هل عُرِض الموضوع بوضوح وكفاية في مقدمة التقرير؟
- هل مراجعة الدراسات السابقة ملائمة وشاملة ودقيقة، وهل تم تقويم تلك الدراسات؟

---

(22) Becker, *Grundlagen soziologischer Methodologie*; C. K. Judd, E. L. Smith and L. H. Kidder, *Research Methods in Social Relations* (New York: Harcourt, Brace, Jovanovich, 1991); Puris, *The Complexity of Research Measure*; C. Selltiz, L. J. Wrightsman and S. W. Cook, *Research Methods in Social Relations* (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1976).

- هل وُضح هدف الدراسة جيدًا؟
- هل وُضّحت الحاجة إلى البحث بشكل ملائم؟

2.2.8 منهجية البحث

- هل عُرّفت وحدات البحث والمجتمع بوضوح؟
- هل تم تعريف المتغيرات إجرائيًا وهل ذكرت المؤشرات بوضوح؟
- هل اختيرت منهجية البحث وأدواته اختيارًا ملائمًا، وهل شُرحت واستُخدمت، وبُرّر استخدامها؟
- هل اتخذت الإجراءات الملائمة لحماية المنهجية وأدوات البحث من التحيز ومخالفة المعايير الأخلاقية والأخطاء لضمان الصدق والثبات؟
- هل تم ضبط المتغيرات الخارجية؟
- هل صيغت الفرضيات بوضوح، وهل هي قابلة للإثبات؟

3.2.8 النتائج

- هل النتائج كاملة وسهلة القراءة ومنظمة في العرض؟
- هل تنسجم مع فرضيات الدراسة وأسئلتها؟
- هل العروض المرئية للبيانات منسجمة مع النص وسهلة القراءة؟

4.2.8 المناقشة

- هل فُسّرت النتائج وعُممت بشكل جيد؟
- هل التفسيرات مشروعة بالنسبة إلى طبيعة الدراسة؟
- هل أخذت جميع القضايا السابقة في الحسبان؟
- هل تخلو المناقشة من التحيز ومخالفة المعايير الأخلاقية؟
- هل أخذت محددات الدراسة بالاعتبار عند تعميم النتائج؟

5.2.8 الخلاصة

- هل الاستنتاجات واضحة ومنطقية ومُقنعة؟
- هل هي مرتبطة بالعناصر الرئيسة لسؤال البحث؟

- هل هي مبررة بالنسبة إلى البحث ومحدداته؟
- هل تغطي جميع الجوانب المهمة في الدراسة؟

3.8 المراجع/ الببليوغرافيا

- هل كُتبت المراجع بأسلوب موحد ووفقًا للمعايير المقبولة عند الناشر؟
- هل يشتمل هذا القسم على غير المراجع التي أشير إليها في التقرير؟
- هل المراجع كلها التي أشير إليها في التقرير موجودة في قائمة المراجع؟
- هل تم الرجوع إلى المراجع والمصادر كلها المذكورة مباشرة؟

4.8 عموميات

- هل تسمح طريقة عرض التقرير ومحتواه بإعادة تطبيقه أو تكراره؟
- هل يتّصف العرض بالترابط والتسلسل المنطقي؟
- هل العنوان ملائم؟
- من وجهة نظر موضوعية، هل يستحق التقرير النشر؟

يُعطى التقرير عادة إلى بعض الزملاء للإفادة من انتقاداتهم وملاحظاتهم. ففي الأغلب يكون الرأي الثاني مفيدًا في شأن سلامة الإجراءات والمنهجية والتحليل والتفسير. وفي بعض الحالات يعرض الباحث أجزاء من تقريره على بعض المبحوثين لإبداء ملاحظاتهم. وقد وجد أن هذه الملاحظات مفيدة حقًا.

تاسعًا: أخيرًا وليس آخرًا: مصير التقرير

1.9 سياسات النشر

إن الهدف النهائي لكتابة تقرير البحث هو النشر من دون استثناء. ويهتم الباحثون بنشر بحوثهم بطريقة تضمن توزيعًا واسعًا للنتائج، حيث تصل إلى أكبر قطاع ممكن من القراء. وفي النهاية فإن الشعار «النشر أو الموت» ليس فارغًا. إن

سمعة الأكاديمي بصفته كاتبًا منتجًا والرجوع إلى ما كتب هي أكثر من مجرد كتابة تقرير بحث جيد.

مع ذلك، فالنشر ليس مجرد طباعة بحث، بل يتطلب مناورات ومباحثات فكرية وسياسية مكثفة[23]. يعتمد نشر التقرير في كتاب على عوامل عدة أهمها: نوعية البحث وجودته، ومدى مواءمته اجتماعيًا، والاعتبارات الاقتصادية والأيديولوجية. أما النشر في مجلات فهو أسهل لأن عوامل السوق والأهمية الاجتماعية (بدرجة أقل) أقل أهمية مما عليه الحال في النشر في كتاب. وبالمثل فإن النشر في الصحف يعتمد على الأهمية الاجتماعية أكثر مما يعتمد على جودة الدراسة ونوعيتها. ومن الممكن نشر التقرير في نشرات إخبارية أو رسائل من دون صعوبة.

تؤدي جودة التقرير دورًا مهمًا في عملية النشر. فالتقرير ذو الجودة العالية يرى طريقه إلى النشر بسهولة أكبر من التقرير ذي الجودة المتدنية. لكن ليس الأمر كذلك في الأحوال كلها. فالنشر هو نتيجة أكثر من عامل من العوامل المذكورة أعلاه. فالعامل الحاسم في قبول البحث للنشر في دورية أو مجلة متخصصة هو تقارير المحكمين التي تشكل مشكلة محتملة لكثير من البحوث. وتصبح القضية حرجة عندما يتسلل بعض المحكمين المتحيزين إلى هيئة المحررين في المجلات ودور النشر. وتشتمل أسباب عدم نشر بحوث صادقة وملائمة على عوامل كثيرة مثل: المصالح الشخصية والاعتبارات الاقتصادية والاعتبارات الأيديولوجية. فبعض الأفراد الذين يعتبرون نتائج بعض البحوث مؤذية لمصالحهم الخاصة أو ناقدة لأفكارهم الأيديولوجية لا يؤيد نشر مثل هذه البحوث، ولا يسمح بنشر هذه التقارير. فالجودة الأكاديمية ليست مهمة في مثل هذه الحالات.

بالطريقة نفسها، فإن الشركات أو الأحزاب السياسية الممولة للبحث لن تنشر نتائجه ما لم تكن مؤيدة لآرائهم ووجهات نظرهم وممارساتهم. فمثلًا، إذا قامت مؤسسة بتمويل بحث وكانت نتائجه تشير إلى أن النفايات التي تنتجها هذه

---

(23) R. H. Brown, *Writing the Social Text: Poetics and Politics in Social Science Discourse* (New York: Allyn and Bacon, 1992).

المؤسسة سامة وتلوّث البيئة المحيطة بنصف قطر يبلغ 50 كلم، وتؤذي الحياة النباتية والحيوانية والناس، فإنها لن تنشر نتائج هذا البحث.

كما أن جماعات المصالح ستبذل قصارى جهدها لمنع نشر تقارير بحوث لا تتفق وتوقعاتها. ويتم ذلك إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. ويمكن أن يمنع نشر تقرير لأسباب أيديولوجية أو مبادئ اقتصادية. وقد يقرر المحكّمون الذين يقوّمون تقارير البحوث عدم نشرها لأسباب شخصية أو اعتقادات أيديولوجية لا على أسس أكاديمية.

بالنسبة إلى الكتب، يهتم الناشرون بنشر الكتب ذات الجودة العالية والواعدة بعائدات كبيرة لاستثماراتهم. وفي الوضع المثالي، ينظر الناشرون إلى جودة الكتاب وإلى مصالحهم الاقتصادية، إلا أن هناك ناشرين يركزون على الجودة وآخرين يهتمون بالجانب الاقتصادي أكثر من اهتمامهم بجودة الكتاب. فكثيرًا ما تُرفض طلبات لنشر كتب لأسباب اقتصادية تتعلق بالطلب على الكتاب في السوق. وللتغلب على هذه المشكلة ولتسهيل نشر الكتب الأقل تسويقًا (الكتب المتخصصة) والجيدة أكاديميًا، أُسست دور نشر متخصصة لهذا الغرض. وأنشأت بعض الجامعات دورًا للنشر خاصة بها (تسمى مطبوعات جامعية).

يجب أن نتذكر أن نجاح مشروع بحثي لا ينعكس دائمًا في كمية نشره ونوعه، بل يقاس نجاح المشروعات بمدى سلامتها وإتقانها ونوع النتائج التي تخلص إليها. فليس من الغريب أن تجد نتائج بحوث ممتازة في تقارير نشرها أصحابها أو في نشرات مدعومة. ويقاس النجاح أيضًا بمدى التغير السياسي أو البنيوي الذي أدت إليه نتائج البحث. فمثلًا، قد لا تصل البحوث الإجرائية إلى رفوف باعة الكتب، لكن أثرها في السياسات الاجتماعية قد يكون أقوى وأكبر من أقوى الكتب والمقالات معًا.

2.9 من نتائج البحث إلى السياسة والممارسة

يتمثل الهدف العملي من كتابة تقرير البحث بإيصال نتائج البحث إلى الجمهور وذوي المصالح وصناع السياسة. لكن نشر نتائج البحث لا يعني دائمًا

التأثير في السياسة العامة. كما أن إيصال النتائج إلى السلطات لا يضمن بالضرورة اتخاذ إجراءات ملائمة. ولتشجيع مثل هذا الإجراء، يستخدم بعض الباحثين استراتيجيات تدخَل مثل التي تستخدم في البحث العملي.

تتضمن هذه الإجراءات تحرير الناس وزيادة وعيهم وتركيزهم وتوجيههم. وبعبارة أخرى، يُطلع العمل الناس على طبيعة المشكلة ويزيد من وعيهم بحقوقهم بصفتهم مواطنين وبالطرائق التي تُنتَهك فيها تلك الحقوق. كما أن هذه الإجراءات تبرز المجالات التي يجب أن يركز الناس اهتمامهم عليها، وتوضح لهم كيف يشجعون السلطات الحكومية على أخذ نتائج التقرير في الحسبان، واتخاذ الإجراءات الملائمة وفقًا للنتائج.

تختلف طرائق تنفيذ استراتيجيات التدخل اختلافًا كبيرًا؛ إذ قد يتطلب الأمر أحيانًا مناقشة القضية جديًا مع السلطات المعنية. وبشكل عام، لا يشترك الباحث في هذه الحوارات لأنها تدور بين ذوي المصالح من الأفراد والجماعات وأعضاء معينين من الدوائر الحكومية. وتُكَرَّر هذه الحوارات إلى أن تثمر. وعندما لا تكون النتائج مرضية، تُحوّل الحوارات إلى سلطات أعلى وتتخذ طابع المجابهة لأن أصحاب المصالح أصبحوا أكثر وعيًا بحقوقهم، وأكثر إدراكًا لوجود مشكلات، وأكثر مطالبة ومواجهة للسلطات، حيث إنهم لن يتوقفوا عن المواجهة إلى أن تحل المشكلة حلًا مرضيًا. إن التدخل السياسي استراتيجية أخرى، ويتطلب ذلك زيارة الممثلين المحليين للحزب الحاكم وعقد حوارات فاعلة معهم ومواجهتهم ومطالبتهم باتخاذ إجراءات ملائمة. وعندما تجد مجموعات الضغط أن نتائج الحوارات والمشاورات غير مرضية، قد تلجأ إلى التحدث مع أفراد معارضين. وهذا تصرف يَعد بالخير لأنه يجبر الأحزاب الحاكمة على إعادة النظر في موقفها من القضية، وأن يصبحوا أكثر تعاونًا وتجاوبًا مع طلبات ذوي المصالح.

إن استخدام وسائل الإعلام هو استراتيجية تدخّل أخرى تُستخدم جنبًا إلى جنب مع الطرائق الأخرى. تقوم الجماعات الاجتماعية بإخبار أناس آخرين بنتائج البحث واستجابة السلطات لها عبر الحملات الإعلامية التي تظهر حاجات

المجتمع وموقف الحكومة من المجتمع. وكثيرًا ما تكون الحملات الإعلامية ناجحة جدًا.

عندما تخفق الإجراءات كلها في تحقيق نتائج مرضية، قد تخطط مجموعات الضغط للخروج في تظاهرات في الشوارع، حيث يطالب أفراد المجتمع بإيلاء قضيتهم الاهتمام الذي تستحقه. وأهم إنجاز تحققه هذه الوسيلة وغيرها هو أن تصبح قضية البحث قضية عامة ومسألة سياسية. وفي بيئة تسودها البرامج السياسية والمصالح الحزبية، فإن هذا أكثر ما يستطيع الباحث أن يفعله من خلال تقرير بحثه.

إن مجموعات الضغط مفيدة جدًا، لا لأنها تقدم أفكارًا واقتراحات عن كيفية السير قُدُمًا فحسب، بل لأن مثل هذه الأعمال توحد أفرادًا في المجتمع وتجعلهم يدركون قدرتهم وقوتهم السياسية وتشجعهم على التصرف كمجموعة لإحداث تغيير اجتماعي. وعندما يزداد وعي كثير من الناس بوجود المشكلة وبأهميتها فإنهم يتبادلون المشاعر والاهتمامات، وفي النهاية يشكلون شبكة من الأفراد ذوي التفكير المتشابه الذين يستطيعون الضغط على الحكومة لاتخاذ إجراءات ملائمة. وتكون الحكومة عادة أكثر حساسية للضغط الشعبي من ضغط التقارير التي يمكن أن تُخَبَّأ وتختفي. إن التخطيط للعمل بعد نشر النتائج بأهمية التخطيط للبحث قبل الشروع به، خصوصًا لمن يدرك أن البحث طريقة للتحرير، ولمن يعتبر العمل جزءًا من عملية البحث. وتكمن المشكلة في أن البحث العملي لا يشكل إلا نسبة ضئيلة في البحث الاجتماعي، وعلى جميع الباحثين الآخرين الاعتماد على الالتزام والنيّة الحسنة لدى المهتمين بقراءة نتائج البحث وفهمها وإدراك دورها في حياة الناس.

نقاط أساسية

- كتابة تقرير البحث هي طريقة توصيل نتائج الدراسة إلى الجماعات المهتمة.

- أهم العوامل التي تؤثر في كتابة تقرير البحث: الاعتبارات الأخلاقية، والقارئ، وهدف التقرير.

- يختلف هيكل التقرير وفقًا لنوع النشر وطبيعته.
- أهم وسائل نشر النتائج: الصحف والرسائل الإخبارية والمؤتمرات والرسائل والدوريات والكتب.
- أهم أجزاء التقرير: الملخص والمقدمة ومنهج البحث والنتائج والمناقشة والخلاصة والتوصيات وقائمة المراجع. وبعض هذه الأجزاء اختياري.
- معايير التقرير الجيد هي: الوضوح والإيجاز واللغة الملائمة والكمال والموضوعية والنزاهة والقابلية للتحقق والإثبات وتغييب الذات واحترام الأخلاق.
- تكون تقارير البحوث الكمية أكثر انتظامًا وانضباطًا مما هي عليه في البحوث النوعية.
- عند تقديم التقرير لا بد من التفكير بقضايا مثل: استخدام ضمير المتكلم أو ضمير الغائب، واستخدام المبني للمجهول أو المعلوم، والفعل الماضي أو المضارع، ونوع اللغة المستعملة.
- يتوقع من تقارير البحوث أن تتجنب اللغة المتحيزة لجنس دون الآخر.
- تشكل سياسات النشر عنصرًا مهمًا يستحق الاهتمام.

إلى أين؟

قبل أن تترك هذا الفصل، لا بد لك من أن تزور الموقع المرافق للطبعة الثالثة من كتاب **البحث الاجتماعي**: http://www.palgrave.com/sociology/sarantakos لتراجع المفاهيم الأساسية في هذا الفصل وتختبر نفسك في القضايا الرئيسة التي ناقشناها.

قراءات إضافية

Books

Bowden, J. *Writing a Report: How to Prepare, Write and Present Effective Reports.* Oxford: How to Books, 2002.

Brause, B. S. *Writing Your Doctoral Dissertation: Invisible Rules for Success.* London: Falmer, 2000.

Budestam, K. E. and R. R. Newton. *Surviving Your Dissertation: A Comprehensive Guide to Content and Process*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 2001.

Clough, P. and C. Nutbown. *A Student's Guide to Methodology*. London: Sage, 2002.

Evans, D. and P. Gruba. *How to Write a Better Thesis*. Carlton South, Vic.: Melbourne University Press, 2002.

Johnstone, M-J. *Effective Writing for Health Professionals: A Practical Guide to Getting Published*. Crows Nest, N.S.W.: Allen & Unwin, 2004.

Lester, J. D. and J. Jr. Lester. *Writing Research Papers: A Complete Guide*. New York: Longman, 2001.

Punch, P. D. *Developing Effective Research Proposals*. London: Sage, 2000.

Waters, K. *Researching: Writing and Presenting Reports*. Croydon, Vic.: Eastern House, 2000.

ثبت المصطلحات

Abscissa	**الإحداثي السيني**: الخط الأفقي للرسم البياني يُعرَض فيه المتغير المستقل.
Abstat:	**آبستات**: برنامج حاسوبي لتحليل بيانات البحث إحصائيًا ويستخدم في الحواسيب IBM PCs وCP/M.
Accretion measure:	**مقياس التراكم**: أداة منهجية تُستَخدَم في دراسة الآثار المادية وتركّز على تراكم البقايا على أشياء أو أماكن معينة.
Action research:	**بحث عملي**: يهدف إلى إحداث تغيير يشمل المبحوثين في عملية البحث، خصوصًا في تنفيذ النتائج.
ANOVA:	**تحليل التباين**: اختبار بارامتري/ حصري للدلالة الإحصائية يقارن متوسطات عينتين أو أكثر.
Analytic induction:	**الاستقراء التحليلي**: طريقة لتحليل البيانات نوعيًا حيث يُفْحَص شمول تفسيرات الظواهر بإيجاد تفسيرات افتراضية واختبارها في بيانات جديدة. ويثبت شمول التفسير عندما تكون جميع الحالات الجديدة متسقة مع التفسير الافتراضي.
Anonymity:	**الغُفلية** [السرية بعدم كشف الأسماء]: حماية منتظمة للهويات الشخصية للمبحوثين.
Applied research:	**البحث التطبيقي**: نوع من البحوث يركز على قضايا تطبيقية من أجل التوصل إلى حلول لها.

Arbitrary zero:	الصفر العشوائي: هذا الصفر لا يدل على الغياب التام للمعيار المعني. الرأي صفر (لا رأي) لا يعني غياب الرأي، فعدم إبداء الرأي رأي. ورأي ذلك الشخص هو «لا رأي».
Archival research	البحث الأرشيفي: دراسة الأفراد أو المؤسسات وفقًا لوثائق من إنتاجهم هم.
Association:	الاقتران: علاقة بين متغيرين بينهما تباين مشترك.
Attrition:	الاستنزاف: فقدان أفراد العينة جراء عدم القدرة أو انعدام الرغبة في المشاركة في الدراسة.
Authenticity:	الأصالة: كون الشيء أصيلًا وطبيعيًا وغير متأثر (البحث النوعي).
Basic research:	البحث الأساس: نوع من البحوث يركز حصريًا على اكتشاف معرفة جديدة وهو بحث محض.
Bias:	التحيّز: خطأ منتظم في تخطيط البحث أو إجرائه.
Bivariate statistics:	اختبارات إحصائية تدرس متغيرين.
Bivariate tables:	جداول تعرض بيانات متغيرين اثنين.
BMDP (Biochemical programs):	بي إم دي بي: برنامج إحصائي للتحليل المحوسب لبيانات البحث يستعمل في ميدان الطب.
Bogardus Social Distance Scale:	مقياس بوغاردس لقياس الاتجاهات: يُستعمل لقياس الاتجاهات نحو مجموعات معينة، مثل المجموعات الإثنية أو المثليين أو المهاجرين.
Boomerang effect:	أثر البومرانغ: ارتداد السلاح إلى الرامي عند الشعوب البدائية [حالة يحقق فيها مقياس ما عكس المقصود منه].
Canonical correlation:	التعالق القانوني: نوع من الارتباط بين مجموعتين من المتغيرات باستعمال التحليل العاملي.

Case study:	دراسة حالة: طريقة بحث أو تصميم تركز على دراسة حالات منفردة.
Category:	فئة: مجموعة من الناس ذوي خصائص واحدة أو متشابهة من دون أن يكون بين أفرادها اتصالات مباشرة.
Causal relationship:	علاقة سببية: علاقة يؤدي متغير فيها إلى تغيرات في متغير آخر.
Causal research:	البحث السببي: نوع من البحوث يهدف إلى تأكيد أو اختبار علاقات سببية بين متغيرات.
Causality:	السببية: حالة من العلاقات بين متغيرين يؤدي متغير فيها إلى تغير في المتغير الآخر.
Central tendency:	الميل المركزي: من خواص التوزيعات تبين الاتجاه العام للبيانات وتقاس باستخدام المتوسط والوسيط والمنوال.
'Chart':	تشارت: حزمة إحصائية لتحليل بيانات البحث حاسوبيًا.
Chicago School:	مدرسة شيكاغو: مدرسة فكرية أسسها Mead, Park and Thomas أنشأت اتجاهًا نظريًا منهجيًا يعرف باسم التفاعلية الرمزية.
Chi-square test:	اختبار كا^2: اختبار دلالة للقيم الاسمية يقارن بين التكرارت الملاحظة والمتوقعة ويستخدم الفرضية الصفرية.
Clinical interviews:	مقابلات سريرية: مقابلات تُستخدم لتوفير معلومات عن أسباب محددة لمشكلات أو أمراض ويستخدمها بشكل رئيس أطباء النفس والعاملون الاجتماعيون.
Closure:	الإغلاق: حالة في البحث التجريبي يضبط فيها أثر المتغيرات ماعدا المتغير المستقل.
Cluster analysis:	التحليل العنقودي: نوع من التحليل طوّره تايرون (Tyron) وهولزينغر (Holzinger) وهارمان (Harman) لدراسة متغيرات من طريق تجميع أشياء متشابهة معًا في مجموعة واحدة.

Cluster sampling:	الاختيار العنقودي للعينة: طريقة من طرائق اختيار العينات تكون فيها الوحدة الرئيسة «عنقودًا» أو مجموعة من العناصر (مدرسة، مستشفى، فريق كرة قدم وما شابه ذلك).
Code:	رمز (أو مجموعة رموز): تُستعمل في القياس والتحليل بدلًا من الإجابات التي تجمع في عملية البحث الاجتماعي. وفي النظرية المؤسَّسة هو نتيجة الترميز التي قد تكون فئة أو علاقة بين فئات.
Code book:	دليل الترميز: كتاب يشتمل على مجموعة من القواعد والإرشادات للترميز.
Coding:	ترميز: عملية تحويل البيانات الخام لغرض التحليل ويسمى الترميز في النظرية المؤسَّسة بعملية تكوين المفاهيم.
Coefficient of determination:	معامل التحديد: اختبار إحصائي يُبيّن حجم التباين في المتغير التابع كما يفسره المتغير المستقل.
Cohort:	عصبة: مجموعة من المبحوثين تشترك في خاصية معينة (تاريخ الميلاد مثلًا).
Cohort study:	دراسة العصبة: دراسة جماعات للتأكد من الاتجاهات والتطورات عبر الزمن.
Communality:	تباين مشترك: مقياس درجة تغير المتغيرات بطريقة متشابهة.
Community impact assessment:	تقويم الأثر في المجتمع: بحث تقويمي يركز على أثر البرامج والسياسات في المجتمع.
Community studies:	دراسات الجماعة: دراسات عملية تستخدم طرائق عدة وأساليب تركز على المجتمعات باعتبارها وحدات كاملة.
Compunication:	اتصال محوسب: مفهوم جديد طوّر ليصف الاتصال باستخدام الحاسوب.
Computer interviews:	مقابلات محوسبة: مقابلات بمساعدة الحاسوب حيث يتم استبدال المقابل كليًا أو جزئيًا بالحاسوب.

مفهوم: كلمة تستخدم لوصف أو تصنيف شيء أو حدث أو خبرة. Concept:

كوندويت: برنامج إحصائي للتحليل المحوسب لبيانات البحث. Conduit:

السرية: حماية منظمة لطبيعة البيانات التي يقدمها المبحوثون. Confidentiality:

ثابت: صفة أو خاصية تبقى ثابتة لا تتغير في خلال الدراسة. Constant:

البنائية: مذهب إبيستمولوجي يدّعي أن العالم غير موضوعي ولا يكتشف، بل يُبنى ويُشَكَّل اجتماعيًا. Constructionism:

تحليل المحتوى: طريقة أو تصميم بحث تركز على محتوى الوثائق في ضوء نماذج بحثية متعددة وتستخدم طرائق بحث متعددة. Content analysis:

صدق المحتوى: نوع من الصدق يشير إلى مدى شموليته جوانب موضوع البحث الممكنة كلها. Content validity:

البحث السياقي: بحث يدرس المبحوثين في سياقهم الاجتماعي. Contextual research

توافق: نوع من الارتباط يتعلق بالبيانات الاسمية. Contingency:

تحليل الاحتمالات: طريقة طوّرها أوسغود (Osgood) في مجال تحليل المحتوى لدراسة العلاقات بين أجزاء النص. Contingency analysis:

جدول الاحتمالات: جدول يشتمل على عرض رقمي لمتغيرين. Contingency table:

متغير متصل: متغير يتخذ قيمًا رقمية غير محددة وفقًا لمقياس معين (وهو عكس المتغير المنفصل). Continnous variable:

ضبط (أو عزل) المتغيرات الخارجية: إجراء في البحث التجريبي لمنع أثر المتغيرات الخارجية في المتغير التابع بأي شكل من الأشكال. (انظر تعريف Closure) Control:

المجموعة الضابطة: المجموعة التي لا تعرَّض إلى المثير التجريبي في الدراسات التجريبية. Control group:

السؤال الضابط: سؤال يستخدم لاختبار صدق الاستجابة عن سؤال آخر. Control question:

Convenience sample:	عينة سهلة: اختيار عينة من الأشخاص المتوافرين والراغبين في المشاركة.
Convergent interview:	المقابلة الجماعية: نوع من أنواع المقابلات غير المقيدة تشتمل على مبحوثين ذوي أراء مختلفة. يقوم المقابلون فيها بالتخطيط للمقابلة معًا ويناقشون نتائج كل مقابلة قبل الانتقال إلى المقابلة التالية.
Correlation:	تعالق: تحليل إحصائي يقيس درجة الارتباط بين متغيرين (علاقة خطية).
Correlation matrix:	مصفوفة تعالق: مصفوفة تتضمن قيم معامل ارتباط بين متغيرين.
Cost-benefit analysis:	تحليل الجدوى: تقويم لبرامج أو سياسات من حيث التكلفة والعائدات لتقرير ما إذا كانت ستستمر أو تتوقف.
Co-variance:	التباين المشترك: مقياس للتباين المشترك بين المتغيرات.
Criterion variable:	المتغير التابع: اسم آخر dependent variably.
Cross-sectional study:	دراسة مقطعية: تشتمل على وحدات من قطاعات مختلفة من المجتمع تُدرس في وقت واحد.
Cross-validation:	التحقق العرضي: طريقة للتأكد من الصدق باختبار مجموعات من البيانات ومقارنتها بمجموعات أخرى في الفترة نفسها.
CSS (Complete Statistical System):	سي إس إس: حزمة إحصائية حاسوبية لتحليل البيانات.
Cumulative data:	بيانات تراكمية: حاصل عدد مرات تكرار البيانات بإضافة الدرجات ذات القيمة المتدنية إلى الدرجة ذات القيمة الأعلى منها مباشرة.
'Daisy professional':	ديزي بروفشنال: برنامج حاسوبي للتحليل الإحصائي لبيانات البحث يلائم أجهزة حاسوب Apple II.
Data:	بيانات: عناصر أو وحدات معلومات تجمع في عملية البحث الاجتماعي.

Data-x:	داتا إكس: حزمة إحصائية للتحليل الإحصائي للبيانات باستعمال حاسوب PET.
Deception:	خداع: الكذب على المبحوثين بإخفاء طبيعة البحث وأهدافه الحقيقية.
Deduction:	الاستنباط: عملية التوصل إلى نتائج منطقية بالانتقال من العام والمجرد إلى المحدد والملموس من الظواهر (عكس الاستقراء).
Delphi method:	طريقة دلفي: طريقة لجمع البيانات تعتمد على آراء الخبراء.
Demography:	الطريقة السكانية: طريقة بحثية أوجدها غيار (Guillard) في عام 1855 لوصف و/ أو تحليل بنية السكان وتغيرها.
Demoscopy:	مسح آراء السكان: طريقة لدراسة الآراء والاتجاهات باستخدام البحث المسحي وقد طوّرها غالوب (Gallup) في عام 1920 في الولايات المتحدة الأميركية.
Dependent variable	المتغير التابع: متغير يُفَسر أو يتأثر بمتغير آخر.
Depth interview:	مقابلة متعمقة: مقابلة غير مقننة وغير مقيدة وتسمى المقابلة السريرية.
Design:	التصميم: خطة البحث التي تشتمل على جميع خطوات عملية البحث (مثال: التصميم المسحي والتصميم التجريبي).
Diagnostic interviews:	المقابلات التشخيصية: مقابلات تهدف إلى تشخيص بعض جوانب الواقع.
Discourse:	الخطاب: إطار للمعاني يتشكل اجتماعيًا ويوجّه الناس ويحدد معايير أو قواعد أو أعراف توجه الناس لما هو ملائم أو غير ملائم، أو مسموح به أو ممنوع، مقبول أو غير مقبول، له قيمة أو من دون قيمة.
Discrete variable:	متغير منفصل: متغير يشتمل على عدد من الخصائص المختلفة من دون اتصال بينها (عكس المتغير المتصل).

Dispersion:	**التشتت**: درجة انتشار عناصر التوزيع حول المتوسط.
Disproportional sampling:	**العينة غير المتلائمة**: شكل من أشكال العينة الطبقية تكون فيه وحدات العينة غير متلائمة مع وحدات المجتمع.
Dogmatic hermeneutics:	**التأويل الدغمائي**: فرع من فروع الفلسفة التفسيرية التي تلتزم مبادئ محددة كالدين أو الفكر.
Double-barrelled question:	**سؤال مزدوج**: سؤال يتضمن نقطتين بحاجة إلى إجابة.
Ecological fallacy:	**مغالطة بيئية**: استطلاع منطقي للأدلة القائمة على مستوى المجموعة والدالّة على أفرادها، ولذلك فهو يفسر سلوك الأفراد من خلال قواعد تصدق على مجموعات.
Elite interviews:	**مقابلات النخبة**: مقابلات مع النخب والناس المشهورين والبارزين والمؤثرين.
Empirical data:	**البيانات التجريبية أو الحسيّة**: بيانات تجمع من طريق الخبرة الحسية.
Empiricism:	**التجريبية**: الاعتقاد أن المعرفة تكتسب بوساطة البحث الوقائعي الذي يرتكز على الخبرة المباشرة من خلال الحواس.
Epistemology:	**إبيستمولوجيا أو نظرية المعرفة** (مشتقة من أصل يوناني يعني العلم): هي علم العلم، وتُعنى طبيعة المعرفة وتدرس أسس تحصيل المعرفة وطرائقها.
Equivalence reliability:	**ثبات التكافؤ**: إثبات من خلال المؤشرات.
Erosion measure:	**مقياس الامحاء**: طريقة منهجية في دراسة الآثار المادية تركز على تأكل الأشياء أو انهيارها.
Ethnocentrism:	**التمركز الإثني**: الميل لاعتبار ثقافة الفرد أو الجماعة مركز الحياة، وعناصرها معايير لتقويم الثقافات الأخرى.

Ethnography: **الإثنوغرافيا** (علم الأعراق البشرية): يصف الثقافات الإنسانية ويستخدمه الأنثروبولوجيون لدراسة الجماعات البشرية في بيئاتها الطبيعية.

Ethnology: **الإثنولوجيا**: دراسة البنى الاجتماعية والثقافات البدائية (في أوروبا) والمجتمعات الحديثة أيضًا (الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا حيث يعرف باسم الأنثروبولوجيا الاجتماعية أو الثقافية).

Ethnomethodology: **منهجية إثنية**: فرع من فروع علم الاجتماع أسسه غارفينكل (Garfinkel) في عام 1967 ويركز على الطرائق والإجراءات التي يستخدمها البشر عندما يعرّفون حياتهم اليومية ويفسّرونها لفظيًا وتفاعليًا. وهو دراسة للمعرفة القائمة على الفهم الشائع، وخلقها واستخدامها في سياق طبيعي.

Evaluation research: **البحث التقويمي**: نوع من البحوث التطبيقية يستخدم لتقويم تنفيذ البرامج والسياسات وأدائها وفاعليتها.

Experiment: **التجربة**: طريقة بحث تدرس العلاقات السببية في أوضاع منتظمة ومفيدة.

Experimental group: **المجموعة التجريبية**: المجموعة التي تخضع للمثير التجريبي في الدراسات التجريبية.

Exploration: **استطلاع**: طريقة لجمع البيانات وأنموذج بحثي يستخدم في البحوث النوعية والكمية.

Extrapolation: **استقراء**: تقدير القيم الخارجية المفقودة بمعرفة القيم الداخلية.

Factor analysis: **التحليل العاملي**: طريقة تحليل إحصائية متعددة المتغيرات.

Factorial design: **التصميم العاملي**: تصميم تجريبي يشتمل على أكثر من متغير مستقل.

Factors: **عوامل**: العوامل هي المتغيرات المستقلة في تحليل التباين.

Falsification: **دحض**: عملية إثبات عدم صدق الفرضية.

Feasibility studies:	دراسات الجدوى: بحث يُجرى لمعرفة جدوى إنشاء برنامج مقترح من (الناحية الاقتصادية وغيرها).
Field experiment:	تجربة ميدانية: تجربة تُجرى في الميدان أو السياق الطبيعي.
Field study:	دراسة ميدانية: دراسة تُجرى في سياق طبيعي (مثل: البحث الميداني والتجربة الميدانية).
Fieldwork:	العمل الميداني: الجزء من البحث الميداني الذي يُجرى في الميدان.
Fine analysis:	التحليل الدقيق: طريقة للتحليل تستخدم في سياق التفسيرية الموضوعية.
Focus group:	جماعة التركيز: مجموعة من الناس تستعمل وحدة للبحث، وشكلت لدراسة قضية محددة.
Focused interviews:	المقابلات المركزة: مقابلات شبه مقيدة تجرى لاستطلاع موضوع محدد أو نقطة معينة من موضوع البحث بعمق.
Formal theory:	النظرية الشكلية: الخطوة الأخيرة في تطوير النظرية تستخدم في إطار النظرية المؤسَّسة.
Formative evaluation:	التقويم التكويني: نوع من البحث التقويمي الذي يهدف إلى إصلاح برنامج أو تعديله.
Free interviews:	المقابلات الحرة: اسم آخر للمقابلات غير المقيدة أو غير المقننة أو المفتوحة.
General inquirer:	جنرال إنكوايرر: برنامج حاسوبي يستخدم في تحليل المحتوى لحساب مؤشرات متعددة.
Generalisability:	قابلية التعميم: إحدى خصائص الدراسة التي تسمح بسحب استنتاجاتها من دراسات عيّنات إلى مجتمعات أكبر. وتكون قابلة للتطبيق من حيث الزمان والمكان.
Genstat:	جنستات: برنامج إحصائي عام لتحليل بيانات البحث حاسوبيًا.

Graph/Stats II: **غراف/ ستاتس تو:** حزمة إحصائية حاسوبية لتحليل بيانات البحث باستخدام حاسبات BBC الصغيرة.

Grounded theory: **النظرية المؤسَّسة (أو المجذَّرة):** قالب بحثي نوعي طوره غلايزر وشتراوس (Glaser and Strauss) حيث يجرى جمع البيانات وتحليلها في آن واحد، وحيث يكون تصميم البحث مقيدًا بالنظرية الناشئة. وهي أيضًا نظرية مؤسَّسة على البيانات المولدة عند استخدام قالب النظرية المؤسَّسة أو المجذرة. وتشكل هذه النظرية أحد أسس البحث النوعي أو التفسيري.

Group discussion: **المناقشة الجماعية:** طريقة لجمع البيانات تجمع فيها المعلومات في أثناء مناقشة بين مجموعة من المبحوثين.

Guided interview: **المقابلة الموجهة:** شكل من أشكال المقابلات شبة المقيدة.

Gutman scale: **مقياس غوتمان:** مقياس ترتيبي يلائم قياس الاتجاهات.

Halo effect: **تأثير هالو:** هو تأثير إجابة سؤال في طريقة إجابة أسئلة أخرى في السياق نفسه.

Hard interviews: **المقابلات الصارمة:** مقابلة سلطوية تشبه التحقيق الرسمي.

Hawthorne effect: **تأثير هاوثورن:** تأثير التوقع، يحدث عندما تؤثر معرفة المبحوث بأنه مراقب في أدائه.

Hermeneutics: **التأويلية:** مدرسة فكرية تهتم بدراسة وتأويل النصوص وسواها من التجليات الثقافية.

Heterogeneity: **التغاير:** إحدى خواص المجموعة التي تعكس تنوع عناصرها.

Histogram: **المدرج التكراري:** رسم بياني لتوزيع يتكون من أعمدة تساوي قيم وحدات التوزيع.

Holism: **الكلّية:** تشير إلى الكل، وتعني دراسة مجموعة كاملة أو حالة كوحدة كاملة.

Homogeneity: التجانس: إحدى خواص المجموعة وتعني التشابه أو التجانس بين عناصر المجموعة أو سماتها.

Hypothesis: فرضية: افتراض أو تخمين عارف يمكن اختباره.

Idiographic approach: المقاربة الفردية: مقاربة الواقع من خلال وصف أفراده.

Independent variable: المتغير المستقل: المتغير الذي يؤثر في متغير آخر.

Index: كشّاف: مقياس لجوانب عدة من مفهوم ما تجمع قيمتها للحصول على درجة رقمية. وهو ملخص لمقاييس ذات طبيعة نظرية وحسابية.

Indicator: مؤشر: سمة ملحوظة مباشرة تستخدم لبناء تعريف إجرائي لمفهوم.

Individual interviews: مقابلات فردية: مقابلة فرد واحد في الوقت نفسه.

Induction: الاستقراء: عملية استنتاج من طريق الانتقال من الخاص أو المحدد والملموس إلى العام والمجرد (عكس الاستنباط).

Inductive statistics: الإحصاء الاستقرائي: إحصاء استنتاجي.

Inferential statistics: الإحصاء الاستنتاجي: نوع من الإحصاء يصل إلى نتائج بالاعتماد على بيانات مشتقة من أجزاء من المجتمع (عينات)، ويسقطها على المجتمع المستهدف.

Informant: مُخبِر، مصدر معلومات: شخص، هو في العادة أحد أفراد عينة الدراسة، يساعد الباحث في الحصول على معلومات عن المجموعة.

Informative interviews: مقابلات وصفية: مقابلات توفر معلومات وصفية عن موضوع معين.

Informed consent: موافقة واعية: موافقة المشاركين في البحث بعد شرح معايير الدراسة وآثارها لهم.

Inquiring interviews:	**مقابلة استفسارية**: مقابلة يكون فيها المبحوث عبارة عن مخبر أو مصدر معلومات يتمتع بدرجة كبيرة من الحرية والفرص لتقديم بيانات.
Instruments:	**أدوات**: أدوات البحث المستخدمة في جمع البيانات وتحليلها.
Intensive interview:	**المقابلة المكثفة**: مقابلة غير مقننة وغير مقيدة أو مبنيّة، تركز على طرح الأسئلة بشكل غير رسمي، بحثًا عن معلومات عميقة ودقيقة مع الأخذ في الحسبان حاجات المبحوث وتفضيلاته.
Interaction analysis:	**التحليل التفاعلي**: دراسة أنماط التفاعل في مجموعات صغيرة طوّره Bales في الخمسينيات من القرن العشرين.
Inter-cohort analysis	**تحليل عصبتين أو أكثر** في الفترة نفسها أو في فترات مختلفة.
Interpolation:	**استكمال**: تقدير قيم داخلية مفقودة بمعرفة قيم خارجية.
Inter-stat:	**إنترستات**: برنامج حاسوبي للتحليل الإحصائي لبيانات البحث، يستخدم بشكل رئيس في أجهزة أبل Apple II.
Interval-level measurement:	**القياس الفتري أو الفئوي القائم على وحدات متساوية**: قياس يسمي ويرتب الأفراد في متّصل يحوي فترات متساوية، كما يحدد المسافة بين القيم.
Interview:	**مقابلة**: طريقة من طرائق جمع البيانات من طريق الأسئلة الشفوية.
Interviewer bias:	**تحيز المقابِل**: تأثير غير مرغوب فيه للمقابلة ينتج من وجود و/ أو عن صفات معنية للمقابل ويؤدي إلى خلل في المقابلة.
Interviewer guide:	**دليل المقابل**: مجموعة من الأسئلة يستعملها الذي يجري المقابلة في عملية المقابلة.
Intra-cohort analysis:	**تحليل عصبتين أو أكثر**: تحليل للسمات الداخلية لمجموعات معينة في الفترة نفسها أو في فترات مختلفة.

Invasion of privacy:	التدخل في الخصوصية: التدخل في حياة المبحوثين وهو ممارسة خاطئة أخلاقيًا.
Items:	بنود: عناصر مقياس أو استبيان. وقد تكون أسئلة أو أقوال أو مثيرات يطلب رأي المبحوث فيها.
Laboratory experiments:	تجارب مخبرية: تجارب تُجرى في المختبر في أوضاع مقيدة ومنضبطة جدًا.
Lambda coefficient:	معامل ارتباط لامدا: معامل اقتران بين متغيرات على المستوى الاسمي.
Leading questions:	أسئلة موجهة: أسئلة تصاغ بطريقة معينة تشجع المبحوث على الإجابة عنها بطريقة محددة.
Likert scale:	مقياس ليكرت: مقياس أنشأه ليكرت يستخدم مجموعة من فئات الاستجابة تراوح من «إيجابي جدًا» إلى «سلبي جدًا»، ويطلب من المبحوث اختيار إحداها.
Linear regression:	الانحدار الخطي: طريقة لتقدير قيمة متغير تابع، عندما تكون قيم متغيرين على المستوى الفتري وموزعة طبيعيًا معروفة.
Linguistic repertoires:	الذخيرة اللغوية: مجموعات من المصطلحات والأوصاف والعبارات المجازية هي أحجار بناء العمليات المعرفية والأفعال والسياسات وغيرها من الظواهر.
Logical positivism:	الوضعية المنطقية: فرع من الفلسفة الوضعية يعرف بالتجريبية أو الإمبيريقية التي تؤمن بأن الواقع يمكن إدراكه بالحواس فحسب.
Longitudinal studies:	الدراسات الطولية: طرائق أو تصاميم بحث لجمع البيانات أكثر من مرة (دراسات الجزء ودراسات الاتجاه).
Marginals:	مجاميع الصفوف والأعمدة في جدول.
Matching:	المطابقة: طريقة لاختيار أفراد للاختبار التجريبي حيث يطابق فيه الأفراد في أزواج ثم تحدد لهم مجموعات البحث.

Mean:	**المتوسّط**: قيمة المعدل.
Median:	**الوسيط**: القيمة التي تقسم التوزيع الترتيبي إلى قسمين متساويين.
Meta-analysis:	**تحليل التحليل**: طريقة إحصائية تحلّل نتائج دراسات أخرى ذات صلة من طريق تقنين نتائجها.
Meta-theory:	**نظرية النظريات**: نظرية تدرس طريقة تكوين نظريات أخرى لإثبات صدقها وثباتها.
Methodology:	**المنهجية**: علم الطرائق أو نظرية المناهج.
Missing data:	**البيانات المفقودة**: أسئلة لم يجب عنها وتسجل عادة باستعمال الأرقام 999 و99 و9... وهكذا.
Mode:	**المنوال**: القيمة ذات التكرارات الأكثر في التوزيع، أو أكثر القيم تكرارًا.
'Modistat':	**موديستات**: حزمة إحصائية للتحليل الإحصائي باستخدام الحواسيب MSDOS, Compaq, PCDOS.
Multiple-choice question:	**سؤال متعدد الاختيارات**: سؤال له أبدال عدة للإجابة.
Multiple-choice test:	**اختبار متعدد الاختيارات**: اختبار يحوى أسئلة متعددة الاختيارات.
Multiple correlation:	**تعالق متعدد**: شكل من أشكال التعالق بين متغير تابع ومجموعة من المتغيرات المستقلة.
Multiple operation(al)ism:	**التحديد الإجرائي المتعدد أو التثليث المنهجي**: طريقة تستخدم أكثر من مقياس أو مجموعة من المبحوثين أو أكثر من أنموذج إرشادي أو أكثر من زمن لدراسة موضوع البحث.
Multivariate statistics:	**إحصاءات متعددة المتغيرات**: طرائق إحصائية تتعامل مع أكثر من متغير.
Narrative interviews:	**مقابلات سردية**: تشجع هذه المقابلات المبحوث على وصف حياته أو جزء منها بالتفصيل، وفيها يكون تدخل الباحث قليلًا. وتركز على كيفية إدراك المبحوثين خبراتهم والحوادث في حياتهم بطريقتهم الخاصة.

Natural experiments:	مقابلات محايدة: نوع من المقابلات يقع بين المقابلة الصارمة والمقابلة المرنة يتخذ فيها الباحث موقفًا محايدًا ووديًا وغير متحيز.
Nominal-level measurement:	القياس على المستوى الاسمي: يشتمل على تصنيف الحوادث إلى فئات يجب أن تكون منفصلة، ذات اتجاه واحد وشاملة ولا تقبل العضوية في فئات أخرى.
Nominal scales:	مقاييس اسمية: مقاييس تُعرَف وفقها الأشياء بأنها متساوية أو غير متساوية، متشابهة أو مختلفة.
Nomological:	عام: كون الشيء قائمًا على أو يتعلق بقبول القوانين والمعايير الصحيحة بشكل عام، بهدف تكوين صيغ شبه قانونية.
Non-parametric statistics:	إحصاءات لابارامترية/ لاحصرية تفترض وجود توزيع طبيعي للبيانات.
Null hypothesis (Ho):	الفرضية الصفرية: فرضية تحدد سمات عينة ويرتكز عليها اختبار الفرضية. وهي تفترض عدم وجود فروق بين العينات أو أن الفروق ناتجة بالصدفة أو بسبب منهجي، ولا فرق بين العينة ومجتمع الدراسة.
«Number cruncher stat system»:	نمبر كرانشر ستات سيستم: برنامج إحصائي حاسوبي لتحليل بيانات البحث إحصائيًا يستخدم في حاسوب ماكنتوش.
Objective hermeneutics:	التأويل الموضوعي: قالب بحثي يتعامل مع تفسيرات وتفاعلات النص، ومع إعادة بناء بنى المعنى الموضوعية.
Objectivity:	الموضوعية: استبعاد الذات والأحكام الشخصية في عملية البحث.
Objectivism:	الموضوعية (مذهب واتجاه فكري): الاعتقاد بوجود واقع موضوعي قابل للمعرفة يختلف عن الفرد العارف نفسه.
Observation:	الملاحظة: طريقة لجمع البيانات تعتمد على الرؤية باعتبارها وسيلة رئيسة لجمع البيانات.
Ontology:	الأنطولوجية: علم يُعنى بطبيعة الواقع.

Open-ended questions: **الأسئلة المفتوحة**: التي لا توجد لها خيارات للإجابة.

Open interviews: **المقابلات المفتوحة**: مقابلات غير مقيدة وغير مقننة.

Openness: **الانفتاح**: فكرة لدى الباحثين النوعيين في شأن كون البحث مفتوحًا للتغييرات وفقًا لمتطلبات عملية البحث.

Operationalisation: **التحديد الإجرائي**: عملية تحويل المفاهيم المجردة إلى مؤشرات قابلة للدراسة (إجرائية).

Ordinal-level measurement: **القياس على المستوى الترتيبي**: نوع من القياسات يصنف العناصر في مجموعات ويرتبها وفقًا لحجمها من الأصغر إلى الأكبر، أو من الأدنى إلى الأعلى.

Ordinal scales: **مقاييس ترتيبية**: ترتّب فيها العناصر وفقًا للعلاقة بينها (أكبر، أصغر، أقدم).

Osiris: **أوزيريس**: حزمة إحصائية حاسوبية لتحليل البيانات.

Outlier: **القيم الناشزة**: القيم المتطرفة في التوزيع والتي تقع خارج التوزيع.

P-stat (Princeton Statistical Package): **بي ستات**: حزمة إحصائية حاسوبية للتحليل الإحصائي للبيانات.

Panel studies: **دراسات الجزء**: دراسات تستخدم العينة نفسها والأساليب ذاتها أكثر من مرة واحدة (دراسات طولية).

Paradigm: **إطار مفهومي أو أنموذج إرشادي**: الافتراضات الأساسية والنظرة الشاملة التي يشترك فيها العلماء في ميدانهم.

Parameters: **معايير**: سمات المجتمع، ويرمز إليها بحروف يونانية (معادلة للإحصاءات).

Partial correlation: **تعالق جزئي**: نوع من التعالق يحسب بافتراض أن جميع المتغيرات الأخرى تبقى ثابتة.

Participant observation:	الملاحظة بالمشاركة: نوع من الملاحظة يصبح فيها الباحث (الملاحظ) جزءًا من المجموعة، أو جزءًا من السياق الذي يراقبه.
PAR (Participatory Action Research):	بحث عملي تشاركي: يشترك فيه أفراد من المجتمع.
Path analysis:	الانحدار المتعدد: طريقة إحصائية تستخدم الانحدار المتعدد لدراسة العلاقات السببية في النماذج المتكررة.
Percentile:	مئين (مقياس النسبة المئوية): مقياس للتشتت.
Personal interviews:	مقابلات شخصية: مقابلات شخصية بين المقابل والمبحوث وجهًا لوجه.
Phenomenology:	الظاهراتية: مذهب يتعلق بكيفية فهم الناس للعالم من حولهم، وكيفية بناء عالمهم اليومي.
Phi:	فاي: قياس للاقتران (Q) للبيانات النوعية وجداول 2×2.
Physical traces:	آثار مادية: منتوجات الجهد البشري كالامحاء والنمو تدرس لمعرفة بعض جوانب من كان سببًا في وجودها.
Pictograms:	صور بيانية: نوع من العرض البياني للبيانات باستخدام الصور، مثل صور قطع العملة أو الناس أو الحيوانات أو السيارات.
Pie graph:	المخطط الدائري: تمثيل بياني للبيانات على شكل مخطط دائري مقسم إلى أجزاء يمثل كل واحد منها القيمة المحسوبة لمتغير معين.
Pilot study:	دراسة استطلاعية: نسخة كاملة عن الدراسة تطبق على جزء من العينة.
Placebo effect:	تأثير غفل (تأثير وهمي): الأثر الذي يعتقد أنه نتج من مثير لا قدرة له على حوادث هذا الأثر.
Plagiarism:	السرقة العلمية: استعمال أعمال الآخرين في البحث من دون توثيقها.

Positivism: **الوضعية**: مدرسة فكرية طوّرها أوغست كونت (Auguste Comte) ترى الواقع وكأنه مجموع الانطباعات الحسية، وتستخدم المنطق الاستنباطي وطرائق البحث الكمية، وتفترض أن الحياة تحكمها قوانين طبيعية ينبغي للعلم الاجتماعي أن يكتشفها ويوثقها.

Positivist research: **البحث الوضعي**: نوع من البحث يركز على التراكم وتحليل الوقائع باعتبارها طريقة للتفسير.

Postmodernism: **مابعد الحداثة**: إطار مفهومي أو أنموذج إرشادي يرفض مبادئ الحداثة ومعاييرها كلها. وفي مفهومه المتطرف، يرفض وجود الحقائق المطلقة أو المعرفة المطلقة وقدرة العلم على تفسير الظواهر الاجتماعية. أما المعتدلون من هذه المدرسة فهم يقبلون طرائق البحث الاجتماعي المقننة بشيء من التردد.

Predictor variable: **المتغير المتنبئ**: اسم آخر للمتغير المستقل.

Predictive Validity: **الصدق التنبؤي**: جودة الإجراء أو القياس المستعمل للتنبؤ بنتائج الآخر.

Pre-test: **الاختبار القبلي**: اختبار قصير يُجرى قبل إجراء الدراسة، ويهدف إلى قياس مدى مواءمة عنصر أو أكثر من عناصر الدراسة الرئيسة.

Priestly sociology: **علم الاجتماع الإكليروسي**: علم اجتماع يعمل على الحالة الراهنة لنظام قائم ومن أجل هذا النظام.

Probe: **سَبْر**: سؤال يتبع سؤالًا رئيسًا يهدف إلى تشجيع المبحوث على تقديم المزيد من التوضيح والتوسيع لإجابة سابقة بغرض تحسين المعلومات التي جمعت سابقًا.

Product-moment correlation: **تعالق الجداء - العزم (أو ارتباط بيرسون)**: نوع من التعالق يقيس العلاقة بين متغيرات على المستوى الفتري.

Prophetic sociology: **علم الاجتماع النبوي**: علم اجتماع نقدي في تناول الوضع القائم، يهتم باكتشاف عيوب النظام ويهدف إلى تنوير المجتمع وتحقيق مجتمع أكثر إنسانية.

Proportional stratification:	التصنيف الطبقي المتلائم: يستخدم في اختيار العينة الطبقية ويتعلق بتحديد حجم العينات الفرعية لتمثل نسبيًا حجم الطبقات الملائمة في المجتمع.
Propositions:	افتراضات: عدد من المفاهيم المترابطة منطقيًا بدرجة من الانتظام.
Purposive sample:	العينة الهادفة: عينة غير احتمالية يختار المبحوثون فيها وفقًا لقرار الباحث في شأن مواءمتهم البحث، وتسمى العينة المنتقاة.
Pygmalion effect:	تأثير بيغماليون: الأثر الذي تسببه ميول المبحوثين للتكيف مع البنى والأحوال التي عرفها الباحث سابقًا.
Qualitative methods:	الطرائق النوعية: طرائق للبحث الاجتماعي ترتكز على مبادئ نظرية ومنهجية تفسيرية كما الحال في النماذج الإرشادية التفاعلية الرمزية والتأويلية وطرائق فهم الناس العالم من حولهم.
Quantification:	التكميم: عملية تحويل البيانات النوعية إلى أرقام.
Quantitative methods:	الطرائق الكمية: الطرائق التي تستخدم مبادئ وأساليب منهجية ونظرية بما فيها الإحصاء.
Quota sampling:	اختيار العينة من طريق الحصص: يختارها المقابلون كما قررها تصميم البحث.
Random sampling:	الاختيار العشوائي للعينة: نوع من أنواع اختيار العينة باستخدام نظرية الاحتمالات أساسًا لاختيار المبحوثين.
Randomisation:	العشوائية: عملية اختيار أفراد العينة للمجموعتين الضابطة والتجريبية عشوائيًا.
Range:	المدى: مقياس للتشتت يصف المسافة بين القيمة الدنيا والقيمة العليا في التوزيع.
Rating scale:	مقياس التقدير: مقياس ترتيبي يحدد المبحوثون بموجبه قيمًا لموضوع بحث وفقًا لفئات محددة من الإجابات.

Ratio-level measurement: **القياس على المستوى النسبي**: ويشبه القياس الفتري، لكن القيمة الدنيا فيه هي الصفر الحقيقي.

Reactivity: **ردة الفعل**: أي تغير في سلوك المشاركين في البحث ناتج من عملية القياس.

Reductionism: **الاختزالية**: الميل إلى قَصْر تفسير الظواهر على أسباب منفردة، أي تفسير سلوك المجموعة بالإشارة إلى سمات شخصية فردية.

Regression analysis: **تحليل الانحدار**: طريقة لدراسة العلاقة بين المتغيرات، خصوصًا المدى الذي يكون فيه متغير تابع دالة لمتغير مستقل واحد أو أكثر.

Regression curve: **منحنى الانحدار**: التمثيل البياني لمعادلة الانحدار.

Reliability: **الثبات أو الموثوقية**: قدرة الأداة على إنتاج نتائج موثوق بها. وتقيس الموثوقية الموضوعية والدقة والالتزام.

Reliability tests: **اختبارات الموثوقية**: اختبارات مصممة لقياس الموثوقية (مثال: إعادة الاختبار، الاختبار النصفي، الاختبارات المتوازية).

Replication: **التكرار أو إعادة التطبيق**: إحدى خواص الدراسة التي تسمح بإعادة تطبيق البحث والتأكد من صدقه ومقارنته مع غيره.

Representative reliability: **الموثوقية الممثلة**: الموثوقية عبر المجموعات.

Representativeness: **التمثيل**: قدرة العينة على تمثيل جميع العناصر ذات الصلة في المجتمع ولذلك تكون ممثلة لمجتمع الدراسة.

Research ethics: **أخلاقيات البحث**: مجموعة من المعايير والمبادئ تحدد ما هو صحيح وما الخطأ وما هو مقبول أو غير مقبول في عملية إجراء البحوث.

Residual category: **الفئة المتبقية**: فئة الاستجابة من بين مجموعة من الاستجابات التي تهدف إلى تغطية الإجابات كلّها غير المحددة التي يمكن أن يشار إليها بـ «غير ذلك»؛ وهي أيضًا، مجموعة التأثيرات التي لا يمكن تحديدها أو التحكم بها.

Response rate:	**معدل الاستجابة**: معدل المستجيبين لدراسة مسحية. ويحسب بتقسيم عدد المشاركين في الدراسة على عدد المشمولين في مجتمع الدراسة المستهدف.
Retest:	**إعادة الاختبار**: اختبار للثبات يرتكز على اختبار المبحوثين باستخدام الطريقة نفسها المستخدمة في الدراسة الأصلية.
Rho:	**رو**: معامل ارتباط سبيرمان.
Rotation:	**دورة**: أسلوب لتدوير العوامل في التحليل العاملي لتحديد مصفوفة تحميل العوامل.
Sample:	**عينة**: مجموعة من الوحدات تختار لإجراء دراسة عليها.
Sampling:	**اختيار العينة**: عملية اختيار أفراد العينة.
Sampling frame:	**مجتمع الدراسة**: قائمة بجميع أعضاء المجتمع المستهدف الذي تختار منه العينة.
SAS (Statistical Analysis System):	**ساس**: حزمة إحصائية حاسوبية للعلوم الاجتماعية.
Saturation study:	**الدراسة الشاملة**: دراسة تشتمل على جميع أعضاء المجتمع المستهدف.
Scaling:	**بناء المقاييس**: عملية بناء المقاييس المستخدمة لقياس سمات وآراء.
Secondary analysis:	**التحليل الثانوي**: تحليل لبيانات جمعت سابقًا في دراسة أخرى.
Self-destroying prophesy:	**تنبؤ مكشوف**: تنبؤ لم يتحقق لأنه أصبح معروفًا.
Self-fulfilling prophesy:	**تنبؤ محقِّق لذاته**: التنبؤ الذي تحقق لأنه عرف.
Semantic differential:	**الدلالة التفاضلية**: طريقة قياس تستخدم أزواجًا مقننة من المفاهيم تدل على نهايات مُتَّصِلة من سبع نقاط يتوقع من المبحوثين أن يحددوا إجاباتهم عليها.

Semi-standardised interviews:	**مقابلات شبه مقننة:** مقابلات تكون أسئلتها شبه مقننة.
Semi-structured interviews:	**مقابلات شبه مبنيّة أو شبه مقيدة:** مقابلات بشكل معين، لكن بدرجة نسبية من الحرية في تكوين الأسئلة وتحديد ترتيبها وعرضها.
Semiotics:	**السيميائية:** دراسة العلامات، وتهدف إلى اكتشاف المعاني الرئيسة أو الأعمق للظواهر الاجتماعية، وتركز على بناء المعاني.
Sensualism:	**الاعتماد على الحواس:** فكرة الاعتماد على الحواس باعتبارها مصدرًا صحيحًا وحيدًا لكسب المعرفة.
Significance:	**الدلالة أو الأهمية:** معيار يتعلق بصدق البيانات.
Simple random sampling:	**اختيار عشوائي بسيط:** طريقة لاختيار العينة باستخدام الاحتمالات في اختيار الوحدات.
Snowball sampling:	**عينة كرة الثلج:** طريقة لاختيار العينة يُختار فيها الأفراد بناء على معلومات قدمها المبحوثون الذين تمت دراستهم.
Social distance scale:	**مقياس المسافة الاجتماعية:** مقياس بوغاردس.
Sociogram:	**سوسيوغرام:** رسم بياني يمثل بيانات اجتماعية مترية.
Sociomatrix:	**مصفوفة اجتماعية:** عرض بياني في جداول للبيانات الاجتماعية المترية.
Sociometry:	**قياس العلاقات الاجتماعية:** طريقة لدراسة التفضيلات الاجتماعية بين أفراد مجموعة، طوّره مورينو Moreno
Soft interviews:	**المقابلة الناعمة:** نوع من المقابلات لا يمارس الباحث فيها أي تحكم أو ضغط على المبحوث، بل يقدم إليه التوجيه والمساعدة في عملية الإجابة عن الأسئلة.
Spearman's rho:	**معامل ارتباط سبيرمان.**
'Spida':	**سبيدا:** برنامج إحصائي حاسوبي لبيانات البحث.

Split-half method:	**الطريقة النصفية:** طريقة لقياس الموثوقية بقسمة البيانات قسمين متساويين ومقارنة معامل الارتباط لكل نصف بالآخر.
SPSS (Statistical Programs for Social Scientists):	**إس بي إس إس:** الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية باستخدام الحاسوب.
Spurious correlation:	**التعالق الزائف:** ارتباط لا يتحقق عندما تتغير الأحوال أو عند إدخال متغير جديد.
Stability reliability:	**موثوقية الاستقرار:** الموثوقية عبر الزمن.
Stakeholders:	**أصحاب المصالح:** في البحث ومخرجاته.
Standard deviation:	**الانحراف المعياري:** الجذر التربيعي للتباين.
Standardised interview:	**مقابلة مقننة:** شكل من أشكال المقابلات باستخدام محتوى معين وإجراءات محددة للتأكد من اتباع إجراء موحد في التعامل مع المبحوثين وجمع البيانات.
'Statease':	**ستاتيز:** برنامج إحصائي حاسوبي لتحليل البيانات للاستخدام في حاسوب Apple.
'Statfast':	**ستاتفاست:** برنامج إحصائي حاسوبي للاستخدام في حواسيب ماكنتوش.
'Statflow':	**ستاتفلو:** برنامج إحصائي حاسوبي لتحليل البيانات.
Statistics:	**إحصاء:** عرض القيم لعيّنة باستخدام الحروف الإنكليزية (عكس parameters = معايير).
'Statpak':	**ستاتباك:** حزمة إحصائية حاسوبية لتحليل بيانات البحوث.
'Statpro':	**ستاتبرو:** حزمة إحصائية حاسوبية لتحليل بيانات البحوث.
'Statworks':	**ستاتوركس:** حزمة إحصائية حاسوبية لتحليل بيانات البحوث.

Stratified sampling:	**العينة الطبقية:** طريقة لاختيار العينة بتقسيم المجتمع طبقات، حيث يؤخذ أفراد العينة من كل طبقة.
Substantive theory:	**نظرية أولية:** تُطوّر كبداية لنظرية رسمية تستخدم في النظرية المؤسَّسة.
Survey:	**مسح:** طريقة لجمع البيانات باستخدام الأسئلة الشفوية المقيدة والمنتظمة أو الأسئلة المكتوبة في استبيانات.
Summative evaluation:	**التقويم الختامي:** نوع من التقويم يستخدم لتقويم مخرجات برنامج مكتمل.
System of coordinates:	**نظام الإحداثيات:** رسم بياني ذو بعدين لعرض بيانات البحث.
t-test:	**اختبار «تي»:** اختبار بارامتري/ في نطاق حصري لقياس الدلالة بمقارنة متوسطي عينتين.
Target population:	**المجتمع المستهدف:** جزء من المجتمع العام الذي تجمع له البيانات.
Taxonomy:	**تصنيف:** تصنيف منتظم للوحدات في مجموعات أو فئات.
Teleology:	**الغائية:** الافتراض النظري بأن السلوك والظواهر الاجتماعية تفسر بأهدافها وغاياتها.
Telephone interview:	**مقابلة هاتفية:** مقابلات تُجرى هاتفيًا.
Test of significance:	**اختبار الدلالة:** طريقة لاختبار احتمال مقاييس إحصائية تعكس سمات المجتمع الذي اختيرت منه العينة.
Theory:	**نظرية:** مجموعة من الافتراضات المترابطة تصف وتفسر ظواهر اجتماعية.
Thick descriptions:	**أوصاف كثيفة:** أوصاف دقيقة معمقة للسياقات والأشخاص والتفاعلات وهي أوصاف دقيقة وعميقة وواضحة تقرب القارئ من الواقع الذي يعيشه المبحوثون وتُستخدم كثيرًا في البحث النوعي.
Thurstone scale:	**مقياس ثيرستون:** لقياس الاتجاهات والآراء طوّره ثيرستون.

Trend studies:	دراسات الاتجاهات: دراسات طولية لدراسة مسألة معينة عبر الزمن باستعمال عينات مختلفة في كل مرحلة من مراحل البحث.
Triangulation:	التثليث المنهجي: استخدام أكثر من منهجية أو طريقة أو عينة أو وقت و/ أو باحث في سياق الدراسة نفسها.
True zero:	الصفر الحقيقي: يدل الصفر الحقيقي على غياب المعايير أو القيم المعنية تمامًا. فعندما يكون الدخل صفرًا يعني لا يوجد دخل، وعندما يكون عدد الأطفال صفرًا يعني لا يوجد أطفال. الدخل صفر يعني لا دخل (قارن هذا بالصفر العشوائي).
Unobtrusive methods:	طرائق غير متطفّلة: طرائق لجمع البيانات من دون معرفة المبحوث.
Validity:	الصدق: إحدى خواص أداة من أدوات البحث تقيس مواءمتها ودقتها وإتقانها.
Value-free:	الحيادية: موقف بحثي يتجنب فيه الباحث استخدام القيم في أعماله.
Variable:	متغير: مفهوم تجريبي يتخذ أكثر من قيمة.
Variance:	التباين: مقياس للتشتت، معدل المسافة بين الدرجات في التوزيع والمتوسط.
Verification:	التحقق: التحقق من صحة الفرضيات.

المراجع

Books

Abercrombie, N., S. Hill and B. Turner. *The Penguin Dictionary of Sociology*. Harmondsworth, UK: Penguin, 1988.

Althoff, M., M. Bereswill and B. Riegraf. *Feministische Methodologien und Methoden. Tradition, Konzepte und Erörterungen*. Opladen: Leske & Burdich, 2001.

Arbeitsgruppe Bielefelder Soziologen (eds.). *Alltagswissen, Interaktion und gesellschaftliche Wirklichkeit*. Reinbek bei Hamburg: Rowohlt, 1973.

Argyrous, G. *Statistics for Social Research*. Melbourne: Macmillan, 1996.

Assiter, A. *Enlightened Women: Modernist Feminism in a Postmodern Age*. London: Routledge, 1996.

Atkinson, J. M. and J. Heritage. *Structure of Social Action: Studies in Conversational Analysis*. Cambridge: Cambridge University Press, 1984.

Aufenanger, S. and M. Lenssen (eds.). *Handlung und Sinnstruktur: Bedeutung und Anwendung der objektiven Hermeneutik*. Munich: Kindt, 1986.

Babbie, E. *The Practice of Social Research*. Belmont, Calif.: Wadsworth, 1995.

Bailey, C. A. *A Guide to Field Research*. London: Pine Forge, 1996.

Bailey, K. D. *Methods of Social Research*. New York: Free Press, 1982.

Baudrillard, J. *Simulations*. New York: Semiotext, 1983.

Bauer, W. *Qualitative Forschung mit Gastarbeitern*. Weimar: Ganz Verlag, 1994.

Becker, B. *Grundlagen soziologischer Methodologie*. Frankfurt: Selbstverlag, 1989.

Benini, A. *Construction of Knowledge*. Rome: Gnome, 2000.

Berg, B. L. *Qualitative Research Methods for Social Sciences*. Boston and London: Allyn and Bacon, 1995.

Berger, H., H. F. Wolf and E. Ullmann (eds.). *Handbuch der Sozialistischen Forschung: Methodologie, Methoden, Technicken*. Berlin: Akademie Verlag, 1989.

Bergmann, B. *Sozialtheorie und Soziologie*. Stuttgart: Selbstverlag, 1991.

Blaikie, N. *Approaches to Social Inquiry*. Cambridge: Polity, 1993.

______. *Designing Social Research*. Cambridge: Polity, 2000.

Bleier, R. (ed.). *Feminist Approaches to Science*. New York: Pergamon, 1986.

Blumer, H. *Critiques of Research in the Social Sciences*. New Brunswick, N.J.: Transaction, 1979.

______. *Symbolic Interactionism: Perspectives and Method.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1969.

Bogdan, R. C. and S. K. Bilken. *Qualitative Research for Education: An Introduction to Theory and Methods.* Boston, Mass.: Allyn and Bacon, 1992.

Bohnsack, R. *Rekonstruktive Sozialforschung: Einführung in Methodologie und Praxis.* Opladen: Leske and Budrich, 1999.

______. *Rekonstructive Sozialforschung: Einfürung in Methodologie und Praxis Qualitativer Forschung.* Opladen: Leske and Budrich, 1993.

Bouma, G. D. *The Research Process.* 4th ed. New York: Oxford University Press, 2000.

Bowles, G. and R. Diilli-Klein (eds.). *Theories of Women's Studies.* Boston: Routledge and Kegan Paul, 1983.

Bradburn, N. M. and S. Sudman. *Polls and Surveys: Understanding What They Tell Us.* San Francisco: Jossey-Bass, 1988.

Bromley, D. B. *The Case-Study Method in Psychology and Related Disciplines.* New York: Wiley, 1986.

Brown, R. H. *Writing the Social Text: Poetics and Politics in Social Science Discourse.* New York: Allyn and Bacon, 1992.

Bryman, A. *Quantity and Quality in Social Research.* London: Unwin Hyman. 1988.

______. and R. G. Burgess (eds.). *Analyzing Qualitative Data.* London: Routledge, 1994.

Burgess, R. G. *In the Field: An Introduction to Field Research.* London: Allen & Unwin, 1984.

______. *Field Research: A Sourcebook and Field Manual.* London: Alien & Unwin, 1982.

Burns, R. B. *Introduction to Social Research in Education.* Melbourne: Longman Cheshire, 1990.

Butler, J. *Gender Trouble: Feminism and the Subversion of Identity.* New York and London: Routledge, 1990.

Cassell, C. and G. Symon (eds.). *Qualitative Methods in Organisational Research.* London: Sage, 1995.

Chelimsky, E. and W. R. Shadish (eds.). *Evaluation for the Twenty-first Century: A Handbook.* Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1997.

Cicourel, A. *Methode und Messung in der Soziologie.* Frankfurt am Main: Shurkamp, 1974.

Clarke, A. *Evaluation Research: An Introduction to Principles, Methods and Practice.* London: Sage, 1999.

Code, L. *What Can She Know? Feminist Theory and the Construction of Knowledge.* Ithaca: Cornell University Press, 1991.

Coffey, A. and P. Atkinson, *Making Sense of Qualitative Data: Complementary Research Strategies.* Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1996.

Converse, J. M. and S. Presser. *Survey Questions: Handcrafting the Standardized Questionnaire.* Beverly Hills, Calif.: Sage, 1996.

Cooper, H. M. *Synthesizing Research: A Guide for Literature Reviews.* London: Sage, 1998.

Cook, T. and C. S. Reinhardt (eds.). *Qualitative and Quantitative Methods in Evaluation Research.* Beverley Hills, Calif.: Sage, 1979.

______. [et al.]. *Meta-Analysis for Explanation: A Casebook.* New York: Russell Sage Foundation. 1992.

Crabtree, B. F. and W. L. Miller (eds.). *Doing Qualitative Research.* Newbury Park, Calif.: Sage, 1992.

Crawford, H. J. and I. B. Christensen. *Developing Research Skills: A Laboratory Manual.* Boston: Allyn and Bacon, 1995.

Crotty, M. *Foundations of Social Research: Meaning and Perspective in the Research Process.* Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1998.

CSWS (Committee on the Status of Women in Society). *The Treatment of Gender in Research.* Washington D.C.: American Sociological Association, 1986.

Denzin, N. K. *Images of Postmodern Society.* London: Sage, 1991.

______. *The Research Act: A Theoretical Introduction to Sociological Methods.* 3rd ed. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1989.

Denzin, N. K. and Y. S. Lincoln (eds.). *Handbook of Qualitative Research.* 2nd ed. Thousand Oaks. Calif.: Sage, 1994.

______ and ______. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1994.

Dieckmann, A. *Empirische Sozialforschung.* Reinbek bei Hamburg: Rohwolt, 1995.

Dimas, K. *Research, Hermeneutics and Theory* [in Greek]. Leipzig: Selbstverlag, 2003.

Drew, C. J. M. L. Hardman and A. W. Hart. *Designing and Conducting Research Inquiry in Education and Social Science.* London: Allyn and Bacon, 1996.

Duran, J. *Towards a Feminist Epistemology.* Lanham, Md.: Rowan & Littlefield, 1995.

Edwards, A. A. *Techniques of Attitude Scale Constructions.* New York: Appleton- Century-Crofts, 1957.

Eichler, M. *Non-Sexist Research Methods: A Practical Guide.* Boston: Allen & Unwin, 1988.

______. [et al.]. *A Selected Annotated Bibliography on Sexism in Research.* Ottawa: Social Sciences and Humanities Research Council of Canada, 1985.

Ellis, L. *Research Methods in the Social Sciences.* Oxford: Brown and Benchmark, 1994.

______. (ed.). *Social Stratification and Socioeconomic Inequality: A Comparative Biosocial Analysis.* New York: Präger, 1993.

______ and M. Flaherty (eds.). *Investigating Subjectivity.* Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1992.

Eisner, W. and A. Peshkin (eds.). *Qualitative Inquiry in Education: The Continuing*

Debate. New York: Teachers College Press, 1990.

Farber, W. *kunstlehre der Erklärung.* Graz: Selbstverlag, 2001.

Fay, B. *Critical Social Science: Liberation and its Limits.* Ithaca, N.Y.: Cornell University Press, 1987.

______. *Social Theory and Political Praxis.* London: Allen & Unwin, 1980.

Fielding, N. G. and R. M. Lee. *Computer Analysis and Qualitative Research.* London: Sage, 1998.

Feyerabend, B. K. *Enkenntnis für freie Menschen.* Frankfurt: Suhrkamp, 1981.

______. *Irrwege der Vernunft.* Frankfurt: Suhrkamp, 1989.

______. *Wider den Methodenzwang*. Frankfurt: Suhrkamp, 1976.

Fisher, M. *Qualitative Computing: Using Software for Qualitative Data Analysis*. Aldershot: Avebury, 1997.

Flick, U. *An Introduction to Qualitative Research*. London: Sage, 1998.

Flick, U., E. von Kardorff and I. Steinke (eds.). *Qualitative Forschung: Ein Handbuch*. Reinbek bei Hamburg: Rowohlt, 2000.

Flick, U. [et al.] (eds.). *Handbuch Qualitative Sozialforschung*. Munich: Psychologie Verlags Union, 1991.

Foddy, W. H. *Constructing Questions for Interviews and Questionnaires: Theory and Practice in Social Research*. Melbourne: Cambridge University Press, 1993.

______. *Elementary Applied Statistics for Social Sciences*. Sydney: Harper and Row, 1988.

Friedrichs, J. *23. Soziologentag 1986: Sektions-und Ad-hoc Gruppen*. Opladen: Westdeutscher Verlag, 1987.

Fuchs, W. *Biographische Forschung: Eine Einführung in Praxis und Methoden*. Opladen: Westdeutscher Verlag, 1984.

Gadamer, H.-G. *Wahrheit und Methode, Grundzüge einer philosophischen Hermeneutik*. Tübingen: Mohr, 1975.

Garfinkel, H. *Studies in Ethnomethodology*. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1967.

Gerdes, K. (ed.). *Explorative Sozialforschung*. Stuttgart: Enke, 1979.

Gergen, K. J. *An Invitation to Social Construction*. London: Sage, 1999.

______. *Realities and Relationships: Soundings in Social Construction*. Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1994.

Glaser, B. G. *Emergence vs. Forcing: Basics of Grounded Theory Analysis*. Mill Valley, Calif.: Sociology Press, 1992.

______ and A. L. Strauss. *The Discovery of Grounded Theory: Strategies for Qualitative Research*. Chicago: Aldine, 1967.

Guba, E. G. *The Paradigm Dialog*. Newbury Park, Calif.: Sage, 1990.

______ and Y. S. Lincoln. *Fourth Generation Evaluation*. Newbury Park, Calif.: Sage, 1989.

Gubrium, J. F. and J. A. Holstein. *The New Language of Qualitative Method*. Oxford: Oxford University Press, 1997.

Haack, S. *Evidence and Inquiry: Towards Reconstruction in Epistemology*. Cambridge: Blackwell, 1995.

Hagan, J. and K. S. Cook (eds.). *Annual Review of Sociology*. Palo Alto, Calif.: Annual Reviews, 1996.

Hammersley, M. *Reading Ethnographic Research: A Critical Guide*. London: Longman, 1991.

______. (ed.). *Social Research: Philosophy, Politics and Practice*. London: Sage, 1993.

______. *What is Wrong with Ethnography?* London: Routledge, 1992.

______ and P. Atkinson. *Ethnography: Principles in Practice*. 2nd ed. London: Routledge, 1995.

Harding, S. *The Science Question in Feminism*. Ithaca, N.Y.: Cornell University Press, 1986.

_____. *Whose Science? Whose Knowledge? Thinking from Women's Lives*. Ithaca: Cornell University Press, 1991.

_____ and J. F. O'Barr (eds.). *Sex and Scientific Inquiry*. Chicago, Ill.: University of Chicago Press, 1987.

Harvey, L. *Critical Social Research*. London: Unwin Hyman, 1990.

Heinze, T. *Qualitative Sozialforschung: Erfahrungen, Probleme und Perspektiven*. Opladen: Westdeutscher Verlag, 1987.

Hermans, H., C. Tkocz and H. Winkler (eds.). *Berufsverlauf von Ingenieuren: biographieanalytische Auswertung narrativer Interviews*. Frankfurt am Main: CampusVerlag, 1984.

Hitzler, R. and A. Honer. *Sozialwissenschaftliche Hermeneutic*. Opladen: Leske and Budrich, 1997.

Hitzler, R., J. Reichertz and N. Schroer (eds.). *Hermeneutische Wissenssoziologie*. Konstanz: UVK, 1999.

House, E. R. *Professional Evaluation*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1993.

Hunter, J. E. *Methods of Meta-Analysis: Correcting Error and Bias in Research*. Newbury Park, Calif.: Sage, 1990.

Husserl, E. *Gesammelte Werke*. The Hague: Martinus Nijhoff, 1950.

Hügli, A. and P. Lübcke. *Philosophielexikon*. Hamburg: Rohwolt, 1997.

Jensen, K. B. and N. W. Jankowski (eds.). *A Handbook of Qualitative Methodologies for Mass Communication Research*. London: Routledge, 1991.

Judd, C. K., E. L. Smith and L. H. Kidder (eds.). *Research Methods in Social Relations*. New York: Harcourt, Brace, Jovanovich, 1991.

Jüttemann, H. (ed.). *Qualitative Forschung in der Psychologie: Grundfragen, Verfahrensweisen, Anwendungsfelder*. Weinheim: Beltz, 1985.

Keeves, J. P. (ed.). *Educational Research, Methodology, and Measurement: An International Handbook*. Oxford: Elsevier, 1997.

Kellehear, A. *The Unobtrusive Researcher: A Guide to Methods*. Sydney: Allen & Unwin, 1993.

Keller, E. F. *Reflections on Gender and Science*. New Haven, Conn.: Yale University Press, 1985.

Kimmel, A. J. *Ethics and Values in Applied Social Research*. Newbury Park, Calif.: Sage, 1988.

Kleining, G. *Das rezeptive Interview*. Bielefeld: University of Bielefeld, 1988.

Kohli, M. and G. Robert (eds.). *Biographie und soziale Wirklichkeit: Neue Beiträge und Forschungsperspektiven*. Stuttgart: Metzler, 1984.

Konegen, N. and K. Sondergeld. *Wissenschaftstheorie für Sozialwissenschaftler*. Opladen: Leske und Blidrich, 1985.

Krämer, H. C. and S. Thieman. *How Many Subjects? Statistical Power Analysis in Research*. London: Sage, 1987.

Kromrey, H. *Empirische Sozialforschung*. Opladen: Fernuniversität, 1986.

Küchler, M., T. P. Wilson and D. H. Zimmerman (eds.). *Integration von Qualitativen und Quantitativen Forschungsansätzen*. Manheim: ZUMA-Arbeitsbericht, 1981.

Kuhn, T. *The Structure of Scientific Revolutions.* Chicago: University of Chicago Press, 1970.

Laatz, W. *Empirische Methoden.* Frankfurt am Main: Harri Deutsch, 1993.

Lamnek, S. *Qualitative Sozialforschung.* Weinheim: Psychologie Verlags Union, 1995.

Band 1: *Methodologie.*

Band 2: *Methoden und Techniken.*

Lancy, D. E. *Qualitative Research in Education: An Introduction to the Major Traditions.* New York: Longman, 1993.

Lash, S. and J. Friedman (eds.). *Modernity and Identity.* Oxford: Blackwell, 1992.

Lather, P. *Getting Smart: Feminist Research and Pedagogy with/in the Postmodern.* New York: Routledge, 1991.

LeCompte, M. D., W. L. Millroy and J. Preissle (eds.).*The Handbook of Qualitative Research in Education.* San Diego: Academic Press, 1992.

Lee, R. M. *Unobtrusive Measures in Social Research.* Buckingham: Open University Press, 2000.

Lehrer, K. *Knowledge.* Oxford: Clarendon, 1974.

Lincoln, Y. S. and E. G. Guba. *Naturalistic Inquiry.* Beverley Hills, Calif.: Sage, 1985.

Lofland, J. and L. Lofland. *Analyzing Social Settings: A Guide to Qualitative Observation and Analysis.* 2nd ed. Belmont, N.J.: Transaction, 1994.

Longino, H. E. *Science as Social Knowledge.* Princeton: Princeton University Press, 1990.

Lueger, M. *Grundlagen Qualitativer Feldforschung.* WUV-Universitätsverlag Wien, 2000.

Luhmann, N. *Die Gesellschaft der Gesellschaft.* Frankfurt am Main: Shurkamp, 1997.

Lyotard, J. F. *The Postmodern Condition: A Report on Knowledge.* Manchester: Manchester University Press, 1984.

Machamer, P. and M. Silberstein (eds.). *The Blackwell Guide to the Philosophy of Science.* Oxford: Blackwell, 2002.

McQuarrie, E. F. *The Market Research Toolbox: A Concise Guide for Beginners.* Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1996.

Madron, T. W., C. N. Tate and R. G. Brookshire. *Using Microcomputers in Research.* Beverley Hills, Calif.: Sage, 1987.

Mahr, W. *Politische Struktur der Sozialforschung.* Leipzig: Selbstverlag, 1995.

Maindok, H. *Professionelle Interviewführung in der Sozialforschung.* Pfaffenweiler: Centaurus Verlagsgesellschaft, 1996.

Mariner, J. *Anwendung von Gruppendiscussion in Soziologie.* Munich: Blasaditch, 1986.

Martin, K. *Methodologisches Denken.* Hamburg: Selbstverlag, 1988.

May, T. *Social Research: Issues, Methods and Process.* Buckingham, UK: Open University Press, 2001.

______ and M. Williams (eds.). *Knowing the Social World.* Buckingham: Open University Press, 1998.

Maynard, M. and J. Purvis (eds.). *Researching Women's Lives from a Feminist Perspective.* London: Taylor and Francis, 1994.

Mayring, P. *Grundlagen und Techniken Qualitativer Inhaltsanalyze.* Munich: University of Munich, 1983.

______. *Qualitative Inhaltsanalyse: Grundlagen und Techniken.* Munich: Dt Studien Verlag, 1988.

McNiff, J. *Action Research: Principles and Practice.* London: Routledge, 1992.

Merten, K. *Inhaltsanalyse: Einführung in Theorie, Methode und Praxis.* Opladen: Westdeutscher Verlag, 1983.

Miles, M. B. and A. M. Huberman. *Qualitative Data Analysis: An Expanded Sourcebook.* Beverley Hills, Calif.: Sage, 1994.

Miller, R. L. [et al.]. *SPSS for Social Scientists: Versions 9, 10 and 11.* Houndmills, UK: Palgrave Macmillan, 2002.

Mills, C. W. *The Sociological Imagination.* London: Oxford University Press, 1959.

Minichiello, V. [et al.]. *In-Depth Interviewing: Researching People.* Melbourne: Longman Cheshire, 1990.

Morawski, J. G. (ed.). *The Rise of Experimentation in American Psychology.* New York: Yale University Press, 1988.

Morgan, D. L. *Focus Groups as Qualitative Research.* Newbury Park, Calif.: Sage, 1997.

Mucchielli, R. *Das Gruppeninterview: Theoretische Einführung.* Salzburg: Müller, 1973.

Murray, M. J. and H. Hay-Roe. *Engineered Writing: A Manual for Scientific, Technical and Business Writers.* Tulsa, Okla.: PennWell, 1986.

Nelson, L. H. *Who Knows: From Quine to Feminist Empiricism.* Philadelphia: Temple University Press, 1990.

Nicholson, L. (ed.). *Feminism/Postmodernism.* New York: Routledge, 1990.

Nielsen, J. M. (ed.). *Feminist Research Methods: Exemplary Readings in the Social Sciences.* London: Westview, 1990.

Oja, S. and L. Smulyan. *Collaborative Action Research: A Developmental Approach.* London: Falmer, 1989.

Oppenheim, A. N. *Questionnaire Design, Interviewing and Attitude Measurement.* London: Pinter, 1992.

Orr, L. L. *Social Experiments: Evaluating Public Programs with Experimental Methods.* Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1999.

Pannas, N. *Politiki kai Koini Gnomi* [Politics and Public Opinion]. Leipzig: Selbstverlag, 1996.

Pappas, G. (ed.). *Justification and Knowledge.* London: Reidel, 1979.

Parten, M. *Survey Polls and Samples.* New York: Harper and Row, 1950.

Patton, M. *Qualitative Evaluation and Research Methods.* Newbury Park, Calif.: Sage, 1990.

Patton, M. Q. *Utilisation-Focused Evaluation.* 2nd ed. Newbury Park, Calif.: Sage, 1986.

Pelz, D. C. *Use of Innovation in Innovating Processes by Local Governments.* Ann Arbor: CRUSK, Institute for Social Research, University of Michigan, 1981.

Pfeifer, L. *Sachverhalte, Konstruktion und Wirklichkeit.* Wien: Selbstverlag, 2000.

Pilcher, J. and A. Coffey (eds.). *Gender and Qualitative Research.* Aldershot, UK: Avebury, 1996.

Pollock, J. *Contemporary Theories of Knowledge*. London: Rowman and Littlefield, 1986.

Poser, H. *Wissenschaftstheorie*. Stuttgart: Reclam, 2001.

Punch, P. D. *Developing Effective Research Proposals*. London: Sage, 2000.

Puris, X. *The Complexity of Research Measure* [in Greek]. Paris: Ajax, 1995.

Ragin, C. C. *The Comparative Method*. Berkley: University of California Press, 1987.

______. *Constructing Social Research*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1994.

Rajchman, J. and C. West (eds.). *Post Analytic Philosophy*. New York: Columbia University Press, 1985.

Rassenberger, J. *Computerintegrierte Informationsverarbeitung in der empirischen Sozialforschung*. Nürnberg: Institut für Freie Berufe, 1989.

Reason, P. and H. Bradbury. *Handbook of Action Research: Participative Inquiry and Practice*. London: Sage, 2001.

Reid, S. *Working with Statistics*. Cambridge: Polity, 1987.

Reinharz, S. *Feminist Methods in Social Research*. New York: Oxford University Press, 1992.

Rescher, N. *Rationalität, Wissenschaft und Praxis*. Würzburg: Konigshousen & Neuman, 2002.

Richards, T. *NUDIST: User's Manual*. Melbourne: Replee, 1986.

Richardson, J. T. E. (ed.). *Handbook of Research Methods for Psychology and the Social Sciences*. Leicester: BPS Books, 1996.

Roberts, H. (ed.). *Doing Feminist Research*. London: Routledge and Kegan Paul, 1981.

Roth, E. (ed.). *Sozialwissenschaftliche Methoden*. Wien: R. Olenbourg Verlag, 1995.

Rodriguez, N. and A. Ryave. *Systematic Self-observation*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 2002.

Sapford, R. and V. Jupp (eds.). *Data Collection and Analysis*. London: Sage, 1996.

Rosenau, P. M. *Postmodernism and the Social Sciences*. Princeton, N.J: Princeton University Press, 1992.

Rossi, P. H. and H. E. Freeman. *Evaluation: A Systematic Approach*. 5th ed. Newbury Park, Calif.: Sage, 1993.

Sanders, J. R. (ed.). *Handbuch der Evaluation Standards, Joint Committee on Standards for Educational Evaluation*. Opladen: Leske and Budrich, 1999.

Sarantakos, S. *Cohabitation in Transition*. Sydney: Keon, 1992.

______. *Same-Sex Couples*. Sydney: Harvard Press, 2000.

Schnädelbach, H. *Erkenntnistheorie*. Hamburg: Junius, 2002.

Schütze, F. *Die Technik des narrativen Interviews* in Interaktionsfeldstudien: *Dargestellt an einem Projekt zur Erforschung von kommunalen Machtstrukturen, No. 1*. Bielefeld: University of Bielefeld, Arbeitsberichte und Forschungsmaterialien 1979.

______. *Die Technik des narrativen Interviews in Interaktionsfeldstudien: Dargestellt an einem Projekt zur Erforschung kommunalen Machtstrukturen, Arbeitsberichte und Forschungsmaterialien; No. 1*. Bielefeld: University of Bielefeld, 1977.

Seale, C. *The Quality of Qualitative Research*. London: Sage, 1999.

Selltiz, C., L. J. Wrightsman and S. W. Cook. *Research Methods in Social Relations*. New York: Holt, Rinehart and Winston, 1976.

Shaw, C. R. *The Jack Roller: A Delinquent Boy's Own Story*. Chicago: University of Chicago Press, 1930.

Shaw, *Qualitative Evaluation*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1999.

Silverman, D. *Qualitative Methodology and Sociology*. Aldershot, UK: Gower, 1985.

Silverman, D. (ed.). *Qualitative Research: Theory, Method and Practice*. London: Sage, 1997.

Smith, R. B. and P. K. Manning (eds.). *Handbook of Social Research Methods*. Cambridge, Mass.: Ballinger, 1982.

Söffner, H.-G. (ed.). *Interpretative Verfahren in der Sozialund Textwissenschaften*. Stuttgart: Metzler, 1979.

Sofos, N. *Quantitative Analyse*. Berlin: Selbstverlag, 1990.

Sproull, N. L. *Handbook of Research Methods: A Guide to Practitioners and Students in the Social Sciences*. London: Scarecrow, 1988.

Stake, R. E. *The Art of Case: Study Research*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1995.

Stanley, L. and S. Wise. *Feminist Consciousness and Feminist Research*. London: Routledge and Kegan Paul, 1983.

Steinke, I. *Kriterien Qualitativer Forschung: Ansätze zur Bewertung Qualitativ-empirischer Sozialforschung*. München: Juventa, 1999.

______. (ed.). *Qualitative Forschung: Ein Handbuch*. Reinbek bei Hamburg: Rowohlt, 2000.

Stergios, L. *Theory Construction and Social Research*. [In Greek] Athens: Selbstverlag, 1991.

Stewart, D. W. and P. N. Shamdasani. *Focus Groups: Theory and Practice*. Newbury Park, Calif.: Sage, 1990.

Strauss, A. L. *Grundlagen Qualitativer Sozialforschung: Datenanalyse und Theo riebildung in der empirischen Sozialforschung*. Munich: Wilhelm Fink Verlag, 1991.

______. *Qualitative Analysis for Social Scientists*. New York: Cambridge University Press, 1987; 1990.

______ and J. M. Corbin. *Basics of Qualitative Research: Techniques and Procedures for Developing Grounded Theory*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1998.

Strobl, R. and A. Böttger (eds.). *Wahre Geschichten? Zur Theorie und Praxis Qualitativer Interviews*. Baden-Baden: Nomos, 1996.

Taylor, S. (ed.). *Ethnographic Research: A Reader*. London: Open University Press, 2001.

Thomas, J. *Doing Critical Ethnography: Qualitative Research Methods Series, No. 26*. Newbury Park, Calif.: Sage, 1993.

Thomas, W. J. and F. Znaniecki. *The Polish Peasant in Europe and America*. New York: Octagon, 1958.

Torres, R. T., S. H. Preskill and M. E. Piontek. *Evaluation Strategies for Communicating and Reporting: Enhancing Learning and Organisations*. London: Sage, 1996.

Ulrich, D. and K. Hurrelmann (eds.). *Handbuch der Sozialisationsforschung*. Opladen: Beltz, 1980.

Usher, R., I Bryant and R. Johnston. *Adult Education and the Postmodern Challenge: Learning Beyond the Limits*. London: Routledge, 1997.

Van Mannen, J., *Tales of the Field: On Writing Ethnography*. Chicago: University of Chicago Press, 1988.

Vlahos, N. *Kolvwvlkη Epευvα* [Sociological Methodology; in Greek]. Athens: Phantom, 1984.

Voges, W. (ed.). *Methoden der Biographie- und Lebenslaufforschung*. Opladen: Leske und Buderich, 1987.

Wadsworth, Y. *Do It Yourself Social Research*. Melbourne: Victorian Council of Social Service, 1984.

______. *Everyday Evaluation of the Run*. Melbourne: Action Research Issues Association, 1991.

Wandmacher, J. *Einführung in die psychologische Methodenlehre*. Heidelberg: Spectrum Akademischer Verlag, 2002.

Wallace, R. A. and A. Wolf. *Contemporary Sociological Theory*. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1986.

Warren, C. A. D. and J. K. Hackney. Gender *Issues in Ethnography*. 2nd ed. London: Sage, 2000.

Webb, E. J. [et al.]. *Unobtrusive Measures*. Thousand Oaks, Cal.: Sage. 2000.

Weiss, C. H. *Evaluation: Methods for Studying Policies and Programs*. New York: Prentice-Hall, 1998.

Weitzman, E. A. and M. B. Miles. *Computer Programs for Qualitative Data Analysis*. Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1994.

Wetherell, M. and J. Potter. *Mapping the Language of Racism*. Hemel Hempstead: Harvester/ Wheatsheaf, 1992.

Whyte, W. F. (ed.). *Participatory Action Research*. Newbury Park, Calif.: Sage, 1991.

Winter, R. *Action-Research and the Nature of Social Inquiry: Professional Innovation and Educational Work*. Avebury: Gower, 1987.

Wolcott, H. F. *Transforming Qualitative Data: Description, Analysis, Interpretation*. Thousand Oaks. Calif.: Sage, 1994.

______. *Writing Up Qualitative Research*. Newbury Park, Calif.: Sage, 1990.

Yin, R. K. *Case Study Research: Design and Methods*. Newbury Park, Calif.: Sage, 1991.

Zedler, P. and H. Moser (eds.). *Aspekt! Qualitativer Sozialforschung. Studien zu Aktionsforschung empirischer Hermeneutik und reflexiver Sozialtechnologie*. Opladen: Leske und Budrich, 1983.

Periodicals

Anderson, G. «Critical Ethnography in Education: Current Status, and the New Directions.» *Review of Educational Research:* Vol. 59, No. 3, 1989.

Bailey, K. D. «Ethical Dilemmas in Social Research: A Theoretical Framework.» *American Sociologist:* Vol. 19, 1988.

Berk, R. A. «Publishing Evaluation Research.» *Contemporary Sociology: A Journal of Reviews:* Vol. 24, No. 1, 1995.

Brieschke, P. A. «Reparative Praxis: Rethinking the Catastrophe that is Social Science.» *Theory into Practice:* Vol. 31, No. 2, 1992.

Bryman, A. «The Debate about Quantitative and Qualitative Research: A Question of Method or Epistemology?» *British Journal of Sociology:* Vol. 35, 1984.

Bühler-Niederberger, D. «Analytische Induction als Verfahren der Qualitativen Methodologie.» *Zeitschrift für Soziologie*: Vol. 6, 1985.

Collins, E. C. «Qualitative Research as Art: Toward a Holistic Process.» *Theory into Practice:* Vol. 31, No. 2, 1992.

Contrad, P. and S. Reinharz. «Computers and Qualitative Data.» *Qualitative Sociology:* Vol. 7, 1984.

Firestone, W. A. «Alternative Arguments for Generalizing from Data as Applied to Qualitative Research.» *Educational Researcher:* Vol. 22, No. 4, 1993.

Geer, J. G. «What Do Open-ended Questions Measure?». *Public Opinion Quarterly:* Vol. 52, 1988.

Glass, G. V. «Primary, Secondary and Meta-analysis of Research.» *Educational Researchers:* Vol. 5, 1976.

Glick, P. and S. T. Fiske. «The Ambivalent Sexism Inventory: Differentiating and Hostile Benevolent Sexism.» *Journal of Personality and Social Psychology:* Vol. 70, 1996.

Greenwood, J. «Action Research and Action Researchers: Some Introductory Considerations.» *Contemporary Nurse:* Vol. 3, No. 2, 1994.

Hammersley, M. «On Feminist Methodology.» *Sociology: Journal of the British Sociological Association:* Vol. 26, No. 2, 1992.

Jacob, E. «Classifying Qualitative Research.» *Educational Researcher:* Vol. 17, 1988.

______. «Traditions of Qualitative Research: A Review.» *Review of Educational Research:* Vol. 51, 1987.

Kelle, U. and C. Erzberger: «Integration Qualitativer und Quantitativer Methoden: methodologische Modelle und ihre Bedeutung für die Forschungspraxis.» *Kölner Zeitschrift für Soziologie und Sozialpsychologie:* Vol. 51, 1999.

Kellner, D. «Postmodernism as a Social Theory: Some Problems and Challenges.» *Theory, Culture and Society:* Vol. 5, 1988.

Kleining, G. «Das qualitative Experiment.» *Kölner Zeitschrift für Soziologie und Sozialpsychologie:* Vol. 38, No. 4, 1986.

Krejcie, R. V. and D. W. Morgan. «Determining Sample Size for Research Activities.» *Educational and Psychological Measurement:* Vol. 30, 1970.

Krüger, H. «Gruppendiskussion. Überlegungen zur Rekonstruktion sozialer Wirklichkeit aus der Sicht del Betroffenen.» *Soziale Welt:* Vol. 34, 1983.

Kulik, J. A. and C. C. Kulik. «Meta-Analysis: Historical Origins and Contemporary Practice.» *Advances in Social Science Methodology:* Vol. 2, 1992.

Lather, P. «Critical Frames in Educational Research: Feminist and Post-Structural Perspectives.» *Theory into Practice:* Vol. 31, No. 2, 1992.

______. «Fertile Obsession: Validity after Post-Structuralism.» *Sociological Quarterly:* Vol. 35 (1993).

LeCompte, M. D. and J. P. Goetz. «Problems of Reliability and Validity in Ethnographic Research.» *Review of Educational Research:* Vol. 52, 1982.

Likert, R. A. «A Technique of Measurement of Attitudes.» *Archives of Psychology:* Vol. 140, 1932.

Lincoln, Y. S. «Emerging Criteria for Quality in Qualitative and Interpretive Research.» *Qualitative Inquiry:* Vol. 1, 1995.

______ and E. G. Guba. «Research, Evaluation and Policy Analysis: Heuristics in Disciplined Inquiry.» *Policy Studies Review:* Vol. 5, 1986.

Lunt, P. and S. Livingstone. «Rethinking the Focus Group in Media and Communications Research.» *Journal of Communication:* Vol. 46, 1996.

Mann, C. «Meta-analysis in the Breech.» *Science:* Vol. 249, 1990.

Mason, J. «Social Work Research: Is there a Feminist Method?» *Affilia: Journal of Women and Social Work:* Vol. 12, 1997.

Maxwell, J. A. «Understanding and Validity in Qualitative Research.» *Harvard Educational Review:* Vol. 62, No. 3, 1992.

Meinefeld, W. «Ex-ante-Hypothesen in der Qualitativen Sozialforschung: Zwischen «fehl am Platz» und «unverzichtbar.» *Zeitschrift für Soziologie:* Vol. 26, 1997.

Morgan, D. L. «Practical Strategies for Combining Qualitative and Quantitative Methods.» *Qualitative Health Research:* Vol. 8, 1998.

Oakley, A. «Gender, Methodology and People's Ways of Knowing: Some Problems with Feminism and the Paradigm Debate in Social science.» *Sociology:* Vol. 32, 1998.

Ramazanoglu, C. «On Feminist Methodology: Male Reason versus Female Empowerment.» *Sociology, Journal of the British Sociological Association:* Vol. 26, No. 2, 1992.

Richards, L. and T. Richards. «Qualitative Data Analysis: Can Computers Do It?» *Australian and New Zealand Journal of Sociology*: Vol. 23, No. 1, 1987.

Schrag, F. «In Defense of Positivistic Research Paradigms.» *Educational Researcher:* Vol. 21, No. 5, 1992.

Schütze, F. «Bibliographieforschung und narratives Interview.» *Neue Praxis:* Vol. 13, No. 3, 1983.

______. «Narrative Repräsentation kollektiver Schicksalsbetroffenheit.» *Erzählungen*: Vol. 4, 1982.

Smith, J. K. «Interpretive Inquiry: A Practical and Moral Activity.» *Theory into Practice:* vol. 31, no. 2, 1992.

Sprague, J. and M. K. Zimmerman, «Quality and Quantity: Reconstructing Feminist Methodology.» *American Sociologist:* Vol. 20, 1989.

Terhardt, E. «Intuition-Interpretation-Argumentation: Zum Problem der Geltungsbegründung von Interpretationen.» *Zeitschrift der Pädagogik*: Vol. 27, No. 5, 1981.

Wachter, K. W. «Disturbed by Meta-Analysis?» *Science:* Vol. 241, 1988.

Wang, M. and B. Mahoney. «Scales and-Measurement Revisited.» *Health Values:* Vol. 15, 1991.

Weiss, C. H. «How Can Theory-based Evaluation Make Greater Headway?» *Evaluation Review:* Vol. 21, No. 4, 1997.

Wells, L. E. and J. H. Rankin. «Families and Delinquency: A Meta-Analysis of the Impact of Broken Homes.» *Social Problems*: Vol. 38, 1991.

Conference

Blaikie, N. «Triangulation in Social Research: Origins, Use and Problems.» Paper Presented at: *The Conference of the Sociological Association of Australia and New Zealand*, Canberra, 1988.